١٧

عن متروكات سانزجى
محمد باشا

الاججه
٧٤٩

سورهٔ قصص دن اخرينه دك كشاف

الجلد الرابع من تفسير كشاف
١٧

بو كتاب

## سورة القصص مكية وهى ثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

طسم ⁂ تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ۝ من نبإ موسى وفرعون مفعول نتلوا اى نتلو عليك بعض خبرهما بالحق محقين كقوله تنبت بالدهن لقوم يؤمنون لمن سبق فى علمنا انه يؤمن لان التلاوة انما تنفع هؤلاء دون غيرهم ۝ ان فرعون علا فى الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيى نساءهم انه كان من المفسدين ۝ ان فرعون جملة مستانفة كالتفسير للمجمل كان قائلا قال وكيف كان نبأهما فقال ان فرعون علا فى الارض يعنى ارض مملكته قد طغى فيها وجاوز الحد فى الظلم والعسف شيعا فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك احد منهم ان يلوى عنقه قال الاعشى وبلدة يرهب الجواب دلجتها حتى تراه عليها يبتغى الشيعا ۝ او يشيع بعضهم بعضا فى طاعته او اصنافا فى استخدامه يستسخر صنفا فى بناء وصنفا فى حرث وصنفا فى حفر ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية او فرقا مختلفة قد اغرى بينهم العداوة وهم بنو اسرائيل والقبط والطائفة المستضعفة بنو اسرائيل وسبب ذبح الابناء ان كاهنا قال له يولد مولود فى بنى اسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل بين على ثخانة حمق فرعون فانه ان صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن وان كذب فما وجه القتل ويستضعف حال من الضمير فى وجعل او صفة لشيعا او كلام مستانف ويذبح

اتم

بدل من يستضعف وقوله إنه كان من المفسدين بيان أن القتل ما كان إلا فعل
المفسدين فحسب لأنه فعل لا طائل تحته صدق الكاهن أو كذب ونريد
أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين
فإن قلت علام عطف قوله ونريد أن نمن وعطفه على نتلوا ويستضعف غير
سديد قلت هي جملة معطوفة على قوله إن فرعون علا في الأرض لأنها نظيرة
تلك في وقوعها تفسيرا لنبإ موسى وفرعون واقتصاصا له ونريد حكاية
حال ماضية ويجوز أن يكون حالا من يستضعف أي يستضعفهم فرعون ونحن
نريد أن نمن عليهم فإن قلت كيف يجتمع استضعافهم وإرادة الله المنة
عليهم وإذا أراد الله شيئا كان ولم يتوقف إلى وقت آخر قلت لما كانت منة الله
بخلاصهم من فرعون قريبة الوقوع جعلت إرادة وقوعها كأنها مقارنة
لاستضعافهم أئمة مقدمين في الدين والدنيا يطأ الناس أعقابهم و
عن ابن عباس قادة يقتدى بهم في الخير وعن مجاهد دعاة إلى الخير وعن قتادة
ولاة كقوله تعالى وجعلكم ملوكا الوارثين يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل
ما كان لهم ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا
يحذرون مكن له إذا جعل له مكانا يقعد عليه أو يرقد فوطأه و
مهده ونظيره أرض له ومعنى التمكين لهم في الأرض وهي أرض مصر والشام
أن يجعلها بحيث لا تنبو بهم ولا تغث عليهم كما كانت في أيام الجبابرة وينفذ
أمرهم ويطلق أيديهم ويسلطهم وقرئ ويرى فرعون وهامان وجنودهما
أي يرون منهم ما حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وأو
حينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني

إنا

إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين اليم البحر قيل هو نيل مصر فإن قلت
ما المراد بالخوفين حتى أوجب أحدهما ونهى عن الآخر قلت أما الأول فالخوف
عليه من القتل لأنه كان إذا صاح خافت أن يسمع الجيران صوته فينموا عليه
وأما الثاني فالخوف من الغرق ومن الضياع ومن الوقوع في يد بعض العيون
المبثوثة من قبل فرعون في تطلب الولدان وغير ذلك من المخاوف فإن قلت ما
الفرق بين الخوف والحزن قلت الخوف غم يلحق الإنسان لمتوقع والحزن غم
يلحقه لواقع وهو فراقه والإخطار به فنهيت عنهما جميعا وأومنت بالوحي
إليها ووعدت ما يسليها ويطامن قلبها ويملؤها غبطة وسرورا وهو رده
إليها وجعله من المرسلين وروي أنه ذبح في طلب موسى تسعون ألف وليد وروي
أنها حين أقربت ضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بني
إسرائيل مصافية لها فقالت لها لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع إلى الأرض
هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم قالت ما جئتك
إلا لأقبل مولودك وأخبر فرعون ولكني وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فا
حفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة ووضعته في تنور
مسجور ولم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا
وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت إليه وقد جعل الله
النار عليه بردا وسلاما فلما ألح فرعون في طلب الولدان أوحى الله إليها
فألقته في اليم وقد روي أنها أرضعته ثلاثة أشهر في تابوت من بردي مطلي بالقار
من داخله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان

وجنودهما كانوا خاطئين . اللام في ليكون هي لام كي التي معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمني سواء بسواء ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة لانه لم يكن داعيهم الى الالتقاط ان يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والتبني غير ان ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام الذي هو نتيجة المجيء والتأدب الذي هو ثمرة الضرب في قولك ضربته ليتأدب وتحريره ان هذه اللام حكمها حكم الاسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الاسد لمن يشبه الاسد وقرئ وحزنا وهما لغتان كالعدم والعدم كانوا خاطئين في كل شيء فليس خطاؤهم في تربية عدوهم ببدع منهم او كانوا مذنبين مجرمين فعاقبهم الله بان ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على ايديهم وقرئ خاطين تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطاء . وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وهم لا يشعرون . روي انهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فاعياهم فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته فاذا بصبي نوره بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فاحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء وقالت له الاطباء لا تبرأ الا من قبل البحر يوجد فيه شبه انسان دواؤها ريقه فلطخت البرصاء برصها بريقه فبرأت وقيل لما نظرت الى وجهه برأت فقالت ان هذه لنسمة مباركة فهذا احد ما عطفهم عليه فقال الغواة من قومه هو الصبي الذي نحذر منه فائذن لنا في قتله فهمّ به فقالت آسية قرة عين لي ولك فقال فرعون لك لا لي وروي في حديث لو قال هو قرة عين لي كما هو لك



لهداه الله كما هداها وهذا على سبيل الفرض والتقدير اي لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها ولأسلم كما اسلمت هذا ان صح الحديث تأولا والله اعلم بصحته وروي انها قالت له لعله من قوم آخرين ليس من بني اسرائيل قرة عين خبر مبتدأ محذوف ولا يقوى ان تجعله مبتدأ ولا تقتلوه قرة عين لي ولك بتقديم لا تقتلوه عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع لاهله وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الابهام وبرء البرصاء ولعلها توسمت في سيمائه النجابة المؤذنة بكونه نفاعا او نتبناه فانه اهل للتبني وان يكون ولد بعض الملوك فان قلت وهم لا يشعرون حال فما ذو حالها قلت ذو حالها آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم على خطاء عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله ان فرعون الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطائهم وما احسن نظم هذا الكلام عند المرتاض بعلم محاسن النظم . واصبح فؤاد ام موسى فارغا ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين . فارغا صفرا من العقل والمعنى انها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله وافئدتهم هواء اي جوف لا عقول فيها ومنه بيت . الا ابلغ ابا سفيان عني فانت مجوف نخب هواء . وذلك ان القلوب مراكز العقول الا ترى الى قوله فتكون لهم قلوب يعقلون بها ويدل عليه

خبرا ولو نصب لكان اقوى وقراءة ابن مسعود دليل على انه خبر قرأ لا تقتلوه قرة عين

قرأة من قرأ فزعا وقرئ قرعا اى خاليا من قولهم اعوذ بالله من صفر الاناء وقرع
الفناء وفزغا من قولهم دماؤهم بينهم فزغ اى هدر يعنى بطل قلبها وذ هب
وبقيت لا قلب لها من شدة ما ورد عليها ان كادت لتبدى به لتصحر به والضمير
لموسى والمراد بامره وقصته وانه ولدها لولا ان ربطنا على قلبها بالهام
الصبر كما يربط على الشيء المنفلت ليقر ويطمئن لتكون من المؤمنين من المصدقين
بوعد الله وهو قوله انا رادوه اليك ويجوز وانتصح فؤادها فارغا من
الهم حين سمعت ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدى بانه ولدها
لانها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا انا طامنا قلبها وسكنا
قلقه الذى حدث به من شدة الفرح والابتهاج لتكون من المؤمنين الوا ثقين
بوعد الله لا بتبنى فرعون وتعطفه وقرئ موسى بالهمز جعلت الضمة
فى جارة الواو وهى الميم كانها فيها فهمزت كما تهمز واو وجوه * وقالت
لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون * قصيه اتبعى اثره و
تتبعى خبره وقرئ فبصرت بالكسر يقال بصرت به عن جنب وعن جنابة بمعنى
بعد وقرئ عن جانب وعن جنب والجنب الجانب يقال قعد الى جنبه
والى جانبه اى نظرت اليه مزورة متجانفة مخايلة وهم لا يحسون بانها
اخته وكان اسمها مريم * وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل
ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون * التحريم استعارة
للمنع لان من حرم عليه الشيء فقد منعه الا ترى الى قولهم محظور و
حجر وذلك لان الله منعه ان يرضع ثديا فكان لا يقبل ثدى مرضع قط

وهم لا يشعرون انها تقصه و عن انها اخته

حتى



حتى اهمهم ذلك والمراضع جمع مرضع وهى المرأة التى ترضع او جمع مرضع وهو موضع
الرضاع يعنى الثدى او الرضاع من قبل من قبل قصصها اثره روى انها لما قالت
وهم له ناصحون قال هامان انها لتعرفه وتعرف اهله فقالت انما اردت وهم
للملك ناصحون والنصح اخلاص العمل من شائب الفساد * فرددناه الى امه
كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون *
فانطلقت الى امها باشرهم فجاءت بها والصبى على يد فرعون يعلله شفقة
عليه وهو يبكى يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها
فقال لها فرعون ومن انت منه فقد ابى كل ثدى الا ثديك فقالت انى امرأة
طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبى الا قبلنى فدفعه اليها واجرى
عليها وذهبت به الى بيتها وانجز الله وعده فى الرد فعندها ثبت واستقر
فى علمها ان سيكون نبيا وذلك قوله ولتعلم ان وعد الله حق يريد وليثبت فى
علمها ويتمكن فان قلت كيف حل لها ان تأخذ الاجر على ارضاعها ولدها قلت ما
كانت تأخذه على انه اجر على الرضاع ولكنه مال حربى كانت تأخذه على وجه
الاستباحة وقوله ولكن اكثرهم الناس لا يعلمون انه حق فيرتابون و
يشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت واصبح فؤاد ها
فارغا يروى انها حين القت التابوت فى اليم جاءها الشيطان فقال لها يا ام
موسى كرهت ان يقتل فرعون موسى فتوجرى ثم ذهبت فتوليت
قتله فلما اتاها الخبر بان فرعون اصابه قالت وقع فى يد العدو فنسيت
وعد الله

بولدها ولا تحزن بفراقه

فى الكواشى اجرى اجرته لها عليه

ويجوز ان يتعلق ولكن بقوله ولتعلم ومعناه ان الرد انما كان لهذا الغرض الديني
وهو علمها بصدق وعد الله ولكن الاكثر لا يعلمون بان هذا هو الغرض الاصلي
الذي ما سواه تبع له من قرة العين وذهاب الحزن ﴿ولما بلغ اشده واستوى
آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين﴾ واستوى واعتدل وتم استحكامه
وبلغ المبلغ الذي لا يزاد عليه كما قال لقيط واستجملوا امركم لله دركم
شزر المريرة لا قحما ولا ضرعا وذلك اربعون سنة ويروى انه ما بعث نبي
الا على رأس اربعين سنة العلم التورية او الحكم السنة وحكمة الانبياء وسمتهم
قال الله ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾ وقيل معناه آتيناه
سيرة الحكماء العلماء وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل
فيه ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان
هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على
الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه
عدو مضل مبين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور
الرحيم﴾ المدينة مصر وقيل مدينة منف من ارض مصر وحين غفلتهم ما
العشاءين وقيل وقت القائلة وقيل يوم عيد لهم هم مشتغلون فيه
بلهوهم وقيل لما شب وعقل اخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فاخافوه
فلا يدخل قرية الا على تغفل وقرأ سيبويه فاستغاثه من شيعته ممن
شايعه على دينه من بني اسرائيل وقيل هو السامري من عدوه من مخالفيه
من القبط وهو فاتون وكان يتسخر الاسرائيلي لحمل الحطب الى مطبخ فرعون

والوكز

والوكز الدفع باطراف الاصابع وقيل بجمع الكف وقرأ ابن مسعود فلكزه بالام
فقضى عليه فقتله فان قلت لم جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه
واستغفر منه قلت لانه قتله قبل ان يؤذن له في القتل فكان ذنبا يستغفر منه
وعن ابن جريج ليس لنبي ان يقتل ما لم يؤمر ﴿قال رب بما انعمت علي فلن اكون
ظهيرا للمجرمين﴾ بما انعمت علي يجوز ان يكون قسما جوابه محذوف تقديره
اقسم بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين وان يكون
استعطافا كانه قال رب اعصمني بحق ما انعمت علي من المغفرة فلن اكون
ان عصمتني ظهيرا للمجرمين واراد بمظاهرة المجرمين اما صحبة فرعون وانتظامه
في جملته وتكثير سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان
يسمى ابن فرعون واما مظاهرة من كان اذت مظاهرته الى الجرم والاثم كما
الاسرائيلي المؤدية الى القتل الذي لم يحل له وعن ابن عباس لم يستثن
فابتلي به مرة اخرى يعني لم يقل فلن اكون ان شاء الله وهذا نحو قوله ولا تركنوا
الى الذين ظلموا وعن عطاء رحمه الله ان رجلا قال له ان اخي يضرب بقلمه ولا يعدو
رزقه قال فمن الرأس يعني من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال
فاين قول موسى وتلا هذه الآية وفي الحديث ينادي مناد يوم القيمة اين
واشباه الظلمة واعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة او برى لهم قلما فيجمعون
في تابوت من حديد فيرمى به في جهنم وقيل معناه بما انعمت علي من القوة فلن
استعملها الا في مظاهرة اوليائك واهل طاعتك والايمان بك ولا ادع قبطيا يغلب
احدا من بني اسرائيل ﴿فاصبح في المدينة خائفا يترقب فاذا الذي﴾

استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوي مبين ❁ يترقب المكروه بالاقاد
وهو الاستقادة منه او الاخبار وما يقال فيه ووصف الاسرائيلي بالغي لانه
كان سبب قتل رجل وهو يقاتل آخر ❁ فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو
لهما قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون
جبارا في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين ❁ وقرئ يبطش بالضم
والذي هو عدو لهما القبطي لانه ليس على دينهما ولان القبط كانوا اعداء
بني اسرائيل والجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر
في العواقب ولا يدفع بالتي هي احسن وقيل المتعظم الذي لا يتواضع
لامر الله ولما قال هذا افشى على موسى فانتشر الحديث في المدينة ورقي
الى فرعون وهموا بقتله ❁ وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال يا مو سى
ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين ❁ قيل الرجل
من آل فرعون وكان ابن عم فرعون ويسعى يجوز ارتفاعه وصفا لرجل مؤ
وانتصابه حالا عنه لانه قد تخصص بان وصف بقوله من اقصى المدينة واذا
جعل صلة لجاء لم يجز في يسعى الا الوصف والايتمار التشاور ويقال الر جلان
يتآمران ويأتمران لان كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء او يشير عليه
بامر والمعنى يتشاورون بسببك لك بيان وليس بصلة الناصحين ❁ فخرج
منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ولما توجه تلقاء مد ين
قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل ❁ يترقب التعرض له في الطر يق
ان يلحق تلقاء مدين قصدها وهي قرية شعيب عم سميت بمدين بن ا

ابراهيم



ابراهيم ولم تكن في سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمان وكان موسى
صلى الله عم لا يعرف اليه الطريق قال ابن عباس خرج وليس له علم بالطريق
الا حسن ظنه بربه وسواء السبيل وسطه ومعظم نهجه وقيل خرج
حافيا لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدميه وقيل
جاءه ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به الى مدين ❁ ولما ورد
ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ❁ ماء مدين هو
الذي يستقون منه وكان بئرا فيما روي ووروده مجيئه و
الوصول اليه وجد عليه وجد فوق شفيره ومستقاه امة جماعة
كثيفة العدد من الناس من اناس مختلفين ❁ ووجد من دونهم
امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء
وابونا شيخ كبير ❁ من دونهم في مكان اسفل من مكانهم والذود
الطرد والدفع وانما كانتا تذودان لان على الماء من هو اقوى منهما
فلا تتمكنان من السقي وقيل كانتا تكرهان المزاحمة على الماء وقيل لئلا
تختلط اغنامهما باغنامهم وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر
لتسترهما ما خطبكما ما شأنكما وحقيقته ما مخطوبكما من الذياد
فسمي المخطوب خطبا كما سمي المشؤون شأنا في قوله ما شأنك يقال
شأنت شأنه اي قصدت قصده وقرئ لا نسقي ويصدر والرعاء
بضم النون والياء والراء والرعاء اسم جمع كالرخال والثناء
واما الرعاء بالكسر فقياس كصيام وقيام كبير السن ❁ فسقى
لهما ثم

ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير ❁ فسقى لهما
تسقى عنهما لأجلهما أو روي أن الرعاة كانوا يضعون على رأس البئر
حجرا لا يقله إلا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل أربعون وقيل مائة
فأقله وحده وروي أنه سألهم دلوا من ماء فأعطوه دلوهم وقالوا
استق بها وكانت لا ينزعها إلا أربعون فاستقى بها وصبها في الحوض
ودعا بالبركة وروى غنمهما وأصدرهما وروي أنه دفعهم عن الماء
حتى سقى لهما وقيل كانت بئر أخرى عليها الصخرة وإنما فعل هذا رغبة
في المعروف وإغاثة للملهوف والمعنى أنه وصل إلى ذلك الماء وقد ازدحمت
عليه أمة من أناس مختلفة متكاثفة العدد ورأى الضعيفتين من ورائهم
مع غنيمتهما مترقبتين لفراغهم فما أخطأت همته في دين الله تلك الفرصة
مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم والجوع ولكنه رحمهما فأ
غاثهما وكفاهما أمر السقي في مثل تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده
وما آتاه الله من الفضل في متانة الفطرة ورصانة الجبلة وفيه مع إرادة
اقتصاص أمره وما أوتي من البطش والقوة وما لم يغفل عنه على ما كان به
من انتهاز فرصة الاحتساب ترغيب في الخير وانتهاز فرصته وبعث على
الاقتداء في ذلك بالصالحين والأخذ بسيرهم ومذاهبهم فإن قلت لم ترك
المفعول غير مذكور في قوله يسقون وتذودان ولا نسقي قلت لأن
الغرض هو الفعل لا المفعول ألا ترى أنه إنما رحمهما لأنهما كانتا على
الذياد وهم على السقي ولم يرحمهما لأن مذودهما غنم ومسقيهم إبل مثلا وكذلك

قولهما

لا نسقي حتى يصدر الرعاء المقصود فيه السقي لا المستقى فإن قلت كيف طابق
جوابهما سؤاله قلت سألهما عن سبب الذود فقالتا السبب في ذلك
أنا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم
فلا بد لنا من تأخير السقي إلى أن يفرغوا وما لنا رجل يقوم بذلك وأبونا
شيخ قد أضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به أبلتنا إليه ضرورته في
توليهما السقي بأنفسهما فإن قلت كيف ساغ لنبي الله الذي هو شعيب
عليه السلام أن يرضى لابنتيه بسقي الماشية قلت الأمر في نفسه ليس
بمحظور فالدين لا يأباه وأما المروءة فالناس مختلفون في ذلك والعادات
متباينة فيه وأحوال العرب فيه خلاف أحوال العجم ومذهب أهل
البدو فيه غير مذهب أهل الحضر خصوصا إذا كانت الحالة حالة ضرورة
أي لأي شيء أنزلت إلي قليل أو كثير غث أو سمين لفقير وإنما عدى
فقير باللام لأنه ضمن معنى سائل وطالب قيل ذكر ذلك وإن خضرة
البقل تترا أي في بطنه من الهزال ما سأل الله إلا أكلة ويحتمل أن يريد
إني فقير من الدنيا لأجل ما أنزلت إلي من خير الدين وهو النجاة من
الظالمين لأنه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضا بالبدل السني
وفرحا به وشكرا له وكان الظل ظل سمرة ❁ فجاءته إحداهما تمشي على
استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه
وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ❁ على استحياء

في موضع الحال اي مستحيية متخفرة وقيل استترت بكم درعها روي
انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس واغنامهما حفّل
بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا
فقال لاحديهما اذهبي فادعيه لي فتبعها موسى فالزقت الريح ثوبها
بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق فلما قص
عليه قصته قال له لا تخف فلا سلطان لفرعون بارضنا فان قلت كيف
ساغ لموسى عليه السلام ان يعمل بقول امراة وان يمشي معها وهي اجنبية
قلت اما العمل بقول امراة فكما نعمل بقول الواحد حرا كان او عبدا
ذكرا كان او انثى في الاخبار وما كانت الا مخبرة عن ابيها بانه يدعوه
ليجزيه واما مماشاته امراة اجنبية فلا باس بها في نظاير تلك الحال
مع ذلك الاحتياط والتورع فان قلت كيف صح له اخذ الاجر على البر و
المعروف قلت يجوز ان يكون قد فعل ذلك لوجه وعلى سبيل التقبل
لمعروف مبتدا كيف وقد قص عليه قصصه وعرفه انه من بيت
النبوة من اولاد يعقوب ومثله حقيق بان يضيف ويكرم خصوصا
في دار نبي من انبياء الله وليس بمنكر ان يفعل ذلك لاضطرار الفقر
والفاقة طلبا للاجر وقد روي ما يعضد كلا القولين روي انها
لما قالت ليجزيك كره ذلك ولما قدم اليه الطعام امتنع وقال انا
اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا ولا ناخذ على المعروف
ثمنا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا وعن عطاء بن

السائب



السائب رفع صوته بدعائه ليسمعها فلذلك قيل له ليجزيك اجر ما
سقيت اي جزاء سقيك والقصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص
﴿قالت احديهما يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوي
الامين﴾ كبراهما كانت تسمى صفراء والصغرى صفيراء و
صفراء هي التي ذهبت به وطلبت الى ابيها ان يستاجره وهي التي
تزوجها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان شعيبا احفظته الغيرة
فقال وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر ونزع الدلو
وانه صوب راسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه و
قولها ان خير من استاجرت القوي الامين كلام حكيم جامع لا يزاد
عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان اعني الكفاية والامانة في القائم
بامرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنت بارسال هذا الكلام
الذي سياقه سياق المثل والحكمة ان تقول استاجره لقوته وامانته
فان قلت كيف جعل خير من استاجرت اسما لان والقوي الامين
خبرا قلت هو مثل قوله الا ان خير الناس حيا وهالكا اسير ثقيف
عندهم في السلاسل في ان العناية هي سبب التقديم وقد صدقت
حتى جعل لها ما هو احق بان يكون خبرا اسما وورود الفعل
بلفظ الماضي للدلالة على انه امر قد جرب وعرف ومنه قولهم
اهون ما اعملت لسان ممخ وعن ابن مسعود رضي الله عنه افرس الناس

تلك الليلة بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله عسى ان ينفعنا وابو بكر في
عمر روي انه انكحه [illegible] وقوله تعالى على ان تأجرني ثماني حجج
فان اتممت عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك ستجدني ان
شاء الله من الصالحين ● تأجرني من اجرته اذا كنت له اجيرا كقولك
ابوته اذا كنت له ابا وثماني حجج ظرفه او من اجرته كذا اذا اثبته اياه و
منه تعزية رسول الله صلى الله عليه وسلم آجركم الله ورحمكم وثماني حجج
مفعول به ومعناه رعية ثماني حجج فان قلت كيف صح ان ينكحه احدى
ابنتيه من غير تمييز قلت لم يكن ذلك عقدا للنكاح ولكن مواعدة ومواصفة
امر قد عزم عليه ولو كان عقدا لقال قد انكحتك ولم يقل اني اريد
ان انكحك فان قلت كيف صح ان يمهرها اجارة نفسه في رعية الغنم
ولا بد من تسليم ما هو مال الا ترى الى ابي حنيفة رحمه الله كيف منع
ان يتزوج امرأة بان يخدمها سنة وجوز ان يتزوجها بان يخدمها
عبده سنة او يسكنها داره سنة لانه في الاول مسلم نفسه وليس بمال
وفي الثاني هو مسلم مالا وهو العبد والدار قلت الامر على مذهب
ابي حنيفة على ما ذكرت واما الشافعي فقد جوز التزوج على الاجارة
لبعض الاعمال والخدمة اذا كان المستأجر له او المخدوم فيه امرا
معلوما ولعل ذلك كان جائزا في تلك الشريعة ويجوز ان يكون المهر
شيئا آخر وانما اراد ان يكون رعي غنمه هذه المدة واراد

(margin: صفة)

ان ينكحه



ان ينكحه ابنته فذكر له المرادين وعلق الانكاح بالرعية على معنى
اني افعل هذا اذا فعلت ذلك على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة
ويجوز ان يستأجره لرعية ثماني سنين بمبلغ معلوم ويوفيه اياه
ثم ينكحه ابنته به ويجعل قوله على ان تأجرني ثماني حجج عبارة عما جرى
بينهما فان اتممت عمل عشر حجج فمن عندك فاتمامه من عندك ومعناه
فهو من عندك لا من عندي يعني لا الزمك ولا احتمه عليك ولكنك ان فعلته
فهو منك تفضل وتبرع والا فلا عليك وما اريد ان اشق عليك بالزام
اتم الاجلين وايجابه فان قلت ما حقيقة قولهم شققت عليه وشق
عليه الامر قلت حقيقته ان الامر اذا تعاظمك فكأنه شق عليك ظنك
باثنين تقول تارة اطيقه وتارة لا اطيقه او وعده المساهلة والمسامحة
من نفسه وانه لا يشق عليه فيما استأجره له من رعي غنمه ولا يفعل نحو ما
يفعل المعاسرون من المسترعين من المناقشة في مراعاة الاوقات
والمداقة في استيفاء الاعمال وتكليف الرعاة اشغالا خارجة عن حد
الشرط وهكذا كان الانبياء عليهم السلام آخذين بالاسمح في معاملات
الناس ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكي فكان خير شريك لا
يداري ولا يماري وقوله ستجدني ان شاء الله من الصالحين يدل
على ذلك يريد بالصلاح حسن المعاملة ووطأة الخلق ولين الجانب
ويجوز ان يريد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد

(margin: ولا يشاري)

(margin: شق فلان على فلان وشق عليه الامر [illegible])

باشتراط مشيئة الله فيما وعد من الصلاح الا اتكالا على توفيقه فيه ومعونته
لا انه يستعمل الصلاح ان شاء الله وان شاء استعمل خلافه قال ذلك
بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل
ذلك مبتدأ وبيني وبينك خبره وهو اشارة الى ما عاهده عليه شعيب
عليه السلام يريد ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم
بيننا جميعا لا نخرج عنه لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت
على نفسك ثم قال ايما الاجلين قضيت من الاجلين اطولهما الذي هو العشر
او اقصرهما الذي هو الثمان فلا عدوان علي اي لا يعتدى علي في طلب
الزيادة عليه فان قلت تصور العدوان انما هو في احد الاجلين
الذي هو الاقصر وهو المطالبة بتتمة العشر فما معنى تعليق العدوان
بهما جميعا قلت معناه كما اني ان طولبت بالزيادة على العشر كان عدوانا
لا شك فيه فكذلك ان طولبت بالزيادة على الثمان اراد بذلك تقرير امر
الخيار وانه ثابت مستقر وان الاجلين على السواء اما هذا واما هذا
من غير تفاوت بينهما في القضاء واما التتمة فموكولة الى رأيي ان شئت
اتيت بها والا لم اجبر عليها وقيل معناه فلا اكون متعديا وهو في نفي
العدوان عن نفسه كقولك لا اثم علي ولا تبعة علي وفي قراءة ابن مسعود
اي الاجلين ما قضيت وقرئ ايما بسكون الياء كقوله تنظرت نصرا
والسماكين ايهما على من الغيث استهلت مواطره وعن قعنب عدوان

بالكسر



بالكسر فان قلت ما الفرق بين موقعي ما المزيدة في القراءتين قلت وقعت
في المستفيضة مؤكدة لابهام اي زائدة في شياعها وفي الشاذة تأكيدا
للقضاء كانه قال اي الاجلين صممت على قضائه وجردت عزيمتي له والوكيل
الذي وكل اليه الامر ولما استعمل في موضع الشاهد والمهيمن و
المقيت عدي بعلى لذلك روي ان شعيبا كانت عنده عصي الانبياء
عليهم الصلوة والسلام فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا
من تلك العصي فاخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الانبياء
يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فمسها وكان مكفوفا فضن بها
فقال غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شأنا وقيل
اخذها جبريل بعد موت آدم فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلا و
قيل اودعها شعيبا ملك في صورة رجل فامر بنته ان تأتيه بعصا
فاتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها اليه ثم
ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا ان يحكم بينهما اول طالع
فاتاهما الملك فقال القياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها
ورفعها موسى وعن الحسن ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا
وعن الكلبي الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه
ولما اصبح قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فان الكلأ
وان كان بها اكثر الا ان فيها تنينا اخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم

ذات اليمين ولم يقدر على كتفها فمشى على اثرها فاذا عشب وريق لم ير
مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب
موسى دامية فلما ابصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب
مس الغنم فوجدها ملاء البطون غزيرة اللبن فاخبره موسى ففرح وعلم ان
لموسى والعصا شانا وقال له انى وهبت لك من نتاج غنمى هذا العام كل ادرع ودرعاء
فاوحى اليه فى المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما اخطأت
واحدة الا وضعت ادرع ودرعاء فوفى له بشرطه سئل رسول الله صلى الله عليه
اى الاجلين قضى موسى فقال ابعدهما وابطأهما وروى انه قال قضى اوفاهما
وتزوج صغراهما وهذا خلاف الرواية التى سبقت فلما قضى موسى الاجل
وسار باهله آنس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا انى آنست نارا
لعلى آتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون الجذوة باللغات
الثلث وقرئ بهن جميعا العود الغليظ كانت فى راسه نار او لم تكن قال كثير
باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر وقال والقى
على قبس من النار جذوة شديدا عليه حرها والتهابها فلما اتيها نودى من
شاطئ الوادى الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى انى انا الله رب
العالمين وان الق عصاك فلما رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى
اقبل ولا تخف انك من الآمنين اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء
واضمم اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملائه
انهم كانوا قوما فاسقين من الاولى والثانية لابتداء الغاية اى اتاه النداء

والايمن والايمنة خلاف الايسر والميسرة

من شاطئ الوادى من قبل الشجرة ومن الشجرة بدل من قوله من شاطئ الوادى
بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطئ كقوله لجعلنا لمن يكفر
بالرحمن لبيوتهم وقرئ البقعة بالفتح والضم والرهب بفتحتين وضمتين
وفتح وسكون وضم وسكون وهو الخوف فان قلت ما معنى قوله واضمم اليك
جناحك من الرهب قلت فيه معنيان احدهما ان موسى عليه السلام
لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من
الشئ فقيل له ان اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الاعداء فاذا القيتها
فكما تنقلب حية فادخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم اخرجها
بيضاء ليحصل الامران اجتناب ما هو غضاضة عليك واظهار معجزة اخرى
والمراد بالجناح اليد لان يدى الانسان بمنزلة جناحى الطائر واذا ادخل
يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى فقد ضم جناحه اليه والثانى ان يراد
بضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حية
حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لانه اذا خاف نشر
جناحيه وارخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه مشمران ومنه ما يحكى
عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله ان كاتبا له كان يكتب بين يديه فانفلتت منه
فلتة ريح فخجل وانكسر فقام وضرب بقلمه الارض فقال له عمر خذ قلمك واضمم
اليك جناحك وليفرخ روعك فانى ما سمعتها من احد اكثر مما
سمعتها من نفسى ومعنى قوله من الرهب من اجل الرهب اى اذا اصابك

الرهب عند رؤية الحية واضمم اليك جناحك جعل الرهب الذى كان يصيبه
سببا وعلة فيما امر به من ضم جناحه اليه ومعنى واضمم اليك جناحك و
قوله اسلك يدك فى جيبك على احد التفسيرين واحد ولكن خولف بين
العبارتين وانما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك ان الغرض
فى احدهما خروج اليد بيضاء وفى الثانى اخفاء الرهب فان قلت قد جعل
الجناح وهو اليد فى احد الموضعين مضموما وفى الآخر مضموما اليه
وذلك قوله واضمم اليك جناحك وقوله واضمم يدك الى جناحك فما التو
فيق بينهما قلت المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى وبالمضموم اليه
اليد اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما جناح ومن بدع
التفاسير ان الرهب الكم بلغة حمير وانهم يقولون اعطنى مما فى رهبك
وليت شعرى كيف صحته فى اللغة وهل سمع من الاثبات الذين ترتضى
عربيتهم ثم ليت شعرى كيف موقعه فى الآية وكيف تطبيقه ٥
المفصل كسائر كلمات التنزيل على ان موسى صلى الله عليه وسلم ما كان عليه ليلة
المناجاة الا زرمانقة من صوف لا كمى لها فذانك قرئ مخففا ومشددا
فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك برهانان حجتان بينتان نيرتان
فان قلت لم سميت الحجة برهانا قلت لبياضها وانارتها من قولهم
للمرأة البيضاء برهرهة بتكرير العين واللام معا والدليل على زيادة
النون قولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان ونظيره تسميتهم اياها

سلطانا

سلطانا من السليط وهو الزيت لانارتها * قال رب انى قتلت منهم نفسا
فاخاف ان يقتلون واخى هرون هو افصح منى لسانا فارسله معى ردءا
يصدقنى انى اخاف ان يكذبون * يقال ردأته اعنته والردء اسم ما يعان
به فعل بمعنى مفعول به كما ان الدفء اسم لما يدفأ به قال سلامة
بن جندل وردئى كل ابيض مشرفى شحيذ الحد عضب ذى فلول
وقرئ ردا على التخفيف كما قرئ الخب ردا يصدقنى بالرفع والجزم
صفة وجواب نحو وليا يرثنى سواء فان قلت تصديق اخيه ما
الفائدة فيه قلت ليس الغرض بتصديقه ان يقول له صدقت او
يقول للناس صدق موسى وانما هو ان يلخص بلسانه الحق ويبسط
القول فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطيق ذو العارضة
فذلك جار مجرى التصديق المفيد كما يصدق القول بالبرهان الا ترى
الى قوله واخى هرون هو افصح منى لسانا فارسله معى وفضل الفصا
حة انما يحتاج اليه لذلك لا لقوله صدقت فان سحبان وباقلا يستويان
فيه او يصل جناح كلامه بالبيان حتى يصدقه الذى نخاف تكذيبه فا
سند التصديق الى هرون لانه السبب فيه اسنادا مجازيا ومعنى
الاسناد المجازى ان التصديق حقيقة فى المصدق فاسناده اليه حقيقة و
ليس فى السبب تصديق ولكن استعير له الاسناد لانه لابس
التصديق بالتسبب كما لابسه الفاعل بالمباشرة والدليل على هذا
الوجه

فقوله إني أخاف أن يكذبون وقراءة من قرأ ردءاً يصدقني وفيها تنبيه للقراءة بجزم يصدقني ﴿قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾ العضد قوام اليد وبشدتها تشتد قال طرفة أبني لبيني لستم بيد إلا يدا ليست لها عضد ويقال في دعاء الخير شد الله في عضدك وفي ضده فت الله في عضدك ومعنى سنشد عضدك بأخيك سنقويك به ونعينك فإما أن يكون ذلك لأن اليد تشتد بشدة العضد والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الأمور وإما لأن الرجل شبه باليد في اشتدادها باشتداد العضد فجعل كأنه يد مشتدة بعضد شديدة سلطانا غلبة وتسلطا أو حجة واضحة بآياتنا متعلق بمحذوف ما تعلق به في تسع آيات أي اذهبا بآياتنا أو بنجعل لكما سلطانا أي نسلطكما بآياتنا أو بلا يصلون أي تمتنعون منهم بآياتنا أو هو بيان للغالبون لا صلة لامتناع تقدم الصلة على الموصول ولو تأخر لم يكن إلا صلة له ويجوز أن يكون قسما جوابه لا يصلون مقدما عليه أو من لغو القسم ﴿فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين﴾ سحر مفترى سحر تعمله ثم تفتريه على الله أو سحر ظاهر افتراؤه أو موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر وليس بمعجزة من عند الله في آبائنا حال منقولة عن

هذا



هذا أي كائنا في زمانهم وآبائهم يريد ما حدثنا بكونه فيهم ولا تخلو من أن يكونوا كاذبين في ذلك وقد سمعوا وعلموا بنحوه أو يريدوا أنهم ما سمعوا بمثله في فظاعته أو ما كان الكهان تخبر بظهور موسى ومجيئه بما جاء به وهذا دليل أنهم حجوا وبهتوا وما وجدوا ما يدفعون به ما جاءهم من الآيات إلا قولهم هذا سحر وبدعة لم يسمعوا بمثلها ﴿وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون﴾ يقول ربي أعلم منكم بحال من أهله الله للفلاح الأعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى يعني نفسه ولو كان كما تزعمون كاذبا ساحرا مفتريا لما أهله لذلك لأنه غني حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبئ الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار هي العاقبة المحمودة والدليل عليه قوله عز وجل أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن وقوله وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها وعقباها أن تختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقى الملائكة بالبشرى عند الموت فإن قلت العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح أن تسمى عاقبة الدار لأن الدنيا إما أن يكون خاتمتها بخير أو بشر فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر قلت قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازا إلى الآخرة وأراد بعباده أن لا يعملوا فيها إلا الخير وما خلقهم إلا لأجله ليتلقوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق

ومن عمل فيها خلاف ما وضعها الله له فقد حرّف فإذن عاقبتها الاصلية
هي عاقبة الخير واما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لانها من نتائج تحريف
الفجار وقرأ ابن كثير قال موسى بغير واو وعلى ما في مصاحف اهل مكة وهي
قراءة حسنة لأن الموضع موضع سؤال وبحث عما اجابهم به موسى عند
تسميتهم مثل تلك الآيات الباهرة سحرا مفترى ووجه الاخرى انهم
قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوازن الناظر بين القول والقول و
يتبصر فساد احدهما وصحة الآخر وبضدها تتبين الاشياء وقرئ
يكون بالتاء والياء ❀ وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله
غيري فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله
موسى واني لاظنه من الكاذبين ❀ روي انه لما امر ببناء الصرح جمع
هامان العمال حتى اجتمع خمسون الف بناء سوى الاتباع والاجراء و
امر بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيدوه حتى
بلغ ما لم يبلغه بنيان احد من الخلق فكان الباني لا يقدر ان يقوم على
رأسه يبني فبعث الله تعـ جبريل عليه السلام عند غروب الشمس فضربه
بجناحه فقطعه ثلث قطع ووقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت
الف الف رجل ووقعت قطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق احد
من عماله الا قد هلك ويروى في هذه القصة ان فرعون ارتقى فوقه فرمى
بنشابة نحو السماء فاراد الله تبارك وتعالى ان يفتنهم فردت اليه وهي
ملطوخة بالدم فقال قد قتلت اله موسى فعندها بعث الله تعـ

جبريل



جبريل لهدمه والله اعلم بصحته فقصد بنفي علمه باله غيره نفي وجوده
معناه ما لكم من اله غيري كما قال عز وجل قل اتنبئون الله بما لا يعلم في
السموات ولا في الارض معناه بما ليس فيهن وذلك لان العلم تابع
للمعلوم لا يتعلق به الا على ما هو عليه فاذا كان الشيء معدوما لم يتعلق
به موجودا فمن ثم كان انتفاء العلم بوجوده لانتفاء وجوده وعبّر
عن انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده ويجوز ان يكون على ظاهره
وان الها غيره غير معلوم عنده ولكنه مظنون بدليل قوله تعالى و
اني لاظنه من الكاذبين واذا ظنه موسى كاذبا في اثباته الها غيره ولم
يكن المخذول ظانا ظنا كاليقين بل عالما بصحة قول موسى عليه السلام لقد
علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر لما تكلف ذلك
البنيان العظيم ولما تعب في بنائه ما تعب لعله يطلع بزعمه الى اله موسى
وان كان جاهلا مفرطا في الجهل به وبصفاته حيث حسب انه في مكان
كما كان هو في مكان وانه يطلع اليه كما كان [فرعون] يطلع اليه اذا قعد في عليته
وانه ملك السماء كما انه [فرعون] ملك الارض ولا ترى بينة اثبت شهادة على
افراط جهله وغباوته وجهل ملائه وغباوتهم من انهم راموا نيل
اسباب السموات بصرح يبنونه وليت شعري اكان يلبس على [البلد] اهل
بلاده ويضحك من عقولهم حيث صادفهم اغبى الناس واخلاهم من
الفطن واشبههم بالبهائم بذلك ام كان في نفسه بتلك الصفة

وان فتح ما حكي من رجوع النشابة اليه ملطوخة بالدم فتهكم به
بالفعل كما جاء التهكم بالقول في غير موضع من كتاب الله بنظرائه
من الكفرة ويجوز ان يفسر الظن على القول الاول باليقين كقوله
فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج ويكون بناء الصرح مناقضة لما
ادعاه من العلم واليقين وقد خفيت على قومه لغباوتهم و
بلههم او لم تخف عليهم ولكن كلا كان يخاف على نفسه سوطه وسيفه
وانما قال يا هامان على الطين ولم يقل اطبخ لي الآجر واتخذه لانه اول
من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة ولان هذه العبارة احسن طباقا
لفصاحة القرآن وعلو طبقته واشبه بكلام الجبابرة وامر هامان و
هو وزيره ورديفه بالايقاد على الطين منادى باسمه بيا في وسط الكلا
دليل التعظم والتجبر وعن عمر رضي الله عنه انه حين سافر الى الشام ورأى
القصور المشيدة بالآجر قال ما علمت ان احدا بنى بالآجر غير فر
والطلوع والاطلاع الصعود يقال طلع الجبل واطلع بمعنى واستكبر
هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون الا
ستكبار بالحق انما هو لله عز وجل وهو المتكبر على الحقيقة اي المتبالغ
في كبرياء الشان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى عن ربه الكبرياء ردائي
والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في النار وكل مستكبر
سواه فاستكباره بغير الحق يرجعون بالفتح والضم فاخذناه و

جنوده



وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فاخذناه و
وجنوده فنبذناهم في اليم من الكلام الفخم الذي دل به على عظمة
شانه وكبرياء سلطانه شبههم استحقارا لهم واستقلالا لعدد
وان كانوا الكثر الكثير والجم الغفير بحصيات اخذهن آخذ في كفه
فطرحهن في البحر ونحو ذلك والقينا فيها رواسي شامخات وحملت
الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وما قدروا الله حق قدره والار
جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه وما هي الا
تصويرات وتمثيلات لاقتداره وان كل مقدور وان عظم وجل فهو
مستصغر الى جنب قدرته وجعلناهم ائمة يدعون الى النار
ويوم القيمة لا ينصرون واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم
القيمة هم من المقبوحين فان قلت ما معنى قوله وجعلناهم ائمة يد
الى النار قلت معناه ودعوناهم ائمة دعاة الى النار وقلنا انهم ائمة دعا
الى النار كما يدعى خلفاء الحق ائمة دعاة الى الجنة وهو من قولك جعله
بخيلا وفاسقا اذا دعاه وقال انه بخيل وفاسق ويقول اهل اللغة في تفسير
فسقه وبخله جعله بخيلا وفاسقا ومنه قوله عز وعلا وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا ومعنى دعوتهم الى النار دعوتهم الى مو
جباتها من الكفر والمعاصي ويوم القيمة لا ينصرون كما ينصر الائمة
الدعاة الى الجنة ويجوز خذلناهم حتى كانوا ائمة الكفر ومعنى الخذلان

منع

الطاف وانما يمنعهما من علم انهما لا تنفع فيه وهو المصمم على الكفر الذى لا
تغنى عنه الايات والنذر ودجرام مجرى الكناية لان امتنع الالطاف يرد في
التصميم والغرض بذكره التصميم فلانه قبل صمموا على الكفر حتى لا [margin: نعوا]
الهمة فيه دعاء اليه والى سوء عاقبته فان قلت واى فائدة فى ترك المردود [margin: ن]
الى الرادفة قلت ذكر الرادفة يدل على وجود المردود فيعلم وجود المردود [margin: وق]
مع الدليل الشاهد بوجوده فيكون اقوى لاثباته من ذكره الا ترى انك
تقول لولا انه مصمم على الكفر مقطوع امره مبتوت حكمهما امتنعت منه
الالطاف فبذكر منع الالطاف تحصل العلم بوجود التصميم على الكفر و
زيادة وهو قيام الحجة على وجوده وينصر هذا الوجه قوله ويوم القيمة
لا ينصرون لانه قيل وخذلناهم فى الدنيا وهم يوم القيمة مخذولون كما
قال واتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة اى طردا وابعادا عن الرحمة ويوم
القيمة هم من المقبوحين اى من المطرودين المبعدين ﴿ولقد اتينا موسى
الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة
لعلهم يتذكرون﴾ بصائر نصب على الحال والبصيرة نور القلب الذى
يستبصر به كما ان البصر نور العين الذى تبصر به يريد اتيناه التورية
انوارا للقلوب لانها كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل وارشادا
لانهم كانوا يخبطون فى ضلال ورحمة لانهم لو عملوا بها وصلوا الى نيل الرحمة
لعلهم يتذكرون ارادة ان يتذكروا شبهت الارادة بالترجى فاستعير





لها ويجوز ان يراد به ترجى موسى لتذكرهم كقوله لعله يتذكر ﴿
وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشا
هدين ولكنا انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا فى
اهل مدين تتلوا عليهم اياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور
اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتيهم من نذير من
قبلك لعلهم يتذكرون﴾ الغربى المكان الواقع فى شق الغرب
وهو المكان الذى وقع فيه ميقات موسى عليه السلام من الطور وكتب
الله له فى الالواح والامر المقضى الى موسى الوحى الذى اوحى اليه
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وما كنت حاضرا المكان الذى اوحينا
فيه الى موسى ولا كنت من جملة المشاهدين للوحى اليه او على الوحى
اليه وهم نقباؤه الذين اختارهم للميقات حتى تقف من جهة المشا
على ما جرى من امر موسى فى ميقاته وكتبة التورية له فى الالواح وغير
ذلك فان قلت كيف يتصل قوله ولكنا انشانا قرونا بهذا الكلام و
من اى وجه يكون استدراكا له قلت اتصاله به وكونه استدراكا
له من حيث ان معناه ولكنا انشانا بعد عهد الوحى الى عهدك
قرونا كثيرة فتطاول على اخرهم وهو القرن الذى انت فيهم العمر اى
امد انقطاع الوحى واندرست العلوم فوجب ارسالك اليهم

[margin: الشاهدين ... هدة]

فارسلناك وكسبناك العلم بقصص الانبياء وقصة موسى كأنه قال وما كنت
شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا اوحيناه اليك فذكر سبب الوحي
الذي هو اطالة الفترة ودل به على المسبب على عادة الله عز وجل في اختصا راته
فاذن هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده وما كنت ثاويا
اي مقيما في اهل مدين وهم شعيب والمؤمنون به تتلوا عليهم آيا
تنا تقرؤها عليهم تعلما منهم يريد الآيات التي فيها قصة شعيب
وقومه ولكنا ارسلناك واخبرناك بها وعلمناكها اذ نادينا مناداة يريد
موسى عليه السلام ليلة المناجاة وتكليمه ولكن علمناك رحمة وقرئ
رحمة بالرفع اي هي رحمة ما اتاهم من نذير في زمان الفترة بينك و
بين عيسى وهو خمسمائة وخمسون سنة ونحوه قوله لتنذر قوما
ما انذر آباؤهم ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا
ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين ﴿ لولا
الاولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية واحدى الفائين
للعطف والاخرى جواب لولا لكونها في حكم الامر من قبل ان الامر باعث
على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والمعنى ولولا انهم قائلون اذا
عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا ارسلت الينا رسولا محتجين
علينا بذلك لما ارسلنا اليهم يعني ان ارسال الرسل اليهم انما هو ليلزموا

الحجة



الحجة ولا يلزموها كقوله تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع
آياتك فان قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب
في الارسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه قلت القول هو
المقصود بان يكون سببا لارسال الرسل ولكن العقوبة لما كانت هي
السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كأنها سبب
الارسال بواسطة القول فادخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها
بالفاء المعطية معنى السببية ويؤول معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا
اصابتهم مصيبة لما ارسلنا ولكن اختيرت هذه الطريقة لنكتة وهي انهم
لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد عاينوا ما الجئوا به الى العلم
اليقيني لم يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا وانما السبب في قولهم
هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على ما فاتهم من الايمان بخالقهم
وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم
ما لا يخفى كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولما كانت اكثر
الاعمال تزاول بالايدي جعل كل عمل معبرا عنه باجتراح الايدي
وتقديم الايدي وان كان من اعمال القلوب وهذا من الاتساع في الكلام
وتصيير الاقل تابعا للاكثر وتغليب الاكثر على الاقل ﴿ فلما جاءهم الحق
من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى اولم يكفروا بما اوتي موسى

من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون ❀ فلما جاءهم الحق
وهو الرسول المصدق بالكتاب المعجز مع سائر المعجزات وقطعت
معاذيرهم وسد طريق احتجاجهم قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى
من الكتاب المنزل جملة واحدة ومن قلب العصا حية وفلق البحر و
غيرهما من الآيات فجاوا بالاقتراحات المبنية على التعنت والعناد كما قالوا
لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وما اشبه ذلك اولم يكفروا يعني
ابناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة
في زمن موسى بما اوتي موسى وعن الحسن رحمه الله قد كان للعرب اصل
في ايام موسى فمعناه على هذا اولم يكفر آباؤهم قالوا في موسى وهرون
ساحران تظاهرا اي تعاونا وقرئ اظاهرا على الادغام وسحران
بمعنى ذوا سحر او جعلوهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر
او ارادوا نوعان من السحر بكل واحد منهما فان قلت بم علقت قوله
من قبل في هذا التفسير قلت باولم يكفروا ولي ان اعلقه باوتي له
فينقلب المعنى الى ان اهل مكة الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا بمحمد عليه السلام
وبالقرآن فقد كفروا بموسى وبالتورية وقالوا في موسى ومحمد عليهما
السلام ساحران تظاهرا او في الكتابين سحران تظاهرا وذلك حين
بعثوا الرهط الى رؤساء اليهود يسالونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم
فاخبروهم انه نعته وصفته وانه في كتابهم فرجع الرهط الى قريش فا
خبروهم

بقوله



بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا ❀ قل فاتوا بكتاب
من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا
لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هويه بغير هدى
من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين ❀ هو اهدى منهما مما انزل
على موسى ومما انزل علي هذا الشرط من نحو ما ذكرت انه شرط المدل بالامر
المتحقق لصحته لان امتناع الاتيان بكتاب اهدى من الكتابين امر معلوم
متحقق لا مجال فيه للشك ويجوز ان يقصد بحرف الشك التهكم بهم فان
قلت ما الفرق بين فعل الاستجابة في الآية وبينه في قوله فلم يستجبه
عند ذاك مجيب حيث عدي بغير اللام قلت هذا الفعل يتعدى
الى الدعاء بنفسه والى الداعي باللام ويحذف الدعاء اذا عدي الى
الداعي في الغالب فيقال استجاب الله دعاءه او استجاب له و
لا يكاد يقال استجاب له دعاءه واما البيت فمعناه فلم يستجب دعاءه
على حذف المضاف فان قلت فالاستجابة تقتضي دعاء ولا دعاء هاهنا قلت
قوله فاتوا بكتاب امر بالاتيان والامر بعث على الفعل ودعاء اليه فكانه
قال فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فاعلم انهم [illegible]
سوا
ولم تبق لهم حجة الا اتباع الهوى ثم قال ومن اضل ممن لا يتبع في دينه
الا الهوى بغير هدى من الله اي مطبوعا على قلبه ممنوع الالطاف
ان الله لا يهدي اي لا يلطف بالقوم الثابتين على الظلم الذين اللطف بهم عابث
الله

الذين

وقوله بغير هدى في موضع الحال يعني مخذولا مخلى بينه وبين هواه ❦ ولقد و
صلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون
قرئ وصلنا بالتشديد والتخفيف والمعنى ان القرآن اتاهم متتابعا متواصلا
وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح ارادة ان يتذكروا
فيفلحوا او نزل عليهم نزولا متصلا بعضه في اثر بعض كقوله تعالى وما
يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين نزلت في مؤمني
اهل الكتاب وعن رفاعة بن قرظة نزلت انا احدهم وقيل في اربعين من
مسلمي اهل الانجيل اثنان وثلثون جاؤا مع جعفر من ارض الحبشة
وثمانية من الشام والضمير في من قبله للقرآن ❦ واذا يتلى عليهم
قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين ❦ فان قلت
اي فرق بين الاستينافين انه وانا قلت الاول تعليل للايمان به لان كو نه
حقا من الله حقيق بان يؤمن به والثاني بيان لقوله آمنا به لانه يحتمل
ان يكون ايمانا قريب العهد وبعيده فاخبروا ان ايمانهم به متقادم
لان آباءهم القدماء قرأوا في الكتب الاول ذكره وابناؤهم من بعدهم
من قبل وجوده ونزوله مسلمين كائنين على دين الاسلام لان الاسلام
صفة كل موحد مصدق للوحي ❦ اولئك يؤتون اجرهم مرتين
بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون ❦ بما
صبروا بصبرهم على الايمان بالتورية والايمان بالقرآن او بصبرهم على الايمان

بالقرآن



قبل نزوله وبعد نزوله او بصبرهم على اذى المشركين واهل الكتاب ونحوه يؤتكم
كفلين من رحمته بالحسنة السيئة بالطاعة المعصية المتقدمة او بالحلم الاذى
سلام عليكم توديع ومتاركة وعن الحسن كلمة حلم من المؤمنين لا نبتغي الجاهلين
لا نريد مخالطتهم وصحبتهم ❦ واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا
لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين انك لا تهدي من احببت
ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين ❦ فان قلت من خاطبوا
بقولهم ولكم اعمالكم قلت اللاغين الذين دل عليهم قوله واذا سمعوا اللغو
لا تهدي من احببت لا تقدر ان تدخل في الاسلام كل من احببت ان يدخل
فيه من قومك وغيرهم لانك عبد لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره ولكن الله
يدخل في الاسلام من يشاء وهو الذي علم انه غير مطبوع على قلبه وان
الالطاف تنفع فيه فيقرب به الطافه حتى تدعوه الى القبول وهو اعلم بالمهتدين
بالقابلين من الذين لا يقبلون قال الزجاج اجمع المسلمون انها نزلت في
ابي طالب وذلك ان ابا طالب قال عند موته يا معشر بني هاشم اطيعوا
محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم
تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخي
قال اريد منك كلمة واحدة فانك في آخر يوم من ايام الدنيا ان تقول
لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق
ولكني اكره ان يقال خرع عند الموت ولولا ان يكون عليك وعلى بني ابيك

مقامة وسيئة بعدى لثقلتهما ولا قرت بهما عيناك عند الفراق لما ارى من شدة
وجدك وبقيتك ولكني سوف اسوء بها سلسلة الاشياخ عبد المطلب وهاشم و
عبد مناف ﴿وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا اولم نمكن لهم
حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون﴾
قالت قريش وقيل ان القائل الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف انا نعلم
انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب بذلك وانما نحن اكلة
رأس اى قليلون ان يتخطفونا من ارضنا فالقمهم الله الحجر بانه مكن لهم
في الحرم الذي آمنه بحرمة البيت وآمن قطانه بحرمته وكانت العرب في
الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون وهم آمنون في حرمهم لا يخافون وبحرمة
البيت هم قارون بواد غير ذي زرع والثمرات والارزاق تجبى اليهم من كل اوب فاذا
خولهم الله ما خولهم من الامن والرزق بحرمة البيت وحدها وهم كفرة عبدة الاصنام
فكيف يستقيم ان يعرضهم للتخوف والتخطف ويسلبهم الامن اذا ضموا الى حرمة
البيت حرمة الاسلام واسناد الامن الى اهل الحرم حقيقة والى المجاز
تجبى اليه تحمل وتجمع قرئ بالياء والتاء وقرئ تجنى بالنون من الجنى و
تعديته بالى كقوله يجنى الى فيه والخافة وثمرات بضمتين وبضمة وسكون
ومعنى الكلية الكثرة كقوله واوتيت من كل شيء ولكن اكثرهم لا يعلمون
متعلق بقوله من لدنا اى قليل منهم يتفكرون بان ذلك رزق من عند الله و
اكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولا يتفطنون له ولو علموا انه من عند الله لعلموا

ان الخوف



ان الخوف والامن من عنده ولما خافوا التخطف اذا آمنوا به وخلعوا
انداده فان قلت بم انتصب رزقا قلت ان جعلته مصدرا جاز ان ينتصب
بمعنى ما قبله لان معنى يجبى اليه ثمرات كل شيء واحد وان يكون مفعولا له وان
جعلته بمعنى مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصصها بالاضافة كما تنتصب عن
النكرة المتخصصة بالصفة ﴿وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم
لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين﴾ هذا تخويف لاهل مكة وخفض
العيش فغمطوا النعمة وقابلوها بالاشر والبطر فدمرهم الله وخرب ديارهم
وانتصب معيشتها اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه
واما على الظرف بنفسه كقولك زيد ظني مقيم او بتقدير حذف الزمان المضاف
اصله بطرت ايام معيشتها كخفوق النجم ومقدم الحاج واما بتضمين بطرت
معنى كفرت وغمطت وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله
فيه الا قليلا من السكنى قال ابن عباس لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما
او ساعة ويحتمل ان شؤم معاصي المهلكين بقي اثره في ديارهم فكل من
سكنها من اعقابهم لم يبق فيها الا قليلا وكنا نحن الوارثين لتلك المساكن
من ساكنيها اى تركناها على حال لا يسكنها احد او خربناها وسويناها
بالارض او تخلف الآثار عن اصحابها حينا فيدركها الفناء ﴿وما كان ربك
مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى
الا واهلها ظالمون﴾ وما كانت عادة ربك ان يهلك القرى في كل وقت حتى يبعث

في القرية التي هي أمها أي أصلها وقصبتها التي هي أعمالها وتوابعها رسولاً لإلزام
الحجة وقطع المعذرة مع علمه أنهم لا يؤمنون أو وما كان في حكم الله وسابق
قضائه أن يهلك القرى في الأرض حتى يبعث في أم القرى يعني مكة رسولاً وهو
محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء وقرئ إمها بضم الهمزة وكسرها لإتباع الجر و
هذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم حيث أخبر بأنه لا يهلكهم إلا إذا استحقوا
الإهلاك بظلمهم مع كونهم ظالمين إلا بعد تأكيد الحجة والإلزام ببعثة الرسل
ولا يجعل علمه بأحوالهم حجة عليهم ونزه ذاته أن يهلكهم وهم غير ظالمين كما
قال وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون فنص في قوله بظلم أنه لو
أهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلماً منه وأن حاله في غناه وحكمته منافية
للظلم دل على ذلك بحرف النفي مع لامه كما قال الله تعالى وما كان الله ليضيع
إيمانكم ❊ وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير و
أبقى أفلا تعقلون ❊ وأي شيء أصبتموه من أسباب الدنيا فما هو
إلا تمتع وزينة أياماً قلائل وهي مدة الحياة المنقضية وما عند الله
وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك وأبقى لأن بقاءه دائم سرمد وقرئ
يعقلون بالياء وهو أبلغ في الموعظة وعن ابن عباس رضي الله عنه إن الله
خلق الدنيا وجعل أهلها ثلاثة أصناف المؤمن والمنافق والكافر فا
المؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع ❊ أفمن وعدناه
وعداً حسناً فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم
القيامة





من المحضرين ❊ هذه الآية تقرير وإيضاح للتي قبلها والوعد الحسن الثواب
لأنه منافع دائمة على وجه التعظيم والاستحقاق وأي شيء أحسن منها ولذلك
سمى الله الجنة بالحسنى ولاقيه كقوله ولقاهم نضرة وسروراً أو مدركه لتوقف
يلقون عقاباً من المحضرين أحضروا النار ونحوه لكنت من المحضرين فكذبوه فإنهم
لمحضرون قيل نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي جهل وقيل في علي وحمزة وأبي جهل
وقيل في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة فإن قلت فسر لي الفائين وثم وأخبر
عن مواقعهما قلت قد ذكر في الآية التي قبلها متاع الحياة الدنيا وما عند
الله وتفاوتهما ثم عقبه بقوله أفمن وعدناه على معنى أبعد هذا التفاوت
الظاهر يسوى بين أبناء الآخرة وأبناء الدنيا فهذا معنى الفاء الأولى
وبيان موقعها وأما الثانية فللتسبيب لأن لقاء الموعود مسبب عن الوعد
الذي هو الضمان في الخبر وأما ثم فلتراخي حال الإحضار عن حال التمتيع لا للتراخي
وقته عن وقته وقرئ ثم هو بسكون الهاء كما قيل عضد في عضد تشبيهاً للمنفصل
بالمتصل وسكون الهاء في فهو وهو ولهو أحسن لأن الحرف الواحد لا ينطق به
وحده فهو كالمتصل ❊ ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون
❊ شركائي مبني على زعمهم وفيه تهكم فإن قلت زعم يطلب مفعولين كقوله ولم
أزعمك عن ذلك معزلاً فأين هما قلت محذوفان تقديره الذين كنتم تزعمونهم
شركائي ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا يصح الاقتصار على أحدهما
❊ قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا
تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون ❊ الذين حق عليهم القول الشياطين أو أئمة

الكفور كونه وسعى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله
لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وهؤلاء مبتدأ الذين أغوينا صفته
والراجع الى الموصول محذوف أغويناهم الخبر والكاف صفة مصدر محذوف
تقديره أغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا يعنون انا لم نغو الا باختيارنا
لا ان فوقنا مغوين أغوونا بقسر منهم والجاء أو دعونا الى الغي وسولوه لنا
فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لان اغواءنا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا لا
قسرا او الجاء فلا فرق اذا بين غينا وغيهم وان كان تسويلنا داعيا لهم الى الكفر فقد
كان في مقابلته دعاء الله لهم الى الايمان بما وضع فيهم من ادلة العقل وما بعث اليهم
من الرسل وانزل عليهم من الكتب المشحونة بالوعد والوعيد والمواعظ والزواجر
وناهيك بذلك صارفا عن الكفر وداعيا الى الايمان وهذا معنى ما حكاه الله عن الشيطان
ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم والله عز وجل قدم هذا المعنى اول شيء حيث
قال لابليس ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين تبرأنا اليك منهم
ومما اختاروه من الكفر بانفسهم هوى منهم للباطل ومقتا للحق لا بقوة منا على استكراههم
ولا سلطان ما كانوا ايانا يعبدون انما كانوا يعبدون اهواءهم ويطيعون شهواتهم و
اخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الاولى وقيل ادعوا شركاءكم
فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون لو انهم كانوا
يهتدون لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب او لو انهم كانوا مهتدين
مؤمنين لما رأوه او تمنوا لو كانوا مهتدين او تحيروا عند رؤيته وسدروا فلا
يهتدون

طريقا



طريقا حكى اولا ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله الشياطين او ائمتهم
عند توبيخهم لانهم اذا وبخوا بعبادة الآلهة اعتذروا بان الشياطين هم الذين
استغووهم وزينوا لهم عبادتهم ثم ما يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم
آلهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم
بارسال الرسل وازاحة العلل ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين
فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون فعميت عليهم الانباء فصارت
الانباء كالعمى عليهم جميعا لا تهتدي اليهم فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم
بعضا كما يتساءل الناس في المشكلات لانهم يتساوون جميعا في عمى الانباء عليهم
والعجز عن الجواب وقرئ فعميت والمراد بالنبأ الخبر عما اجاب به المرسل اليه رسوله
واذا كانت الانبياء لهول ذلك اليوم يتتعتعون في الجواب عن مثل هذا السؤال
ويفوضون الامر الى علم الله وذلك قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا
اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب فما ظنك بالضلال من اممهم فاما
من تاب من المشركين من الشرك وجمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يفلح عند
الله وعسى من الكرام تحقيق ويجوز ان يراد ترجي التائب وطمعه كأنه قال فليطمع ان
يفلح وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون
الخيرة من التخير كالطيرة من التطير تستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى المتخير
كقولهم محمد خيرة الله من خلقه ما كان لهم الخيرة بيان لقوله ويختار لان معناه ويختار ما يشاء
ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى ان الخيرة لله تعالى في افعاله وهو اعلم بوجوه الحكمة فيها
ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه قيل السبب فيه قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن

على رجل من القريتين عظيم يعني لا يبعث الله الرسل باختيار المرسل اليهم
وقيل معناه ويختار الذي لهم فيه الخيرة اي يختار للعباد ما هو خير لهم وهو
اعلم بمصالحهم من انفسهم من قولهم في الامرين ليس فيهما خيرة لمختار فان قلت
فاين الراجع من الصلة الى الموصول اذا جعلت ما موصولة قلت اصل الكلام
ما كان لهم فيه الخيرة فحذف فيه كما حذف منه في قوله ان ذلك من عزم الامور لانه
مفهوم سبحان الله اي الله بريء من اشراكهم وما تحملهم عليه من الجرأة على الله و
اختيارهم عليه ما لا يختار وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ما تكن صدورهم
من عداوة رسول الله عم وحسده وما يعلنون من مطاعنهم فيه وقولهم هلا
اختير عليه غيره في النبوة وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم
واليه ترجعون وهو الله وهو المستأثر بالالهية المختص بها ولا اله الا هو تقرير
لذلك كقولك الكعبة القبلة لا قبلة الا هي فان قلت الحمد في الدنيا ظاهر فما الحمد
في الاخرة قلت هو قولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا
وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والتحميد هناك على وجه اللذة لا الكلفة وفي الحديث
يلهمون التسبيح والتقديس وله الحكم القضاء بين عباده قل ارايتم ان جعل
الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بضياء افلا تسمعون
قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم
بليل تسكنون فيه افلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا
من فضله ولعلكم تشكرون ارايتم وقرئ اريتم بحذف الهمزة وليس بحذف قياسي
ومعناه اخبروني من يقدر على هذا والسرمد الدائم المتصل من السرد وهو المتابعة

ومنه

ومنه قولهم في الاشهر الحرم ثلثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل
ونظيره دلامص من الدلاص فان قلت هلا قيل بنهار تتصرفون فيه كما قيل بليل
تسكنون فيه قلت ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لان المنافع التي تتعلق به متكاثرة
ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثمه قرن بالضياء افلا
تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن
بالليل افلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره انت من السكون ونحوه
ومن رحمته زاوج بين الليل والنهار لاغراض ثلثة لتسكنوا في احدهما وهو الليل ولتبتغوا
من فضله في الاخر وهو النهار ولارادة شكركم وقد سلكت بهذه الاية طريقة اللف
ويوم يناديهم فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون كرر التوبيخ باتخاذ الشركاء ايذانا
بان لا شيء اجلب لغضب الله من الاشراك به كما لا شيء ادخل في مرضاته من توحيده اللهم فكما
ادخلتنا في اهل توحيدك فادخلنا في الناجين من وعيدك ونزعنا من كل امة شهيدا فقلنا
هاتوا برهانكم فعلموا ان الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون ونزعنا واخرجنا من كل امة
شهيدا وهو نبيهم لان انبياء الامم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه فقلنا للامة هاتوا
برهانكم فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسول فعلموا حينئذ ان الحق لله ولرسله لا لهم ولشيا
طينهم وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع ما كانوا يفترون من الباطل ان قارون كان من
قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة اذ قال له
قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين قارون اسم اعجمي مثل هرون ولم ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان
فاعولا من قرن لانصرف وقيل معنى كونه من قومه انه آمن به وقيل كان اسرائيليا ابن عم لموسى هو قارون
بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان موسى ابن اخيه وكان
يسمى المنور

لحسن صورته وكان اقرا بني اسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري وقال اذا كانت النبوة
لموسى والمذبح والقربان الى هرون فما لي وروي انه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة
والحبورة لهرون يقرب القربان ويكون راسا فيهم وكان القربان الى موسى فجعله موسى لاخيه
وجد قارون في نفسه وحسدهما وقال لموسى الامر لكما ولست على شيء الى متى اصبر قال موسى
هذا صنع الله قال والله لا اصدقك حتى تاتيني باية فامر رؤساء بني اسرائيل ان يجيء كل واحد
بعصاه فحزمها والقاها في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها وكانوا يحرسون عصيهم بالليل
فاصبحوا واذا بعصا هرون تهتز ولها ورق اخضر وكانت من شجر اللوز فقال قارون ما هو
باعجب مما تصنع من السحر فبغى عليهم من البغي وهو الظلم قيل ملكه فرعون على بني اسرائيل
فظلمهم وقيل من البغي وهو الكبر والبذخ تبذخ عليهم بكثرة ماله وولده وقيل زاد عليهم
في الثياب شبرا المفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل هي الخزائن وقياس واحدها مفتح و
يقال ناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة الجماعة الكثيرة والعصابة مثلها واعصوصبوا اجتمعوا
وقيل كانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على اصبع وكانت
من جلود قال ابو رزين يكفي الكوفة مفتاح وقد بولغ في ذكر ذلك بلفظ الكنوز والمفاتح والنوء
والعصبة واولي القوة وقرا بديل بن ميسرة لينوء بالياء ووجهه ان يفسر المفاتح بالخزائن
ويعطيها حكم ما اضيفت اليه للملابسة والاتصال كقولك ذهبت اهل اليمامة ومحل اذ منصوب بتنوء
لا تفرح كقوله ولا تفرحوا بما اتيكم وقول القائل ولست بمفراح اذا الدهر سرني وذلك انه لا يفرح
بالدنيا الا من رضي بها واطمان واما من قلبه الى الاخرة ويعلم انه مفارق ما فيه عن قريب لم تحدثه نفسه
بالفرح وما احسن ما قال القائل اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا وابتغ
فيما اتيك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في
الارض

بمفتاح

ان



ان الله لا يحب المفسدين وابتغ فيما اتيك الله من الغنى والثروة الدار الاخرة بان
تفعل فيه افعال الخير من اصناف الواجب والمندوب اليه وتجعله زادك الى الاخرة و
لا تنس نصيبك وهو ان تاخذ منه ما يكفيك ويصلحك واحسن الى عباد الله كما احسن الله
اليك او احسن بشكرك وطاعتك لله كما احسن اليك والفساد في الارض ما كان عليه من الظلم
والبغي وقيل ان القائل موسى صلوات الله عليه وقرئ واتبع قال انما اوتيته على علم عندي
اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا ولا يسئل
عن ذنوبهم المجرمون على علم اي على استحقاق واستيجاب لما فيّ من العلم الذي فضلت به الناس
وذلك انه كان اعلم بني اسرائيل بالتوراة وقيل هو علم الكيمياء عن سعيد بن المسيب كان موسى
عليه السلام يعلم علم الكيمياء فافاد يوشع بن نون ثلثه وكالب بن يوفنا ثلثه وقارون ثلثه
فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى ما عنده فكان ياخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا و
قيل علم الله موسى علم الكيمياء فعلمه موسى اخته فعلمته اخته قارون وقيل هو بصره بانواع
التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل عندي معناه في ظني كما تقول الامر عندي كذا كانه قال
انما اوتيته على علم كقوله ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم ثم زاد عندي اي
هو في ظني ورايي يجوز ان يكون اثباتا لعلمه بان الله قد اهلك من القرون قبله من هو اقوى منه
واغنى لانه قد قراه في التوراة واخبر به موسى وسمعه من حفاظ التواريخ والايام كانه قيل
اولم يعلم في جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته ويجوز ان يكون نفيا لعلمه
بذلك لانه لما قال اوتيته على علم عندي فتنفج بالعلم وتعظم به قيل اعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه
وراى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين

والكنز مجمع للمال او الكنز جماعة وعددا فان قلت ما وجه اتصال قوله ولا يسئل عن ذنوبهم
المجرمون بما قبله قلت لما ذكر قارون من اهلك من قبله من القرون الذين كانوا اقوى منه واغنى
قال على سبيل التهديد له والله مطلع على ذنوب المجرمين لا يحتاجان الى سؤالهم عنها واستعلامهم
وهو قادر على ان يعاقبهم عليها كقوله والله خبير بما تعملون والله بما تعملون عليم وما اشبه ذلك
فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون
انه لذو حظ عظيم في زينته قال الحسن في الحمرة والصفرة وقيل خرج على بغلة شهباء
عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم
الديباج وقيل في تسعين الفا عليهم المعصفرات وهو اول يوم رؤي فيه المعصفر كان المتمنون
قوما مسلمين وانما تمنوه على سبيل الرغبة في اليسار والاستغناء كما هو عادة البشر وعن قتادة
تمنوه ليتقربوا به الى الله وينفقوه في سبيل الخير وقيل كانوا قوما كفارا الغابط هو الذي
يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير ان تزول عنه والحاسد هو الذي يتمنى ان تكون نعمة صاحبه له
دونه فمن الغبطة قوله تعالى يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون ومن الحسد قوله ولا تتمنوا
ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلعم هل يضر الغبط قال لا الا كما يضر
العضاه الخبط الحظ الجد وهو البخت والدولة وصفوه بانه رجل مجدود ومبخوت يقال
فلان ذو حظ وحظيظ ومحظوظ وما الدنيا الا احاظ وجدود وقال الذين اوتوا العلم ويلكم
ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقيها الا الصابرون ويلك اصله الدعاء على الرجل
بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى كما استعمل لا ابا لك واصله
الدعاء على الرجل بالاقراف في الحث على الفعل والراجع في ولا يلقيها للكلمة التي تكلم بها العلماء
او للثواب لانه في معنى المثوبة او الجنة او للسيرة والطريقة وهي الايمان والعمل الصالح
الصابرون على الطاعات عن الشهوات وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير فخسفنا به

وبداره



وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين كان قارون يؤذي
نبي الله موسى صلوات الله عليه كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكوة فصالحه
عن كل الف دينار على دينار وعن كل الف درهم على درهم فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع
بني اسرائيل وقال ان موسى اراد ان يأخذ اموالكم فقالوا انت كبيرنا وسيدنا
فمر بما شئت قال نبرطل فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فيرفضه بنو اسرائيل فجعل لها
الف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل طستا من ذهب مملوءة ذهبا وحكمها فلما كان يوم عيد
قام موسى فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه
وان احصن رجمناه فقال قارون وان كنت انت قال وان كنت انا قال فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة
فاحضرت فناشدها موسى بالذي فلق البحر وانزل التورية ان تصدق فتداركها الله فقالت
كذبوا بل جعل لي قارون جعلا على ان اقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا يبكي وقال رب ان كنت
رسولك فاغضب لي فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال يا بني اسرائيل ان الله
بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا
غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال
خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون واصحابه يتضرعون الى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى
لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم واوحى الله الى موسى ما افظك
استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم اما وعزتي لو اياي دعوا مرة واحدة لوجدوني قريبا مجيبا
فاصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا
الله حتى خسف بداره وامواله من المنتصرين من المنتقمين من موسى او من الممتنعين
من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر اي منعه فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه

بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله
علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون ❦ قد يذكر الأمس ولا يراد به اليوم الذي قبل يومك
ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة مكانه منزلته من الدنيا وي مفصولة عن كأن وهي
كلمة تنبه على الخطأ وتندم ومعناه أن القوم قد تنبهوا على خطائهم في تمنيهم وقولهم يا ليت
لنا مثل ما أوتي قارون وتندموا ثم قالوا كأنه لا يفلح الكافرون أي ما أشبه الحال بأن الكافرين
لا ينالون الفلاح وهو مذهب الخليل وسيبويه قال ❦ وي كأن من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر
يعش عيش ضر ❦ وحكى الفراء أن أعرابية قالت لزوجها أين ابنك فقال ويكأنه وراء البيت
وعند الكوفيين أن ويك بمعنى ويلك وأن المعنى ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون ويجوز أن يكون الكاف
كاف الخطاب مضمومة إلى وي كقوله ❦ ويك عنتر أقدم وأنه بمعنى لأنه واللام لبيان المقول
لأجله هذا القول أو لأنه لا يفلح الكافرون كان ذلك وهو الخسف بقارون ومن الناس من يقف
على وي ويبتدئ كأنه ومنهم من يقف على ويك وقرأ الأعمش لولا من الله علينا وقرئ لخسف
بنا وفيه ضمير الله ولا نخسف بنا كقوله انقطع به ولتخسف بنا ❦ تلك الدار الآخرة
نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين تلك تعظيم لها وتفخيم لشأنها
يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك إرادتهما
وميل القلوب إليهما كما قال ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن علي رضي الله عنه أن الرجل
ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل أنه قرأها
ثم قال ذهبت الأماني ههنا وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يرددها حتى قبض ومن الطماع من
يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون متعلقا بقوله إن فرعون علا في الأرض ولا تبغ الفساد
في الأرض ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة ولا يتدبر قوله والعاقبة

ولقد شفى نفسي وأذهب سقمها قيل الفوارس ويك عنتر أقدم





للمتقين كما تدبره علي والفضيل وعمر ❦ من جاء بالحسنة فله خير منها
ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون ❦ معناه فلا
يجزون فوضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير لأن في إسناد عمل السيئة
إليهم مكررا فضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض للسيئة إلى قلوب السامعين إلا ما
كانوا يعملون إلا مثل ما كانوا يعملون وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع أن لا
يجزي السيئة إلا بمثلها ويجزي الحسنة بعشر أمثالها وبسبعمائة وهو معنى قوله فله
خير منها ❦ إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد قل ربي أعلم من جاء بالهدى
ومن هو في ضلال مبين ❦ فرض عليك القرآن أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه
يعني أن الذي حملك صعوبة هذا التكليف لمثيبك عليها ثوابا لا يحيط به الوصف ولرادك
بعد الموت إلى معاد أي معاد وإلى معاد ليس لغيرك من البشر وتنكير المعاد لذلك وقيل
المراد به مكة ووجهه أن يراد رده إليها يوم الفتح ووجه تنكيره أنها كانت في ذلك اليوم
معادا له شأن ومرجعا له اعتداد لغلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقهره لأهلها ولظهور عز الإسلام
وأهله وذل الشرك وحزبه والسورة مكية فكأن الله وعده وهو بمكة في أذى وغلبة من
أهلها أنه يهاجر به منها ويعيده إليها ظاهرا ظافرا وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره
وقد اشتاق إلى مولده ومولد آبائه وحرم إبرهيم فنزل جبريل فقال له أتشتاق إلى مكة
قال نعم فأوحاها إليه فإن قلت كيف اتصل قوله قل ربي أعلم بما قبله قلت لما وعد رسوله الرد
إلى معاد قال قل للمشركين ربي أعلم من جاء بالهدى يعني نفسه وما يستحقه من الثواب في
معاده ومن هو في ضلال مبين يعنيهم وما يستحقونه من العقاب في معادهم ❦ وما كنت

ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين ۞ فان قلت قوله الا رحمة
من ربك ما وجه الاستثناء فيه قلت هذا الكلام محمول على المعنى كأنه قيل وما القي عليك
الكتاب الا رحمة من ربك ويجوز ان يكون الا بمعنى لكن للاستدراك اي ولكن لرحمة من ربك القي اليك
۞ ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين ۞
وقرئ يصدنك من اصده بمعنى صده وهي لغة في كلب وقال ۞ اناس اصدوا الناس بالسيف
عنهم صدود السواقي عن انوف الحوائم ۞ بعد اذ انزلت اليك بعد وقت انزاله واذ
تضاف اليه اسماء الزمان كقولك حينئذ وليلتئذ ويومئذ وما اشبه ذلك والنهي عن مظاهرة
الكافرين ونحو ذلك من باب التهييج الذي سبق ذكره ۞ ولا تدع مع الله الها آخر لا
اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون ۞ الا وجهه الا اياه والوجه
يعبر به عن الذات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق
موسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له يوم القيامة انه كان صادقا ان
كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون

## سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ۞ الحسبان لا يصح تعليقه
بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل الا ترى انك لو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس
لم يكن شيئا حتى تقول حسبت زيدا عالما وظننت الفرس جوادا لان قولك زيد عالم او
الفرس جواد كلام دال على مضمون فاردت الاخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظن
لا اليقين فلم تجد بدا في العبارة عن ثباته عندك على ذلك الوجه من ذكر شطري الجملة مدخلا
عليهما فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك فان قلت فاين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه
الحسبان في الآية قلت هو في قوله ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وذلك ان
تقديره





احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك اول مفعولي حسب ولقولهم آمنا
هو الخبر واما غير مفتونين فتتمة الترك لانه من الترك الذي هو بمعنى التصيير كقوله
فتركته جزر السباع ينشنه ۞ الا ترى انك قبل المجيء بالحسبان تقدر ان تقول تركهم غير
مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام فان قلت ان يقولوا هو علة تركهم
غير مفتونين فكيف يصح ان يقع خبر مبتدأ قلت كما تقول خروجه لمخافة الشر وضربه للتاديب
وقد كان التاديب والمخافة في قولك خرجت مخافة الشر وضربته تاديبا تعليلين وتقول ايضا
حسبت خروجه لمخافة الشر وظننت ضربه للتاديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدأ
وخبرا والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الاوطان ومجاهدة الاعداء وسائر الطاعات
الشاقة وهجر الشهوات والملاذ وبالفقر والقحط وانواع المصائب في الانفس والاموال و
بمصابرة الكفار على اذاهم وكيدهم وضرارهم والمعنى احسب الذين اجروا كلمة الشهادة على السنتهم
واظهروا القول بالايمان انهم يتركون بذلك غير ممتحنين بل يمتحنهم الله بضروب المحن حتى
يبلو صبرهم وثبات اقدامهم وصحة عقائدهم ونصوع نياتهم ليتميز المخلص من
غير المخلص والراسخ في الدين من المضطرب والمتمكن من العابد على حرف كما قال لتبلون في
اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا
وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وروي انها نزلت في ناس من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد جزعوا من اذى المشركين وقيل في عمار بن ياسر وكان يعذب في الله وقيل في
ناس اسلموا بمكة فكتب اليهم المهاجرون لا يقبل منكم اسلامكم حتى تهاجروا فخرجوا فتبعهم
المشركون فردوهم فلما نزلت كتبوا بها اليهم فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم

من قتل ومنهم نجا وقيل في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو اول
قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء
مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع عليه ابواه وامرأته ﴿ولقد
فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ ولقد فتنا موصول
باحسب او بلا يفتنون كقولك الا يمتحن فلان وقد امتحن من هو خير منه يعني ان اتباع
الانبياء عليهم الصلوة والسلام قبلهم قد اصابهم من الفتن والمحن نحو ما اصابهم او ما هو
اشد منه فصبروا كما قال وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا الآية وعن النبي عم
قد كان من قبلكم يوخذ فيوضع المنشار على راسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط
بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن الله بالامتحان
الذين صدقوا في الايمان وليعلمن الكاذبين فيه فان قلت كيف وهو عالم بذلك فيما لم يزل قلت لم يزل يعلمه
معدوما ولا يعلمه موجودا الا اذا وجد والمعنى وليتميزن الصادق منهم من الكاذب ويجوز ان يكون
وعدا ووعيدا كانه قال وليثيبن الذين صدقوا وليعاقبن الكاذبين وقرا علي رضي الله عنه والزهري
وليعلمن من الاعلام اي وليعرفنهم الله الناس من هم وليسمنهم بعلامة يعرفون بها من بياض
الوجوه وسوادها وكحل العيون وزرقتها ﴿ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ساء
ما يحكمون﴾ ان يسبقونا ان يفوتونا يعني ان الجزاء يلحقهم لا محالة وهم لم يطمعوا في الفوت ولم
يحدثوا به نفوسهم ولكنهم لغفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة واصرارهم على المعاصي في صورة من يقدر
ذلك ويطمع فيه ونظيره وما هم بمعجزين في الارض ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون
فان قلت اين مفعولا حسب قلت اشتمال صلة ان على مسند ومسند اليه سد مسد المفعولين

كقوله



كقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ويجوز ان يضمن حسب معنى قدر وام منقطعة ومعنى
الاضراب فيها ان هذا الحسبان ابطل من الحسبان الاول لان ذاك يقدر انه لا يمتحن لايمانه و
هذا يظن انه لا يجازى بمساويه ساء ما يحكمون بئس الذي يحكمونه حكمهم هذا او بئس حكما
يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم ﴿من كان يرجو لقاء الله فان اجل الله لآت وهو
السميع العليم ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين﴾ لقاء الله مثل للوصول
الى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء مثلت تلك الحال بحال عبد قدم على سيده
بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على ما كان ياتي ويذر فاما ان يلقاه ببشر وترحيب لما رضي من
افعاله او بضد ذلك لما سخطه منها فمعنى قوله من كان يرجو لقاء الله من كان يامل تلك الحال وان يلقى فيها الكرامة
من الله والبشرى فان اجل الله وهو الموت لآت لا محالة فليبادر العمل الصالح الذي يصدق رجاءه و
يحقق امله ويكتسب به القربة عند الله والزلفى وهو السميع العليم الذي لا يخفى عليه شيء مما يقوله
عباده ومما يفعلونه فهو حقيق بالتقوى والخشية وقيل يرجو يخاف من قول الهذلي في صفة عسال
اذا لسعته الدبر لم يرج لسعها فان قلت فان اجل الله لآت كيف وقع جوابا للشرط قلت اذا علم ان
لقاء الله عنيت به تلك الحال الممثلة والوقت الذي تقع فيه تلك الحال هو الاجل المضروب للموت
فكانه قال من كان يرجو لقاء الله فان اجل الله لآت لان الاجل واقع فيه اللقاء كما تقول من كان يرجو
لقاء الملك فان يوم الجمعة قريب اذا علم انه يقعد للناس يوم الجمعة ومن جاهد نفسه في منعها
ما تامر به وحملها على ما تاباه فانما يجاهد لها لان منفعة ذلك راجعة اليها وانما امر الله ونهى
رحمة لعباده وهو الغني عنهم وعن طاعتهم ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن
عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون﴾ اما ان يريد قوما مسلمين صا
لحين قد اساءوا في بعض اعمالهم وسيئاتهم مغمورة بحسناتهم فهو يكفرها عنهم اي

اى يسقط عقابها بثواب الحسنات ونجزيهم احسن الذى كانوا يعملون اى احسن جزاء اعمالهم

واما قوله لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذى كانوا يعملون الصالحات فالله عز وجل يكفر سيئاتهم بان يسقط عقاب ما تقدم

لهم من الكفر والمعاصى ونجزيهم احسن جزاء اعمالهم فى الاسلام ووصينا الانسان بوالديه

حسنا وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم

تعملون وصى حكمه حكم امر فى معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بان يفعل خيرا كما تقول امرته

بان يفعل ومنه بيت الكتاب وذبيانية وصت بنيها بان كذب القراطف والقروف كما لو قال امرتهم

بان ينتهبوها ومنه قوله ووصى بها ابراهيم بنيه اى وصاهم بكلمة التوحيد

وامرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمرو معناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك

وكذلك معنى قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا ووصيناه بايتاء والديه حسنا او بايلاء

حسنا اى فعلا ذا حسن او ما هو فى ذاته حسن لفرط حسنه كقوله وقولوا للناس حسنا

وقرئ حسنا واحسانا ويجوز ان تجعل حسنا من باب قولك زيدا باضمار اضرب اذا رايته

متهيئا للضرب فتنصبه باضمار اولهما او افعل بهما لان التوصية بهما دالة عليه وما بعده

مطابق له كانه قال قلنا اولهما معروفا ولا تطعهما فى الشرك اذا حملاك عليه وعلى هذا

التفسير ان وقف على بوالديه وابتدأ حسنا حسن الوقف وعلى التفسير الاول لا بد

من اضمار القول معناه وقلنا ان جاهداك ايها الانسان ما ليس لك به علم اى لا علم

لك بالهيته والمراد بنفى العلم نفى المعلوم كانه قال لتشرك بى شيئا لا يصح ان يكون الها

ولا يستقيم وصاه بوالديه وامره بالاحسان اليهما ثم نبهه بنهيه عن طاعتهما اذا

ارادا على ما ذكر على ان كل حق وان عظم ساقط اذا جاء حق الله فانه لا طاعة لمخلوق

فى معصية الخالق ثم قال الى مرجعكم من آمن منكم ومن اشرك فاجازيكم حق جزائكم

وفيه



وفيه شيئان ان احدهما ان الجزاء اى فلا تحدثن نفسك بجفوة والديك وعقوقهما

لشركهما ولا تحرمهما برك ومعروفك فى الدنيا كما انى لا امنعهما رزقى والثانى

التحذير من متابعتهما على الشرك والحث على الثبات والاستقامة فى الدين بذكر

المرجع والوعيد روى ان سعد بن ابى وقاص الزهرى حين اسلم قالت امه وهى

حمنة بنت ابى سفيان بن امية بن عبد شمس يا سعد بلغنى انك قد صبات فوالله لا

يظلنى سقف بيت من الضح والريح وان الطعام والشراب على حرام حتى تكفر بمحمد

وكان احب ولدها اليها فابى سعد وبقيت ثلاثة ايام كذلك فجاء سعد الى رسول الله

وشكا اليه فنزلت هذه الآية والتى فى لقمان والتى فى الاحقاف فامره رسول الله ان يداريها

ويترضاها بالاحسان وروى انها نزلت فى عياش بن ابى ربيعة المخزومى وذلك انه هاجر

مع عمر بن الخطاب رضى الله عنهما مترافقين حتى نزلا المدينة فخرج ابو جهل بن هشام والحارث

بن هشام اخواه لامه اسماء بنت مخرمة امراة من بنى تميم من بنى حنظلة فنزلا بعياش

وقالا له ان من دين محمد صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب ولا

تاوى بيتا حتى تراك وهى اشد حبا لك منا فاخرج معنا وفتلا منه فى الذروة والغارب

فاستشار عمر رضى الله عنه فقال هما يخدعانك ولك على ان اقسم مالى بينى وبينك فما زالا

به حتى اطاعهما وعصى عمر رضى الله عنه فقال عمر اما اذ عصيتنى فخذ ناقتى فليس فى الدنيا بعير

يلحقها فان رابك منهم ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال ابو جهل ان ناقتى قد

كلت فاحملنى معك قال نعم فنزل ليوطئ لنفسه وله فاخذاه وشداه وثاقا وجلده كل

واحد منهما مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت لا تزال فى عذاب حتى ترجع عن دين

محمد فنزلت والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين فى الصالحين

في جملتهم والصلاح من ابلغ صفات المؤمنين وهو متمنى انبياء الله قال الله تعالى حكاية
عن سليمان وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال في ابراهيم وانه في الآخرة
لمن الصالحين او في مدخل الصالحين وهي الجنة ونحو هذا نحو قوله ومن يطع الله ور
سوله فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الآية ❊ ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا
اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا
معكم اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن
المنافقين ❊ هم ناس كانوا يؤمنون بالسنتهم فاذا مسهم اذى من الكفار وهو المراد
بفتنة الناس كان ذلك صارفا لهم عن الايمان كما ان عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر او
كما يجب ان يكون عذاب الله عز وجل صارفا واذا نصر الله عز وجل المؤمنين وغنمهم
اعترضوهم فقالوا انا كنا معكم اي مشايعين لكم في دينكم ثابتين عليه ثباتكم ما قدرنا
احدا ان يفتننا فاعطونا نصيبنا من المغنم ثم اخبر سبحانه انه اعلم بما في صدور العالمين
من العالمين بما في صدورهم ومن ذلك ما تكن صدور هؤلاء من النفاق وهذا اطلاع منه
للمؤمنين على ما ابطنوه ثم وعد المؤمنين واوعد المنافقين وقرئ ليقولن بفتح
اللام ❊ وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم
بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم
وليسئلن يوم القيمة عما كانوا يفترون ❊ امروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم
التي كانوا عليها في دينهم وامروا انفسهم بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر وارادوا
ليجتمع هذان الامران في الحصول ان تتبعوا سبيلنا وان نحمل خطاياكم والمعنى تعليق
الحمل بالاتباع وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن

ولا انتم



ولا انتم فان عسى كان ذلك فانا نتحمل عنكم الاثم وترى في المتسمين بالاسلام من يستن
باولئك فيقول لصاحبه اذا اراد ان يشجعه على ارتكاب بعض العظائم افعل
هذا واثمه في عنقي وكم من مغرور بمثل هذا الضمان من ضعفة العامة وجهلتهم و
منه ما يحكى ان ابا جعفر المنصور رفع اليه بعض اهل الحشو حوائجه فلما قضاها قال يا
امير المؤمنين بقيت الحاجة العظمى قال وما هي قال شفاعتك يوم القيمة فقال له
عمرو بن عبيد رحمه الله اياك وهؤلاء فانهم قطاع الطريق في المامن فان قلت كيف سماهم
كاذبين وانما ضمنوا شيئا علم الله عز وجل انهم لا يقدرون على الوفاء به وضامن ما لا
يعلم اقتداره على الوفاء به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين عجز لانه في الحالين لا يدخل
تحت حد الكاذب وهو المخبر عن الشيء لا على ما هو عليه قلت شبه الله حالهم حيث
علم ان ما ضمنوه لا طريق لهم الى ان يفوا به فكان ضمانهم عنده لا على ما عليه المضمون
بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه ويجوز ان يريد انهم كاذبون لانهم قالوا
ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشيء في قلوبهم نية الخلف وليحملن
اثقالهم اي اثقال انفسهم واثقالا اخر معها اثقال الاخر غير الخطايا التي ضمنوا للمؤمنين
حملها وهي اثقال الذين كانوا سببا في ضلالهم وليسئلن سؤال تقريع عما كانوا
يفترون اي يختلقون من الاكاذيب والاباطيل وقرئ من خطاياهم ❊ ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فاخذهم الطوفان وهم ظالمون
❊ كان عمر نوح عليه السلام الفا وخمسين سنة بعث على راس الاربعين ولبث في
قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين وعن وهب انه عاش
الفا واربعمائة سنة فان قلت هلا قيل تسعمائة وخمسين سنة قلت ما اورده الله

عدة وجل احكم لانه لو قيل كما قلت لجاز ان يتوهم اطلاق هذا العدد على الكثرة وهذا
التوهم زايل مع مجيئه كذلك وكانه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد
الا ان ذلك اخصر واعذب لفظا واملا بالفائدة وفيه نكتة اخرى وهي ان القصة مسوقة
لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام وما كابده من طول المكابدة تسلية لرسول الله
ﷺ وتثبيتا له فكان ذكر راس العدد الذي لا راس اكثر منه اوقع واوصل الى الغرض
من استطالة السامع مدة صبره فان قلت فلم جاء المميز اولا بالسنة وثانيا بالعام قلت
لان تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة الا اذا وقع ذلك
لاجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم او تهويل او تنويه او نحو ذلك والطوفان ما
اطاف واحاط بكثرة وغلبة من سيل او ظلام ليل او نحوهما قاله العجاج ﴿وهم ظالمون﴾ فان الظلام
الان ﴿فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها اية للعالمين﴾ اصحاب السفينة كانوا ثمانية
وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم اناث منهم اولاد نوح سام وحام ويافث و
نساؤهم وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقد روي عن النبي ﷺ
كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلثة والضمير في وجعلناها للسفينة او للحادثة
والقصة ﴿وابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون﴾
نصب ابرهيم باضمار اذكر وابدل عنه اذ بدل الاشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها
او هو معطوف على نوحا واذ ظرف لارسلنا بمعنى ارسلناه حين بلغ من السن والعلم مبلغا
صلح فيه لان يعظ قومه وينصحهم ويعرض عليهم الحق ويامرهم بالعبادة والتقوى وقرئ
ابراهيم النخعي وابو حنيفة وابرهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين ابراهيم ان كنتم
تعلمون يعني ان كان لكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم او ان نظرتم بعين البصيرة
دون عين الجهل العميا علمتم انه خير لكم

[هامش: اكبر]

انما



~~نصب ابراهيم باضمار~~ ﴿انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون
لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون﴾ وقرئ تخلقون
من خلق بمعنى التكثير في خلق وتخلقون من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ افكا وفيه وجهان ان
يكون مصدرا نحو كذب ولعب والافك مخففا منه كالكذب واللعب من اصلهما وان يكون صفة
على فعل اي خلقا افكا اي ذا افك وباطل واختلاقهم الافك تسميتهم الاوثان الهة وشركاء لله او شفعاء
اليه او تسمية الاصنام افكا وعملهم لها ونحتهم خلقا للافك فان قلت لم نكر الرزق ثم عرفه قلت
لانه اراد لا يستطيعون ان يرزقوكم شيئا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو
الرزاق وحده لا يرزق غيره اليه ترجعون وقرئ بفتح التاء فاستعدوا للقائه بعبادته و
الشكر له على انعمه ﴿وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين﴾
وان تكذبوني فلا تضروني بتكذيبكم فان الرسل قبلي قد كذبتهم اممهم وما ضروهم
وانما ضروا انفسهم حيث حل بهم ما حل بسبب تكذيب الرسل واما الرسول فقد تم امره حين بلغ
البلاغ المبين الذي زال معه الشك وهو اقترانه بايات الله ومعجزاته او وان كنت مكذبا
فيما بينكم فلي في سائر الانبياء اسوة وسلوة حيث كذبوا وعلى الرسول ان يبلغ
وما عليه ان يصدق ولا يكذب وهذه الاية والايات التي بعدها الى قوله فما كان جواب
قومه محتملة ان تكون من جملة قول ابرهيم صلوات الله عليه لقومه وان تكون ايات وقعت
معترضة في شان رسول الله ﷺ وشان قريش بين اول قصة ابرهيم واخرها فان
قلت اذا كانت من قول ابرهيم فما المراد بالامم قبله قلت قوم شيث وادريس ونوح
وغيرهم وكفى بقوم نوح امة في معنى امم جمة مكذبة ولقد عاش ادريس الف سنة في
قومه الى ان رفع الى السماء وامن به الف انسان منهم على عدد سنيه واعقابهم

على التكذيب فان قلت فما تصنع بقوله قل سيروا في الارض قلت هي حكاية كلام
الله حكاه ابرهيم عليه السلام لقومه كما يحكي رسولنا صلى الله عليه وسلم كلام الله على هذا المنهاج في اكثر
القرآن فان قلت فاذا كانت خطابا لقريش فما وجه توسطها بين طرفي قصة ابرهيم
والجملة او الجمل الاعتراضية لا بد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه الا تراك لا تقول مكة
وزيد ابوه قائم خير بلاد الله عز وجل قلت ايراد قصة ابرهيم ليس الا ارادة للتنفيس
للتنفيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان تكون مسلاة له ومتفرجا بان اباه ابراهيم خليل
الله كان ممنوا بنحو ما مني به من شرك قومه وعبادتهم الاوثان فاعترض بقوله وان تكذبوا
على معنى انكم يا معشر قريش ان تكذبوا محمدا فقد كذب ابرهيم قومه وكل امة نبيها لان قوله
فقد كذب امم من قبلكم لا بد من تناوله لامة ابرهيم وهو كما ترى اعتراض واقع متصل ثم
سائر الآيات الواردة عقيبها من اذيالها وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم
الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه اولم يروا
كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا في الارض فانظروا كيف
بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شيء قدير قرئ يروا بالياء والتاء
ويبدئ ويبدأ وقوله ثم يعيده ليس بمعطوف على يبدئ وليست الرؤية واقعة
عليه وانما هو اخبار على حياله بالاعادة بعد الموت كما وقع النظر في قوله كيف بدأ الخلق
ثم الله ينشئ النشأة الآخرة على البدء دون الانشاء ونحوه قولك ما زلت اوثر فلانا
واستخلفه على من اخلفه فان قلت هو معطوف بحرف العطف فلا بد من معطوف عليه
فما هو قلت هو جملة قوله اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق وكذلك واستخلفه معطوف
على جملة قوله ما زلت اوثر فلانا ذلك يرجع الى ما يرجع اليه هو في قوله وهو اهون



عليه من معنى يعيد دل بقوله النشأة الآخرة على انهما نشأتان وان كل واحدة
منهما انشاء اي ابتداء واختراع واخراج من العدم الى الوجود لا تفاوت بينهما
الا ان الآخرة انشاء بعد انشاء مثله والاولى ليست كذلك وقرئ النشأة والنشاءة
كالرأفة والرآفة فان قلت ما معنى الافصاح باسمه مع ايقاعه مبتدأ
في قوله ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد اضماره في قوله كيف بدأ الخلق وكان القياس
ان يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة قلت الكلام معهم كان واقعا
في الاعادة وفيها كانت تصطك الركب فلما قررهم في الابداء بانه من الله احتج عليهم
بان الاعادة انشاء مثل الابداء فاذا كان الله الذي لا يعجزه شيء هو الذي لم يعجزه الابداء
فهو الذي وجب ان لا تعجزه الاعادة فكأنه قال ثم ذاك الذي انشأ النشأة الاولى هو ينشئ
النشأة الآخرة فللدلالة والتنبيه على هذا المعنى ابرز اسمه واوقعه مبتدأ يعذب من يشاء
ويرحم من يشاء واليه تقلبون يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته ومتعلق
المشيئتين مفسر مبين في مواضع من القرآن وهو من يستوجبهما من الكافر والفاسق اذا لم
يتوبا ومن المعصوم والتائب تقلبون تردون وترجعون وما انتم بمعجزين في الارض
ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وما انتم بمعجزين ربكم اي لا تفوتونه ان
هربتم من حكمه وقضائه في الارض الفسيحة ولا في السماء التي هي افسح منها وابسط لو كنتم
فيها كقوله ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا وقيل ولا من في السموات [?]
السماء كما قال حسان امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء ويحتمل ان يراد لا تعجزونه
كيفما هبطتم في مهاوي الارض واعماقها او علوتم في البروج والقلاع الذاهبة في السماء كقوله
ولو كنتم في بروج مشيدة او لا تعجزون امره الجاري في السماء والارض ان يجري عليكم فيصيبكم [?]

بدلا او يلحقه من الارض او ينزل من السماء ﴿والذين كفروا بآيات الله ولقائه اولئك
يئسوا من رحمتي واولئك لهم عذاب اليم﴾ بآيات الله بدلائله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته
ولقائه والبعث ﴿يئسوا من رحمتي﴾ وعيد اي ييأسون منها يوم القيمة كقوله ويوم تقوم
الساعة يبلس المجرمون او هو وصف لحالهم لان المؤمن انما يكون راجيا خائفا فاما
الكافر فلا يخطر بباله رجاء ولا خوف او شبه حالهم في انتفاء الرحمة عنهم بحال من ييأس من
الرحمة وعن قتادة ان الله ذم قوما هانوا عليه فقال اولئك يئسوا من رحمتي وقال انه لا ييأس
من روح الله الا القوم الكافرون فينبغي للمؤمن ان لا ييأس من روح الله ولا من فتنته وان
لا يأمن عذابه وعقابه صفة المؤمن ان يكون راجيا لله خائفا ﴿فما كان جواب قومه الا ان قالوا
اقتلوه او حرقوه فانجيه الله من النار ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ وقرئ جواب قومه
بالنصب والرفع قالوا قال بعضهم لبعض او قاله واحد منهم وكان الباقون راضين فكانوا
جميعا في حكم القائلين وروي انه لم ينتفع في ذلك اليوم بالنار يعني يوم القي ابراهيم في النار
وذلك لذهاب حرها ﴿وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم
يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأويكم النار وما لكم من ناصرين﴾
قرئ على النصب بغير اضافة وباضافة وعلى الرفع كذلك فالنصب على وجه [illegible] على التعليل اي لـ
تتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها وائتلافكم كما يتفق الناس على
على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم وان يكون مفعولا ثانيا كقوله اتخذ الهه هويه
اي اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف او اتخذتموها مودة بينكم بمعنى
كقوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله وفي الرفع وجهان ان يكون
خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة وان يكون خبر مبتدا محذوف والمعنى ان الاوثان مودة بينكم
اي مودودة او سبب مودة وعن عاصم مودة بينكم بفتح بينكم مع الاضافة كما فتح لقد تقطع

تقطع



تقطع بينكم فتحه وهو فاعل وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه اوثانا انما مودة بينكم
في الحيوة الدنيا اي انما تتوادون عليها او تودونها في الحيوة الدنيا ﴿ثم يوم القيمة
يقوم بينكم التلاعن والتباغض والتعادي يتلاعن العبدة ويتلاعن العبدة
والاصنام كقوله عز وعلا ويكونون عليهم ضدا ﴿فآمن له لوط وقال اني مهاجر
الى ربي انه هو العزيز الحكيم﴾ كان لوط ابن اخت ابراهيم وهو اول من آمن له حين
رأى النار لم تحرقه وقال يعني ابراهيم اني مهاجر من كوثى وهي من سواد الكوفة الى
حران ثم منها الى فلسطين ومن ثمة قالوا لكل نبي هجرة ولابراهيم هجرتان وكان معه في
هجرته لوط وامرأته سارة وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة الى ربي الى حيث امرني
بالهجرة اليه انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يأمرني الا بما هو صلاحي
﴿ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه اجره في الدنيا
وانه في الآخرة لمن الصالحين﴾ اجره الثناء الحسن والصلوة عليه آخر الدهر والذرية
الطيبة والنبوة وان اهل الملل كلهم يتولونه فان قلت ما بال اسمعيل عم لم يذكر وذكر
اسحق عليه السلام وعقبه قلت قد دل عليه في قوله وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وكفى
الدليل لشهرة امره وعلو قدره فان قلت ما المراد بالكتاب قلت قصد به جنس الكتاب
حتى دخل تحته ما نزل على ذريته من الكتب الاربعة التي هي التورية والانجيل والزبور
والقرآن ﴿ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين
ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب
قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين﴾ ولوطا معطوف على ابراهيم
او على ما عطف عليه والفاحشة الفعلة البالغة في القبح ما سبقكم بها من احد

العالمين جملة مستأنفة مقررة لفحاشة تلك الفعلة كأن قائلاً قال لم كانت
فاحشة فقيل لان احداً قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازاً منها في طباعهم لافراط قبحها
حتى اقدم عليها قوم لوط عليه السلام لخبث طينتهم وقذر طباعهم قالوا لم ينز ذكر
على ذكر قبل قوم لوط وقرئ إنكم بغير استفهام في الاول دون الثاني قال ابو عبيدة وجدته
في الامام بحرف واحد بغير ياء ورأيت الثاني بحرفين الياء والنون وتقطعون السبيل وتقطعون
الطريق بقتل الانفس واخذ الاموال وقيل باعتراضكم السابلة بالفاحشة وعن
اعتن قطع النسل باتيان ما ليس بحرث والمنكر عن ابن عباس رضي الله عنهما هو
الخذف والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل
الازرار والسباب والفحش في المزاح وعن عائشة رضي الله عنها كانوا يتحابقون و
قيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة بذلك العمل وكل معصية فاظهارها اقبح
من سترها ولذلك جاء من خرق جلباب الحياء فلا غيبة له ولا يقال للمجلس نادٍ الا ما
دام فيه اهله فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين فيما تعدنا من نزول
العذاب قال رب انصرني على القوم المفسدين كانوا يفسدون الناس بحملهم على
ما كانوا عليه من المعاصي واستحداث طوعاً وكرهاً ولانهم ابتدعوا الفاحشة وسنوها
فيمن بعدهم وقال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب
بما كانوا يفسدون فاراد لوط ان يشتد غضب الله عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين في دعائه على ربه
ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا
ظالمين بالبشرى هي البشارة بالولد والنافلة وهما اسحق ويعقوب عليهما الصلاة والسلام
والاضافة في مهلكوا اضافة تخفيف لا تعريف والمعنى الاستقبال والقرية سدوم التي قيل فيها





اجور من قاضي سدوم كانوا ظالمين معناه ان الظلم قد استمر منهم ايجاده في الايام
السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم وانواع معاصيهم قال ان فيها لوطاً قالوا
نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين ان فيها لوطاً
ليس اخباراً لهم بكونه فيها وانما هو جدال في شأنه لانهم لما عللوا اهلاك اهلها
بظلمهم اعترض عليهم بان فيها من هو بريء من الظلم واراد بالجدال اظهار الشفقة
عليه وما يجب للمؤمن من التحزن لاخيه والتشمر في نصرته وحياطته والخوف من
ان يمسه اذى او يلحقه ضرر قال قتادة لا يرى المؤمن ان لا يحفظ المؤمن الا شي الى
جوابهم بانهم اعلم منه بمن فيها يعنون نحن اعلم منك واخبر بحال لوط عليه السلام
وحال قومه وامتيازه منهم الامتياز البين وانه لا يستأهل ما يستأهلون
فخفض على نفسك وهون عليك الخطب وقرئ لننجينه بالتشديد والتخفيف و
كذلك منجوك ولما ان جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقالوا لا تخف
ولا تحزن انا منجوك واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين ان صلة اكدت وجود الفعلين
مترتباً احدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كأنهما وجدا في جزء واحد
من الزمان كأنه قيل كما احس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه
وضاق بهم ذرعاً وضاق بشأنهم وبتدبير امرهم ذرعه اي طاقته وقد جعلت العرب
ضيق الذراع والذرع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع بكذا اذا كان
مطيقاً له والاصل فيه ان الرجل اذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فضرب
ذلك مثلاً في العجز والقدرة انا منزلون على اهل هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا
يفسقون الرجز والرجس العذاب من قولهم ارتجز وارتجس اذا اضطرب لما

بلحق المعذب من القلق والاضطراب وفوت امر لوط تحققا وتشددا ﴿ولقد تركنا منها آية بينة
لقوم يعقلون﴾ منها من القرية آية بينة هي آثار منازلهم الخربة وقيل بقية الحجارة وقيل
الماء الاسود على وجه الارض وقيل الخبر عما صنع بهم لقوم متعلق بتركنا او بينة ﴿والى مدين
اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الارض مفسدين﴾
وارجوا وافعلوا ما ترجون به العاقبة فاقيم المسبب مقام السبب او امروا بالرجاء
والمراد اشتراط ما يسوغه من الايمان كما يؤمر الكافر بالشرعيات على ارادة الشرط وقيل
هو من الرجاء بمعنى الخوف ﴿فكذبوه فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين﴾ والرجفة
الزلزلة الشديدة وعن الضحاك صيحة جبرئيل لان القلوب رجفت لها في دارهم في بلدهم
وارضهم او ديارهم فاكتفى بالواحد لانه لا يلبس جاثمين باركين على الركب ميتين ﴿وعادا
وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا
مستبصرين﴾ وعادا منصوب باضمار اهلكنا لان قوله فاخذتهم الرجفة يدل عليه لانه في معنى
الاهلاك وقد تبين لكم ذلك يعني ما وصفه من اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها
عند مروركم بها وكان اهل مكة يمرون عليها في اسفارهم فيبصرونها وكانوا مستبصرين
عقلاء متمكنين من النظر والافتكار ولكنهم لم يفعلوا او كانوا متبينين ان العذاب نازل
بهم لان الله تعالى قد بين لهم على السنة الرسل عليهم السلام ولكنهم لججوا حتى هلكوا ﴿وقارون
وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين
فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا
به الارض ومنهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون﴾ سابقين
فائتين ادركهم امر الله عز وجل فلم يفوتوه الحاصب لقوم لوط وهي ريح عاصف فيها

حصباء



حصباء وقيل ملك كان يرميهم والصيحة لمدين وثمود والخسف لقارون والغرق لقوم
نوح وفرعون ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا
وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾ الغرض تشبيه ما اتخذوه
متكلا ومعتمدا في دينهم وتولوه من دون الله عز وجل بما هو مثل عند الناس في
الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت الا ترى الى مقطع التشبيه وهو قوله و
ان اوهن البيوت لبيت العنكبوت فان قلت ما معنى قوله لو كانوا يعلمون وكل واحد
يعلم وهن بيت العنكبوت قلت معناه لو كانوا يعلمون ان هذا مثلهم وان امر
دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن ووجه آخر وهو انه اذا صح تشبيه ما اعتمدوه
في دينهم ببيت العنكبوت وقد صح ان اوهن البيوت بيت العنكبوت فقد تبين
ان دينهم اوهن الاديان لو كانوا يعلمون او اخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه
مخرج المجاز فكانه قال وان اوهن ما يعتمد عليه في الدين عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون
وللقائل ان يقول مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله
مثل عنكبوت يتخذ بيتا بالاضافة الى رجل يبني بيتا باجر وجص او ينحته من صخر
وكما ان اوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك اضعف الاديان
اذا استقريتها دينا دينا عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون ﴿ان الله يعلم ما تدعون
من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم﴾ قرئ تدعون بالتاء والياء وهذا توكيد
للمثل وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعون شيئا وهو العزيز الحكيم فيه تجهيل
لهم حيث عبدوا ما ليس بشيء لانه جماد ليس معه مصحح العلم والقدرة اصلا وتركوا

يان

عبادة القاهر القادر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل شيئا الا بحكمة وتدبير ﴿وتلك الامثال
نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون﴾ كان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون ان رب محمد
يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك قال وما يعقلها الا العالمون اي لا
يعقل صحتها وحسنها وفائدتها الا هم لان الامثال والتشبيهات انما هي الطرق الى المعاني
المحتجبة في الاستار حتى تبرزها وتكشف عنها وتصورها للافهام كما صور هذا التشبيه الفرق
بين حال المشرك وحال الموحد وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله
فعمل بطاعته واجتنب سخطه ﴿خلق الله السماوات والارض بالحق ان في ذلك لآية للمؤمنين﴾ بالحق
اي بالغرض الصحيح الذي هو حق لا باطل وهو ان تكون مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم
ودلائل على عظم قدرته الا ترى الى قوله ان في ذلك لآية للمؤمنين ونحوه قوله وما خلقنا السماء
والارض وما بينهما باطلا ثم قال ذلك ظن الذين كفروا ﴿اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم
الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون﴾ الصلوة تكون
لطفا في ترك المعاصي فكانها ناهية عنها فان قلت كم من مصل يرتكب ولا تنهاه صلوته قلت الصلوة
التي هي الصلوة عند الله المستحق بها الثواب ان يدخل فيها مقدما للتوبة النصوح متقيا
لقوله انما يتقبل الله من المتقين ويصليها خاشعا بالقلب والجوارح فقد روي عن حاتم
كأني جعلت على الصراط والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك الموت من فوقي واصلي بين
الرجاء والخوف ثم يحوطها بعد ان يصليها فلا يحبطها فهي الصلوة التي تنهى عن الفحشاء
والمنكر وعن ابن عباس رضي الله عنهما من لم تأمره صلوته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد
بصلوته من الله عز وجل الا بعدا وعن الحسن رحمه الله من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر
فليست صلوته بصلوة وهي وبال عليه وقيل من كان مراعيا للصلوة جره ذلك الى ان ينتهي عن السيئات

يوما



يوما فقد روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلوته
لتردعه وروي ان فتى من الانصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش
الا ركبه فوصف له فقال ان صلوته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وعلى كل حال فان المراعي للصلوة لا بد
ان يكون ابعد عن الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها وايضا فكم من مصلين تنهاهم الصلوة
عن الفحشاء والمنكر واللفظ لا يقتضي ان لا يخرج واحد من المصلين عن قضيتها كما تقول
ان زيدا ينهى عن المنكر فليس غرضك انه ينهى عن جميع المناكير وانما تريد ان هذه الخصلة موجودة
فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء للعموم ولذكر الله اكبر يريد وللصلوة اكبر من غيرها من
الطاعات وسماها بذكر الله عز وجل كما قال فاسعوا الى ذكر الله وانما قال ولذكر الله اكبر ليستقل
بالتعليل كأنه قال وللصلوة اكبر لانها ذكر الله او ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه
عنهما ووعيده عليهما اكبر فكان اولى بان ينهى من اللطف الذي في الصلوة وعن ابن عباس ولذكر
الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون من الخير والطاعة فيثيبكم
احسن الثواب ﴿ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا
آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون﴾ بالتي هي
احسن بالخصلة التي هي احسن وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والسورة بالاناة كما قال
ادفع بالتي هي احسن الا الذين ظلموا فافرطوا في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع
فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة وقيل الا الذين آذوا رسول الله وقيل الا الذين اثبتوا
الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة وقيل معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين
للجزية الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فان اولئك مجادلتهم
بالسيف وعن قتادة الآية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم
الآخر

المنهي الله

لتنهه

ولا مجادلة اشد من السيف وقوله وقولوا آمنا بالذي انزل الينا من جنس المجادلة بالتي هي احسن
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان
كان باطلا لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم ﴿وكذلك انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب
يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون﴾ ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك
الكتاب اي انزلناه مصدقا لسائر الكتب السماوية تحقيقا لقوله آمنا بالذي انزل الينا و
انزل اليكم وقيل وكما انزلنا الكتب الى من كان قبلك انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب
هم عبد الله بن سلام ومن آمن معه ومن هؤلاء من اهل مكة وقيل اراد بالذين اوتوا الكتاب الذين
تقدموا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب ومن هؤلاء ممن في عهده منهم وما يجحد بآياتنا مع
ظهورها وزوال الشبهة عنها الا المتوغلون في الكفر المصممون عليه وقيل هم كعب بن الاشرف
واصحابه ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون﴾ وانت امي
اي ما عرفوك قط بتلاوة كتاب ولا خط اذ لو كان شيء من ذلك اي من التلاوة والخط لارتاب المبطلون
من اهل الكتاب وقالوا الذي نجده في كتبنا امي لا يكتب ولا يقرأ وليس به او لارتاب مشركوا مكة
وقالوا لعله تعلمه او كتبه بيده فان قلت لم سماهم مبطلين ولو لم يكن اميا وقالوا ليس بالذي نجده
في كتبنا لكانوا صادقين محقين ولكان اهل مكة ايضا على حق في قولهم لعله تعلمه او كتبه فانه رجل
قاري كاتب قلت سماهم مبطلين لانهم كفروا به وهو امي بعيد من الريب فكأنه قال هؤلاء المبطلون
في كفرهم به لو لم يكن اميا لارتابوا اشد الريب فحين ليس بقاري كاتب فلا وجه لارتيابهم وشيء آخر
وهو ان سائر الانبياء لم يكونوا اميين ووجب الايمان بهم وبما جاؤا به لكونهم مصدقين من جهة
الحكيم بالمعجزات فهب انه قاري كاتب فما لهم لم يؤمنوا به من الوجه الذي آمنوا منه بموسى وعيسى
عليهما الصلوة والسلام على ان المنزلين ليسا بمعجزين وهذا المنزل معجز فاذن هم مبطلون حيث لم

لم يؤمنو



لم يؤمنوا به وهو امي ومبطلون لو لم يؤمنوا به وهو غير امي فان قلت ما فائدة قوله بيمينك
قلت ذكر اليمين وهي الجارحة التي يزاول بها الخط زيادة تصوير لما نفي عنه من كونه كاتبا
الا ترى انك اذا قلت في الاثبات رأيت الامير يخط هذا الكتاب بيمينه كان اشد لاثباتك انه تولى
كتبته فكذلك النفي ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا
الظالمون﴾ بل القرآن آيات بينات في صدور العالمين العلماء به وحفاظه وهما من خصائص القرآن
كون آياته بينات الاعجاز وكونه محفوظا في الصدور يتلوه اكثر الامة ظاهرا بخلاف سائر الكتب
فانها لم تكن معجزات وما كانت تقرأ الا من المصاحف ومنه ما جاء في صفة هذه الامة صدورهم
اناجيلهم وما يجحد بآيات الله الواضحة الا المتوغلون في الظلم المكابرون ﴿وقالوا لولا انزل
عليه آية من ربه قل انما الآيات عند الله وانما انا نذير مبين اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب
يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾ قرئ آية وآيات اراد هلا انزل عليه آية
مثل ناقة صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك انما الآيات عند الله ينزل ايتها شاء ولو شاء ان ينزل
ما يقترحونه لفعل وانما انا نذير كلفت الانذار وابانته بما اعطيت من الآيات وليس لي ان
اتخير على الله آياته فاقول انزل علي آية كذا دون آية كذا مع علمي ان الغرض من الآية ثبوت
الدلالة والآيات كلها في حكم آية واحدة في ذلك ثم قال اولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات
ان كانوا طالبين للحق غير متعنتين هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان
فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون في مكان دون
مكان ان في مثل هذه الآية الموجودة في كل مكان وزمان الى آخر الدهر لرحمة لنعمة عظيمة لا
تشكر وتذكرة لقوم يؤمنون وقيل اولم يكفهم يعني اليهود انا انزلنا عليك الكتاب يتلى
عليهم بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

بكتف قد كتبوا فيها بعض ما يقوله اليهود فلما ان نظر اليها القاها وقال كفى بها حماقة قوم او ضلالة
قوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت والوجه ما ذكرنا ﴿قل كفى بالله
بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك
هم الخاسرون﴾ كفى بالله بيني وبينكم شهيدا انى قد بلغتكم ما ارسلت به اليكم وانذرتكم و
انكم قابلتموني بالجحد والتكذيب يعلم ما في السموات والارض فهو مطلع على امري وامركم
وعالم بحقي وباطلكم والذين آمنوا بالباطل منكم وهو ما تعبدون من دون الله وكفروا بالله
وآياته اولئك هم الخاسرون المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان الا ان الكلام ورد
مورد الانصاف كقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وكقول حسان فشركما
لخيركما الفداء وروي ان كعب بن الاشرف واصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بانك رسول الله
فنزلت ﴿ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا
يشعرون﴾ كان استعجال العذاب استهزاء منهم وتكذيبا والنضر بن الحارث هو الذي قال اللهم
امطر علينا حجارة من السماء كما قال اصحاب الايكة فاسقط علينا كسفا من السماء ولولا اجل قد
سماه الله وبينه في اللوح لعذابهم واوجبت الحكمة تأخيره الى ذلك الاجل المسمى لجاءهم
العذاب عاجلا والمراد بالاجل الآخرة لما روي ان الله عز وجل وعد رسول الله صلعم ان لا يعذب
قومه ولا يستأصلهم وان يؤخر عذابهم الى يوم القيامة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم
بآجالهم ﴿يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهم
ومن تحت ارجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون﴾ لمحيطة اي ستحيط بهم يوم يغشاهم العذاب
وهي محيطة بهم في الدنيا لان المعاصي توجبها محيطة بهم او لانها مآلهم ومرجعهم لا محالة فكأنها
الساعة محيطة بهم ويوم يغشاهم على هذا منصوب بمضمر اي يوم يغشاهم العذاب كان كيت وكيت

ومن



ومن فوقهم ومن تحت ارجلهم كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ونقول قرئ
بالنون والياء ما كنتم تعملون اي جزاءه ﴿يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فاياي فا
عبدون﴾ معنى الآية ان المؤمن اذا لم يتسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له امر دينه
كما يحب فليهاجر عنه الى بلد يقدر انه فيه اسلم قلبا واصح دينا واكثر عبادة واحسن خشوعا
ولعمري ان البقاع تتفاوت في ذلك التفاوت الكثير ولقد جربنا وجرب اولونا فلم نجد فيما درنا
وداروا اعون على قهر النفس وعصيان الشهوة واجمع للقلب المتلفت واضم للهم المنتشر و
احث على القناعة واطرد للشيطان وابعد من كثير من الفتن واضبط للامر الديني في الجملة
من سكنى حرم الله وجوار بيت الله فلله الحمد على ما سهل من ذلك وقرب ورزق من الصبر واوزع
من الشكر وعن رسول الله صلعم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب
الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد وقيل هي في المستضعفين بمكة الذين نزل فيهم الم تكن ارض
الله واسعة فتهاجروا فيها وانما كان ذلك لان امر دينهم ما كان يستتب لهم بين ظهراني الكفرة
فاياي فاعبدون في المتكلم نحو اياه فارهبون في الغائب واياك نعبد في المخاطب والتقدير فاياي
فاعبدون فان قلت ما معنى الفاء في فاعبدون وتقديم المفعول قلت الفاء جواب شرط
محذوف لان المعنى ان ارضي واسعة فان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها لي في غيرها ثم
حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص
﴿كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون﴾ لما امر عباده بالحرص على العبادة وصدق الاهتمام
بها حتى يتطلبوا لها اوفق البلاد وان شسعت الشقة قوله كل نفس ذائقة الموت اي واجدة مرارته
وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق ومعناه انكم ميتون فواصلون الى الجزاء ومن كانت هذه
عاقبته لم يكن له بد من التزود لها والاستعداد بجهده ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات

لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين الذين صبروا
وعلى ربهم يتوكلون ۞ لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة علالي وقرئ لنثوينهم من الثواء
وهو النزول للاقامة يقال ثوى في المنزل واثوى غيره وثوى غير متعد فاذا تعدى بزيادة
همزة النقل لم يتجاوز مفعولا واحدا نحو ذهب واذهبته والوجه في تعديته الى ضمير المؤمنين
والى الغرف اما اجراؤه مجرى لننزلنهم ونبوئنهم او حذف الجار وايصال الفعل او تشبيه
الظرف المؤقت بالمبهم وقرئ يحيى بن وثاب فنعم بزيادة الفاء الذين صبروا على مفارقة الاوطان
والهجرة لاجل الدين وعلى اذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي ولم
يتوكلوا في جميع ذلك الا على الله عز وجل ۞ وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم
وهو السميع العليم ۞ لما امر رسول الله عم من اسلم بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فكان يقول
الرجل منهم كيف اقدم بلدة ليست لي فيها معيشة فنزلت والدابة كل نفس دبت على وجه
الارض عقلت او لم تعقل لا تحمل رزقها لا تطيق ان تحمله لضعفها عن حمله الله يرزقها واياكم
لا يرزق تلك الدواب الضعاف الا الله ولا يرزقكم ايضا ايها الاقوياء الا هو وان كنتم مطيقين
لحمل ارزاقكم وكسبها لانه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم اسباب الكسب لكنتم اعجز من الدواب التي لا تحمله
وعن الحسن لا تحمل رزقها لا تدخره انما تصبح فيرزقها الله وعن ابن عيينة ليس شيء يخبأ الا الانسان
والنملة والفارة وعن بعضهم رايت البلبل يحتكر في حضنيه ويقال للعقعق مخابئ الا انه ينساها
وهو السميع لقولكم نخشى الفقر والضيعة العليم بما في ضمائركم ۞ ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون ۞ الضمير في سالتهم لاهل
مكة فانى يؤفكون فكيف يصرفون عن توحيد الله عز وجل وان لا يشركوا به مع اقرارهم

بانه



بانه خالق السموات والارض ۞ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
ويقدر له ان الله بكل شيء عليم ۞ قدر الرزق وقتره بمعنى اذا ضيقه
فان قلت الذي رجع اليه الضمير في قوله ويقدر له هو من يشاء فكان
بسط الرزق وقدره جعلا لواحد قلت يحتمل الوجهين جميعا ان يريد
ويقدر لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لان من يشاء مبهم
غير معين فكان الضمير مبهما مثله وان يريد تعاقب الامرين على واحد
على حسب المصلحة ان الله بكل شيء عليم يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم
۞ ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها
ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون ۞ اي احمد رسول الله عم
على انه ممن اقر بنحو ما اقروا به ثم نفعه ذلك في توحيد الله ونفي الانداد
والشركاء عنه ولم يكن اقرارا عاطلا كاقرار المشركين وعلى انهم اقروا بما
هو حجة عليهم حيث نسبوا النعمة الى الله وقد جعلوا العبادة للاصنام ثم
قال بل اكثرهم لا يعقلون ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك و
صحة التوحيد او لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله ولا يفطنون لم حمدت الله
عند مقالتهم ۞ وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الاخرة لهي
الحيوان لو كانوا يعلمون ۞ هذه فيها ازدراء للدنيا وتصغير وكيف لا يصغرها
لامرها

وهي لا تبقى وتنفد جناح بعوضة يريد ما هي لسرعة زوالها عن أهلها وموتهم
عنها إلا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون وإن الدار الآخرة لهي الحيوان أي ليس
فيها إلا حيوة مستمرة دائمة خالدة لا موت فيها فكأنها في ذاتها حيوة والحيوان
مصدر حيي وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واوا كما قالوا حيوة في اسم رجل
وبه سمي ما فيه حيوة حيوانا قالوا اشتر من الموتان ولا تشتر من الحيوان وفي
بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحيوة وهي ما في بناء فعلان من معنى
الحركة والاضطراب كالنزوان والنغضان واللهبان وما أشبه ذلك والحيوة
حركة كما أن الموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى
الحيوة ولذلك اختيرت على الحيوة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة لو كانوا
يعلمون فلم يؤثروا الحيوة الدنيا عليها فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله
مخلصين له الدين فلما نجيهم إلى البر إذا هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم
وليتمتعوا فسوف يعلمون فإن قلت بم اتصل قوله فإذا ركبوا قلت بمحذوف
دل عليه ما وصفهم به وشرح من أمرهم معناه هم على ما وصفوا به من الشرك و
العناد فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في صورة
من يخلص الدين لله عز وجل من المؤمنين حيث لا يذكرون إلا الله ولا يدعون
معه إلها آخر وفي تسميتهم مخلصين ضرب من التهكم فلما نجاهم إلى البر وأمنوا
عادوا إلى حال الشرك واللام في ليكفروا محتملة أن تكون لام كي وكذلك في



وليتمتعوا فيمن قرأها بالكسر والمعنى أنهم يعودون إلى شركهم ليكونوا
بالعود إلى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير
على خلاف ما هو عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة إذا أنجاهم الله أن يشكروا
نعمة الله في إنجائهم ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة إلى ازدياد الطاعة لا إلى التمتع
والتلذذ وأن تكون لام الأمر وقراءة من قرأ وليتمتعوا بالسكون تشهد له
ونحوه قوله تعالى اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير فإن قلت كيف جاز أن يأمر الله
بالكفر وبأن يعمل العصاة ما شاؤوا وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه قلت هو مجاز
عن الخذلان والتخلية وأن ذلك الأمر متسخط إلى غاية ومثاله أن ترى الرجل
قد عزم على أمر وعندك أن ذلك الأمر خطاء وأنه يؤدي إلى ضرر عظيم فتبالغ في
نصحه واستنزاله عن رأيه فإذا لم تر منه إلا الإباء والتصميم حردت عليه وقلت
أنت وشأنك وافعل ما شئت فلا تريد بهذا حقيقة الأمر وكيف والآمر
بالشيء مريد له وأنت شديد الكراهة متحسر ولكنك كأنك تقول له فإذ قد أبيت
قبول النصيحة فأنت أهل ليقال لك افعل ما شئت وتبعث عليه ليتبين لك إذا
فعلت صحة رأي الناصح وفساد رأيك أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف
الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون كانت العرب حول
مكة يغزو بعضهم بعضا ويتغاورون ويتناهبون وأهل مكة قارون آمنون
فيها لا يغزون ولا يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب فذكرهم الله هذه
النعمة الخاصة

عليهم ويخطفهم بانهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه ومثل هذه النعمة المكشوفة
الظاهرة وغيرها من النعم التي لا يقدر عليها الا الله وحده مكفورة عندهم
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه اليس في جهنم
مثوى للكافرين • افتراؤهم على الله عز وجل كذبا زعمهم ان لله شريكا وتكذيبهم
بما جاءهم من الحق كفرهم بالرسول والكتاب وفي قوله لما جاءه تسفيه لهم
يعني لم يتلعثموا في تكذيبه وقت سمعوه كما يفعل المراجيح العقول
المتثبتون في الامور يسمعون الخبر فيستعملون فيه الروية والفكر و
يستانون الى ان يصح لهم صدقه او كذبه اليس تقرير لثوائهم في
جهنم كقوله • الستم خير من ركب المطايا • قال بعضهم ولو كان استفهاما
ما اعطاه الخليفة مائة من الابل وحقيقته ان الهمزة همزة الانكار دخلت
على النفي فرجع الى معنى التقرير فهما وجهان احدهما الا يثوون في جهنم
والا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا
بالحق هذا التكذيب والثاني الم يصح عندهم ان في جهنم مثوى للكافرين حتى
اجترؤا مثل هذه الجراءة • والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وان الله لمع المحسنين • اطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول
كل ما تجب مجاهدته من النفس الامارة بالسوء والشيطان واعداء الدين
فينا في حقنا ومن اجلنا ولوجهنا خالصا لنهدينهم سبلنا لنزيدنهم

بيسهم

هداية



هداية الى سبل الخير وتوفيقا كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وعن
ابي سليمان الداراني والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا
وعن بعضهم من عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم وقيل ان الذي نرى من جهلنا بما لا نعلم
انما هو من تقصيرنا فيما نعلم لمع المحسنين بالنصرة والمعونة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

## سورة الروم ستون اية مكية الا قوله فسبحان الله • بسم الله

الرحمن الرحيم الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون
• القراءة المشهورة الكثيرة غلبت بضم الغين وسيغلبون بفتح الياء والارض
ارض العرب لان الارض المعهودة عند العرب ارضهم والمعنى غلبوا في ادنى
ارض العرب منهم وهي اطراف الشام او اراد ارضهم على انابة اللام مناب المضاف
اليه اي في ادنى ارضهم الى عدوهم قال مجاهد هي ارض الجزيرة وهي ادنى ارض
الروم الى فارس وعن ابن عباس الاردن وفلسطين وقرئ في ادنى الارض والبضع
ما بين الثلث الى العشر عند الاصمعي وقيل احتربت الروم وفارس بين اذرعات
وبصرى فغلبت فارس الروم فبلغ الخبر مكة فشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين
لان فارس مجوس لا كتاب لهم والروم اهل الكتاب وفرح المشركون وشمتوا
وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا
على اخوانكم ولنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر رضي الله عنه لا يقرر الله اعينكم

في بضع سنين

نه الله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي ابن خلف
كذبت يا ابا فضيل اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه والمناحبة المراهنة فناحبه
على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الاجل ثلث سنين فاخبر ابو بكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلث الى التسع فزايده في
الخطر وماده في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي
من جرح رسول الله صلعم وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند
راس سبع سنين وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين فاخذ ابو بكر الخطر
من ذرية ابي وجاء به الى رسول الله صلعم فقال تصدق به وهذه الآية من الآيات
البينة الشاهدة على صحة النبوة وان القرآن من عند الله عز وجل
لانها انباء عن علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله عز وجل وقرئ غلبهم بسكون
اللام والغلب والغلب مصدر كالجلب والجلب والحلب والحلب وقرئ
غلبت الروم بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف
الشام وسيغلبهم المسلمون في بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة اخذ
المسلمون في جهاد الروم واضافة غلبهم تختلف باختلاف القرائتين فهي
في احديهما اضافة المصدر الى المفعول وفي الثانية اضافة المصدر الى الفاعل
ومثالهما تحتحم عليكم احتياجكم ولن تخلف الله وعده فان قلت كيف صحت
المناحبة وانما هي قمار قلت عن قتادة رحمه الله انه كان ذلك قبل تحريم
القمار

ومن

ومن مذهب ابي حنيفة ومحمد رحمهما الله ان العقود الفاسدة من عقود الربوا
وغيرها جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجا على صحة ذلك
بما عقده ابو بكر رض بينه وبين ابي بن خلف لله الامر من قبل ومن بعد
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم
من قبل ومن بعد اي في اول الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون
كانه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد
كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعني ان كونهم مغلوبين
اولا وغالبين آخرا ليس الا بامر الله عز وجل وقضائه وتلك الايام
نداولها بين الناس وقرئ من قبل ومن بعد على الجر من غير تقدير مضاف
اليه واقتطاعه كانه قيل قبلا وبعدا بمعنى اولا وآخرا ويومئذ ويوم
تغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله من غلبتهم يفرح المؤمنون
بنصر الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار
مكة وقيل نصر الله هو اظهار صدق المؤمنين فيما اخبروا به المشركين من
غلبة الروم وقيل نصر الله انه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمتهم
حتى تفانوا وتناقصوا وفل هؤلاء شوكة هؤلاء وفي ذلك قوة للاسلام
وعن ابي سعيد الخدري رض وافق ذلك يوم بدر وفي هذا اليوم نصر
المؤمنون وهو العزيز الرحيم ينصر عليكم تارة وينصركم اخرى وعد
الله

لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون • يعلمون ظاهرا من الحيوة
الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون • وعد الله مصدر مؤكد كقولك لك
علي الف درهم عرفا لان معناه اعترف لك بها اعترافا ووعد الله ذلك وعدا
لان ما سبقه في معنى وعد ذمهم الله عز وجل بانهم عقلاء في امور الدنيا
بله في امر الدين وذلك انهم كانوا اصحاب تجارات ومكاسب وعن الحسن بلغ
من حذق احدهم انه ياخذ الدرهم فينقره باصبعه فيعلم اردى هو ام
جيد وقوله يعلمون بدل من قوله لا يعلمون وفي هذا الابدال من النكتة
انه ابدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك انه
لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز
الدنيا وقوله ظاهرا من الحيوة الدنيا يفيد ان للدنيا ظاهرا وباطنا و
ظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها وباطنها
وحقيقتها انها مجاز الى الآخرة يتزود منها اليها بالطاعة والاعمال الصالحة
وفي تنكير الظاهر انهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من جملة الظواهر وهم
الثانية يجوز ان يكون مبتدا وغافلون خبره والجملة خبر هم الاولى وان يكون
تكريرا للاولى وغافلون خبر الاولى واية كانت فذكرها مناد على انهم
معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها ومتعلمها وانهم منها تنبع واليها
ترجع • اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض

وما



وما بينهما الا بالحق واجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون •
في انفسهم يحتمل ان يكون ظرفا كانه قال اولم يحدثوا التفكر في انفسهم اي في قلوبهم
الفارغة من الفكر والتفكر لا يكون الا في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال
المتفكرين كقولك اعتقده في قلبك واضمره في نفسك وان يكون صلة للتفكر
كقولك تفكر في الامر واجال فيه فكره وما خلق متعلق بالقول المحذوف معناه
اولم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل معناه فيعلموا لان في الكلام دليلا
عليه الا بالحق واجل مسمى اي ما خلقها باطلا وعبثا بغير غرض صحيح وحكمة
بالغة ولا لتبقى خالدة وانما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير
اجل مسمى لا بد لها من ان تنتهي اليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب و
الثواب والعقاب الا ترى الى قوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم
الينا لا ترجعون كيف سمى تركهم غير راجعين اليه عبثا والباء في قوله الا
بالحق مثلها في قولك دخلت عليه بثياب السفر واشترى الفرس بسرجه
ولجامه تريد اشتراه وهو متلبس بالسرج واللجام غير منفك عنهما و
كذلك المعنى ما خلقها الا وهي متلبسة بالحق مقترنة به فان قلت اذا جعلت
في انفسهم صلة للتفكر فما معناه قلت معناه اولم يتفكروا في انفسهم التي هي
اقرب اليهم من غيرها من المخلوقات وهم اعلم واخبر باحوالها منهم با
حوال ما عداها فيتدبروا ما اودعها الله ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم
الدالة

على التدبير دون الاهمال وانه لا بد لها من انتهاء اى ووقت يجاريها
فيه الحكيم الذى دبر امرها على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها
حتى يعلموا عند ذلك ان سايرها لا يخلو كذلك امرها جاريا على الحكمة والتدبير
والتدبير وانه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت والمراد بلقاء ربهم
الاجل المسمى ﴿اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها
وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم
يظلمون﴾ اولم يسيروا تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم الى اثار المدمرين
من قبلهم عاد وثمود وغيرهم من الامم العاتية ثم اخذ يصف لهم احوالهم
وانهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وحرثوها قال الله تعالى
لا ذلول تثير الارض وقيل لبقر الحرث المثيرة وقالوا سمي ثورا
لاثارته الارض وبقرة لانها تبقرها اى تشقها وعمروها يعني اولئك
المدمرون اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة واهل مكة هم اهل واد غير ذى زرع
ما لهم اثارة الارض اصلا ولا عمارة لها راسا فما هو الا تهكم بهم و
بضعف حالهم في دنياهم لان معظم ما يستظهر به اهل الدنيا ويتباهون
به امر الدهقنة وهم ايضا ضعاف القوى فقوله كانوا اشد منهم قوة
اى عاد وثمود واضرابهم من هذا القبيل كقوله اولم يروا ان الله الذى

خلقهم



خلقهم هو اشد منهم قوة وان كان هذا ابلغ لانه خالق القوى والقدر فما كان تدميره
اياهم ظلما لهم لان حاله منافية للظلم ولكنهم ظلموا انفسهم حيث عملوا ما اوجب تدميرهم
﴿ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوأى ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزءون﴾
قرئ عاقبة بالنصب والرفع والسوأى تانيث الاسوأ وهو الاقبح كما ان الحسنى
تانيث الاحسن والمعنى انهم عوقبوا في الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوأى
الا انه وضع المظهر موضع المضمر اى العقوبة التى هي السوأى العقوبات في الاخرة
وهي جهنم التي اعدت للكافرين وان كذبوا بمعنى لان كذبوا ويجوز ان يكون ان
بمعنى اى لانه اذا كان تفسير الاساءة التكذيب والاستهزاء كانت في معنى القول نحو نادى
وكتب وما اشبه ذلك ووجه آخر ان يكون اساءوا السوأى كما تحذف جواب لما ولو ارادة

بمعنى اقترفوا الخطيئة التي هي اسوأ الخطايا
وان كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف
[illegible]

الابهام ﴿الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون﴾ ثم اليه ترجعون الى ثوابه
وعقابه وقرئ بالتاء والياء ﴿ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون﴾ الابلاس ان
يبقى بائسا ساكتا متحيرا يقال ناظرته فابلس اذا لم ينبس وييس من ان يحتج ومنه
الناقة المبلاس التى لا ترغو وقرئ يبلس بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته ﴿ولم يكن
لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين﴾ من شركائهم من الذين عبدوهم
من دون الله وكانوا بشركائهم كافرين اى يكفرون بالهيتهم ويجحدونها او وكانوا
في الدنيا كافرين بسببهم وكتب شفعوا في المصحف بواو قبل الالف كما كتب علمؤا بنى
اسرائل وكذلك كتب السوأى بالف قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذى منه
حركتها

ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون • الضمير في يتفرقون للمسلمين و
الكافرين لدلالة ما بعده عليه وعن الحسن هو تفرق المسلمين والكافرين هؤلاء
في عليين وهؤلاء في اسفل سافلين وعن قتادة فرقة لا اجتماع بعدها • فاما الذين
آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون • اي في روضة في بستان وهي الجنة والتنكير
لابهام امرها وتفخيمه والروضة عند العرب كل ارض ذات نبات وماء وفي امثالهم
احسن من بيضة في روضة يريدون بيضة النعامة يحبرون يسرون يقال حبره
اذا سره سرورا تهلل له وجهه وظهر فيه اثره ثم اختلفت فيه الاقاويل لاحتماله
وجوه جميع المسار فعن مجاهد يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان
يحلون وعن ابي بكر بن عياش التيجان على رؤسهم وعن وكيع السماع في الجنة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي آخر القوم اعرابي فقال يا
رسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم يا اعرابي ان في الجنة لنهرا حافتاه الابكار
من كل بيضاء خوصانية يتغنين باصوات لم تسمع الخلايق بمثلها قط فذلك
افضل نعيم الجنة قال الراوي فسألت ابا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح
وروي ان في الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع
بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس
باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا • واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا
ولقاء الآخرة فاولئك في العذاب محضرون • مقيمون لا يغيبون عنه ولا

تخفف



تخفف عنهم كقوله تعالى وما هم بخارجين منها لا يفتر عنهم • فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون • لما ذكر
الوعد والوعيد اتبعه ذكر ما يوصل الى الوعد وينجي من الوعيد والمراد
بالتسبيح ظاهره الذي هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير في هذه الاوقات
لما يتجدد فيها من نعمة الله تعالى الظاهرة وقيل الصلوة وقيل لابن عباس هل تجد
الصلوات الخمس في القرآن قال نعم وتلا هذه الآية تمسون صلوتا المغرب والعشاء
وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر وقوله
وعشيا متصل بقوله حين تمسون وقوله وله الحمد في السموات والارض
اعتراض فان قلت قد ذهب الحسن رحمه الله الى ان الآية مدنية قلت لانه كان يقول
فرضت الصلوات الخمس بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين في غير وقت
معلوم والقول الاكثر ان الخمس انما فرضت بمكة وعن عائشة رضي الله عنها
فرضت الصلوة ركعتين فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اقرت صلوة السفر
وزيد في صلوة الحضر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى
فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الآية وعنه صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته
في يومه ومن قالها حين يمسي ادرك ما فاته في ليلته وفي قراءة عكرمة حينا تمسون
وحينا تصبحون والمعنى تمسون فيه وتصبحون فيه كقوله تعالى يوما لا تجزي

نفس

لنفس عن نفس شيئاً بمعزل ﴿يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي و
يحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون﴾ الحي من الميت الطاير من البيضة والميت
من الحي البيضة من الطاير واحياء الارض اخراج النبات منها وكذلك تخرجون ومثل
ذلك الاخراج تخرجون من القبور وتبعثون والمعنى ان الابداء والاعادة
متساويان في قدرة من هو قادر على الطرد والعكس من اخراج الميت من الحي
واخراج الحي من الميت واماتة الحي وقرئ الميت بالتشديد وتخرجون بفتح
التاء ﴿ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون﴾ خلقكم من تراب
لانه خلق اصلكم منه واذا للمفاجاة وتقديره ثم فاجأتم وقت كونكم بشراً
منتشرين في الارض كقوله وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ﴿ومن آياته ان
خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة
ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ من انفسكم ازواجاً لان حواء خلقت من
ضلع آدم والنساء بعدها خلقن من اصلاب الرجال او من شكل انفسكم وجنسها
لا من جنس آخر وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الالف والسكون وما
بين الجنسين المختلفين من التنافر وجعل بينكم التواد والتراحم بعصمة الزواج
بعد ان لم يكن بينكم سابقة معرفة ولا لقاء ولا سبب يوجب التعاطف من
قرابة او رحم وعن الحسن المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال
ورحمة منا وقال ذكر رحمة ربك عبده ويقال سكن اليه اذا مال اليه كقولهم انقطع

واحياء الميت

اليه



اليه والمطمأن اليه ومنه السكن وهو الالف المسكون اليه فعيل بمعنى مفعول
وقيل ان المودة والرحمة من قبل الله وان الفرك من قبل الشيطان ﴿ومن آياته
خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم والوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين﴾
الالسنة اللغات او اجناس النطق واشكاله خالف عز وعلا بين هذه الاشياء
حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس واحد ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة
ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا اسلوب ولا غير ذلك من صفات النطق واحواله
وكذلك الصور وتخطيطها والالوان وتنوعها ولاختلاف ذلك وقع التعارف
والا فلو اتفقت وتشاكلت وكانت ضرباً واحداً لوقع التجاهل والالتباس و
لتعطلت مصالح كثيرة وربما رايت توأمين يتشابهان في الحلية فيعروك الخطأ
في التمييز بينهما وتعرف حكمة الله في المخالفة بين الحلى وفي ذلك آية بينة حيث
ولدوا من اب واحد وفرعوا من اصل فذهبوا على الكثرة التي لا يعلمها الا الله و
مختلفون متفاوتون وقرئ للعالمين بفتح اللام وكسرها ويشهد للكسر قوله تعالى
وما يعقلها الا العالمون ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم
من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ هذا من باب اللف وترتيبه ومن آياته
منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار الا انه فصل بين القرينين الاخيرين
لانهما زمانان والزمان والواقع فيه كشيء واحد مع اعانة اللف على الاتحاد
ويجوز ان يراد منامكم في الزمانين وابتغاؤكم فيهما والظاهر هو الاول لتكرره
في القرآن

الاولين بايهم

واستماعا لمعاني ما دل عليه القرآن يسمعونه بالآذان الواعية. ومن آياته
يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها
ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون. في يريكم وجهان اضمار ان وانزال الفعل منزلة
المصدر ومنه ما يشبه المثل تسمع بالمعيدي خير من ان تراه ومن قول القائل.
وقالوا ما تشاء فقلت الهو الى الاصباح آثر ذي اثير. خوفا من الصاعقة او من
الاخلاف وطمعا في الغيث وقيل خوفا للمسافر وطمعا للحاضر وهما منصوبان
على المفعول له فان قلت من حق المفعول له ان يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل و
الخوف والطمع ليسا كذلك قلت فيه وجهان احدهما ان المفعولين فاعلون
في المعنى لانهم راؤون فكانه قيل يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا والثاني ان
يكون على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وارادة طمع فحذف المضاف و اقيم
المضاف اليه مقامه ويجوز ان يكونا حالين اي خائفين وطامعين وقرئ ينزل با
لتشديد. ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض
اذا انتم تخرجون وله من في السموات والارض كل له قانتون. ومن آياته قيام
السموات والارض واستمساكهما بغير عمد بامره اي بقوله كونا قائمتين والمراد
باقامته لهما وارادته لكونهما على صفة القيام دون الزوال وقوله اذا دعاكم
بمنزلة قوله يريكم في ايقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كانه قال ومن آياته قيام
السموات

والارض



والارض ثم خروج الموتى من القبور اذا دعاهم دعوة واحدة يا اهل القبور اخرجوا
والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف ولا تلبث كما يجيب الداعي المطاع
مدعوه كما قال القائل. دعوت كليبا دعوة فكانما دعوت به ابن الطود او هو
اسرع. يريد بابن الطود الصدى او الحجر اذا انحدر وانما عطف هذا
على قيام السموات والارض بثم بيانا لعظم ما يكون من ذلك الامر واقتداره
على مثله وهو ان يقول يا اهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الاولين والآخرين
الا قامت تنظر كما قال عز وعلا ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون فقولك دعوته
من مكان كذا كما يجوز ان يكون مكانك يجوز ان يكون مكان صاحبك تقول دعوت زيدا
من اعلى الجبل فنزل علي ودعوته من اسفل الوادي فطلع الي فان قلت بم تعلق من
الارض أبالفعل ام بالمصدر قلت هيهات اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل فان قلت
ما الفرق بين اذا واذا قلت الاولى للشرط والثانية للمفاجاة وهي تنوب مناب الفاء
في جواب الشرط وقرئ تخرجون بضم التاء وفتحها قانتون منقادون لوجود افعاله
فيهم لا يمتنعون عليه. وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه
وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم. وهو اهون عليه
فيما يجب عندكم وينقاس على اصولكم ويقتضيه معقولكم لان من اعاد منكم صنعة شيء
كانت اسهل عليه واهون من انشائها وتعتذرون للصانع اذا اخطأ في
بعض ما ينشئه بقولكم اول الغزو اخرق وتسمون الماهر في صناعته

معاودة تعنون انه عاودها كرة بعد اخرى حتى تمرن عليها وهانت عليه
فان قلت لم ذكر الضمير في قوله وهو اهون والمراد به الاعادة قلت معناه
وان يعيده اهون عليه فان قلت لم اخرت الصلة في قوله وهو اهون عليه و
قدمت في قوله هو علي هين قلت هنالك قصد الاختصاص وهو محزه فقيل
هو علي هين وان كان مستصعبا عندكم ان يولد بين هم وعاقر واما ههنا فلا
معنى للاختصاص كيف والامر مبني على ما يعقلون من ان الاعادة اسهل من
الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير المعنى فان قلت ما بال الاعادة استعظمت
في قوله ثم اذا دعاكم حتى كانها فضلت على قيام السموات والارض بامره ثم هونت
بعد ذلك قلت الاعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس الى الانشاء و
قيل الضمير في عليه للخلق ومعناه ان البعث اهون على الخلق من الانشاء لان تكوينه
في حد الاستحكام والتمام اهون عليه واقل تعبا وكبدا من ان ينتقل في احوال
ويتدرج فيها الى ان يبلغ ذلك الحد وقيل الاهون بمعنى الهين ووجه آخر
وهو ان الانشاء من قبيل التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين ان يفعله وان لا
يفعله والاعادة من قبيل الواجب الذي لا بد له من فعله لانها لجزاء الاعمال و
جزاؤها واجب والافعال اما محال والمحال ممتنع اصلا خارج عن المقدور
واما ما يصرف الحكيم عن فعله صارف وهو القبيح فهو رديف المحال لان الصارف
يمنع وجود الفعل كما تمنعه الاحالة واما تفضل والتفضل حالة بين بين
للفاعل

ان



الواجب
ان يفعله وان لا يفعله واما واجب لا بد من فعله ولا سبيل الى الاخلال به فكان
ابعد الافعال من الامتناع واقربها الى الحصول فلما كانت الاعادة من قبيل الواجب
كانت ابعد الافعال من الامتناع واذا كانت ابعدها من الامتناع كانت ادخلها في
التاتي والتسهل فكانت اهون منها واذا كانت اهون منها كانت اهون من الانشاء وله
المثل الاعلى الذي ليس لغيره مثله وقد عرف به ووصف في السموات والارض على
السنة الخلائق والسنة الدلائل وهو انه القادر الذي لا يعجز عن شيء من انشاء
واعادة وغيرهما من المقدورات ويدل عليه قوله وهو العزيز الحكيم اي القاهر
لكل مقدور الحكيم الذي يجري كل فعل على قضايا حكمته وعلمه وعن مجاهد المثل الاعلى
قوله لا اله الا الله ومعناه وله الوصف الاعلى الذي هو الوصف بالوحدانية ويعضده
قوله ضرب لكم مثلا من انفسكم وقال الزجاج وله المثل الاعلى في السموات والارض اي قوله
هو اهون عليه • ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم من ما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم
فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون • قد ضرب
لكم مثلا فيما يصعب ويسهل يريد التبيين الاول فان قلت اي فرق بين من الاولى والثانية
والثالثة في قوله من انفسكم من ما ملكت ايمانكم من شركاء قلت الاولى للابتداء كانه قال اخذ
مثلا وانتزعه من اقرب شيء منكم وهي انفسكم ولم يبعد والثانية للتبعيض والثالثة
لتاكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي ومعناه هل ترضون لانفسكم وعبيدكم امثالكم بشر كبشر
وعبيد كعبيد ان يشارككم بعضهم فيما رزقناكم من الاموال وغيرها تكونون انتم وهم
فيه على السواء من غير تفصلة بين حر وعبد تهابون ان تستبدوا بتصرف دونهم وان

وان تفتاتوا بالتدبير عليهم كما يهابه بعضكم بعضا من الاحرار فاذا لم ترضوا
بذلك لانفسكم فكيف ترضون لرب الارباب ومالك الاحرار والعبيد ان تجعلوا
بعض عبيده له شركاء كذلك اى مثل هذا التفصيل نفصل الايات اى نبينها
لان التمثيل مما يكشف المعانى ويوضحها لانه بمنزلة التصوير والتشكيل لها
الا ترى كيف صور الشرك بالصورة المشوهة بل اتبع الذين ظلموا اهل
اهواءهم بغير علم فمن يهدى من اضل الله وما لهم من ناصرين الذين ظلموا
اى اشركوا كقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم بغير علم اى اتبعوا اهواءهم جاهلين
لان العالم اذا ركب هواه ربما ردعه علمه وكفه واما الجاهل فيهيم على وجهه
كالبهيمة لا يكفه شيء من اضل الله من خذله ولم يلطف به لعلمه انه ممن لا لطف
له فمن يقدر على هداية مثله وقوله وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد با
لاضلال الخذلان فاقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها
لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه
واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين فاقم وجهك للدين فقوم و
جهك له وعدله غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا وهو تمثيل لاقباله على الدين و
استقامته عليه وثباته واهتمامه باسبابه فان من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه وسدد
اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه وحنيفا حال من المامور او من الدين فطرة
الله الزموا فطرة الله او عليكم فطرة الله وانما اضمر على خطاب الجماعة لقوله منيبين اليه
ومنيبين حال من الضمير فى الزموا وقوله واتقوه واقيموا ولا تكونوا معطوف على
هذا المضمر والفطرة الخلقة الا ترى الى قوله لا تبديل لخلق الله والمعنى انه خلقهم قا
بلين

للتو



للتوحيد ودين الاسلام غير نابين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل
مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا اخر ومن غوى
منهم فباغواء شياطين الانس والجن ومنه قوله صلى الله عليه وسلم كل عبادى خلقت
حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا بى غيرى و
قوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه
وينصرانه لا تبديل لخلق الله اى ما ينبغى ان تبدل تلك الفطرة او تغير
فان قلت لم وحد الخطاب اولا ثم جمع قلت خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا وخطاب
الرسول خطاب لامته مع ما فيه من التعظيم للامام ثم جمع بعد ذلك للبيان و
التلخيص من الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم
فرحون من الذين بدل من المشركين فارقوا دينهم تركوا دين الاسلام
وقرئ فرقوا دينهم اى جعلوه اديانا مختلفة لاختلاف اهوائهم وكانوا شيعا
فرقا كل واحدة تشايع امامها الذى اضلها كل حزب منهم فرح بمذهبه
مسرور يحسب باطله حقا ويجوز ان يكون من الذين منقطعا مما قبله و
معناه من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع فرحون
على الوصف لكل كقوله وكل خليل غير هاضم نفسه واذا مس الناس ضر دعوا
ربهم منيبين اليه ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا
بما اتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون الضر الشدة من هزال او مرض او قحط
او غير ذلك والرحمة الخلاص من الشدة واللام فى ليكفروا مثلها فى ليكونوا لهم

ثم عدوا فتمتعوا الطلب التملية اعملوا ما شئتم فسوف تعلمون وبال تمتعكم وقرأ
ابن مسعود وليتمتعوا ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون
السلطان الحجة وتكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القرآن
ومعناه الدلالة والشهادة كأنه قال فهو يشهد بشركهم وبصحته وما في بما كانوا
مصدرية اي بكونهم بالله يشركون ويجوز ان تكون موصولة ويرجع الضمير اليها ومعناه
فهو يتكلم بالامر الذي بسببه يشركون ويحتمل ان يكون المعنى ام انزلنا عليهم ذا سلطان
اي ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذي بسببه يشركون واذا اذقنا الناس
رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون اولم يروا
ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون واذا اذقنا
رحمة اي نعمة من مطر او سعة او صحة فرحوا بها وان اصابتهم سيئة اي بلاء من
جدب او ضيق او مرض والسبب فيها شؤم معاصيهم قنطوا من الرحمة ثم انكر عليهم
بانهم قد علموا انه هو الباسط القابض فما لهم يقنطون من رحمته وما لهم لا يرجعون
اليه تائبين من المعاصي التي عوقبوا بالشدة من اجلها حتى يعيد اليهم رحمته فآت
ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله واولئك
هم المفلحون حق ذي القربى صلة الرحم وحق المسكين وابن السبيل نصيبهما
من الصدقة المسماة لهما وقد احتج ابو حنيفة رحمه الله بهذه الآية في وجوب النفقة
للمحارم اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وعند الشافعي رحمه الله لا نفقة بالقرابة
الا على الولد والوالدين قاس سائر القرابات على ابن العم لانه لا ولاد بينهم فان قلت كيف
تعلق قوله فآت ذا القربى بما قبله حتى جيء بالفاء قلت لما ذكر ان السيئة اصابتهم بما

قدمت





بما قدمت ايديهم اتبعه ذكر ما يجب ان يفعل وما يجب ان يترك يريدون وجه
الله يحتمل ان يراد بوجهه ذاته او جهته وجانبه اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا
وحقه كقوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى او يقصدون جهة التقرب الى الله لا جهة اخرى
والمعنيان متقاربان ولكن الطريقة مختلفة وما آتيتم من ربا ليربوا في اموال الناس
فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون هذه
الآية في معنى قوله عز وجل يمحق الله الربوا ويربي الصدقات سواء بسواء يريد وما
اعطيتم اكلة الربوا من ربا ليربو في اموالهم ليزيد ويزكو في اموالهم فلا يزكو عند
الله ولا يبارك فيه وما آتيتم من زكوة اي من صدقة تبتغون به وجهه خالصا لا تطلبون
به مكافاة ولا رياء ولا سمعة فاولئك هم المضعفون ذووا الاضعاف من الحسنات ونظير
المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار وقرئ بفتح العين وقيل نزلت
في ثقيف وكانوا يربون وقيل المراد ان يهب الرجل للرجل او يهدي له ليعوضه اكثر
مما وهب او اهدى فليست تلك الزيادة بحرام ولكن المعوض لا يثاب على تلك الزيادة
وقالوا الربوا ربوان فالحرام كل قرض يؤخذ فيه اكثر منه او يجر منفعة والذي ليس
بحرام ان يستدعي بهبته او بهديته اكثر منها وفي الحديث المستغزر يثاب من
هبته وقرئ وما آتيتم من ربا بمعنى وما غشيتموه او رهقتموه من اعطاء ربوا
وقرئ لتربوا اي لتزيدوا في اموالهم كقوله تعالى ويربي الصدقات اي يزيدها وقوله
فاولئك هم المضعفون التفات حسن كأنه قال لملائكته وخواص خلقه فاولئك الذين
يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون فهو امدح لهم من ان يقول فانتم
المضعفون

والمعنى المضعفون به لانه لا بد من ضمير يرجع الى ما ووجه آخر وهو ان يكون
تقديره فمؤتوه اولئك هم المضعفون والحذف لما في الكلام من الدليل عليه
وهذا اسهل مأخذا والاول املأ بالفائدة • الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم
يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى
عما يشركون • الله مبتدأ وخبره الذي خلقكم اي الله هو فاعل هذه الافعال
الخاصة التي لا يقدر على شيء منها احد غيره ثم قال هل من شركائكم الذين
اتخذتموهم اندادا له من الاصنام وغيرها من يفعل شيئا قط من تلك
الافعال حتى يصح ما ذهبتم اليه ثم استبعد حاله من حال شركائهم ويجوز
ان يكون الذي خلقكم صفة المبتدأ والخبر هل من شركائكم وقوله من ذلكم هو
الذي ربط الجملة بالمبتدأ لان معناه من افعاله ومن الاولى والثانية
والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتأكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل
عبدتهم • ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم
بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون • الفساد في البر والبحر نحو الجدب
والقحط وقلة الريع في الزراعات والربح في التجارات ووقوع الموتان في
الناس والدواب وكثرة الحرق والغرق واخفاق الصيادين والغاصة ومحق
البركات من كل شيء وقلة المنافع في الجملة وكثرة المضار وعن ابن عباس رضي الله عنهما
اجدبت الارض وانقطعت مادة البحر وقالوا اذا انقطع القطر عميت
دواب البحر وعن الحسن ان المراد بالبحر مدن البحر وقراه التي على شاطئه
وعن عكرمة العرب تسمي الامصار البحار وقرئ في البر والبحور
بما كسبت ايدي الناس بسبب معاصيهم وذنوبهم كقوله تعالى وما اصابكم من



من مصيبة فبما كسبت ايديكم وعن ابن عباس ظهر الفساد في البر بقتل ابن آدم
اخاه وفي البحر بان جلندى كان يأخذ كل سفينة غصبا وعن قتادة كان ذلك
قبل البعث فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع راجعون عن الضلال والظلم
ويجوز ان يريد ظهور الشر والمعاصي بكسب الناس ذلك فان قلت ما معنى قوله
ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون قلت اما على التفسير الاول فظاهر
وهو ان الله تعالى قد افسد اسباب دنياهم ومحقها ليذيقهم وبال بعض اعمالهم
في الدنيا قبل ان يعاقبهم بجميعها في الآخرة لعلهم يرجعون عما هم عليه واما على
الثاني فاللام مجاز على معنى ان ظهور الشر بسببهم مما استوجبوا به ان يذيقهم
الله وبال اعمالهم ارادة الرجوع فكانهم انما افسدوا وتسببوا لفشو المعاصي
في الارض لاجل ذلك وقرئ لنذيقهم بالنون • قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبل كان اكثرهم مشركين • ثم اكد تسبب المعاصي لغضب الله
ونكاله حيث امرهم بان يسيروا فينظروا كيف اهلك الله الامم واذاقهم سوء
العاقبة لمعاصيهم ودل بقوله كان اكثرهم مشركين على ان الشرك وحده لم يكن
سبب تدميرهم وان ما دونه من المعاصي يكون سببا لذلك • فاقم وجهك للدين
القيم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون • القيم البليغ
الاستقامة الذي لا يتأتى فيه عوج من الله اما ان يتعلق بياتي فيكون المعنى من قبل
ان ياتي من الله يوم لا يرده احد كقوله فلا يستطيعون ردها او بمرد على معنى لا يرده
هو بعد ان يجيء به ولا رد له من جهته والمرد مصدر بمعنى الرد يصدعون
يتصدعون

اى يتفرقون كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون ◦ من كفر فعليه
كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون ◦ فعليه كفره كلمة جامعة لما لا
غاية وراءه من المضار لان من كان ضاره كفره فقد احاطت به كل مضرة فلانفسهم يمهدون
اى يسوون لانفسهم ما يسويه لنفسه الذى يمهد فراشه ويوطئه لئلا يصيبه فى مضجعه
ما ينبيه عليه وينغص من نقده من نتو او قضض او بعض ما يؤذى الراقد ويجوز ان
يريد تعالى انفسهم يشفقون من قولهم فى المشفق امك فرشت فانامت وتقديم الظرف
فى الموضعين للدلالة على ان ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر لا يتعداه ومنفعة الايمان
والعمل الصالح ترجع الى المؤمن لا يتجاوزه ◦ ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات
من فضله انه لا يحب الكافرين ◦ ليجزى متعلق بيمهدون تعليل له من فضله مما
يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب وهذا يشبه الكناية لان الفضل تبع
للثواب فلا يكون الا بعد حصول ما هو تبع له او اراد من عطاياه وهو ثوابه لان
الفضول والفواضل هى الاعطية عند العرب وتكرير الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وترك الضمير الى التصريح لتقرير انه لا يفلح عنده الا المؤمن الصالح وقوله انه لا يحب الكافرين
تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس ◦ ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم
من رحمته ولتجرى الفلك بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ◦ الرياح هى الجنوب
والشمال والصبا وهى رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عم اللهم
اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقد عدد الاغراض فى ارسالها وانه ارسلها للبشارة بالغيث
ولاذاقة الرحمة وهى نزول المطر وحصول الخصب الذى يتبعه والروح الذى مع
هبوب الريح وزكاء الارض قال رسول الله عم اذا كثرت المؤتفكات زكت الارض وازالة

العفونة

وازالة العفونة من الهواء وتذرية الحبوب وغير ذلك ولتجرى الفلك فى
البحر عند هبوبها وانما زاد بامره لان الريح قد تهب ولا تكون مؤاتية
فلا بد من ارساء السفن والاحتيال لحبسها وربما عصفت فاغرقتها ولتبتغوا
من فضله يريد تجارة البحر ولتشكروا نعمة الله فيها فان قلت بم تعلق و
ليذيقكم قلت فيه وجهان ان يكون معطوفا على مبشرات على المعنى كانه قيل ليبشركم
وليذيقكم وان يتعلق بمحذوف تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا ارسلنا[ها]
◦ ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا
وكان حقا علينا نصر المؤمنين ◦ اختصر الطريق الى الغرض بان ادرج تحت ذكر
الانتقام والنصر ذكر الفريقين وقد اخلى الكلام اولا عن ذكرهما وقوله وكان
حقا علينا نصر المؤمنين تعظيم للمؤمنين ورفع من شانهم وتاهيل لكرامة
سنية واظهار لفضل سابقة ومزية حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم
مستوجبين عليه ان يظهرهم ويظفرهم وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام
منهم حقا ثم يبتدئ علينا نصر المؤمنين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من
امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة
ثم تلا قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين ◦ الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه
فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا اصاب به من
يشاء من عباده اذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله

فيبسطه متصلا تارة ويجعله كسفا اي قطعا تارة فترى الودق يخرج من خلاله في
التارتين جميعا والمراد بالسماء سمت السماء وشقها كقوله تعالى وفرعها في السماء
وباصابة العباد اصابة بلادهم واراضيهم من قبله من باب التكرير والتوكيد كقوله
فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها ومعنى التوكيد فيه الدلالة على ان عهدهم
بالمطر قد تطاول وبعد فاستحكم يأسهم وتمادى ابلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم
بذلك ● فانظر الى اثار رحمت الله كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى
وهو على كل شيء قدير ● قرئ اثر واثار على الوحدة والجمع وقرأ ابو حيوة وغيره
كيف تحيي اي الرحمة ان ذلك يعني ان ذلك القادر الذي يحيي الارض بعد موتها هو الله
تحيي الناس بعد موتهم وهو على كل شيء من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدورات
بدليل الانشاء ● ولئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون
فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادي
العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فهم مسلمون ● فرأوه فرأوا اثر
رحمت الله لان رحمة الله هي الغيث واثرها النبات ومن قرأ بالجمع اثار رجع الضمير
الى معناه لان معنى اثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لانه
مصدر سمي به ما ينبت ولئن هي اللام الموطئة للقسم دخلت على حرف الشرط و
لظلوا جواب القسم سد مسد الجوابين اعني جواب القسم وجواب الشرط و
معناه ليظلن ذمهم الله عز وجل بانه اذا احبس عنهم القطر قنطوا من رحمته وضربوا
اذقانهم على صدورهم مبلسين فاذا اصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا





وابلسوا فاذا ارسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار فضجوا وكفروا بنعمة الله
فهم في جميع هذه الاحوال على الصفة المذمومة كان عليهم ان يتوكلوا على الله
وفضله فقنطوا وان يشكروا نعمته ويحمدوه عليها فلم يزيدوا على الفرح و
وان يصبروا على بلائه فكفروا والريح التي اصفر لها النبات يجوز ان تكون حرورا
وحرجفا فكلتاهما مما يصفر له النبات ويصبح هشيما وقال مصفرا لان تلك
صفرة حادثة وقيل فرأوا السحاب مصفرا لانه اذا كان كذلك لم يمطر ● الله
الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا
وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ● قرئ بفتح الضاد وضمها وهما لغتان
والضم اقوى في القراءة لما روى ابن عمر رضي الله عنهما قال قرأتها على رسول الله عم
من ضعف فاقرأني من ضعف وقوله خلقكم من ضعف كقوله خلق الانسان من عجل
يعني ان اساس امركم وما عليه جبلتكم وبنيتكم الضعف وخلق الانسان ضعيفا
اي ابتداءناكم في اول الامر ضعافا وذلك حال الطفولة والنشوء حتى بلغتم وقت
الاحتلام والشبيبة وتلك حال القوة الى الاكتهال وبلوغ الاشد ثم رددتم الى اصل
حالكم وهو الضعف بالشيخوخة والهرم وقيل من ضعف من النطف كقوله تعالى
من ماء مهين وهذا الترديد في الاحوال المختلفة والتغيير من هيئة الى هيئة
وصفة الى صفة اظهر دليل واعدل شاهد على الصانع العليم القادر ● ويوم
تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون ●

الساعة القيامة سميت بذلك لانها تقوم في اخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها
تقع بغتة وبديهة كما تقول في ساعة لمن تستعجله وجرت علما لها كالنجم للثريا
والكوكب للزهرة اراد لبثهم في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا الى
البعث وفي الحديث ما بين فناء الدنيا الى وقت البعث اربعون قالوا لا نعلم اهي
اربعون سنة ام اربعون الف سنة وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم وانما
يقدرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصار لهم او ينسون او يكذبون او يخمنون
كذلك كانوا يؤفكون اي مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق والتحقيق
في الدنيا وهكذا كانوا يبنون امرهم على خلاف الحق او مثل ذلك الافك كانوا يؤفكون
في الاغترار بما تبين لهم الان انهم ما لبثوا الا ساعة ❁ وقال الذين اوتوا العلم والايمان
لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون ❁ هم
القائلون هم الملائكة والانبياء والمؤمنون في كتاب الله في اللوح او في علم الله وقضائه
او فيما كتبه اي اوجبه بحكمته ردوا ما قالوه وحلفوا عليه واطلعوهم على الحقيقة ثم
وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث بقولهم فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا
تعلمون انه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه فان قلت ما هذه الفاء وما حقيقتها
قلت هي التي في قوله فقد جئنا خراسانا وحقيقتها انها جواب شرط يدل عليه
الكلام كانه قال ان صح ما قلتم من ان خراسان اقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسان
وآن لنا ان نخلص وكذلك ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث اي فقد تبين بطلان قولكم وقرا الحسن يوم
البعث بالتحريك ❁ فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون ❁

لا ينفع



لا ينفع قرئ بالياء والتاء يستعتبون من قولك استعتبني فلان فاعتبته
اي استرضاني فارضيته وذلك اذا كنت جانيا عليه وحقيقة اعتبته ازلت عتبه
الا ترى الى قوله غضبت تميم ان تقتل عامر يوم النسار فاعتبوا بالصيلم كيف
جعلهم غضابا ثم قال فاعتبوا اي ازيل غضبهم والغضب في معنى العتب والمعنى
لا يقال لهم ارضوا ربكم بتوبة وطاعة ومثله قوله فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون
فان قلت كيف جعلوا غير مستعتبين في بعض الايات وغير معتبين في بعضها
وهو قوله وان يستعتبوا فما هم من المعتبين قلت اما كونهم غير مستعتبين
فهذا معناه واما كونهم غير معتبين فمعناه انهم غير راضين بما هم فيه فشبهت حالهم
بحال قوم جني عليهم فهم عاتبون على الجاني غير راضين منه فان يستعتبوا الله اي
يسألوه ازالة ما هم فيه فما هم من المجابين الى ازالته ❁ ولقد ضربنا للناس
في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم باية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون
كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ❁ ولقد وصفنا لهم كل صفة كانها
مثل في غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم
القيامة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من
استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم ومج اسماعهم حديث الاخرة اذا جئتهم باية
من ايات القرآن قالوا جئتنا بزور وباطل ثم قال مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب
الجهلة ومعنى طبع الله منع الالطاف التي تنشرح لها الصدور حتى تقبل الحق وانما

وا تمامتنعوا عنها من علم انها لا تجدي عليه ولا تغني عنه كما تمنع الواعظ الموعظة من يتبين
له ان الموعظة تلغو ولا تنجع فيه فوقع ذلك كناية عن قسوة قلوبهم وركوب القضاء
والتزيين اياها فكانه قال كذلك تقسو وتصدأ قلوب الجهلة حتى يسموا المحقين مبطلين
وهم اعرف خلق الله في تلك الصفة ﴿فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين
لا يوقنون﴾ فاصبر على اذاهم ان وعد الله بنصرتك واظهار دينك على الدين كله
حق لا بد من انجازه والوفاء به ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعا مما يقولون و
يفعلون فانهم قوم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وقرئ بتخفيف النون
وقرأ ابن ابي اسحق ويعقوب ولا يستحقنك اي لا يفتننك فيملكوك ويكونوا احق
بك من المؤمنين قال رسول الله صلعم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر
حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه
وليلته

## سورة لقمان مكية وهي اربع وثلثون آية وقيل ثلث وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الم تلك آيات الكتاب
الحكيم هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة و
هم بالآخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون﴾ الكتاب الحكيم
ذي الحكمة او وصف بصفة الله عز وجل على الاسناد المجازي ويجوز ان يكون الاصل الحكيم
قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في
الصفة المشبهة هدى ورحمة بالنصب على الحال عن الآيات والعامل فيها ما في تلك من
معنى الاشارة وبالرفع على انه خبر بعد خبر او خبر مبتداء محذوف للمحسنين للذ

ين



للذين يعملون الحسنات وهي التي ذكرها من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة والايقان
بالآخرة ونظيره قول اوس ﴿الالمعي الذي يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمعا﴾
حكي عن الاصمعي انه سئل عن الالمعي فانشده ولم يزد او للذين يعملون جميع
ما يحسن من الاعمال ثم خص منهم القائمين بهذه الثلث لفضل اعتداد بها ﴿
ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا
اولئك لهم عذاب مهين﴾ اللهو كل باطل الهى عما يعني ومما لا يعني ولهو الحديث
نحو السمر بالاساطير والاحاديث التي لا اصل لها والتحدث بالخرافات والمضاحيك
وفضول الكلام وما لا ينبغي من كان وكان ونحو الغناء وتعلم الموسيقار وما اشبه ذلك
وقد نزلت في النضر بن الحرث وكان يتجر الى فارس فيشتري كتب الاعاجم فيحدث بها
قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم باحاديث رستم
وبهرام والاكاسرة وملوك الحيرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع
القرآن وقيل كان يشتري القيان فلا يظفر باحد يريد الاسلام الا انطلق به الى قينته
فيقول اطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك اليه محمد من الصلوة
والصيام وان تقاتل بين يديه وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم لا يحل بيع المغنيات
ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن ولا اثمانهن وعنه صلى الله عليه وسلم ما من رجل يرفع صوته
بالغناء الا بعث الله عليه شيطانين احدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب
فلا يزالان يضربانه بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت وقيل الغناء منفدة للمال
الا مهلكة

مسقطة للمروة مفسدة للقلب فان قلت ما معنى اضافة اللهو الى الحديث قلت معناها التبيين وهي الاضافة بمعنى من وان يضاف الشيء الى ما هو منه كقولك صفة خز وباب ساج والمعنى من يشتري اللهو من الحديث لان اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش ويجوز ان تكون الاضافة بمعنى من التبعيضية كانه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه وقوله يشتري اما من الشرى على ما روي عن النضر من شرى كتب الاعاجم او من شرى القيان واما من قوله اشتروا الكفر بالايمان اي استبدلوه منه واختاروه عليه وعن قتادة اشتراؤه استحبابه يختار حديث الباطل على حديث الحق وقرئ ليضل بضم اليا وفتحها وسبيل الله دين الاسلام او القران فان قلت القراءة بالضم بينة لان النضر كان غرضه باشترا اللهو ان يصد الناس عن الدخول في الاسلام واستماع القران ويضلهم عنه فما معنى القراءة بالفتح قلت فيه معنيان احدهما ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ولا يصدف عنه ويزيد فيه ويمده فان المخذول كان شديد الشكيمة في عداوة الدين وصد الناس عنه والثاني ان يوضع ليضل موضع ليضل من قبل ان من اضل كان ضالا لا محالة فدل بالرديف على المردوف فان قلت ما معنى قوله بغير علم قلت لما جعله مشتريا للهو الحديث والباطل بالحق قال ونحوه قوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين اي وما كانوا مهتدين للتجارة بصراء بها وقرئ ويتخذها بالنصب والرفع عطفا على يشتري او ليضل والضمير للسبيل لانها مؤنثة كقوله لها ويصدون عن سبيل الله من آمن به ويبغونها عوجا





﴿واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم﴾ ولى مستكبرا اي انه لا يعبأ بها ولا يرفع بها راسا تشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع كان في اذنيه وقرا اي ثقلا ولا وقر فيهما وقرئ بسكون الذال فان قلت ما محل الجملتين المصدرتين بكان قلت الاولى حال من مستكبرا والثانية من لم يسمعها ويجوز ان يكونا استئنافين والاصل في كان المخففة كانه والضمير ضمير الشان ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم﴾ وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لان قوله لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فاكد معنى الوعد بالوعد واما حقا فدال على معنى الثبات اكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعا قوله لهم جنات النعيم وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء ولا يعجزه فيقدر على الشيء وضده فيعطي النعيم من يشاء والبؤس من يشاء وهو الحكيم لا يشاء الا ما توجبه الحكمة والعدل ﴿خلق السموات بغير عمد ترونها والقى في الارض رواسي ... ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ ترونها الضمير فيه للسموات وهو استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد كما تقول لصاحبك انا بلا سيف ولا رمح تراني فان قلت ما محلها من الاعراب قلت لا محل لها لانها مستانفة او هي في محل الجر صفة للعمد اي بغير عمد مرئية يعني انه عمدها بعمد لا ترى وهي امساكها بقدرته ﴿هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين﴾ هذا اشارة الى ما ذكر من

لك

ن الله

بينهم

تخلقوا فإنه والخلق بمعنى المخلوق والذين تدعونه آلهتكم بكّتهم بأن هذه الأشياء العظيمة
مما خلقه الله عز وجل وأنشأه فأروني ماذا خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة
ثم أضرب عن تبكيتهم إلى التسجيل عليهم بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال ﴿ولقد آتينا
لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد﴾
هو لقمان بن باعوراء ابن أخت أيوب أو ابن خالته وقيل كان من أولاد آزر وعاش
ألف سنة وأدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود عليه السلام
فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال ألا أكتفي إذ كفيت وقيل كان قاضيا في بني إسرائيل
وأكثر الأقاويل أنه كان حكيما ولم يكن نبيا وعن ابن عباس رضي الله عنهما لقمان لم يكن نبيا
ولا ملكا ولكن كان راعيا أسود فرزقه الله العتق ورضي قوله ووصيته فقص أمره في القرآن
لتمسكوا بوصيته وقال عكرمة والشعبي كان نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار
الحكمة وعن ابن المسيب كان أسود من سودان مصر خياطا وعن مجاهد كان عبدا أسود
غليظ الشفتين متشقق القدمين وقيل كان نجارا وقيل راعيا وقيل كان يحتطب
لمولاه كل يوم حزمة وعنه أنه قال لرجل ينظر إليه إن كنت تراني غليظ الشفتين فإنه يخرج
من بينهما كلام رقيق وإن كنت تراني أسود فقلبي أبيض وروي أن رجلا وقف عليه في مجلسه
فقال ألست الذي ترعى معي في مكان كذا قال بلى قال فما بلغ بك ما أرى قال صدق الحديث
والصمت عما لا يعنيني وروي أنه دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع وقد لين الله له
الحديد كالطين فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت فلما أتمها لبسها وقال نعم لبوس
الحرب أنت فقال الصمت حكم وقليل فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكيما وروي أن
مولاه أمره بذبح شاة وبأن يخرج منها أطيب مضغتين فأخرج اللسان والقلب ثم أمره

بمثل

بمثل ذلك بعد أيام وأن يخرج أخبث مضغتين فأخرج اللسان والقلب فسأله عن ذلك
فقال هما أطيب ما فيها إذا طابا وأخبث ما فيها إذا خبثا وعن سعيد بن المسيب أنه
قال لأسود لا تحزن فإنه كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر
ولقمان أن هي المفسرة لأن إيتاء الحكمة في معنى القول وقد نبه الله سبحانه على أن
الحكمة الأصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسر
إيتاء الحكمة بالبعث على الشكر غني غير محتاج إلى الشكر حميد حقيق بأن يحمد وإن
لم يحمده أحد ﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾
قيل كان اسم ابنه أنعم وقال الكلبي أشكم وقيل كان ابنه وامرأته كافرين فما زال بهما
حتى أسلما لظلم عظيم لأن التسوية بين من لا نعمة إلا هي منه ومن لا نعمة منه البتة ولا يتصور
أن تكون منه ظلم لا يكتنه عظمه ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله
في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم
فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم
بما كنتم تعملون﴾ أي حملته تهن وهنا على وهن كقولك رجع عودا على بدء بمعنى
يعود عودا على بدء وهو في موضع الحال والمعنى أنها تضعف ضعفا فوق ضعف أي
يتزايد ضعفها ويتضاعف لأن الحمل كلما ازداد وعظم ازدادت ثقلا وضعفا
وقرئ وهنا على وهن بالتحريك وعن أبي عمرو يقال وهن يوهن ووهن يوهن
وفصاله وفطامه أن اشكر تفسير لوصينا ما ليس لك به علم أراد بنفي العلم به

تفيد الاشتراك بي ما ليس بشيء يريد الأصنام كقوله تعالى ما يدعون من دونه من شيء
معروفا فيهما إياها أو صحابا معروفا فأحسنا بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة وما
يقتضيه الكرم والمروة واتبع سبيل من أناب إلي يريد واتبع سبيل المؤمنين في دينك
ولا تتبع سبيلهما فيه وإن كنت مأمورا بحسن مصاحبتهما في الدنيا ثم إلي مرجعكم ومر
جعهما فأجازيك على إيمانك وأجازيهما على كفرهما علم بذلك حكم الدنيا وما يجب على الإنسان
في صحبتهما ومعاشرتهما من مراعاة حق الأبوة وتعظيمه وما لهما من المواجب التي
لا يسوغ الإخلال بها ثم بين حكمهما وحالهما في الآخرة وروي أنها نزلت في سعد بن
أبي وقاص وأمه وفي القصة أنها مكثت ثلثا لا تطعم ولا تشرب حتى شجروا فاها بعود
وروي أنه قال لو كانت لها سبعون نفسا فخرجت لما ارتددت إلى الكفر فإن قلت هذا
الكلام كيف وقع في أثناء وصية لقمان قلت هو كلام اعترض به على سبيل الاستطراد
تأكيدا لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك فإن قلت فقوله حملته أمه وهنا على و
وهن وفصاله في عامين كيف اعترض به بين المفسر والمفسر قلت لما وصى با
لوالدين ذكر ما تكابده الأم وتعانيه من المشاق والمتاعب في حمله وفصاله هذه المدة
المتطاولة إيجابا للتوصية بالوالدة خصوصا وتذكيرا بحقها العظيم مفردا ومن ثم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قال له من أبر قال أمك ثم أمك ثم قال بعد ذلك ثم أباك وعن بعض العرب أنه
حمل أمه إلى الحج على ظهره وهو يقول في حدائه بنفسه أحمل أمي وهي الحمالة ترضعني الدرة
والعلالة ولا يجازى ظ الغاية التي لا تتجاوز والأمر فيما دون العامين موكول إلى اجتهاد
الأم إن علمت أنه يقوى على الفطام فلها أن تفطمه ويدل عليه قوله عز وجل والوا
لدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وبه استشهد

[هامش: ظ والد فعاله فإن قلت ما معنى التوقيت بالعامين قلت المعنى في توقيته بهذه المدة أنها]

الشافع



الشافعي رضي الله عنه على أن مدة الرضاع سنتان لا يثبت حرمة الرضاع بعد انقضائهما و
هو مذهب أبي يوسف ومحمد رحمهما الله وأما عند أبي حنيفة رحمه الله فمدة الرضاع ثلثون شهرا
وعن أبي حنيفة إن فطمته قبل العامين فاستغنى بالطعام ثم أرضعته لم يكن رضاعا وإن أكل
أكلا ضعيفا لم يستغن به عن الرضاع ثم أرضعته فهو رضاع محرم ﴿يا بني إنها
إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله
لطيف خبير﴾ قرئ مثقال حبة بالنصب والرفع فمن نصب كان الضمير للهنة من الإساءة
أو الإحسان أي إن كانت مثلا في الصغر والقماءة كحبة الخردل فكانت مع صغرها في أخفى
موضع وأحرزه كجوف الصخرة أو حيث كانت في العالم العلوي أو السفلي يأت بها
الله تعالى يوم القيمة فيحاسب بها عاملها إن الله لطيف يتوصل علمه إلى كل خفي خبير عالم بكنهه
وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير بمستقرها ومن قرأ بالرفع كان ضميرا للقصة وإنما
أنث المثقال لإضافته إلى الحبة كما قال ﴿كما شرقت صدر القناة من الدم﴾ وروي أن ابن لقمان
قال له أرأيت الحبة تكون في مقل البحر أي في مغاصه يعلمها الله فقال إن الله يعلم أصغر الأشياء
في أخفى الأمكنة لأن الحبة في الصخرة أخفى منها في الماء وقيل الصخرة هي التي تحت الأرض
وهي السجين يكتب فيها أعمال الكفار وقرئ فتكن بكسر الكاف من وكن الطائر يكن إذا
استقر في وكنته وهي مقره ليلا ﴿يا بني أقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر
واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾ واصبر على ما أصابك يجوز أن يكون عاما
في كل ما يصيبه من المحن وأن يكون خاصا بما يصيبه فيما أمر به من الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر من أذى من يبعثهم على الخير وينكر عليهم الشر إن ذلك مما عزمه الله من

الأمور

اى قطعه قطع ايجاب والزام ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل اى لم يقطعه
بالنية الا ترى الى قوله لمن لم يبيت الصيام ومنه ان الله يحب ان يؤخذ برخصه كما يحب ان يؤخذ
بعزائمه وقولهم عزمة من عزمات ربنا ومنه عزمات الملوك وذلك ان يقول الملك لبعض من تحت
يده عزمت عليك الا فعلت كذا اذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بد من فعله ولا مندوحة
في تركه وحقيقته انه من تسمية المفعول بالمصدر واصله من معزومات الامور اى من
مقطوعاتها ويجوز ان يكون مصدرا في معنى الفاعل اصله من عازمات الامور من قوله
فاذا عزم الامر كقولك جد الامر وصدق القتال وناهيك بهذه الاية مؤذنة بقدم
هذه الطاعات وانها كانت مامورا بها في ساير الامم وان الصلوة لم تزل عظيمة الشان
سابقة القدم على ما سواها موصى بها في ساير الاديان كلها ولا تصعر خدك للناس
ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور تصاعر وتصعر بالتشديد وهو
التخفيف يقال اصعر خده وصعره وصاعره كقولك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى والصعر
والصيد داء يصيب البعير يلوى منه عنقه والمعنى اقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم
شق وجهك وصفحته كما يفعله المتكبرون اراد ولا تمش تمرح مرحا او وقع المصدر موقع
الحال بمعنى مرحا ويجوز ان يريد لا تمش لاجل المرح والاشر اى لا يكن غرضك في المشي
البطالة والاشر كما يمشي كثير من الناس لذلك لا لكفاية مهم ديني او دنيوي ونحوه قوله
ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس والمختال مقابل للماشي
مرحا وكذلك الفخور للمصعر خده كبرا واقصد في مشيك واغضض من صوتك
ان انكر الاصوات لصوت الحمير واقصد في مشيك واعدل فيه حتى يكون مشيا بين
مشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثيب الشطار قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن واما قول عايشة في عمر رضي الله عنهما كان



اذا مشى اسرع فانما ارادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت وقرئ واقصد
بقطع الهمزة اى سدد في مشيك من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية و
اغضض من صوتك وانقص منه واقصر من قولك فلان يغض من فلان اذا قصر به
ووضع منه انكر الاصوات اوحشها من قولك شيء نكر اذا انكرته النفوس و
استوحشت منه ونفرت والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه
ومن استفحاشهم لذكره مجردا وتفاديهم من اسمه انهم يكنون عنه ويرغبون
عن التصريح به فيقولون الطويل الاذنين كما يكنى عن الاشياء المستقذرة وقد
عد في مساوى الاداب ان يجرى ذكر الحمار في مجلس قوم من اولى المروءة ومن العرب
من لا يركب الحمار استنكافا وان بلغت منه الرجلة فتشبيه الرافعين اصواتهم
بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق ثم اخلاء الكلام من لفظ التشبيه واخراجه
مخرج الاستعارة وان جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا مبالغة شديدة في الذم
والتهجين وافراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه وتنبيه على انه
من كراهة الله بمكان فان قلت لم وحد صوت الحمير ولم يجمع قلت ليس المراد ان يذكر
صوت كل واحد من احاد هذا الجنس حتى يجمع وانما المراد ان لكل جنس فوجب
توحيده الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ
عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا
كتاب منير ما في السموات الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك

لتسب

وما في الارض من البحار والانهار والمعادن والدواب وما لا يحصى واسبغ قرئ با
لصاد وهكذا كل سين اجتمع مع الغين والخاء والقاف في سلخ صلخ وفي سقر
صقر وفي سالغ صالغ وقرئ نعمه ونعمة ونعمته فان قلت ما النعمة قلت كل
نفع قصد به الاحسان والله عز وجل خلق العالم كله نعمة لانه اما حيوان واما
غير حيوان فما ليس بحيوان نعمة على الحيوان والحيوان نعمة من حيث ان
ايجاده حيا نعمة عليه لانه لولا ايجاده حيا لما صح منه الانتفاع وكل ما ادى الى
الانتفاع وصححه فهو نعمة فان قلت لم خلق العالم مقصودا به الاحسان قلت لانه
لا يخلقه الا لغرض والا كان عبثا والعبث لا يجوز عليه ولا يجوز ان يكون لغرض راجع
اليه من نفع لانه غني غير محتاج الى المنافع فلم يبق الا ان يكون لغرض يرجع الى الحيوان
وهو نفعه كما قلت فما معنى الظاهرة والباطنة قلت الظاهرة كل ما يعلم بالمشا
هدة والباطنة ما لا يعلم الا بدليل او لا يعلم اصلا فكم في بدن الانسان من نعمة لا
يعلمها ولا يهتدي الى العلم بها وقد اكثروا في ذلك فعن مجاهد الظاهرة ظهور الاسلام
والنصرة على الاعداء والباطنة الامداد من الملائكة وعن ابن عباس الظاهرة الاسلام و
الباطنة الستر وعن الضحاك الظاهرة حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية
الاعضاء والباطنة المعرفة وقيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر
الجوارح الظاهرة والباطنة العقل والقلب والفهم وما اشبه ذلك ويروى في دعاء
موسى صلوات الله عليه الهي دلني على اخفى نعمتك على عبادك فقال اخفى نعمتي عليهم النفس

ويروى





ويروى ان ايسر ما يعذب به اهل النار الاخذ بالانفاس ﴿واذا قيل لهم
اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان الشيطان
يدعوهم الى عذاب السعير﴾ معناه ايتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم
اي في حال دعاء الشيطان اياهم الى العذاب ﴿ومن يسلم وجهه الى الله وهو
محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور﴾ قرأ علي بن
ابي طالب رضي الله عنه ومن يسلم بالتشديد يقال اسلم امرك الى الله فان قلت
ما له عدي بالى وقد عدي باللام في قوله بلى من اسلم وجهه لله قلت معناه
مع اللام انه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله اي خالصا له ومعناه مع
الى انه سلم اليه نفسه كما يسلم المتاع الى الرجل اذا دفع اليه والمراد التوكل
عليه والتفويض اليه فقد استمسك بالعروة الوثقى من باب التمثيل مثلت
حال المتوكل بحال من اراد ان يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بان استمسك با
وثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه والى الله عاقبة الامور اي هي صائرة
اليه ﴿ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم
بذات الصدور نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ﴾ قرئ يحزنك من حزن
واحزن والذي عليه الاستعمال المستفيض احزنه ويحزنه والمعنى لا يهمنك كفر من
كفر وكيده للاسلام فان الله عز وجل دافع كيده في نحره ومنتقم منه ومعاقبه
على عمله ان الله يعلم ما في صدور عباده فيفعل بهم على حسبه نمتعهم زمانا
قليلا

بدنياهم ثم نضطرهم الى عذاب غليظ شبّه الزامهم التعذيب وارهاقهم
اياه باضطرار المضطر الى الشيء الذي لا يقدر على الانفكاك منه والغلظ مستعار
من الاجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل على المعذب ﴿ولئن سألتهم من خلق
السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون لله ما في
السموات والارض ان الله هو الغني الحميد﴾ قل الحمد لله الزام لهم على اقرارهم
بان الذي خلق السموات والارض هو الله وحده وانه يجب ان يكون له الحمد والشكر
وان لا يعبد معه غيره ثم قال بل اكثرهم لا يعلمون ان ذلك يلزمهم واذا نبّهوا عليه
لم ينتبهوا ان الله هو الغني عن حمد الحامدين المستحق للحمد وان لم يحمدوه
﴿ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت
كلمات الله ان الله عزيز حكيم﴾ قرئ والبحر بالنصب عطفا على اسم ان وبالرفع عطفا
على محل ان ومعمولها على ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وثبت البحر ممدودا
بسبعة ابحر او على الابتداء والواو للحال على معنى ولو ان الاشجار اقلام
في حال كون البحر ممدودا وفي قراءة ابن مسعود وبحر يمده على التنكير ويجب
ان يحمل هذا على الوجه الاول وقرئ تمده ويمده بالتاء والياء فان قلت كان
مقتضى الكلام ان يقال ولو ان الشجر اقلام والبحر مداد قلت اغنى عن ذكر
المداد قوله يمده لانه من قولك مدّ الدواة وامدها جعل البحر الاعظم
بمنزلة الدواة وجعل الابحر السبعة مملوءة مدادا فهي تصب فيه مدادها

ابدا



ابدا صبا لا ينقطع والمعنى ولو ان اشجار الارض اقلام والبحر ممدود
بسبعة ابحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته
ونفدت الاقلام والمداد كقوله عز وجل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي
لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي فان قلت زعمت ان قوله والبحر يمده
حال في احد وجهي الرفع وليس فيه ضمير راجع الى ذي الحال قلت هو كقوله
وقد اغتدي والطير في وكناتها وجئت والجيش مصطف وما اشبه ذلك من
الاحوال التي حكمها حكم الظروف ويجوز ان يكون المعنى وبحرها والضمير للارض
فان قلت لم قيل من شجرة على التوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر قلت
اريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر
ولا واحدة الا قد بريت اقلاما فان قلت الكلمات جمع قلة والموضع موضع
التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله قلت معناه ان كلماته لا تفي بكتبتها البحار
فكيف بكلمه وعن ابن عباس انها نزلت جوابا لليهود لما قالوا قد اوتينا التوراة
وفيها كل الحكمة وقيل ان المشركين قالوا ان هذا يعنون الوحي كلام سينفد
فاعلم الله ان كلامه لا ينفد وهذه الآية عند بعضهم مدنية وانها بعد الهجرة
وقيل هي مكية وانما امر اليهود وفد قريش ان يقولوا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ألست تتلو فيما انزل عليك انا قد اوتينا التوراة فيها علم كل شيء ان الله
عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج من علمه وحكمته شيء ومثله لا تنفد كلماته وحكمه

ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير * الا كنفس واحدة الا كخلقها
وبعثها اى سواء فى قدرته القليل والكثير والواحد والجمع لا يتفاوت النفس الواحدة
والنفوس الكثيرة العدد ان لا يشغله شأن عن شأن وفعل عن فعل وقد تعالى عن ذلك
ان الله سميع بصير يسمع كل صوت ويبصر كل مبصر فى حالة واحدة لا يشغله ادراك
بعضها عن ادراك بعض فكذلك الخلق والبعث * ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج
النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى اجل مسمى وان الله بما تعملون خبير
* كل واحد من الشمس والقمر يجرى فى فلكه ويقطعه الى وقت معلوم الشمس الى
آخر السنة والقمر الى آخر الشهر وعن الحسن الاجل المسمى يوم القيمة لانه لا ينقطع
جريهما الا حينئذ دل ايضا بالليل والنهار وتعاقبهما وزيادتهما ونقصانهما وجرى
النيرين فى فلكيهما كل ذلك على تقدير وحساب وباحاطته بجميع اعمال الخلق على عظم قدرته
وحكمته فان قلت يجرى لاجل مسمى ويجرى الى اجل مسمى أهو من تعاقب الحرفين
قلت كلا ولا يسلك هذه الطريقة الا بليد الطبع ضيق العطن ولكن المعنيين
اعنى الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض لان قولك يجرى
الى اجل مسمى معناه يبلغه وينتهى اليه وقولك يجرى لاجل مسمى تريد يجرى لادراك
اجل مسمى تجعل الجرى مختصا بادراك اجل مسمى الا ترى ان جرى الشمس مختص
باخر السنة وجرى القمر باخر الشهر فكلا المعنيين غير ناب به موضعه * ذلك
بان الله هو الحق وان ما تدعون من دونه الباطل وان الله هو العلى الكبير *

ذلك



ذلك الذى وصف من عجائب قدرته وحكمته التى يعجز عنها الاحياء القادرون
العالمون فكيف بالجماد الذى تدعونه من دون الله انما هو بسبب انه هو الحق
الثابت الالهية وان من دونه باطل الالهية وان الله هو العلى الشان الكبير السلطان
او ذلك الذى اوحى اليك من هذه الآيات بسبب بيان ان الله هو الحق وان الها
غيره باطل وان الله هو العلى الكبير عن ان يشرك به * ألم تر أن الفلك تجرى فى
البحر بنعمة الله ليريكم من آياته ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور * قرئ الفلك
بضم اللام وكل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز فى كل فعل فعل على مذهب التعويض
وبنعمات الله بسكون العين وعين فعلات يجوز فيها الكسر والفتح والسكون و
بنعمة الله باحسانه ورحمته صبار على بلائه شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن
فكانه قال ان فى ذلك لآيات لكل مؤمن * واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين
له الدين فلما نجيهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور
* يرتفع الموج ويتراكب فيعود مثل الظلل والظلة كل ما اظلك من جبل او سحاب
او غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال فمنهم مقتصد متوسط فى الكفر
والظلم خفض من غلوائه وانزجر بعض الانزجار او مقتصد فى الاخلاص الذى
كان عليه فى البحر يعنى ~~[illegible]~~ ان ذلك الاخلاص الحادث عند الخوف
لا يبقى لاحد قط والمقتصد قليل نادر وقيل مؤمن قد ثبت على ما عاهد عليه
الله فى البحر والختر اشد الغدر ومنه قولهم انك لا تمد لنا شبرا من غدر الا
مددنا لك باعا من ختر

قال عمر إنك لو رأيت أبا عميس ملأت يديك من غدر وخبث. يا أيها
الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز
عن والده شيئا إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور.
لا يجزي لا يقضي عنه شيئا ومنه قيل للمتقاضي المتجازي وفي الحديث في جذعة ابن نيار
تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وقرئ لا يجزئ لا يغني يقال اجزأت عنك مجزأ
فلان والمعنى لا يجزي فيه فحذف والغرور الشيطان وقيل الدنيا وقيل تمنيكم في
المعصية المغفرة وعن سعيد بن جبير الغرة بالله ان يتمادى الرجل في المعصية و
يتمنى على الله المغفرة وقيل ذكرك لحسناتك ونسيانك لسيئاتك غرة وقرئ بضم
الغين وهو مصدر غره غرورا وجعل الغرور غارا كما قيل جد جده او اريد زينة
الدنيا لانها غرور فان قلت قوله ولا مولود هو جاز عن والده شيئا وارد على
طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه قلت الامر كذلك لان الجملة الاسمية
آكد من الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في مجيئه على
السنن ان الخطاب للمؤمنين وعليتهم قبض آباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلي فاريد
حسم اطماعهم واطماع الناس فيهم ان ينفعوا آباءهم في الآخرة وان يشفعوا لهم
وان يغنوا عنهم من الله شيئا فلذلك جيء به على الطريق الآكد ومعنى التوكيد في لفظ
المولود ان الواحد منهم لو شفع للأب الادنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعته
فضلا ان يشفع لمن فوقه من اجداده لان الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف

المولود

٦٢

فانه لم يولد منك. إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري
نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير. روي
ان رجلا من محارب وهو الحارث بن عمرو بن حارثة اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله اخبرني عن الساعة متى قيامها واني قد القيت حباتي في الارض وقد
ابطأت عنا السماء فمتى تمطر واخبرني عن امرأتي فقد اشتملت ما في بطنها
اذكر ام انثى واني علمت ما عملت امس فما اعمل غدا وهذا مولدي قد عرفته
فاين اموت فنزلت وعن النبي صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية وعن ابن عباس
رضي الله عنهما من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب اياكم والكهانة فان الكهانة تدعو
الى الشرك واهله في النار وعن المنصور انه اهمته معرفة مدة عمره فرأى في منامه
كأن خيالا اخرج يده من البحر واشار اليه بالاصابع الخمس فاستفتى العلماء
في ذلك فتأولوها بخمس سنين وبخمسة اشهر وبغير ذلك حتى قال ابو حنيفة رحمه الله
تأويلها ان مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها الا الله وان ما طلبت معرفته لا سبيل لك
اليه علم الساعة اي زمان مرساها وينزل الغيث في ابانه من غير تقديم ولا تأخير
وفي بلد لا يتجاوزه به ويعلم ما في الارحام اذكر ام انثى اتام ام ناقص وكذلك
ما سوى ذلك من الاحوال وما تدري نفس برة او فاجرة ماذا تكسب غدا من خير
او شر وربما كانت عازمة على خير فعملت شرا وعازمة على شر فعملت خيرا وما
تدري نفس اين تموت وربما اقامت بارض وضربت اوتادها وقالت لا ابرحها

وأقبر فيها فترمي بها مرامي القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها ولا حدثتها
به ظنونها وروي أن ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه
يديم النظر إليه فقال الرجل من هذا فقال ملك الموت فقال كأنه يريدني و
وسأل سليمان صلوات الله عليه وسلم أن يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم
قال ملك الموت لسليمان كان دوام نظري إليه تعجباً منه لأني أمرت أن أقبض روحه
بالهند وهو عندك وجعل العلم لله والدراية للعبد لما في الدراية من معنى
الختل والحيلة والمعنى أنها لا تعرف وإن أعملت حيلها ما يلحق بها ويختص ولا
يتخطاها ولا شيء أخص بالإنسان من كسبه وعاقبته فإذا لم يكن له طريق إلى معرفتهما
كان من معرفة ما عداهما أبعد وقرئ بأية أرض وشبه سيبويه تأنيثها
بتأنيث كل في قولهم كلتهن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
لقمان كان له لقمان رفيقاً يوم القيمة وأعطي من الحسنات عشراً عشراً بعدد
من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

## سورة السجدة مكية وهي ثلثون آية وقيل تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم تنزيل الكتاب
لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتريه بل هو الحق من ربك لتنذر قوماً ما أتيهم
من نذير من قبلك لعلهم يهتدون الم على أنها اسم السورة مبتدأ خبره تنزيل
الكتاب وإن جعلتها تعديداً للحروف ارتفع تنزيل الكتاب بأنه خبر مبتدأ محذوف
أو هو مبتدأ خبره لا ريب فيه والوجه أن يرتفع بالابتداء وخبره من رب العا
لمين ولا ريب فيه اعتراض لا محل له والضمير في فيه راجع إلى مضمون الجملة

كأنه



كأنه قيل لا ريب في ذلك أي في كونه منزلاً من رب العالمين ويشهد لوجاهته قوله
أم يقولون افتريه لأن قولهم هذا مفترى إنكار لأن يكون من رب العالمين وكذلك
قوله بل هو الحق من ربك وما فيه من تقرير أنه من الله وهذا أسلوب صحيح محكم أثبت
أولاً أن تنزيله من رب العالمين وأن ذلك ما لا ريب فيه ثم أضرب عن ذلك إلى قوله أم يقولون
افتريه لأن أم هي المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة إنكاراً لقولهم وتعجيباً منه
لظهور أمره في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه ثم أضرب عن الإنكار إلى إثبات أنه
الحق من ربك ونظيره أن يعلل العالم في المسئلة بعلة صحيحة جامعة قد احترز فيها
من أنواع الاعتراض كقول المتكلمين النظر أول الأفعال الواجبة على الإطلاق التي لا يعرى
عن وجوبها مكلف ثم يعترض عليه فيها ببعض ما وقع احترازه منه فيرده بتلخيص
أنه احترز من ذلك ثم يعود إلى تقرير كلامه وتمشيته فإن قلت كيف نفى أن يرتاب
في أنه من الله وقد أثبت ما هو أبلغ من الريب وهو قولهم افتراه قلت معنى لا ريب
فيه أنه لا مدخل للريب في أنه تنزيل الله لأن نافي الريب ومميطه معه لا ينفك عنه
وهو كونه معجزاً للبشر ومثله أبعد شيء من الريب وأما قولهم افتريه فإما قول
متعنت مع علمه أنه من الله لظهور الإعجاز له أو جاهل يقوله قبل التأمل و
النظر لأنه سمع الناس يقولونه ما أتاهم من نذير من قبلك كقوله ما أنذر آباؤهم
وذلك أن قريشاً لم يبعث الله إليهم رسولاً قبل محمد عليه السلام فإن قلت فإذا لم يأتهم نذير
لم تقم عليهم حجة قلت أما قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها إلا بالرسل فلا وأما قيامها

بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فتنبه لان ادلة العقل الموصلة الى ذلك معهم في كل زمان
لعلهم
يهتدون فيه وجهان ان يكون على الترجي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان لعله يتذكر
على الترجي من موسى وهرون وان يستعار لفظ الترجي للارادة ۞ الله الذي خلق السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع
افلا تتذكرون ۞ فان قلت ما معنى قوله ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع قلت هو على
معنيين احدهما انكم اذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لانفسكم وليا اى ناصرا ينصركم ولا شفيعا
يشفع لكم والثاني ان الله تعالى وليكم الذي يتولى مصالحكم وشفيعكم اى ناصركم على سبيل
المجاز لان الشفيع ينصر المشفوع له فهو كقوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير
فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير ۞ يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه
في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون ۞ الامر المأمور به من الطاعات والاعمال
الصالحة ينزله مدبرا من السماء الى الارض ثم لا يعمل به ولا يصعد اليه ذلك المأمور به
خالصا كما يريده ويرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة عمال الله والخلص من عباده وقلة
الاعمال الصاعدة لانه لا يوصف بالصعود الا الخالص ودل عليه قوله على اثره قليلا
ما تشكرون ۞ او يدبر امر الدنيا كلها من السماء الى الارض لكل يوم من ايام الله
وهو الف سنة كما قال وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ثم يعرج اليه
اى يصير اليه ويثبت عنده ويكتب في صحف ملائكته كل وقت من اوقات هذه المدة ما يرتفع
من ذلك الامر ويدخل تحت الوجود الى ان تبلغ المدة آخرها ثم يدبر ايضا ليوم

اخر



بعنه صح

آخر وهلم جرا الى ان تقوم الساعة وقيل ينزل الوحي مع جبريل من السماء
الى الارض ثم يرجع اليه ما كان من قبول الوحي او رده مع جبريل وذلك في وقت
هو في الحقيقة الف سنة لان المسافة مسيرة الف سنة في الهبوط والصعود لان
ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وهو يوم من ايامكم لسرعة جبريل لانه
يقطع مسيرة الف سنة في يوم واحد وقيل يدبر امر الدنيا من السماء الى الارض
الى ان تقوم الساعة ثم يعرج اليه ذلك الامر كله اى يصير اليه ليحكم فيه في يوم كان
مقداره الف سنة وهو يوم القيامة وقرأ ابن ابي عبلة يعرج على البناء للمفعول
وقرئ تعدون بالتاء والياء ۞ ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذي
احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ۞ احسن كل شيء حسنه لانه
ما من شيء خلقه الا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة واوجبته المصلحة فجميع
المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن واحسن كما قال لقد خلقنا الانسان في
احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن وحقيقته يحسن
معرفته اى يعرفه معرفة حسنة بتحقيق واتقان وقرئ خلقه على البدل اى احسن
خلق كل شيء وخلقه على الوصف اى كل شيء خلقه فقد احسنه ۞ ثم جعل نسله من
سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة قليلا ما تشكرون ۞ سميت الذرية نسلا لانها تنسل منه
اى تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه قولهم للولد سليل ونجل وسواه قومه

كقوله في احسن تقويم وفي اضافة الروح الى ذاته دلالة على انه خلق عجيب لا يعلم كنهه
الا هو كقوله ويسألونك عن الروح الآية كأنه قال ونفخ فيه من الشيء الذي اختص
هو به وبمعرفته وقالوا قيل القائل ابي بن خلف ولرضاهم بقوله اسند
اليهم جميعا وقالوا أئذا ضللنا في الارض أإنا لفي خلق جديد وقرئ أينا
وإنا على الاستفهام وتركه وضللنا صرنا ترابا وذهبنا مختلطين بتراب الارض لا
نتميز منه كما يضل الماء في اللبن او غبنا في الارض بالدفن فيها من قوله وآب
مضلوه بعين جلية وقرأ علي وابن عباس رضي الله عنهم ضللنا بكسر اللام يقال ضل
يضل وضل يضل وقرأ الحسن صللنا من صل اللحم واصل اذا انتن وقيل صرنا من
جنس الصلة وهي الارض فان قلت بم انتصب الظرف في أئذا ضللنا قلت بما يدل
عليه أإنا لفي خلق جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا بل هم بلقاء ربهم كافرون
قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون لقاء ربهم هو الوصول
الى العاقبة من تلقي ملك الموت وما وراءه فلما ذكر كفرهم بالانشاء اضرب عنه الى
الى ما هو ابلغ في الكفر وهو انهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة لا بالانشاء وحده
الا ترى كيف خوطبوا بتوفي ملك الموت وبالرجوع الى ربهم بعد ذلك مبعوثين
للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله عز وجل على ما ذكرنا والتوفي استيفاء
النفس وهي الروح قال الله تعالى الله يتوفى الانفس وقال اخرجوا انفسكم وهو ان
يقبض كلها لا يترك منها شيء من قولك توفيت حقي من فلان واستوفيته اذا اخذته

دانيا



وافيا كملا من غير نقصان والتفعل والاستفعال يلتقيان في مواضع منها تقصيته
واستقصيته وتعجلته واستعجلته وعن مجاهد حويت لملك الموت الارض وجعلت
له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وعن قتادة يتوفاهم ومعه اعوان
من الملائكة وقيل ملك الموت يدعو الارواح فتجيبه ثم يأمر اعوانه بقبضها
ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فار
جعنا نعمل صالحا انا موقنون ولو ترى يجوز ان يكون خطابا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وفيه وجهان ان يراد به التمني كأنه قيل وليتك ترى كقوله صلى الله عليه وسلم
للمغيرة لو نظرت اليها والتمني لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان الترجي له في لعلهم يهتدون
لانه تجرع منهم الغصص ومن عداوتهم وضرارهم فجعل الله له تمني ان يراهم على
تلك الصفة الفظيعة من الحياء والخزي والغم ليشمت بهم وان تكون لو
الامتناعية قد حذف جوابها وهو لرأيت امرا فظيعا او لرأيت اسوأ
حال ترى ويجوز ان يخاطب به كل احد كما تقول فلان لئيم ان اكرمته اهانك
وان احسنت اليه اساء اليك فلا تريد به مخاطبا بعينه فكأنك قلت ان اكرم
وان احسن اليه ولو واذ كلاهما للمضي وانما جاز ذلك لان المترقب من الله بمنزلة
الموجود المقطوع به في تحققه ولا يقدر لترى ما يتناوله كأنه قيل ولو تكون
منك الرؤية واذ ظرف له يستغيثون بقولهم ربنا ابصرنا وسمعنا فلا يغاثون
يعني ابصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك او كنا
عميا

عظيم من الثواب ادخره الله لاولئك واخفاه من جميع خلائقه لا يعلمه الا هو مما تقر به
عيونهم ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمع وراءها ثم قال جزاء بما كانوا يعملون
فحسم اطماع المتمنين وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما
لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اقرأوا ان
شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وعن الحسن اخفى القوم اعمالا
في الدنيا فاخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ● افمن كان مؤمنا كمن كان فا
سقا لا يستوون اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما
كانوا يعملون واما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها
اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ● كان مؤمنا
وكان فاسقا محمولان على لفظ من ولا يستوون محمول على المعنى بدليل قوله اما الذين
امنوا واما الذين فسقوا ونحوه قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا
من عندك وجنات المأوى نوع من الجنان قال الله عز وجل ولقد رآه نزلة اخرى عند
سدرة المنتهى عندها جنة المأوى سميت بذلك لما روي عن ابن عباس قال تأوي اليها
ارواح الشهداء وقيل هي عن يمين العرش وقرئ جنة المأوى على التوحيد نزلا
عطاء باعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار عاما فمأواهم النار اي ملجأهم
ومنزلهم ويجوز ان يراد فجنة مأواهم النار اي النار لهم مكان جنة المأوى للمؤمنين
كقوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم ● ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب
الاكبر لعلهم





● العذاب الادنى عذاب الدنيا من القتل والاسر وما محنوا به من السنة سبع سنين
وعن مجاهد عذاب القبر والعذاب الاكبر عذاب الاخرة اي نذيقهم عذاب الدنيا
قبل ان يصلوا الى الاخرة لعلهم يرجعون اي يتوبون عن الكفر او لعلهم يريدون
الرجوع ويطلبونه كقوله فارجعنا نعمل صالحا وسميت ارادة الرجوع رجوعا كما سميت
ارادة القيام قياما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة ويدل عليه قراءة من قرأ يرجعون
على البناء للمفعول فان قلت من اين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله ارادة
واذا اراد الله شيئا كان ولم يمتنع وتوبتهم مما لا يكون الا ترى انها لو كانت مما يكون لم يكونوا
ذائقين العذاب الاكبر قلت ارادة الله تتعلق بافعاله وافعال عباده فاذا اراد شيئا من
افعاله كان ولم يمتنع للاقتدار وخلوص الداعي واما افعال عباده فاما ان يريدها وهم
مختارون لها او مضطرون اليها بقسره والجائه فان ارادها وقد قسرهم فحكمها حكم افعاله
وان ارادها على ان يختاروها وهو عالم انهم لا يختارونها لم يقدح ذلك في اقتداره كما لا يقدح
في اقتدارك ارادتك ان يختار عبدك طاعتك وهو لا يختارها لان اختياره لا يتعلق بقدرتك
واذا لم يتعلق بقدرتك لم يكن فقده دالا على عجزك وروي في نزولها انه شجر بين علي بن
ابي طالب رضي الله عنه والوليد بن عقبة بن ابي معيط يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت
فانك صبي انا اشب منك شبابا واجلد منك جلدا واذرب منك لسانا واحد منك سنانا
واشجع منك جنانا واملأ منك حشوا في الكتيبة فقال له علي اسكت فانك فاسق فنزلت
عامة للمؤمنين والفاسقين تتناولهما وكل من كان في مثل حالهما وعن الحسن بن علي

رضي الله عنهما أنه قال للوليد كيف تشتم عليا وقد سماه الله مؤمنا في عشر آيات وسماك فاسقا
ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون ثم في قوله ثم أعرض عنها
للاستبعاد والمعنى أن الإعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وإنارتها وإرشادها إلى سواء السبيل
والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل كما تقول لصاحبك وجدت
مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا للترك الانتهاز ومنه ثم في بيت الحماسة لا يكشف الغماء
إلا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها استبعد أن يزور غمرات الموت بعد أن رآها واستيقنها
واطلع على شدتها فإن قلت هلا قيل إنا منه منتقمون قلت لما جعله أظلم كل ظالم ثم توعد
المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل على إصابة الأظلم النصيب الأوفر من الانتقام ولو قاله بالضمير
لم يفد هذه الفائدة ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى
لبني إسرائيل الكتاب للجنس والضمير في لقائه له ومعناه إنا آتينا موسى مثل ما آتيناك من
الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا تك في شك من أنك لقيت مثله ولقيت نظيره
كقوله تعالى فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ونحوه قوله
من لقائه قوله تعالى وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم فقوله تعالى ونخرج له يوم القيمة
كتابا يلقيه منشورا وجعلنا الكتاب المنزل على موسى هدى لقومه وجعلنا منهم أئمة ي
يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة فيما كانوا
فيه يختلفون وجعلنا منهم أئمة يهدون الناس ويدعونهم إلى ما في التورية من دين الله
وشرائعه لصبرهم وإيقانهم بالآيات وكذلك لنجعلن الكتاب المنزل إليك هدى ونورا ولنجعلن
من أمتك أئمة يهدون مثل تلك الهداية لما صبروا عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين وقيل من
لقائك موسى ليلة الإسراء أو يوم القيمة وقيل من لقاء موسى الكتاب أي من تلقيه له بالرضا والقبول
وقرئ

وقرئ لما صبروا أي لصبرهم وعن الحسن صبروا عن الدنيا وقيل إنما جعل الله
التورية هدى لبني إسرائيل خاصة ولم يتعبد بما فيها ولد إسمعيل إن ربك هو يفصل
بينهم يقضي فيميز المحق من المبطل أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون
يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون الواو في أولم يهد للعطف
على معطوف عليه منوي من جنس المعطوف والضمير في لهم لأهل مكة وقرئ بالنون
والياء والفاعل ما دل عليه كم أهلكنا لا كم لأن كم لا تقع فاعلة لا يقال جاءني كم رجل تقديره
أولم يهد لهم كثرة إهلاكنا للقرون أو هذا الكلام كما هو بمضمونه ومعناه كقوله تعالى
نعصم لا إله إلا الله الدماء والأموال ويجوز أن يكون فيه ضمير الله بدلالة القراءة
بالنون والقرون عاد وثمود وقوم لوط يمشون في مساكنهم يعني أهل مكة يمرون
في متاجرهم على ديارهم وبلادهم وقرئ يمشون بالتشديد أولم يروا أنا نسوق
الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون
الجرز الأرض التي جرز نباتها أي قطع إما لعدم الماء وإما لأنه رعي و
أزيل ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله فنخرج به
زرعا وعن ابن عباس أنها أرض اليمن وعن مجاهد هي أبين به بالماء تأكل
منه من الزرع أنعامهم من عصفه وأنفسهم من حبه وقرئ يأكل بالياء ويقولون
متى هذا الفتح إن كنتم صادقين الفتح النصر أو الفصل بالحكومة من قوله تعالى ربنا
افتح بيننا وكان المسلمون يقولون إن الله سيفتح لنا على المشركين أو
يفتح

بيننا وبينهم فاذا سمع المشركون قالوا متى هذا الفتح اى فى اى وقت يكون ان كنتم صادقين
فى انه كائن ويوم الفتح يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم
ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة
قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون فان قلت قد سألوا
عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام جوابا على سؤالهم قلت كان غرضهم
فى السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء فاجيبوا
على حسب ما عرف من غرضهم فى سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزؤا
فكأنى بكم وقد حصلتم فى ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الايمان واستنظرتم فى ادراك
العذاب فلم تنظروا فان قلت فمن فسره بيوم الفتح او بيوم بدر كيف يستقيم
على تفسيره انه لا ينفعهم الايمان وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم بدر قلت
المراد ان المقتولين منهم لا ينفعهم ايمانهم فى حال القتل كما لم ينفع فرعون ايمانه عند
ادراك الغرق فاعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون وانتظر النصرة عليهم وهلا
كهم انهم منتظرون الغلبة عليكم وهلاككم كقوله فتربصوا انا معكم متربصون
وقرأ ابن السميفع منتظرون بفتح الظاء ومعناه وانتظر هلاكهم فانهم احقاء
بان ينتظر هلاكهم يعنى انهم هالكون لا محالة او وانتظر ذلك فان الملائكة فى السماء
ينتظرونه قال رسول الله صلعم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذى بيده الملك اعطى من الاجر
كانما احيا ليلة القدر وقال من قرأ الم تنزيل فى بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلثة ايام

سورة





## سورة الاحزاب مدنية وهى ثلث وسبعون اية و[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين و
المنافقين ان الله كان عليما حكيما واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون
خبيرا عن زر قال قال لى ابى بن كعب كم تعدون سورة الاحزاب قلت ثلثا وسبعين
آية قال فوالذى يحلف به ابى بن كعب ان كانت لتعدل سورة البقرة
او اطول ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة
نكالا من الله والله عزيز حكيم اراد ابى رضى الله عنه ان ذلك من جملة ما نسخ من القرآن
واما ما يحكى ان تلك الزيادة كانت فى صحيفة فى بيت عائشة رضى الله عنها فاكلتها الداجن
فمن تأليفات الملاحدة والروافض جعل نداءه بالنبى والرسول فى قوله يا ايها
النبى اتق الله يا ايها النبى لم تحرم يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك وترك نداءه
باسمه كما قال يا آدم يا موسى يا عيسى يا داود كرامة له وتشريفا وتنويها
بفضله فان قلت ان لم يوقع اسمه فى النداء فقد اوقعه فى الاخبار فى قوله محمد رسول الله
وما محمد الا رسول قلت ذاك لتعليم الناس بانه رسول الله وتلقين لهم ان يسموه بذلك
ويدعوه به فلا تفاوت بين النداء والاخبار الا ترى الى ما لم يقصد به التعليم و
التلقين من الاخبار كيف ذكره بنحو ما ذكره فى النداء لقد جاءكم رسول من انفسكم
وقال الرسول يا رب لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة والله ورسوله احق ان يرضوه
النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم ان الله وملائكته يصلون على النبى ولو كانوا يؤمنون
بالله والنبى اتق الله واظب على ما انت عليه من التقوى واثبت عليه وازدد منه وذلك لان

التقوى

يا رب لا يبلغ آخره ولا تطع الكافرين والمنافقين لا تساعدهم على شيء ولا تقبل لهم رأياً ولا
مشورة وجانبهم واحترس منهم فإنهم أعداء الله وأعداء المؤمنين لا يريدون إلا
المضارة والمضادة وروي أن رسول الله صلعم لما هاجر إلى المدينة وكان يحب إسلام
اليهود قريظة والنضير وبني قينقاع وقد بايعه ناس منهم على النفاق فكان يلين لهم جانبه
ويكرم صغيرهم وكبيرهم وإذا أتى منهم قبيح تجاوز عنه وكان يسمع منهم فنزلت وروي
أن أبا سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي قدموا عليه في الموادعة
التي كانت بينه وبينهم وقام معهم عبد الله بن أبي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا
لرسول الله صلعم ارفض ذكر آلهتنا وقل إنها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق
ذلك على رسول الله صلعم وعلى المؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت أي اتق الله في نقض العهد
ونبذ الموادعة ولا تطع الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا
إليك وروي أن أهل مكة دعوا رسول الله صلعم إلى أن يرجع عن دينه ويعطوه شطر أموالهم
وأن يزوجه شيبة بن ربيعة بنته وخوفه منافقوا المدينة أنهم يقتلونه إن لم يرجع فنزلت
إن الله كان عليماً بالصواب من الخطأ والمصلحة من المفسدة حكيماً لا يفعل شيئاً ولا يأمر
إلا بداعي الحكمة ● وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً ● واتبع ما يوحى إليك في ترك طاعة
الكافرين والمنافقين وغير ذلك إن الله الذي يوحي إليك خبير بما تعملون فموح إليك ما
يصلح به أعمالكم فلا حاجة بكم إلى الاستماع من الكفرة وقرئ يعملون بالياء أي بما يعمل المنافقون
من كيدهم لكم ومكرهم بكم وتوكل على الله وأسند أمرك إليه وكله إلى تدبيره وكفى به حافظاً
موكولاً إليه كل أمر ● ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون

منهن



منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو
يهدي السبيل ● ما جمع الله قلبين في جوف ولا زوجية وأمومة في امرأة ولا بنوة و
دعوة في رجل والمعنى أن الله سبحانه كما لم ير في حكمته أن يجعل للإنسان قلبين لأنه
لا يخلو إما أن يفعل بأحدهما مثل ما يفعل بالآخر من أفعال القلوب فأحدهما
فضلة غير محتاج إليها وإما أن يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك فذلك يؤدي إلى
اتصاف الجملة بكونه مريداً كارهاً عالماً ظاناً موقناً شاكاً في حالة واحدة لم ير أيضاً
أن تكون المرأة الواحدة أماً لرجل زوجاً له لأن الأم مخدومة مخفوض لها جناح
الذل والزوجة مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش وغيره كالمملوكة وهما حالتان
متنافيتان وأن يكون الرجل الواحد دعياً لرجل وابناً له لأن البنوة أصالة في
النسب وعراقة فيه والدعوة إلصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع في الشيء الواحد
أن يكون أصيلاً غير أصيل وهذا مثل ضربه الله في زيد بن حارثة وهو رجل
من كلب سبي صغيراً وكانت العرب في جاهليتها يتغاورون ويتسابون فاشتراه
حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلعم وهبته له وطلبه أبوه
وعمه فخير فاختار رسول الله صلعم فأعتقه وكانوا يقولون زيد بن محمد فأنزل
الله عز وجل هذه الآية وقوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وقيل كان أبو معمر رجلاً
من أحفظ العرب وأرواهم فقيل له ذو القلبين وقيل جميل بن أسد الفهري وكان يقول
إن لي قلبين أفهم بأحدهما أكثر مما يفهم محمد فروي أنه انهزم يوم بدر فمر بأبي

سفيان وهو معلق احدى نعليه بيده والاخرى في رجله فقال له ما فعل الناس
فقال هم ما بين مقتول وهارب فقال له ما بال احدى نعليك في رجلك والاخرى في يدك
فقال ما ظننت الا انهما في رجلي فاكذب الله قوله وقولهم وضربه مثلا في الظهار والتبني
وعن ابن عباس كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان فاكذبهم الله وقيل سها في صلوته
فقالت اليهود له قلبان قلب مع اصحابه وقلب معكم وعن الحسن نزلت في ان الواحد
يقول نفس تامرني ونفس تنهاني والتنكير في رجل وادخال من الاستغراقية
على قلبين تاكيدان لما قصد من المعنى كانه قال ما جعل الله لامة الرجال ولا لواحد
منهم قلبين البتة في جوفه فان قلت اي فايدة في ذكر الجوف قلت الفايدة فيه كا
لفايدة في قوله القلوب التي في الصدور وذلك ما يحصل للسامع من زيادة التصور
والتجلي للمدلول عليه لانه اذا سمع به صور لنفسه جوفا يشتمل على قلبين فكان
اسرع الى الانكار وقرئ اللاي بياء وهمزة مكسورتين واللاي بياء ساكنة بعد
الهمزة وتظاهرون من ظاهر وتظاهرون من اظاهر بمعنى تظاهر وتظهرون من
اظهر بمعنى تظهر وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون
من ظهر بلفظ فعل من الظهور ومعنى ظاهر من امراته قال لها انت علي كظهر امي
ونحوه في العبارة عن اللفظ لبى المحرم اذا قال لبيك وافف الرجل اذا قال اف واخوات
لهن فان قلت فما وجه تعديته بمن قلت كان الظهار طلاقا عند اهل الجا
هلية فكانوا يتجنبون المراة المظاهر منها كما يتجنبون المطلقة فكان قولهم

تظاهر



تظاهر منها تباعد منها بجهة الظهار وتظهر منها تحرز منها وظاهر
منها حاذر منها وظهر منها وحش منها وظهر منها خلص منها ونظيره آلى من امراته
لما ضمن معنى التباعد منها عدي بمن والا فآلى في اصله الذي هو معنى حلف واقسم
ليس هذا بحكمه فان قلت ما معنى قولهم انت علي كظهر امي قلت ارادوا ان يقولوا
انت علي حرام كبطن امي فكنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذي ذكره
يقارب ذكر الفرج وانما جعلوا الكناية عن البطن بالظهر لانه عمود البطن ومنه
حديث عمر يجيء به احدهم على عمود بطنه اراد على ظهره ووجه اخر وهو ان
اتيان المراة وظهرها الى السماء كان محرما عندهم محظورا وكان اهل المدينة
يقولون اذا اتيت المراة ووجهها الى الارض جاء الولد احول فلقصد المطلق
منهم الى التغليظ في تحريم امراته عليه شبهها بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعله
ظهر امه فلم يترك فان قلت الدعي فعيل بمعنى مفعول وهو الذي يدعى ولدا
فماله جمع على افعلاء وبابه ما كان منه بمعنى فاعل كتقي واتقياء وشقي واشقياء
ولا يكون ذلك في نحو رمي وسمي قلت ان شذوذه عن القياس كشذوذ قتلاء واسراء
والطريق في مثل ذلك التشبيه اللفظي ذلكم النسب هو قولكم بافواهكم هذا ابني لا غير
ان يواطئه اعتقاد لصحته وكونه حقا والله عز وجل لا يقول الا ما هو حق ظاهره
وباطنه ولا يهدي الا سبيل الحق ثم قال ما هو الحق وهدى الى ما هو سبيل الحق وهو
قوله ادعوهم لآبائهم وبين ان دعاءهم لآبائهم هو ادخل الامرين في القسط والعدل

وفي فصل هذه الجمل ووصلها من الحسن والفصاحة ما لا يغبى على عالم بطرق النظم وقرأ
قتادة وهو الذي يهدي السبيل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا
آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما
تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما وقيل كان الرجل في الجاهلية إذا أعجبه
جلد الرجل وظرفه ضمه إلى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من أولاده من ميراثه
وكان ينسب إليه فيقال فلان ابن فلان فإن لم تعلموا لهم آباء تنسبونهم إليهم فهم إخوانكم
في الدين وأولياؤكم في الدين فقولوا هذا أخي وهذا مولاي ويا أخي ويا مولاي يريد
الأخوة في الدين والولاية فيه ما تعمدت في محل الجر عطفا على ما أخطأتم ويجوز أن يكون
مرتفعا على الابتداء والخبر محذوف تقديره ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح والمعنى
لا إثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل ورود النهي ولكن الإثم فيما تعمدتموه
بعد النهي أو لا إثم عليكم إذا قلتم لولد غيركم يا بني على سبيل الخطأ وسبق اللسان
ولكن إذا قلتموه متعمدين ويجوز أن يراد العفو عن الخطأ دون العمد على طريق العموم
كقوله عم ما أخشى عليكم الخطأ ولكن أخشى عليكم العمد وقوله عم
وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه ثم تناول لعمومه خطأ التبني
وعمده فإن قلت فإذا وجد التبني فما حكمه قلت إذا كان المتبنى مجهول النسب وأصغر
سنا من المتبني ثبت نسبه منه وإن كان عبدا له عتق مع ثبوت النسب وإن كان لا
يولد مثله لمثله لم يثبت النسب ولكنه يعتق عند أبي حنيفة وعند صاحبيه لا يعتق



وأما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبني وإن كان عبدا عتق وكان الله
غفورا رحيما لعفوه عن الخطأ وعن العمد إذا تاب العامد النبي
أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم
أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا
إلى أوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا النبي أولى بالمؤ
منين
في كل شيء من أمور الدين والدنيا من أنفسهم ولهذا أطلق ولم يقيد
فيجب عليهم أن يكون أحب إليهم من أنفسهم وحكمه أنفذ عليهم من حكمها
وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها وأن
يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه إذا أعضل خطب ووقاءه إذا
لقحت حرب وأن لا يتبعوا ما تدعوهم إليه نفوسهم ولا ما تصرفهم عنه
ويتبعوا كل ما دعاهم إليه رسول الله صلعم وصرفهم عنه لأن كل ما دعا إليه
فهو إرشاد لهم إلى نيل النجاة والظفر بسعادة الدارين وما صرفهم عنه
فأخذ بحجزهم لئلا يتهافتوا فيما يرمي بهم إلى الشقاوة وعذاب النار أو
هو أولى بهم على معنى أنه أرأف بهم وأعطف عليهم وأنفع لهم كقوله
بالمؤمنين رؤوف رحيم وعن النبي صلعم ما من مؤمن إلا أنا أولى به في الدنيا
والآخرة اقرؤوا إن شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فأيما مؤمن هلك
وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا وإن ترك دينا أو ضياعا فإلي وفي

النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وهو اب لهم وقال مجاهد كل نبي فهو ابو
امته ولذلك صار المؤمنون اخوة لان النبي صلعم ابوهم في الدين وازواجه امها
تهم تشبيه لهن بالامهات في حق بعض الاحكام وهو وجوب تعظيمهن وا
حترامهن وتحريم نكاحهن قال الله تعالى ولا تنكحوا ازواجه من بعده ابدا و
هن فيما وراء ذلك بمنزلة الاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنا
امهات النساء تعني انهن انما كن امهات الرجال لكونهن محرمات عليهم كتحريم
امهاتهم والدليل على ذلك ان هذا التحريم لم يتعد الى بناتهن ولذلك لم يثبت
لهن سائر احكام الامهات كان المسلمون في صدر الاسلام يتوارثون بالولاية
في الدين وبالهجرة لا بالقرابة كما كانت تتألف قلوب قوم باسهام لهم في الصد
قات ثم نسخ ذلك لما دجا الاسلام وعز اهله وجعل التوارث بحق القرابة في
كتاب الله في اللوح او فيما اوحى الله الى نبيه وهو هذه الآية او في آية المواريث او
فيما فرض الله كقوله كتاب الله عليكم من المؤمنين والمهاجرين يجوز ان يكون بيانا
لاولي الارحام اي الاقرباء من هؤلاء بعضهم اولى بان يرث بعضا من الاجانب ويجوز
ان يكون لابتداء الغاية اي اولو الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق
الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة فان قلت مم استثني ان تفعلوا قلت
من اعم العام في معنى النفع والاحسان كما تقول العرب القريب اولى من الاجنبي
الا في الوصية تريد انه احق منه في كل نفع من ميراث وهدية وهبة وصدقة وغير

ذلك



ذلك الا في الوصية والمراد بفعل المعروف الوصية لانه لا وصية لوارث وعدي
تفعلوا بالى لانه في معنى تسدوا وتزلوا والمراد بالاولياء المؤمنون والمها جرون
للولاية في الدين ذلك اشارة الى ما ذكر في الآيتين جميعا وتفسير الكتاب بما
مر آنفا والجملة مستانفة كالخاتمة لما ذكر من الاحكام ● واذ اخذنا من
النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى ابن مريم و
اخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسئل الصادقين عن صدقهم واعد للكافرين
عذابا اليما ● واذكر حين اخذنا من النبيين جميعا ميثاقهم بتبليغ
الرسالة والدعاء الى الدين القيم ومنك خصوصا ومن نوح وابرهيم
وموسى وعيسى وانما فعلنا ذلك ليسئل الله يوم القيمة عند
تواقف الاشهاد المؤمنين الذين صدقوا عهدهم ووفوا به من
جملة من اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى عن صدقهم عهدهم
وشهادتهم فيشهد لهم الانبياء بانهم وفوا عهدهم وشهادتهم
او ليسئل الصادقين لان من قال للصادق صدقت كان صادقا في قوله
او ليسئل الانبياء ما الذي اجابتهم به اممهم وتاويله مسئلة الرسل
تبكيت الكافرين بهم كقوله لعيسى ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين
من دون الله فان قلت لم قدم رسول الله صلعم على نوح فمن بعده قلت هذا
العطف لبيان فضيلة الانبياء الذين هم مشاهيرهم وذراريهم فلما كان
محمد صلى الله عليه وسلم

افضل هؤلاء المفضلين قدم عليهم لبيان انه افضلهم ولولا ذلك لتقدم
من قدمه زمانه فان قلت فقد قدم عليه نوح في الاية هي اخت هذه الاية
وهو قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك ثم قدم على
غيره قلت مورد هذه الاية على طريقة خلاف طريقة تلك وذلك ان الله عز وجل
انما اوردها لوصف دين الاسلام بالاصالة والاستقامة فكانه قال شرع لكم
الدين الاصيل الذي بعث عليه نوح في العهد القديم وبعث عليه
محمد خاتم النبيين في العهد الحديث وبعث عليه من توسط بينهما من
الانبياء المشاهير وان قلت فماذا اراد بالميثاق الغليظ قلت اراد به
ذلك الميثاق بعينه معناه واخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقا غليظا والغلظ
استعارة من وصف الاجرام والمراد عظم الميثاق وجلالة شانه في بابه
وقيل الميثاق الغليظ اليمين بالله على الوفاء بما حملوا فان قلت علام
عطف قوله واعد للكافرين قلت على اخذنا من النبيين لان المعنى ان الله
اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين واعد للكافرين
عذابا اليما او على ما دل عليه ليسأل الصادقين كانه قال فاثاب المؤمنين
واعد للكافرين ● يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جا
ءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون
بصيرا ● اذكروا ما انعم الله به عليكم يوم الاحزاب وهو يوم الخندق اذ

جاءتكم



اذ جاءتكم جنود وهم الاحزاب فارسل الله عليهم ريح الصبا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وجنودا لم تروها وهم الملائكة وكانوا
الفا بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاحصرتهم وسفت التراب
في وجوههم وامر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب واطفأت
النيران واكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم
الرعب وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الاسدي
اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء فانهزموا من غير قتال وحين
سمع [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة اشار عليه بذلك
سلمان الفارسي رضي الله عنه ثم خرج في ثلثة الاف من المسلمين فضرب معسكره
والخندق بينه وبين القوم وامر بالنساء والذراري فرفعوا في الاطام
واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من المنافقين حتى قال
معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لا نقدر ان نذهب
الى الغائط وكانت قريش قد اقبلت في عشرة الاف من الاحابيش وبني
كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان وخرج غطفان في الف ومن تابعهم
من اهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم
اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا
الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله النصر تعلمون قريبا بالتاء والياء ● اذ جاؤ

من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون
بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا من فوقكم من اعلى
الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم من اسفل الوادي من قبل
المغرب قريش تحزبوا وقالوا سنكون جملة واحدة حتى نستأصل محمدا اذ زاغت
الابصار مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل
شيء فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع الحنجرة رأس الغلصمة وهي
منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا اذا انتفخت الرئة
من شدة الفزع او الغضب او الغم الشديد ربت وارتفع القلب بارتفاعها
الى رأس الحنجرة ومن ثمة قيل للجبان انتفخ سحره ويجوز ان يكون ذلك
مثلا في اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة وتظنون بالله
الظنونا خطاب للذين آمنوا ومنهم الثبت القلوب والاقدام والضعاف القلوب
الذين هم على حرف والمنافقون الذين لم يوجد منهم الايمان الا بألسنتهم
فظن الاولون بالله انه يبتليهم ويفتنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال و
الآخرون ظنوا بالله ما حكي عنهم وعن الحسن ظنوا ظنونا مختلفة ظن
المنافقون ان المسلمين يستأصلون وظن المؤمنون انهم يبتلون وقرئ
الظنون بغير الف في الوقف وهو القياس وزيادة الف في الحقيقة الوقف
زادوها في الفاصلة كما زادوها في القافية من قال اقلي اللوم عاذل والعتابا كذلك





الرسولا والسبيلا للتنبيه في الامام بالالف وعن ابي عمرو وحمزة تركها زلزلوا وقرئ زلزالا
بالفتح والمعنى ان الخوف وازعجهم اشد الازعاج واذ يقول المنافقون والذين
في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا الا غرورا قيل قائله معتب حين رأى
الاحزاب قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا
ما هذا الا وعد غرور واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا
ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون
الا فرارا طائفة منهم اوس بن قيظي ومن وافقه على رأيه وعن السدي عبد
الله بن ابي واصحابه ويثرب اسم المدينة وقيل ارض وقعت المدينة في ناحية
منها لا مقام لكم قرئ بضم الميم وفتحها اي لا قرار لكم ههنا ولا مكان تقيمون فيه
او تقومون فارجعوا الى المدينة امروهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقيل قالوا لهم ارجعوا كفارا او اسلموا اي سلموا فليست يثرب لكم بمكان
قرئ عورة بسكون الواو وكسرها فالعورة الخلل والعورة ذات العورة يقال
عور المكان عورا اذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو والسارق ويجوز ان يكون
عورة تخفيف عورة اعتذروا ان بيوتهم معرضة للعدو ممكنة للسارق لانها
غير حريزة ولا محصنة فاستأذنوه ليحصنوها ثم يرجعون اليه فاكذبهم الله بانهم
لا يخافون ذلك وانما يريدون الفرار ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا
الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا ولو دخلت عليهم المدينة وقيل بيوتهم

من قولك دخلت على فلان داره من اقطارها من جوانبها يعني ولو دخلت هذه
العساكر المتحزبة التي يفرون خوفا منها مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها
وانثالت على اهاليهم واولادهم ناهبين سابين ثم سئلوا عند ذلك
الفزع وتلك الرجفة الفتنة اي الردة والرجعة الى الكفر ومقاتلة
المسلمين لآتوها لجاؤها وفعلوها وقرئ لاتوها لاعطوها
وما تلبثوا بها وما البثوا اعطاءها الا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف
او ما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم الا يسيرا فان الله يهلكهم والمعنى انهم يتعللون
باعوار بيوتهم ويتمحلون ليفروا عن نصرة رسول الله صلعم والمؤمنين وعن مصافة
الاحزاب الذين ملأوهم هولا ورعبا وهؤلاء الاحزاب كما هم لو كبسوا عليهم ارضهم
وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا اليه وما تعللوا بشيء
وما ذاك الا لمقتهم الاسلام وشدة بغضهم لاهله وحبهم الكفر وتهالكهم على حزبه ولقد
كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وكان عهد الله مسئولا عن ابن عباس
عاهدوا رسول الله صلعم ليلة العقبة ان يمنعوه مما يمنعون منه انفسهم وقيل
هم قوم غابوا عن بدر فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن وعن محمد بن اسحق
عاهدوا يوم احد ان لا يفروا بعد ما نزل فيهم ما نزل مسئولا مطلوبا مقتضى
حتى يوفى به قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون
الا قليلا لن ينفعكم الفرار مما لا بد لكم من نزوله بكم من حتف انف او قتل وان

ينفعكم



ينفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع الا زمانا قليلا وعن بعض
المروانية انه مر بحائط مائل فاسرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب
قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة ولا يجدون لهم
من دون الله وليا ولا نصيرا فان قلت كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة
ولا عصمة الا من السوء قلت معناه او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام
واجري مجرى قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في العصمة
من معنى المنع قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا
يأتون البأس الا قليلا المعوقين المثبطين عن رسول الله وهم المنافقون كانوا يقولون
لاخوانهم من ساكني المدينة من انصار رسول الله صلعم ما محمد واصحابه الا اكلة
رأس ولو كانوا لحما لالتهمهم ابو سفين واصحابه فخلوهم وهلموا الينا اي
قربوا انفسكم الينا وهي لغة اهل الحجاز يسوون فيه بين الواحد والجماعة
واما تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال وهو صوت سمي به فعل متعد مثل احضر
وقرب قل هلم سمها الا اتيانا قليلا يخرجون مع المؤمنين يوهمونهم انهم معهم
ولا تراهم يبارزون ويقاتلون الا شيئا قليلا اذا اضطروا اليه كقوله ما قاتلوا
الا قليلا اشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم
كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد اشحة
على الخير اولئك لم يؤمنوا فاحبط الله اعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا اشحة

صح

الا قليلا ونحو

عليكم في وقت الحرب اضناء بكم يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب عنه المناضل
دونه عند الخوف ينظرون اليك في تلك الحالة كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات
الموت حذرا وخورا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم ووقعت
القسمة نقلوا ذلك الشح وتلك الضنة والرفرفة عليكم الى الخير وهو المال والغنيمة
ونسوا تلك الحالة الاولى واجترؤا عليكم وضربوكم بالسنتهم وقالوا وفروا قسمتنا
فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه ونصب اشحة
على الحال او على الذم وقرئ اشحة بالرفع وصلقوكم بالصاد فان قلت هل يثبت للمنافق
عمل حتى يرد عليه الاحباط قلت لا ولكنه تعليم لمن عسى يظن ان الايمان باللسان
ايمان وان لم يواطئه القلب وان ما يعمل المنافق من الاعمال يجدي عليه فبين ان ايمانه
ليس بايمان وان كل عمل يوجد منه باطل وفيه بعث على اتقان المكلف اساس امره وهو
الايمان الصحيح وتنبيه على ان الاعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء على غير
اساس وانها مما يذهب عند الله هباء منثورا فان قلت ما معنى قوله وكان ذلك
على الله يسيرا وكل شيء عليه يسير قلت معناه ان اعمالهم حقيقة بالاحباط تدعو اليه
الدواعي ولا يصرف عنه صارف ● يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يات الاحزاب
يودوا لو انهم بادون في الاعراب يسئلون عن انبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا
الا قليلا ● يحسبون ان الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا فانصرفوا عن الخندق
الى المدينة راجعين لما نزل بهم من الخوف الشديد ودخلهم من الجبن المفرط

وان



وان يات الاحزاب كرة ثانية تمنوا لخوفهم مما منوا به هذه الكرة انهم خارجون
الى البدو وحاصلون بين الاعراب يسئلون كل قادم منهم من جانب المدينة
عن اخباركم وعما جرى عليكم ولو كانوا فيكم ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال
ما قاتلوا الا تعلة رياء وسمعة وقرئ بدى على فعل جمع باد كغاز وغزى
وفي رواية صاحب الاقليد بدا بوزن عدى ويتساءلون اي يتساءلون الاعراب
كما تقول رايت الهلال وتراءيناه كان عليكم ان تواسوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بانفسكم
فتوازروه وتثبتوا معه كما اساكم بنفسه في الصبر على الجهاد والثبات في مرحى الحرب حتى كسرت
رباعيته يوم احد وشج وجهه ● لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو
الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا ● فان قلت فما حقيقة قوله لقد كان لكم في
رسول الله اسوة حسنة وقرئ اسوة بالضم قلت فيه وجهان احدهما انه في نفسه
اسوة حسنة اي قدوة وهو المؤتسى به اي المقتدى به كما تقول في البيضة
عشرون منا حديدا اي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد والثاني ان فيه خصلة
من حقها ان يؤتسى بها وتتبع وهي المواساة بنفسه لمن كان يرجو الله
بدل من لكم كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم يرجو الله واليوم
من قولك رجوت زيدا وفضله اي فضل زيد او يرجو ايام الله واليوم الاخر
خصوصا والرجاء بمعنى الامل او الخوف وذكر الله كثيرا وقرن الرجاء بالطاعات
الكثيرة والتوفر على الاعمال الصالحة والمؤتسى برسول الله صلى الله عليه وسلم

اسوة

من كان كذلك وعدهم الله ان يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه في قوله ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ولما رأى المؤمنون الاحزاب
قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما
فلما جاء الاحزاب وشخص بهم واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد قالوا هذا
ما وعدنا الله ورسوله وايقنوا بالجنة والنصر وعن ابن عباس رض قال النبي صلى الله عليه
وسلم لاصحابه ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا او عشرا اي في آخر تسع ليال او عشر فلما
رأوهم اقبلوا للميعاد قالوا ذلك وهذا اشارة الى الخطب او البلاء ايمانا بالله
وبمواعيده وتسليما لقضاياه واقداره من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزي الله الصادقين
بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما
نذر رجال من الصحابة انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلعم ثبتوا وقاتلوا
حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو
بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وغيرهم فمنهم من قضى نحبه يعني حمزة ومصعبا و
منهم من ينتظر يعني طلحة وعثمان وفي الحديث من احب ان ينظر الى شهيد يمشي
على وجه الارض فلينظر الى طلحة فان قلت ما قضاء النحب قلت وقع عبارة عن
الموت لان كل حي لا بد له من ان يموت فكأنه نذر لازم في رقبته فاذا مات فقد
قضى نحبه اي نذره وقوله فمنهم من قضى نحبه يحتمل موته شهيدا ويحتمل
وفاءه بنذره من الثبات مع رسول الله صلعم فان قلت فما حقيقة قوله صدقوا
ما عاهدوا الله عليه قلت يقال صدقني اخوك وكذبني اذا قال لك الصدق والكذب
واما المثل صدقني سن بكره فمعناه صدقني في سن بكره بطرح الجار وايصال الفعل

فلا



فلا تخلو اما عاهدوا الله عليه اما ان يكون بمنزلة السن في طرح الجار واما ان يجعل
المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كأنهم قالوا للمعاهد عليه سنفي بك وهم وفوا
به فقد صدقوه ولو كانوا ناكثين لكذبوه ولكان مكذوبا وما بدلوا العهد
ولا غيروه لا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة ولقد ثبت طلحة مع رسول الله
صلعم يوم احد حتى اصيبت يده فقال رسول الله صلعم اوجب طلحة وفيه تعريض
بمن بدلوا من اهل النفاق ومرض القلوب جعل المنافقون كأنهم قصدوا
عاقبة السوء وارادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق
بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبة من الثواب والعقاب فكأنهما
استويا في طلبهما والسعي لتحصيلهما ويعذبهم ان شاء اذا لم يتوبوا
او يتوب عليهم اذا تابوا ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا
خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا ورد الذين
كفروا الاحزاب بغيظهم مغتاظين كقوله تنبت بالدهن لم ينالوا خيرا
غير ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب ويجوز ان يكون الثانية
بيانا للاولى او استئنافا وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة وانزل
وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم
الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم
وارضا لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديرا وانزل الذين ظاهروا الاحزاب

من أهل الكتاب من صياصيهم من حصونهم والصيصية ما تحصن به يقال لقرن
الثور والظبي صيصية ولشوكة الديك وهي مخلبه التي في ساقه لأنه يتحصن
بها روي أن جبرئيل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الأحزاب
ورجع المسلمون إلى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه الحيزوم والغبار
على وجه الفرس وعلى السرج فقال ما هذا يا جبرئيل قال من متابعة قريش فجعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال
يا رسول الله إن الملائكة لم تضع السلاح إن الله يأمرك بالمسير إلى بني قريظة و
أنا عامد إليهم فإن الله تعالى داقهم دق البيض على الصفا وإنهم لكم طعمة فأذن
في الناس أن من كان سامعا مطيعا فلا يصلي العصر إلا في بني قريظة فما صلى كثير
من الناس العصر إلا بعد العشاء الآخرة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم خمسا وعشرين
ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون على حكمي فأبوا فقال على حكم
سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم
ونساؤهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ثم استنزلهم
وخندق في سوق المدينة خندقا وقدمهم فضرب أعناقهم وهم من ثمانمائة إلى تسعمائة
وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة أسير وقرئ الرعب بسكون العين وضمها وتأسرون
بضم السين وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الأنصار فقالت
الأنصار في ذلك فقال إنكم في منازلكم وقال عمر أما تخمس كما خمست يوم بدر فقال لا

إنما



وزيادة نفقة وتغايرن فغم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم

80

إنما جعلت هذه طعمة لكم دون الناس قالوا رضينا بما صنع الله ورسوله وأرضا لم
تطؤوها عن الحسن فارس والروم وعن قتادة كنا نحدث أنها مكة وعن مقاتل
هي خيبر وعن عكرمة كل أرض تفتح إلى يوم القيامة ومن بدع التفاسير أنه أراد
نساءهم ● يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها
فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله
والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما ● أردن شيئا من
الدنيا من ثياب فنزلت فبدأ بعائشة وكانت أحبهن إليه فخيرها وقرأ
عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرئي الفرح في وجه رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم اختارت جميعهن اختيارها فشكر لهن الله ذلك فأنزل لا يحل لك
النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج وروي أنه قال لعائشة إني ذاكر لك
أمرا ولا عليك أن لا تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت
أفي هذا أستأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة وروي أنها قالت
لا تخبر أزواجك أني اخترتك فقال إنما بعثني الله مبلغا ولم يبعثني متعنتا
فإن قلت ما حكم التخيير في الطلاق قلت إذا قال لها اختاري فقالت اخترت نفسي
أو قال اختاري نفسك فقالت اخترت لا بد من ذكر النفس في قول المخير والمخيرة
وقعت طلقة بائنة عند أبي حنيفة وأصحابه واعتبروا أن يكون ذلك في المجلس
قبل القيام أو الاشتغال بما يدل على الإعراض واعتبر الشافعي اختيارها على الفور

للمحسنات ه

وهي عنده طلقة رجعية وهو مذهب عمر وابن مسعود وعن الحسن وقتادة والزهري
امرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره واذا اختارت زوجها لم يقع شيء باجماع فقهاء
الامصار وعن عائشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا
وروي فكان طلاقا وعن علي رضي الله عنه اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت
نفسها فواحدة بائنة وروي عنه ايضا انها ان اختارت زوجها فليس بشيء اصلا
تعالين اصله ان يقوله من في المكان المرتفع لمن كان في المكان المستوطئ ثم كثر حتى استوى
في استعماله الامكنة ومعنى تعالين اقبلن بارادتكن واختياركن لاحد امرين
ولم يرد نهوضهن اليه بانفسهن كما تقول اقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام
يهددني امتعكن اعطكن متعة الطلاق فان قلت المتعة في الطلاق واجبة ام لا
قلت المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد متعتها واجبة عند ابي حنيفة
واصحابه واما سائر المطلقات فمتعتهن مستحبة وعن الزهري متعتان احداهما
يقضي بها السلطان من طلق قبل ان يفرض ويدخل بها والثانية حق على المتقين
من طلق بعدما يفرض ويدخل وخاصمت امرأة الى شريح في المتعة فقال ان
متعها ان كنت من المتقين ولم يجبره وعن سعيد بن جبير المتعة حق مفروض
وعن الحسن لكل مطلقة متعة الا المختلعة والملاعنة والمتعة درع وخمار و
ملحفة على حسب السعة والاقتار الا ان يكون نصف مهرها اقل من ذلك فيجب
لها الاقل منهما ولا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص





من نصفها فان قلت ما وجه قراءة من قرأ امتعكن واسرحكن بالرفع قلت وجهه الاستيناف
سراحا جميلا من غير ضرار طلاقا بالسنة يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة
مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا منكن للبيان لا للتبعيض
الفاحشة السيئة البليغة في القبح وهي الكبيرة والمبينة الظاهر فحشها والمراد
كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هي عصيانهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن
وطلبهن منه ما يشق عليه او ما يضيق به ذرعه ويغتم لاجله وقيل الزنا والله
عاصم رسوله من ذلك كما مر في حديث الافك وانما ضوعف عذابهن لان ما
قبح من سائر النساء كان اقبح منهن واقبح لان زيادة قبح المعصية تتبع زيا
دة الفضل والمرتبة وزيادة النعمة على العاصي من المعصي وليس لاحد من النساء
النبي ولا على احد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة والجزاء يتبع الفعل وكون
الجزاء عقابا يتبع كون الفعل قبيحا فمتى ازداد قبحا ازداد عقابه شدة
ولذلك كان ذم العقلاء للعاصي العالم اشد منه للعاصي الجاهل لان المعصية من العا
اقبح ولذلك فضل حد الاحرار على حد العبيد حتى ان ابا حنيفة واصحابه لا
يرون الرجم على الكافر وكان ذلك على الله يسيرا ايذان بان كونهن نساء النبي
ليس بمغن عنهن شيئا وكيف يغني عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب
فكان داعيا الى تشديد الامر عليهن غير صارف عنه قرئ يأت بالتاء والياء
مبينة بفتح الياء وكسرها من بين بمعنى تبين يضاعف ويضعف على البناء

للمفعول ويضاعف ويضعّف بالياء والنون ﴿ومن يقنت منكن لله ورسوله
وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما﴾ وقرئ تقنت وتعمل
بالتاء والياء ونؤتها بالياء والنون والقنوت الطاعة وإنما ضوعف أجرهن
لطلبهن رضا رسول الله صلعم بحسن الخلق وطيب المعاشرة والقناعة وتوفرهن
على عبادة الله والتقوى ﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا
تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا﴾ أحد في الأصل
بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث
والواحد وما وراءه ومعنى قوله لستن كأحد من النساء لستن كجماعة واحدة
من جماعات النساء أي إذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة وا
حدة تساويكن في الفضل والسابقة ومنه قوله عز وجل والذين آمنوا بالله ورسله
ولم يفرقوا بين أحد منهم يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم في أنهم
على الحق المبين إن اتقيتن إن أردتن التقوى وإن كنتن متقيات فلا تخضعن بالقول فلا تجبن
بقولكن خاضعا أي لينا خنثا مثل كلام المريبات والمومسات فيطمع الذي في قلبه
مرض أي ريبة وفجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على أنه نهين عن الخضوع
بالقول ونهي المريض عن الطمع كأنه قيل لا تخضعن فلا يطمع وعن ابن محيصن أنه قرأ
بكسر الميم وسبيله ضم الياء مع كسرها وإسناد الفعل إلى ضمير القول أي فيطمع القول
المريب قولا معروفا بعيدا من طمع المريب بجد وخشونة من غير تخنيث أو قولا حسنا مع
كونه خشنا



﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلوة
وآتين الزكوة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
ويطهركم تطهيرا﴾ وقرئ بكسر القاف من وقر يقر وقارا أو من قر يقر
حذفت الأولى من راءي اقررن ونقلت كسرتها إلى القاف كما تقول ظلن و
قرن بفتحها وأصلها قررن فحذفت الراء وألقيت فتحتها على ما قبلها كقولك
ظلن وذكر أبو الفتح الهمداني في كتاب التبيان وجها آخر قال قار يقار إذا
اجتمع ومنه القارة لاجتماعها ألا ترى إلى قول عضل والديش اجتمعوا
فكونوا قارة والجاهلية الأولى هي القديمة التي يقال لها الجاهلية الجهلاء
وهي الزمن الذي ولد فيه إبراهيم كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ
فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل ما بين آدم ونوح
وقيل بين آدم وإدريس ونوح وقيل زمن داود وسليمان والجاهلية الأخرى
ما بين عيسى ومحمد صلعم ويجوز أن يكون الجاهلية الأولى جاهلية الكفر قبل الإسلام
والجاهلية الأخرى جاهلية الفسوق والفجور في الإسلام فكأن المعنى ولا
تحدثن بالتبرج جاهلية في الإسلام تتشبهن بها بأهل جاهلية الكفر ويعضده
ما روي أن رسول الله صلعم قال لأبي الدرداء إن فيك جاهلية قال جاهلية كفر
أم إسلام فقال بل جاهلية كفر أمرهن أمرا خاصا بالصلوة والزكوة ثم جاء به
عاما في جميع الطاعات لأن هاتين الطاعتين البدنية والمالية هما أصل سائر
الطاعات

من اعتنى بهما حق اعتنائه جرتاه الى ما وراءهما ثم بيّن انه انما نهاهن وامرهن
ووعظهن لئلا يقارف اهل بيت رسول الله عم المآثم وليتصوّنوا عنها
بالتقوى واستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر لان عرض المقترف
للمقبحات يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه بالارجاس واما المحسنات
فالعرض معها نقي مصون كالثوب الطاهر وفي هذه الاستعارة ما ينفر اولي الالباب
عما كرهه الله تعالى لعباده ونهاهم عنه ويرغبهم فيما رضيه لهم وامرهم به واهل
البيت نصب على النداء او على المدح وفي هذا دليل بيّن على ان نساء النبي صلى الله
عم من اهل بيته واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان
لطيفا خبيرا ثم ذكّرهن ان بيوتهن مهابط الوحي وامرهن ان لا
ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين امرين هو آيات تدل على صدق
النبوة لانه معجز بنظمه وهو حكمة وعلوم وشرائع ان الله كان لطيفا
خبيرا حين علم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم فانزله عليكم او علم من يصلح لنبوته
ومن يصلح لان يكونوا اهل بيته او حيث جعل الكلام الواحد جامعا بين الغر
ضين ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات
والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات
والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم و
الحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا
عظيما

روى



روي ان ازواج النبي صلعم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير فما فينا
خير نذكر به انا نخاف ان لا يقبل منا طاعة وقيل السائلة ام سلمة وروي
انه لما نزل في نساء النبي صلعم ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت
والمسلم الداخل في السلم بعد الحرب المنقاد الذي لا يعاند او المفوض امره الى
الله المتوكل عليه من اسلم وجهه الى الله والمؤمن المصدق بالله وبرسوله وبما
يجب ان يصدق به والقانت القائم بالطاعة الدائم عليها والصادق الذي
يصدق في نيته وقوله وعمله والصابر الذي يصبر على الطاعات وعن المعاصي و
الخاشع المتواضع لله بقلبه وجوارحه وقيل الذي اذا صلى لم يعرف من عن
يمينه وشماله والمتصدق الذي يزكي ماله ولا يخل بالنوافل وقيل من تصدق
في اسبوع بدرهم فهو من المتصدقين ومن صام البيض من كل شهر فهو من
الصائمين والذاكر الله كثيرا من لا يكاد يخلو من ذكر الله بقلبه او بلسانه
او بهما وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر وقال رسول الله صلعم من
استيقظ من نومه وايقظ امرأته فصليا جميعا ركعتين كتبا من الذاكرين
الله كثيرا والذاكرات والمعنى والحافظاتها والذاكراته فحذف لان الظاهر
يدل عليه فان قلت اي فرق بين العطفين اعني عطف الاناث على الذكور وعطف
الزوجين على الزوجين قلت العطف الاول نحو قوله تعالى ثيبات وابكارا في
انهما جنسان مختلفان اذا اشتركا في حكم لم يكن بد من توسيط العاطف بينهما واما العطف

الثاني

فيمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع لكان معناه ان الجامعين والجا[معات] (margin: معان)
لهذه الطاعات اعد الله لهم ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله
امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا
مبينا﴾ خطب رسول الله صلعم زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت
عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فابت وابى اخوها عبد الله فنزلت فقال
رضينا يا رسول الله فانكحها اياه وساق عنه اليها مهرها ستين درهما وخمارا
وملحفة ودرعا وازارا وخمسين مدا من الطعام وثلثين صاعا من تمر وقيل
هي ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهي اول من هاجر من النساء ووهبت
نفسها للنبي فقال قد قبلت وزوجها زيدا فسخطت هي واخوها وقالا انما
اردنا رسول الله فزوجنا عبده والمعنى وما صح لرجل ولا امراة من المؤمنين
اذا قضى الله ورسوله اي رسول الله او لان قضاء رسول الله هو قضاء الله امرا
من الامور ان يختاروا من امرهم ما شاؤوا بل من حقهم ان يجعلوا رايهم تبعا
لرايه واختيارهم تلوا لاختياره وانما كان من حق الضمير ان يوحد كما تقول
ما جاءني من رجل ولا امراة الا كان من شانه كذا لان نعم ولكنهما وقعا تحت النفي
فعما كل مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير على المعنى لا على اللفظ وقرئ تكون بالتاء
والياء والخيرة ما يتخير ﴿واذ تقول للذي انعم الله عليه امسك عليك
زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق

وانعمت عليه ١٥



ان تخشيه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين
حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا
ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من
قبل وكان امر الله قدرا مقدورا﴾ للذي انعم الله عليه بالاسلام الذي
هو اجل النعم وبتوفيقك الله فيه فهو متقلب في نعمة الله ونعمة رسوله
وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك يعني زينب بنت جحش وذلك
ان رسول الله صلعم ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال
سبحان الله مقلب القلوب وذلك ان نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا
تريدها ولو ارادها لاختطبها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت
ذلك لزيد ففطن والقى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها
لرسول الله صلعم فقال لرسول الله صلعم اني اريد ان افارق صاحبتي فقال
ما لك ارابك منها شيء قال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها تتعظم
علي لشرفها وتؤذيني فقال له امسك عليك زوجك واتق الله ثم طلقها
بعد فلما اعتدت قال رسول الله صلعم ما اجد احدا اوثق في نفسي منك
اخطب علي زينب قال زيد فانطلقت فاذا هي تخمر عجينتها فلما رايتها
عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها حين علمت ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري وقلت يا زينب ابشري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

(margin: وانعمت عليه بما وفقك ... لعتقه وتحبيبه واختصاصه صح)

تخطبك ففرحت وقالت ما انا بصانعة شيئا حتى أوامر ربي فقامت الى مسجدها
ونزل القرآن زوجناكها فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما أولم على امرأة
من نسائه مثل ما أولم عليها ذبح شاة واطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار
فان قلت ماذا اراد بقوله واتق الله قلت اراد واتق الله فلا تطلقها وقصد
نهي تنزيه لا تحريم لان الاولى ان لا يطلق وقيل اراد واتق الله فلا تذمها بالنسبة
الى الكبر واذى الزوج فان قلت ما الذي اخفى في نفسه قلت تعلق قلبه بها وقيل
مودة مفارقة زيد اياها وقيل علمه بان زيدا سيطلقها وسينكحها لان الله عز وجل
قد اعلمه بذلك وعن عائشة رضي الله عنها لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا مما أوحي
اليه لكتم هذه الآية فان قلت فماذا اراد الله منه ان يقوله حين قال له زيد
اريد مفارقتها وكان من الهجنة ان يقول له افعل فاني اريد نكاحها قلت
كان الذي اراد منه عز وجل ان يصمت عند ذلك او يقول له انت اعلم بشأنك
حتى لا يخالف سره في ذلك علانيته لان الله يريد من الانبياء تساوي الظاهر
والباطن والتصلب في الامور والتجاوب في الاحوال والاستمرار على طريقة
مستتبة كما جاء في حديث ارادة رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل عبد الله بن ابي سرح واعتراض
عثمان رضي الله عنه بشفاعته له ان عمر قال له لقد كان عيني الى عينك هل تشير الي
فاقتله فقال ان الانبياء لا تومض ظاهرهم وباطنهم واحد فان قلت كيف عاتبه
الله في ستر ما استهجن التصريح به ولا يستهجن النبي صلى الله عليه وسلم

التصريح



التصريح بشيء الا والشيء في نفسه مستهجن وقالة الناس لا تتعلق الا بما يستقبح
في العقول والعادات وما له لم يصرح به في نفس الامر وهلا أمره بقمع الشهوة
وكف النفس عن ان تنازع الى زينب وتتبعها ولم يعصم نبيه عن تعلق الهجنة
به وما يعرضه للقالة قلت كم من شيء يتحفظ منه الانسان ويستحيي من
اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه
ولا عيب عند الله وربما كان الدخول في ذلك المباح سلما الى حصول وا
جبات يعظم اثرها في الدين ويجل ثوابها ولو لم يتحفظ منه لاطلق كثير
من الناس فيه السنتهم الا من اوتي فضلا وعلما ودينا ونظرا في حقائق
الامور ولبوبها دون قشورها الا ترى انهم كانوا اذا طعموا في بيوت
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوا مرتكزين في مجالسهم لا يريمون مستأنسين بالحد(يث)
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذيه قعودهم ويضيق صدره حديثهم والحياء يصده
ان يأمرهم بالانتشار حتى نزلت ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله
لا يستحيي من الحق ولو ابرز رسول الله صلى الله عليه وسلم مكنون (ضميره) وامرهم ان ينتشروا ل
شق عليهم ولكان بعض القالة فهذا من ذلك القبيل لان طموح قلب الانسان
الى بعض مشتهياته من امرأة او غيرها غير موصوف بالقبح في العقل ولا في
الشرع لانه ليس بفعل الانسان ولا وجوده باختياره وتناول المباح با
لطريق الشرعي ليس بقبيح وهو خطبة زينب ونكاحها من غير استنزال زيد عنها ولا طلبه (اليه)

وهو اقرب منه من زيد فمن بعضه ان يواسيه بمفارقتها مع قوة العلم بان نفس زيد
لم تكن من التعلق بها فى شىء بل كانت تتجافى عنها ونفس رسول الله صلى الله عليه وسلم
متعلقة بها ولم يكن مستنكرا عندهم ان ينزل الرجل عن امرأته لصديقه ولا مستهجنا
اذا نزل عنها ان ينكحها الآخر فان المهاجرين حين دخلوا المدينة استهم
الانصار بكل شىء حتى ان الرجل منهم اذا كانت له امرأتان نزل عن احديهما و
انكحها المهاجر واذا كان مباحا من جميع جهاته ولم يكن فيه وجه من وجوه القبح
ولا مفسدة ولا مضرة بزيد ولا باحد بل كان مستجرا مصالح ناهيك بواحدة
منها ان بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم امنت الايمة والضيعة ونالت الشرف
وعادت اما من امهات المسلمين الى ما ذكر الله عز وجل من المصلحة العامة فى قوله
لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا فبا
لحرى ان يعاتب الله رسوله حين كتمه وبالغ فى كتمه بقوله امسك عليك زوجك
واتق الله وان لا يرضى له الا اتحاد الضمير والظاهر والثبات فى مواطن الحق
حتى يقتدى به المؤمنون فلا يستحيوا من المكافحة بالحق وان كان مرا فان قلت
الواو فى وتخفى فى نفسك وتخشى الناس والله احق ما هى قلت واو الحال اى تقول
لزيد امسك عليك زوجك مخفيا فى نفسك ارادة ان لا يمسكها وتخفى خاشيا قالة
الناس حقيقا فى ذلك بان تخشى الله او واو العطف كانه قيل واذ تجمع بين قولك
امسك واخفاء خلافه وخشية الناس والله احق ان تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك

الامر صح

اذا



اذا بلغ البالغ حاجته من شىء له فيه همة قيل قضى منه وطره والمعنى فلما
لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت
عدتها زوجناكها وقراءة اهل البيت زوجتكها وقيل لجعفر بن محمد اليس
تقرأ على غير ذلك فقال لا والذى لا اله الا هو ما قرأتها على ابى الا كذلك و
لا قرأها الحسن بن على على ابيه الا كذلك ولا قرأها على بن ابى طالب على
النبى صلعم الا كذلك وكان امر الله مفعولا جملة اعتراضية يعنى وكان امر الله
الذى يريد ان يكونه مفعولا مكونا لا محالة وهو مثل لما اراد كونه من تزو
يج رسول الله صلعم زينب ومن نفى الحرج عن المؤمنين فى اجراء ازواج المتبنين
مجرى ازواج البنين فى تحريمهن عليهم بعد انقطاع علايق الزواج بينهم و
بينهن ويجوز ان يراد بامر الله المكون لانه مفعول بكن وهو امر الله فرض
الله له قسم له واوجب من قولهم فرض لفلان فى الديوان كذا ومنه فروض العسكر
لرزقاتهم سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد
لقوله ما كان على النبى من حرج كانه قيل سن الله ذلك سنة فى الانبياء الماضين وهو
ان لا يحرج عليهم فى الاقدام على ما اباح لهم ووسع عليهم فى باب النكاح وغيره وقد
كانت تحتهم المهاير والسرارى وكانت لداود مائة امرأة وثلثمائة سرية
ولسليمان ثلثمائة وسبعمائة فى الذين خلوا فى الانبياء الذين مضوا والذين
يبلغون يحتمل وجوه الاعراب الجر على الوصف للانبياء والرفع والنصب على المدح

المهيرة الحرة

علم انهم الذين يبلغون او على اعني الذين يبلغون وقرئ رسالة الله
قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا الذين يبلغون
رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله وكفى بالله حسيبا
وصف الانبياء بانهم لا يخشون الا الله تعريض بعد التصريح في
قوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه حسيبا كافيا للمخاوف او
محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب ان يكف احق ان يخشى من
مثله ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم
النبيين وكان الله بكل شيء عليما ما كان محمد ابا احد من رجالكم
اي لم يكن ابا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت
بين الاب وولده من حرمة المصاهرة والنكاح ولكن كان رسول الله
وكل رسول ابو امته فيما يرجع اليه وجوب التوقير والتعظيم له عليهم و
وجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لا في سائر الاحكام الثابتة بين الاباء والابناء
وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا باولاده حقيقة فكان حكمه حكمكم والادعاء
والتبني من باب الاختصاص والتقريب لا غير وكان خاتم النبيين يعني انه لو كان له ولد
بالغ مبلغ الرجال لكان نبيا ولم يكن هو خاتم الانبياء كما يروى انه قال في ابرهيم
حين توفي لو عاش لكان نبيا فان قلت اما كان ابا للطاهر والطيب والقسم
وابرهيم قلت قد اخرجوا من حكم النفي بقوله من رجالكم من وجهين احد

هما

احدهما ان هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال والثاني انه قد اضاف الرجال
اليهم وهؤلاء رجاله لا رجالهم فان قلت اما كان ابا للحسن والحسين
قلت بلى ولكنهما لم يكونا رجلين حينئذ وهما ايضا من رجاله لا من رجا لهم
ولشيء آخر وهو انه قصد ولده خاصة لا ولد ولده لقوله وخاتم
النبيين الا ترى ان الحسن والحسين قد عاشا الى ان نيف احدهما على الار بعين
والآخر على الخمسين قرئ ولكن رسول الله بالنصب عطفا على ابا احد وبالرفع
على ولكن هو رسول الله ولكن بالتشديد على حذف الخبر تقديره ولكن
رسول الله من عرفتموه اي لم يعش له ولد ذكر وخاتم بفتح التاء بمعنى
الطابع وبكسرها بمعنى الطابع وفاعل الختم وتقويه قراءة ابن مسعود
ولكن نبيا ختم النبيين فان قلت كيف كان آخر الانبياء وعيسى ينزل في
اخر الزمان قلت معنى كونه آخر الانبياء انه لا ينبأ بعده احد و
عيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد ص
مصليا الى قبلته كانه بعض امته يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا
كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا اذكروا الله اثنوا عليه بضروب الثناء
من التقديس والتحميد والتهليل والتكبير وما هو اهله واكثروا ذلك
بكرة واصيلا اي في كافة الاوقات قال رسول الله ص ذكر الله على فم كل مسلم

في

وذلك في قلب كل مسلم وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وعن مجاهد هذه كلمات يقولهن الطاهر
والجنب والغفلان اعني اذكروا وسبحوه موجهان الى البكرة والاصيل كقولك
صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكر وانما اختصه من بين انواعه اختصاص
جبرئيل وميكائيل من بين الملائكة ليبين فضله على سائر الاذكار لان معناه
تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات والافعال وتبرئته من القبائح ومثال
فضله على غيره من الاذكار فضل وصف العبد بالنزاهة من ادناس المعاصي والتطهر
من ارجاس المآثم على سائر اوصافه من كثرة الصلوة والصيام والتوفر على
الطاعات كلها والاشتمال على العلوم والاشتهار بالفضائل ويجوز ان يريد
بالذكر واكثاره تكثير الطاعات والاقبال على العبادات فان كل طاعة وكل خير
من جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة واصيلا وهي الصلوة في جميع
اوقاتها لفضل الصلوة على غيرها او صلوة الفجر والعشائين لان اداءها اشق
ومراعاتها اشد قال هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور
وكان بالمؤمنين رحيما قال لما كان من شأن المصلي ان ينعطف في ركوعه وسجوده
استعير لمن ينعطف على غيره حنوا عليه وترؤفا كعائد المريض في انعطافه عليه
والمرأة في حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل في الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله

عليك



عليك اي ترحم عليك وترأف فان قلت قوله هو الذي يصلي عليكم ان فسرته بترحم
عليكم ويترأف فما تصنع بقوله وملائكته وما معنى صلوتهم قلت هي قولهم
اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة كانهم فاعلون الرحمة
والرأفة ونظيره قولك حياك الله اي احياك وابقاك وحييتك اي دعوت لك
بان يحييك الله لانك لاتكالك على اجابة دعوتك كانك تبقيه على الحقيقة وكذلك عمرك
الله وعمرتك وسقاك الله وسقيتك وعليه قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على
النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه اي ادعوا الله بان يصلي عليه والمعنى هو الذي
يترحم عليكم ويترأف حيث يدعوكم الى الخير ويأمركم باكثار الذكر والتوفر
على الصلوة والطاعة ليخرجكم من ظلمات المعصية الى نور الطاعة وكان بالمؤمنين
رحيما دليل على ان المراد بالصلوة الرحمة ويروى انه لما نزل قوله ان الله وملائكته يصلون
على النبي قال ابو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد اشركنا فيه فانزلت قال
تحيتهم يوم يلقونه سلام واعد لهم اجرا كريما قال تحيتهم من اضافة المصدر
الى المفعول اي يحيون يوم لقائه بسلام فيحتمل ان يعظمهم الله بسلامه
عليهم كما يفعل بهم سائر انواع التعظيم وان يكون مثلا كاللقاء على ما فسرنا وقيل
هو سلام ملك الموت والملائكة معه عليهم وبشارتهم بالجنة وقيل سلام الملائكة
عند الخروج من القبور وقيل عند دخول الجنة كما قال والملائكة يدخلون
عليهم من كل باب سلام عليكم والاجر الكريم الجنة قال يا ايها النبي انا ارسلناك

شاهدا او مبشرا او نذيرا او داعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا انا شاهدا
على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم اى مقبولا قوله عند الله لهم وعليهم
كما يقبل قول الشاهد العدل فى الحكم فان قلت وكيف كان شاهدا وقت الارسال
انما يكون شاهدا عند تحمل الشهادة او عند ادائها قلت هى حال مقدرة كمسئلة
الكتاب مررت برجل معه صقر صائدا به غدا اى مقدرا به الصيد غدا فان
قلت قد فهم من قوله انا ارسلناك داعيا انه مأذون له فى الدعاء فما فائدة قوله باذنه
قلت لم يرد به حقيقة الاذن وانما جعل الاذن مستعارا للتسهيل والتيسير لان الدخول
فى حق المالك متعذر فاذا صودف الاذن تسهل وتيسر فلما كان الاذن تسهيلا لما
تعذر من ذلك وضع موضعه وذلك ان دعاء اهل الشرك والجاهلية الى التوحيد و
الشرائع امر فى غاية الصعوبة والتعذر فقيل باذنه للايذان بان الامر صعب لا يتأتى
ولا يستطاع الا اذا سهله الله ويسره ومنه قولهم فى الشحيح انه غير مأذون له فى
الانفاق اى غير مسهل له الانفاق لكونه شاقا عليه داخلا فى حد التعذر يجلى به الله
ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به او
امد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار ووصفه
بالانارة لان من السرج ما لا يضئ اذا قل سليطه ودقت فتيلته وفى كلام بعضهم ثلاثة
تضنى رسول بطئ وسراج لا يضئ ومائدة ينتظر لها من يجئ وسئل بعضهم عن
الموحشين فقال ظلام ساتر وسراج فاتر وقيل وذا السراج منيرا او وتاليا

سراجا



سراجا منيرا ويجوز على هذا التفسير ان يعطف على كاف ارسلناك وبشر
المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا ان الفضل ما يتفضل به عليهم زيادة
على الثواب واذا ذكر المتفضل به وكبره فما ظنك بالثواب ويجوز ان يريد با
لفضل الثواب من قولهم للعطايا فضول وفواضل وان يريد ان لهم فضلا
كبيرا على سائر الامم وذلك الفضل من جهة الله وانه آتاهم ما فضلوهم به
ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا
ولا تطع الكافرين معناه الدوام والثبات على ما كان عليه او التهييج اذاهم
يحتمل اضافته الى الفاعل والمفعول ودع ان تؤذيهم بضرر او قتل وخذ بظا
هرهم وحسابهم على الله فى باطنهم او ودع ما يؤذونك به ولا تجازهم عليه
حتى تؤمر وعن ابن عباس هى منسوخة باية السيف وتوكل على الله فانه يكفيكهم وكفى
متوضا اليه ولعل قائلا ان يقول وصفه الله بخمسة اوصاف وقابل كلا منها بخطاب
مناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين لانه يكون شاهدا على امته و
هم يكونون شهداء على سائر الامم وهو الفضل الكبير والمبشر بالاعراض
عن الكافرين والمنافقين لانه اذا اعرض عنهم اقبل جميعا اقباله على المؤمنين
وهو مناسب للبشارة والنذير بدع اذاهم لانه اذا ترك اذاهم فى الحاضر
والاذى لا بد له من عقاب عاجل او اجل كانوا منذرين به فى المستقبل والداعى
الى الله بتيسيره بقوله وتوكل على الله لان من توكل على الله يسر عليه والسراج
المنير بالاكتفاء به

وكيلا لان من انار الله برهانا على جميع خلقه كان جديرا بان يكتفى به عن جميع خلقه

يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا

النكاح الوطء وتسمية العقد نكاحا لملابسته له من حيث انه طريق اليه ونظيره تسميتهم الخمر اثما لانها سبب فى اقتراف الاثم ونحوه فى علم البيان قول الراجز اسنمة الآبال فى سحابه سمى الماء باسنمة الآبال لانه سبب سمن المال وارتفاع اسنمته ولم يرد لفظ النكاح فى كتاب الله الا فى معنى العقد لانه فى معنى الوطء من باب التصريح به ومن آداب القرآن الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشى والاتيان فان قلت لم خص المؤمنات والحكم الذى نطقت به الآية تستوى فيه المؤمنات والكتابيات قلت فى اختصاصهن تنبيه على ان اصل امر المؤمن والاولى به ان يتخير لنطفته وان لا ينكح الا مؤمنة عفيفة ويتنزه عن مزاوجة الفواسق فما بال الكوافر ويستنكف ان يدخل تحت لحاف واحد عدوة الله ووليه فالتى فى سورة المائدة تعليم ما هو جائز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين اوتوا الكتاب وهذه فيها تعليم ما هو الاولى بالمؤمنين من نكاح المؤمنات فان قلت ما فائدة ثم فى قوله ثم طلقتموهن قلت فائدته نفى التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين ان يطلقها وهى قريبة العهد من النكاح وبين ان يبعد عهدها بالنكاح ويتراخى بها





المدة فى حبالة الزوج ثم طلقها فان قلت اذا خلا بها خلوة يمكنه معها المساس هل يقوم ذلك مقام المساس قلت نعم عند ابى حنيفة واصحابه حكم الخلوة الصحيحة حكم المساس وقوله فما لكم عليهن من عدة تعتدونها دليل على ان العدة حق واجب على النساء للرجال تعتدونها تستوفون عددها من قولك عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله ووزنته فاتزنه وقرئ تعتدونها مخففا اى تعتدون فيها كقوله ويوم شهدناه والمراد بالاعتداء ما فى قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا فان قلت ما هذا التمتيع اواجب ام مندوب اليه قلت ان كانت غير مفروض لها كانت المتعة واجبة ولا تجب المتعة عند ابى حنيفة الا لها وحدها دون سائر المطلقات وان كانت مفروضا لها فالمتعة مختلف فيها فبعض على الندب والاستحباب ومنهم ابو حنيفة وبعض على الوجوب سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع واجب

يا ايها النبى انا احللنا لك ازواجك اللاتى آتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ان اراد النبى ان يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم فى ازواجهم وما ملكت ايمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما

اجورهن مهورهن لان المهر اجر على البضع وايتاؤها اما اعطاؤها عاجلا واما فرضها وتسميتها فى العقد فان قلت

ما قال اللاتي آتيت اجورهن ومما افاء الله عليك واللاتي هاجرن معك وما فائدة هذه
التخصيصات قلت قد اختار الله لرسوله الافضل الاولى واستحبه بالاطيب الازكى
كما اختصه بغيرها من الخصائص وآثره بما سواها من الاثر وذلك ان تسمية المهر
في العقد اولى وافضل من ترك التسمية وان وقع العقد جائزا وله ان يماسها وعليه
مهر المثل ان دخل بها والمتعة ان لم يدخل بها وسوق المهر اليها عاجلا افضل من
ان يسميه ويؤجله وكان التعجيل ديدن السلف وسنتهم وما لا يعرف بينهم غيره
وكذلك الجارية اذا كانت سبية مالكها وخطبة سيفه ورمحه ومما غنمه الله
من دار الحرب احل واطيب مما يشترى من شق الجلب والسبي على ضربين
سبي طيبة وسبي خبثة فسبي الطيبة ما سبي من اهل الحرب واما من كان له عهد
فالمسبي منهم سبي خبثة ويدل عليه قوله مما افاء الله عليك لان فيء الله لا
يطلق الا على الطيب دون الخبيث كما ان رزق الله يجب اطلاقه على الحلال دون
الحرام وكذلك اللاتي هاجرن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قراباته غير المحارم
افضل من غير المهاجرات معه وعن ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الآية فلم احل له لاني لم اها
جر معه كنت من الطلقاء واحللنا لك من وقع لها ان تهب لك نفسها ولا تطلب
مهرا من النساء المؤمنات ان اتفق ذلك ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك
فعن ابن عباس لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم احد منهن بالهبة وقيل الموهوبات
اربع ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة ام المساكين الانصارية وام

الاثر بالكسر خلاصة السمن

شريك

شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم قرئ ان وهبت على الشرط وقرأ الحسن
ان بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام ويجوز ان يكون مصدرا محذوفا
معه الزمان كقولك اجلس ما دام زيد جالسا بمعنى وقت دوام جلوسه اي
وقت هبتها نفسها وقرأ ابن مسعود بغير ان فان قلت ما معنى الشرط الثاني
مع الاول قلت هو تقييد له شرط في الاحلال هبتها نفسها وفي الهبة ارادة
استنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قال احللناها لك ان وهبت لك نفسها وانت تريد
ان تستنكحها لان ارادته هي قبول الهبة وما به تتم فان قلت لم عدل عن الخطاب
الى الغيبة في قوله نفسها للنبي ان اراد النبي ثم رجع الى الخطاب قلت للايذان
بانه مما خص به واوثر ومجيئه على لفظ النبي للدلالة على ان الاختصاص تكرمة
له لاجل النبوة وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته واستنكاحها
طلب نكاحها والرغبة فيه وقد استشهد به ابو حنيفة رحمه الله على جواز عقد النكاح
بلفظ الهبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته سواء في الاحكام الا ما خصه الدليل وقال
الشافعي لا يصح وقد خص رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى الهبة ولفظها جميعا لان اللفظ
تابع للمعنى والمدعي للاشتراك في اللفظ يحتاج الى دليل وقال ابو الحسن الكرخي
ان عقد النكاح بلفظ الاجارة جائز لقوله اللاتي آتيت اجورهن وقال ابو بكر
الرازي لا يصح لان الاجارة عقد موقت وعقد النكاح مؤبد فهما متنافيان
خالصة مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله اي خلص لك احلال ما احللنا لك خالصة
بمعنى خلوصا والفاعل والفاعلة في المصادر غير عزيزين كالخارج والقاعد

والعارفية والكاذبة والدليل على انها وردت في اثنا الاحلال ان الاربع مخصوصة
برسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل التوكيد لها قوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم
وما ملكت ايمانهم بعد قوله من دون المؤمنين وهي جملة اعتراضية وقوله لكيلا يكون
عليك حرج متصل بخالصة لك من دون المؤمنين ومعنى هذه الجملة الاعتراضية
ان الله قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين في الازواج والاماء وعلى اي حد وصفة يجب
ان يفرض عليهم ففرضه وعلم المصلحة في اختصاص رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اختصه به ففعل
ومعنى لكيلا يكون عليك حرج لكيلا يكون عليك ضيق في دينك حيث اختصصناك
بالتنزيه واختيار ما هو اولى وافضل في دنياك حيث احللنا لك اجناس المنكوحات
وزدنا لك الواهبة نفسها وقرئ خالصة بالرفع اي ذاك خلوص لك وخصوص من دون
المؤمنين ومن جعل خالصة نعتا للمراة فعلى مذهبه هذه المراة خالصة لك
من دونهم وكان الله غفورا للواقع في الحرج اذا تاب رحيما بالتوسعة على عباده
ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا
جناح عليك ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن والله
يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما روي ان امهات المؤمنين حين تغايرن وابتغين
زيادة النفقة وغظن رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرهن شهرا ونزل التخيير فاشفقن ان
يطلقهن فقلن يا رسول الله افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت وروي ان عائشة
قالت اني ارى ربك يسارع في هواك ترجي بهمز وغير همز تؤخر وتؤوي تضم يعني
تترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من تشاء او تطلق من تشاء وتمسك من

غظن
الغيظ غضب كامن للعاجز وقد غاظه ذلك فهو مغيظ ولا يقال اغاظه ه







نشاء ولا تقسم لاتيهن شئت لمن شئت او تترك تزوج من شئت من
نساء امتك وتتزوج من شئت وعن الحسن كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب امراة
لم يكن لاحد ان يخطبها حتى يدعها وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه
اما ان يطلق واما ان يمسك فاذا امسك ضاجع او ترك وقسم او لم يقسم و
اذا طلق وعزل فاما ان يخلي المعزولة لا يبتغيها او يبتغيها وروي انه
ارجا منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وام حبيبة
فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن اوى اليه عائشة وحفصة
وام سلمة وزينب ارجى خمسا واوى اربعا وروي انه كان يسوي مع
ما اطلق له وخير فيه الا سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا
تطلقني حتى احشر في زمرة نسائك ذلك التفويض الى مشيتك ادنى الى قرة
عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه اذا سوى بينهن في الايواء
والارجاء والعزل والابتغاء وارتفع التفاضل ولم يكن لاحداهن
مما تريد ومما لا تريد الا مثل ما للاخرى وعلمن ان هذا التفويض من عند
الله وبوحيه اطمانت نفوسهن وذهب التنافس والتغاير وحصل الرضا
وقرت العيون وسليت القلوب والله يعلم ما في قلوبكم فيه وعيد لمن لم ترض
منهن بما دبر الله من ذلك وفوض الى مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث على تواطي قلوبهن
والتصافي بينهن والتوافق الحثيثهن بضم التاء ونصب الاعين وتقر اعينهن على
البناء للمفعول

وكان الله عليماً بذات الصدور حليماً لا يعاجل بالعقاب فهو حقيق بأن يُتّقى و
يُحذر. كلهنّ تأكيد لنون يرضين وقرأ ابن مسعود ويرضين كلهنّ بما آتيتهنّ
على التقديم وقرئ كلَّهنّ تأكيداً لهنّ في آتيتهنّ ۞ لا تحلّ لك النساء من بعد
ولا أن تبدّل بهنّ من أزواج ولو أعجبك حسنهنّ إلا ما ملكت يمينك وكان الله
على كل شيء رقيباً ۞ لا تحل وقرئ بالتذكير لأن تأنيث الجمع غير حقيقي وإذا
جاز بغير فصل في قوله وقال نسوة كان مع الفصل أجوز من بعد التسع لأن
التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأزواج كما أن الأربع نصاب أمته منهنّ فلا يحل
له أن يتجاوز النصاب ولا أن تبدّل بهنّ ولا أن تستبدل بهؤلاء التسع أزواجاً
أُخَر بكلّهنّ أو بعضهنّ أراد الله لهنّ كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليهنّ وهنّ التسع اللاتي مات عنهنّ عائشة بنت أبي بكر حفصة بنت عمر أم
حبيبة بنت [ابي سفيان] حيي الخيبرية سودة بنت زمعة أم سلمة بنت أبي أمية صفية بنت
حيي الخيبرية ميمونة بنت الحارث الهلالية زينب بنت جحش الأسدية جويرية
بنت الحارث المصطلقية من في من أزواج لتأكيد النفي وفائدته استغراق جنس الأزواج
بالتحريم وقيل معناه لا تحل لك النساء من بعد النساء اللاتي نص احلالهن لك من
الأجناس الأربعة من الأعرابيات والغرائب أو من الكتابيات أو من الإماء بالنكاح
وقيل في تحريم التبدل هو من البدل الذي كان في الجاهلية كان يقول الرجل للرجل
بادلني بامرأتك وأبادلك بامرأتي فينزل كل واحد منهما عن امرأته لصاحبه ويحكى أن

عيينة

عيينة بن حصين دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة من غير استيذان فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا عيينة أين الاستيذان قال يا رسول الله ما استأذنت على رجل
قط من مضر منذ أدركت ثم قال من هذه الجميلة إلى جنبك فقال عليه السلام هذه عائشة أم
المؤمنين قال عيينة فرت بالغا أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق فقال عليه السلام إن الله قد
حرّم ذلك فلما خرج قالت عائشة رضي الله عنها من هذا يا رسول الله قال أحمق مطاع
وإنه على ما ترين لسيد قومه وعن عائشة رضي الله عنها ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له
النساء يعني أن الآية نسخت ولا يخلو نسخها إما أن يكون بالسنة وإما بقوله إنا
أحللنا لك أزواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف ولو أعجبك في موضع
الحال من الفاعل وهو الضمير في تبدل لا من المفعول الذي هو من أزواج إلا أنه
موغل في التنكير وتقديره مفروضاً إعجابك بهنّ وقيل هي أسماء بنت عميس الخثعمية
امرأة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه والمراد أنها ممن أعجبه حسنهن واستثنى ممن
حرم عليه الإماء رقيباً حافظاً مهيمناً ۞ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت
النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا
طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم و
الله لا يستحيي من الحق وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر
لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده
أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً ۞ وهو تحذير عن تجاوز حدوده وتخطي حلاله

خلوا

المحمد ايه ان يؤذن لكم في معنى الظرف تقديره وقت ان يؤذن لكم وغير ناظرين حال من لا تد
وقع الاستثناء على الوقت والحال معا كانه قيل لا تدخلوا بيوت النبي الا وقت الاذن و
لا تدخلوها الا غير ناظرين وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه ومعناه لا تدخلوا يا هؤلاء المتحينون
للطعام الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه والا فلو لم يكن لهؤلاء خصوصا
لما جاز لاحد ان يدخل بيوت النبي الا ان يؤذن له اذنا خاصا وهو الاذن الى الطعام
فحسب وعن ابن ابي عبلة انه قرا غير ناظرين مجرورا صفة لطعام وليس بالوجه
لانه جرى على غير ما هو له فمن حق ضمير ما هو له ان يبرز الى اللفظ فيقال غير ناظرين
اناه انتم كقولك هند زيد ضاربته هي اناه ادراكه يقال انى الطعام
انى كقولك قلاه قلى ومنه قوله حميم آن بالغ اناه وقيل اناه وقته اي غير ناظرين وقت
الطعام وساعة اكله وروي ان رسول الله عم اولم على زينب بتمر وسويق وشاة
وامر انسا ان يدعو بالناس فترادفوا افواجا ياكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج الى ان قال
يا رسول الله دعوت حتى ما اجد احدا ادعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس و
بقي ثلثة نفر يتحدثون فاطالوا فقام رسول الله عم ليخرجوا فانطلق الى حجرة عائشة
فقال السلام عليكم اهل البيت فقالوا وعليك السلام يا رسول الله كيف وجدت اهلك
وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون له ورجع فاذا الثلثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله
عم شديد الحياء فتولى فلما راوه متوليا خرجوا فرجع ونزلت ولا مستانسين لحديث

نهوا



نهوا عن ان يطيلوا الجلوس يستانس بعضهم ببعض لاجل حديث يحدثه به
او عن ان يستانسوا حديث اهل البيت واستيناسه تسمعه وتوجسه وهو مجرور
معطوف على ناظرين وقيل هو منصوب على ولا تدخلوها مستانسين لابد في قوله
فيستحيي منكم من تقدير المضاف اي من اخراجكم بدليل قوله والله لا يستحيي من الحق
يعني ان اخراجكم حق ما ينبغي ان يستحيى منه ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من
بعض الافعال قيل لا يستحيي من الحق بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم
وهذا ادب ادب الله به الثقلاء وعن عائشة رضي الله عنها حسبك في الثقلاء
ان الله لم يحتملهم وقال فاذا طعمتم فانتشروا وقرئ لا يستحي بياء واحدة
الضمير في سالتموهن لنساء النبي عم ولم يذكرن لان الحال ناطقة بذكرهن متاعا
حاجة فسئلوهن المتاع قيل ان عمر رضي الله عنه كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة
شديدة وكان يذكره كثيرا ويود ان ينزل فيه وكان يقول لو اطاع فيكن ما راتكن عين
وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب
فنزلت وروي انه مر عليهن وهن مع النساء في المسجد فقال لئن احتجبتن فان
لكن على النساء فضلا كما ان لزوجكن على الرجال الفضل فقالت زينب يا ابن الخطاب انك
لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا فلم يلبثوا الا يسيرا حتى نزلت وقيل ان رسول
عم كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم يد عائشة فكره النبي صلى الله عليه
فنزلت آية الحجاب وذكر ان بعضهم قال انهى ان نكلم بنات عمنا الا من ورا
حجاب

وقرئ لا يستحي بحذف الياء الاولى والقاء حركتها على الحاء

لئن مات لنتزوجن عايشة فاعلم الله ان ذلك محرم وما كان لكم وما صح لكم ايذاء
رسول الله ولا نكاح ازواجه من بعده وسمى نكاحهن بعده عظيما عنده و
هو من اعلام تعظيم الله لرسوله وايجاب حرمته حيا وميتا واعلامه بذلك
مما طيب به نفسه وسر قلبه واستغزر شكره فان نحو هذا مما يحدث به الرجل نفسه
ولا يخلو منه فكره ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت لئلا تنكح
من بعده وعن بعض الفتيان انه كانت له جارية لا يرى الدنيا بها شغفا واستهتارا
فنظر اليها ذات يوم فتنفس الصعداء وانتحب فعلا نحيبه مما ذهب به
فكره هذا المذهب فلم يزل به ذلك حتى قتلها تصورا لما عسى يتفق من بقائها
بعده وحصولها تحت يد غيره وعن بعض الفقهاء ان الزوج الثاني في هدم
الثلاث مما يجري مجرى العقوبة فصين رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلاحظ
ذلك ﴿ان تبدوا شيئا او تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما﴾ ان تبدوا شيئا من
نكاحهن على السنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله يعلم ذلك فيعاقبكم به وانما جاء به
على اثر ذلك عاما لكل باد وخاف ليدخل تحته نكاحهن وغيره ولانه على هذه الطريقة
اهول واجزل ﴿لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن
ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت ايمانهن
واتقين الله ان الله كان على كل شيء شهيدا﴾ روي انه لما نزلت اية الحجاب
قالت الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نحن ايضا نكلمهن من وراء الحجاب

فنزلت

فنزلت لا جناح عليهن اي لا اثم عليهن في ان لا يحتجبن من هؤلاء وانما لم يذكر العم و
الخال لانهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم ابا قال الله تعالى
واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق واسمعيل عم يعقوب وقيل كره
ترك الاحتجاب عنهما لانهما يصفانهن لابنائهما وابنائهما غير محارم ثم
نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب وفي هذا النقل ما يدل على فضل تشديد
فقيل واتقين الله فيما امرتن به من الاحتجاب وانزل فيه الوحي من الاستتار
واحتطن فيه وفيما استثني منه ما قدرتن واحفظن حدودهما واسلكن طريق
التقوى في حفظهما وليكن عملكن في الحجب احسن مما كان وانتن غير محتجبات
ليفضل سركن علنكن ان الله كان على كل شيء من السر والعلن وظاهر الحجاب
وباطنه شهيدا لا يتفاوت في علمه الاحوال ﴿ان الله وملائكته يصلون على
النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ قرئ و
ملائكته بالرفع عطفا على محل ان واسمها وهو ظاهر على مذهب الكوفيين
ووجهه عند البصريين ان يحذف الخبر لدلالة يصلون عليه صلوا عليه
وسلموا اي قولوا الصلاة على الرسول والسلام ومعناه الدعاء بان
يترحم عليه الله ويسلم فان قلت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة
ام مندوب اليها قلت بل واجبة وقد اختلفوا في حال وجوبها فمنهم من
اوجبها كلما جرى ذكره وفي الحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل
النار

حدودهما اي حدود المنهي والمستثنى منه

فانّ بعده الله ويروى انه قيل يا رسول الله ارايت قول الله تعالى انّ الله وملائكته يصلّون
على النبيّ فقال صلّى الله عليه وسلّم هذا من العلم المكنون ولولا انكم سألتموني عنه ما اخبرتكم
به انّ الله وكّل بي ملكين فلا اذكر عند عبد مسلم فيصلّي عليّ الّا قال ذانك الملكان غفر الله لك و
قال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا اذكر عند عبد مسلم فلا يصلّي عليّ
الّا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته لذينك الملكين آمين ومنهم من
قال تجب في كلّ مجلس مرّة وان تكرّر ذكره كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس
وكذلك في كلّ دعاء في اوّله وآخره ومنهم من اوجبها في العمر مرّة وكذا قال في اظهار
الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط الصلوة عليه عند كلّ ذكر لما ورد من الاخبار
فان قلت فالصلوة عليه في الصلوة اهي شرط في جوازها ام لا قلت ابو حنيفة واصحابه
لا يرونها شرطا وعن ابراهيم النخعي كانوا يكتفون عن ذلك يعني الصحابة بالتشهد
وهو السلام عليك ايها النبيّ واما الشافعي فقد جعلها شرطا فان قلت فما تقول في
الصلوة على غيره قلت القياس جواز الصلوة على كلّ مؤمن لقوله تعالى هو الذي يصلّي
عليكم وقوله وصلّ عليهم انّ صلوتك سكن لهم وقوله عم اللّهمّ صلّ على آل ابي اوفى ولكن
للعلماء تفصيلا في ذلك وهو انها ان كانت على سبيل التبع كقولك صلّى الله على النبيّ وآله
فلا كلام فيها واما اذا افرد غيره من اهل البيت بالصلوة كما يفرد هو فمكروه
لان ذلك صار شعارا لذكر رسول الله عم ولانه يؤدّي الى الاتّهام بالرفض وقال رسول الله
عم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفنّ مواقف التهم ۝ انّ الذين يؤذون



الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعدّ لهم عذابا مهينا ۝ يؤذون
الله ورسوله فيه وجهان احدهما ان يعبّر بايذائهما عن فعل ما يكرهانه و
لا يرضيانه من الكفر والمعاصي وانكار النبوّة ومخالفة الشريعة وما كانوا
يصيبونه به رسول الله عم من انواع المكروه على سبيل المجاز وانما جعلته مجازا
فيهما جميعا وحقيقة الايذاء صحيحة في رسول الله عم لئلّا اجعل العبارة الواحدة
معطية معنى المجاز والحقيقة والثاني ان يراد يؤذون رسول الله عم وقيل في اذى
الله هو قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلثة و
المسيح ابن الله والملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه وقيل قول الذين يلحدون
في اسمائه وصفاته وعن رسول الله عم فيما حكى عن ربّه شتمني ابن آدم ولم ينبغ
له ان يشتمني وآذاني ولم ينبغ له ان يؤذيني فاما شتمه اياي فقوله انّي اتّخذت
ولدا ان ايذاؤه وعن عكرمة فعل اصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين
خلق مثل خلق الله وقيل في اذى رسول الله قولهم ساحر شاعر كاهن مجنون
وقيل كسر رباعيته وشجّ وجهه يوم احد وقيل طعنهم عليه في نكاح صفيّة بنت
حييّ واطلق ايذاء الله ورسوله وقيّد ايذاء المؤمنين والمؤمنات لانّ اذى الله تعالى
ورسوله عم لا يكون الا غير حقّ ابدا واما اذى المؤمنين والمؤمنات فمنه ومنه
۝ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا و
اثما مبينا ۝ ومعنى بغير ما اكتسبوا بغير جناية واستحقاق للاذى وقيل نزلت في ناس

حدة

من المنافقين يؤذون عليا رضي الله عنه ويسمعونه وقيل في الذين افكوا على عائشة رضي الله عنها
وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات وعن الفضيل لا يحل لك ان تؤذي
كلبا او خنزيرا بغير حق فكيف وكان ابن عون لا يكري الحوانيت الا من اهل الذمة
لما فيه من الروعة عند كر الحول ﴿يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء
المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان
الله غفورا رحيما﴾ الجلباب ثوب واسع اوسع من الخمار ودون الرداء تلويه
المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها وعن ابن عباس الرداء الذي
يستر من فوق الى اسفل وقيل الملحفة وكل ما يتستر به من كساء او غيره قال
ابو زبيد مجلبب من سواد الليل جلبابا ومعنى يدنين عليهن من جلابيبهن
يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن واعطافهن يقال اذا زل الثوب
عن وجه المرأة ادني ثوبك على وجهك وذلك ان النساء كن في اول الاسلام على هجيراهن
في الجاهلية متبذلات تبرز المرأة في درع وخمار لا فصل بين الحرة والامة و
كان الفتيان واهل الشطارة يتعرضون اذا خرجن بالليل الى مقاضي حوائجهن في
النخيل والغيطان للاماء وربما تعرضوا للحرة بعلة الامة يقولون حسبناها امة
فامرن ان يخالفن بزيهن عن زي الاماء بلبس الاردية والملاحف وستر الرؤوس
والوجوه ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن طامع وذلك قوله تعالى ذلك ادنى
ان يعرفن اي اولى واجدر بان يعرفن فلا يتعرض لهن ولا يلقين ما يكرهن

التبذل ترك التصون

فان

فان قلت ما معنى من في من جلابيبهن قلت هو للتبعيض الا ان معنى التبعيض محتمل
وجهين احدهما ان يتجلببن ببعض ما لهن من الجلابيب والمراد ان لا تكون الحرة متبذلة
في درع وخمار كالامة والماهنة ولها جلبابان فصاعدا في بيتها والثاني ان ترخي المرأة
بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز من الامة وعن ابن سيرين سألت
عبيدة السلماني فقال ان تضع رداءها فوق الحاجب ثم تديره حتى تضعه على انفها و
عن السدي ان تغطي احدى عينيها وجبهتها والشق الاخر الا العين وعن الكسائي
يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن اراد بالانضمام معنى الادناء وكان الله غفورا
لما سلف منهن من التفريط مع التوبة لان هذا مما يمكن معرفته بالعقل ﴿لئن
لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم
ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا﴾ الذين في قلوبهم مرض قوم كان فيهم ضعف
ايمان وقلة ثبات عليه وقيل هم الزناة واهل الفجور من قوله تعالى فيطمع الذي
في قلبه مرض والمرجفون ناس كانوا يرجفون باخبار السوء عن سرايا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فينكسرون
بذلك قلوب المؤمنين يقال ارجف بكذا اذا اخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا
متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهي الزلزلة والمعنى لئن لم ينته المنافقون عن
عداوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجفون عما يؤلفون من اخبار السوء
لنأمرنك بان تفعل بهم الافاعيل التي تسوؤهم ثم بان تضطرهم الى طلب الجلاء

قوله لان هذا متعلق بمحذوف اي انما قال غفورا اي لما مضى مع انه لم يتعرض ... لان ذلك مما يعرف بالعقل ... التحفظ واجبا بدليل العقل وذلك بناء على مذهبه

ابن السكيت يقال لم يجر بما ساءه اي تغلبه وما يسوءه ويسره وقال بعضهم اراد ساءه ... وهذا ... يتعدى لا لاجل ... ان ... ورد ... لا يتما ... اللغة ... على اللغة

عن المدينة وإلى أن لا يساكنوك فيها إلا زمناً قليلاً ريثما يرتحلون ويلتقطون أنفسهم وعيالاتهم فسمى ذلك إغراء وهو التحريش على سبيل المجاز ﴿ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا﴾ ملعونين نصب على الشتم أو الحال أي لا يجاورونك إلا ملعونين دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معاً كما مر في قوله إلا أن يؤذن لكم غير ناظرين ولا يصح أن ينتصب عن أخذوا لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها وقيل في قليلاً هو منصوب على الحال أيضاً ومعناه لا يجاورونك إلا أقلاء أذلاء ملعونين فإن قلت ما موقع لا يجاورونك قلت لا يجاورونك عطف على لنغرينك لأنه يجوز أن يجاب به القسم ألا ترى إلى صحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك فإن قلت أما كان من حق لا يجاورونك أن يعطف بالفاء وأن يقال لنغرينك بهم فلا يجاورونك قلت لو جعل الثاني مسبباً عن الأول لكان الأمر كما قلت ولكنه جعل جواباً آخر للقسم معطوفاً على الأول وإنما عطف بثم لأن الجلاء عن الأوطان كان أعظم عليهم وأعظم من جميع ما أصيبوا به فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ سنة الله في موضع مصدر مؤكد أي سن الله في الذين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا حيث ما ثقفوا عن مقاتل يعني كما قتل أهل بدر وأسروا ﴿يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا﴾ كان المشركون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استعجالاً على سبيل الهزء واليهود يسألونه امتحاناً لأن الله تعالى عمى وقتها

في التوراة

في التوراة وفي كل كتاب [illegible] ملكاً ولا نبياً ثم بين لرسوله أنها قريبة الوقوع تهديداً للمستعجلين وإسكاتاً للممتحنين قريباً شيئاً قريباً أو لأن الساعة في معنى اليوم أو في زمان قريب ﴿إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا﴾ السعير النار المسعورة الشديدة الإيقاد وقرئ تُقَلَّبُ على البناء للمفعول وتَقَلَّبُ بمعنى تتقلب ونُقَلِّبُ أي نقلب نحن وتُقَلِّبُ على أن الفعل للسعير ومعنى تقليبها تصريفها في الجهات كما ترى البضعة تدور في القدر إذا غلت فترامى بها الغليان من جهة إلى جهة أو تغييرها عن أحوالها وتحويلها عن هيئاتها أو طرحها في النار مقلوبين منكوسين وخصت الوجوه بالذكر لأن الوجه أكرم موضع على الإنسان من جسده ويجوز أن يكون الوجه عبارة عن الجملة وناصب الظرف يقولون أو محذوف وهو اذكر وإذا نصب بالمحذوف كان يقولون حالاً ﴿وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا﴾ وقرئ سادتنا وساداتنا وهم رؤساء الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم يقال ضل السبيل وأضله إياه وزيادة الألف لإطلاق الصوت جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على أن الكلام قد انقطع وأن ما بعده مستأنف ﴿ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا﴾ وقرئ كثيراً تكثير الأعداد اللعائن وكبيراً ليدل على أشد اللعن وأعظمه

البضعة بالفتح القطعة من اللحم

ضعفين ضعفا للضلاله وضعفا للاضلاله يعترفون ويستغفرون ويتمنون
ولا ينفعهم شيء من ذلك ﴿يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى
فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها﴾ لا تكونوا كالذين آذوا موسى
قيل نزلت في شان زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس وقيل
في اذى موسى عم هو حديث المومسة التي ارادها قارون على قذفه بنفسها
وقيل اتهامهم اياه بقتل هرون وكان قد خرج معه الى الجبل فمات هناك
فحملته الملائكة ومروا به عليهم ميتا فابصروه حتى عرفوا انه غير مقتول وقيل احياه
الله فاخبرهم ببراءة موسى وقيل قرفوه بعيب في جسده من برص او ادرة فاطلعهم
الله على انه بريء منه وجيها ذا جاه ومنزلة عنده فلذلك كان يميط عنه التهم ويدفع
الاذى ويحافظ عليه لئلا يلحقه وصم ولا يوصف بنقيصة كما يفعل الملك بمن له عنده
قربة ووجاهة وقرأ ابن ~~خالويه~~ مسعود والاعمش وابو حيوة وكان عبد
الله وجيها قال ابن خالويه صليت خلف ابن شنبوذ في شهر رمضان فسمعته
بقراءة العامة اوجه لانها مفصحة عن وجاهته عند الله كقوله لعند ذي
العرش مكين وهذه ليست كذلك فان قلت قوله مما قالوا معناه من قولهم او من
مقولهم لان ما اما مصدرية او موصولة وايهما كان فكيف تصح البراءة منه قلت
المراد بالقول او المقول مؤداه ومضمونه وهو الامر المعيب الا ترى انهم
سموا السبة بالقالة والقالة بمعنى القول ﴿يا ايها الذين آمنوا اتقوا

الله



الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله
فقد فاز فوزا عظيما﴾ قولا سديدا قاصدا الى الحق والسداد القصد
الى الحق والقول بالعدل يقال سدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن
سمتها كما قالوا سهم قاصد والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب
من غير قصد وعدل في القول والبعث على ان يسد قولهم في كل باب لان حفظ
اللسان وسداد القول رأس الخير كله والمعنى راقبوا الله في حفظ السنتكم
وتسديد قولكم فانكم ان فعلتم ذلك اعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل
حسناتكم والاثابة عليها ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها وقيل اصلاح الاعمال التوفيق
في المجيء بها صالحة مرضية وهذه الآية مقررة للتي قبلها بنيت تلك على النهي عما يؤذي
رسوله عم وهذه على الامر باتقاء الله في حفظ اللسان ليترادف عليهم النهي والامر
مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى واتباع الامر الوعد البليغ
فيقوى الصارف عن الاذى والداعي الى تركه ﴿انا عرضنا الامانة على السموات و
الارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا﴾
لما قال ومن يطع الله ورسوله وعلق بالطاعة الفوز العظيم اتبعه قوله انا
عرضنا الامانة وهو يريد بالامانة الطاعة فعظم امرها وفخم شانها وفيه
وجهان احدهما ان هذه الاجرام العظام من السموات والارض والجبال قد
انقادت لامر الله عز وعلا انقياد مثلها وهو ما يتأتى من الجمادات واطاعت له
الطاعة

أي لا يمسك الرقة والعطف امساك المالك الضنين ما في يده بل يبذله

التي تصح منها وتليق بها حيث لا تمتنع على مشيئته وارادته ايجادًا وتكوينًا وتسوية
على هيئات مختلفة واشكال متنوعة كما قال قالتا أتينا طائعين واما الانسان فلم تكن
حاله فيما يصح منه من الطاعة ويليق به من الانقياد لأوامر الله ونواهيه وهو حيوان
عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم
الامتناع والمراد بالامانة الطاعة لانها لازمة الوجود كما ان الامانة لازمة الاداء وعرضها
على الجمادات وإباؤها واشفاقها مجاز واما حمل الامانة فمن قولك فلان حامل للامانة
ومحتمل لها تريد انه لا يؤديها الى صاحبها حتى تزول عن ذمته ويخرج عن عهدتها
لان الامانة كأنها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها الا تراهم يقولون ركبته الديون ولي
عليه حق فاذا اداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملا لها ونحوه قولهم لا يملك مولى لمولى
نصرًا يريدون انه يبذل النصرة له ويسامحه بها ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل ومنه قول
القائل اخوك الذي لا تملك الحس نفسه وترفض عند المحفظات الكتائف
ومنه قولهم ابغض حق اخيك لانه اذا احبه لم يخرجه الى اخيه ولم يؤده فاذا ابغضه
اخرجه واداه فمعنى فأبين ان يحملنها وحملها الانسان فأبين الا ان يؤدينها وابى الانسان
الا ان يكون محتملا لها لا يؤديها ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا لاداء الامانة وبالجهل لاخطائه
ما يسعده مع تمكنه منه وهو اداؤها والثاني ان ما كلفه الانسان بلغ من عظمه وثقل
محمله انه عرض على اعظم ما خلق الله من الاجرام واقواه واشده ان يتحمله ويستقل
به فأبى حمله والاستقلال به واشفق منه وحمله الانسان على ضعفه ورخاوة قوته انه كان
ظلوما جهولا

حيث



حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خاس بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام
كثير في لسان العرب وما جاء القرآن الا على طرقهم واساليبهم من ذلك قولهم
لو قيل للشحم اين تذهب لقال اسوي العوج وكم لهم من امثاله على ألسنة
البهائم والجمادات وتصور مقاولة الشحم محال ولكن الغرض ان السمن
في الحيوان مما يحسن قبيحه كما ان العجف مما يقبح حسنه فصور اثر
السمن فيه تصويرا هو اوقع في نفس السامع وهي به آنس وله اقبل
وعلى حقيقته اوقف وكذلك تصوير عظم الامانة وصعوبة امرها وثقل
محملها والوفاء بها فان قلت قد علم وجه التمثيل في قولهم للذي لا يثبت
على رأي واحد اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى لانه مثلت حاله في
تميله وترجحه بين الرأيين وتركه المضي على احدهما بحال من يتردد
في ذهابه فلا يجمع رجليه للمضي في وجهه وكل واحد من الممثل والممثل به
شيء مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفة وليس كذلك ما في الآية فان عرض
الامانة على الجماد وإباءه واشفاقه محال في نفسه غير مستقيم فكيف صح بناء
التمثيل على المحال وما مثال هذا الا ان تشبه شيئا والمشبه به غير معقول
قلت الممثل به في الآية وفي قولهم لو قيل للشحم اين تذهب وفي نظائره مفروض
والمفروضات تتخيل في الذهن كما المحققات مثلت حال التكليف في صعوبته
وثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على السموات والارض والجبال لأبين ان
يحملنها واشفقن منها

ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على
المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما واللام في ليعذب لام التعليل
على طريق المجاز لان التعذيب نتيجة حمل الامانة كما ان التاديب في ضربته للتاديب
نتيجة الضرب وقرا الاعمش ويتوب ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل و
يبتدئ ويتوب الله ومعنى قراءة العامة ليعذب الله حامل الامانة ويتوب
على غيره ممن لم يحملها لانه اذا تيب على الواقي كان ذلك نوع من عذاب الغادر و
الله اعلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت
يمينه اعطي الامان من عذاب القبر

## سورة سبا مكية وهي اربع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله
الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير ما في السموات والارض كله نعمة من الله وهو
الحقيق بان يحمد ويثنى عليه من اجله ولما قال الحمد لله ثم وصف ذاته بالانعام بجميع النعم
الدنيوية كان معناه انه المحمود على نعم الدنيا كما تقول احمد اخاك الذي كساك
وحملك وتريد احمده على كسوته وحملانه ولما قال وله الحمد في الآخرة علم انه المحمود
على نعم الآخرة وهو الثواب فان قلت ما الفرق بين الحمدين قلت اما الحمد في الدنيا
فواجب لانه على نعمة متفضل بها وهو الطريق الى تحصيل نعمة الآخرة وهي الثواب
واما الحمد في الآخرة فليس بواجب لانه على نعمة واجبة الايصال الى مستحقها انما
هو تتمة سرور المؤمنين وتكملة اغتباطهم يلتذون به كما يلتذ من به العطاش بالماء



الماء البارد وهو الحكيم الذي احكم امور الدارين ودبرها بحكمته الخبير بكل كائن
يكون يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها
وهو الرحيم الغفور ثم ذكر مما يحيط به علما ما يلج في الارض من الغيث كقوله
فسلكه ينابيع في الارض ومن الكنوز والدفائن والاموات وجميع ما هي له
كفات وما يخرج منها من الشجر والنبات وماء العيون والفضة والدواب وغير ذلك
وما ينزل من السماء من الامطار والثلوج والبرد والصواعق والارزاق و
الملائكة وانواع البركات والمقادير كما قال وفي السماء رزقكم وما توعدون وما
يعرج فيها من الملائكة واعمال العباد وهو مع كثرة نعمته وسبوغ فضله
الرحيم الغفور للمفرطين في اداء مواجب شكرها وقرا علي بن ابي طالب
ننزل بالنون والتشديد وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة قل
بلى وربي لتاتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في
الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين ليجزي الذين آمنوا و
عملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم قولهم لا تاتينا
الساعة نفي للبعث وانكار لمجيء الساعة او استبطاء لما وعدوه من قيامها
على سبيل الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد اوجب ما بعد النفي
ببلى على معنى ان ليس الامر الا اتيانها ثم اعيد ايجابه مؤكدا بما هو الغاية
في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم امد التو

سبغت النعمة تسبغ بالضم سبوغا اتسعت واسبغ الله عليه النعمة اي اتمها

القسم امتدادا بما اتبع المقسم به من الوصف بما وصف به الى قوله ليجزي لان عظمة
حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وبشدة ثباته واستقامته لانه بمنزلة
الاستشهاد على الامر وكلما كان المستشهد به اعلى كعبا وابين فضلا وارفع منزلة كانت
الشهادة اقوى واكد والمستشهد عليه اثبت وارسخ فان قلت هل للوصف الذي
وصف به المقسم به وجه اختصاص بهذا المعنى قلت نعم وذلك ان قيام الساعة
من مشاهير الغيوب وادخلها في الخفية واولها مسارعة الى القلب اذا قيل
عالم الغيب فحين اقسم باسمه على اثبات قيام الساعة وانه كائن لا محالة ثم وصف بما
يرجع الى علم الغيب وانه لا يفوت علمه شيء من الخفيات اندرج تحته احاطته
بوقت قيام الساعة فجاء ما تطلبه من وجه الاختصاص مجيئا واضحا فان قلت الناس
قد انكروا اتيان الساعة وجحدوه فهب انه حلف لهم باغلظ الايمان واقسم
عليهم جهد القسم فيمين من هو في معتقدهم مفتر على الله كذبا كيف تكون
مصححة لما انكروه قلت هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها الحجة القاطعة والبينة
الساطعة وهو قوله ليجزي فقد وضع الله في العقول وركب في الغرائز وجوب
الجزاء وان المحسن لا بد له من ثواب والمسيء لا بد له من عقاب وقوله ليجزي متعلق
بقوله لتاتينكم تعليلا له قرئ لتاتينكم بالتاء والياء ووجه من قرا بالياء ان يكون ضميره
للساعة بمعنى اليوم او يسند الى عالم الغيب اي ليأتينكم امره كما قال هل ينظرون
الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي ربك وقال او ياتي امر ربك وقرئ عالم الغيب وعلام

الغيب

الغيب بالجر صفة لربي وعالم الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح ولا يعزب
بالضم والكسر من العزوب وهو البعد يقال روض عزيب بعيد من الناس مثقال ذرة مقدار
اصغر نملة وذلك اشارة الى مثقال ذرة وقرئ ولا اصغر من ذلك ولا اكبر بالرفع
على اصل الابتداء وبالفتح على نفي الجنس كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بالرفع
والنصب وهو كلام منقطع عما قبله فان قلت هل يصح عطف المرفوع على مثقال
ذرة كانه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة واصغر واكبر وزيادة لا لتاكيد النفي وعطف
المفتوح على ذرة بانه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف كانه قيل لا يعزب عنه
مثقال ذرة ولا مثقال اصغر من ذلك ولا اكبر قلت يابى ذلك حرف الاستثناء الا
اذا جعلت الضمير في عنه للغيب وجعلت الغيب اسما للخفيات قبل ان تكتب
في اللوح لان اثباتها في اللوح نوع من البروز عن الحجاب على معنى انه لا ينفصل
عن الغيب شيء ولا يزل عنه الا مسطورا في اللوح والذين سعوا في اياتنا
معاجزين اولئك لهم عذاب من رجز اليم وقرئ معجزين واليم بالرفع
والجر وعن قتادة الرجز سوء العذاب ويرى في موضع الرفع ويرى الذين
اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز
الحميد اي ويعلم اولو العلم يعني اصحاب رسول الله صلعم ومن يطأ اعقابهم
من امته او علماء اهل الكتاب الذين اسلموا مثل كعب الاحبار وعبد الله بن سلام
الذي انزل اليك الحق هما مفعولا يرى وهو فصل ومن قرا بالرفع جعله

مبتدأ والحق خبر والجملة في موضع المفعول الثاني وقيل يرى في موضع النصب معطوف
على ليجزي أي وليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة أنه الحق علما لا يزاد عليه في الإ
يقان ويحتجوا به على الذين كذبوا وتولوا ويجوز أن يريد وليعلم من لم يؤمن
من الأحبار أنه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما ﴿وقال الذين كفروا هل ندلكم على
رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد أفترى على الله كذبا أم به جنة
بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد﴾ الذين كفروا قريش
قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا صلعم يحدثكم بأعجوبة من الأعاجيب
أنكم تبعثون وتنشأون خلقا جديدا بعد أن تكونوا رفاتا وترابا ويمزق أجسادكم
البلى كل ممزق أي يفرقكم ويبدد أجزاءكم كل تبديد أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب
إليه من ذلك أم به جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه ثم قال سبحانه ليس بمحمد من الافتراء
والجنون في شيء وهو مبرأ منهما بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث واقعون في
عذاب النار وفيما يؤديهم إليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك
أجن الجنون وأشده إطباقا على عقولهم جعل وقوعهم في العذاب رسيلا لوقوعهم
في الضلال كأنهما كائنان في وقت واحد لأن الضلال لما كان العذاب من لوازمه وموجباته
جعلا كأنهما في الحقيقة مقترنان وقرأ زيد بن علي ينبيكم فإن قلت فقد جعلت الممزق
مصدرا كبيت الكتاب ﴿ألم تعلم مسرحي القوافي فلا عيا بهن ولا اجتلابا﴾ فهل يجوز
أن يكون مكانا قلت نعم ومعناه ما حصل من الأموات في بطون الطير والسباع وما مرت به السيول
فذهبت به كل مذهب وما سفته الرياح فطرحته كل مطرح فإن قلت ما العامل في إذا قلت

ما دل

ما دل عليه إنكم لفي خلق جديد وقد سبق نظيره فإن قلت الجديد فعيل بمعنى
فاعل أم مفعول قلت هو عند البصريين بمعنى فاعل تقول جد فهو جديد كحد
فهو حديد وقل فهو قليل وعند الكوفيين بمعنى مفعول من جده إذا قطعه
وقالوا هو الذي جده الناسج الساعة في الثوب ثم شاع ويقولون ولهذا قالوا
ملحفة جديد وهي عند البصريين كقوله تعالى إن رحمة الله قريب ونحو ذلك
فإن قلت لم أسقطت الهمزة في قوله أفترى دون قوله السحر وكلتاهما همزة
وصل قلت القياس الطرح ولكن أمرا اضطرهم إلى ترك إسقاطها في نحو السحر
هو خوف التباس الاستفهام بالخبر لكون همزة الوصل مفتوحة كهمزة
الاستفهام فإن قلت ما معنى وصف الضلال بالبعد قلت هو من الإسناد المجازي
لأن البعيد صفة الضال إذا بعد عن الجادة وكلما ازداد عنها بعدا كان أضل
فإن قلت كان رسول الله صلعم مشهورا علما في قريش وكان إنباؤه بالبعث
شائعا عندهم فما معنى قوله هل ندلكم على رجل ينبئكم فنكروه لهم وعرضوا
عليهم الدلالة عليه كما يدل على مجهول في أمر مجهول قلت كانوا يقصدون بذلك
الطنز والسخرية فأخرجوه مخرج التحلي ببعض الأحاجي التي يتحاجى بها
للضحك والتلهي متجاهلين به وبأمره ﴿أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما
خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا
من السماء إن في ذلك لآية لكل عبد منيب﴾ أعموا فلم ينظروا إلى السماء والأرض

يعني قوله تعالى ما جئتم به السحر

وانهما حيثما كانوا وانما ساروا امامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدرون ان
ينفذوا من اقطارهما وان يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله ولم يخافوا ان نخسف
بهم او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الايات وكفرهم بالرسول وبما جاء به كما فعل
بقارون واصحاب الايكة ان في ذلك النظر الى السماء والارض والفكر فيهما وما تدلان
عليه من قدرة الله لاية ودلالة لكل عبد منيب وهو الراجع الى ربه المطيع له
لان المنيب لا يخلو من النظر في ايات الله على انه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من
يكفر به قرئ يشا ويخسف ويسقط بالياء لقوله افترى على الله كذبا وبالنون لقوله
ولقد آتينا وكسفا بفتح السين وبسكونه وقرا الكسائي نخسف بهم بالادغام
وليس بقوية ﴿ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال اوبي معه والطير و
النا له الحديد﴾ يا جبال اما ان يكون بدلا من فضلا او من آتينا بتقدير
قولنا يا جبال او قلنا يا جبال وقرئ اوبي من التاويب والاوب اي رجعي
معه التسبيح او ارجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه لانه اذا رجعه فيه و
معنى تسبيح الجبال ان الله يخلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام في الشجرة
يسمع منها ما يسمع من المسبح معجزة لداود عليه السلام وقيل كان ينوح
على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها والطير
بالعطف على محلها وقرئ والطير رفعا ونصبا عطفا على لفظ الجبال ومحلها وجوز ان
ينتصب مفعولا معه وان يعطف على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير فانه تلت اي فرق

بين



بين هذا النظم وبين ان يقال وآتينا داود منا فضلا تاويب الجبال معه و الطير
فتنبه كم بينهما الاشارة الى ما فيه من الفخامة التي لا تخفى ومن الدلالة على عظمة
الربوبية وكبرياء الالهية حيث جعلت الجبال منزلة العقلاء الذين
اذا امرهم اطاعوا واذعنوا واذا دعاهم سمعوا واجابوا اشعار بانه
ما من حيوان وجماد وناطق وصامت الا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على
ارادته والنا له الحديد وجعلناه له لينا كالطين والعجين والشمع يصرفه
بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد في يده لما
اوتي من شدة القوة ﴿ان اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا اني
بما تعملون بصير﴾ وقرئ صابغات وهي الدروع الواسعة الضافية
وهو اول من اتخذها وكانت قبل صفائح وقيل كان يبيع الدرع باربعة آلاف
فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقرا وقيل كان يخرج حين ملك
بني اسرائيل متنكرا فيسال الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون في داود
فيثنون عليه فقيض الله ملكا في صورة آدمي فسأله على عادته فقال نعم الرجل
لولا خصلة فيه فريع داود فسأله فقال لولا انه يطعم عياله من بيت المال
فسأل عند ذلك ربه ان يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه صنعة
الدروع وقدر لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفصم الحلق و
التحرز في نسج الدروع واعملوا الضمير لداود واهله ﴿ولسليمان الريح﴾

غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل
بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ما شاء و
وسخرنا لسليمان الريح فيمن نصب ولسليمان الريح مسخرة فيمن رفع
وكذلك فيمن قرأ الرياح بالرفع غدوها شهر جريها بالغداة مسيرة
شهر وجريها بالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها وعن الحسن كان
يغدو فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه ببابل ويحكى أن بعضهم رأى
مكتوبا في منزل بناحية دجلة كتبه بعض أصحاب سليمان نحن نزلناه وما
بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون
بالشام إن شاء الله القطر النحاس المذاب من القطران فإن قلت ماذا أراد
بعين القطر قلت أراد بها معدن النحاس ولكنه أساله كما ألان الحديد لداود
فنبع كما ينبع الماء من العين فلذلك سماه عين القطر باسم ما آل إليه كما قال
إني أراني أعصر خمرا وقيل كان يسيل في الشهر ثلاثة أيام بإذن ربه بأمره ومن يزغ
منهم ومن يعدل عن أمرنا الذي أمرناه به من طاعة سليمان وقرئ يزغ من أزاغه
وعذاب السعير عذاب الآخرة عن ابن عباس وعن السدي رضي الله عنهم كان
معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجني
يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور را
سيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور المحاريب

المساكن والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال سميت محاريب لأنه
يحامى عليها ويذب عنها وقيل هي المساجد والتماثيل صور الملائكة والنبيين
والصالحين كانت تعمل في المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها
الناس فيعبدوا نحو عبادتهم فإن قلت كيف استجاز سليمان عليه السلام
عمل التصاوير قلت هذا مما يجوز أن تختلف فيه الشرائع لأنه ليس من مقبحات
العقل كالظلم والكذب وعن أبي العالية لم يكن اتخاذ الصور إذ ذاك محرما ويجوز
أن يكون غير صور الحيوان كصور الأشجار وغيرها لأن التمثال كل ما صور على
مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان أو بصور محذوفة الرؤوس وروي أنهم عملوا
له أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له
ذراعيهما وإذا قعد أظله النسران بأجنحتهما والجوابي الحياض الكبار قال تروح
على آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق لأن الماء يجبى فيها أي يجمع جعل
الفعل لها مجازا وهي من الصفات الغالبة كالدابة قيل كان يقعد على الجفنة ألف
رجل وقرئ بحذف الياء اكتفاء بالكسرة كقوله يوم يدع الداع راسيات ثابتات
على الأثافي لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود حكاية ما قيل لآل داود وانتصب
شكرا على أنه مفعول له أي اعملوا لله واعبدوه على وجه الشكر لنعمائه وفيه دليل
على أن العبادة يجب أن تؤدى على طريق الشكر أو على الحال أي شاكرين أو على تقدير
اشكروا شكرا لأن اعملوا فيه معنى اشكروا من حيث أن العمل للمنعم شكر له ويجوز أن ينتصب

باعملوا مفعولا به ومعناه انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا انتم
شكرا على طريق المشاكلة والشكور المتوفر على اداء الشكر الباذل وسعه
فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا وكدحا واكثر
اوقاته وعن ابن عباس من يشكر على احواله كلها وعن السدي من يشكر على
الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر وعن داود انه جزا ساعات الليل والنهار
على اهله فلم تكن تاتي ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلي وعن
عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول اللهم اجعلني من القليل فقال عمر ما هذا
الدعاء فقال الرجل اني سمعت الله يقول وقليل من عبادي الشكور فانا ادعو
ان يجعلني من ذلك القليل فقال عمر كل الناس اعلم من عمر ﴿فلما قضينا
عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته فلما خر تبينت الجن
ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين﴾ قرئ فلما قضي
عليه الموت ودابة الارض الارضة وهي الدويبة يقال لها السرفة والارض
فعلها فاضيفت اليه يقال ارضت الخشبة ارضا اذا اكلتها الارضة وقرئ بفتح الراء
من ارضت الخشبة ارضا وهو من باب فعلته ففعل كقولك اكلت القوادح
الاسنان اكلا فاكلت اكلا والمنساة العصا لانه ينسا بها اي يطرد ويؤخر و
قرئ بفتح الميم وبتخفيف الهمزة قلبا وحذفا وكلاهما ليس بقياس ولكن
اخراج الهمزة بين بين هو التخفيف القياسي ومنساته على مفعالة

كما



كما يقال في الميضاة ميضاة ومن ساته اي من طرف عصاه سميت بساة القوس
على الاستعارة وفيها لغتان كقولهم قحة وقحة وقرئ اكلت منساته تبينت
الجن من تبين الشيء اذا ظهر وتجلى وان مع صلتها بدل من الجن بدل
الاشتمال كقولك تبين زيد جهله والظهور له في المعنى اي ظهر ان الجن
لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب او علم الجن كلهم علما بينا
بعد التباس الامر على عامتهم وضعفتهم وتوهمهم ان كبارهم يصدقون
في ادعائهم علم الغيب او علم المدعون علم الغيب منهم عجزهم وانهم
لا يعلمون الغيب وان كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم وانما اريد التهكم
بهم كما تتهكم بمدعي الباطل اذا دحضت حجته وظهر ابطاله بقولك هل
تبينت انك مبطل وانت تعلم انه لم يزل كذلك متبينا وقرئ تبينت الجن
على البناء للمفعول على ان المتبين في المعنى هو ان مع ما في صلتها لانه بدل
وفي قراءة ابي تبينت الانس وعن الضحاك تباينت الانس بمعنى تعارفت
وتعالمت والضمير في كانوا للجن في قوله ومن الجن من يعمل بين يديه
اي علمت الانس ان لو كان الجن يصدقون فيما يوهمونهم من علمهم الغيب
ما لبثوا وفي قراءة ابن مسعود تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون
الغيب روي انه كان من عادة سليمان عليه السلام ان يعتكف في مسجد

بيت المقدس المدد الطوال فلما دنا اجله لا يصبح الا راى في محرابه شجرة
نابتة قد انطقها الله فيسالها لاي شيء انت فتقول لكذا حتى اصبح ذات يوم
فراى الخروبة فسالها فقالت نبتت لخراب هذا المسجد فقال ما كان الله
ليخربه وانا حي انت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها و
غرسها في حائط له وقال اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الناس انهم لا يعلمون
الغيب لانهم كانوا يسترقون السمع ويموهون على الانس انهم يعلمون
الغيب وقال لملك الموت اذا امرت بي فاعلمني فقال امرت بك وقد بقيت
من عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب
فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها وكانت الشياطين
تجتمع حول محرابه اينما صلى فلم يكن شيطان ينظر اليه في صلاته الا احترق
فمر به شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فاذا سليمان
خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد اكلتها الارضة فارادوا ان يعرفوا
وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت منها في يوم وليلة مقدارا
فحسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين
يديه ويحسبونه حيا فايقن الناس انهم لو علموا الغيب لما لبثوا
في العذاب سنة وروي ان داود اسس بناء بيت المقدس في موضع

فسطاط



ساعة

فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل ان يتمه فوصى به الى سليمان فامر الشياطين
باتمامه فلما بقي من عمره سنة سال ان يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه و
ليبطل دعواهم علم الغيب وروي ان افريدون جاء ليصعد كرسيه
فلما دنا ضرب الاسدان ساقه فكسراها فلم يجسر احد بعد ان يدنو
منه وكان عمر سليمان ثلثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلث عشرة سنة
فبقي في ملكه اربعين سنة وابتدا بناء بيت المقدس لاربع مضين
من ملكه ﴿لقد كان لسبا في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا
من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور﴾ قرئ لسبا
بالصرف ومنعه وقلب الهمزة الفا ومسكنهم بفتح الكاف وكسرها
وهو موضع سكناهم وهو بلدهم وارضهم التي كانوا مقيمين فيها
او مسكن كل واحد منهم وقرئ مساكنهم وجنتان بدل من آية او خبر
مبتدا محذوف تقديره الآية جنتان وفي الرفع معنى المدح تدل عليه
قراءة من قرا جنتين بالنصب على المدح فان قلت ما معنى كونهما آية قلت
لم تجعل الجنتين في انفسهما آية وانما جعل قصتهما وان اهلهما اعرضوا
عن شكر الله تعالى عليهما فخربهما وابدلهم عنهما الخمط والاثل آية و
عبرة لهم ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا الى ما كانوا عليه من الكفر وغمط
النعم ويجوز ان تجعلهما آية اي علامة دالة على الله وعلى قدرته واحسانه

ووجوب شكره فان قلت كيف عظم الله جنتي اهل سبأ وجعلهما آية ورب
قرية من قريات العراق تحتف بها من الجنان ما شئت قلت لم يرد بستانين
اثنين فحسب وانما اراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم و
اخرى عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامها كأنها
جنة واحدة او عن يمين مسكنه وعن شماله كما قال جعلنا لاحدهما جنتين من
اعناب كلوا من رزق ربكم اما حكاية لما قال لهم انبياء الله المبعوثون اليهم
او لما قال لهم لسان الحال او دلالة بانهم احقاء بان يقال لهم ذلك ولما قال لهم كلوا من رزق
ربكم واشكروا له اتبعه قوله بلدة طيبة ورب غفور يعني هذه البلدة التي فيها
رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن يشكره وعن
ابن عباس كانت اخصب البلاد واطيبها تخرج المرأة وعلى رأسها المكتل فتعمل
بيديها وتسير بين تلك الشجر فيمتلئ المكتل مما يتساقط فيه من الثمر طيبة
لم تكن سبخة وقيل لم يكن فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب
ولا حية وقرئ بلدة طيبة وربا غفورا بالنصب على المدح وعن ثعلب
معناه اسكن واعبد فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم
بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط واثل وشيء من سدر قليل العرم
الجرذ الذي نقب عليهم السكر ضربت لهم بلقيس الملكة بسد ما بين الجبلين
بالصخر والقار فحقنت به ماء العيون والامطار وتركت فيه خروقا على
مقدار



مقدار ما يحتاجون اليه في سقيهم فلما طغوا وقيل بعث الله اليهم
ثلثة عشر نبيا يدعونهم ويذكرونهم نعمته عليهم فكذبوهم وقالوا ما
نعرف لله نعمة سلط الله على سدهم الخلد فنقبه من اسفله فغرقهم و
قيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة ويقال للكدس من الطعام
عرمة والمراد المسناة التي عقدوها سكرا وقيل العرم اسم الوادي
وقيل العرم المطر الشديد وقرئ العرم بسكون الراء وعن الضحاك
كانوا في الفترة التي بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقرئ اكل بالضم والتسكين
وبالتنوين والاضافة والاكل الثمر والخمط شجر الاراك وعن ابي عبيدة كل شجر
ذي شوك وقال الزجاج كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله والاثل
شجر يشبه الطرفاء اعظم منه واجود عودا ووجه من نون ان اصله
ذواتي اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او وصف الاكل
بالخمط كأنه ذواتي اكل بشع ومن اضاف وهو ابو عمرو وحده فلان الاكل الخمط
في معنى البرير كأنه قيل ذواتي برير والاثل والسدر معطوفان على اكل لا على خمط
لان الاثل لا اكل له وقرئ واثلا وشيئا بالنصب عطفا على جنتين وتسمية البدل
جنتين لاجل المشاكلة وفيه ضرب من التهكم وعن الحسن رحمه الله قلل السدر
لانه اكرم ما بدلوا ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور
وقرئ وهل يجازى وهل نجازي بالنون وهل يجازي والفاعل الله وحده

جل

وهل نجازي والمعنى ان مثل هذا الجزاء لا يستحقه الا الكافر وهو العقاب العاجل
وقيل المؤمن تكفر سيئاته بحسناته والكافر يحبط عمله فيجازى بجميع ما عمله
من السوء ووجه آخر وهو ان الجزاء عام لكل مكافاة يستعمل تارة في معنى
المعاقبة واخرى في معنى الاثابة فلما استعمل في معنى المعاقبة في قوله جزيناهم بما
كفروا بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل وهل نجازي الا الكفور بمعنى وهل نعاقب وهو
الوجه الصحيح وليس لقائل ان يقول لم قيل وهل نجازي الا الكفور على اختصاص
الكفور بالجزاء والجزاء عام للكافر والمؤمن لانه لم يرد الجزاء العام وانما
اراد الخاص وهو العقاب بل لا يجوز ان يراد العموم وليس بموضعه الا ترى
انك لو قلت جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكافر والمؤمن لم يصح ولم يسد
كلاما فتبين ان ما يتخيل من السؤال مضمحل وان الصحيح الذي لا يجوز غيره ما
جاء عليه كلام الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وجعلنا
بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا
فيها ليالي واياما آمنين القرى التي باركنا فيها هي قرى الشام قرى ظاهرة
متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لاعين الناظرين او
راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم و
قدرنا فيها السير قيل كان الغادي منهم يقيل في قرية والرائح يبيت في قرية
الى ان يبلغ الشام لا يخاف جوعا ولا عطشا ولا عدوا ولا يحتاج الى

جل

حمل زاد ولا ماء سيروا فيها قلنا لهم سيروا ولا قول ثم ولكنهم لما مكنوا
من السير وسويت لهم اسبابه فكانهم امروا بذلك واذن لهم فيه
فان قلت ما معنى قوله ليالي واياما قلت معناه سيروا فيها ان شئتم بالليالي
وان شئتم بالنهار فان الامن فيها لا يختلف باختلاف الاوقات او سيروا
فيها آمنين لا تخافون وان تطاولت مدة سفركم فيها وامتدت اياما
وليالي او سيروا فيها لياليكم واياكم مدة اعماركم فانكم في كل حين وزمان
لا تلقون فيها الا الامن فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وظلموا
انفسهم فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لآيات
لكل صبار شكور قرئ ربنا باعد بين اسفارنا وبعد يا ربنا على
الدعاء بطروا النعمة وبشموا من طيب العيش وملوا العافية فطلبوا
الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل البصل والثوم مكان المن و
السلوى وقالوا لو كان جنى جناتنا ابعد كان اجدر ان نشتهيه و تمنوا
ان يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا
الازواد فعجل الله لهم الاجابة وقرئ ربنا بعد بين اسفارنا وبعد
بين اسفارنا على النداء واسناد الفعل الى بين ورفعه به كما تقول
سير فرسخان وبوعد بين اسفارنا وقرئ ربنا في المعنى خلاف الاول
وهو استبعاد مسايرهم على قصرها ودنوها لفرط تنعمهم وترفههم

كأنه كانوا ابتنا جون على ربهم ويتحادثون عليه احاديث يتحدث الناس
بهم ويتعجبون من احوالهم ومزقناهم تفريقا اتخذه الناس مثلا مضروبا
يقولون ذهبوا ايدي سبا وتفرقوا ايادي سبا قال كثير أيادي سبا يا
عز ما كنت بعدكم فلم تحل بالعينين بعدك منظر تحف غسان بالشام
وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان صبار عن المعاصي شكور
للنعم ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤ
منين في صدق بالتشديد والتخفيف ورفع ابليس ونصب
الظن فمن شدد فعلى حقق عليهم ظنه او وجده صادقا ومن خفف
فعلى صدق في ظنه او صدق يظن ظنا نحو فعلته جهدك وبنصب
ابليس ورفع الظن فمن شدد فعلى وجد ظنه صادقا ومن خفف
فعلى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم يقول صدقك ظنك
وبالتخفيف ورفعهما على صدق عليهم ابليس ظنه وقرئ بالتشديد
ورفعهما للاتيان على المبالغة في صدق كقوله صدقت فيهم ظنوني
ومعناه انه حين وجد آدم ضعيف العزم قد اصغى الى وسوسته
قال ان ذريته اضعف عزما منه فظن بهم اتباعه وقال لاضلنهم
لاغوينهم وقيل ظن ذلك عند اخبار الله مع الملائكة انه يجعل فيها
من يفسد فيها والضمير في عليهم واتبعوه اما لاهل سبا او لبني آدم

وقلل



وقلل المؤمنين بقوله الا فريقا لانهم قليل بالاضافة الى الكفار كما قال لا
ذريته الا قليلا ولا تجد اكثرهم شاكرين وما كان له عليهم من سلطان الا
لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ
وما كان له عليهم من تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء الا لغرض
صحيح وحكمة بينة وذلك ان يتميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها و
وعلل التسلط بالعلم والمراد ما تعلق به العلم وقرئ ليعلم على البناء
للمفعول حفيظ محافظ عليه وفعيل ومفاعيل متآخيان قل
ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات
ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير قل للمشركين
ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله من الاصنام والملائكة
وسميتموهم باسمه كما تدعون الله والتجئوا اليهم فيما يعروكم كما
تلتجئون اليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم ورحمتهم كما تنتظرون ان
يستجيب لكم ويرحمكم ثم اجاب عنهم بقوله لا يملكون مثقال ذرة من
خير او شر او نفع او ضر في السموات والارض وما لهم في هذين الجنسين من
شركة في الخلق ولا في الملك كقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض
وما له منهم من عوين يعينه على تدبير خلقه يريد انهم على هذه الصفة
من العجز والبعد عن احوال الربوبية فكيف يصح ان يدعوا كما يدعى

ويرجع الى ما يرجى فان قلت اين مفعولا زعم قلت احدهما الضمير المحذوف
الراجع منه الى الموصول واما الثاني فلا يخلو اما ان يكون من دون الله
او لا يملكون او محذوفا فلا يصح الاول لان قولك هم من دون الله لا يلتئم
كلاما ولا الثاني لانهم ما كانوا يزعمون ذلك وكيف يتكلمون بما هو حجة عليهم
وبما لو قالوه قالوا ما هو حق وتوحيد فبقي ان يكون محذوفا تقديره
زعمتموهم آلهة من دون الله فحذف الراجع الى الموصول كما حذف في
قوله اهذا الذي بعث الله رسولا استخفافا لطول الموصول بصلته
وحذف آلهة لانه موصوف صفته من دون الله والموصوف يجوز حذفه
واقامة الصفة مقامه اذا كان مفهوما فاذا مفعولا زعم محذوفان
جميعا بسببين مختلفين ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له
حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي
الكبير تقول الشفاعة لزيد على معنى انه الشافع كما تقول الكرم
لزيد وعلى معنى انه المشفوع له كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله
ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ان يكون على احد هذين الو
جهين اي لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له من الشافعين ومطلقة
له او لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له اي لشفيعه او هي اللام
الثانية في قولك اذن لزيد لعمرو اي لاجله وكأنه قيل الا لمن وقع الاذن

للشفيع

للشفيع لاجله وهذا وجه لطيف وهو الوجه وهذا تكذيب لقولهم
هؤلاء شفعاؤنا عند الله فان قلت بم اتصل قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم
ولاي شيء وقعت حتى غاية قلت بما فهم من هذا الكلام من ان ثم انتظارا
للاذن وتوقعا وتمهلا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤ
ذن لهم او لا يؤذن وانه لا يطلق الاذن الا بعد ملي من الزمان وطول من التر
بص ومثل هذه الحال دل عليه قوله عز وجل رب السموات والارض وما بينهما
الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون
الا من اذن له الرحمن وقال صوابا كأنه قيل يتربصون ويتوقفون مليا
فزعين وهلين حتى اذا فزع عن قلوبهم اي كشف الفزع عن قلوب الشا
فعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق الاذن تباشروا
بذلك وسأل بعضهم بعضا ماذا قال ربكم قالوا الحق اي القول الحق
وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم فاذا اذن
لمن اذن ان يشفع فزعته الشفاعة وقرئ اذن له اي اذن له الله واذن
له على البناء للمفعول وقرأ الحسن فزع مخففا بمعنى فزع وقرئ فزع على
البناء للفاعل وهو الله وحده وفرغ اي نفى الوجل عنها وافنى من قولهم
فرغ الزاد اذا لم يبق منه شيء ثم ترك ذكر الوجل واسند الى الجار والمجرور
كما تقول دفع الى زيد اذا علم ما المدفوع وقد تخفف واصله فرغ الوجل

عنها اى انتفى عنها وفزع ثم حذف الفاعل واسند الى الجار والمجرور وقرئ
افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها وعن ابى علقمة انه هاج به المراد
فالتفوا عليه الناس فلما افاق قال ما لكم تكأكأتم علىّ تكأكؤكم على ذى جنة افرنقعوا عنى
والكلمة مركبة من حروف المفارقة مع زيادة العين كما تركب اقمطر من
حروف القمط مع زيادة الراء وقرئ الحق بالرفع اى مقوله الحق و
العلى الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبى ان يتكلم ذلك
اليوم الا باذنه وان يشفع الا لمن ارتضى ۝ قل من يرزقكم من السموات
والارض قل الله وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين ۝ امره بان
يقررهم بقوله من يرزقكم ثم امره بان يتولى الاجابة والاقرار عنهم
بقوله يرزقكم الله وذلك للاشعار بانهم مقرون به بقلوبهم الا انهم ربما
ابوا ان يتكلموا به لان الذى تمكن فى صدورهم من العناد وحب الشرك
قد الجم افواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته ولانهم ان تفوهوا
بان الله رازقهم لزمهم ان يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون
عليه من لا يقدر على الرزق الا ترى الى قوله قل من يرزقكم من السماء و
الارض امن يملك السمع والابصار حتى قال فسيقولون الله ثم قال فما
ذا بعد الحق الا الضلال فكانهم كانوا يقرون بالسنتهم مرة ومرة
كانوا يتلعثمون عنادا وضرارا وحذارا من الزام الحجة ونحوه قوله



عز وجل قل من رب السموات والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه اولياء
لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا وامره ان يقول لهم بعد الالزام والالجام
الذى ان لم يزد على اقرارهم بالسنتهم لم يتقاصر عنه وانا او اياكم لعلى هدى
او فى ضلال مبين ومعناه وان احد الفريقين من الذين يوحدون الرازق
من السموات والارض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذى لا
يوصف بالقدرة لعلى احد الامرين من الهدى والضلال وهذا من كلام
المنصف الذى كل من سمعه من موال او مناف قال لمن خوطب به قد
انصفك صاحبك وفى درجه بعد تقدمة ما قدم من التقرير البليغ
دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو فى الضلال
المبين ولكن التعريض والتورية اوصل بالمجادل الى الغرض واهجم به على
الغلبة مع قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا ونحوه قول الرجل
لصاحبه قد علم الله الصادق منى ومنك وان احدنا لكاذب ومنه بيت
حسان اتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء فان قلت كيف خو
لف بين حرفى الجر الداخلين على الحق والضلال قلت لان صاحب الحق كانه
مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء والضال كانه منغمس فى ظلام
مرتبك فيه لا يدرى اين يتوجه وفى قراءة ابى وانا او اياكم اما على هدى او
فى ضلال مبين ۝ قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون ۝ هذا ادخل

الانقطاف وابلغ فيه من الاول حيث اسند الاجرام الى المخاطبين والعمل الى
المخاطبين وان اراد بالاجرام الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن و
بالعمل الكفر والمعاصي العظائم ﴿قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا با
لحق وهو الفتاح العليم﴾ ويفتح الله بينهم وهو حكمه وفصله انه هؤلاء
الجنة واولئك النار ﴿قل اروني الذين الحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز
الحكيم﴾ فان قلت ما معنى قوله اروني وكان يراهم ويعرفهم قلت اراد
بذلك ان يريهم الخطاء العظيم في الحاق الشركاء بالله وان يقايس على اعينهم
بينه وبين اصنامهم ليطلعهم على احالة القياس اليه والاشراك به وكلا
ردع لهم عن مذهبهم بعد ما كسده بابطال المقايسة كما قال ابراهيم اف
لكم ولما تعبدون من دون الله بعد ما حجهم وقد نبه على تفاحش غلطهم
وان لم يقدروا الله حق قدره بقوله هو الله العزيز الحكيم كانه قال اين الذين
الحقتم به شركاء من هذه الصفات وهو راجع الى الله وحده او ضمير الشأن كما
في قوله قل هو الله احد ﴿وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا و
لكن اكثر الناس لا يعلمون﴾ الا كافة للناس الا رسالة عامة لهم محيطة
بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم وقال الزجاج
المعنى ارسلناك جامعا للناس في الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف و
حقه التاء على هذا ان تكون للمبالغة كتاء الراوية والعلامة ومن جعله

حالا

حالا من المجرور متقدما عليه فقد اخطأ لان تقدم حال المجرور عليه في الاحالة
بمنزلة تقدم المجرور على الجار وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطأ ثم لا
يقنع به حتى يضم اليه ان يجعل اللام بمعنى الى لانه لا يستوي له الخطأ
الاول الا بالخطأ الثاني فلا بد له من ارتكاب الخطائين ﴿ويقولون
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه
ساعة ولا تستقدمون وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن
ولا بالذي بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم
يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين
استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين﴾ قرئ ميعاد يوم وميعاد يوم
وميعاد يوما والميعاد ظرف الوعد من مكان او زمان وهو هنا الزمان
والدليل عليه قراءة من قرأ ميعاد يوم فابدل منه اليوم فان قلت فما
تأويلها مضافا واضافة الى يوم او نصب يوما قلت اما الاضافة فاضافة تبيين كما
تقول سحق ثوب وبعير سانية واما نصب اليوم فعلى التعظيم باضمار
فعل تقديره لكم ميعاد اعني يوما او اريد يوما من صفته كيت وكيت
ويجوز ان يكون الرفع على هذا اعني التعظيم فان قلت كيف انطبق
هذا جوابا على سؤالهم قلت ما سألوا عنه سؤال وهم منكرون له الا تعنتا
لا استرشادا فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا لمجيء السؤال على

سبيل الانكار والتعنت وانهم مرصدون ليعويق يفاجئهم فلا يستطيعون تاخرا عنه ولا تقدما عليه الذي بين يديه ما نزل قبل القرآن من كتب الله يروى ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب فاخبروهم انهم يجدون صفة رسول الله عم في كتبهم فاغضبهم ذلك وقرنوا الى القرآن جميع ما تقدمه من كتب الله في الكفر فكفروا بها جميعا وقيل الذي بين يديه يوم القيمة والمعنى انهم جحدوا ان يكون القرآن من الله تعا وان يكون لما دل عليه من الاعادة للجزاء حقيقة ثم اخبر عن عاقبة امرهم ومالهم في الآخرة فقال لرسوله صلى الله عم او للمخاطب ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون اطراف المحادثة ويتراجعونها بينهم لرأيت العجب فحذف الجواب والمستضعفون هم الاتباع والمستكبرون الرؤس المقدمون قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين اولى الاسم اعنى نحن حرف الانكار لان الغرض انكار ان يكونوا هم الصادين لهم عن الايمان واثبات انهم هم الذين صدوا بانفسهم عنه وانهم اتوا من قبل اختيارهم كانهم قالوا انحن اجبرناكم وحلنا بينكم وبين كونكم ممكنين مختارين بعد اذ جاءكم بعد ان صممتم على الدخول في الايمان

وصحت

وصحت نياتكم في اختياره بل انتم منعتم انفسكم حظها وآثرتم الضلال على الهدى واطعتم آمر الشهوة دون آمر النهى فكنتم مجرمين كافرين لاختياركم لا لقولنا وتسويلنا فان قلت اذ واذا من الظروف اللازمة للظرفية فلم وقعت اذ مضافا اليها قلت قد اتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره فاضيف اليها الزمان كما اضيف الى الجمل في قولك جئتك بعد اذ جاء زيد وحينئذ ويومئذ وكان ذلك اوان الحجاج امير وحين خرج زيد وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا واسروا الندامة لما راوا العذاب وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون لما انكر المستكبرون بقولهم انحن صددناكم ان يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين واثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين ان ذلك بكسبهم واختيارهم كر عليهم المستضعفون بقولهم بل مكر الليل والنهار فابطلوا اضرابهم باضرابهم كانهم قالوا ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا وحملكم ايانا على الشرك واتخاذ الانداد ومعنى

مكر الليل والنهار فابطلوا اضرابهم باضرابهم كانهم قالوا ما كان الاجرام
من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا وحملكم ايانا على الشرك واتخاذ
الانداد مكر الليل والنهار مكركم في الليل والنهار فاتسع في الظرف باجرائه
مجرى المفعول به واضافة المكر اليه او جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على
الاسناد المجازي وقرئ بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين وبل
مكر الليل والنهار بالرفع والنصب اي تكرون الاغواء مكرا دائبا لا تفترون
عنه فان قلت ما وجه الرفع والنصب قلت هو مبتدأ او خبر على معنى بل
سبب ذلك مكركم او مكركم سبب ذلك والنصب على بل تكرون الاغواء
مكر الليل والنهار فان قلت لم قيل قال الذين استكبروا بغير عاطف وقيل
وقال الذين استضعفوا قلت لان الذين استضعفوا مر اولا كلامهم فجيء
بالجواب محذوف العاطف على طريقة الاستئناف ثم جيء بكلام آخر للمستضعفين
فعطف على كلامهم الاول فان قلت من صاحب الضمير في واسروا قلت
الجنس المشتمل على النوعين من المستكبرين والمستضعفين وهم
الظالمون في قوله اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يندم المستكبرون
على ضلالهم واضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين
في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم فجاء بالظاهر للتنويه بذمهم و
للدلالة على ما استحقوا به الاغلال وعن قتادة اسروا الكلام بذلك

بينهم



سبلنا

بينهم وقيل اسروا الندامة اظهروها وهو من الاضداد ﴿ وما ارسلنا
في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون وقالوا نحن اكثر
اموالا واولادا وما نحن بمعذبين ﴾ هذه تسلية لرسول الله عم
مما مني به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة
الاموال والاولاد والمفاخرة بالدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على
المؤمنين والاستهانة بهم من اجله وقولهم اي الفريقين خير مقاما
واحسن نديا وانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير الا قالوا له مثل
ما قال لرسول الله صلعم اهل مكة وكادوه بنحو ما كادوه به وقاسوا امر
الآخرة الموهومة او المفروضة عندهم على امر الدنيا واعتقدوا
انهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم ولولا ان المؤمنين هانوا عليه
لما حرمهم فعلى قياسهم ذلك قالوا وما نحن بمعذبين ارادوا انهم
اكرم على الله من ان يعذبهم نظرا الى احواله لهم في الدنيا ﴿ قل ان
ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون
﴾ وقد ابطل الله حسبانهم بان الرزق فضل من الله يقسمه كما
يشاء على حسب ما يراه من المصالح فربما وسع على العاصي وضيق
على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما وضيق عليهما فلا ينقاس
عليه امر الثواب الذي مبناه على الاستحقاق وقدر الرزق تضييقه

قال تعالى ومن قدر عليه رزقه وقرئ يقدر بالتخفيف والتشديد ۝ وما
اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا
فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون والذين
يسعون في آياتنا معاجزين اولئك في العذاب محضرون ۝ اراد
ما جماعة اموالكم ولا جماعة اولادكم بالتي تقربكم وذلك ان الجمع المكسر
عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث ويجوز ان يكون التي هي
التقوى وهي المقربة عند الله زلفى وحدها اي ليست اموالكم
بتلك الموضوعة للتقريب وقرأ الحسن باللاتي تقربكم لانها جماعات
وقرئ بالذي يقربكم اي بالشيء الذي يقربكم والزلفى والزلفة كالقربى
والقربة ومحلها النصب اي تقربكم قربة كقوله انبتكم من الارض
نباتا الا من آمن استثناء من كم في تقربكم والمعنى ان الاموال لا تقرب احدا
الا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله والاولاد لا تقرب احدا الا
من علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة جزاء
الضعف من اضافة المصدر الى المفعول اصله فاولئك لهم ان يجازوا
الضعف ثم جزاء الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف
ان تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا وقرئ جزاء الضعف على
فاولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على ان يجازوا الضعف وجزاء

الضعف



الضعف مرفوعان الضعف بدل من جزاء وقرئ في الغرفات بضم
الراء وفتحها وسكونها وفي الغرفة ۝ قل ان ربي يبسط الرزق لمن
يشاء من عباده ويقدر له وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو
خير الرازقين ۝ فهو يخلفه فهو يعوضه لا معوض سواه اما
عاجلا بالمال او بالقناعة التي هي كنز لا ينفد واما آجلا بالثواب
الذي كل خلف دونه وعن مجاهد من كان عنده من هذا المال
ما يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل
وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى
طول عمره في فقر ولا يتأولن وما انفقتم من شيء فهو يخلفه فان
هذا في الآخرة ومعنى الآية وما كان من خلف فهو منه خير الرازقين
واعلاهم رب العزة لان كل من رزق غيره من سلطان يرزق جنده
او سيد يرزق عبده او رجل يرزق عياله فهو من رزق الله
اجراه على ايدي هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق الاسباب التي
بها ينتفع المرزوق بالرزق وعن بعضهم الحمد لله الذي اوجدني
وجعلني ممن يشتهي فكم من مشته لا يجد وواجد لا يشتهي ۝ ويوم
يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا
سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم

ب

يعبدون هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار وارد
على المثل السائر اياك اعنى واسمعي ياجاره ونحوه قوله تعالى أانت قلت
للناس اتخذوني وامى الهين من دون الله وقد علم سبحانه كون
الملائكة وعيسى منزهين براء مما وجه عليهم من السؤال على طريق
التقريب والغرض ان يقول ويقولوا ويسال ويجيبوا فيكون
تقريعهم اشد وتعييرهم ابلغ وخجلهم اعظم وهوانهم الزم و
يكون اقتصاص ذلك لطفا لمن سمعه وزاجرا لمن اقتص عليه و
الموالاة خلاف المعاداة ومنها اللهم وال من والاه وعاد من عا
داه وهي مفاعلة من الولي وهو القرب كما ان المعاداة من العدواء و
هي البعد والولي يقع على الموالي والموالى جميعا والمعنى انت الذي
نواليه من دونهم اذ لا موالاة بيننا وبينهم فبينوا باثبات موالاة
الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم لان من كان
على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك بل كانوا يعبدون الجن
يريدون الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله وقيل صورت لهم
الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها
وقيل كانوا يدخلون في اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبا
دتها وقرئ نحشرهم ثم نقول بالنون والياء فاليوم لا يملك بعضكم

لبعض



لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار
التي كنتم بها تكذبون الامر في ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيه
احد منفعة ولا مضرة لاحد لان الدار دار ثواب وعقاب و
المثيب والمعاقب هو الله فكانت حالها خلاف حال الدنيا التي هي
دار التكليف والناس فيها مخلى بينهم يتضارون وينتفعون والمراد
انه لا ضار ولا نافع يومئذ الا هو ثم ذكر معاقبته الظالمين
بقوله ونقول للذين ظلموا عطفا على لا يملك واذا تتلى عليهم
آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان
يعبد اباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا
للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين الاشارة الاولى الى رسول الله
عم والثانية الى القرآن والثالثة الى الحق والحق امر النبوة كله ودين
الاسلام كما هو وفي قوله وقال الذين كفروا وفي ان لم يقل وقالوا
وفي قوله للحق لما جاءهم وما في اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول
فيه وما في لما من المبادهة بالكفر دليل على صدور الكلام عن انكار عظيم
وغضب شديد وتعجيب من امرهم بليغ كانه قال وقال اولئك الكفرة
المتمردون بجراءتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النير قبل ان يذوقوه
ان هذا الا سحر مبين فبتوا القضاء على انه سحر ثم بتوه على انه بين ظا

هر

لكل عاقل تأمله سماه سحرا ه وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما
ارسلنا اليهم قبلك من نذير وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا
معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير ه وما آتيناهم
كتبا يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك ولا ارسلنا اليهم نذيرا
ينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا كما قال عز وجل ام انزلنا عليهم
سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون او وصفهم بانهم قوم اميون
اهل جاهلية لا ملة لهم وليس لهم عهد بانزال الكتاب ولا بعثة رسول
كما قال ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم
وجه متشبث ولا شبهة متعلق كما يقول اهل الكتاب وان كانوا
مبطلين نحن اهل كتب وشرائع ومستندون الى رسل الله ثم توعدهم
على تكذيبهم بقوله وكذب الذين تقدموهم من الامم والقرون الخالية
كما كذبوا وما بلغ هؤلاء بعض ما آتينا اولئك من طول الاعمار وقوة
الاجرام وكثرة الاموال فحين كذبوا رسلهم جاءهم انكاري بالتدمير
والاستيصال ولم يغن عنهم استظهارهم بما هم به مستظهرون فما بال هؤلاء
وقرئ يدرسونها من التدريس وهو تكرير الدرس او من درس
الكتاب ودرس الكتب ويدرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس
والمعشار كالمرباع وهما العشر والربع فان قلت ما معنى فكذبوا رسلي

من رسلهم





وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم قلت لما كان معنى قوله
وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب واقدموا عليه جعل
تكذيب الرسل مسببا عنه ونظيره ان يقول القائل اقدم فلان على الكفر فكفر
بمحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان ينعطف على قوله وما بلغوا كقولك ما بلغ زيد
معشار فضل عمرو فتفضل عليه فكيف كان نكيري للمكذبين الاولين فليحذروا
من مثله قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا
ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد بوا
حدة بخصلة واحدة وقد فسرها بقوله ان تقوموا على انه عطف بيان
لها واراد بقيامهم اما القيام عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقهم عن
مجتمعهم عنده واما القيام الذي لا يراد به المثول على القدمين ولكن
الانتصاب في الامر والنهوض فيه بالهمة والمعنى انما اعظكم بواحدة
ان فعلتموها اصبتم الحق وتخلصتم وهي ان تقوموا لوجه الله خالصا
متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا ثم تتفكروا في امر محمد صلى الله عليه وسلم وما
جاء به اما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على
صاحبه وينظران فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع هوى
ولا ينبض لهما عرق عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح
على جادة الحق وسننه وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل ونصفة من

غير ان يكابرها ويعرض فكره على عقله وذهنه وما استقر عنده من عادات
العقلاء ومجاري احوالهم والذي اوجب تفرقهم مثنى وفرادى ان
الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمي البصائر ويمنع من الروية ويخلط
القول ومع ذلك يقل الانصاف ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب
ولا يسمع الا نصرة المذهب واراهم بقوله ما بصاحبكم من جنة ان هذا الا
مر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والاخرة جميعا لا يتصدى لادعاء
مثله الا رجلان اما مجنون لا يبالي بافتضاحه اذا طولب بالبرهان
فعجز بل لا يدري ما الافتضاح وما رقبة العواقب واما عاقل راجح
العقل مرشح للنبوة مختار من اهل الدنيا لا يدعيه الا بعد صحته
عنده بحجته وبرهانه والا فما يجدي على العاقل دعوى شيء لا بينة
له عليه وقد علمتم ان محمدا ما به من جنة بل علمتموه ارجح قريش
عقلا وارزنهم حلما واثقبهم ذهنا واصلهم رايا واصدقهم
قولا وانزههم نفسا واجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون
به فكان مظنة لان تظنوا به الخير وترجحوا فيه جانب الصدق على
الكذب واذا فعلتم ذلك كفاكم ان تطالبوه بان ياتيكم باية فاذا اتى بها
تبين انه نذير مبين فان قلت ما بصاحبكم بم يتعلق قلت يجوز ان يكون
كلاما مستانفا تنبيها من الله عز وجل على طريقة النظر في امر رسول الله

ويجوز



ويجوز ان يكون المعنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقد
جوز بعضهم ان تكون ما استفهامية بين يدي عذاب شديد كقوله
صلعم بعثت في نسم الساعة ۞ قل ما سألتكم من اجر فهو لكم ان اجري الا على
الله وهو على كل شيء شهيد ۞ فهو لكم جزاء الشرط الذي هو قوله ما سألتكم
من اجر تقديره اي شيء سألتكم من اجر كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة
وفيه معنيان احدهما نفي مسألة الاجر رأسا كما يقول الرجل لصاحبه
ان اعطيتني شيئا فخذه وهو يعلم انه لم يعطه شيئا ولكنه يريد البت
لتعليقه الاخذ بما لم يكن والثاني ان يريد بالاجر ما اراد في قوله قل
ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وفي قوله قل
لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى لان اتخاذ السبيل الى الله نصيبهم
وما فيه نفعهم وكذلك المودة في القربى لان القرابة قد انتظمته واياهم
على كل شيء شهيد حفيظ مهيمن يعلم اني لا اطلب الاجر على نصيحتكم و
دعائكم اليه الا منه ولا اطمع منكم في شيء ۞ قل ان ربي يقذف بالحق علام
الغيوب ۞ القذف والرمي تزجية السهم ونحوه بدفع واعتماد و
يستعاران من حقيقتهما لمعنى الالقاء ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم
الرعب ان اقذفيه في التابوت ومعنى يقذف بالحق يلقيه وينزله الى
انبيائه او يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه علام الغيوب رفع

محمول

لكم

على محل ان واسمها او على المستكن في يقذف او خبر مبتدا محذوف و
قرئ بالنصب صفة لربي او على المدح وقرئ الغيوب بالحركات الثلث
فالغيوب كالبيوت والغيوب كالقعود وهو الامر الذي غاب وخفي جدا
قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد والحي اما ان يبدئ فعلا
او يعيده فاذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعلوا قولهم لا يبدئ
ولا يعيد مثلا في الهلاك ومنه قول عبيد اقفر من اهله عبيد فاليوم
لا يبدئ ولا يعيد والمعنى جاء الحق وهلك الباطل كقوله جاء الحق
وزهق الباطل وعن ابن مسعود دخل النبي مكة وحول الكعبة
ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود نبعة ويقول جاء الحق و
زهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد
والحق القرآن وقيل الاسلام وقيل السيف وقيل الباطل ابليس لعنه الله
اي ما ينشئ خلقا ولا يعيده المنشئ والباعث هو الله وعن الحسن لا يبدئ
لاهله خيرا ولا يعيده اي لا ينفعهم في الدنيا والآخرة وقال الزجاج
اي شيء ينشئ ابليس ويعيده فجعله للاستفهام وقيل للشيطان
الباطل لانه صاحب الباطل او لانه هالك كما قيل له الشيطان من شاط اذا هلك
قل ان ضللت فانما اضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي انه
سميع قريب قرئ ضللت اضل بفتح العين مع كسرها وضللت اضل

بكسرها





بكسرها مع فتحها وهما لغتان نحو ظللت اظل وظللت اظل وقرئ اضل بكسر
الهمزة مع فتح العين فان قلت اين التقابل بين قوله فانما اضل على نفسي وقوله
فبما يوحي الي ربي وانما كان يستقيم ان يقال فانما اضل على نفسي وان اهتديت
فانما اهتدي لها كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها فمن اهتدى
فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها او يقال فانما اضل بنفسي قلت هما متقابلان
من جهة المعنى لان النفس كل ما عليها فهو بها اعني ان كل ما هو وبال عليها
وضار لها فهو بها وبسببها لانها الامارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية
ربها وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وانما امر رسوله ان يسنده الى
نفسه لان الرسول اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان
غيره اولى به انه سميع قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله لا
يخفى عليه منهما شيء ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان
قريب ولو ترى جوابه محذوف يعني لرأيت امرا عظيما وحالا هائلا
ولو واذ والافعال التي هي فزعوا واخذوا وحيل بينهم كلها للمضي
والمراد بها الاستقبال لان ما الله فاعله في المستقبل بمنزلة ما قد كان و
وجد لتحققه ووقت الفزع وقت البعث وقيام الساعة وقيل وقت
الموت وقيل يوم بدر وعن ابن عباس نزلت في خسف البيداء وذلك
ان ثمانين الفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف

بلغ

بهم

فلا فوت فلا يفوتون الله ولا يسبقونه وقرئ فلا فوتٌ والاخذ
من مكان قريب من الموقف الى النار اذا بعثوا او من ظهر الارض الى
بطنها اذا ماتوا او من صحراء بدر الى القليب او من تحت اقدامهم
اذا خسف بهم فان قلت علام عطف قوله واخذوا قلت فيه وجهان
احدهما العطف على فزعوا اى فزعوا واخذوا فلا فوت لهم
او على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا وقرئ واُخِذَ
وهو معطوف على محل لا فوت ومعناه فلا فوت هناك وهناك اخذ
وقالوا آمنا به وانى لهم التناوش من مكان بعيد آمنا به بمحمد عم
لمرور ذكره فى قوله ما بصاحبكم من جنة والتناول والتناوش
اخوان الا ان التناوش تناول سهل لشئ قريب يقال ناشه ينوشه
وتناوشه القوم ويقال تناوشوا فى الحرب ناش بعضهم بعضا وهذا
تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو ان ينفعهم ايمانهم فى ذلك الوقت كما
ينفع المؤمنين ايمانهم فى الدنيا مثلت حالهم بحال من يريد ان يتناول
الشئ من غلوة كما يتناوله الآخر من قيس ذراع تناولا سهلا لا
تعب فيه وقرئ التناؤش همزت الواو المضمومة كما همزت فى اجوه
وادؤر وعن ابى عمرو التناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم نأشت
اذا ابطأت وتأخرت ومنه البيت تمنى نئيشا ان يكون اطاعنى اى
اخيرا

وقد

وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد و
يقذفون معطوف على وقد كفروا على حكاية الحال الماضية يعنى
وكانوا يتكلمون بالغيب ويأتون به من مكان بعيد وهو قولهم فى
رسول الله عم شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والامر
الخفى لانهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد اتوا
بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لان ابعد شئ مما جاء به الشعر
والسحر وابعد شئ من عادته التى عرفت بينهم وجربت الكذب و
الزور وقرئ ويُقذَفون بالغيب على البناء للمفعول اى يأتيهم به
شياطينهم ويلقنونهم اياه وان شئت فعلقه بقوله وقالوا
آمنا به على انه مثلهم فى طلبهم تحصيل ما عطلوه من الايمان فى الدنيا
بقولهم آمنا فى الآخرة وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف شيئا
من مكان بعيد لا مجال للظن فى لحوقه حيث يريد ان يقع فيه
لكونه غائبا عنه شاحطا والغيب الشئ الغائب ويجوز ان يكون
الضمير للعذاب الشديد فى قوله بين يدى عذاب شديد وكانوا
يقولون وما نحن بمعذبين ان كان الامر كما تصفون من قيام
الساعة والعقاب والثواب ونحن اكرم على الله من ان يعذبنا قائسين
امر الآخرة على امر الدنيا فهذا كان قذفهم بالغيب وهو
غيب

نشرا

ويقذفون به من جهة بعيدة لانتهاء الجزاء إذ لا انتقال على ذات التكليف
وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم
كانوا في شك مريب ۞ ما يشتهون من نفع الإيمان يومئذ والنجاة
به من النار والفوز بالجنة أو من الرد إلى الدنيا كما حكي عنهم أن
ارجعنا نعمل صالحا بأشياعهم بأشباههم من كفرة الأمم ومن كان مذ
هبه مذهبهم مريب إما من أرابه إذا أوقعه في الريبة والتهمة أو من
أراب الرجل إذا صار ذا ريبة ودخل فيها وكلاهما مجاز إلا أن في الا
سناد بينهما فرقا وهو أن المريب من الأول منقول ممن يصح
أن يكون مريبا من الأعيان إلى المعنى والمريب من الثاني منقول من صا
حب الشك إلى الشك كما تقول شعر شاعر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي إلا كان له يوم القيمة
رفيقا ومصافحا سورة الملائكة وهي خمس وأربعون آية مكية
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السموات والأرض
جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في
الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير ۞ فاطر السموات مبتد
ئهما ومبتدعهما وعن مجاهد عن ابن عباس ما كنت أدري ما فا
طر السموات والأرض حتى اختصم إلي أعرابيان في بئر فقال أحدهما

ان



أنا فطرتها أي ابتدأتها وقرئ الذي فطر السموات والأرض وجعل
الملائكة وقرئ جاعل الملائكة بالرفع على المدح رسلا بضم السين
وسكونه أولي أجنحة أصحاب أجنحة وأولو اسم جمع لذو كما أن
أولاء اسم جمع لذا ونظيرهما في المتمكنة المخاض والخلفة مثنى و
ثلاث ورباع صفات لأجنحة وإنما لم تنصرف لتكرر العدل فيها
وذلك أنها عدلت عن ألفاظ الأعداد عن صيغ إلى صيغ أخر كما
عدل عمر عن عامر وحذام عن حاذمة وعن تكرير إلى غير تكرير
وأما الوصفية فلا يفترق الحال فيها بين المعدولة والمعدول عنها
ألا تراك تقول مررت بنسوة أربع وبرجال ثلاثة فلا يعرج
عليها والمعنى أن من الملائكة خلقا أجنحتهم اثنان اثنان أي لكل وا
حد منهم جناحان وخلقا أجنحتهم ثلاثة ثلاثة وخلقا أجنحتهم أربعة
أربعة يزيد في الخلق ما يشاء أي يزيد في خلق الأجنحة وفي غيره
ما تقتضيه مشيئته وحكمته والأصل الجناحان لأنهما بمنزلة اليدين
ثم الثالث والرابع زيادة على الأصل وذلك أقوى للطيران وأعون
عليه فإن قلت قياس الشفع من الأجنحة أن يكون في كل شق نصفه
فما صورة الثلاثة قلت لعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين
يمدهما بقوة أو لعله لغير الطيران فقد مر بي في بعض الكتب أن

حد

حين

صنف من الملائكة لهم ستة اجنحة فجناحان يلفون بهما اجسادهم و
جناحان يطيرون بهما في الامر من امور الله وجناحان مرخيان على
وجوههم حياء من الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى
جبرئيل ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروي انه سال جبرئيل عم ان
يتراءى له في صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال اني احب ان تفعل
فخرج رسول الله عم في ليلة مقمرة فاتاه جبرئيل في صورته فغشي على
النبي عم ثم افاق وجبرئيل مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى
بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت ارى ان شيئا من الخلق هكذا
فقال جبرئيل فكيف لو رايت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح
منها بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الا
حايين لعظمة الله حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير
وروي عن رسول الله عم في قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء هو
الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن وقيل الخط الحسن و
عن قتادة هو الملاحة في العينين والآية مطلقة تتناول كل زيادة
في الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام في الاعضاء وقوة في
البطش وحصافة في العقل وجزالة في الراي وجراءة في القلب وسماحة
في النفس وذلاقة في اللسان ولباقة في التكلم وحسن تأن في مزاولة الامور

وما



وما اشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف ما يفتح الله للناس من رحمة
فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم
استعير الفتح للاطلاق والارسال الا ترى الى قوله فلا مرسل له من بعده
مكان لا فاتح له يعني اي شيء يطلق الله من رحمة اي من نعمة رزق او
مطر او صحة او امن او غير ذلك من صنوف نعمائه التي لا يحاط بعددها
وتنكير الرحمة للاشاعة والابهام كانه قال من اية رحمة كانت سماوية
او ارضية فلا احد يقدر على امساكها وحبسها واي شيء يمسك
الله فلا احد يقدر على اطلاقه فان قلت لم انث الضمير اولا ثم ذكره
وهو راجع في الحالين الى الاسم المتضمن معنى الشرط قلت هما لغتان
الحمل على المعنى وعلى اللفظ والمتكلم على الخيرة فيهما فانث على معنى
الرحمة وذكر على ان لفظ المرجوع اليه لا تانيث فيه ولان الاول فسر بالرحمة
فحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثاني فترك على اصل
التذكير وقرئ فلا مرسل لها فان قلت لا بد للثاني من تفسير فما
تفسيره قلت يحتمل ان يكون تفسيره مثل تفسير الاول ولكنه ترك
لدلالته عليه وان يكون مطلقا في كل ما يمسكه من غضبه ورحمته و
انما فسر الاول دون الثاني للدلالة على ان رحمته سبقت غضبه
فان قلت فما تقول فيمن فسر الرحمة بالتوبة وعزاه الى ابن عباس

ال نسبة

رضي الله عنه قلت إن أراد بالتوبة الهداية لها والتوفيق فيها وهو
الذي أراده ابن عباس رضي الله عنهما فالله تعالى يتقبل وإن أراد أنه إن شاء
أن يتوب العاصي تاب وإن لم يشأ لم يتب فمردود لأن الله تعالى يشاء
التوبة أبدا ولا يجوز عليه أن لا يشاءها من بعده من بعد إمساكه
كقوله فمن يهديه من بعد الله فبأي حديث بعد الله أي من
بعد هدايته وبعد آياته وهو العزيز الغالب القادر على
الإرسال والإمساك الحكيم الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة
إرساله وإمساكه يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل
من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى
تؤفكون ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط
ولكن به وبالقلب وحفظها من الكفران والغمط وشكرها بمعرفة
حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ومنه قول الرجل لمن أنعم
عليه اذكر أيادي عندك يريد حفظها وشكرها والعمل على
موجبها والخطاب عام للجميع لأن جميعهم مغمورون في نعمة
الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما يريد يا أهل مكة اذكروا نعمة
الله عليكم حيث أسكنكم حرمه ومنعكم من جميع العالم والناس يتخطفون
من حولكم وعنه نعمة الله العافية وقرئ غير الله بالحركات الثلاث فالجر

والرفع



فالرفع على الوصف لفظا أو محلا والنصب على الاستثناء فإن قلت ما
محل يرزقكم قلت يحتمل أن يكون له محل إذا أوقعته صفة لخالق و
أن لا يكون له محل إذا رفعت محل من خالق بإضمار يرزقكم وأوقعت
يرزقكم تفسيرا له أو جعلته كلاما مبتدأ بعد قوله هل من خالق
غير الله فإن قلت هل فيه دليل على أن الخالق لا يطلق على غير الله تعالى
قلت نعم إن جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ وهو الوجه الثالث من الأوجه
الثلاثة وأما على الوجهين الآخرين وهما الوصف والتفسير فقد
تقيد فيهما بالرزق من السماء والأرض وخرج من الإطلاق فكيف
يستشهد به على اختصاصه بالإطلاق والرزق من السماء المطر
ومن الأرض النبات لا إله إلا هو جملة مفصولة لا محل لها مثل
يرزقكم في الوجه الثالث ولو وصلتها كما وصلت يرزقكم لم يساعد
عليه المعنى لأن قولك هل من خالق آخر سوى الله لا إله إلا ذلك الخالق
غير مستقيم لأن قولك هل من خالق سوى الله إثبات لله فلو
ذهبت تقول ذلك كنت مناقضا بالنفي بعد الإثبات فأنى تؤفكون
فمن أي وجه تصرفون عن التوحيد إلى الشرك وإن يكذبوك فقد
كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الأمور يعني به على قريش
سوء تلقيهم لآيات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله بأن له في الأنبياء

نجه

لو

فبليه اسوة حسنة ثم جاء بما يشتمل على الوعيد من رجوع الامور
الى حكمه ونجاة المكذب والمكذب بما يستحقانه وقرئ ترجع
بضم التاء وفتحها فان قلت ما وجه صحة جزاء الشرط ومن حق
الجزاء ان يتعقب الشرط وهذا سابق له قلت معناه وان يكذبوك
فتأس بتكذيب الرسل من قبلك فوضع فقد كذبت رسل
من قبلك موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب اعني بالتكذيب
عن التأسي فان قلت ما معنى التنكير في رسل قلت معناه فقد كذبت
رسل اي رسل ذوو عدد كثير واولوا آيات ونذر واهل اعمار طوال
واصحاب صبر وعزم وما اشبه ذلك وهذا اسلى له واحث على
المصابرة ۝ يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة
الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ۝ وعد الله الجزاء
بالثواب والعقاب فلا تغرنكم فلا تخدعنكم الدنيا ولا يذهلنكم
التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة وطلب ما عند
الله ولا يغرنكم بالله الغرور لا يقولن لكم اعملوا ما شئتم فان الله
غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة والغرور الشيطان
لان ذلك ديدنه وقرئ بالضم وهو مصدر غره كاللزوم والنهوك
او جمع غار كقاعد وقعود ۝ ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه
عدوا

انما



انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير ۝ اخبرنا الله عز وجل
ان الشيطان لنا عدو مبين واقتص علينا قصته وما فعل بابينا آدم
عليه السلام وكيف انتدب لعداوة جنسنا من قبل وجوده و
بعده ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد منا مما فيه هلاكنا
فوعظنا عز وجل بانه كما علمتم عدوكم الذي لا عدو اعدى في العلم
منه وانتم تعاملونه معاملة من لا علم له بحاله فاتخذوه عدوا في عقائدكم
وافعالكم ولا يوجدن منكم الا ما يدل على معاداته ومناصبته في سركم
وجهركم ثم لخص سر امره وخطأ من اتبعه بان غرضه الذي يؤمه
في دعوة شيعته ومتبعي خطواته هو ان يوردهم مورد الشقوة
والهلاك وان يكونوا من اصحاب السعير ۝ الذين كفروا لهم عذاب
شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير
۝ ثم كشف الغطاء وقشر اللحاء ليقطع الاطماع الفارغة والاماني
الكاذبة فبنى الامر كله على الايمان والعمل وتركهما ۝ افمن زين
له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء فلا تذهب نفسك
عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون ۝ لما ذكر الفريقين الذين
كفروا والذين آمنوا قال لنبيه افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا
يعني افمن زين له سوء عمله من هذين الفريقين كمن لم يزين له

يشاء
فكانه سوء الله ان قال لا فقال فان الله يضل من يشاء ويهدي من
فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ومعنى تزيين العمل والاضلال وا
وهو ان يكون العاصي على صفة لا يجدي عليه المقال حتى يستوجب
بذلك خذلان الله اياه وتخليته وشأنه فعند ذلك يهيم في الضلال
ويطلق امر النهي ويعتنق طاعة الهوى حتى يرى القبيح حسنا
والحسن قبيحا كأنما غلب على عقله وسلب تمييزه ويقعد تحت قول
ابي نواس، اسقني حتى تراني حسنا عندي القبيح. واذا خذل الله
المصممين على الكفر وخلاهم وشأنهم فان على الرسول ان لا يهتم
بأمرهم ولا يلقي بالا الى ذكرهم ولا يحزن ولا يتحسر عليهم اقتداء
بسنة الله في خذلانهم وتخليتهم وذكر الزجاج ان المعنى افمن زين له
سوء عمله ذهبت نفسك عليه حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب
نفسك عليه او افمن زين له سوء عمله كمن هداه الله فحذف لدلالة فان
الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء عليه حسرات مفعول له فلا تهلك
نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات
عليه حزنا او هو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق بحسرات لان
المصدر لا يتقدم عليه صلته ويجوز ان يكون حالا كأنها صارت
حسرات لفرط التحسر كما قال جرير: مشق الهواجر لحمهن مع
السرى حتى ذهبن كلاكلا وصدورا يريد رجعن كلاكلا وصدورا

ال



الها لم يبق الا كلاكلها وصدورها ومنه قوله فعلى اثرهم تساقط نفسي
حسرات وذكرهم لي سقام وقرئ فلا تُذهب نفسك ان الله عليم بما
يصنعون وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم. والله الذي ارسل
الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض
بعد موتها كذلك النشور. وقرئ الريح فان قلت لم جاء
فتثير على المضارعة دون ما قبله وما بعده قلت ليحكي الحال التي
تقع فيها اثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك الصورة البديعة
الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع
تمييز وخصوصية بحال تستغرب او تهم المخاطب او غير ذلك
كما قال تأبط شرا: باني قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصحيفة
صحصحان فاضربها بلا دهش فخرت صريعا لليدين وللجران. لانه
قصد ان يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها بزعمه على ضرب
الغول كأنه يبصرهم اياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجب
من جرأته على كل هول وثباته عند كل شدة وكذلك سوق السحاب
الى البلد الميت واحياء الارض بالمطر بعد موتها لما كانا من الدلائل
على القدرة الباهرة قيل فسقنا واحيينا معدولا بهما عن لفظ
الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص، وادل عليه والكاف في كذلك

في محل الرفع اي مثل احياء الموات نشور الاموات وروي انه قيل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه فقال هل مررت
بوادي اهلك مجدبا ثم مررت به يهتز خضرا قال نعم قال فكذلك يحيي الله الموتى
وتلك آيته في خلقه وقيل يحيي الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش كمني
الرجال تنبت منه اجساد الخلق من كان يريد العزة فلله العزة جميعا
اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون
السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور كان الكافرون
يتعززون بالاصنام كما قال عز وجل واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا
لهم عزا والذين آمنوا بالسنتهم من غير مواطأة قلوبهم كانوا يتعززون
بالمشركين كما قال الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين
ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا فبين ان لا عزة الا لله و
لاوليائه وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والمعنى فليطلبها
عند الله فوضع قوله فلله العزة جميعا موضعه استغناء عنه
لدلالته عليه لان الشيء لا يطلب الا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك
من اراد النصيحة فهي عند الابرار تريد فليطلبها عندهم الا انك
اقمت ما يدل عليه مقامه وعن [illegible] فلله العزة جميعا ان العز كله
بالله عزة الدنيا وعزة الآخرة ثم عرف ان ما تطلب به العزة هو الايمان





والعمل الصالح بقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
والكلم الطيب لا اله الا الله عن ابن عباس يعني ان هذه الكلمة لا تقبل ولا
تصعد الى السماء فتكتب حيث تكتب الاعمال المقبولة كما قال عز
وجل ان كتاب الابرار لفي عليين الا اذا اقترن بها العمل الصالح الذي
فوع
يحققها ويصدقها فرفعها واصعدها وقيل الرافع الكلم والمر
العمل لانه لا يقبل عمل الا من موحد وقيل الرافع هو الله والمرفوع
العمل وقيل الكلم الطيب كل ذكر من تكبير وتسبيح وتهليل وقراءة قرآن
ودعاء واستغفار وعن ذلك ومعنى ذلك عن النبي عليه السلام هو قول الرجل سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج
بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم
يقبل منه وفي الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا يقبل قولا
وعملا الا بنية ولا يقبل قولا وعملا ونية الا باصابة السنة وعن ابن
المقفع قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر وقرئ
اليه يصعد الكلم الطيب على البناء للمفعول واليه يصعد الكلم
الطيب على تسمية الفاعل من اصعد والمصعد هو الرجل اي يصعد
الى الله عز وجل الكلم الطيب واليه يصعد الكلام الطيب وقرئ والعمل
الصالح يرفعه بنصب العمل والرافع الكلام والله عز وجل فان قلت

مكر فعل غير متعدٍ لا يقال مكر فلان عمله فبم نصب السيئات قلت هذه
صفة للمصدر او لما في حكمه كقوله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله اصله
والذين مكروا المكرات السيئات او اصناف المكر السيئات وعنى بهن
مكرات قريش حين اجتمعوا في دار الندوة وتداوروا الرأي
في احدى ثلث مكرات تمكروا بها رسول الله صلعم اما اثباته او قتله
او اخراجه كما حكى الله سبحانه عنهم واذ يمكر بك الذين كفروا
ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ومكر اولئك هو يبور يعني و
مكر اولئك الذين مكروا تلك المكرات الثلث هو خاصة يبور اى
يكسد ويفسد دون مكر الله بهم حين اخرجهم من مكة وقتلهم و
اثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله
ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا يحيق المكر
السيئ الا باهله والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا
وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص
من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير ازواجا اصنافا او ذكرانا
واناثا كقوله او يزوجهم ذكرانا واناثا وعن قتادة زوج بعضكم
بعضا بعلمه في موضع الحال اى الا معلومة له فان قلت ما معنى قوله
وما يعمر من معمر قلت معناه وما يعمر من احد وانما سماه معمرا

نما



بما هو صائر اليه فان قلت الانسان اما معمر اى الطويل العمر او
منقوص العمر اى قصيره فاما ان يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال
فكيف صح قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره قلت هذا
من الكلام المتسامح فيه ثقة في تأويله بافهام السامعين واتكالا
على تسديدهم معناه بعقولهم وانه لا يلتبس عليهم احالة الطول
والقصر في عمر واحد وعليه كلام الناس المستفيض يقولون لا
يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق وما تنعمت بلدا ولا اجتويته
الا قل فيه ثوائي وفيه تأويل آخر وهو انه لا يطول عمر انسان ولا يقصر
الا في كتاب وصورته ان يكتب في اللوح ان حج فلان او غزا فعمره
اربعون سنة وان حج وغزا فستون سنة فاذا جمع بينهما فبلغ
الستين فقد عمر واذا افرد احدهما فلم يتجاوز به الاربعين فقد
نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستون واليه اشار رسول الله
صلعم في قوله ان الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار و
عن كعب انه قال حين طعن عمر رضي الله عنه لو ان عمر دعا الله لاخر
في اجله فقيل لكعب اليس قد قال الله اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون فقال فقد قال الله تعالى وما يعمر من معمر وقد
استفاض على الالسنة اطال الله بقاك وفسح في مدتك وما اشبهه وعن سعيد بن

حين يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا في اسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان
حتى ياتي على آخره وعن قتادة المعمر من بلغ ستين والمنقوص من عمره من
يموت قبل ستين سنة والكتاب اللوح عن ابن جبير ويجوز ان يراد بكتاب الله
علم الله او صحيفة الانسان وقرئ ولا ينقص على تسمية الفاعل من عمره
بالتخفيف وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا
ملح اجاج ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى
الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ضرب البحرين
العذب والملح مثلا للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة
البحرين وما علق بهما من نعمته وعطائه ومن كل اي من كل واحد منهما
تاكلون لحما طريا وهو السمك وتستخرجون حلية وهي اللؤلؤ والمرجان
وترى الفلك فيه في كل مواخر شواق للماء بجريها يقال مخرت السفينة
الماء ويقال للسحاب بنات مخر لانها تمخر الهواء والسفن الذي اشتقت
منه السفينة قريب من المخر لانها تسفن الماء تقشره كما تمخره من فضله
من فضل الله وهو ما لم يجر له ذكر في الآية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل
لدلالة المعنى عليه وحرف الترجي مستعار لمعنى الارادة الا ترى كيف
سلك به مسلك لام التعليل كانما قيل لتبتغوا ولتشكروا والفرات الذي
يكسر العطش والسائغ المري السهل الانحدار لعذوبته وقرئ سيغ

بوزن سيد



بوزن سيد وسيغ بالتخفيف وملح على فعل والاجاج الذي يحرق بملوحته
ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو ان يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضل
البحر الاجاج على الكافر بانه قد شارك العذب في منافع من السمك واللؤلؤ
وجري الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو على طريقة قوله تعالى ثم قست
قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة ثم قال وان من الحجارة لما
يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط
من خشية الله ۞ يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس و
القمر كل يجري لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه
ما يملكون من قطمير ۞ ذلكم مبتدا والله ربكم له الملك اخبار مترادفة او الله ربكم
خبران وله الملك جملة مبتداة واقعة في قران قوله والذين تدعون من دونه
ما يملكون من قطمير ويجوز في حكم الاعراب ايقاع اسم الله صفة لاسم الاشارة او
عطف بيان وربكم خبرا لولا ان المعنى ياباه والقطمير لفافة النواة وهي القشرة
الرقيقة الملتفة عليها ۞ ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا
لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير ۞ ان تدعوا الاوثان لا
يسمعوا دعاءكم لانها جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض والتمثيل لما استجابوا
لكم لانهم لا يدعون ما تدعون لهم من الالهية ويتبرؤون منها وقيل ما نفعوكم
يكفرون بشرككم باشراككم لهم وعبادتكم اياهم يقولون ما كنتم ايانا تعبدون
ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك بالامر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد ان الخبير

بالامر وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به والمعنى ان هذا
الذي اخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لاني خبير بما اخبرت به وقرئ يدعون
بالياء والتاء ∴ يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد
∴ فان قلت لم عرف الفقراء قلت قصد بذلك ان يريهم انهم لشدة افتقارهم
اليه هم جنس الفقراء وان كانت الخلائق كلهم مفتقرين اليه من الناس وغيرهم
لان الفقر مما يتبع الضعف وكلما كان الفقير اضعف كان افقر وقد شهد
الله سبحانه على الانسان بالضعف في قوله وخلق الانسان ضعيفا وقال الله
الله الذي خلقكم من ضعف ولو نكر لكان المعنى انتم بعض الفقراء فان قلت
قد قوبل الفقراء بالغني فما فائدة الحميد قلت لما اثبت فقرهم اليه وغناه
عنهم وليس كل غني نافعا بغناه الا اذا كان الغني جوادا منعما فاذا جاد و
انعم حمده المنعم عليهم واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به على انه الغني
النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه
الحميد على السنة مؤمنيهم ∴ ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله
بعزيز ∴ بممتنع وهذا غضب عليهم لاتخاذهم له اندادا وكفرهم
بآياته ومعاصيهم كما قال وان تتولوا يستبدل قوما غيركم وعن ابن عباس
يخلق بعدكم من يعبده لا يشرك به شيئا ∴ ولا تزر وازرة وزر اخرى وان
تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى انما تنذر الذين
يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلوة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه والى الله
المصير ∴

الوزر والوقر اخوان ووزر الشيء اذا حمله والوازرة صفة
للنفس والمعنى ان كل نفس يوم القيامة لا تحمل الا وزرها الذي
اقترفته لا تؤخذ نفس بذنب نفس كما تاخذ جبابرة الدنيا
الولي بالولي والجار بالجار فان قلت هلا قيل ولا تزر نفس و
زر اخرى ولم قيل وازرة قلت لان المعنى ان النفوس الوازرات
لا ترى منهن واحدة الا حاملة وزرها لا وزر غيرها فان قلت كيف
توفق بين هذا وبين قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم
قلت تلك الآية في الضالين المضلين وانهم يحملون اثقال اضلال الناس
مع اثقال ضلالهم وذلك كله اوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم
الا ترى كيف كذبهم الله في قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطايكم
بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء فان قلت ما الفرق
بين معنى قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ومعنى وان تدع
مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء قلت الاول في الدلالة على عدل الله
في حكمه وانه لا يؤاخذ نفسا بغير ذنبها والثاني في ان لا غياث يومئذ
لمن استغاث حتى ان نفسا قد اثقلتها الاوزار وبهظتها لو دعت
الى ان يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث وان كان المدعو بعض
قرابتها من اب او ولد او اخ فان قلت الام اسند كان في ولو كان ذا
قربى قلت الى المدعو المفهوم من قوله وان تدع مثقلة فان قلت

قلت ترك ذكر المدعو قلت ليعم ويشمل كل مدعو فان قلت كيف استقام
اضمار العام ولا يصح ان يكون العام ذا قربى للمثقلة قلت هو
من العموم الكاين على طريق البدل فان قلت ما تقول فيمن قرا و
لو كان ذو قربى على كان التامة كقوله وان كان ذو عسرة قلت
نظم الكلام احسن ملاءمة للناقصة لان المعنى على ان المثقلة ان
دعت احدا الى حملها لا يحمل منه شيء وان كان مدعوها ذا قربى وهو
معنى صحيح ملتئم ولو قلت ولو وجد ذو قربى لتفكك وخرج من اتساقه
والتيامه على ان ههنا ما ساغ ان يستتر له ضمير في الفعل بخلاف
ما اوردته بالغيب حال من الفاعل او المفعول اي يخشون ربهم
غائبين عن عذابه او يخشون عذابه غائبا عنهم وقيل بالغيب في
السر وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله صلعم من اصحابه فكانت
عادتهم المستمرة ان يخشوا الله وهم الذين اقاموا الصلوة وتركوها
منارا منصوبا وعلما مرفوعا يعني انما تقدر على انذار هؤلاء و
تحذيرهم من قومك وعلى تحصيل منفعة الانذار فيهم دون متمرديهم
واهل عنادهم ومن تزكى ومن تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصي و
قرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم
الصلوة لانهما من جملة التزكي والى الله المصير وعد للمتزكين بالثواب فان
قلت كيف اتصل قوله انما تنذر بما قبله قلت لما غضب عليهم في قوله
ان يشا يذهبكم اتبعه الانذار بيوم القيمة وذكر اهوالها ثم قال انما

تنذر



تنذر كان رسول الله صلعم اسمعهم ذلك فلم ينفع فنزل عليه انما تنذر
او اخبره الله تعالى بعلمه فيهم وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا
النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات ان الله
يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور ان انت الا نذير
الاعمى والبصير مثل للكافر والمؤمن كما ضرب البحرين مثلا لهما او
للصنم والله عز وجل والظلمات والنور والظل والحرور مثلان
للحق والباطل وما يؤديان اليه من الثواب والعقاب والاحياء والاموات
مثل للذين دخلوا في الاسلام والذين لم يدخلوا فيه واصروا على
الكفر والسموم الا ان السموم يكون بالنهار والحرور بالليل و
النهار وقيل بالليل فان قلت لا المقرونة بواو العطف ما هي قلت اذا
وقعت الواو في النفي قرنت بها لتاكيد معنى النفي فان قلت هل
من فرق بين هذه الواوات قلت بعضها ضمت شفعا الى شفع و
بعضها وترا الى وتر ان الله يسمع من يشاء يعني انه قد علم من
يدخل في الاسلام ممن لا يدخل فيه فيهدي الذي قد علم ان الهداية
تنفع فيه ويخذل من علم انها لا تنفع فيه واما انت فخفي عليك امرهم
فلذلك تحرص وتتهالك على اسلام قوم من المخذولين ومثلك في ذلك
مثل من يريد ان يسمع المقبورين وينذر وذلك ما لا سبيل اليه ثم
قال ان انت الا نذير اي ما عليك الا ان تبلغ وتنذر فان كان المنذر ممن
يسمع الانذار نفع وان كان من المصرين فلا عليك ويحتمل ان الله

الحرور

هم

يسمع - بينا وانه قادر على ان يسمع المطبوع على قلوبهم على وجه
القسر والالجاء وغيرهم على وجه الهداية والتوفيق وان انت فلا حيلة
لك في المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى انا ارسلناك بالحق
بشيرا ونذيرا وان من امة الا خلا فيها نذير بالحق حال من احد
الضميرين يعني محقا او محقين او صفة للمصدر اي ارسالا مصحوبا
بالحق او صلة لبشيرا ونذيرا على بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد
الحق والامة الجماعة الكثيرة قال الله تعالى وجد عليه امة من الناس ويقال لاهل
كل عصر امة وفي حدود المتكلمين الامة هم المصدقون بالرسول
دون المبعوث اليهم وهم الذين يعتبر اجماعهم والمراد ههنا اهل العصر
فان قلت كم من امة في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ولم تخل فيها
نذير قلت اذا كانت آثار النذارة باقية لم تخل من نذير الى ان تندرس و
حين اندرست آثار نذارة عيسى بعث الله محمدا عليه السلام فان قلت كيف اكتفى
بذكر النذير عن البشير في آخر الآية بعد ذكرهما قلت لما كانت النذارة
مشفوعة بالبشارة لا محالة دل ذكرها على ذكرها لا سيما وقد اشتملت الآية
على ذكرهما ۞ وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم
بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير
بالبينات بالشواهد على صحة النبوة وهي المعجزات وبالزبر وبالصحف و
بالكتاب المنير نحو التوراة والانجيل والزبور لما كانت هذه الاشياء في جنسهم
اسند المجيء بها اليهم اسنادا مطلقا وان كان بعضها في جميعهم وهي البينات

و



وبعضها في بعضهم وهي الزبر والكتاب وفيه مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن
الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومن الناس و
الدواب والانعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء
ان الله عزيز غفور المراد اجناسها من الرمان والتفاح والتين و
العنب وغيرها مما لا يحصر او هيئاتها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها
والجدد الخطط والطرائق قال لبيد او مذهب جدد على الواحه ويقال جدة
الحمار للخطة السوداء على ظهره وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان تفصلان
بين لوني ظهره وبطنه وغرابيب معطوف على بيض او على جدد كانه قيل و
من الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وعن عكرمة هي
الجبال الطوال السود فان قلت الغربيب تاكيد للاسود يقال اسود غربيب
واسود حلكوك وهو الذي ابعد في السواد واغرب فيه ومنه الغراب
ومن حق التاكيد ان يتبع المؤكد كقولك اصفر فاقع وابيض
يقق وما اشبه ذلك قلت وجهه ان يضمر المؤكد قبله ويكون الذي بعده
تفسيرا لما اضمر كقول النابغة والمؤمن العائذات الطير وانما يفعل
ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريقي الاظهار
والاضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله ومن
الجبال جدد بمعنى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤول الى قولك
ومن الجبال مختلف الوانه كما قال ثمرات مختلفا الوانها ومن الناس والدواب و

والانعام مختلف الوانه يعني ومنهم بعض مختلف الوانه وقرئ الوانها
وقرأ الزهري جُدُد بالضم جمع جديدة وهي الجدة يقال جديدة وجُدُد
جُدُد وجدائد كسفينة وسُفُن وسفائن وقد فسّر بها قول ابي ذؤيب
يصف حمار وحش جون السراة له جدائد اربع وروي عنه جَدَد
بفتحتين وهو الطريق الواضح المسفر وضعه موضع الطرائق والخطوط
الواضحة المنفصل بعضها من بعض وقرئ والدواب مخففا ونظير هذا
التخفيف قراءة من قرأ ولا الضالين لان كل واحد منهما فرّ من التقاء
الساكنين فحرك ذاك اولهما وحذف هذا آخرهما وقوله كذلك اي كاختلاف
الثمرات والجبال المراد العلماء به الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده
وما يجوز عليه وما لا يجوز فعظموه وقدروه حق قدره وخشوه حق
خشيته ومن ازداد به علما ازداد منه خوفا ومن كان علمه به اقل كان آمن وفي الحديث
اعلمكم بالله اشدكم له خشية وعن مسروق كفى بالمرء علما ان يخشى الله وكفى بالمرء
جهلا ان يعجب بعلمه وقال رجل للشعبي افتني ايها العالم من خشي الله
وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وقد ظهرت عليه الخشية حتى عرفت
فيه فان قلت هل يختلف المعنى اذا قدمت اسم الله واخرت العلماء كان المعنى
ان الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم واذا عملت
على العكس انقلب المعنى الى انهم لا يخشون الا الله كقوله ولا يخشون احدا
الا الله وهما معنيان مختلفان فان قلت ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله قلت
لما قال الم تر بمعنى الم تعلم ان الله انزل من السماء ماء وعدد آيات الله واعلام





قدرته وآثار صنعه وما خلق من الفطر المختلفة الاجناس وما يستدل
به عليه وعلى صفاته اتبع ذلك انما يخشى الله من عباده العلماء كانه قال انما
يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن عرفه حق معرفته وعلمه كنه علمه وعن النبي صلعم
انا ارجو ان اكون اتقاكم لله واعلمكم به فان قلت فما وجه قراءة من قرأ انما يخشى الله من
عباده العلماء وهو عمر بن عبد العزيز وتحكى عن ابي حنيفة قلت الخشية
في هذه القراءة استعارة والمعنى انما يجلهم ويعظمهم كما يجل المهيب المخشي
من الرجال بين الناس من بين جميع عباده ان الله عزيز تعليل لوجوب
الخشية لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم واثابة اهل الطاعة والعفو عنهم
والمعاقب المثيب حقه ان يخشى ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلوة
وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم
اجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور يتلون كتاب الله يداومون
على تلاوته وهي شانهم وديدنهم وعن مطرف رحمه الله هي آية القراء وعن
الكلبي يأخذون بما فيه وقيل يعلمون ما فيه ويعملون به وعن السدي هم اصحاب
رسول الله صلعم ورضي عنهم وعن عطاء هم المؤمنون يرجون خبر ان والتجارة
طلب الثواب بالطاعة وليوفيهم متعلق بلن تبور اي تجارة ينتفي عنها الكساد
وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها عنده اجورهم وهي ما استحقوه من الثواب
ويزيدهم من التفضل على المستحق وان شئت جعلت يرجون في موضع الحال
وانفقوا راجين ليوفيهم اي فعلوا جميع ذلك من التلاوة واقامة الصلوة والا
نفاق في سبيل الله لهذا الغرض وخبر ان قوله انه غفور شكور على معنى
غفور لهم

لكنه شكور لاتباعهم والشكر مجاز عن الاثابة ۞ والذي اوحينا اليك
من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير
بصير ۞ الكتاب القرآن ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض مصدقا
حال مؤكدة لان الحق لا ينفك عن هذا التصديق لما بين يديه لما تقدمه
من الكتب لخبير بصير يعني انه خبرك وابصر احوالك فرآك اهلا لان يوحي
اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب ۞ ثم اورثنا
الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد و
منهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها
يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ۞
فان قلت ما معنى قوله اورثنا الكتاب قلت فيه وجهان احدهما انا او
حينا اليك القرآن ثم اورثناه من بعدك اي حكمنا بتوريثه او قال اورثناه
وهو يريد نورثه لما عليه اخبار الله الذين اصطفينا من عبادنا وهم
امته من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم الى يوم القيمة
لان الله اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم امة وسطا ليكونوا شهداء
على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى افضل رسل الله وحمل الكتاب الذي
هو افضل الكتب ثم قسمهم الى ظالم لنفسه مجرم وهو المرجا لامر
الله ومقتصد وهو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا وسابق من
السابقين والوجه الثاني انه قدم ارساله في كل امة رسولا وانهم كذبوا
رسلهم وقد جاؤهم بالبينات والزبر والكتاب المنير ثم قال ان الذين يتلون

كتاب



كتاب الله فاثنى على التالين لكتبه العاملين بشرائعه من بين المكذبين بها من
سائر الامم واعترض بقوله والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق ثم
اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا اي من بعد اولئك المذكورين
يريد بالمصطفين من عباده اهل الملة الحنيفية فان قلت فكيف جعلت جنات
عدن بدلا من الفضل الكبير الذي هو السبق بالخيرات المشار اليه بذلك قلت
لما كان السبب في نيل الثواب نزل منزلة المسبب كانه هو الثواب فابدلت
عنه جنات عدن وفي اختصاص السابقين بعد التقسيم بذكر ثوابهم و
السكوت عن الآخرين ما فيه من وجوب الحذر فليحذر المقتصد و
ليهلك الظالم لنفسه حذرا وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من
عذاب الله ولا يغتر بما رواه عمر رضي الله عنه عن رسول الله عم سابقنا
سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له فان شرط ذلك صحة التوبة
لقوله عسى الله ان يتوب عليهم وقوله اما يعذبهم واما يتوب عليهم
ولقد نطق القرآن بذلك في مواضع من استقرأه اطلع على حقيقة
الامر ولم يعلل نفسه بالخدع وقرئ سباق ومعنى باذن الله بتيسيره وتو
فيقه فان قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق قلت للايذان
بكثرة الفاسقين منهم وغلبتهم وان المقتصدين قليل بالاضافة اليهم و
السابقون اقل من القليل وقرئ جنة عدن بالنصب على الافراد كا
نها جنة تختص بالسابقين وجنات عدن بالنصب على اضمار فعل يفسره
الظاهر اي يدخلون جنات عدن يدخلونها ويدخلونها على البناء
للمفعول

ن

ثم قال

ويحلون منه حليت المرأة فهي حال ولؤلؤا معطوفا على محل من اساور
ومن داخلة للتبعيض اى يحلون بعض اساور من ذهب كانه بعض
سابق لسائر الابعاض كما سبق المسبوق به غيرهم وقيل انه ذلك
الذهب فى صفاء اللؤلؤ ولؤلؤ بتخفيف الهمزة الاولى ﴿وقالوا
الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور﴾ وقرئ
الحزن والمراد حزن المتقين وهو ما اهمهم من خوف سوء العاقبة
كقوله تعالى انا كنا قبل فى اهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقينا
عذاب السموم وعن ابن عباس حزن الاعراض والآفات وعنه حزن
الموت وعن الضحاك حزن ابليس ووسوسته وقيل هم المعاش و
قيل حزن زوال النعم وقد اكثروا حتى قال بعضهم كرا الدار و
معناه انه يعم كل حزن من احزان الدين والدنيا حتى هذا وعن رسول
الله صلعم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة فى قبورهم ولا فى محشرهم ولا
فى مسيرهم وكأنى باهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم وهم ينفضون
التراب عن رؤسهم ويقولون الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن وذكر
الشكور دليل على ان النعمة كثيرة اعشان ﴿الذى احلنا دار المقامة
من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب﴾ المقامة بمعنى
الاقامة يقال اقمت اقامة ومقاما ومقامة من فضله من عطائه و
افضاله من قولهم لفلان فضول على قومه وفواضل وليس من الفضل
الذى هو التفضل لان الثواب بمنزلة الاجر المستحق والتفضل

كالنبع



كالنبع وقرئ لغوب بالفتح وهو ما يلغب منه اى لا نتكلف عملا
يلغبنا او مصدر كالقبول والولوع او صفة للمصدر كانه لغوب لغوب
كقولك موت مائت فان قلت ما الفرق بين النصب واللغوب قلت
النصب التعب والمشقة التى تصيب المنتصب للامر المزاول له واما
اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب فالنصب نفس المشقة
والكلفة واللغوب نتيجته وما يحدث فيه من الكلال والفترة ﴿والذين
كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من
عذابها كذلك نجزى كل كفور﴾ فيموتوا جواب النفى ونصبه باضمار
ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى وادخالا له فى حكم النفى اى
لا يقضى عليهم الموت فلا يموتون كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون
كذلك مثل ذلك الجزاء نجزى وقرئ يجازى ويجزى كل كفور بالنون ﴿
وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل او لم
نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين
من نصير﴾ يصطرخون يتصارخون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح
بجهد وشدة قال كصرخة حبلى اسلمتها قبيلها واستعمل فى الاستغاثة لجهد
المستغيث صوته فان قلت هلا اكتفى بصالحا كما اكتفى به فى قوله فارجعنا
نعمل صالحا وما فائدة زيادة غير الذى كنا نعمل على انه يوهم انهم يعملون
صالحا آخر غير الصالح الذى عملوه قلت فائدته زيادة التحسر على ما عملوه
من غير الصالح مع الاعتراف به واما الوهم فزائل بظهور حالهم فى الكفر و
ركوب المعاصى ولانهم كانوا يحسبون انهم على سيرة صالحة كما قال الله

لعادهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فقالوا اخرجنا نعمل صالحا غير
الذي كنا نحسبه صالحا فنعمله اولم نعمركم توبيخ من الله يعني فنقول لهم
وقرئ ما يذكر فيه من اذكر على الادغام وهو متناول لكل عمر تمكن
فيه المكلف من اصلاح شانه وان قصر الا ان التوبيخ في المتطاول اعظم
وعن النبي عم العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة
وعن مجاهد ما بين العشرين الى الستين وقيل ثماني عشرة وسبع عشرة
والنذير الرسول وقيل الشيب وقرئ وجاءتكم النذر فان قلت علام
عطف وجاءكم النذير قلت على معنى اولم نعمركم لان لفظه لفظ استخبار
ومعناه معنى اخبار كانه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير ان الله عالم
غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور انه عليم بذات الصدور
كالتعليل لانه اذا علم ما في الصدور وهو اخفى ما يكون فقد علم كل غيب
في العالم وذات الصدور مضمراتها وهي تانيث ذو في نحو قول ابي بكر رضي الله عنه
ذو بطن خارجة جارية وقوله لتغني عني ذا انائك اجمعا المعنى ما في بطنها
من الحبل وما في انائك من الشراب لان الحبل والشراب يصحبان البطن
والاناء الا ترى الى قولهم معها حبل وكذلك المضمرات تصحب الصدور
وهي معها وذو موضوع لمعنى الصحبة هو الذي جعلكم خلائف في
الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا
مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا يقال للمستخلف خليفة و
خليف فالخليفة تجمع خلائف والخليف خلفاء والمعنى انه جعلكم خلفاءه
في ارضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم

منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة فمن كفر منكم وغمط مثل هذه النعمة
السنية فوبال كفره راجع عليه وهو مقت الله الذي ليس وراءه خزي
وصغار وخسار الآخرة الذي ما بعده خسار والمقت اشد البغض
ومنه قيل لمن ينكح امراة ابيه مقتي لكونه ممقوتا في كل قلب وهو خطاب
للناس وقيل خطاب لمن بعث اليهم رسول الله عم اي جعلكم امة خلفت
من قبلها ورأت وشاهدت فيمن سلف ما ينبغي ان تعتبر به فمن كفر
منكم فعليه جزاء كفره من مقت الله وخسار الآخرة كما ان ذلك حكم من قبلكم
قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا
من الارض ام لهم شرك في السموات ام آتيناهم كتابا فهم على
بينة منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا اروني بدل من
ارايتم لان معنى ارايتم اخبروني كانه قال اخبروني عن هؤلاء الشركاء و
عما استحقوا به الالهية والشركة اروني اي جزء من اجزاء الارض
استبدوا بخلقه دون الله ام لهم مع الله شركة في خلق السموات ام
معهم كتاب من عند الله ينطق بانهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من
ذلك الكتاب او يكون الضمير في آتيناهم كتابا من قبله بل ان يعد بعضهم و
هم الرؤساء بعضا وهم الاتباع الا غرورا وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا
عند الله وقرئ بينات ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن
زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا ان تزولا كراهة
ان تزولا او يمنعهما من ان تزولا لان الامساك منع انه كان حليما غفورا
غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا
لعظم كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وقرئ

ولنون النساء وان امسكهما جواب القسم في ولئن زالتا سد مسد الجوابين
ومن الاولى مزيدة لتاكيد النفي والثانية للابتداء من بعده من بعد
امساكه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لرجل مقبل من الشام من
لقيت به قال كعبا قال وما سمعته يقول قال سمعته يقول ان السموات على منكب ملك
قال كذب كعب اما ترك يهوديته بعد ثم قرا هذه الاية ﴿وأقسموا
بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما
جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا﴾ بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم
الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم
فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبوه وفي احدى الامم وجهان احدهما من بعض
الامم ومن واحدة من الامم من اليهود والنصارى وغيرهم والثاني من الامة
التي يقال لها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة ما زادهم
اسناد مجازي لانه هو السبب في ان زادوا انفسهم نفورا عن الحق وابتعادا عنه
كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم ﴿استكبارا﴾ استكبارا في الارض و
مكر السيئ ﴿ولا يحيق المكر السيئ الا باهله فهل ينظرون الا سنت الاولين
فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا﴾ استكبارا ابدل
من نفورا او مفعول له على معنى فما زادهم الا ان نفروا استكبارا وعلوا
في الارض او حال بمعنى مستكبرين وماكرين برسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ويجوز
ان يكون ومكر السيئ معطوفا على نفورا فما وجه قوله ومكر السيئ فلت اصله و
ان مكروا السيئ اي المكر السيئ ثم ومكرا السيئ ثم ومكر السيئ والدليل عليه قوله ولا
يحيق المكر السيئ الا باهله ومعنى يحيق يحيط وينزل وقرئ ولا يحيق المكر السيئ





الا باهله اي لا يحيق الله ولقد حاق بهم يوم بدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا
تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله تعالى يقول ولا يحيق المكر السيئ الا
باهله ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا يقول الله تعالى انما بغيكم على انفسكم
وعن كعب انه قال لابن عباس قرات في التورية من حفر مغواة وقع
فيها قال انا وجدت ذلك في كتاب الله وقرا الاية وفي امثال العرب من حفر لا
خيه جبا وقع فيه منكبا وقرا حمزة ومكر السيئ باسكان الهمزة و
ذلك لاستثقاله الحركات مع الياء والهمزة ولعله اختلس فظنه سكونا
او وقف وقفة خفيفة ثم ابتداء ولا يحيق وقرا ابن مسعود ومكرا
سيئا سنة الاولين انزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم من
الامم قبلهم وجعل استقبالهم لذلك انتظارا له منهم وبين ان عادته
التي هي الانتقام من مكذبي الرسل عادة لا يبدلها ولا يحولها
اي لا يغيرها وان ذلك مفعول له لا محالة ﴿اولم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه
من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليما قديرا﴾ واستشهد عليهم
بما كانوا يشاهدونه في مسايرهم ومتاجرهم في رحلهم الى الشام والعراق
واليمن من اثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم ليعجزه ليسبقه
ويفوته ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة
ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا﴾
بما كسبوا بما اقترفوا من معاصيهم على ظهرها على ظهر الارض من دابة

من نسمة تدب عليها بريد بني آدم وقيل ما ترك الا
من آدم وعن غيرهم من اسيف الرواة بشوم ذنوبهم

وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يعذب
في جحره بذنب ابن آدم ثم تلا هذه الآية وعن
انس رضي الله عنه ان الضب ليموت هزلا في جحره
بذنب ابن آدم وقيل يحبس المطر فيهلك كل
شيء الى اجل مسمى الى يوم القيامة كان
بعباده بصيرا وعن ابي الخير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة
ان ادخل من اي باب شئت تمت بعون الله



العلم ولا ينبغي له ان يخلق الله كما من الخلائق الحيوان والجماد ما لم يجعل
للبشر طريقا الى العلم به لانه لا حاجة بهم في دينهم ودنياهم الى ذلك العلم
ولو كانت بهم اليه حاجة لاعلمهم بما لا يعلمون كما اعلمهم بوجود ما لا
يعلمون وعن ابن عباس رضي الله عنه [illegible] وفي الحديث ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه فاعلمنا بوجوده
واعلمنا [illegible] بعلمنا به ما هو [illegible] فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من
قرة اعين وفي الاعلام بكثرة ما خلق مما علموه ومما جهلوه ما دل على
عظم قدرته واتساع ملكه ❀ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم
مظلمون ❀ نسلخ جلد الشاة اذا كشط عنها وازاله ومنه سلخ الحية لخروجها
من جلدها فاستعير لازالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وملقى
ظله مظلمون داخلون في الظلام يقال اظلمنا كما يقال اصبحنا واضحينا
❀ والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ❀ لمستقر
لحد لها مؤقت مقدر تنتهي اليه من فلكها في آخر السنة شبه بمستقر
المسافر اذا قطع مسيره او لمنتهى لها من المشارق والمغارب لانها
تتقصاها مشرقا مشرقا ومغربا مغربا حتى تبلغ اقصاها ثم ترجع فذلك
حدها ومستقرها لانها لا تعدوه او لحد لها من مسيرها كل يوم
في مرأى عيوننا وهو المغرب وقيل مستقرها اجلها الذي اقر الله
عليه امرها في جريها فاستقرت عليه وهو آخر السنة وقيل الوقت الذي
تستقر فيه وينقطع جريها فاستقرت وهو يوم القيامة وقوله

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم ۝ قرئ
ياسين بالفتح كأين وكيف او بالنصب على اتل ياسين وبالكسر على الاصل
كجير وبالرفع على هذه ياسين او بالضم كحيث وفخمت الالف واميلت
وعن ابن عباس معناه يا انسان في لغة طيئ والله اعلم بصحته وان صح
فوجهه ان يكون اصله يا انيسين فكثر النداء به على ألسنتهم حتى اقتصروا
على شطره كما قالوا في القسم م الله في ايمن الله الحكيم ذي الحكمة او لانه دليل ناطق
بالحكمة كالحي او لانه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به على صراط مستقيم
خبر بعد خبر او صلة للمرسلين فان قلت اي حاجة اليه خبرا كان او صلة
وقد علم ان المرسلين لا يكونون الا على صراط مستقيم قلت ليس الغرض بذكره
ما ذهبت اليه من تمييز من ارسل على صراط مستقيم عن غيره ممن ليس على
صفته وانما الغرض وصفه ووصف ما جاء به من الشريعة فجمع بين الوصفين
في نظام واحد كانه قال انك لمن المرسلين الثابتين على طريق ثابت وايضا
فان التنكير فيه دال على انه ارسل من بين الصرط المستقيمة على صراط مستقيم
لا يكتنه وصفه ۝ تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوما ما انذر اباؤهم
فهم غافلون ۝ وقرئ تنزيل العزيز الرحيم بالرفع على انه خبر
مبتدأ محذوف وبالنصب على اعني وبالجر على البدل من القرآن قوما
ما انذر اباؤهم قوما غير منذر اباؤهم على الوصف ونحوه قوله تعالى لتنذر
قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وقد فسر

ما انذر اباؤهم على اثبات الانذار ووجه ذلك ان تجعل ما مصدرية
لتنذر قوما انذار اباؤهم او موصولة منصوبة على المفعول الثاني لتنذر قوما
ما انذره اباؤهم من العذاب كقوله تعالى انا انذرناكم عذابا قريبا فان
قلت اي فرق بين تعلق قوله فهم غافلون على التفسيرين قلت هو على
الاول متعلق بالنفي اي لم ينذروا فهم غافلون على ان عدم انذارهم
هو سبب غفلتهم وعلى الثاني بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول
ارسلتك الى فلان لتنذره فانه غافل او فهو غافل فان قلت كيف يكونون
منذرين غير منذرين لمنافاة هذا ما في الآي الاخر قلت لا منافاة
لان الآي في نفي انذارهم لا في نفي انذار ابائهم وآباؤهم القدماء
من ولد اسمعيل وكانت النذارة فيهم فان قلت ففي احد التفسيرين
ان اباءهم لم ينذروا وهو الظاهر فما تصنع به قلت اريد اباؤهم الادنون
دون الاباعد ۝ لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون انا جعلنا في
اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون ۝ القول قوله تعالى
لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين يعني تعلق بهم هذا القول
وثبت عليهم ووجب لانهم ممن علم انهم يموتون على الكفر ثم مثل تصميمهم
على الكفر وانه لا سبيل الى ارعوائهم بان جعلهم كالمغلولين المقمحين في
انهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطأطئون
رؤوسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم وما خلفهم
في ان لا تأمل لهم ولا تبصر وانهم متعامون عن النظر في ايات الله

ما معنى قوله فهي الى الاذقان قلت معناه فالاغلال واصلة الى الاذقان
ملزوزة اليها وذلك ان طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون في ملتقى
طرفيه تحت الذقن حلقة يدخل فيها راس العمود نادرا من الحلقة الى الذقن
فلا تخليه يطاطئ راسه ويوطئ قذاله فلا يزال مقمحا والمقمح الذي
يرفع راسه ويغض بصره يقال قمح البعير فهو قامح اذا روي فرفع
راسه ومنه شهرا قماح لان الابل ترفع رؤسها عن الماء لبرده
فيهما وهما الكانونان ومنه اقتمحت السويق فان قلت فما قولك
فيمن جعل الضمير للايدي وزعم ان الغل لما كان جامعا لليد والعنق
وبذلك يسمى جامعة كان ذكر الاعناق دالا على ذكر الايدي قلت الوجه
ما ذكرت لك والدليل عليه قوله فهم مقمحون الا ترى كيف جعل
الاقماح نتيجة قوله فهي الى الاذقان ولو كان الضمير للايدي لم
يكن معنى التسبب في الاقماح ظاهرا على ان هذا الاضمار فيه ضرب من
التعسف وترك الظاهر الذي يدعوه المعنى الى نفسه الى الباطن
الذي يجفو عنه وترك للحق الابلج الى الباطل اللجلج ۞ وجعلنا من بين
ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون ۞ فان قلت
قد قرا ابن عباس في ايديهم وابن مسعود في ايمانهم فهل تجوز على
هذين القرائتين ان تجعل الضمير للايدي او للايمان قلت يابى ذلك وان
ذهب الاضمار المتعسف ظهور كون الضمير للاغلال وسداد
المعنى عليه كما ذكرت وقرئ سدا بالفتح والضم وقيل ما كان من عمل الناس

فبالـ




جعلنا

فبالفتح وما كان من خلق الله فبالضم فاغشيناهم ابصارهم اي غطيناها و
عليها غشاوة عن ان تطمح الى مرئي وعن مجاهد فاغشيناهم فالبسنا
ابصارهم غشاوة وقرئ بالعين من العشا وقيل نزلت في بني مخزوم و
ذلك ان ابا جهل حلف لئن راى محمدا يصلي ليرضخن راسه فاتاه وهو يصلي
ومعه حجر ليدمغه به فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى
فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي اخر انا اقتله
بهذا الحجر فذهب فاعمى الله عينيه ۞ وسواء عليهم ءانذرتهم ام
لم تنذرهم لا يؤمنون انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب
فبشره بمغفرة واجر كريم ۞ فان قلت قد ذكر ما دل على انتفاء ايمانهم
مع ثبوت الانذار ثم قفاه بقوله انما تنذر وانما كانت تصح هذه التقفية
لو كان الانذار منفيا قلت هو كما قلت ولكن لما كان ذلك نفيا للايمان مع و
جود الانذار وكان معناه ان البغية المرومة بالانذار غير حاصلة
وهي الايمان قفى بقوله انما تنذر على معنى انما تحصل البغية بانذارك من
غير هؤلاء المنذرين وهم المتبعون للذكر وهو القرآن او الوعظ الخا
شون ربهم ۞ انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا واثارهم وكل شيء احصيناه
في امام مبين ۞ نحيي الموتى نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن احياؤهم
ان نخرجهم من الشرك الى الايمان ونكتب ما اسلفوا من الاعمال الصالحة و
غيرها وما هلكوا عنه من اثر حسن كعلم علموه او كتاب صنفوه او حبيس
حبسوه او بناء بنوه من مسجد او رباط او قنطرة او نحو ذلك او سيئ

كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة احدث فيها تخسيرهم
وشيء احدث فيه صد عن ذكر الله من الحان وملاه وكذلك كل سنة
حسنة او سيئة يستن بها ونحوه قوله عز وجل ينبأ الانسان يومئذ
بما قدم واخر اي قدم من اعماله واخر من آثاره وقيل هي آثار
المشائين الى المساجد وعن جابر اردنا النقلة الى المسجد والبقاع
حوله خالية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتانا في ديارنا وقال يا بني
سلمة بلغني انكم تريدون النقلة الى المسجد فقلنا نعم بعد علينا
المسجد والبقاع حوله خالية فقال عليكم دياركم فانما تكتب آثاركم
قال فما وددنا بحضرة المسجد لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن
عبد العزيز لو كان الله مغفلا شيئا لاغفل هذه الآثار التي تعفيها
الرياح والامام اللوح وقرئ ويكتب ما قدموا وآثارهم على البناء
للمفعول وكل شيء بالرفع واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها
المرسلون اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا
انا اليكم مرسلون واضرب لهم مثلا من قولهم عندي من هذا
الضرب كذا اي من هذا المثال وهذه الاشياء على ضرب واحد اي على
مثال واحد والمعنى واضرب لهم مثلا مثل اصحاب القرية اي اذكر
لهم قصة عجيبة قصة اصحاب القرية والمثل الثاني بيان للاول وانتصاب
اذ بانه بدل من اصحاب القرية والقرية انطاكية والمرسلون رسل
عيسى صلوات الله عليه الى اهلها بعثهم دعاة الى الحق وكانوا عبدة
اوثان

ارسل



ارسل اليهم اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له
وهو حبيب النجار صاحب يس فسألهما فاخبراه فقال امعكما آية
فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض من سنتين
فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي على ايديهما خلق كثير ورقي
حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك
وآلهتك فقال حتى انظر في امركما فتبعهما الناس فضربوهما وقيل حبسا
ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى
استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فانس به فقال له ذات يوم
بلغني انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب
بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي
خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما
يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام
مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصر واخذا بندقتين
فوضعاهما في حدقتيه فكانتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون
ارأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف
قال ليس لي عنك سر ان الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع
وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون انه
منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات
من سبعة ايام فقام وقال اني ادخلت في سبعة اودية من النار وانا

احذر

أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا وقال فتحت أبواب السماء فرأيت شابا
حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلثة فقال الملك ومن هم قال شمعون وهذان
فتعجب الملك فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فآمن و
آمن معه قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه السلام صيحة
فهلكوا فعززنا فقوينا يقال عزز المطر الأرض إذا لبدها وشدها
وتعزز لحم الناقة وقرئ بالتخفيف من عزه يعزه إذا غلبه أي
فغلبنا وقهرنا بثالث وهو شمعون فإن قلت لم ترك ذكر المفعول
به قلت لأن الغرض ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير
حتى عز الحق وذل الباطل وإذا كان الكلام منصبا إلى غرض من الأغراض
جعل سياقه له وتوجهه إليه كأن ما سواه مرفوض مطرح ونظيره قولك
حكم السلطان اليوم بالحق الغرض المسوق إليه قولك بالحق فلذلك
رفضت ذكر المحكوم له والمحكوم عليه ۞ قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا
وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون قالوا ربنا يعلم إنا
إليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ المبين ۞ إنما رفع بشر ونصب
في قوله ما هذا بشرا لأن إلا تنقض النفي فلا يبقى لما المشبهة بليس
شبه فلا يبقى له عمل فإن قلت لم قيل أولا إنا إليكم مرسلون وآخرا إنا إليكم
لمرسلون قلت لأن الأول ابتداء إخبار والثاني جواب عن إنكار
وقوله ربنا يعلم جار مجرى القسم في التوكيد وكذلك قولهم شهد الله
وعلم الله وإنما حسن منهم هذا الجواب الوارد على التوكيد والتحقيق



مع قولهم وما علينا إلا البلاغ المبين أي الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة
لصحته وإلا فلو قال المدعي والله إني لصادق فيما أدعي ولم تحضر البينة
كان قبيحا ۞ قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب
أليم ۞ تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك أنهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفو
وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل شيء مالوا إليه واشتهوه وآثروه وقبلته طبا
ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فإن أصابهم نعمة أو بلاء قالوا ببركة
هذا وبشؤم هذا كما حكى الله عن القبط وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى
ومن معه وعن مشركي مكة وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك وقيل
[illegible] حبس عنهم القطر فقالوا ذلك وعن قتادة إن أصابنا شيء كان من أجلكم
۞ طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون ۞ طائركم معكم وقرئ
طيركم أي سبب شؤمكم معكم وهو كفرهم أو أسباب شؤمكم معكم وهي كفرهم و
معاصيهم وقرأ الحسن أطيركم أي تطيركم وقرئ أئن ذكرتم بهمزة الاستفهام
وحرف الشرط ومد آئن بألف بينهما بمعنى أتطيرون إن ذكرتم وقرئ أن
ذكرتم بهمزة الاستفهام وأن الناصبة بمعنى أتطيرتم لأن ذكرتم وقرئ أن
وأن بغير استفهام بمعنى الإخبار أي تطيرتم لأن ذكرتم أو إن ذكرتم
تطيرتم وقرئ أين ذكرتم على التخفيف أي شؤمكم معكم حيث جرى
ذكركم إذا شئم المكان بذكرهم كان بحلولهم فيه أشأم بل أنتم قوم
مسرفون في العصيان فمن ثم أتاكم الشؤم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم
أو بل أنتم مسرفون في ضلالكم متمادون في غيكم حيث تتشاءمون بمن يجب
التبرك به من رسل الله

سهم

عهم

من

ير

حكم

وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين رجل
يسعى وهو حبيب ابن اسرائيل النجار وكان ينحت الاصنام وهو ممن آمن
برسول الله ﷺ وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل
وغيرهما ولم يؤمن بنبي احد الا بعد ظهوره وقيل كان في غار يعبد الله
فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه وقاول الكفرة فقالوا وانت تخالف
ديننا فوثبوا عليه فقتلوه وقيل توطؤوه بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره
وقيل رجموه وهو يقول اللهم اهد قومي وقبره في سوق انطاكية فلما قتل غضب
الله عليهم فاهلكوا بصيحة جبريل وعن رسول الله ﷺ سباق الامم ثلثة لم يكفروا
بالله طرفة عين علي بن ابي طالب وصاحب ياسين ومؤمن آل فرعون
اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون من لا يسألكم اجرا وهم
مهتدون كلمة جامعة في الترغيب فيهم اي لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم
وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة وما لي لا اعبد
الذي فطرني واليه ترجعون ءاتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن
بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون اني اذا لفي ضلال مبين
اني آمنت بربكم فاسمعون ثم ابرز الكلام في معرض المناصحة
ليتلطف بهم ويداريهم ولانه ادخل في امحاض النصح حيث لا يريد
لهم الا ما يريد لروحه ولقد وضع قوله وما لي لا اعبد الذي فطرني
مكان قوله وما لكم لا تعبدون الذي فطركم الا ترى الى قوله واليه ترجعون
ولولا انه قصد ذلك لقال الذي فطرني واليه ارجع وقد ساقه ذلك
المساق الى

ان



اي انه قال آمنت بربكم فاسمعون يريد فاسمعوا قولي واطيعوني فقد
نبهتكم على الصحيح الذي لا معدل عنه ان العبادة لا تصح الا لمن منه مبدؤكم
واليه مرجعكم وما ادفع العقول وانكر لان تستحبوا على عبادته
عبادة اشياء ان اراد هادمكم بضر وتشفع لكم هذه الآلهة لم تنفع شفاعتها
ولم يمكنها ان يكونوا شفعاء عنده ولم يقدروا على انقاذكم منه بوجه
من الوجوه انكم في هذا الاستحباب لفي ضلال بين لا يخفى
على ذي عقل وتمييز وقيل لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحو الرسل
قبل ان يقتل فقال لهم اني آمنت بربكم فاسمعون اي اسمعوا ايماني تشهدوا لي
به وقرئ ان يردني الرحمن بضر بمعنى ان يوردني ضرا اي يجعلني موردا
للضر قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي و
جعلني من المكرمين اي لما قتل قيل له ادخل الجنة وعن قتادة ادخله الله
الجنة وهو فيها حي يرزق اراد به قوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون
فرحين وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وانه من اهلها فان قلت كيف مخرج
هذا القول في علم البيان قلت مخرجه مخرج الاستيناف لان هذا من مظان
المسئلة عن حاله عند لقاء ربه كان قائلا قال كيف كان لقاء ربه بعد ذلك
التصلب في نصرة دينه والتسخي لروحه بروحه فقيل قيل ادخل الجنة
ولم يقل قيل له لانصباب الغرض الى المقول وعظمه لا الى المقول له مع كونه
معلوما وكذلك قال يا ليت قومي يعلمون مرتب على تقدير سؤال سائل
عما وجد من قوله عند ذلك الفوز العظيم وانما تمنى علم قومه بحاله ليكون

علمهم بحالها سببا لاكتساب مثلها لانفسهم بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان
والعمل الصالح المفضيين باهلهما الى الجنة وفي حديث مرفوع نصح قومه
حيا وميتا وفيه تنبيه على وجوب كظم الغيظ والحلم عن اهل الجهل و
الترؤف على من ادخل نفسه في غمار الاشرار واهل البغي والتشمر في
تخليصه والتلطف في افتدائه والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء
عليه الا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له الغوائل وهم كفرة
عبدة اصنام ويجوز ان يتمنى ذلك ليعلموا انهم كانوا على خطأ
عظيم في امره وانه كان على صواب ونصيحة وشفقة وان عداوتهم لم
تكسبه الا فوزا ولم تعقبه الا سعادة لان في ذلك زيادة غبطة له وتضاعف
لذة وسرور والاول اوجه وقرئ المكرمين فان قلت ما في قوله تعالى
بما غفر لي ربي اي الماءات هي قلت المصدرية او الموصولة اي بالذي
غفره لي من الذنوب ويحتمل ان تكون استفهامية يعني باي شيء غفر لي
ربي يريد به ما كان منه معهم من المصابرة لاعزاز الدين حتى قتل
الا ان قولك بم غفر لي بطرح الالف اجود وان كان اثباتها جائزا يقال
قد علمت بما صنعت هذا اي باي شيء صنعت وبم صنعت ﴿وما
انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين﴾
المعنى ان الله كفى امرهم بصيحة ملك ولم ينزل لاهلاكهم جندا من
جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق فان قلت وما معنى قوله
وما كنا منزلين قلت معناه وما كان يصح في حكمتنا ان ننزل في اهلاك قومه

جندا



جندا من السماء وذلك لان الله عز وجل اجرى اهلاك كل قوم على
بعض الوجوه دون البعض وما ذلك الا بناء على ما اقتضته الحكمة واوجبته
المصلحة الا ترى الى قوله تعالى فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من
اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا فان قلت
فلم انزل الجنود من السماء يوم بدر والخندق قال تعالى فارسلنا
عليهم ريحا وجنودا لم تروها بالف من الملائكة مردفين بثلاثة الاف
من الملائكة منزلين بخمسة الاف من الملائكة مسومين قلت انما كان
يكفي ملك واحد فقد اهلكت مدائن قوم لوط بريشة من جناح
جبريل وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة منه ولكن الله فضل محمدا
عليه السلام بكل شيء على كبار الانبياء واولي العزم من الرسل فضلا عن حبيب
النجار واولاه من اسباب الكرامة والاعزاز ما لم يوله احدا فمن
ذلك انه انزل له جنودا من السماء وكانه اشار بقوله وما انزلنا وما
كنا منزلين الى ان انزال الجنود من عظائم الامور التي لا يؤهل
لها الا مثلك وما كنا نفعله بغيرك ﴿ان كانت الا صيحة واحدة فاذا
هم خامدون﴾ ان كانت الا صيحة واحدة ان كانت الاخذة او العقوبة
الا صيحة وقرأ ابو جعفر المدني بالرفع على كان التامة اي ما وقعت
الا صيحة والقياس والاستعمال على تذكير الفعل لان المعنى ما وقع شيء
الا صيحة ولكنه نظر الى ظاهر اللفظ وان الصيحة في حكم فاعل الفعل
ومثلها قراءة الحسن فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم وبيت ذي الرمة وما

وما بقيت الا الشقلة في الجراح الشيء وقرأ ابن مسعود الا زقية واحدة
من زقى الطائر يزقو ويزقي اذا صاح ومنه المثل اثقل من الزواقي
خامدون ميتون شبهوا بالنار تخمد فتعود رمادا كما قال لبيد وما
المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع ﴿يا
حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون﴾
يا حسرة على العباد نداء للحسرة عليهم كانما قيل لها تعالي يا حسرة
فهذه من احوالك التي حقك ان تحضري فيها وهي حال استهزائهم
بالرسل والمعنى انهم احقاء بان يتحسر عليهم المتحسرون و
يتلهف على حالهم المتلهفون او هم متحسر عليهم من جهة الملائكة
والمؤمنين من الثقلين ويجوز ان يكون من الله عز وجل على سبيل
الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على انفسهم ومحنوها به وفرط
انكاره له وتعجيبه منه وقراءة من قرأ يا حسرتا تعضد هذا الوجه لان
المعنى يا حسرتي وقرئ يا حسرة العباد على الاضافة اليهم لاختصاصها
بهم من حيث انها موجهة اليهم ويا حسره على العباد على اجراء الوصل
مجرى الوقف ﴿الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم
لا يرجعون﴾ الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن العمل في كم لان
كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام او للخبر لان اصلها الاستفهام
الا ان معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك الم يروا ان زيدا لمنطلق
وان لم يعمل في لفظه وانهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا على المعنى

لا على اللفظ تقديره الم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير
راجعين اليهم وعن الحسن كسر ان على الاستئناف وفي قراءة ابن مسعود
الم يروا من اهلكنا والبدل على هذه القراءة بدل اشتمال وهذا مما يرد قول
اهل الرجعة ويحكى عن ابن عباس انه قيل له ان قوما يزعمون ان عليا
مبعوث قبل يوم القيامة فقال بئس القوم نحن اذن نكحنا نساءه و
قسمنا ميراثه ﴿وان كل لما جميع لدينا محضرون﴾ وقرئ لما بالتخفيف
على ان ما صلة للتأكيد وان مخففة من الثقيلة وهي ملغاة متلقاة باللام لا
محالة ولما بالتشديد بمعنى الا كالتي في مسئلة الكتاب نشدتك بالله لما
فعلت وان نافية والتنوين في كل هو الذي يقع عوضا من المضاف اليه كقولك
مررت بكل قائما والمعنى ان كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب
يوم القيامة وقيل محضرون معذبون فان قلت كيف اخبر عن كل بجميع ومعناهما
واحد قلت ليس باحد لان كلا يفيد معنى الاحاطة وان لا ينفلت منهم احد و
الجميع معناه الاجتماع وان المحشر يجمعهم والجميع فعيل بمعنى مفعول يقال حي
جميع وجاؤا جميعا ﴿وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه
يأكلون﴾ وقرئ الميتة بالتثقيل والمخففة اشيع لسلسها على اللسان واحييناها استئناف
بيان لكون الارض الميتة آية وكذلك نسلخ ويجوز ان يوصف الارض بالفعل لانه
اريد بهما الجنسان مطلقين لا ارض وليل باعيانهما فعوملا معاملة النكرات
في وصفهما بالافعال ونحوه ولقد امر على اللئيم يسبني وقوله فمنه يأكلون
بتقديم الظرف للدلالة على ان الحب هو الشيء الذي يتعلق به معظم العيش

والليل ح

ويقصر بالاحتراق منه فلا يتضرر الانسان واذا قل جاء القحط ووقع
السقوط واذا فقد جاء الهلاك وخربت البلاد وجعلنا فيها جنات من
نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون في الارض وفجرنا بالتثقيل والتخفيف
والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى ليأكلوا من ثمره وما
عملته ايديهم افلا يشكرون وقرئ ثمره بضمتين وضمة و
سكون والضمير لله تعالى والمعنى ليأكلوا مما خلقه الله ومما عملته ايديهم
من الغرس والسقي والآبار وغير ذلك من الاعمال الى ان يبلغ الثمر
منتهاه وإناه اكله يعني ان الثمر في نفسه فعل الله وخلقه وفيه آثار من
كد بني آدم واصله من ثمرنا [illegible] كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام
من التكلم الى الغيبة على طريقة الالتفات ويجوز ان يرجع الى النخيل
ويترك الاعناب غير مرجوع اليه لانه علم انها في حكم النخيل فيما علق به
من اكل ثمره ويجوز ان يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال [illegible]
فيها [illegible] لانه في الجلد [illegible] البهيمة فقيل
تعالى [illegible] ذلك ولكن ان تجعل ما نافية على ان الثمر خلق الله ولم
تعمله ايدي الناس ولا يقدرون عليه وقرئ على الوجه الاول وما عملت
من غير راجع وهي في مصاحف اهل الكوفة كذلك وفي مصاحف اهل الحرمين
والبصرة والشام مع الضمير سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض
ومن انفسهم ومما لا يعلمون الازواج الاجناس والاصناف ومما لا يعلمون
ومن ازواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا الى معرفتها بطريق من طرق

العلم



العلم ولا يبعد ان يخلق الله تعالى من الخلائق الحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر
طريقا الى العلم به لانه لا حاجة بهم في دينهم ودنياهم الى ذلك العلم ولو كانت
بهم اليه حاجة لاعلمهم بما لا يعلمون كما اعلمهم بوجود ما لا يعلمون وعن ابن
عباس رضي الله عنهما [illegible] وفي الحديث ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه فاعلمنا بوجوده واعداده وما اعلمنا به
ما هو [illegible] فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وفي الاخلاص بكثير مما
خلق مما علموه ومما جهلوه مما دل على عظم قدرته واتساع ملكه وآية
لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون نسلخ جلد الشاة اذا كشطته عنها
وازلته ومنه سلخ الحية لخرشائها جلدها فاستعير لازالة الضوء وكشفه عن
مكان الليل وملقى ظله فاذا هم مظلمون داخلون في الظلام يقال اظلمنا كما تقول
اعتمنا وادجينا والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم
لمستقر لها لحد لها موقت مقدر ينتهي اليه من فلكها في آخر السنة
شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لمنتهى لها من المشارق والمغارب
لانها تتقصاها مشرقا مشرقا ومغربا مغربا حتى تبلغ اقصاها ثم ترجع
فذلك حدها ومستقرها لانها لا تعدوه او لحد لها من مسيرها كل يوم في مرأى
عيوننا وهو المغرب وقيل مستقرها اجلها الذي اقر الله عليه امرها في جريها
فاستقرت عليه وهو آخر السنة وقيل الوقت الذي تستقر فيه وينقطع جريها
وهو يوم القيامة وقرئ تجري الى مستقر لها وقرأ ابن مسعود لا مستقر لها
اي لا تزال تجري لا تستقر وقرئ لا مستقر لها على ان لا بمعنى ليس ذلك الجري على
ذلك التقدير

والحساب الدقيق الذي تكل الفطن عن استخراجه وتتحير الافهام في
استنباطه ما هو الا تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور المحيط علما بكل
معلوم ۞ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ۞ قرئ و
القمر رفعا على الابتدا او عطفا على الليل يريد ومن اياته القمر ونصبا بفعل
يفسره قدرناه ولا بد في قدرناه منازل من تقدير مضاف لانه لا معنى لتقدير
نفس القمر منازل والمعنى قدرنا مسيره منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا
ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو
لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين
ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص الشهر وهذه المنازل هي مواقع
النجوم التي نسبت العرب الانواء المستمطرة وهي الشرطين • البطين
• الثريا • الدبران • الهقعة • الهنعة • الذراع • النثرة • الطرف • الجبهة •
الزبرة • الصرفة • العوا • السماك • الغفر • الزبانا • الاكليل • القلب • الشولة
• النعايم • البلدة • سعد الذابح • سعد بلع • سعد السعود • سعد الاخبية
• فرغ الدلو المقدم • فرغ الدلو المؤخر • الرشا • فاذا كان في اخر منازله
دق واستقوس وعاد كالعرجون القديم وهو عود العذق ما بين
شماريخه الى منبته من النخلة وقال الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو
الانعطاف وقرئ العرجون بوزن الفرجون وهما لغتان كالبزيون و
البزيون والقديم المحول واذا اقدم دق وانحنى واصفر [illegible] به من
اوجه وقيل اقل مدة الموصوف بالقدم الحول فلو قال رجل كل مملوك

لي قديم فهو حر وكتب ذلك في وصية عتق منهم من مضى له حول واكثر ۞
لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون
۞ وقرئ سابق النهار على الاصل والمعنى ان الله قسم لكل واحد من الليل و
النهار وآيتيهما قسما من الزمان وضرب له حدا معلوما ودبر امرهما على التعاقب
فلا ينبغي للشمس اي لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم لوقوع التدبير على المعاقبة
وان جعل لكل واحد من النيرين سلطانا على حياله ان تدرك القمر فتجتمع
معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره ولا يسبق الليل
النهار يعني آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الامر على هذا الترتيب
الى ان يبطل الله ما دبر من ذلك وينقض ما الف فيجمع بين الشمس والقمر و
يطلع الشمس من مغربها فان قلت لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير
سابق قلت لان الشمس لا تقطع فلكها الا في سنة والقمر يقطع فلكه في شهر فكانت
الشمس جديرة بان توصف بالادراك لتباطؤ سيرها عن سير القمر والقمر خليقا
بان يوصف بالسبق لسرعة سيره وكل التنوين فيه عوض من المضاف اليه والمعنى
وكلهم والضمير للشموس والاقمار على ما سبق ذكره ۞ وآية لهم انا حملنا ذريتهم
في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ۞ ذريتهم اولادهم وصبيانهم
تحمله وقيل الذرية تقع على النساء لانهن مزارعها وفي الحديث انه نهى عن
قتل الذراري يعني النساء ومن مثله من الفلك ما يركبون من الابل وهي سفاين البر
وقيل الفلك المشحون سفينة نوح ومعنى حمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها اباءهم
الاقدمين وفي اصلابهم هم وذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان

قلب
قتبة

عليهم وادخل في التعجيب من قدرته في حمل اعقابهم الى يوم القيامة في سفينة نوح
ومن مثله من مثل ذلك الفلك ما يركبون من السفن والزوارق ﴿وان نشأ
نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون الا رحمة منا ومتاعا الى حين﴾ ﴿فلا صريخ﴾
مغيث او اغاثة يقال اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون لا ينجون من الموت
بالغرق الا رحمة منا ولتمتيع بالحياة الى حين الاجل يموتون فيه
لا بد لهم منه بعد النجاة من موت الغرق ولقد احسن من قال ﴿ولم اسلم لكي
ابقى ولكن سلمت من الحمام الى الحمام﴾ وقرأ الحسن نغرقهم ﴿واذا قيل
لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون وما تأتيهم من آية من آيات ربهم
الا كانوا عنها معرضين﴾ اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم كقوله افلم يروا الى
ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض وعن مجاهد ما تقدم من ذنوبكم
وما تأخر وعن قتادة ما بين ايديكم من الوقائع التي خلت يعني من مثل الوقائع التي
ابتليت بها الامم المكذبة بانبيائها وما خلفكم من امر الساعة لعلكم ترحمون لتكونوا
على رجاء رحمة الله وجواب اذا مضمر دل عليه قوله الا كانوا عنها معرضين فكأنه قال
واذا قيل لهم اتقوا اعرضوا ثم قال ودأبهم الاعراض عند كل آية وموعظة ﴿واذا
قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لو يشاء
الله اطعمه ان انتم الا في ضلال مبين﴾ كانت الزنادقة منهم يسمعون المؤمنين
يعلقون افعال الله بمشيئته فيقولون لو شاء الله لاغنى فلانا ولو شاء لاعزه ولو
شاء لكان كذا فاخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولونه
من تعليق الامور بمشيئة الله ومعناه انطعم المقول فيه هذا القول بينكم وذلك انهم كانوا
دافعين ان يكون



الغنى والفقر من الله لانهم معطلة لا يؤمنون بالصانع وعن ابن عباس كان بمكة
زنادقة فاذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه
نحن وقيل كانوا يوهمون ان الله تعالى لما كان قادرا على اطعامه ولم يشأ اطعامه
فنحن احق بذلك نزلت في مشركي قريش حين قال فقراء اصحاب رسول الله ﷺ
اعطونا مما زعمتم من اموالكم انها لله يعنون قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث
والانعام نصيبا فحرموهم وقالوا لو شاء الله لاطعمكم ان انتم الا في ضلال مبين قول
لهم او حكاية لرد المؤمنين لهم او هو من جملة جوابهم للمؤمنين ﴿ويقولون متى
هذا الوعد ان كنتم صادقين ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون﴾
قرئ وهم يخصمون بادغام التاء في الصاد مع فتح الخاء وكسرها واتباع الياء الخاء
في الكسر ويخصمون على الاصل ويخصمون من خصمه والمعنى انها تبغتهم وهم في امنهم
وغفلتهم عنها لا يخطرونها ببالهم مشتغلين بخصوماتهم في متاجرهم ومعاملاتهم و
سائر ما يتخاصمون فيه ويتشاجرون ومعنى يخصمون يخصم بعضهم بعضا وقيل
تأخذهم وهم عند انفسهم يخصمون في الحجة في انهم لا يبعثون ﴿فلا يستطيعون
توصية ولا الى اهلهم يرجعون﴾ لا يستطيعون ان يوصوا في شيء من امورهم
توصية ولا يقدرون على الرجوع الى منازلهم واهاليهم بل يموتون حيث تفجؤهم
الصيحة ﴿ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون﴾ قرئ الصور
بسكون الواو وهو القرن او جمع صورة وحركها بعضهم والاجداث القبور وقرئ
بالفاء ينسلون يعدون بكسر السين وفتحها وهي النفخة الثانية ﴿قالوا يا ويلنا
من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾ قرئ يا ويلتنا وعن

وعن ابن مسعود من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه واهبه غيره وقرئ من
هبنا بمعنى اهبنا وعن بعضهم اراد هب بنا فحذف الجار واوصل الفعل
وقرئ من بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر وهذا مبتدأ وما وعد
خبره وما مصدرية او موصولة ويجوز ان يكون هذا صفة للمرقد وما وعد
خبر مبتدأ محذوف اي هذا وعد الرحمن او مبتدأ محذوف الخبر اي ما وعد
الرحمن وصدق المرسلون حق عليكم وعن مجاهد للكفار هجعة يجدون
فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور قالوا من بعثنا واما هذا ما وعد الرحمن
فكلام الملائكة عن ابن عباس وعن الحسن كلام المتقين وقيل كلام الكافرين
يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا فان
قلت اذا جعلت ما مصدرية كان المعنى هذا وعد الرحمن وصدق المرسلون
على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق فما وجه قوله وصدق
المرسلون اذا جعلتها موصولة قلت تقديره هذا الذي وعده الرحمن والذي
صدقه المرسلون بمعنى والذي صدق فيه المرسلون من قولهم صدقوهم
القتال ومنه صدقني سن بكره فان قلت من بعثنا من مرقدنا سؤال عن
الباعث فكيف طابقه ذلك جوابا قلت معناه بعثكم الرحمن الذي وعدكم
البعث وانباكم به الرسل الا انه جيء به على طريقة سيئت بها تذكيرهم وتغبيت
اليهم احوالهم وذكر كفرهم وتكذيبهم واخبروا بوقوع ما انذروا به
وكانه قيل لهم ليس بالبعث الذي عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده حتى
يهمكم السؤال عن الباعث ان هذا هو البعث الاكبر ذو الاهوال والافزاع



وهو الذي وعده الله في كتبه المنزلة على السنة رسله الصادقين ان كانت
الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا
تجزون الا ما كنتم تعملون ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون الا
صيحة واحدة قرئت منصوبة ومرفوعة فاليوم لا تظلم نفس شيئا ان
اصحاب الجنة اليوم في شغل حكاية ما يقال لهم في ذلك اليوم وفي مثل
تلك الحكاية زيادة تصوير للموعود وتمكين له في النفوس وترغيب في
الحرص عليه وعلى ما يثمره في شغل في اي شغل وفي شغل لا يوصف وما ظنك
بشغل من سعد بدخول الجنة التي هي دار المتقين ووصل الى نيل تلك الغبطة
وذلك الملك الكبير والنعيم المقيم ووقع في تلك الملاذ التي اعدها الله للمرتضين
من عباده شغلا بالملك على اعمالهم مع كرامته وتعظيمه وذلك بعد الوله
والصبابة والتفصي من مشاق التكليف ومضايق التقوى والخشية وتخطي
الاهوال وتجاوز الاخطار وجواز الصراط ومعاينة ما لقي العصاة من
العذاب وعن ابن عباس في افتضاض الابكار وعنه في ضرب الاوتار وعن ابن
كيسان في التزاور وقيل في ضيافة الله وعن الحسن شغلهم عما فيه اهل النار
التنعم بما هم فيه وعن الكلبي في شغل عن اهاليهم من اهل النار لا يهمهم
امرهم ولا يذكرونهم لئلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم في شغل بفتحتين
وبضمة وسكون وبفتحة وسكون والفاكه والفكه المتنعم المتلذذ
ومنه الفاكهة لانها مما يتلذذ به وكذلك الفكاهة وهي المزاحة وقرئ فاكهون
وفكهون بكسر الكاف وضمها كقولهم رجل حدث وحدث ونطس ونطس وقرئ فاكهين

و[...] على انه حال والظرف مستقر ﴿هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون﴾ هم يحتمل ان يكون مبتدا وان يكون تاكيدا للضمير في شغل وفي فاكهون على ان ازواجهم يشاركنهم في ذلك الشغل والتفكه والاتكاء على الارائك تحت الظلال وقرئ في ظلل والارائك السرير في الحجلة وقيل الفراش فيها وقرا ابن مسعود متكئين ﴿لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب الرحيم﴾ يدعون يفتعلون من الدعاء اي يدعون به لانفسهم كقولك اشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه قال لبيد فاشتوى ليلة ريح واجتمل ويجوز ان يكون بمعنى يتداعونه كقولك ارتموه وتراموه وقيل يتمنون من قولهم ادع على ما شئت بمعنى تمنه علي وفلان في خير ما ادعى اي في خير ما تمنى قال الزجاج وهو من الدعاء اي ما يدعو به اهل الجنة ياتيهم وسلام بدل مما يدعون كانه قال لهم سلام يقال لهم قولا من جهة رب رحيم والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة مبالغة في تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه قال ابن عباس والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين وقيل ما يدعون مبتدا وخبره سلام بمعنى ولهم ما يدعون سالم خالص لا شوب فيه وقولا مصدر مؤكد لقوله ولهم ما يدعون سلام اي عدة من رب رحيم والاوجه ان ينتصب على الاختصاص وهو من مجازه وقرئ سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين وعن ابن مسعود سلاما نصب على الحال اي لهم مرادهم خالصا ﴿وامتازوا اليوم ايها المجرمون﴾ وامتازوا وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم الى الجنة



ونحوه قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون واما الذين كفروا الاية يقال مازه فامتاز وانماز وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى ومعناه ان بعضهم يمتاز من بعض ﴿الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم﴾ العهد الوصية وعهد اليه اذا وصاه وعهد الله اليهم ما ركزه فيهم من ادلة العقل وانزل عليهم من دلائل السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم وقرئ اعهد بكسر الهمزة وباب فعل كله يجوز في حروف مضارعته الكسر الا في الياء واعهد بكسر الهاء وقد جوز الزجاج ان يكون من باب نعم ينعم وضرب يضرب واحهد بالحاء واحد وهي لغة تميم ومنه قولهم دحا محا هذا اشارة الى ما عهد اليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن اذ لا صراط اقوم منه ونحو التنكير فيه ما في قول كثير لئن كان يهدى برد انيابها العلى لافقر مني انني لفقير اراد انني لفقير بليغ الفقر حقيق بان اوصف به لكمال شرائطه في والا لم يستقم معنى البيت وكذلك قوله هذا صراط مستقيم يريد صراط بليغ في بابه بليغ في استقامته جامع لكل شرط يجب ان يكون عليه ويجوز ان يراد هذا بعض الصراط المستقيم توبيخا لهم على العدول عنه والتفادي عن سلوكه كما يتفادى الناس عن الطريق المعوج الذي يؤدي الى الضلالة والتهلكة كانه قيل اقل احوال الطريق الذي هو اقوم الطرق ان يعتقد فيه كما يعتقد في الطريق الذي لا يضل السالك كما يقول الرجل لولده وقد نصحه النصح البالغ الذي ليس

بعد هذا فيما اظن تقول انا فتح عن ضيات توبيخا له على الاعراض عن نعمائه

ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التي كنتم توعدون

اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون وقرئ جبلا بضمتين وضمة وسكون

وبضمتين وتشديد وكسرتين وكسرة وسكون وكسرتين وتشديد وهذه لغات في معنى

الخلق وقرئ جبلا جمع جبلة كفطر وخلقة وفي قراءة علي رضي الله عنه جيلا

واحد الاجيال اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد

ارجلهم بما كانوا يكسبون يروى انهم يجحدون ويخاصمون فيشهد

عليهم جيرانهم واهاليهم وعشايرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ

نختم على افواههم وتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم وفي الحديث يقول العبد

يوم القيمة اني لا اجيز علي شاهدا الا من نفسي فيختم على فيه ويقال لاركانه

انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن

كنت اناضل وقرئ يختم على افواههم وتتكلم ايديهم وقرئ وتكلمنا ايديهم وتشهد

ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام كي والنصب على معنى وكذلك نختم على افواههم

ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام الامر والجزم على ان الله يامر الاعضاء بالكلام

والشهادة ولو نشاء لطمسنا على اعينهم فاستبقوا الصراط فانى يبصرون

الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة فاستبقوا الصراط لا

يخلو من ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل والاصل فاستبقوا الى الصراط او

يضمن معنى ابتدروا او يجعل الصراط مسبوقا لا مسبوقا اليه او ينتصب على الظرف

والمعنى انه لو شاء لمسح اعينهم فلو راموا ان يستبقوا الى الطريق المنهج

ط



الذي اعتادوا سلوكه الى مساكنهم والى مقاصدهم المألوفة التي ترددوا

اليها كثيرا كما كانوا يستبقون اليه ساعين في متصرفاتهم موضعين في امور

دنياهم لم يقدروا وتعايا عليهم ان يبصروا او يعلموا جهة السلوك فضلا عن

غيره او لو نشاء لاعميناهم فلو ارادوا ان يمشوا مستبقين في الطريق المألوف

كما كان ذلك هجيراهم لم يستطيعوا او لو نشاء لاعميناهم فلا يقدرون الا ان يخلفوا الصراط

الذي اعتادوا المشي فيه ليتحيروا او لا يعرفوا طريقا يعني انهم لا يقدرون الا على

سلوك الطريق المعتاد دون ما وراءه من سائر الطرق والمسالك كما ترى العميان

يهتدون فيما الفوا واعتادوا من المقاصد دون غيرها ولو نشاء لمسخناهم

على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون وقرئ على مكاناتهم

والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام اي لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم

لا يقدرون ان يبرحوه باقبال ولا ادبار ولا مضي ولا رجوع واختلف في المسخ فعن

ابن عباس لمسخناهم قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لاقعدناهم على

ارجلهم وازمناهم وقرئ مضيا بالحركات الثلث فالمضي والمضي كالعتي و

العتي والمضي كالصبي ومن نعمره ننكسه في الخلق افلا يعقلون ننكسه

في الخلق نقلبه فيه فنخلقه على عكس ما خلقناه من قبل وذلك انا خلقناه على ضعف

في جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال الى حال ويرتقي

من درجة الى درجة الى ان يبلغ اشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ماله وما

عليه فاذا انتهى نكسناه في الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبي

في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل اعلاه اسفله

كسر السن بالتحريك السهم

فالرعة وجآء ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ثم رددناه
اسفل سافلين وهذه دلالة تحيل ان من ينقلهم من الشباب الى الكهولة ومن القوة
الى الضعف ومن رجاحة العقل الى الخرف وقلة التمييز ومن العلم الى الجهل
الجهل بعد ما نقلهم خلاف هذا النقل وعكسه قادر على ان يطمس اعينهم و
يمسخهم على مكانتهم ويفعل بهم ما شاء واراد وقرئ ننكسه من الانكاس وننكسه
من التنكيس والانكاس افلا يعقلون بالياء والتاء ۞ وما علمناه الشعر و
ما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين ۞ كانوا يقولون ان رسول الله صلى الله عليه
شاعر وروي ان القائل عقبة بن ابي معيط فقيل وما علمناه الشعر اي
وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى ان القرآن ليس بشعر وما هو من الشعر
في شيء واين هو عن الشعر والشعر انما هو كلام موزون مقفى يدل على معنى
فاين الوزن واين التقفية واين المعاني التي ينتحيها الشعراء عن معانيه
واين نظم كلامهم من نظمه واساليبه فاذا لا مناسبة بينه وبين الشعر اذا
حققت اللهم الا ان هذا لفظه عربي كما ان ذاك كذلك وما ينبغي له وما يصح
له ولا يتطلب لو طلبه اي جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر لم يتأت له
ولم يتسهل كما جعلناه اميا لا يتهدى للخط ولا يحسنه لتكون الحجة اثبت و
الشبهة ادحض وعن الخليل كان الشعر احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثير من
الكلام ولكن كان لا يتأتى له فان قلت فقد قاله النبي صلى الله عليه وسلم انا النبي لا كذب انا ابن عبد
المطلب وقد قال هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت قلت ما
هذا الا كلام من جنس كلامه الذي كان يرمي به على السليقة من غير صنعة

فيه



فيه ولا تكلف الا انه اتفق ذلك من غير قصد الى ذلك ولا التفات منه اليه ان
جاء موزونا كما يتفق في كثير من انشاءات الناس في خطبهم ورسائلهم و
محاوراتهم اشياء موزونة لا يسميها احد شعرا ولا يخطر ببال المتكلم و
لا السامع انه شعر واذا فتشت في كل كلام عن نحو ذلك وجدت الواقع
في اوزان البحور غير عزيز على ان الخليل ما كان يعد المشطور من الرجز
شعرا ولما نفى ان يكون القرآن من جنس الشعر قال ان هو الا ذكر وقرآن
مبين يعني ما هو الا ذكر من الله يوعظ به الانس والجن كما قال ان هو
الا ذكر للعالمين وما هو الا قرآن كتاب سماوي يقرأ في المحاريب
ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين
فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين ۞ لينذر من
كان حيا ويحق القول على الكافرين ۞ لينذر القرآن او الرسول وقرئ
لتنذر بالتاء ولينذر من نذر به اذا علمه من كان حيا اي عاقلا متاملا
لان الغافل كالميت او معلوما منه انه يؤمن فيحيا بالايمان ويحق القول وتجب
كلمة العذاب على الكافرين الذين لا يتأملون ولا يتوقع منهم الايمان ۞ اولم
يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها
ركوبهم ومنها يأكلون ۞ مما عملت ايدينا مما تولينا نحن احداثه ولم يقدر
على توليه غيرنا وانما قال ذلك لبدائع الفطرة والحكمة فيها التي لا يصح ان يقدر
عليها الا هو وعمل الايدي استعارة من عمل من يعملون بالايدي فهم لها مالكون اي
خلقناها لاجلهم فملكناها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها

وهمزات الشيطان خطراته التي يخطرها بقلب الانسان

وينتفعون او ضابطون لها قاهرون من قوله اصبحت لا احمل السلاحا
ولا املك راس البعير ان نفرا اي لا اضبطه وهو من جملة النعم الظاهرة
والا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله وتسخيره لها كما قال القائل
يصرفه الصبي بكل وجه ويحبسه على الخسف الجرير وتضربه الوليدة
بالهراوى فلا غير لديه ولا نكير ولهذا الزم الله سبحانه الراكب
ان يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له
مقرنين فمنها ركوبهم وركوبتهم وهما ما يركب كالحلوب والحلوبة
وقيل الركوبة جمع وقرئ ركوبهم اي ذو ركوبهم ومنها ياكلون اي ياكلون لحمه
ولهم فيها منافع ومشارب افلا يشكرون منافع من الجلود والاوبار
والاصواف وغير ذلك ومشارب من اللبن ذكرها مجملة وقد فصلها في قوله
وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا الآية والمشارب جمع مشرب وهو
موضع الشرب او الشرب واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا
يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون اتخذوا آلهة طمعا في ان
ينتصروا بهم ويعتصموا بمكانهم والامر على عكس ما قدروا حيث هم
جند لآلهتهم معدون محضرون لخدمتهم والذب عنهم والغضب لهم
والآلهة لا استطاعة لهم ولا قدرة على النصر او اتخذوهم لينصروهم عند الله
ويشفعوا لهم والامر على خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيامة جند
معدون لهم محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقود النار فلا يحزنك
قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون وقرئ فلا يحزنك بفتح الياء

وضمها



وضمها من حزنه واحزنه والمعنى فلا يهمنك تكذيبهم واذاهم
وجفاؤهم فانا عالمون بما يسرون من عداوتهم وما يعلنون وانا
مجازوهم عليه فحق مثلك ان يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر في نفسه
صورة حاله وحالهم في الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه
الحزن فان قلت ما تقول فيمن يقول ان قراءة قارئ انا نعلم بالفتح
انتقضت صلوته وان اعتقد ما يعطيه من المعنى كفر قلت فيه
وجهان احدهما ان يكون على حذف لام التعليل وهو كثير في
القرآن وفي الشعر وفي كل كلام وقياس مطرد وهذا معناه ومعنى الكسر
سواء وعليه تلبية رسول الله عم ان الحمد والنعمة لك كسر ابو حنيفة وفتح
الشافعي وكلاهما تعليل والثاني ان يكون بدلا من قولهم كانه قيل فلا يحزنك انا
نعلم ما يسرون وما يعلنون وهذا المعنى قائم مع المكسورة اذا جعلتها مفعولة
للقول فقد تبينت ان تعلق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلقه لا يدوران على
كسر ان وفتحها وانما يدوران على تقديرك فتفصل ان فتحت بان تقدر معنى
التعليل ولا تقدر البدل كما انك تفصل بتقدير معنى التعليل اذا كسرت ولا
تقدر معنى المفعولية ثم ان قدرته كاسرا او فاتحا على ما عظمته [illegible]
ذلك القائل فما فيه الا نهي رسول الله عم عن الحزن على كون الله عالما بسرهم وعل
انيتهم وليس النهي عن ذلك مما يوجب شيئا الا ترى الى قوله فلا تكونن ظهيرا
للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر اولم ير الانسان
انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من

يحيي

يحيي العظام وهي رميم . قبح الله جل انكارهم البعث تقبيحاً لا ترى
اعجب منه وابلغ وادل على تمادي كفر الانسان وافراطه في جحود النعم وعقوق
الايادي وتوغله في الخسة وتغلغله في القحة حيث قرره بان عنصره الذي خلقه
منه هو اخس شي وامهنه وهو النطفة المذرة الخارجة من الاحليل الذي هو
قناة النجاسة ثم عجب من حاله بان يتصدى مثله على مهانة اصله ودناءة اوله
لمخاصمة الجبار وشرز صفحته لمجادلته ويركب متن الباطل ويلج ويمحك
ويقول من يقدر على احياء الميت بعد ما رمت عظامه ثم يكون خصامه في الزم
وصف له والصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر انشاءه من موات وهي
المكابرة التي لا مطمح وراءها وروي ان جماعة من كفار قريش منهم ابي بن خلف
الجمحي وابو جهل والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم
ابي الا ترون ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن
اليه ولاخصمنه واخذ عظما باليا فجعل يفته بيده وهو يقول يا محمد اترى الله
يحيي هذا بعد ما رم قال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم وقيل معنى
قوله فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر
على الخصام معرب عما في نفسه فصيح كما قال او من ينشأ في الحلية وهو في الخصام
غير مبين فان قلت لم سمى قوله من يحيي العظام وهي رميم مثلا قلت لما دلت عليه
من قصة عجيبة شبيهة بالمثل وهي انكار قدرة الله على احياء الموتى او لما فيه من التشبيه
لان ما انكر من قبيل ما يوصف الله بالقدرة عليه بدليل النشأة الاولى فاذا قيل
من يحيي العظام على طريقة الانكار لان يكون ذلك مما يوصف الله تعالى بكونه قادراً

المحك اللجاج

مبين

عليه



عليه كان تعجيزاً لله وتشبيهاً له بخلقه في انهم غير موصوفين بالقدرة عليه و
الرميم اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرمة والرفات فلا يقال لم لم يؤنث
وقد وقع خبراً للمؤنث ولا هو فعيل بمعنى فاعل او مفعول ولقد استشهد
بهذه الآية من يثبت الحياة في العظام ويقول ان عظام الميتة نجسة لان
الموت يؤثر فيها من قبل ان الحيوة تحلها واما اصحاب ابي حنيفة فهي عندهم
طاهرة وكذلك الشعر والعصب ويزعمون ان الحيوة لا تحلها فلا يؤثر
فيها الموت ويقولون المراد باحياء العظام في الآية ردها الى ما كانت عليه
غضة رطبة في بدن حي حساس وهو بكل خلق عليم يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شيء
من خلق المنشآت والمعادات ومن اجناسها وانواعها وجلائلها ودقائقها
قل يحييها الذي انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من
الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون ثم ذكر من بدائع خلقه
انقداح النار من الشجر الاخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به
وهي الزناد التي توري بها الاعراب واكثرها من المرخ والعفار وفي
امثالهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار يقطع الرجل منهما
غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ
وهو ذكر على العفار وهي انثى فتنقدح النار باذن الله وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ليس من شجرة الا وفيها النار الا العناب قالوا ولذلك يتخذ منه كذينقات
القصارين الاخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى ونحوه قوله تعالى من شجر
من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم اوليس الذي خلق

السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم من قدر على خلق السموات والارض مع عظم شانهما فهو على خلق الاناسي اقدر وفي معناه قوله لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله ان يخلق مثلهم يحتمل معنيين ان يخلق مثلهم في الصغر والقماءة بالاضافة الى السموات والارض او ان يعيدهم لان المعاد مثل للمبتدا وليس به وهو الخلاق الكثير المخلوقات العليم الكثير المعلومات وقرئ الخالق انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون انما شانه اذا اراد شيئا اذا دعاه داعي حكمة الى تكوينه ولا صارف ان يقول له كن ان يكونه من غير توقف فيكون فيحدث اي فهو كائن موجود لا محالة فان قلت ما حقيقة قوله ان يقول له كن فيكون قلت هو مجاز من الكلام وتمثيل لانه لا يمتنع عليه شيء من المكونات فهما وجه القراءتين في فيكون قلت اما الرفع فهو بلانها جملة من مبتدا وخبر لان تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهي امره ان يقول له كن واما النصب فللعطف على يقول والمعنى انه لا يجوز عليه شيء مما يجوز على الاجسام اذا فعلت شيئا مما تقدر عليه من المباشرة بمحال القدرة واستعمال الالات وما يتبع ذلك من المشقة والتعب واللغوب انما امره وهو القادر العالم لذاته ان يخلق بدواعيه الى الفعل فيتكون فمثله كيف يعجز عن مقدور حتى يعجز عن الاعادة فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون فسبحان تنزيه له مما وصفه به المشركون وتعجيب من ان يقولوا فيه ما قالوا بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون هو مالك كل شيء



والمتصرف فيه بمواجب مشيئته وقضايا حكمته وقرئ ملكة كل شيء وملكوت كل شيء ومملكة كل شيء والمعنى واحد ترجعون بضم التاء وفتحها وعن ابن عباس رضي الله عنه كنت لا اعلم ما روي في فضائل ياسين وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الاية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وان قلب القرآن ياسين من قرا ياسين يريد بها وجه الله غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرا القرآن اثنتين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرا ياسين وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال عليه السلام ان في القرآن سورة يشفع قارئها ويغفر لمستمعها الا وهي سورة ياسين

بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد اقسم سبحانه بطوائف الملائكة او بنفوسهم الصافات اقدامها في الصلوة من قوله عز وجل وانا لنحن الصافون او اجنحتها في الهواء واقفة منتظرة لامر الله فالزاجرات السحاب سوقا فالتاليات لكلام الله من الكتب المنزلة

وغيرها وقيل الصافات الطير من قوله والطير صافات والزاجرات كل
ما زجر عن معاصي الله والتاليات كل من تلا كتاب الله ويجوز ان يقسم
بنفوس العلماء العمال الصافات اقدامها في التهجد وسائر الصلوات
وصفوف الجماعات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله و
الدارسات شرائعه او بنفوس قواد الغزاة في سبيل الله التي تصف
الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك لا تشغلها عنه تلك
الشواغل كما يحكى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه فان قلت ما حكم الفاء اذا
جاءت عاطفة في الصفات قلت اما ان تدل على ترتيب معانيها في الوجود كقوله
يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب كأنه قيل الذي صبح فغنم فآب
واما على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الافضل فالاكمل
واعمل الاحسن فالاجمل واما على ترتب موصوفاتها في ذلك كقوله رحم الله
المحلقين فالمقصرين فعلى هذه القوانين الثلاثة تنساق امر الفاء العاطفة
في الصفات فان قلت فعلى اي هذه القوانين هي فيما انت بصدده قلت ان
وحدت الموصوف كانت للدلالة على ترتب الصفات في التفاضل وان ثلثته
فهي للدلالة على ترتب الموصوفات فيه بيان ذلك انك اذا اجريت هذه الاوصاف
على الملائكة وجعلتهم جامعين لها فعطفها بالفاء يفيد ترتبا لها في الفضل
اما ان يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة واما على العكس وكذلك ان اردت
العلماء وقواد الغزاة وان اجريت الصفة الاولى على طوائف والثانية والثالثة
على اخر فقد افادت ترتب الموصوفات في الفضل اعني ان الطوائف الصافات ذوات



فضل والزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا او على العكس وكذلك اذا اردت
بالصافات الطير وبالزاجرات كل ما يزجر عن معصية وبالتاليات كل نفس تتلو الذكر
فان الموصوفات مختلفة وقرئ بادغام التاء في الصاد والزاء والذال رب
السموات والارض وما بينهما ورب المشارق رب السموات خبر بعد خبر
او خبر مبتدأ محذوف والمشارق ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق
الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب ولا تطلع
ولا تغرب في واحد يومين فان قلت فما اراد بقوله رب المشرقين ورب
المغربين قلت اراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما انا زينا
السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد الدنيا القربى
منكم والزينة مصدر كالنسبة واسم لما يزان به الشيء كالليقة اسم لما يلاق
به الدواة ويحتملهما قوله بزينة الكواكب فان اردت المصدر فعلى اضافته
الى الفاعل اي بان زانتها الكواكب واصله بزينة الكواكب او على اضافته الى
المفعول اي بان زان الله الكواكب وحسنها لانها انما زينت السماء بحسنها
في انفسها واصله بزينة الكواكب وهي قراءة ابي بكر والاعمش وابن وثاب
وان اردت الاسم فللاضافة وجهان ان تقع الكواكب بيانا للزينة لان الزينة
مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به وان يراد ما زينت به الكواكب وجاء عن
ابن عباس بزينة الكواكب بضوء الكواكب ويجوز ان يراد اشكالها المختلفة
كشكل الثريا وبنات نعش والجوزاء وغير ذلك ومطالعها ومسايرها وقرئ على هذا
المعنى بزينة الكواكب بتنوين زينة وجر الكواكب على الابدال ويجوز في
نصب الكواكب

ان جعلت بدلا من محل بزينة وحفظا مما حمل على المعنى لان المعنى انا خلقنا الكواكب
زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصا
بيح وجعلناها رجوما للشياطين ويجوز ان يقدر الفعل المعلل
كانه قيل وحفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب وقيل وحفظناها حفظا
والمارد الخارج من الطاعة المتملس منها ﴿لا يسمعون الى الملإ الاعلى
ويقذفون من كل جانب دحورا﴾ ﴿ولهم عذاب واصب الا من خطف
الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا انا خلقناهم
من طين لازب﴾ الضمير في لا يسمعون لكل شيطان لانه في معنى الشياطين
وقرئ بالتخفيف والتشديد واصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال
تسمع فسمع او فلم يسمع وعن ابن عباس هم يتسمعون ولا يسمعون وبهذا
ينصر التخفيف على التشديد فان قلت لا يسمعون كيف اتصل بما قبله قلت
لا يخلو من ان يتصل بما قبله على ان يكون صفة لكل شيطان او استينافا فلا تصح
الصفة لان الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا يتسمعون لا معنى له
وكذلك الاستيناف لان سائلا لو سال لم تحفظ من الشياطين فاجيب
بانهم لا يسمعون لم يستقم فبقي ان يكون كلاما منقطعا مبتدأ اقتصاصا
لما عليه حال المسترقة للسمع وانهم لا يقدرون ان يسمعوا الى كلام الملائكة او
يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك الا من امهل حتى
خطف خطفة واسترق استراقة فعندها تعاجله الهلكة باتباع الشهاب الثاقب
فان قلت هل يصح قول من زعم ان اصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما

حذفت في قولك جئتك ان تكرمني فبقي ان لا يسمعوا فحذفت ان و
اهدر عملها كما في قول القائل ألا أيهذا الزاجري احضر الوغى قلت
كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده فاما
اجتماعهما فمنكر من المنكرات على ان صون القرآن عن مثل هذا
التعسف واجب فان قلت اي فرق بين سمعت فلانا يتحدث و
سمعت اليه يتحدث وسمعت حديثه والى حديثه قلت المعدى
بنفسه يفيد الادراك والمعدى بالى يفيد الاصغاء مع الادراك وعن
ابن عباس هم والملأ الاعلى الملائكة لانهم يسكنون السماوات والانس
والجن هم الملأ الاسفل لانهم سكان الارض وعن ابن عباس هم الكتبة من
الملائكة وعنه اشراف الملائكة من كل جانب من جميع جوانب السماء من
اي جهة صعدوا للاستراق دحورا مفعول له اي ويقذفون للدحور
وهو الطرد او مدحورين على الحال او لان القذف والطرد متقاربان
في المعنى فكانه قيل يدحرون او قذفا وقرأ ابو عبد الرحمن السلمي بفتح
الدال على قذفا دحورا من المورد او على انه جاء مجيء القبول والولوع
والواصب الدائم [illegible] انهم في الدنيا مر
جومون بالشهب وقد اعد لهم نوع من العذاب دائم غير منقطع
من في محل الرفع بدل من الواو في لا يسمعون اي لا يسمع
الشياطين الا الشيطان الذي خطف الخطفة وقرئ خطف بكسر الخاء و
الطاء وتشديدها وخطف بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها واصلهما

وما بينهما اختطف وقرئ فاتّبعه وفاتبعه الهمزة وان خرجت
الى معنى التقرير فهي بمعنى الاستفهام في اصلها فلذلك قيل فاستفتهم اي
استخبرهم أهم أشد خلقا أي اثقل بعد قدرتهم والضمير لمشركي مكة وقيل
نزلت في ابي الاشد بن كلدة وكني بذلك لشدة بطشه وقوته أم من
خلقنا يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والارض والمشارق
والكواكب والشهب الثواقب والشياطين المردة وغلّب اولي العقل على غيرهم
فقال من خلقنا مطلقا من غير تقييد بالبيان اكتفاء ببيان ما تقدمه كأنه قال
خلقنا كذا وكذا من عجائب الخلق وبدائعه فاستفتهم أهم اشد خلقا أم الذي
خلقناه من ذلك ويقطع به قراءة من قرأ أمن عددنا بالتخفيف والتشديد
واشد خلقا يحتمل اقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفي خلقه شدة واصعب
خلقا واشقه على معنى الرد لانكارهم البعث والنشأة الاخرى وان من هان عليه
خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه
اهون وخلقهم من طين لازب اما شهادة عليهم بالضعف والرخاوة لان ما يصنع
من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة او احتجاج عليهم بان الطين اللازب الذي
خلقوا منه تراب فمن اين استنكروا ان يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا أإذا
كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث وقيل من خلقنا
من الامم الماضية وليس هذا القول بملائم وقرئ لازم ولاتب والمعنى واحد
والثاقب الشديد الاضاءة بل عجبت ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون و
اذا رأوا آية يستسخرون وقالوا ان هذا الا سحر مبين بل عجبت من قدرة الله

على



على هذه الخلائق العظيمة وهم يسخرون منك ومن تعجبك ومما تريهم من
آثار قدرة الله او من انكارهم البعث وهم يسخرون من امر البعث وقرئ
بضم التاء اي بلغ من عظم آياتي وكثرة خلائقي اني عجبت منها فكيف بعبادي
وهؤلاء بجهلهم وعنادهم يسخرون من آياتي او عجبت من ان ينكروا البعث
ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يصف الله بالقدرة عليه فان قلت كيف
يجوز العجب على الله وانما هو روعة تعتري الانسان عند استعظامه الشيء
والله عز وجل لا يجوز عليه الروعة قلت فيه وجهان احدهما ان يجرد
العجب لمعنى الاستعظام والثاني ان يتخيل العجب ويفرض وقد جاء في
الحديث عجب ربكم من ألّكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم وكان شريح يقرأ
بالفتح ويقول ان الله لا يعجب من شيء وانما يعجب من لا يعلم فقال
ابراهيم النخعي ان شريحا كان يعجبه علمه وعبد الله اعلم يريد عبد
الله بن مسعود وكان يقرأ بالضم وقيل معناه قل يا محمد بل عجبت واذا
ذكروا لا يذكرون ودأبهم انهم اذا وعظوا بشيء لا يتعظون به واذا رأوا آية
من آيات الله البينة كانشقاق القمر ونحوه يستسخرون يبالغون في
السخرية او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها أإذا متنا
وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون أوآباؤنا الاولون قل نعم وانتم
داخرون أوآباؤنا معطوف على محل ان واسمها او على الضمير في
مبعوثون والذي جوز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام
والمعنى أيبعث ايضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون انهم اقدم

فبعثنا ابعثنا باطل وقرئ او اباؤنا فانهم وقرئ نعم بكسر العين و
هما لغتان وقوله قل نعم اي الله او الرسول والمعنى نعم تبعثون وانتم
داخرون صاغرون ﴿فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون﴾
فانما جواب شرط مقدر تقديره اذا كان ذلك فما هي الا زجرة وا
حدة وهي لا ترجع الى الشيء انما هي مبهمة يفسرها خبرها ويجوز فانما
البعثة زجرة واحدة وهي النفخة الثانية والزجرة الصيحة من قولك
زجر الراعي الابل او الغنم اذا صاح عليها فبعثت لصوته ومنه قوله
زجر ابي عروة السباع اذا اشفق ان تختلط بالغنم يريد تصويته بها
فاذا هم احياء يبصرون ينظرون ﴿وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا
يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون﴾ يحتمل ان يكون هذا يوم الدين الى
قوله احشروا من كلام الكفرة بعضهم مع بعض وان يكون من كلام
الملائكة لهم وان يكون يا ويلنا هذا يوم الدين كلام الكفرة وهذا يوم
يوم الفصل من كلام الملائكة جوابا لهم ويوم الدين يوم الجزاء الذي
نداني فيه اي نجازى باعمالنا ويوم الفصل يوم القضاء والفرق بين
فرق الهدى من الضلالة ﴿احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا
يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم﴾ احشروا خطاب
الله للملائكة او خطاب بعضهم مع بعض وازواجهم وقرناءهم من
الزاني مع الزاني وهم نكلهم واشباههم من العصاة اهل الزنا مع اهل الزنا
مع اهل السرقة وقيل قرناؤهم من الشياطين وقيل نساؤهم اللاتي على

البعث

دينهم

١٥٩

دينهم فاهدوهم فعرفوهم طريق النار حتى يسلكوها ﴿وقفوهم
انهم مسؤولون ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون﴾ هذا تهكم
بهم وتوبيخ بالعجز عن التناصر بعدما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا
متعاضدين متناصرين بل هم اليوم مستسلمون فقد اسلم بعضهم بعضا
وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر وقرئ لا تتناصرون ولا تناصرون
بالادغام ﴿واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انكم كنتم تأتوننا
عن اليمين﴾ اليمين لما كانت اشرف العضوين وامتنهما وكانوا يتيمنون
بها فبها يصافحون ويماسحون ويناولون ويتناولون ويزاولون اكثر
الامور ويتشاءمون بالشمال ولذلك سموها الشؤمى كما سموا الاخرى
اليمنى وتيمنوا بالسانح وتطيروا بالبارح وكان الاعسر معيبا عندهم و
عضدت الشريعة ذلك فامرت بمباشرة افاضل الامور باليمين واراذلها
بالشمال وكان رسول الله عم يحب التيامن في كل شيء وجعلت اليمين لكاتب
الحسنات والشمال لكاتب السيئات ووعد المحسن ان يؤتى كتابه بيمينه
والمسيء بان يؤتاه بشماله استعيرت لجهة الخير وجانبه فقيل اتاه عن اليمين
اي من قبل الخير وناحيته فصده عنه واضله وجاء في بعض التفاسير
اتاه الشيطان من جهة اليمين اتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق ومن اتاه
من جهة الشمال اتاه من قبل الشهوات ومن اتاه من بين يديه اتاه من قبل
التكذيب بالقيمة وبالثواب والعقاب ومن اتاه من خلفه خوفه الفقر على

نفسه وعلى من تخلف بعده فلم يقبل شهادته ابو ذر كوة فان قلت قولهم اتاه
من جهة الخير وناحيته مجاز في نفسه فكيف جعلت اليمين مجازا عن المجاز
قلت من المجاز ما غلب في الاستعمال حتى لحق بالحقائق وهذا من ذلك ولك
ان تجعلها مستعارة للقوة والقهر لان اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع
البطش والمعنى انكم كنتم تأتوننا عن القهر والقوة وتقصدوننا عن
السلطان والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتقسرونا عليه وهذا من خطاب
الاتباع لرؤسائهم والغواة لشياطينهم قالوا لم تكونوا مؤمنين وما كان
لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين فحق علينا قول ربنا انا
لذائقون بل لم تكونوا مؤمنين بل ابيتم انتم الايمان واعرضتم عنه مع
تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين اليه وما كان لنا عليكم من تسلط
نسلبكم به تمكنكم واختياركم بل كنتم قوما مختارين الطغيان فحق علينا
فلزمنا قول ربنا انا لذائقون يعني وعيد الله بانا ذائقون لعذابه لا
محالة لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة ولو حكى الوعيد كما هو لقال
انكم لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن
انفسهم ونحوه قول القائل لقد زعمت هوازن قل مالي ولو حكى
قولها لقال قل مالك ومنه قول المحلف للحالف احلف لاخرجن ولتخرجن
الهمزة لحكاية لفظ الحالف والتاء لاقبال المحلف على المحلف فاغويناكم
انا كنا غاوين فانهم يومئذ في العذاب مشتركون انا كذلك نفعل بالمجرمين

فاغوينا

١٦٠

فاغويناكم فدعوناكم الى الغي دعوة محصلة للبغية لقبولكم
لها واستحبابكم الغي على الرشد انا كنا غاوين فاردنا اغواءكم لتكونوا
امثالنا فانهم فان الاتباع والمتبوعين جميعا يومئذ يوم القيامة مشتركون
في العذاب كما كانوا مشتركين في الغواية انا مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم يعني
ان سبب العقوبة هو الاجرام فمن ارتكبه استوجبها انهم كانوا
اذا قيل لهم قولوا لا اله الا الله يستكبرون ويقولون ائنا لتاركو
آلهتنا لشاعر انهم كانوا اذا سمعوا بكلمة التوحيد نفروا واستكبروا
عنها وابوا الا الشرك لشاعر مجنون يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم بل جاء بالحق
وصدق المرسلين انكم لذائقو العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم
تعملون الا عباد الله المخلصين بل جاء بالحق رد على المشركين وتصديق
المرسلين كقوله لعاصمة فالماسين وقرئ لذائقو العذاب بالنصب على
تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا بتقدير التنوين وقرئ على
الاصل لذائقون العذاب الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم جزاء سيئا بعمل
سيئ الا عباد الله ولكن عباد الله على الاستثناء المنقطع اولئك لهم رزق
معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم فسر الرزق المعلوم بالفواكه
وهي كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعني ان رزقهم كله فواكه
لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات بانهم اجسام محكمة مخلوقة
للابد فكل ما يأكلونه يأكلونه على سبيل التلذذ ويجوز ان يراد رزق معلوم
منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر

معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وعن قتادة الرزق
المعلوم الجنة وقوله في جنات يأباه وقوله وهم مكرمون هو الذي يقوله
العلماء في حد الثواب على سبيل المدح والتعظيم وهو من اعظم ما يجب
ان تتوق اليه نفوس ذوي الهمم كما ان من اعظم ما يجب ان تنفر عنه نفو
سهم هوان اهل النار وصغارهم ۞ على سرر متقابلين يطاف عليهم
بكاس من معين ۞ التقابل اتم للسرور وآنس وقيل لا ينظر بعضهم
الى قفا بعض يقال للزجاجة فيها الخمر كاس ويسمى الخمر نفسها كاسا
قال ۞ وكاس شربت على لذة ۞ وعن الاخفش كل كاس في القران فهي الخمر
وكذا في تفسير ابن عباس من معين من شراب معين او من نهر معين وهو
الجاري على وجه الارض الظاهر للعيون وصف بما يوصف به الماء لانه
يجري في الجنة في انهار كما يجري الماء قال الله تعالى وانهار من خمر لذة للشاربين
۞ بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون ۞ بيضاء صفة للكاس
لذة اما ان توصف باللذة كانها نفس اللذة وعينها او هي تانيث اللذ يقال
لذ الشي فهو لذ ولذيذ ووزنه فعل كقولك رجل طب قال ۞ ولذ كطعم
الصرخدي تركته ۞ بارض العدى من خشية الحدثان ۞ يريد النوم
الغول من غاله يغوله غولا اذا اهلكه وافسده ومنه الغول التي كانت
في تكاذيب العرب وفي امثالهم الغضب غول الحلم وينزفون على البناء للمفعول
من نزف الشارب اذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ومنزوف ويقال
للمطعون نزف فمات اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها





اذا لم تترك فيها ماء وفي امثالهم اجبن من المنزوف ضرطا وقرئ
ينزفون من انزف الشارب اذا ذهب عقله او شرابه قال ۞ لعمري
لئن انزفتم او صحوتم ۞ لبئس الندامى كنتم آل ابجرا ۞ ومعناه صار
ذا نزف ونظيره اقشع السحاب وقشعته الريح واكب الرجل و
كببته وحقيقتهما دخلا في القشع والكب وفي قراءة طلحة بن
مصرف ينزفون بضم الزاي من نزف ينزف كقرب يقرب اذا سكر
والمعنى لا فيها فساد قط من انواع الفساد التي تكون في شرب الخمر
من مغص او صداع او خمار او عربدة او لغو او تاثيم او غير ذ
لك ولا هم يسكرون وهو اعظم مفاسدها فافرده وافرده با
لذكر ۞ وعندهم قاصرات الطرف عين كانهن بيض مكنون ۞ قاصرات
الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم كقوله
عربا والعين النجل العيون شبههن ببيض النعام المكنون في الاداحي
وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور ۞ فاقبل
بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول
ائنك لمن المصدقين ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون ۞
فان قلت علام عطف قوله فاقبل بعضهم على بعض قلت على يطاف
عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة الشرب قال ۞ وما
بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام ۞ فيقبل بعضهم على
بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا الا انه جيء به ماضيا على

على عادة الله في أخباره وقرئ من المصدقين من التصديق ومن المصَّدِّقين مشددة الصاد
من التصدق وقيل نزلت في رجل تصدق بماله لوجه الله فاحتاج فاستجدى
بعض إخوانه فقال وأين مالك قال تصدقت به ليعوضني الله في الآخرة خيرا
منه فقال أئنك لمن المصدقين بيوم الدين أو من المتصدقين لطلب الثواب والله
لا أعطيك شيئا لمدينون لمجزيون من الدين وهو الجزاء أو لمسوسون مربوبون
يقال دانه ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه ۞ قال هل أنتم مطلعون
فاطلع فرآه في سواء الجحيم ۞ قال يعني ذلك القائل هل أنتم مطلعون إلى النار
لأريكم ذلك القرين قيل إن في الجنة كوى ينظر أهلها منها إلى أهل النار وقيل القائل
له هو الله عز وجل وقيل بعض الملائكة يقول لأهل الجنة هل تحبون أن تطلعوا
فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار وقرئ مطلعون فأطلع وفاطلع بالتشد
يد على لفظ الماضي والمضارع المنصوب ومطلعون فأطلع وفأطلع بالتخفيف
على لفظ الماضي والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع بمعنى واحد
والمعنى هل أنتم مطلعون إلى القرين فأطلع أنا أيضا أو عرض عليهم الاطلاع
فاعترضوه فاطلع هو بعد ذلك وإن جعلت الاطلاع من أطلعه غيره فالمعنى
أنه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم وهو من آداب المجالسة أن لا يستبد بشيء
دون جلسائه فكأنهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ مطلعونِ
بكسر النون أراد مطلعون إياي فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله ۞ هم الفاعلون
علين الخير والآمرونه أو شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتآخ بينهما كأنه
قال تطلعون وهو ضعيف لا يقع إلا في الشعر سواء الجحيم في وسطها يقال

تعبت

١٦٧

تعبت حتى انقطع سوائي وعن أبي عبيدة قال لي عيسى بن عمر كنت أكتب
يا أبا عبيدة حتى ينقطع سوائي ۞ قال تالله إن كدت لتردين ولولا نعمة
ربي لكنت من المحضرين ۞ إن مخففة من الثقيلة وهي تدخل على كاد كما تدخل
على كان ونحوه إن كان ليضلنا واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والإرداء
الإهلاك وفي قراءة عبد الله لتغوين نعمة ربي هي العصمة والتوفيق في
الاستمساك بعروة الإسلام والبراءة من قرين السوء وإنعام الله بالثواب
وكونه من أهل الجنة من المحضرين من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته
أنت وأمثالك ۞ أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين إن هذا
لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون ۞ الذي عطفت عليه الفاء
محذوف معناه أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين وقرئ بما
بميتين والمعنى أن هذه حالة المؤمنين وصفتهم وما قضى الله به لهم للعلم بأنها
أن لا يذوقوا إلا الموتة الأولى بخلاف الكفار فإنهم فيما يتمنون فيه الموت
كل ساعة وقيل لبعض الحكماء ما شر من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت
يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله واغتباطا بحاله وبمسمع من قرينه
ليكون توبيخا له يزيد به تعذبا وليحكيه الله فيكون لنا لطفا وزاجرا
ويجوز أن يكون قولهم جميعا وكذلك قوله إن هذا لهو الفوز العظيم
أي إن هذا الأمر الذي نحن فيه وقيل هو من قول الله عز وجل تقريرا
لقولهم وتصديقا له وقرئ لهو الرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادة
تمت قصة المؤمن وقرينه ثم رجع إلى ذكر الرزق المعلوم فقال ۞ أذلك

خير نزلا ام شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج
في اصل الجحيم طلعها كانه رؤس الشياطين أذلك الرزق خير نزلا ام خير
حاصله ام شجرة الزقوم واصل النزل الفضل والريع في الطعام يقال
طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشيء وحاصل الرزق المعلوم اللذة
والسرور وحاصل شجرة الزقوم الالم والغم وانتصابه نزلا على التمييز ولك ان
تجعله حالا كما تقول اثمر النخلة خير بلحا ام رطبا يعني ان الرزق المعلوم
نزل اهل الجنة واهل النار نزلهم شجرة الزقوم فايهما خير في كونه نزلا و
النزل ما يقام للنازل بالمكان من الرزق ومنه انزال الجند لارزاقهم كما يقال
لما يقام لساكن الدار السكن ومعنى الاول ان للرزق المعلوم نزلا ولشجرة
الزقوم نزلا فايهما خير نزلا ومعلوم انه لا خير في شجرة الزقوم ولكن المؤمنين
لما اختاروا ما ادى الى الرزق المعلوم واختار الكافرون ما ادى الى شجرة
الزقوم قيل لهم ذلك توبيخا على سوء اختيارهم فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم
في الآخرة وابتلاء لهم في الدنيا وذلك انهم قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار
تحرق الشجر فكذبوا وخرجه نابتة في اصل الجحيم نابتة في قعر جهنم واغصانها
ترتفع الى دركاتها والطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم
من حملها اما استعارة لفظية او معنوية كانه رؤس الشياطين دلالة على
تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لان الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس
لاعتقادهم انه شر محض لا يخلطه خير فيقولون في القبيح الصورة كانه
وجه شيطان كانه راس شيطان واذا صوره المصورون جاؤوا بصورته على

والطلع ما يطلع من النخلة وهو الكم قبل ان ينشق

اقبح

اقبح ما يقدر وأهوله كما انهم اعتقدوا في الملك انه خير محض لا شر فيه
فشبهوا به الصورة الحسنة قال الله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم
وهذا تشبيه تخييلي وقيل الشياطين حية عرفاء لها صورة قبيحة المنظر هائلة
جدا وقيل ان شجرة يقال لها الاستن خشنة منتنة مرة منكرة الصورة يسمى ثمرها
رؤس الشياطين وما قصدت العرب بهذا التمثيل برؤس الشياطين الا قصدوا الى
احد التشبيهين ولكنه بعد التسمية بذلك رجع امثالا لما يشبه به منها
من الشجرة او من طلعها فانهم لآكلون منها فمالؤن منها البطون ثم
ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم فمالؤن بطونهم
لما يغلبهم من الجوع الشديد او يقسرون على اكلها وان كرهوا ليكون
بابا من العذاب فاذا شبعوا غلبهم العطش فيسقون شرابا من غساق
او صديد شوبه اي مزاجا من حميم يشوي وجوههم ويقطع امعاءهم
كما قال في صفة شراب اهل الجنة ومزاجه من تسنيم ويجوز لشوبا بالضم و
هو الاسم ما يشاب به والاول تسمية بالمصدر فان ثم في الاول وجهان احدهما
انهم يملؤن البطون من شجر الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم
فلا يسقون الا بعد مليّ تعذيبا بذلك العطش ثم يسقون ما هو احر وهو
الشراب المشوب بالحميم والثاني انه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة ثم
ذكر الشراب بما هو اكره وابشع فجاء بثم للدلالة على تراخي حال الشراب عن
حال الطعام ومباينة صفته لصفته في الزيادة عليه ومعنى الثاني انهم يذهب
بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم وهي الدركات التي اسكنوها الى شجرة الزقوم

خى

تبا المدون ٢ اي انا يتملوا ويستقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم ومعنى التراخي
في ذلك بين ... ثم ان منقلبهم ثم ان مصيرهم ثم ان مرجعهم الى الجحيم ۞ انهم
الفوا اباءهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون ۞ علل لاستحقاقهم للوقوع
في تلك الشدائد كلها بتقليد الاباء في الدين واتباعهم اياهم على الضلال وترك
اتباع الدليل والاهراع الاسراع الشديد كانهم يحثون حثا وقيل اسراع فيه
شبه بالرعدة ۞ ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين ۞ ولقد ارسلنا فيهم منذرين فا
نظر كيف كان عاقبة المنذرين الا عباد الله المخلصين ۞ ولقد ضل قبلهم
قبل قومك قريش منذرين انبياء حذروهم العواقب المنذرين الذين
انذروا وحذروا اي اهلكوا جميعا الا عباد الله الذين امنوا منهم و
اخلصوا دينهم لله او اخلصهم الله لدينه على القراءتين ۞ ولقد نادانا نوح
فلنعم المجيبون ونجيناه واهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين
۞ لما ذكر ارسال المنذرين في الامم الخالية وسوء عاقبة المنذرين اتبع
ذلك ذكر نوح ودعائه اياه حين ايس من قومه واللام الداخلة على نعم جواب
قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف وتقديره فوالله لنعم المجيبون
نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى انا اجبناه احسن الاجابة واوصلناه
الى مراده وبغيته من نصرته على اعدائه والانتقام منهم بابلغ ما يكون هم الباقين
هم الذين بقوا وحدهم بعد ما غرق غيرهم فقد روي انه مات كل من كان معه
في السفينة غير ولده وازواجهم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيامة قال قتادة
الناس كلهم من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلثة اولاد سام وحام و
يافث فسام



ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث
ابو الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج ۞ وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح
في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ثم اغرقنا
الآخرين ۞ وتركنا عليه في الآخرين من الامم هذه الكلمة وهي سلام
على نوح يعني يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقولك
قرأت سورة انزلناها فان قلت فما معنى قوله في العالمين قلت معناه
الدعاء بثبوت هذه التحية فيهم جميعا وان لا يخلو احد منهم منها كانه قيل
ثبت الله التسليم على نوح وادامه في الملائكة والثقلين يسلمون عليه
عن آخرهم علل مجازاة نوح عليه السلام بتلك التكرمة السنية من تبقية
ذكره وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بانه كان محسنا ثم علل كونه
محسنا بانه كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة محل الايمان وانه القصارى من صفات
المدح والتعظيم ويرغبك في تحصيله والازدياد منه ۞ وان من شيعته
لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم ۞ من شيعته ممن شايعه على اصول
الدين وان اختلفت شرائعهما او شايعه على التصلب في دين الله و
مصابرة المكذبين ويجوز ان يكون بين شريعتيهما اتفاق في اكثر الاشياء
وعن ابن عباس من اهل دينه وعلى سنته وما كان بين نوح وابراهيم الا
نبيان هود وصالح وكان بين نوح وابراهيم الفان وستمائة واربعون
سنة فان قلت بم تعلق الظرف قلت بما في الشيعة من معنى المشايعة
يعني وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم لابراهيم

او مخلص له وهو اذكر بقلب سليم من جميع آفات القلوب وقيل من
الشرك ولا معنى للتخصيص لانه مطلق فليس بعض الآفات اولى من بعض فيتناول
كلها كلها فان قلت ما معنى المجيء بقلبه ربه قلت معناه انه اخلص لله قلبه وعرف ذلك
منه فضرب المجيء مثلا لذلك اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون ائفكا آلهة دون
الله تريدون فما ظنكم برب العالمين ائفكا مفعول له تقديره ائفكا تريدون آلهة من
دون الله افكا وانما قدم المفعول على الفعل للعناية وقدم المفعول له على
المفعول به لانه كان الاهم عنده ان يكافحهم بانهم على افك وباطل في شركهم و
يجوز ان يكون مفعولا به يعني اتريدون افكا ثم فسر الافك بقوله آلهة من دون
الله على انها افك في انفسها ويجوز ان يكون حالا بمعنى اتريدون من دون الله آلهة آفكين
فما ظنكم بمن هو الحقيق بالعبادة لان من كان ربا للعالمين استحق عليهم ان يعبدوه
حتى تركتم عبادته الى عبادة الاصنام والمعنى انه لا يقدر في وهمكم ولا ظنكم ما
يصدكم عن عبادته او فما ظنكم به اي شيء هو من الاشياء حتى جعلتم الاصنام
له اندادا او فما ظنكم ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره
فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فتولوا عنه مدبرين في النجوم
في علم النجوم او في كتابها او في احكامها وعن بعض الملوك انه سئل عن مشتهاه
فقال حبيب انظر اليه ومحتاج انظر له وكتاب انظر فيه كان القوم نجامين
فاوهمهم انه استدل بامارة في علم النجوم على انه يسقم فقال اني سقيم
اني مشارف للسقم وهو الطاعون وكان اغلب الاسقام عليهم وكانوا
يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى عيدهم وتركوه في بيت

الاصنام



الاصنام ليس معه احد فيفعل بالاصنام ما فعل فان قلت كيف جاز له
ان يكذب قلت قد جوزه بعض الناس في المكيدة في الحرب والتقية وار
ضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين والمتهاجرين والصحيح ان الكذب
حرام الا اذا عرض وورى والذي قاله ابراهيم صلوات الله عليه معراض
من الكلام ولقد نوى به ان من في عنقه الموت سقيم ومنه المثل كفى با
لسلامة داء وقول لبيد فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحني
فاذا السلامة داء وقد مات رجل فجاءة فالتف عليه الناس وقالوا مات و
هو صحيح فقال اعرابي اصحيح من الموت في عنقه وقيل اراد اني سقيم
النفس لكفركم فراغ الى آلهتهم فقال الا تأكلون ما لكم لا تنطقون فراغ
عليهم ضربا باليمين فراغ الى آلهتهم فذهب اليها في خفية من روغة
الثعلب الى آلهتهم الى اصنامهم التي هي في زعمهم آلهة كقوله
اين شركائي الا تأكلون ما لكم لا تنطقون استهزاء بها وبانحطاطها عن
حال عبدتها فراغ عليهم فاقبل عليهم مستخفيا كأنه قال فضربهم ضربا
لان راغ عليهم بمعنى ضربهم او فراغ عليهم يضربهم ضربا او فراغ عليهم ضربا
بمعنى ضاربا وقرئ صفقا وسفقا ومعناهما الضرب باليمين ضربا شديدا
قويا لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما وقيل بالقوة والمتانة وقيل
بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه يزفون قال
اتعبدون ما تنحتون يزفون يسرعون من زفيف النعام ويزفون من
ازف اذا دخل في الزفيف او من ازفه اذا حمله على الزفيف اي يزف بعضهم
بعضا ويزفون على البناء للمفعول اي يحملون على الزفيف ويزفون من وزف

يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفو
بعضا لتسارعهم اليه فان قلت بين هذا وبين قوله قالوا من
فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال
له ابراهيم كالتناقض حيث ذكر ههنا انهم ادبروا عنه خيفة العدوى
فلما ابصروه يكسرهم اقبلوا اليه متبادرين ليكفوه ويوقعوا به وذكر
ثم انهم سالوا عن الكاسر حتى قيل لهم سمعنا ابرهيم يذمهم فلعله
هو الكاسر ففي احدهما انهم شاهدوه يكسرها وفي الآخر انهم استدلوا
بذمه على انه الكاسر قلت فيه وجهان احدهما ان يكون الذين ابصروه
وزفوا اليه نفرا منهم دون جمهورهم وكبرائهم فلما رجع الجمهور و
العلية من عيدهم الى بيت الاصنام ليأكلوا الطعام الذي وضعوه
عندها لتبرك عليه ورأوها مكسورة اشمأزوا من ذلك وسألوا
من فعل هذا بها ثم لم ينم عليهم اولئك النفر نميمة صريحة ولكن على
سبيل التورية والتعريض بقولهم سمعنا فتى يذكرهم لبعض ا
الصوارف والثاني ان يكسرها ويذهب ولا يشعر بذلك احد ويكون
اقبالهم اليه يزفون بعد رجوعهم من عيدهم وسؤالهم عن
الكاسر وقولهم فأتوا به على اعين الناس ۞ والله خلقكم وما
تعملون ۞ والله خلقكم وما تعملون يعني خلقكم وخلق ما تعملونه من
الاصنام كقوله بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن
اي فطر الاصنام فان قلت كيف يكون الشيء الواحد مخلوقا لله معمولا





لهم

حيث اوقع خلقه وعملهم عليها جميعا قلت هذا كما يقال عمل النجار
الباب والكرسي وعمل الصائغ السوار والخلخال والمراد عمل اشكال
هذه الاشياء وصورها دون جواهرها والاصنام جواهر واشكال فخالق
جواهرها الله وعاملوا اشكالها الذين يشكلونها بنحتهم وحذفهم
بعض اجزائها حتى يستوي التشكيل الذي يريدونه فان قلت
فما انكرت ان تكون ما مصدرية لا موصولة ويكون المعنى والله خلقكم
وعملكم كما تقول المجبرة قلت اقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد
بطلانه بحجج العقل والكتاب ان معنى الآية يأباه اباء جليا وينبو عنه
نبوا ظاهرا وذلك ان الله عز وجل قد احتج عليهم بان العابد
والمعبود جميعا خلق الله فكيف يعبد المخلوق على ان العابد منهما
هو الذي عمل صورة المعبود وشكله ولولاه لما قدر ان يصور
نفسه ويشكلها ولو قلت والله خلقكم وخلق عملكم لم يكن محتجا عليهم
ولا كان لكلامك طباق وشيء آخر وهو ان قوله ما تعملون ترجمة
عن قوله ما تنحتون وما في ما تنحتون موصولة لا مقال فيها
فلا يعدل بها عن اختها الا متعسف متعصب لمذهبه من غير نظر
في علم البيان ولا تبصر لنظم القرآن فان قلت اجعلها موصولة
حتى لا يلزمني ما الزمت واريد وما تعملونه من اعمالكم قلت
بل الالزامان في عنقك لا يفكهما الا الاذعان للحق وذلك انك وان
جعلتها موصولة فانك في ارادتك بها العمل غير محتج على المشركين

المخلوق

كالك وقد جعلتها مصدرية وايضا فانك قاطع بذلك الوصلة بين
ما تعملون وما تنحتون حيث تخالف بين المرادين بهما فترتدي
تنحتون الاعيان التي هي الاصنام وما تعملون المعاني التي هي
الاعمال وفي ذلك فك النظم وتبتيره كما اذا جعلتها مصدرية ۝ قالوا
ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم فارادوا به كيدا فجعلناهم الا
سفلين ۝ الجحيم النار الشديدة الوقود وقيل كل نار على نار وجمر
فوق جمر فهي جحيم والمعنى ان الله تع غلبه عليهم في اطفائها حيث عاد
اذلتهم حين ارادوا ان يغلبوه بالحجة فلقنه الله والهمه ما
الجمهم به الحجر وقهرهم فمالوا الى المكر فابطل مكرهم وجعلهم الاذلين
الاسفلين لم يقدروا عليه ۝ وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين ۝ اراد
بذهابه الى ربه مهاجرته الى حيث امره بالمهاجرة اليه من ارض الشام
كما قال اني مهاجر الى ربي سيهدين سيرشدني الى ما فيه صلاحي في ديني
يعصمني ويعرفني كما قال موسى عم كلا ان معي ربي سيهدين كان
الله وعده وقال له سأهديك فاجرى كلامه على سنن موعد ربه او بناء
على عادة الله معه في هدايته وارشاده او اظهر بذلك توكله وتفويضه
امره الى الله ولو قصد الرجاء والطمع لقال كما قال موسى عم عسى
ربي ان يهديني سواء السبيل ۝ رب هب لي من الصالحين
فبشرناه بغلام حليم ۝ هب لي من الصالحين هب لي بعض الصالحين
يريد الولد لان لفظ الهبة في الولد وان كان قد جاء في الاخ في قوله
تعالى





تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا قال عز وجل ووهبنا له اسحق
ويعقوب ووهبنا له يحيى وقال علي بن ابي طالب لابن عباس رضي الله عنهما حين
هنأه بولد على ابي الاملاك شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب
ولذلك وقعت التسمية بهبة الله وبموهوب ووهب وموهب وقد
انطوت البشارة على ثلث على ان الولد غلام ذكر وانه يبلغ اوان الحلم
وانه يكون حليما واي حلم اعظم من حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح
فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك وقيل ما نعت
الله الانبياء عليهم السلام باقل مما نعتهم بالحلم وذلك لعزة وجوده و
لقد نعت الله به ابراهيم في قوله ان ابراهيم لاواه حليم ان ابرهيم
لحليم اواه منيب لان الحادثة شهدت بحلمهما جميعا ۝ فلما بلغ معه
السعي قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى
قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين ۝
فلما بلغ ان يسعى مع ابيه في اشغاله وحوائجه فان قلت معه م
يتعلق قلت لا يخلو اما ان يتعلق ببلغ او بالسعي او بمحذوف و
لا يصح تعلقه ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعي ولا بالسعي
لان صلة المصدر لا تتقدم عليه فبقي ان يكون بيانا كانه لما قال فلما
بلغ السعي اي الحد الذي يقدر فيه على السعي قيل مع من قال
مع ابيه والمعنى في اختصاص الاب انه ارفق الناس به واعطفهم
عليه وغيره ربما عنف به في الاستسعاء فلا يحتمله لانه لم يستحكم

تكونه وما يطلب عوده وكان إذ ذاك ابن ثلث عشرة سنة والمراد أنه
على غضاضة سنه وتقلبه في حد الطفولة كان فيه من رصانة الحلم وفسحة
الصدر ما جسره على احتمال تلك البلية العظيمة والإجابة بذلك
الجواب الحكيم إني أرى في المنام فقيل له اذبح ابنك ورؤيا الأنبياء وحي كما
الوحي في اليقظة فلهذا قال إني أرى في المنام أني أذبحك فذكر تأويل
الرؤيا كما يقول الممتحن وقد رأى أنه راكب في سفينة رأيت في المنام
أني ناج من هذه المحنة وقيل رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له إن الله
يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روى في ذلك من الصباح إلى الرواح أمن
الله هذا الحلم أم من الشيطان فمن ثم سمي يوم التروية فلما أمسى
رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فمن ثم سمي يوم عرفة ثم رأى
مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر وقيل
إن الملائكة حين بشرته بغلام حليم قال هو إذا ذبيح الله فلما ولد
وبلغ حد السعي معه قيل له أوف بنذرك فانظر ماذا ترى من الرأي
على وجه المشاورة وقرئ ماذا تري أي ماذا تبصر من رأيك وتدبيره
وماذا ترى على البناء للمفعول أي ماذا تريك نفسك من الرأي افعل
ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله أمرتك الخير فافعل ما
أمرت به أو أمرك على إضافة المصدر إلى المفعول وتسميته إياه
مأمورا به أمرا وقرئ ما تؤمر به فإن قلت لم شاوره في أمر هو حتم
من الله قلت لم يشاوره ليرجع إلى رأيه ومشورته ولكن ليعلم

شيء غضيض وغض أي طري بين الغضاضة والغضوضة ه

روى أي فكر ه



ما عنده فيما نزل به من بلاء الله فيثبت قدمه ويصبره إن جزع
ويأمن عليه الزلل إن صبر وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها و
يهون عليها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة بالا
نقياد لأمر الله قبل نزوله ولأن المغافصة بالذبح مما يستسمج و
ليكون سنة في المشاورة فقد قيل لو شاور آدم الملائكة في أكله من
الشجرة لما فرط منه ذلك فإن قلت لم كان ذلك بالمنام دون اليقظة
قلت كما أري يوسف عليه السلام سجود أبويه وإخوته له
في المنام من غير وحي إلى أبيه وكما وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخول المسجد الحرام في المنام وما سوى ذلك من منامات
الأنبياء وذلك لتقوية الدلالة على كونهم صادقين مصدوقين
لأن الحال إما حال يقظة أو حال نوم فإذا تظاهرت الحالتان على
الصدق كان ذلك أقوى للدلالة من انفراد إحديهما فلما أسلما
وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك
نجزي المحسنين يقال سلم لأمر الله وأسلم واستسلم بمعنى واحد
وقرئ بهن جميعا إذا انقاد له وخضع وأصلها من قولك سلم
هذا لفلان إذا خلص له ومعناه سلم من أن ينازع فيه وقولهم
سلم لأمر الله وأسلم له منقولان منه وحقيقة معناهما أخلص
نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص
نفسه لله وعن قتادة في أسلما أسلم هذا ابنه وهذا نفسه وتله

غافصه الرجل أخذه على غرة ط

للجبين صرعه على شقه فوقع أحد جبينيه على الأرض تواضعاً على مباشرة
الأمر بصبر وجلد ليرضيا الرحمن ويخزيا الشيطان وروي أن ذلك المكان
عند الصخرة التي بمنى وعن الحسن في الموضع المشرف على مسجد منى وعن
الضحاك في المنحر الذي ينحر فيه اليوم فإن قلت أين جواب لما قلت
هو محذوف تقديره فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد
صدقت الرؤيا كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشا
رهما واغتباطهما وحمدهما لله وشكرهما على ما أنعم به عليهما من
دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين
الأنفس عليه من الثواب والأعواض ورضوان الله الذي ليس
وراءه مطلوب وقوله إنا كذلك نجزي المحسنين تعليل لتخويل ما
خولهما من الفرج بعد الشدة والظفر بالبغية بعد اليأس ●
إن هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الآخرين
البلاء المبين الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم
أو المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة أصعب منها الذبح
اسم ما يذبح وعن ابن عباس رضي الله عنه هو الكبش الذي قربه هابيل
فقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدي به اسمعيل وعن الحسن
فدي بوعل أهبط عليه من ثبير وعن ابن عباس لو تمت تلك
الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس أبناءهم عظيم ضخم الجثة
سمين وهي السنة في الأضاحي وقوله استفرهوا ضحاياكم فإنها على

الصراط



الصراط مطاياكم وقيل لأنه وقع فداء عن ولد إبراهيم وروي أنه هرب من
إبراهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقيت سنة
في الرمي وروي أنه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبحه و
لده وروي أنه لما ذبحه قال جبريل الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا
إله إلا الله والله أكبر فقال إبراهيم الله أكبر ولله الحمد فبقي سنة وحكي
في قصة الذبيح أنه حين أراد أن يذبحه قال يا بني خذ الحبل والمدية
وانطلق بنا إلى الشعب نحتطب فلما توسطا شعب ثبير أخبره بما أمر
فقال له اشدد رباطي لا أضطرب واكفف عني ثيابك لا ينتضح عليها شيء
من دمي فينتقص أجري وتراه أمي فتحزن واشحذ شفرتك وأسرع إمرار
على حلقي حتى تجهز علي ليكون أهون فإن الموت شديد واقرأ على أمي
السلام وإن رأيت أن ترد قميصي على أمي فافعل فإنه عسى أن يكون
أسهل لها فقال إبراهيم نعم العون أنت يا بني على أمر الله ثم
أقبل عليه يقبله وقد ربطه وهما يبكيان ثم وضع السكين على حلقه
فلم يعمل لأن الله ضرب صفيحة نحاس على حلقه فقال له كبني على وجهي
فإنك إذا نظرت في وجهي رحمتني وأدركتك رقة تحول بينك وبين أمر
الله ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودي يا إبراهيم
قد صدقت الرؤيا فنظر فإذا جبريل معه كبش أقرن أملح فكبر جبريل
والكبش وإبراهيم وابنه وأتى المنحر من منى فذبحه وقيل لما وصل موضع
السجود منه إلى الأرض جاء الفرج وقد استشهد أبو حنيفة به

بيح
بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده انه يلزمه ذبح شاة فان قلت من كان الذبيح
من ولديه قلت قد اختلف فيه فعن ابن عباس وابن عمر ومحمد بن
كعب القرظي وجماعة من التابعين انه اسمعيل والحجة فيه ان رسول
الله صلعم قال انا ابن الذبيحين وقال له اعرابي يا ابن الذبيحين فتبسم
فسئل عن ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر لله ان
سهل الله له امرها ليذبحن احد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه
اخواله وقالوا له افد ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل
والثاني اسمعيل وعن محمد بن كعب القرظي قال كان مجتهد بني اسرائيل
يقول اذا دعا اللهم اله ابرهيم واسمعيل واسرائيل فقال موسى يا رب ما
لمجتهد بني اسرائيل اذا دعا قال اللهم اله ابرهيم واسمعيل واسرائيل وانا
بين اظهرهم قد اسمعتني كلامك واصطفيتني برسالتك قال يا موسى لم يحبني
احد حب ابرهيم فلم يرد ان يخير بيني وبين شيء الا اختارني واما اسمعيل
فانه جاد بدم نفسه واما اسرائيل فانه ما يئس من روحي في شدة نزلت
به قط ويدل عليه ان الله تعالى لما اتم قصة الذبيح قال وبشرناه باسحق وعن
محمد بن كعب انه قال لعمر بن عبد العزيز هو اسمعيل فقال عمر ان هذا
شيء ما كنت انظر فيه وانه لاراه كما قلت ثم ارسل الى يهودي قد اسلم
فسأله فقال ان اليهود لتعلم انه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم يا معشر العرب
ويدل عليه ان قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة في ايدي بني اسرائيل الى ان
احترق البيت وعن الاصمعي قال سألت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح

قرطبي ...






فقال يا اصمعي اين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان
اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكة ومما
يدل عليه ان الله عز وجل وصفه بالصبر دون اسحق في قوله تعالى و
اسمعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح
ووصفه بصدق الوعد في قوله انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه
من نفسه الصبر على الذبح فوفى به ولان الله بشره باسحق وو
لده يعقوب وعن علي بن ابي طالب في قوله فبشرناها باسحق
ومن وراء اسحق يعقوب فلو كان الذبيح اسحق لكان
خلفا للموعد في يعقوب وعن علي بن ابي طالب وابن مسعود
والعباس وعطاء وعكرمة وجماعة من التابعين انه اسحق
والحجة فيه ان الله تعالى اخبر عن خليله ابرهيم حين هاجر الى الشام
بانه استوهبه ولدا ثم اتبع ذلك البشارة بغلام حليم ثم ذكر
رؤياه بذبح ذلك الغلام المبشر به ويدل عليه كتاب يعقوب
الى يوسف من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله
ابن ابرهيم خليل الله فان قلت فاذا اوحي الى ابرهيم صلوات
عليه في المنام بان يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا
وانما كان يصدقها لو صح منه الذبح ولم يصح قلت قد بذل وسعه
وفعل ما يفعل الذابح من بطحه على شقه وامرار الشفرة على
حلقه ولكن الله سبحانه وتعالى جاء بما منع الشفرة ان تمضي فيه

وهذا لا يقدح في فعل ابراهيم الا ترى انه لا يسمى عاصيا ولا
مفرطا بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لو مضت فيه الشفرة وفرى
الاوداج وانهار الدم وليس هذا من ورود النسخ على المامور
به قبل الفعل ولا قبل اوان الفعل في شيء كما يسبق الى بعض الاوهام
حتى يشتغل بالكلام فيه فان قلت الله تعالى هو المفتدى منه لانه
الآمر بالذبح فكيف يكون فاديا حتى قال وفديناه قلت الفادي هو
ابراهيم صلوات الله عليه والله عز وجل وهب له الكبش ليفتدي
به وانما قال وفديناه اسنادا للفداء الى السبب الذي هو الممكن
من الفداء بهبته فان قلت فاذا كان ما اتى به ابراهيم من البطح
وامرار الشفرة في حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء انما
هو التخليص من الذبح ببدل قلت قد علم بمنع الله ان حقيقة
الذبح لم تحصل من فري الاوداج وانهار الدم فوهب الله له
الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة حتى لا تحصل تلك الحقيقة
في نفس اسمعيل عم ولكن في نفس الكبش بدلا منه فان قلت فاي
فايدة في تحصيل تلك الحقيقة وقد استغنى عنها بقيام ما وجد من
ابرهيم مقام الذبح من غير نقصان قلت الفايدة في ذلك ان يوجد
ما منع منه في بدله حتى يكمل منه الوفاء بالمنذور وايجاد المامور
به من كل وجه ۞ سلام على ابرهيم كذلك نجزي المحسنين
انه من عبادنا المؤمنين ۞ فان قلت لم قيل ههنا كذلك نجزي المحسنين

وفي غيرها من القصص انا كذلك قلت قد سبق في هذه القصة انا
كذلك فكانما استخف بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية ۞ و
بشرناه باسحق نبيا من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذرية
يتهما محسن وظالم لنفسه مبين ۞ نبيا حال مقدرة كقوله تعالى ادخلوها
خالدين فان قلت فرق بين هذا وبين قوله فادخلوها خالدين و
ذلك ان المدخول موجود مع وجود الدخول والخلود غير موجود
معهما فقدرت مقدرين الخلود فكان مستقيما وليس كذلك المبشر به
فانه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر به اوجب عدم
حاله لا محالة لان الحال حلية والحلية لا تقوم الا بالمحلى وهذا المبشر به
الذي هو اسحق حين وجد لم توجد النبوة ايضا بوجوده بل تراخت
عنه مدة متطاولة فكيف تجعل نبيا حالا مقدرة والحال صفة الفاعل
او المفعول عند وجود الفعل منه او به فالخلود وان لم يكن صفتهم
عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم لان المعنى مقدرين الخلود و
ليس كذلك النبوة فانه لا سبيل الى ان تكون موجودة او مقدرة وقت
وجود البشارة باسحق لعدم اسحق قلت هذا سؤال دقيق السلك
ضيق المسلك والذي يحل الاشكال انه لا بد من تقدير مضاف محذوف
وذلك قوله وبشرناه بوجود اسحق نبيا اي بان يوجد مقدرا
نبوته والعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة وبذلك يرجع نظير
قوله تعالى فادخلوها خالدين من الصالحين حال ثانية وورودها على

سبيله انفه هو التعريض لانه لا ينبغي لاحد ان يكون من القانطين و
وعن قتادة بشره الله بنبوة اسحق بعد ما امتحنه بذبحه وهذا
جواب من قال ان الذبيح اسحق لصاحبه عن تعلقه بقوله و
بشرناه باسحق قالوا ولا يجوز ان يبشره الله بمولده ونبوته معا
لان الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه بانه سيكون نبيا وباركنا
عليه وعلى اسحق وقرئ وبركنا افضنا عليهما بركات الدين
والدنيا كقوله واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن
الصالحين وقيل باركنا على ابرهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرج
منه انبياء بني اسرائيل من صلبه وقوله وظالم لنفسه مبين فاذن
ذريته قال لا ينال عهدي الظالمين وفيه تنبيه على ان الخبيث و
الطيب لا يجري امرهما على العرق والعنصر فقد يلد البر الفا
جر والفاجر البر وهذا مما يهدم امر الطبايع والعناصر
وعلى ان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما بعيب ولا نقيصة فان المرء
انما يعاب بسوء فعله ويعاتب على ما اجترحت يداه لا على
ما وجد من اصله او فرعه ولقد مننا على موسى وهرون ونجيناهما و
قومهما من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين واتيناهما
الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وتركنا عليهما في الاخرين
سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا
المؤمنين من الكرب العظيم من الغرق او من سلطان فرعون وقومه



ان زيد ظاهره

وغشيتهم ونصرناهم الضمير لهما ولقومهما في قوله ونجيناهما وقومهما
الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التورية كما قال انا انزلنا التورية فيها
هدى ونور وقال من جعل ان تكون التورية عربية ان تشتق من ورى
الزند فوعلة منه على ان التاء مبدلة من واو الصراط المستقيم صراط
اهل الاسلام وهي صراط الذين انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم
ولا الضالين وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه الا تتقون
اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين الله ربكم ورب اباكم
الاولين فكذبوه فانهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين وتركنا عليه
في الاخرين سلام على ال ياسين انا كذلك نجزي المحسنين انه من
عبادنا المؤمنين قرئ الياس بكسر الهمزة والياس على لفظ الوصل
وقيل هو ادريس النبي عليه السلام وقرأ ابن مسعود وان ادريس
في موضع الياس وقرئ ادراس وقيل هو الياس بن ياسين من ولد هرون
اخي موسى اتدعون بعلا اتعبدون بعلا وهو علم لصنم كان لهم
كمناة وهبل وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله اربعة او
جه فتنوا به وعظموه حتى اخدموه اربعمائة سادن وجعلوهم انبياءه
فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة
يحفظونها ويعلمونها الناس وهم اهل بعلبك وقيل البعل الرب بلغة
اليمن يقال من بعل هذه الدار اي من ربها والمعنى اتعبدون بعض
البعول وتتركون عبادة الله ربكم ورب اباكم قرئ بالرفع على الا

ارا السدنة

بنيا

وبالنصب على البدل وكان حمزة اذا وصل نصب واذا وقف رفع
وقرئ على الياسين وادراسين وادرسين على انها
لغات في الياس وادريس ولعل لزيادة الياء والنون في السريانية
معنى وقرئ على الياسين بالوصل على انه جمع يراد به الياس وقومه
كقولهم الخبيبون والمهلبون فان قلت فهلا حملت على هذا الياسين
على القطع واخواته قلت لو كان جمعا لعرف بالالف واللام واما من
قرأ على آل ياسين فعلى ان ياسين اسم ابي الياس اضيف اليه الآل
○ وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا
في الغابرين ثم دمرنا الآخرين وانكم لتمرون عليهم مصبحين
وبالليل افلا تعقلون ○ مصبحين داخلين في الصباح يعني تمرون على
منازلهم في متاجركم الى الشام ليلا ونهارا فما فيكم عقول تعتبرون
بها ○ وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون
فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا انه
كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء
وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة
الف او يزيدون فآمنوا فمتعناهم الى حين ○ قرئ يونس بضم
النون وكسرها وسمي هربه من قومه بغير اذن ربه اباقا على طريقة
المجاز والمساهمة المقارعة ويقال استهم القوم اذا اقترعوا
المدحض المغلوب المقروع وحقيقته المزلق عن مقام الظفر
والغلبة





والغلبة روي انه حين ركب في السفينة وقفت فقالوا ههنا عبد آبق
من سيده وفيما يزعم البحارون ان السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فا
قترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال انا الآبق وزج بنفسه في الماء
فالتقمه الحوت وهو مليم داخل في الملامة يقال رب لائم مليم اي يلوم
غيره وهو احق منه باللوم وقرئ مليم بفتح الميم من ليم فهو مليم
كما جاء مشيب في مشوب مبنيا على شيب ونحوه مدعي بناء على دعي
من المسبحين من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح والتقديس وقيل
هو قوله في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل
من المصلين وعن ابن عباس كل تسبيح في القرآن فهو صلاة و
عن قتادة كان كثير الصلاة في الرخاء قال وكان يقال ان العمل الصالح يرفع
صاحبه اذا عثر اذا صرع وجد متكأ وهذا ترغيب من الله تعالى في
اكثار المؤمن من ذكره بما هو اهله واقباله على عبادته وجمع
همته لتقييد نعمته بالشكر في وقت المهلة والفسحة لينفعه ذلك
عنده في المضايق والشدائد للبث في بطنه الظاهر لبثه فيه حيا
الى يوم البعث وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا الى يوم القيمة
وروي انه حين ابتلعه اوحى الله الى الحوت اني جعلت بطنك له
سجنا ولم اجعله لك طعاما واختلفوا في مقدار لبثه فعن الكلبي
اربعين يوما وعن الضحاك عشرين وعن عطاء سبعة وعن
بعضهم ثلثة وعن الحسن لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطنه

السفينة

بعضها الوقت الذي التقم فيه وروي ان الحوت سار مع السفينة
رافعا راسه يتنفس فيه يونس ويسبح حتى انتهوا
الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فاسلموا وروي ان الحوت
قذفه بساحل قرية من الموصل والعراء المكان الخالي لا شجر فيه
ولا شيء يغطيه وهو سقيم اعتل مما حل به وروي انه عاد بدنه كبدن
الصبي حين يولد واليقطين كل ما ينبسط على وجه الارض ولا يقوم
على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن
بالمكان اذا اقام به وقيل الدبا وفائدة الدباء ان الذباب لا تجتمع
عنده وقيل لرسول الله صلعم انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة
اخي يونس وقيل هي التين وقيل شجرة الموز تغطى بورقها و
استظل باغصانها وافطر على ثمارها وقيل كان يستظل بالشجرة
كانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها وروي انه مر زمان على
الشجرة فيبست فبكى جزعا فاوحى اليه بكيت على شجرة ولا تبكي على
مائة الف في يد الكافر فان قلت ما معنى انبتنا عليه شجرة قلت انبتناها
فوقه مظلة له كما يطنب البيت على الانسان وارسلناه الى مائة الف
والمراد به ما سبق من ارساله الى قومه وهم اهل نينوى وقيل هو
ارسال ثاني بعد ما جرى عليه الى الاولين او الى غيرهم وقيل
اسلموا فسالوه ان يرجع اليهم فابى لان النبي اذا هاجر عن قومه لم
يرجع اليهم مقيما فيهم وقال لهم ان الله باعث اليكم نبيا او يزيدون

اختلف اليه بسوره
او وقت بدوه



أي الناظر اليهم اذا راهم قال هي مائة الف او اكثر والمراد الوصف
بالكثرة الى حين الى اجل مسمى وقرئ ويزيدون بالواو وحتى حين فاستفتهم
الربك البنات ولهم البنون ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون الا
انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون اصطفى البنات على
البنين مالكم كيف تحكمون افلا تذكرون فاستفتهم معطوف على مثله في
اول السورة وان تباعدت بينهما المسافة امر رسوله باستفتاء قريش عن
وجه انكار البعث اولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم
امره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التي قسموها حيث جعلوا
لله الاناث ولانفسهم الذكور في قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم
الشديدة لهن ووادهم لاستنكافهم من ذكرهن ولقد ارتكبوا في ذلك
ثلثة انواع من الكفر احدها التجسيم لان الولادة مختصة بالاجسام
والثاني تفضيل انفسهم على ربهم حين اختاروا اوضع الجنسين وان
نعم لهم ما قال واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه
مسودا وهو كظيم او من ينشؤ في الحلية وهو في الخصام غير مبين
والثالث انهم استهانوا باكرم خلق الله عليه واقربهم اليه حيث
انثوهم ولذلك قيل لا قبلهم ما اذناهم فيك انوثة او تشكك تشكل
النسب يتعالى لجلاله انهم ولا تقبلت مما ليقه رد ذلك في اهاجيهم
بين مكشوف فكذبهم الله سبحانه ووصل الانكار كلمة لم كثنا به متواترة
ودل على قطاعتهم في اباتهم وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم
شيئا

اذا انكاد السموات ينفطرن منه وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بديع
السموات والارض انى يكون له ولد الا انهم من افكهم ليقولون ولد
الله وجعلوا له من عباده جزءا ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما
يشتهون ام له البنات ولكم البنون ويجعلون لله ما يكرهون اصطفى البنات
على البنين ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا اي خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون فان
قلت لم قال وهم شاهدون فخص علم المشاهدة قلت ما هو الا استهزاء بهم
وتجهيل وكذلك قوله أشهدوا خلقهم ونحو ما أشهدتهم خلق السموات
والارض ولا خلق انفسهم وذلك انهم كما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة
لم يعلموه بخلق الله علمه في قلوبهم ولا باخبار صادق ولا بطريق الاستدلال
والنظر ويجوز ان يكون المعنى انهم يقولون ذلك كالقائل قولا عن ثلج صدر
وطمانينة نفس لافراط جهلهم كانهم قد شاهدوا خلقهم وقرئ ولد الله
اي الملائكة ولده والولد فعل بمعنى مفعول يقع على الواحد والجمع
والمذكر والمؤنث تقول هذه ولدي وهم ولدي فان قلت اصطفى
البنات بفتح الهمزة استفهام على طريق الانكار والاستبعاد فكيف صحت
قراءة ابي جعفر بكسر الهمزة على الاثبات قلت جعله من كلام الكفرة بدلا
عن قولهم ولد الله وقد قرا بها حمزة والاعمش وهذه القراءة وان كان
هذا محملها فهي ضعيفة والذي اضعفها ان الانكار قد اكتنف هذه الجملة
من جانبيها وذلك قوله وانهم لكاذبون ما لكم كيف تحكمون فمن جعلها
ثبات





فقد اوضعا دخيلة بين نسبين وغيرهما تذكرون من ذكره ام
لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين وجعلوا بينه وبين
الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون الا
عباد الله المخلصين اي لكم سلطان اي حجة نزلت عليكم من السماء وخبر بان
الملائكة بنات الله فاتوا بكتابكم الذي انزل عليكم ثم ذلك كقوله ام انزلنا
عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وهذه الآيات صادرة عن سخط
عظيم وانكار فظيع واستبعاد لاقاويلهم شديد وما الاساليب التي وردت
عليها الا ناطقة بتسفيه احلام قريش وتجهيل نفوسهم واستركاك عقولهم
مع استهزاء وتهكم وتعجيب من ان يخطر مثل ذلك على بال ويحدث به
نفس فضلا ان تجعله معتقدا وتتظاهر به مذهبا وجعلوا بين الله
وبين الجنة واراد الملائكة نسبا وهو زعمهم انهم بناته والمعنى وجعلوا
بما قالوا نسبة بين الله وبينهم واثبتوا له بذلك جنسية جامعة له
وللملائكة فان قلت لم سمى الملائكة جنة قلت قالوا الجنس واحد
ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر
منهم ونسك وكان خيرا كله فذكرهم في هذا الموضع باسم جنسهم وانما
ذكرهم بهذا الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم وان كانوا معظمين في انفسهم
ان يبلغوا منزلة المناسبة التي اضافوها اليهم وفيه اشارة الى ان من صفة
الاجتنان والاستتار وهو من صفات الاجرام لا يصلح له ان يناسب من لا
يجوز عليه ذلك ومثاله ان تسوي بملك وبين عبد واذا بحث في

في غير هذا المقام وحيث كررناه والضمير في انهم لمحضرون للكفرة والمعنى انهم
يقولون في الملائكة وقد علم الملائكة انهم في ذلك كاذبون مفترون وانهم
يحضرون النار معذبون بما يقولون والمراد المبالغة في التكذيب حيث
اضيف الى علم الذين ادعوا لهم تلك النسبة وقيل قالوا ان الله صاهر الجن
فخرجت الملائكة وقيل قالوا ان الله والشيطان اخوان وعن الحسن اشركوا
الجن في طاعة الله ويجوز اذا فسر الجنة بالشياطين ان يكون الضمير في
انهم لمحضرون لهم والمعنى ان الشياطين عالمون بان الله يحضرهم النار و
يعذبهم ولو كانوا مناسبين له او شركاء في وجوب الطاعة لما عذبهم الا
عباد الله المخلصين استثناء منقطع من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون
وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه ويجوز ان يقع الاستثناء
من الواو في يصفون اي يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصين برآء من ان
يصفوه به فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم
وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون الضمير
في عليه لله عز وجل ومعناه فانكم ومعبوديكم ما انتم وهم جميعا بفاتنين على الله
الا اصحاب النار الذين سبق في علمه انهم بسوء اعمالهم يستوجبون ان يصلوها
فان قلت كيف يفتنونهم على الله قلت يفسدونهم عليه باغوائهم واستهوائهم
من قولك فتن فلان على فلان امرأته كما تقول افسدها عليه وخببها عليه و
يجوز ان يكون الواو في وما تعبدون بمعنى مع مثلها في قولهم كل رجل وضيعته فكما
جاز السكوت على كل رجل وضيعته وان كل رجل وضيعته جاز ان يسكت على قوله فانكم و
ما تعبدون ساد مسد الخبر لان معناه فانكم مع ما تعبدون والمعنى فانكم مع آلهتكم اي



قرناؤهم واصحابهم لا تبرحون تعبدونها ثم قال ما انتم عليه اي على ما
تعبدون بفاتنين بباعثين او حاملين على طريق الفتنة والاضلال الا من
هو ضال مثلكم او يكون في اسلوب قوله فانك والكتاب الى علي كدابغة و
قد حلم الاديم وقرأ الحسن صال الجحيم بضم اللام وفيه ثلاثة اوجه احدها
ان يكون جمعا وسقوط واوه لالتقاء الساكنين هي ولام التعريف فان قلت
كيف استقام الجمع مع قوله من هو قلت من موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل
هو على اللفظ والصالون على المعنى كما حمل في مواضع من التنزيل على لفظ من و
معناه في آية واحدة والثاني ان يكون اصله صائل على القلب ثم يقال صال في
صائل كقولهم شاك في شائك والثالث ان تحذف لام صال تخفيفا ويجرى الاعراب
وهو مقلوب شاكي
على عينه كما حذف من قولهم ما باليت به بالة واصلها بالية من بالى كعافية من عافى
ونظيره قراءة من قرأ وجنى الجنتين دان وله الجوار المنشآت باجراء الاعراب
على العين وما منا احد الا له مقام معلوم فحذف الموصوف واقيم الصفة
مقامه كقوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا بكفي كان من ارمى البشر مقام
معلوم مقام في العبادة والانتهاء الى امر الله مقصور عليه لا يتجاوزه
كما روي فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع رأسه لنحن الصافون
نصف اقدامنا في الصلاة او اجنحتنا في الهواء منتظرين ما نؤمر وقيل
نصف اجنحتنا حول العرش داعين للمؤمنين وقيل ان المسلمين انما
اصطفوا في الصلاة منذ نزلت هذه الآية وليس يصطف احد من اهل
الملل في صلواتهم غير المسلمين المسبحون المنزهون او المصلون والوجه ان
يكون

هذا وما قبله من قوله سبحانه الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل
بذكرهم في قوله ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون كانه قيل ولقد علم
الملائكة وشهدوا ان المشركين مفترون عليهم في مناسبة رب العزة وقالوا
سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين وبرؤهم منه
وقالوا للكفرة فاذا صح ذلك فانكم وآلهتكم لا تقدرون ان تفتنوا على الله
احدا من خلقه وتضلوه الا من كان مثلكم ممن علم الله لكفرهم لا بالتقدير
وان ادنه لكن الله تعالى بقول الظالمون علوا كبيرا انهم من اهل النار وكيف
نكون مناسبين لرب العزة ونجمعنا واياه جنسية واحدة وما نحن الا عبيد
اذلاء بين يديه لكل منا مقام من الطاعة لا يستطيع ان يزول عنه ظفرا
خشوعا لعظمته وتواضعا لجلاله ونحن الصافون اقدامنا لعبادته او
اجنحتنا مذعنين خاضعين مسبحين ممجدين وكما يجب على العباد لربهم
وقيل هو من قول رسول الله صلعم يعني وما من المسلمين احد الا له مقام
معلوم يوم القيمة على قدر عمله من قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا ثم ذكر اعمالهم وانهم الذين يصطفون في الصلوة ويسبحون الله وينزهونه
مما يضيف اليه من لا يعرفه مما لا يجوز عليه ❁ وان كانوا ليقولون
لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف
يعلمون ❁ هم مشركوا قريش كانوا يقولون لو ان عندنا ذكرا اي كتابا
من كتب الاولين الذين نزل عليهم التورية والانجيل لاخلصنا العبادة لله
ولما كذبنا ولما خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذي هو سيد الاذكار

والكتاب الذي هو معجز من بين الكتب فكفروا به ونحوه فلما جاءهم نذير
ما زادهم الا نفورا فسوف يعلمون مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام
وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وفي ذلك انهم كانوا يقولون
مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين اول امرهم وآخرهم ❁ ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون
❁ والكلمة قوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وانما
سماها كلمة وهي كلمات عدة لانها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم
كلمة مفردة وقرئ كلماتنا والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم في مقام
الحجاج وملاحم القتال في الدنيا او علوهم عليهم في الآخرة كما قال الله
تعالى والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة ولا يلزم انهزامهم في بعض
المشاهد وما جرى عليهم من القتل فان الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم
في العاقبة وكفى بمشاهد رسول الله صلعم والخلفاء الراشدين مثلا
يحتذى عليها ويعتبر بها وعن الحسن ما غلب نبي في حرب ولا
قتل فيها ولان قاعدة امرهم واساسه والغالب منه الظفر والنصرة وان
وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن
ابن عباس ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة وفي قراءة ابن مسعود
على عبادنا على تضمين سبقت معنى حقت ❁ فتول عنهم حتى حين وابصرهم
فسوف يبصرون افبعذابنا يستعجلون فاذا نزل بساحتهم فساء صباح
المنذرين ❁ فتول عنهم فاعرض واغض على اذاهم حتى حين الى مدة

يسير وهي مدة الكف عن القتال وعن السدي الى يوم بدر وقيل الى الموت
وقيل الى يوم القيمة وابصرهم وما يقضى عليهم من الاسر والقتل والعذاب في
الاخرة فسوف يبصرون ما يقضى لك من النصرة والتاييد والثواب في العاقبة
والمراد بالامر بابصارهم على الحال المنتظرة الموعودة الدلالة على انها كائنة
واقعة لا محالة وان كينونتها قريبة كانها قدام ناظريك وفي ذلك تسلية
له وتنفيس عنه وقوله فسوف يبصرون للوعيد كما سلف لا للتبعيد مثل العذاب
النازل بهم بعدما انذروه فانكروه بجيش انذر بهجومه قومه بعض
نصاحهم فلم يلتفتوا الى انذاره ولا اخذوا اهبتهم ولا دبروا امرهم تد
بيرا ينجيهم حتى اناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم
وكانت عادة مغاويرهم ان يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وان و
قعت في وقت آخر وما فصحت هذه الاية ولا كانت لها الروعة التي
تحس بها ويروقك موردها على نفسك وطبعك الا لمجيئها على طريقة التمثيل وقرأ
ابن مسعود نزل فساء وقرئ نزل بساحتهم على اسناده الى الجار و
المجرور كذلك ذهب بزيد ونزل اي العذاب والمعنى فساء صباح المنذرين
صباحهم واللام في المنذرين يراد بهم جنس من انذروا لان ساء وبئس
يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله ع م يوم الفتح بمكة وعن انس
رضي الله عنه انه لما اتى رسول الله ع م خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم
المساحي قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال رسول الله ع م
الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين

وتول



وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون سبحان ربك رب العزة
عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ٥٥ وانما
ثنى وتول عنهم ليكون تسلية على تسلية وتاكيدا لوقوع الميعاد الى
تاكيد وفيه فائدة زائدة وهي اطلاق الفعلين معا عن التقييد با
المفعول وانه يبصرونهم وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف
المسرة وانواع المساءة وقيل اريد باحدهما عذاب الدنيا وبالآخر
عذاب الاخرة اضيف الرب الى العزة لاختصاصها به كانه قيل ذو العزة
كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز ان يراد انه ما من
عزة لاحد من الملوك وغيرهم الا وهو ربها ومالكها كقوله تعز من
تشاء اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوا اليه مما
هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه في العاقبة
من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به
المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لله رب العالمين على ما قيض
لهم من حسن العواقب والغرض تعليم المؤمنين ان يقولوا ذلك
ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرانه
المجيد وعن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر
يوم القيمة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما
يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وعن رسول الله ع م
من قرا والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان

تباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وتسليته حافظاه يوم
القيمة انه كان مؤمنا بالمرسلين بسم الله الرحمن الرحيم ص والقرآن
ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق ص ما دعلها الوقف وهي اكثر
القراءة وقرئ بالكسر ما الفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان ينتصب بحذف حرف القسم
وايصال فعله كقولهم الله لافعلن بالنصب او باضمار حرف القسم والفتح في موضع
ضع اي كقولهم الله لافعلن بالجر وامتناع الصرف للتعريف والتانيث
لانها علم السورة وقد صرفها من قرا صاد بالجر والتنوين على تاويل الكتاب
والتنزيل وقيل فيمن كسر هو من المصاداة وهي المعارضة والمعادلة ومنها
الصدى وهو ما يعارض الصوت في الاماكن الخالية من الاجسام الصلبة ومعناه
عارض القرآن بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه فان قلت قوله ص
والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق كلام ظاهره متنافر غير
منتظم فما وجه انتظامه قلت فيه وجهان احدهما ان يكون قد ذكر اسم هذا
الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الاعجاز كما مر في اول
الكتاب ثم اتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كانه قال والقرآن
ذي الذكر انه لكلام معجز والثاني ان يكون صاد خبر مبتدا محذوف على
انها اسم للسورة كانه قال هذه صاد يعني هذه السورة التي اعجزت العرب
والقرآن ذي الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور
بالسخاء والله وكذلك اذا اقسم بها كانه قال اقسمت بصاد والقرآن ذي
الذكر انه لمعجز ثم قال بل الذين كفروا في عزة واستكبار عن الاذعان

لذلك

والاعتراف وشقاق لله ورسوله واذا جعلتها مقسما بها وعطفت عليها
والقرآن ذي الذكر جاز لك ان تريد بالقرآن التنزيل كله وان تريد السورة
بعينها ومعناه اقسم بالسورة الشريفة والقرآن ذي الذكر كما تقول مر
رت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة غير
الرجل والذكر الشرف والشهرة من قولك فلان مذكور وانه لذكر لك و
لقومك او الذكرى والموعظة او ذكر ما يحتاج اليه في الدين من الشرا يع
وغيرها كاقاصيص الانبياء والوعد والوعيد والتنكير في عزة وشقاق
للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرئ في غرة اي في غفلة عما يجب
عليهم من النظر واتباع الحق كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا
ولات حين مناص كم اهلكنا وعيد لذوي العزة والشقاق فنادوا
فدعوا واستغاثوا وعن الحسن فنادوا بالتوبة ولات هي لا المشبهة بليس
زيدت عليها تاء التانيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك
حكمها حيث لم تدخل الا على الاحيان ولم يبرز الا احد مقتضييها اما الاسم
واما الخبر وامتنع بروزهما جميعا وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند
الاخفش انها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الاحيان
وحين مناص منتصب بها كانك قلت ولا حين مناص لهم وعنه ان ما ينتصب
بعده بفعل مضمر اي ولا ارى حين مناص ويرتفع بالابتداء اي ولا
حين مناص كائن لهم وعندهما ان النصب على ولات الحين حين مناص اي
وليس الحين حين مناص والرفع على ولات حين مناص حاصلا لهم

وقرئ حين مناص بالكسر ومثله قول ابي زبيد الطائي طلبوا صلحنا ولات
اوان فاجبنا ان لات حين بقاء فان قلت ما وجه الكسر في اوان قلت شبه باذ
في قوله وانت اذ صحيح في انه زمان قطع منه المضاف اليه وعوض التنوين
لان الاصل ولات اوان صلح فان قلت فما تقول في حين مناص والمضاف اليه قائم
قلت نزل قطع المضاف اليه من مناص لان اصله حين مناصهم منزلة قطعه
من حين لاتحاد المضاف والمضاف اليه وجعل تنوينه عوضا من الضمير
المحذوف ثم بني الحين لكونه مضافا الى غير متمكن وقرئ ولات بكسر التاء
على البناء كجير فان قلت كيف يوقف على لات قلت يوقف عليها بالتاء كما يوقف على
الفعل الذي يتصل به تاء التانيث واما الكسائي فيقف عليها بالهاء كما يقف
على الاسماء المؤنثة واما قول ابي عبيد ان التاء داخلة على حين فلا وجه
له واستشهاده بان التاء ملتزقة بحين في الامام لا متشبث به فكم وقعت في
المصحف اشياء خارجة عن قياس الخط والمناص المنجا والفوت يقال
ناصه ينوصه اذا فاته واستناص طلب المناص قال حارثة بن بدر يصف فرسا غمر
اي اذا فقدت عنانه بيدي استناص ورام جري المسحل وعجبوا ان
جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب اجعل الآلهة الها
واحدا ان هذا لشيء عجاب منذر منهم رسول من انفسهم وقال الكافرون
ولم يقل وقالوا اظهارا للغضب عليهم ودلالة على ان هذا القول لا يجسر عليه
الا الكافرون المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغي الذين قال فيهم اولئك هم
الكافرون حقا وهل ترى كفرا اعظم وجهلا ابلغ من ان يسموا من صدقه



الله بوحيه كاذبا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الذي لا يصح غيره
ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل الذي لا وجه لصحته روي ان اسلام
عمر رضي الله عنه فرح به المؤمنون فرحا شديدا وشق على قريش وبلغ
منهم فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا الى ابي طالب
وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون
الذين دخلوا في الاسلام وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر
ابو طالب رسول الله صلعم وقال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسألونك السواء
فلا تمل كل الميل على قومك فقال صلعم ماذا يسألونني قالوا ارفضنا وارفض
ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال صلعم ارأيتم ان اعطيتكم ما سألتم أمعطي انتم
كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا اي
نعطيكها وعشر كلمات معها فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا اجعل
الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب اي بليغ في العجب وقرئ عجاب
بالتشديد كقوله مكرا كبارا وهو ابلغ من المخفف ونظيره كريم وكرام
وقوله اجعل الآلهة الها واحدا مثل قوله وجعلوا الملائكة الذين
هم عباد الرحمن اناثا في ان معناه الجعل التصيير في القول على سبيل الدعوى
والزعم كانه قال اجعل الجماعة واحدا في قوله لان ذلك في الفعل محال
وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد
الملأ اشراف قريش يريد وانطلاقهم عن مجلس ابي طالب بعدما
بكتهم رسول الله صلعم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض امشوا

واصبروا أي لا حيلة لكم في دفع أمر محمد إن هذا الأمر لشيء يراد أي
يريده الله تعالى ويحكم بإمضائه وما أراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع
فيه إلا الصبر أو إن هذا الأمر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك
لنا أو إن دينكم لشيء يراد أي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه وأن
بمعنى أي لأن المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد لهم من أن يتكلموا و
يتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم مضمنا معنى القول ويجوز
أن يراد بالانطلاق الاندفاع في القول وأنهم قالوا امشوا أي
اكثروا واجتمعوا من مشت المرأة إذا كثرت ولادتها ومنه
الماشية للتفاؤل كما قيل لها الفاشية قال رسول الله صلعم ضموا فوا
شيكم ومعنى فامشوا امضوا على آلهتكم وابقوا على عبادتها والتمسك بها
حتى لا تنزعوا عنها و[وقرئ] انطلق الملأ منهم امشوا بغير أن على إضمار
القول وعن ابن مسعود وانطلق الملأ منهم يمشون أن اصبروا
ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق في الملة الآخرة
في ملة عيسى التي هي آخر الملل لأن النصارى يدعونها وهي مثلثة
غير موحدة أو في ملة قريش التي أدركنا عليها آباءنا أو ما سمعنا
بهذا كائنا في الملة الآخرة على أن تجعل في الملة الآخرة حالا من هذا
ولا نعلمه مما سمعنا كما في الوجهين والمعنى أنا ما سمعنا من أهل
الكتاب ولا الكهان أنه يحدث في الملة الآخرة توحيد الله ما هذا
إلا اختلاق أي افتعال وكذب أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم

[في الهامش:] وقرئ — الأولين

في



في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب أنكروا أن يختص بالشرف من بين
أشرافهم ورؤسائهم وينزل عليه الكتاب من بينهم كما قالوا لولا نزل
هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهذا الإنكار ترجمة عما كانت
تغلي به صدورهم من الحسد على ما أوتي من شرف النبوة من بينهم
بل هم في شك من القرآن يقولون في أنفسهم إما وإما وقولهم إن هذا
إلا اختلاق كلام مخالف لاعتقادهم فيه يقولونه على سبيل الحسد بل
لما يذوقوا عذاب بعد فإذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد
حينئذ يعني أنهم لا يصدقون به إلا أن يمسهم العذاب مضطرين إلى التصديق
أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب أم عندهم خزائن
رحمة ربك يعني ما هم بمالكي خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاؤوا و
يصرفوها عمن شاؤوا ويتخيروا للنبوة بعض صناديدهم ويترفعوا
بها عن محمد وإنما الذي يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر
على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذي
يقسمها على ما تقتضيه حكمته وعدله كما قال أهم يقسمون رحمة ربك
نحن قسمنا أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما فليرتقوا
في الأسباب ثم رشح هذا المعنى فقال أم لهم ملك السماوات والأرض
حتى يتكلموا في الأمور الربانية والتدابير الإلهية التي يختص
بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال وإن كانوا يملكون

لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة وكانت عندهم الحكمة التي
يميزون بها بين من هو حقيق باصطفائه للنبوة دون من لا يحق له فليرتقوا في
الاسباب فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوصل بها الى العرش حتى
يستووا عليه ويدبروا امر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحي الى من
يستصوبون ∴ جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب ∴ ثم خسأهم
خساة عن ذلك بقوله جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب يريد ما هم
الا جند من الكفار المتحزبين على رسل الله مهزوم مكسور عما قريب
فلا تبال بما يقولون ولا تكترث لما به يهذون وما مزيدة وفيها معنى الا
ستعظام كما في قول امرئ القيس ∴ وحديث ما على قصره ∴ الا انه على
سبيل الهزء وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب
لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لامر ليس من اهله
لست هنالك ∴ كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد ∴ ذو
الاوتاد اصله من ثبات البيت المطنب باوتاده قال والبيت لا يبتنى الا له
عمد ولا عماد اذا لم ترس اوتاد فاستعير لثبات العز والملك واستقامة الامر
كما قال الاسود في ظل ملك ثابت الاوتاد وقيل كان يشبح المعذب بين اربع سوار كل
طرف من اطرافه الى سارية مضروب فيه وتد من حديد ويتركه حتى يموت
وقيل كان يمده بين اربعة اوتاد في الارض ويرسل عليه العقارب والحيات و
قيل كانت له اوتاد وحبال يلعب بها بين يديه ∴ وثمود وقوم لوط و
اصحاب



الايكة اولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب ∴
اولئك الاحزاب قصد بهذه الاشارة الاعلام بان الاحزاب الذين
جعل الجند المهزوم منهم هم هؤلاء وانهم هم الذين وجد منهم التكذيب ولقد
ذكر تكذيبهم اولا في الجملة الخبرية على وجه الابهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية
فاوضحه فيها بان كل واحد من الاحزاب كذب جميع الرسل لانهم اذا
كذبوا واحدا منهم فقد كذبوهم جميعا وفي تكرير التكذيب وايضاحه
بعد ابهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية اولا وبالاستثنائية ثانيا وما
في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص انواع من المبالغة
المسجلة عليهم باستحقاق اشد العقاب وابلغه ثم قال فحق عقاب اي فوجب
لذلك ان اعاقبهم حق عقابهم وهؤلاء اهل مكة ويجوز ان يكون اشارة
الى جميع الاحزاب لاستحضارهم بالذكر او لانهم كالحضور عند الله
∴ وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق ∴ والصيحة
النفخة ما لها من فواق وقرئ بالضم ما لها من توقف مقدار فواق
وهو ما بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع يعني اذا جاء وقتها
لم تستأخر هذا القدر من الزمان كقوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون
ساعة وعن ابن عباس ما لها من رجوع وترداد من افاق المريض
اذا رجع الى الصحة وفواق الناقة ساعة يرجع الدر الى ضرعها
يريد انها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد ∴ وقالوا ربنا
عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب ∴ القط القسط من الشيء لانه قطعة

جب

منه من قطعه اذا قطعه ويقال للصحيفة اي الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس
وقد فسر بهما قوله تعـ عجل لنا قطنا اي نصيبنا من العذاب الذي و
عدته كقوله تعـ ويستعجلونك بالعذاب وقيل ذكر رسول الله وعد الله
المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها او عجل لنا صحيفة
اعمالنا ننظر فيها ﴿اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب﴾
فان قلت كيف تطابق قوله اصبر على ما يقولون وقوله واذكر عبدنا داود
حتى عطف احدهما على صاحبه قلت كانه قال لنبيه عليه السلام اصبر على ما يقولون
وعظم امر معصية الله في اعينهم بذكر قصة داود وهو انه نبي من انبياء الله
قد اولاه ما اولاه من النبوة والملك لكرامته عليه ثم زل زلة فبعث
الله اليه الملائكة ووبخه عليها على طريق التمثيل والتعريض حتى فطن لما وقع
فيه فاستغفر واناب ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائم وغمه الواصب ونقش
جنايته في بطن كفه حتى لا يزال يجدد الندم عليها فما الظن بكم مع كفركم ومعا
صيكم او قال له صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون وصن نفسك وحافظ عليها ان تزل فيما
كلفت من مصابرتهم وتحمل اذاهم واذكر اخاك داود وكرامته على الله كيف زل
تلك الزلة اليسيرة فلقي من توبيخ الله وتظليمه ونسبته الى البغي ما لقي ذا
الايد ذا القوة في الدين المضطلع بمشاقه وتكاليفه كان على نهوضه باعباء النبوة
والملك يصوم يوما ويفطر يوما وهو اشد الصوم ويقوم نصف الليل يقال فلان ايد
وذو ايد وذو آد وايادُ كل شيء ما يتقوى به اواب رجاع الى مرضات الله
فان قلت ما دلك على ان الايد القوة في الدين قلت قوله انه اواب لانه تعليل

لذي



لذي الايد ﴿انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق
والطير محشورة كل له اواب﴾ والاشراق ووقت الاشراق وهو
حين تشرق الشمس اي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى
واما شروقها فطلوعها تقول شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هانئ
دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلوة
الضحى وقال يا ام هانئ هذه صلوة الاشراق وعن طاوس عن ابن عباس
قال هل تجدون ذكر صلوة الضحى في القرآن قالوا لا فقرا انا سخرنا
الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق وقال كانت صلوة يصليها دا
ود ع م وعنه ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه الآية وعنه لم يزل في نفسي
من صلوة الضحى شيء حتى طلبتها فوجدتها في هذه الآية يسبحن با
لعشي والاشراق وكان لا يصلي صلوة الضحى ثم صلاها بعد وعن كعب
انه قال لابن عباس اني لاجد في كتب الله صلوة بعد طلوع الشمس فقال
انا اوجدك ذلك في كتاب الله تعـ يعني هذه الآية ويحتمل ان يكون من اشرق القوم
اذا دخلوا في الشروق ومنه قوله تعـ فاخذتهم الصيحة مشرقين وقول اهل
الجاهلية اشرق ثبير كيما نغير اي وقت صلوة الفجر لانتهائه بالشروق ويسبحن
في معنى مسبحات على الحال فان قلت هل من فرق بين يسبحن ومسبحات
قلت نعم وما اختير يسبحن على مسبحات الا لذلك وهو الدلالة على حدوث
التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالا بعد حال وكان السامع محاضر
تلك الحال يسمعها تسبح ومثله قول الاعشى الى ضوء نار في يفاع تحرق

ولو قال مسبحة لم يكن شيئا وقوله محشورة في مقابلة يسبحن الا انه لما لم يكن في
الحشر ما كان في التسبيح من ارادة الدلالة على الحدوث شيئا بعد شيء جيء به
اسما لا فعلا وذلك انه لو قيل وسخرنا الطير يحشرن على ان الحشر يوجد من
حاشرها شيئا بعد شيء والحاشر هو الله عز وجل لكان خلفا لان حشرها
جملة واحدة ادل على القدرة وعن ابن عباس رضي الله عنه كان اذا سبح جا
وبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها
وقرئ والطير محشورة بالرفع كل له اواب كل واحد من الجبال والطير لا
جل داود اي لاجل تسبيحه مسبح لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع
رجاع لانه يرجع الى فعله رجوعا بعد رجوع واما لان الاواب وهو
التواب الكثير الرجوع الى الله وطلب مرضاته من عادته ان يكثر ذكر الله
ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير لله اي كل من داود والجبال
لله اواب اي مسبح مرجع للتسبيح ۞ وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل
الخطاب ۞ وشددنا ملكه قويناه قال الله سنشد عضدك وقرئ شددنا
على المبالغة قيل كان يبيت حول محرابه اربعون الف مستلئم يحر
سونه وقيل الذي شد الله به ملكه وقذف في قلوب قومه الهيبة ان
رجلا ادعى عنده على آخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فاوحي اليه في المنام
ان اقتل المدعى عليه فقال هذا منام فاعيد الوحي في اليقظة فاعلم
الرجل فقال ان الله ما يأخذني بهذا الذنب ولكن بأني قتلت ابا هذا غيلة
فقتله فقال الناس ان اذنب احد ذنبا اظهره الله عليه فقتله فهابوه
الحكمة

انتهى

الزبور



الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة الفصل التمييز
بين الشيئين وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الامير لانهم قالوا
كلام ملتبس وفي كلامه لبس والملتبس المختلط فقيل في نقيضه
فصل اي مفصول بعضه من بعض فمعنى فصل الخطاب البين من
الكلام الملخص الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه
ومن فصل الخطاب وملخصه ان لا يخطئ صاحبه مظان الفصل والوصل
فلا يقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه ولا يتلو قوله فويل للمصلين الا
موصولا بما بعده ولا والله يعلم وانتم حتى يصله بقوله لا تعلمون ونحو
ذلك وكذلك مظان العطف وتركه والاضمار والاظهار والحذف
والتكرار وان شئت كان الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور و
اردت بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح
والفاسد والحق والباطل والصواب والخطأ وهو كلامه في
القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات وعن علي بن
ابي طالب رضي الله عنه هو قوله البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه وهو
من الفصل بين الحق والباطل ويدخل فيه قول بعضهم هو قوله اما بعد لانه
يفتتح اذا تكلم في الامر الذي له شأن بذكر الله وتحميده فاذا اراد ان يخرج
الى الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله بقوله اما بعد ويجوز ان
يراد الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل ومنه ما
جاء في صفة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل لا نزر ولا هذر ۞ وهل اتاك نبأ الخصم

إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان
بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء
الصراط كان أهل زمان داود عليه يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له
عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبته وكانت لهم عادة في المواساة بذلك قد
اعتادوه وقد روينا أن الأنصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك
فاتفق أن عين داود وقعت على امرأة رجل يقال له أوريا فأحبها فسأله
النزول له عنها فاستحيا أن يرده ففعل فتزوجها وهي أم سليمان فقيل له
إنك مع عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي
لك أن تسأل رجلا ليس له إلا امرأة واحدة النزول بل كان الواجب عليك
مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به وقيل خطبها أوريا
ثم خطبها داود فآثره أهلها فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المؤمن
مع كثرة نسائه وأما ما يذكر أن داود تمنى منزلة آبائه إبراهيم وإسحق
ويعقوب فقال يا رب إن آبائي قد ذهبوا بالخير كله فأوحى إليه إنهم ابتلوا
ببلايا فصبروا عليها قد ابتلي إبراهيم بنمرود وذبح ولده وإسحق بذ
بحه وذهاب بصره ويعقوب بالحزن على يوسف فسأل الابتلاء فأوحى إليه
إنك لمبتلى في يوم كذا فاحترس فلما حان ذلك اليوم دخل محرابه وأغلق
بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فجاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمد يده
ليأخذها لابن له صغير فطارت فامتد إليها فطارت فوقعت في كوة فتبعها
فأبصر امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امرأة أوريا





وهو من غزاة البلقاء فكتب إلى أيوب بن صوريا وهو صاحب بعث
البلقاء أن ابعث أوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على
التابوت لا يحل له أن يرجع حتى يفتح الله على يده أو يستشهد ففتح
الله على يده وسلم فأمر برده مرة أخرى وثالثة حتى قتل وأتاه خبر قتله فلم
يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فهذا ونحوه مما يقبح أن
يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من أفناء المسلمين فضلا عن
بعض أعلام الأنبياء وعن سعيد بن المسيب والحارث الأعور
أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه
القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الأنبياء وروي أنه
حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق فكذب
المحدث به وقال إن كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي أن يلتمس
خلافها وأعظم بأن يقال غير ذلك وإن كانت على ما ذكرت وكف الله عنها
سترا على نبيه فما ينبغي إظهارها عليه فقال عمر لسماعي الذي ضربه
الله لقصته عليه السلام ليس إلا طلبه إلى زوج المرأة أن ينزل له عنها
فحسب فإن قلت لم جاءت على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح قلت
لكونها أبلغ في التوبيخ من قبل أن التأمل إذا أداه إلى الشعور با
لمعرض به كان أوقع في نفسه وأشد تمكنا في قلبه وأعظم أثرا فيه
وأجلب لاحتشامه وحيائه وأدعى إلى التنبه على الخطأ فيه من أن يبادره
به صريحا مع مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة ألا ترى إلى الحكماء كيف

او صفقا اي سبابة الوسطى اذا وجدت منه هنة منكرة بان بعث فيه له
بانكارها عليه ولا يستقيم وان تحكي له حكاية مماثلة لحاله اذا انا مثلها
استسمج حال صاحب الحكاية فاستسمج حال نفسه وذلك ان
له لانه يتعجب ذلك مثالا لحاله ومقياسا لشانه فيتصور قبح ما وجد منه
بصورة مكشوفة مع انه اصون لما بين الوالد والولد من حجاب الحشمة
فان قلت فلم كان ذلك على وجه التحاكم اليه قلت ليحكم بما حكم به من قوله
لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه حتى يكون محجوجا بحكمه ومعترفا
بظلمه وهل اتيك نبأ الخصم ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على انه
من الانباء العجيبة التي حقها ان تشيع ولا تخفى على احد والتشويق
الى استماعه والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع كالضيف
قال الله حديث ضيف ابراهيم المكرمين لانه مصدر في اصله تقول خصمه
خصما كما تقول ضافه ضيفا فان قلت هذا جمع وقوله خصمان تثنية فكيف
استقام ذلك قلت معنى خصمان فريقان خصمان والدليل عليه قراءة من قرا
بغى بعضهم على بعض ونحوه قوله هذان خصمان اختصموا
فان قلت فما تصنع بقوله ان هذا اخي وهو دليل على اثنين قلت هذا قول
البعض المراد بقوله بعضنا على بعض فان قلت فقد جاء في الرواية انه
بعث اليه ملكان قلت معناه ان التحاكم كان بين ملكين فلا يمنع ذلك ان
يصحبهما آخرون فان قلت فاذا كان التحاكم بين اثنين كيف سماهم جميعا
خصما في قوله نبأ الخصم وخصمان قلت لما كان صحب كل واحد من المتحاكمين

على نفسه

في صورة الخصم صحت التسمية به فان قلت بم انتصب اذ قلت لا يخلو اما
ان ينتصب باتاك او بالنبأ او بمحذوف فلا يسوغ انتصابه باتاك لان
اتيان النبأ رسول الله لا يقع الا في عهده لا في عهد داود ولا بالنبأ
لان النبأ الواقع في عهد داود لا يصح اتيانه رسول الله وان اردت
بالنبأ القصة في نفسها لم يكن ناصبا فبقي ان ينتصب بمحذوف وتقديره
وهل اتيك نبأ تحاكم الخصم ويجوز ان ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل
واما اذ الثانية فبدل من الاولى تسوروا المحراب تصعدوا سوره ونزلوا
اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره في الابنية تسنمه اذا علا سنامه و
تذراه اذا علا ذروته روي ان الله بعث اليه ملكين في صورة انسانين
فطلبا ان يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه
المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم قال ابن عباس
ان داود عليه السلام جزأ زمانه اربعة اجزاء يوما للعبادة ويوما
للقضاء ويوما للاشتغال بخواص امره ويوما يجمع بني اسرائيل
فيعظهم ويبكيهم فجاؤه في غير يوم القضاء ففزع منهم لانهم نزلوا
عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه
خصمان خبر مبتدا محذوف اي نحن خصمان ولا تشطط ولا تجر وقرئ ولا
تشطط اي ولا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشاطط ولا تشطط وكلها من معنى
الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق وسواء الصراط وسطه ومحجته
ضربه مثلا لعين الحق ومحضه ❁ ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة

ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب ⁂ اخي بدل من هذا
او خبر لان والمراد اخوة الدين او اخوة الصداقة والالفة او اخوة
الشركة والخلطة لقوله وان كثيرا من الخلطاء وكل واحد من هذه الاخوات
تدلي بحق مانع من الاعتداء والظلم وقرئ تسع وتسعون بالفتح
بفتح التاء ونعجة بكسر النون وهذا من اختلاف اللغات نحو نطع ونطع
ولقوة ولقوة اكفلنيها ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت
يدي وعزني وغلبني يقال عزه يعزه قال ⁂ قطاة عزها شرك فباتت
تجاذبه وقد علق الجناح ⁂ يريد جاءني بحجاج لم اقدر ان اورد عليه
ما ارده به او اراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل او اراد خطبت المرأة
وخطبها هو فخاطبني خطابا اي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني
وقرئ وعازني من المعازة وهي المغالبة وقرأ ابو حيوة وعزني بتخفيف الزاي
طلبا للخفة وهو تخفيف غريب وكانه قاسه على نحو ظلت ومست فان قلت ما معنى
ذكر النعاج قلت كان تحاكمهم في نفسه تمثيلا وكلامهم تمثيلا لان التمثيل
ابلغ في التوبيخ لما ذكرنا وللتنبيه على انه امر يستحيى من كشفه فيكنى عنه
كما يكنى عما يستسمج الافصاح به وللستر على داود والاحتفاظ منه
ووجه التمثيل فيه ان مثلت قصته اوريا مع داود بقصة رجل له نعجة
خليطه واراده على الخروج من ملكها اليه وحاجه في ذلك محاجة حريص
على بلوغ مراده والدليل عليه قوله وان كثيرا من الخلطاء وانما خص هذه
القصة لما فيها من الرمز الى الغرض بذكر النعجة فان قلت انما يستقيم طريقة

التمثيل



يستقم

التمثيل اذا فسر الخطاب بالجدال فان فسر بالمفاعلة من الخطبة لم
تلك الوجه مع هذا التفسير ان يجعل النعجة استعارة عن المرأة
كما استعاروا لها الشاة في نحو قوله ⁂ يا شاة ما قنص لمن حلت له ⁂ فرميت
غفلة عينه عن شانه ⁂ وشبهها بالنعجة من قال ⁂ كنعاج الملا تعسفن
رملا ⁂ لو لاءات الخلطاء ابتداء متناولهم وللتعقيب فان قلت الملائكة عليهم
السلام كيف صح منهم ان يخبروا عن انفسهم بما لم يتلبسوا منه بقليل ولا
كثير ولا هو من شانهم قلت هو تصوير للمسئلة وفرض لها فصوروها
في انفسهم وكانوا في صورة الاناسي كما تقول في تصوير المسائل زيد له
اربعون شاة وعمرو له اربعون وانت تشير اليهما فخلطاها وحال عليها
الحول كم يجب فيها وما لزيد وعمرو سبد ولا لبد وتقول ايضا في تقدير
لها اربعون شاة ولك اربعون فخلطناها وما لكما من الاربعين اربعة ولا
ربعها فان قلت ما وجه قراءة ابن مسعود ولي نعجة انثى قلت يقال
امرأة انثى للحسناء الجميلة والمعنى وصفها بالعراقة في لين الانوثة
وفتورها وذلك املح لها وازيد في تكسرها وتثنيها الا ترى الى وصفهم لها
بالكسول والمكسال وقوله فتور القيام قطيع الكلام وقوله تمشي
رويدا تكاد تغرق ⁂ قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه و
ان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين امنوا وعملوا
الصالحات وقليل ما هم وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا
واناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن ماب ⁂ لقد

يرها

السؤال

ظلمك جواب قسم محذوف وفي ذلك استنكار لفعل خليطه وتهجين لطمعه و
مصدر مضاف إلى المفعول كقوله من دعاء الخير وقد ضمن معنى الإضافة
فعدي تعديتها كأنه قيل بإضافة نعجتك إلى نعاجه على وجه السؤال والطلب
فإن قلت كيف سارع إلى تصديق أحد الخصمين حتى ظلم الآخر قبل استماع
كلامه قلت ما قال ذلك إلا بعد اعتراف صاحبه ولكنه لم يحك في القرآن لأنه معلوم
ويروى أنه قال أنا أريد أن آخذها منه وأكمل نعاجي مائة فقال يا داود
أحق أن يضرب منك هذا وهذا وأنت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم
ير أحدا فعرف ما وقع فيه والخلطاء الشركاء الذين خلطوا أموالهم الواحد
الخليط وهي الخلطة وقد غلبت في الماشية والشافعي يعتبرها فإذا كان الرجلان
خليطين في ماشية بينهما غير مقسومة أو لكل واحد منهما ماشية على حدة إلا أن
مراحهما ومسقاهما وموضع حلبهما والراعي والكلب واحد والفحول
مختلطة فهما يزكيان زكاة الواحد فإن كانت لهما أربعون شاة فعليهما شاة
وإن كانوا ثلاثة ولهم مائة وعشرون لكل واحد أربعون فعليهم واحدة كما
لو كانت لواحد وعند أبي حنيفة لا تعتبر الخلطة والخليط والمنفرد
عنده واحد ففي أربعين بين خليطين لا شيء عنده وفي مائة وعشرين
بين ثلاثة ثلاث شياه فإن قلت فسر الخلطة ما تقول فيها قلت عليهما شاة
واحدة فيجب على ذي النعجة أداء جزء من مائة جزء من الشاة عند الشافعي
وعند أبي حنيفة لا شيء عليه فإن قلت ماذا أراد بذكر حال الخلطاء في ذلك
المقام قلت قصد به الموعظة الحسنة والترغيب في إيثار عادة الخلطاء
الصلحاء

ظ إذن لا ندعك وإن رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا وأشار إلى طرف الأنف والجبهة فقال يا داود صح



الخلطاء الصلحاء الذين حكم لهم بالقلة وأن يكره إليهم الظلم والاعتداء الذي
عليه أكثرهم مع التأسي على حالهم وأن يسلي المظلوم عما جرى عليه من خليطه
وأن له في أكثر الخلطاء أسوة وقرئ ليبغي بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة
وحذفها كقوله اضرب عنك الهموم طارقها وهو جواب قسم محذوف وليبغ
بحذف الياء اكتفاء منها بالكسرة وما في وقليل ما هم للإبهام وفيه تعجب من قلتهم
وإن أردت أن تتحقق فائدتها وموقعها فاطرحها عن قول امرئ القيس
وحديث ما على قصره وانظر هل بقي له معنى قط لما كان الظن الغالب
يداني العلم استعير له ومعناه وعلم داود وأيقن أنما فتناه أنما ابتليناه
بامرأة أوريا هل يثبت أم يزل وقرئ فتناه بالتشديد للمبالغة و
أفتناه من قوله لئن فتنتني لهي بالأمس أفتنت وفتناه وفتناه على
أن الألف ضمير الملكين وعبر بالراكع عن الساجد لأنه ينحني و
يخضع كالساجد وبه استشهد أبو حنيفة وأصحابه في سجدة التلاوة
على أن الركوع يقوم مقام السجود وعن الحسن لأنه لا يكون ساجدا
حتى يركع ويجوز أن يكون قد استغفر الله لذنبه وأحرم بركعتي
الاستغفار والإنابة فيكون المعنى وخر للسجود راكعا أي مصليا لأن الركوع
يجعل عبارة عن الصلاة وأناب ورجع إلى الله بالتوبة والتنصل
وروي أنه بقي ساجدا أربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه إلا لصلاة
مكتوبة أو ما لا بد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت العشب من دمعه
إلى رأسه ولم يشرب ماء إلا وثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا إلى الله في
العفو

عنه حتى يملك ويشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على
ملكه ودعا الى نفسه واجتمع اليه اهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر
له حارب ابنه فهزمه وروي انه نقش خطيئته في كفه حتى لا ينساها وقيل
ان الخصمين كانا من الانس وكانت الخصومة على الحقيقة بينهما اما لانهما كانا
خليطين في الغنم واما لان احدهما موسر وله نسوان كثيرة من المهائر
والسراري والثاني معسر ما له الا امراة واحدة فاستنزله عنها وانما
فزع لدخولهما عليه في غير وقت الحكومة ان يكونا مغتالين وما كان ذنب
داود الا انه صدق احدهما على الاخر وظلمه قبل مسألته ﴿يا داود
انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى
فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب
شديد بما نسوا يوم الحساب﴾ خليفة في الارض اي استخلفناك
على الملك في الارض كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد
ويملكه عليها ومنه قولهم خلفاء الله في ارضه او جعلناك خليفة ممن كان قبلك
من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل على ان حاله بعد التوبة بقيت على
ما كانت عليه لم تتغير فاحكم بين الناس بالحق اي بحكم الله اذ كنت خليفته
ولا تتبع هوى النفس في قضائك وغيره مما تتصرف فيه من اسباب الدين
والدنيا فيضلك الهوى فيكون سببا لضلالك عن سبيل الله عن دلائله
التي نصبها في العقول وعن شرائعه التي شرعها الله واوحى بها ويوم
الحساب متعلق بنسوا اي بنسيانهم وضلالهم عن سبيل الله وعن

بعض



خلفاء بني مروان انه قال لعمر بن عبد العزيز او للزهري هل سمعت
ما بلغنا قال وما هو قال بلغنا ان الخليفة لا يجري عليه القلم
ولا يكتب عليه معصية فقال يا امير المؤمنين الخلفاء افضل ام الانبياء
ثم تلا هذه الاية ﴿وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا
ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار﴾ باطلا
لا لغرض صحيح وحكمة بالغة او مبطلين عابثين كقوله وما
خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق وتقديره
ذوي باطل او عبثا فوضع باطلا موضعه كما وضعوا هنيئا موضع
المصدر وهو صفة اي ما خلقناهما وما بينهما للعبث
واللعب ولكن للحق المبين وهو انا خلقنا نفوسا اودعناها العقل
والتمييز ومنحناها التمكين وازحنا عللها ثم عرضناها للمنافع
العظيمة بالتكليف واعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب اعمالهم
وذلك اشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون اي خلقها للعبث
لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا فان قلت اذا كانوا مقرين بان
الله خالق السموات والارض وما بينهما بدليل قوله ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله فبم جعلوا ظانين انه خلقها
للعبث لا للحكمة قلت لما كان انكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب
مؤديا الى ان خلقها عبث وباطل جعلوا كانهم يظنون ذلك ويقولونه
لان الجزاء هو الذي سيقت اليه الحكمة في خلق العالم من راسها فمن

جحد فقد جحد الحكمة من أصلها ومن جحد الحكمة في خلق العالم فقد
سفه الخالق وظهر بذلك أنه لا يعرفه ولا يقدره حق قدره فكان إقراره
بكونه خالقاً كلا إقرار ﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار﴾ أم منقطعة ومعنى
الاستفهام فيها الإنكار والمراد أنه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لا
ستوت عند الله أحوال من أصلح وأفسد واتقى وفجر ومن سوى
بينهم كان سفيهاً ولم يكن حكيماً ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا
آياته وليتذكر أولوا الألباب﴾ وقرئ مباركاً وليتدبروا على الأصل
ولتدبروا على الخطاب وتدبر الآيات التفكر فيها والتأمل الذي يؤدي
إلى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة
لأن من اقتنع بظاهر المتلو لم يحل منه بكثير طائل وكان مثله كمثل من له
لقحة درور لا يحلبها ومهرة نثور لا يستولدها وعن الحسن
قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه
وضيعوا حدوده حتى إن أحدهم ليقول والله لقد قرأت القرآن فما
أسقطت منه حرفاً وقد والله أسقطه كله ما يرى للقرآن عليه
أثر في خلق ولا عمل والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده والله ما هؤ
لاء بالحكماء ولا الوزعة لا أكثر الله في الناس مثل هؤلاء اللهم اجعلنا من
العلماء المتدبرين وأعذنا من القراء المتكبرين ﴿ووهبنا لداود
سليمان نعم العبد إنه أواب﴾ وقرئ نعم العبد على الأصل والمخصوص

محذوف وعلل كونه ممدوحاً بكونه أواباً رجاعاً إليه بالتوبة أو مسبحاً
مؤوباً للتسبيح مرجعاً له لأن كل مؤوب أواب ﴿إذ عرض عليه بالعشي
الصافنات الجياد﴾ والصافن الذي في قوله ألف الصفون فما يزال كأنه مما يقوم
على الثلاث كسيراً وقيل الذي يقوم على طرف سنبك يد أو رجل وهو المتخيم وأما الصافن
فالذي يجمع بين يديه وعن النبي عليه السلام من سره أن يقوم له الناس صفوناً فليتبوأ
مقعده من النار أي واقفين كما يخدم الجبابرة فإن قلت ما معنى وصفها با
لصفون قلت الصفون لا يكاد يكون في الهجن وإنما هو في العراب الخلص و
قيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية
يعني إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها وإذا جرت كانت سراعاً خفافاً في
جريها وروي أن سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب ألف فرس و
قيل ورثها من أبيه وأصابها أبوه من العمالقة وقيل خرجت من البحر لها أجنحة
فقعد يوماً بعدما صلى الأولى على كرسيه واستعرضها فلم يزل تعرض عليه حتى
غربت الشمس وغفل عن العصر أو عن ورد من الذكر كان له وقت العشي
وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها مقرباً بالله وبقي مائة
فما في أيدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها أبدله الله خيراً منها
وهي الريح تجري بأمره ﴿فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت
بالحجاب﴾ فإن قلت ما معنى أحببت حب الخير عن ذكر ربي قلت أحببت مضمن
معنى فعل يتعدى بعن كأنه قيل أنبت حب الخير عن ذكر ربي أو جعلت حب
الخير مجزياً أو مغنياً عن ذكر ربي وذكر أبو الفتح الهمداني في كتاب التبيان

ان احببت بمعنى لزمت من قوله مثل بعير السوء اذ احبا
الخير المال كقوله ان ترك خيرا وقوله وانه لحب الخير لشديد والمال
الخيل التي شغلته او سمى الخيل خيرا كانها نفس الخير لتعلق الخير بها قال
رسول الله عم الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيمة وقال في زيد الخيل
حين وفد عليه واسلم ما وصف لي رجل فرايته الا كان دون ما بلغني الا زيد الخيل
وسماه زيد الخير وسال رجل بلالا رضي الله عنه عن قوم يستبقون من السابق
فقال رسول الله فقال له الرجل اردت الخيل فقال وانا اردت الخير والتواري
بالحجاب مجاز في غروب الشمس عن تواري الملك او المخبأة بحجابها والذي
دل على ان الضمير للشمس مرور ذكر العشي ولا بد للمضمر من جري
ذكر او دليل ذكر وقيل الضمير للصافنات اي حتى توارت بحجاب الليل يعني الظلام
ومن بدع التفاسير ان الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من
ورائه ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق فطفق مسحا
فجعل يمسح مسحا اي يمسح السيف بسوقها واعناقها يعني يقطعها
تقول مسح علاوته اذا ضرب عنقه ومسح المسفر الكتاب اذا
قطع اطرافه بسيفه وعن الحسن كسف عراقيبها وضرب اعناقها اراد بالكسف
القطع ومنه الكسف في القاب الزحاف في العروض ومن قاله بالشين المعجمة
فمصحف وقيل مسحها بيده استحسانا لها واعجابا بها فان قلت بم اتصل قوله
ردوها علي قلت بمحذوف تقديره قال ردوها علي فاضمر ما هو جواب له
كان قائلا قال فماذا قال سليمان لانه موضع مقتض للسؤال اقتضاء ظاهرا

وهو



وهو اشتغال نبي من انبياء الله بامر الدنيا حتى تفوته الصلوة عن وقتها
وقرئ بالسؤق بهمز الواو لضمتها كما في ادؤر ونظيره الغؤور في
مصدر غارت الشمس واما من قرأ بالسؤوق فقد جعل الضمة
في السين كانها في الواو للتلاصق كما قيل مؤسى ونظير ساق وسوق
اسد واسد وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس
ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب قيل
فتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين
سنة وكان من فتنته انه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش
لم ننفك من السخرة فسبيلنا ان نقتله او نخبله فعلم ذلك فكان يغذوه
في السحاب فما راعه الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه في ان
لم يتوكل على ربه فاستغفر ربه وتاب اليه وروي عن النبي صلى الله عم
قال سليمان لاطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تاتي بفارس يجاهد
في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة
جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا
في سبيل الله فرسانا اجمعون فذلك قوله ولقد فتنا سليمان
وهذا ونحوه مما لا باس به واما ما يروى من حديث الخاتم و
الشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان فالله اعلم بصحته حكوا ان
سليمان بلغه خبر صيدون وهي مدينة في بعض الجزائر وان بها
ملكا عظيم الشأن لا يقوى عليه لتحصنه بالبحر فخرج اليه تحمله الريح
حتى اناخ بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها واصاب بنتا له

السجاجد اذ هي احسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه واسلمت
واحبها وكانت لا يرقا دمعها حزنا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورة
ابيها فكستها مثل كسوته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدن
له كعادتهن في ملكه فاخبر آصف سليمان ذلك فكسر الصورة وعاقب
المرأة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا
الى الله متضرعا وكانت له ام ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة
امرأة وضع خاتمه عندها وكان ملكه في خاتمه فوضعه عندها يوما واتاها
الشيطان صاحب البحر وهو الذي دل سليمان على الماس حين
امر ببناء بيت المقدس واسمه صخر على صورة سليمان فقال
يا امينة خاتمي فتختم به وجلس على كرسي سليمان وعكفت عليه
الطير والجن والانس وغير سليمان عن هيئته فاتى امينة لطلب الخاتم
فانكرته وطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على
البيوت يتكفف واذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد
الى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك
اربعين صباحا عدد ما عبد الوثن في بيته فانكر آصف وعظماء بني اسرائيل
حكم الشيطان وسأل آصف نساء سليمان فقلن ما يدع امرأة منا في دمها ولا
يغتسل من جنابة وقيل بل نفذ حكمه في كل شيء الا فيهن ثم طار الشيطان و
قذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان فبقر
بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدا ورجع اليه ملكه وجاب صخرة
لصخر فجعله فيها وسد عليه باخرى ثم اوثقهما بالحديد والرصاص وقذفه في

في البحر



وقيل لما افتتن كان يسقط الخاتم من يده ولا يتماسك فيها فقال له آصف انك
لمفتون بذنبك والخاتم لا يقر في يدك فتب الى الله ولقد ابى العلماء
المتقنون قبوله وقالوا هذا من اباطيل اليهود والشياطين لا
يتمكنون من مثل هذه الافاعيل وتسليط الله اياهم على عباده حتى يقعوا
في تغيير الاحكام وعلى نساء الانبياء حتى يفجروا بهن قبيح واما اتخاذ
التماثيل فيجوز ان تختلف فيه الشرائع الا ترى الى قوله من محاريب و
تماثيل واما السجود للصورة فلا يظن بنبي الله ان يأذن فيه واذا كان
بغير علمه فلا عليه وقوله والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب عن افادة
معنى انابة الشيطان منابه نبوا ظاهرا قال رب اغفر لي وهب لي ملكا
لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب وتقديم الاستغفار على استيهاب
الملك جريا على عادة الانبياء والصالحين في تقديمهم امر دينهم على
امور دنياهم لا ينبغي لا يتسهل ولا يكون ومعنى من بعدي من دوني فان
ان لا يشبه الحسد والحرص على الاستبداد بالنعمة ان يستعطي الله ما لا
يعطيه غيره وقيل كان سليمان عليه السلام ناشئا في بيت الملك والنبوة
ووارثا لهما فاراد ان يطلب من ربه معجزة فطلب على حسب الفه ملكا زائدا
على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الاعجاز ليكون معجزا حتى يخرق
العادات فذلك معنى قوله لا ينبغي لاحد من بعدي وقيل كان ملكا
عظيما فخاف ان يعطى مثله احد فلا يحافظ على حدود الله كما قالت الملائكة
اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك وقيل

ملكا لا اسلبه ولا يقوم غيري فيه مقامي كما سلبته مرة واقيم فيه مقامي غيري
ويجوز ان يقال علم الله فيما اختصه به من ذلك الملك العظيم مصالح في التدبير
وعلم انه لا يضطلع باعبائه غيره واوجبت الحكمة استيهابه فامره ان يستو
هبه اياه فاستوهبه بامر من الله على الصفة التي علم الله انه لا يضبطه عليها الا
هو وحده دون سائر عباده او اراد ان يقول ملكا عظيما فقال لا ينبغي لا
حد من بعدي ولم يقصد بذلك الا عظم الملك وسعته كما يقول لفلان ما
ليس لاحد من الفضل والمال وربما كان للناس امثال ذلك ولكنك تريد
تعظيم ما عنده وعن الحجاج انه قيل له انك حسود فقال احسد مني من قال
وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي وهذا من اجترائه على الله وشيطنته
كما حكي عنه طاعتنا اوجب من طاعة الله لانه شرط في طاعته فقال فاتقوا
الله ما استطعتم واطلق طاعتنا فقال واولي الامر منكم ❁ فسخرنا له الريح
تجري بامره رخاء حيث اصاب ❁ قرئ الريح والرياح رخاء لينة طيبة
لا تزعزع وقيل طيعة له لا تمتنع عليه حيث اصاب حيث قصد واراد حكى
الاصمعي عن العرب اصاب الصواب فاخطا الجواب وعن رؤبة ان
رجلين من اهل اللغة قصداه ليسالاه عن هذه الكلمة فخرج اليهما فقال
اين تصيبان فقالا هذه طلبتنا ورجعا ويقال اصاب الله بك خيرا ❁ و
الشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد هذا عطاؤنا فا
منن او امسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن مآب ❁
والشياطين عطف على الريح وكل بناء بدل من الشياطين وآخرين عطف على

كل

192

كل داخل في حكم البدل وهو بدل الكل من الكل كانوا يبنون له ما شاء
من الابنية ويغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ وهو اول من استخرج الدر
من البحر وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والسلا
سل للتاديب والكف عن الفساد وعن السدي كان يجمع ايديهم الى اعناقهم
مغللين في الجوامع والصفد القيد وسمي به العطاء لانه ارتباط
للمنعم عليه ومنه قول علي رضي الله عنه من برك فقد اسرك ومن جفاك فقد
اطلقك ومنه قول القائل غل يدا مطلقها وارق رقبة معتقها وقال حبيب
ان العطاء اسار وتبعه من قال اوله وقيدت نفسي في ذراك محبة ومن وجد
الاحسان قيدا تقيدا وفرقوا بين الفعلين فقالوا صفده واصفده
اعطاه كوعده واوعده اي هذا الذي اعطيناك من الملك والمال والبسطة
عطاؤنا بغير حساب يعني جما كثيرا لا يكاد يقدر على حسبه وحصره فامنن
من المنة وهي العطاء اي فاعط منه ما شئت او امسك مفوضا اليك التصرف
فيه وفي قراءة ابن مسعود هذا فامنن او امسك عطاؤنا بغير حساب
او هذا التسخير عطاؤنا فامنن على من شئت من الشياطين بالاطلاق و
امسك من شئت منهم في الوثاق بغير حساب اي لا حساب عليك في ذلك
❁ واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب
❁ ايوب عطف بيان واذ بدل اشتمال منه اني مسني باني مسني حكاية لكلامه
الذي ناداه بسببه ولو لم يحك لقال بانه مسه لانه غائب وقرئ بنصب
بضم النون وفتحها مع سكون الصاد وبفتحهما وضمهما فالنصب والنصب

كالرُّشد والرَّشد والنَّصب على اصله المصدر والنُّصب بتثقيل نُصُب والمعنى
واحد وهو التعب والمشقة والعذاب الالم يريد مرضه وما كان يقاسي فيه
من انواع الوصب وقيل الضر في البدن والعذاب في ذهاب الاهل والمال فلعله
ما نسبه الى الشيطان ولا يجوز ان يسلطه الله على انبيائه ليقضي من اتعابهم وتعذ
يبهم وطره ولو قدر على ذلك لم يدع صالحا الا وقد ابتلاه واهلكه وقد تقرر في
القرآن انه لا سلطان له الا على من تولاه غضب فلعله لما كانت وسوسته اليه و
طاعته له فيما وسوس سببا فيما مسه الله به من النصب والعذاب نسبه اليه
وقد راعى الادب في ذلك حيث لم ينسبه الى الله في دعائه مع انه فاعله ولا يقدر عليه
الا هو وقيل اراد ما كان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء
وتغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله في ان يكفيه ذلك بكشف البلاء او با
لتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل وروي انه كان يعوده ثلثة من المؤمنين
فارتد احدهم فسأل عنه فقيل القى اليه الشيطان ان الله لا يبتلي الانبياء
والصالحين وذكر في سبب بلائه ان رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه وقيل
كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه وقيل اعجب بكثرة ماله
اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ۞ اركض برجلك حكاية لما اجيب
به ايوب اي اضرب برجلك الارض وعن قتادة هي ارض الجابية فضربها فنبعت
عين فقيل هذا مغتسل بارد وشراب اي هذا ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرأ
به باطنك وظاهرك وتنقلب ما لك قلبه وقيل نبعت له عينان فاغتسل من احديهما
وشرب من الاخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه باذن الله وقيل ضرب بر

جله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها ۞ ووهبنا له اهله ومثلهم معهم
رحمة منا وذكرى لاولي الالباب ۞ رحمة منا وذكرى مفعول لهما والمعنى
ان الهبة كانت للرحمة له ولتذكير اولي الالباب لانهم اذا سمعوا بما
انعمنا به عليه لصبره رغبهم في الصبر على البلاء وعاقبة الصابرين وما يفعل
الله بهم وخذ معطوف على اركض ۞ وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث
انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب ۞ والضغث الحزمة الصغيرة
من حشيش او ريحان او غير ذلك وعن ابن عباس قبضة من الشجر كان
حلف في مرضه ليضربن امرأته مائة اذا برأ فحلل الله يمينه باهون شيء
عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهذه الرخصة با
قية وعن النبي ع انه قيل انه مخدج قد خبث بامة فقال خذوا
عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة ويجب ان يصيب المضروب
كل واحد من المائة اما باطرافها قائمة واما باعراضها مبسوطة مع و
جود صورة الضرب وكان السبب في يمينه انها ابطأت عليه ذاهبة في
حاجة فحرج صدره وقيل باعت ذؤابتيها برغيفين وكانتا متعلق ايوب
اذا قام وقيل قال لها الشيطان اسجدي لي سجدة واردّ عليكم مالكم و
اولادكم فهمت بذلك فادركتها العصمة فذكرت ذلك له فحلف وقيل او
همها الشيطان ان ايوب اذا شرب الخمر برأ فعرضت له بذلك وقيل
سألته ان يقرب للشيطان بعناق انا وجدناه صابرا اعلمناه صابرا فان
قلت كيف وجده صابرا وقد شكا اليه ما به واسترحمه قلت الشكوى

الى الله لكن لا تسمى جزعا ولقد قال يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني
الى الله وكذلك شكوى العليل الى الطبيب وذلك ان اجهد الناس على البلاء
لا يخلوا من تمنى العافية وطلبها واذا صح ان يسمى صابرا مع تمنى
العافية وطلب الشفاء فليسم صابرا مع اللجاء الى الله تعالى والدعاء
بكشف ما به ومع التعالج ومشاورة الاطباء على ان ايوب عليه السلام كان يطلب
الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس اليهم
انه لو كان نبيا لما ابتلى بمثل ما ابتلى به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ
امره الى ان لم يبق منه الا القلب واللسان ويروى انه قال في مناجاته الهي قد
علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يلهني ما ملكت
يميني ولم آكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع او
عريان فكشف الله عنه ﴿واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب اولى
الايدي والابصار﴾ ابراهيم واسحق ويعقوب عطف بيان لعبادنا
ومن قرأ عبدنا جعل ابراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا
وهي اسحق ويعقوب كقراءة ابن عباس واله ابيك ابراهيم واسمعيل واسحق لما
كان اكثر الاعمال تباشر بالايدي غلبت فقيل في كل عمل هذا مما عملت ايديهم و
ان كان عملا لا يتأتى فيه المباشرة بالايدي او كان العمال جذما لا ايدي لهم وعلى
ذلك ورد قوله تعالى اولى الايدي والابصار يريد اولى الاعمال والفكر كأن الذين
لا يعملون اعمال الاخرة ولا يجاهدون في الله ولا يفكرون افكار ذوي الديانات ولا
يستبصرون في حكم الزمنى الذين لا يقدرون على اعمال جوارحهم والمسلوبي
العقول





الذين لا استبصار بهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من
المستبصرين في دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم
متمكنين منهما وقرئ اولى الايادي على جمع الجمع وفي قراءة ابن مسعود
اولى الايد على طرح الياء والاكتفاء بالكسرة وتفسيره بالايد من التأييد
قلق غير متمكن ﴿انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار﴾ اخلصناهم جعلناهم
لنا خالصين بخالصة بخصلة خالصة لا شوب فيها ثم فسرها بذكرى الدار
شهادة لذكرى الدار بالخلوص والصفاء وانتفاء الكدورة عنها وقرئ
على الاضافة والمعنى بما خلص من ذكرى الدار على انهم لا يشوبون ذكرى
الدار بهم آخر انما همتهم ذكرى الدار لا غير ومعنى ذكرى الدار ذكراهم
الاخرة دائما ونسيانهم اليها ذكر الدنيا او تذكيرهم الاخرة وترغيبهم
فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شان الانبياء وديدنهم وقيل ذكرى الدار
الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم فان قلت ما معنى
اخلصناهم بخالصة قلت معناه اخلصناهم بسبب هذه الخصلة وبانهم من
اهلها او اخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارها وتعضد الاول
قراءة من قرأ بخالصتهم ﴿وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار﴾ لمن
المصطفين المختارين من ابناء جنسهم والاخيار جمع خير او خير على
التخفيف كاموات في جمع ميت او ميت ﴿واذكر اسمعيل واليسع
وذا الكفل وكل من الاخيار﴾ واليسع كان حرف التعريف دخل على يسع

وقرئ واللَّيسع كأن حرف التعريف دخل على ليسع فيعل من اللسع و
التنوين فيه وكل عوض من المضاف اليه معناه وكلهم من الاخيار ؞ هذا ذكر
وان للمتقين لحسن مآب ؞ هذا ذكر اي هذا نوع من الذكر وهو القرآن لما
اجرى ذكر الانبياء واتمه وهو باب من ابواب التنزيل ونوع من انواعه و
اراد ان يذكر على عقبه بابا آخر وهو ذكر الجنة واهلها قال هذا ذكر ثم قال
وان للمتقين كما يقول الجاحظ في كتابه فهذا باب ثم يشرع في باب آخر ويقول
الكاتب اذا فرغ من فصل من كتابه واراد الشروع في آخر هذا وقد كان كيت و
كيت والدليل عليه انه لما اتم ذكر اهل الجنة واراد ان يعقبه بذكر اهل النار
قال هذا وان للطاغين وقيل معناه هذا شرف وذكر جميل يذكرون به ابدا و
عن ابن عباس هذا ذكر من مضى من الانبياء ؞ جنات عدن مفتحة لهم الابواب
؞ جنات عدن معرفة كقوله جنات عدن التي وعد الرحمن وانتصابها على
انها عطف بيان لحسن مآب ومفتحة حال والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل
وفي مفتحة ضمير الجنات والابواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هي الابواب
كقولك ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال وقرئ جنات عدن مفتحة
بالرفع على ان جنات عدن مبتدأ ومفتحة خبره او كلاهما خبر مبتدأ محذوف اي
هي جنات عدن هي مفتحة لهم ؞ متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم
قاصرات الطرف اتراب ؞ لدات اللدات سنهن اترابا لان التراب مسهن في وقت وا
حد وانما جعلهن على سن واحدة لان التحاب بين الاقران اثبت وقيل هذا

عطف

عطف على قوله وانما جعلهن على سن واحدة لان التحاب والوجه الاول
اشارة الى ان المعنى ان بعضهن ترب بعض وهذا الوجه الى ان القاصرات
وازواجهن اتراب اي هذه اتراب الازواج اسنانهن كاسنانهم
؞ هذا ما توعدون ليوم الحساب ان هذا لرزقنا ما له من نفاد ؞ هذا
وان للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد ؞ قرئ توعدون
بالتاء والياء ليوم الحساب لاجل يوم الحساب كما تقول هذا ما تدخرون
ليوم الحساب اي ليوم تجزى كل نفس ما عملت هذا اي الامر هذا
او هذا كما ذكر فبئس المهاد كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم
غواش شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفترشه النائم ؞ هذا
فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله ازواج ؞ اي هذا حميم
فليذوقوه وقوله او العذاب هذا فليذوقوه ثم ابتدأ فقال هو حميم
وغساق او هذا فليذوقوه بمنزلة واياي فارهبون اي ليذوقوا هذا
فليذوقوه والغساق بالتخفيف والتشديد ما يغسق من صديد اهل
النار يقال غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره و
الغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة في المشرق لنتنت اهل
المغرب ولو قطرت منه قطرة في المغرب لنتنت اهل المشرق وعن الحسن
الغساق عذاب لا يعلمه الا الله ان الناس اخفوا لله طاعة فاخفى لهم
ثوابا في قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم واخفوا معصية فا
خفى لهم عقوبة وآخر ومن قرئ وآخر من شكله هذا المذوق

نه

من مثله فى الشدة والفظاعة ازواج اجناس وقرئ واخرى اى وعذاب آخر
او مذوق آخر وازواج صفة لآخر لانه يجوز ان يكون ضروبا او صفة للثلثة
وهى حميم وغساق وآخر من شكله وقرئ من شكله بالكسر وهى لغة واما الغنج
فبالكسر لا غير ۞ هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم انهم صالوا النار ۞ هذا
فوج مقتحم معكم هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار اى دخل النار فى
صحبتكم وقرانكم والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها والقحمة الشدة و
هذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض اى يقولون هذا والمراد بالفوج
اتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب لا مرحبا
بهم دعاء منهم على اتباعهم تقول لمن تدعو له مرحبا اى اتيت رحبا من البلاد
لا ضيقا او رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه لا فى دعاء السوء وبهم بيان
للمدعو عليهم انهم صالوا النار تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم ونحوه
قوله تعالى كلما دخلت امة لعنت اختها وقيل هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزنة
لرؤساء الكفرة فى اتباعهم ولا مرحبا بهم انهم صالوا النار كلام الرؤساء
وهذا كله كلام الخزنة ۞ قالوا بل انتم لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا
فبئس القرار ۞ قالوا اى الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم يريدون الدعاء الذى
دعوتم به علينا انتم احق به وعللوا ذلك بقولهم انتم قدمتموه لنا والضمير
للعذاب او لصليهم فان قلت ما معنى تقديمهم العذاب لهم قلت المقدم
هو عمل السوء قال الله تعالى ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم و
لكن الرؤساء لما كانوا السبب فيه باغوائهم وكان العذاب جزاءهم عليه قيل

انتم



انتم قدمتموه لنا فجعل الرؤساء هم المقدمين وجعل الجزاء هو
المقدم فجمع بين مجازين لان العاملين هم المقدمون فى الحقيقة لا
رؤساؤهم والعمل هو المقدم لا جزاؤه فان قلت فالذى جعل قوله لا
مرحبا بهم من كلام الخزنة ما يصنع بقوله بل انتم لا مرحبا بكم و
المخاطبون اعنى رؤساءهم لم يتكلموا بما يكون هذا جوابا له قلت كانه
قيل هذا الذى دعا به علينا الخزنة انتم يا رؤساء احق به منا لاغوائكم
ايانا وتسببكم فيما نحن فيه من العذاب وهذا صحيح كما لو زين قوم
لقوم بعض المساوى فارتكبوه فقيل للمزينين اخزى الله هؤلاء
ما اسوأ فعلهم فقال المزين لهم للمزينين بل انتم اولى بالخزى منا
فلولا انتم لم نرتكب ذلك ۞ قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده
عذابا ضعفا فى النار ۞ قالوا هم الاتباع ايضا فزده عذابا ضعفا
اى مضاعفا ومعناه ذا ضعف ونحوه قوله ربنا هؤلاء اضلونا
فآتهم عذابا ضعفا وهو ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله
ربنا آتهم ضعفين من العذاب وجاء فى التفسير عذابا ضعفا
حيات وافاعى ۞ وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار
۞ وقالوا الضمير للطاغين رجالا يعنون فقراء المسلمين الذين لا
يؤبه لهم من الاشرار من الاراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى ولا
نهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا عندهم اشرارا ۞ اتخذناهم
سخريا ام زاغت عنهم الابصار ۞ اتخذناهم سخريا قرئ

بلفظ الاخبار على انه صفة لرجالا مثل قوله كنا نعدهم من الاشرار
وبهمزة الاستفهام على انه انكار على انفسهم وتانيب لها في الاستسخار
منهم وقوله ام زاغت عنهم الابصار له وجهان من الاتصال احدهما ان
يتصل بقوله ما لنا اي ما لنا لا نراهم في النار اليسوا فيها بل زاغت
عنهم ابصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا امرهم بين ان يكونوا من اهل
الجنة وبين ان يكونوا من اهل النار الا انه خفي عليهم مكانهم والوجه
الثاني ان يتصل باتخذناهم سخريا اما ان تكون ام متصلة على معنى اي الفعلين
فعلنا بهم الاستسخار منهم ام الازدراء بهم وتحقيرهم وان ابصارنا كانت
تعلو عنهم وتقتحمهم على معنى انكار الامرين جميعا على انفسهم وعن الحسن
كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم ابصارهم تحقيرا لهم
واما ان تكون منقطعة بعد مضي اتخذناهم سخريا على الخبر او الاستفهام
كقولك انها لابل بل اهي شاء وما زيد عندك ام عمرو ولك ان تقدر
همزة الاستفهام محذوفة فيمن قرا بغير همزة لان ام تدل عليها فلا
تفترق القراءتان اثبات همزة الاستفهام وحذفها وقيل الضمير في وقالوا
لصناديد قريش كابي جهل والوليد واضرابهم والرجال عمار و
صهيب وبلال واشباههم وقرئ بالفتح والكسر •• ان ذلك لحق تخا
صم اهل النار •• ان ذلك الذي حكينا عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به ثم بين
ما هو فقال هو تخاصم اهل النار وقرئ بالنصب على انه صفة لذلك لان
اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس فان قلت لم سمي ذلك تخاصما

قلت



قلت شبه تقاولهم وما يجري بينهم من السؤال والجواب بما يجري بين
المتخاصمين من نحو ذلك ولان قول الرؤساء لا مرحبا بهم وقول
الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة فسمي التقاول كله
تخاصما لاجل اشتماله على ذلك •• قل انما انا منذر وما من اله الا الله
الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار ••
قل يا محمد لمشركي مكة ما انا الا رسول منذر انذركم عذاب الله
للمشركين واقول لكم ان دين الحق توحيد الله وان يعتقد ان لا اله
الا الله الواحد بلا ند ولا شريك القهار لكل شيء وان الملك و
الربوبية له في العالم كله وهو العزيز الذي لا يغلب اذا عاقب
العصاة وهو مع ذلك الغفار لذنوب من التجا اليه او قل لهم
ما انا الا منذر لكم ما اعلم وانا انذركم عقوبة من هذه صفته فان
مثله حقيق بان يخاف عقابه كما هو حقيق بان يرجى ثوابه •• قل هو
نبا عظيم انتم عنه معرضون ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يخت
صمون ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اذ قال ربك للملائكة
اني خالق بشرا من طين •• قل هو نبا عظيم اي هذا الذي
انباتكم به من كوني رسولا منذرا وان الله واحد لا شريك له
نبا عظيم لا يعرض عن مثله الا غافل شديد الغفلة ثم احتج
لصحة نبوته بان ما ينبئ به عن الملا الاعلى واختصامهم امر ما
كان له به من علم قط ثم علمه ولم يسلك الطريق الذي يسلكه الناس

في علم ما لم يعلموا وهو الاخذ من اهل العلم وقراءة الكتب فعلم ان ذلك
لم يحصل له الا بالوحي من الله ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اي لانما
انا نذير مبين ومعناه ما يوحى الي الا للانذار فحذف اللام وانتصب
بافضاء الفعل اليه ويجوز ان يرتفع على معنى ما يوحى الي الا هذا او
هو ان انذر وابلغ ولا افرط في ذلك اي ما اومر الا بهذا الامر وحده
وليس الي غير ذلك وقرئ انما بالكسر على الحكاية اي الا هذا القول و
هو ان اقول لكم انما انا نذير مبين ولا ادعي شيئا آخر وقيل النبأ العظيم
قصص آدم والانبياء به من غير سماع من احد وعن ابن عباس القرآن
وعن الحسن يوم القيمة فان قلت بم يتعلق اذ يختصمون قلت
بمحذوف لان المعنى ما كان لي من علم بكلام الملاء الاعلى وقت اختصامهم
واذ قال بدل من اذ يختصمون فان قلت ما المراد بالملاء الاعلى قلت
اصحاب القصة الملائكة وآدم وابليس لانهم كانوا في السماء وكان التقاول
بينهم فان قلت ما كان التقاول بينهم انما كان بين الله وبينهم لان الله سبحانه هو
الذي قال لهم وقالوا له فانت بين امرين اما ان تقول الملاء الاعلى هؤلاء و
كان التقاول بينهم ولم يكن التقاول بينهم واما ان تقول التقاول كان بين الله
وبينهم فقد جعلته من الاعلى قلت كانت مقاولة الله بواسطة ملك فكان
المقاول في الحقيقة هو الملك المتوسط فصح ان التقاول كان بين الملائكة
وآدم وابليس وهم الملاء الاعلى والمراد بالاختصام التقاول على
ما سبق فان قلت كيف صح ان يقول لهم اني خالق بشرا وما عرفوا
البشر



البشر ولا عهدوا به قبل قلت وجهه ان يكون قد قال لهم اني خالق
خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم ❀ فاذا
سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة
كلهم اجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين ❀ فاذا سويته
فاذا اتممت خلقه وعدلته ونفخت فيه من روحي واحييته و
جعلته حساسا متنفسا فقعوا فخروا كل للاحاطة واجمعون
للاجتماع فافادا معا انهم سجدوا عن آخرهم ما بقي منهم ملك الا
سجد وانهم سجدوا جميعا في وقت واحد غير متفرقين
في اوقات فان قلت كيف ساغ السجود لغير الله قلت الذي لا
يسوغ هو السجود لغير الله على وجه العبادة فاما على وجه
التكرمة والتبجيل فلا يأباه العقل الا ان يعلم الله فيه مفسدة ف
ينهى عنه فان قلت كيف استثنى ابليس من الملائكة
وهو من الجن قلت قد امر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله
فسجد الملائكة ثم استثني كما يستثنى الواحد منهم استثناء متصلا
وكان من الكافرين اريد وجود كفره ذلك الوقت وان لم يكن قبله
كافرا لان كان مطلق في جنس الاوقات الماضية فهو صالح لايها شئت و
يجوز ان يراد وكان من الكافرين في الازمنة الماضية في علم الله ❀
قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام
كنت من العالين قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من

متعالين ⁂ فان قلت ما وجه قوله خلقت بيدي قلت قد سبق لنا ان ذا
اليدين يباشر اكثر اعماله بيديه فغلب العمل باليدين
على سائر الاعمال التي تباشر بغيرهما حتى قيل في عمل القلب هو مما عملت
يداك وحتى قيل لمن لا يدين له يداك اوكتا وفوك نفخ وحتى لم يبق
فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله تعالى مما عملت
ايدينا ولما خلقت بيدي فان قلت فما معنى قوله ما منعك ان تسجد لما
خلقت بيدي قلت الوجه الذي استنكر له ابليس السجود لآدم و
استنكف منه انه سجود لمخلوق فذهب بنفسه وتكبر ان يكون سجوده لغير
الخالق وانضم الى ذلك ان آدم مخلوق من طين وهو مخلوق من نار ورأى
للنار فضلا على الطين فاستعظم ان يسجد لمخلوق مع فضله عليه في المنصب
وزل عنه ان الله سبحانه حين امر به اعز عباده عليه واقربهم منه زلفى و
هم احق بان يذهبوا بانفسهم عن التواضع للبشر الضئيل ويستنكفوا من — وهم الملائكة
السجود له من غيرهم ثم لم يفعلوا وتبعوا امر الله وجعلوه قدام اعينهم
ولم يلتفتوا الى التفاوت بين الساجد والمسجود له تعظيما لامر ربهم
واجلالا لخطابه كان هو مع انحطاطه عن مراتبهم حريا بان يقتدي بهم
ويقتفي اثرهم ويعلم انهم في السجود لمن هو دونهم بامر الله اوغل في
عبادته منهم في السجود لمن هو فوقهم من ذوي الكبرياء واخفض لجناح تذللهم له ما
منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي ما منعك من السجود لشيء هو
كما تقول مخلوق خلقته بيدي لا شك في كونه مخلوقا امتثالا لامري و
اعظاما



لخطابي كما فعلت الملائكة فذكر له من السجود مع ذكر العلة
التي تشبث بها في تركه وقيل له لم تركته مع وجود هذه العلة و
قد امرك الله به يعني كان عليك ان تعتبر امر الله ولا تعتبر هذه العلة
ومثاله ان يامر الملك وزيره ان يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع
اعتبارا لسقوطه فيقول له ما منعك ان تتواضع لمن لا يخفى علي
سقوطه يريد هلا اعتبرت امري وخطابي وتركت اعتبار سقوطه
وفيه اني خلقته بيدي فانا اعلم بحاله ومع ذلك امرت الملائكة بان
يسجدوا له لداعي حكمة دعاني اليه من انعام عليه بالتكرمة
السنية وابتلاء للملائكة فمن انت حتى يصرفك عن السجود له ما
لم يصرفني عن الامر بالسجود له وقيل معنى لما خلقت بيدي لما خلقت
بغير واسطة وقرئ بيدي كما قرئ بمصرخي وبيدي على التوحيد
من العالين ممن علوت وفقت فاجاب بانه من العالين حيث قال
انا خير منه وقيل استكبرت الآن ام لم تزل منذ كنت من المستكبرين ومعنى
الهمزة التقرير وقرئ استكبرت بحذف حرف الاستفهام لان ام تدل عليه
او بمعنى الاخبار هذا على سبيل الاولى اي لو كان مخلوقا من نار لما سجدت
له لانه مخلوق مثلي فكيف اسجد لمن هو دوني لانه من طين والنار تغلب الطين
وتاكله وقد جرت الجملة الثانية من الاولى وهي خلقتني من نار مجرى
المعطوف عطف البيان من المعطوف عليه في البيان والايضاح
⁂ فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين ⁂ منها

من الجنة وقيل من السموات وقيل من الخلقة التي انت فيها لانه كان يفتخر
بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعد ما كان ابيض وقبح بعد ما كان حسنا
واظلم بعد ما كان نورانيا فانك رجيم مرجوم ومعناه المطرود كما
قيل له المدحور والملعون لان من طرد رمي بالحجارة على اثره والرجم
الرمي بالحجارة او لان الشياطين يرجمون بالشهب فان قلت قوله لعنتي الى يوم
الدين كان لعنة ابليس غايتها يوم الدين ثم تنقطع قلت كيف تنقطع وقد
قال الله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين ولكن المعنى ان عليه
اللعنة في الدنيا فاذا كان يوم الدين اقترن له باللعنة ما ينسى عنده اللعنة
فكانها انقطعت قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين
الى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم
المخلصين فان قلت ما الوقت المعلوم الذي اضيف اليه اليوم قلت الوقت
الذي يقع فيه النفخة الاولى ويوم البعث الذي وقت النفخة الثانية
ومعنى المعلوم انه معلوم عند الله معين لا يستقدم ولا يستأخر فبعزتك
اقسم بعزة الله وهي سلطانه وقهره قال فالحق والحق اقول لاملان جهنم منك
وممن تبعك منهم اجمعين قرئ فالحق والحق اقول اعتراض بين المقسم
به والمقسم عليه ومعناه ولا اقول الا الحق والمراد بالحق اما اسمه عز وجل الذي في قوله
ان الله هو الحق المبين او الحق الذي هو نقيض الباطل عظمه الله باقسامه
باقسامه به ومرفوعين على ان الاول مبتدا محذوف الخبر كقوله لعمرك اي
فالحق قسمي لاملان والحق اقوله اي اقوله كقوله كله لم اصنع ومجرورين

على



على ان الاول مقسم به قد اضمر حرف قسمه كقولك الله لافعلن
والحق اقول اي ولا اقول الا الحق على حكاية لفظ المقسم به ومعناه
التوكيد والتشديد وهذا الوجه جائز في المنصوب والمرفوع
ايضا وهو وجه دقيق حسن وقرئ برفع الاول وجره ونصب
الثاني وتخريجه على ما ذكرنا منك من جنسك وهم
الشياطين وممن تبعك منهم من ذرية آدم فان قلت اجمعين
تاكيد لماذا قلت لا يخلو ان يؤكد به الضمير في منهم او الكاف
في منك مع من تبعك ومعناه لاملان جهنم من المتبوعين و
التابعين اجمعين لا اترك منهم احدا او لاملانها من الشياطين
وممن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس بعد
وجود الاتباع منهم من اولاد الانبياء وغيرهم قل ما اسئلكم
عليه من اجر وما انا من المتكلفين ان هو الا ذكر للعالمين و
لتعلمن نباه بعد حين عليه من اجر الضمير للقرآن
او للوحي وما انا من المتكلفين من الذين يتصنعون ويتحلون
بما ليسوا من اهله وما عرفتموني قط متصنعا ولا مدعيا
ما ليس عندي حتى انتحل النبوة واتقول القرآن ان هو الا ذكر
من الله للعالمين للثقلين اوحي الي فانا ابلغه وعن رسول الله
للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال
ويقول ما لا يعلم ولتعلمن نباه اي نبا القرآن وما فيه من الوعد والوعيد او نبا محمد عليه السلام

طين

او عند ظهور الاسلام وفشوه من صحة خبره وانه الحق والصدق
وفيه تهديد وعن رسول الله عم من قرأ سورة ص كان له بوزن
كل جبل سخره الله لداود حسنات وعصمه ان يصر على ذنب
صغير او كبير

بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب من الله العزيز
الحكيم ﴿ تنزيل الكتاب قرئ بالرفع على انه مبتدأ اخبر عنه بالظرف او خبر مبتدأ
محذوف والجار صلة التنزيل كما تقول نزل من عند الله او غير صلة كقولك هذا
الكتاب من فلان الى فلان وهو على هذا خبر بعد خبر او خبر مبتدأ
محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله او حال من التنزيل
عمل فيها معنى الاشارة وبالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ او الزم
فان قلت ما المراد بالكتاب قلت الظاهر على الوجه الاول انه القرآن و
على الثاني انه السورة ﴿ انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا
له الدين الا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه اولياء
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم
فيه يختلفون ﴿ مخلصا له الدين ممحضا له الدين من الشرك والرياء
بالتوحيد وتصفية السر وقرئ الدين بالرفع وحق من رفعه
ان يقرأ مخلصا بفتح اللام كقوله تعالى واخلصوا دينهم لله
حتى يطابق قوله الا لله الدين الخالص والخالص والمخلص واحد الا
ان يصف الدين بصفة صاحبه على الاسناد المجازي كقولهم شعر
شاعر

شاعر واما من جعل مخلصا حالا من العابد وله الدين
مبتدأ وخبر فقد جاء باعراب رجع به الكلام الى قولك لله
الدين الا لله الدين الخالص الا لله الدين الخالص اي هو
الذي وجب اختصاصه بان تخلص له الطاعة من كل شائبة كدر
لاطلاعه على الغيوب والاسرار ولانه الحقيق بذلك لخلوص نعمته
عن استجرار المنفعة بها وعن قتادة الدين الخالص شهادة
ان لا اله الا الله وعن الحسن الاسلام والذين اتخذوا يحتمل
المتخذين وهم الكفرة والمتخذين وهم الملائكة وعيسى واللات
والعزى وعن ابن عباس فالضمير في اتخذوا على الاول راجع
الى الذين وعلى الثاني الى المشركين ولم يجر ذكرهم لكونه مفهوما
والراجع الى الذين محذوف والمعنى والذين اتخذهم المشركون
اولياء والذين اتخذوا في موضع الرفع على الابتداء فان قلت
فالخبر ما هو قلت هو على الاول اما ان الله يحكم بينهم او ما اضمر
من القول قبل قوله ما نعبدهم وعلى الثاني ان الله يحكم بينهم
فان قلت فاذا كان ان الله يحكم بينهم الخبر فما موضع القول المضمر
قلت يجوز ان يكون في موضع الحال اي قائلين ذلك ويجوز ان
يكون بدلا من الصلة فلا يكون له محل كما ان المبدل منه كذلك و
قراءة ابن مسعود باظهار القول قالوا ما نعبدهم وفي قراءة
ابي ما نعبدكم الا لتقربونا على الخطاب حكاية لما خاطبوا به آلهتهم

وقرئ نُعبُدهم بضم النون اتباعاً للعين كما يتبعها الهمزة في الامر والتنوين في عذاب اركض والضمير في بينهم لهم ولاوليائهم و
المعنى ان الله يحكم بينهم بانه يدخل الملائكة وعيسى الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة التي نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يجعلهم واياها حصب جهنم واختلافهم ان الذين
يعبدونهم موحدون وهم مشركون واولئك يعادونهم ويلعنونهم وهم يرجون شفاعتهم وتقريبهم الى الله زلفى وقيل كان
المسلمون اذا قالوا لهم من خلق السموات والارض اقروا وقالوا الله فاذا قالوا لهم ما لكم تعبدون الاصنام قالوا ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى فالضمير في بينهم عائد اليهم والى
المسلمين والمعنى ان الله يحكم يوم القيمة بين المتنازعين من الفريقين ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار لو اراد الله ان
يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار المراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلاً
عليهم بانهم لا لطف لهم وانهم في علم الله من الهالكين وقرئ كذاب
وكذوب وكذبهم قولهم في بعض من اتخذوا من دون
الله اولياء بنات الله ولذلك عقبه محتجاً عليهم بقوله لو اراد
الله ان يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء يعني لو ارا
د اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح لكونه محالاً ولم يتأت الا ان

يصطفى

يصطفي من خلقه بعضه ويختصهم ويقربهم كما يختص الرجل
ولده ويقربه وقد فعل ذلك بالملائكة فافتتنتم به وغركم
اختصاصه اياهم فزعمتم انهم اولاده جهلاً منكم به وبحقيقته
المخالفة لحقائق الاجسام والاعراض كانه قال لو اراد اتخاذ الولد
لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما يشاء من خلقه وهم الملائكة الا
انكم لجهلكم به حسبتم اصطفاءهم اتخاذهم اولاداً ثم تماديتم
في جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات فكنتم كذابين كفارين
مبالغين في الافتراء على الله وملائكته غالين في الكفر قال سبحانه
تنزه ذاته عن ان يكون له احد مما نسبوا اليه من الاولاد و
الاولياء ودل على ذلك بما ينافيه وهو انه واحد فلا يجوز ان
يكون له صاحبة لانه لو كانت له صاحبة لكانت من جنسه ولا جنس
له واذا امتنع ان يكون له صاحبة امتنع ان يكون له ولد وهذا
معنى قوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وقهار غلاب لكل
شيء ومن الاشياء آلهتهم فهو يغلبهم فكيف يكونون له اولياء
وشركاء خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على
النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري
لاجل مسمى الا هو العزيز الغفار ثم دل بخلق السموات
والارض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير
النيرين وجريهما لاجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم

من نفس واحدة وخلق الانعام على انه واحد لا يشارك قهار
لا يغالب والتكوير اللف واللي يقال كار العمامة على راسه وكورها
وفيه اوجه منها ان الليل والنهار خلفة يذهب هذا ويغشى مكانه
فكانما البسه ولف عليه كما يلف اللباس على اللابس ومنه قول ذي الرمة
في وصف السراب تلوي الثنايا باحقيها حواشيه لي الملاء بابواب
التفاريج ومنها ان كل واحد منهما يغيب الاخر اذا طرا عليه
فشبه في تغييبه اياه بشيء ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح
الابصار ومنها ان هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك
بتتابع اكوار العمامة بعضها على اثر بعض الا هو العزيز
الغفار الغالب القادر على عقاب المصرين الغفار لذنوب التائبين
او الغالب الذي يقدر على ان يعاجلهم بالعقوبة وهو
يحلم عنهم ويؤخرهم الى اجل مسمى فسمى الحلم عنهم مغفرة ۞
خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وانزل لكم من الا
نعام ثمانية ازواج يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات
ثلث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون ۞ فان قلت
ما وجه قوله ثم جعل منها زوجها وما يعطيه من معنى التراخي
قلت هما ايتان من جملة الايات التي عددها دالا على وحدانيته
وقدرته تشعيب هذا الخلق الفائت للحصر من نفس ادم
وخلق حواء من قصيراه الا ان احديهما جعلها الله عادة مستمرة

ثمانية

والاخرى



والاخرى لم تجر بها العادة ولم تخلق انثى غير حواء من قصيرى رجل فكانت
ادخل في كونها اية واجلب لعجب السامع فعطفها بثم على الاية الاولى
للدلالة على مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة
كونها اية فهو من التراخي في الحال والمنزلة لا من التراخي في الوجود
وقيل ثم متعلق بمعنى واحدة كانه قيل خلقكم من نفس وحدت ثم شفعها الله
بزوج وقيل اخرج ذرية ادم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء وانزل
لكم وقضى لكم وقسم لان قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء حيث
كتب في اللوح كل كائن يكون وقيل لا تعيش الانعام الا بالنبات والنبات
لا يقوم الا بالماء وقد انزل الماء فكانه انزلها وقيل خلقها في الجنة ثم
انزلها ثمانية ازواج ذكرا وانثى من الابل والبقر والضان والمعز والزوج
اسم لواحد معه اخر فاذا انفرد فهو فرد ووتر قال الله فجعل منه
الزوجين الذكر والانثى خلقا من بعد عظام عارية من بعد مضغ من
بعد علق من بعد نطف والظلمات الثلث البطن والرحم والمشيمة و
قيل الصلب والرحم والبطن ذلكم الذي هذه افعاله هو الله ربكم فانى
تصرفون فكيف يعدل بكم عن عبادته الى عبادة غيره ۞ ان تكفروا فان الله
غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة
وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات
الصدور ۞ فان الله غني عنكم اي عن ايمانكم وانكم المحتاجون اليه لاستضرا

حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما

وفي

ربما

بالكفر

واستنفاعكم بالايمان ولا يرضى لعباده الكفر رحمة لهم لانه يوقعهم
في الهلكة وان تشكروا يرضه لكم اي يرضى الشكر لكم لانه سبب فوزكم وفلاحكم
فاذن ما كره كفركم ولا رضي شكركم الا لكم ولاجلكم لا لان منفعة ترجع اليه
لانه الغني الذي لا يجوز عليه الحاجة ولقد تمحل بعض الغواة
ليثبت لله ما نفاه عن ذاته من الرضا لعباده الكفر فقال هذا من العام
الذي اريد به الخاص وما اراد الا عباده الذين عناهم في قوله تعالى ان
عبادي ليس لك عليهم سلطان يريد المعصومين كقوله تعالى عينا يشرب
بها عباد الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقرئ يرضه بضم
الهاء بوصل وبغير وصل وبسكونها وإذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا
اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله اندادا
ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار خوله
اعطاه قال ابو النجم اعطى فلم يبخل ولم يبخل كوم الذرى من خول
المخول وفي حقيقته وجهان احدهما جعله خائل مال من قولهم هو
خائل مال وخال مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به ومنه ما روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه كان يتخول اصحابه بالموعظة والثاني
جعله يخول من خال يخول اذا اختال وافتخر وفي معناه قول العرب
ان الغني طويل الذيل مياس ما كان يدعو اليه اي نسي الضر الذي
كان يدعو الله الى كشفه وقيل نسي ربه الذي كان يتضرع اليه ويبتهل
اليه وما بمعنى من كقوله تعالى وما خلق الذكر والانثى وقرئ ليضل

بفتح



بفتح الياء وضمها بمعنى ان نتيجة جعله لله اندادا ضلاله عن سبيل
الله او اضلاله والنتيجة قد تكون غرضا في الفعل وقد تكون غير
غرض وقوله تمتع بكفرك من باب الخذلان والتخلية كانه قيل له اذ قد
ابيت قبول ما امرت به من الايمان والطاعة فمن حقك ان لا تؤمر به
بعد ذلك وتؤمر بتركه مبالغة في خذلانه وتخليته وشانه لانه لا مبالغة
في الخذلان اشد من ان يبعث على عكس ما امر به ونظيره في المعنى قوله
متاع قليل ثم مأواهم جهنم امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما
يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون و
الذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب قرئ امن هو قانت
بالتخفيف على ادخال همزة الاستفهام على من وبالتشديد على ادخال
ام عليه ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره امن هو قانت كغيره
وانما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جري ذكر الكافر قبله
وقوله بعده قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا
يعلمون وقيل معناه امن هو قانت افضل ام من هو كافر او افضل
ام من هو قانت على الاستفهام المنفصل القانت القائم بما
يجب عليه من الطاعة ومنه قوله عليه السلام افضل الصلاة
طول القنوت وهو القيام فيها ومنه القنوت في الوتر لانه دعاء
المصلي قائما ساجدا وقائما حالان وقرئ ساجد وقائم على انه خبر بعد
خبر والواو للجمع بين الصفتين وقرئ ويحذر عذاب الآخرة

خال

واراد بالذين يعلمون العاملين من علماء الديانة كانه جعل من
لا يعمل غير عالم وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا
يعملون ويفتتنون فيها ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث
جعل القانتين هم العلماء ويجوز ان يرد على سبيل التشبيه اى كما لا
يستوى العالمون والجاهلون كذلك لا يستوى القانتون والعاصون
وقيل نزلت فى عمار بن ياسر وابى حذيفة بن المغيرة المخزومى
وعن الحسن انه سئل عن رجل يتمادى فى المعاصى ويرجو فقال
هذا تمنٍّ وانما الرجاء قوله ثم تلا هذه الآية وقرئ انما يذكر بالا
دغام ⁖ قل يا عبادِ الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين احسنوا فى
هذه الدنيا حسنة وارض الله واسعة انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حسا
⁖ فى هذه الدنيا متعلق باحسنوا لا بحسنة معناه احسنوا فى هذه الدنيا
فلهم حسنة فى الآخرة وهى دخول الجنة اى حسنة غير مكتنهة بالوصف
وقد علقه السدى بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية فان قلت
اذا علق الظرف باحسنوا فاعرابه ظاهر فما معنى تعليقه بحسنة
ولا يصح ان يقع صفة لها للتقدم قلت هو صفة لها اذا تاخر واذا
تقدم كان بيانا لمكانها فلم يخل التقدم بالتعلق وان لم يكن
التعلق وصفا ومعنى وارض الله واسعة ان لا عذر للمفرطين
فى الاحسان البتة حتى ان اعتلوا باوطانهم وبلادهم وانهم
لا يتمكنون فيها من التوفر على الاحسان وصرف الهمم اليه قيل



لهم فان ارض الله واسعة وبلاده كثيرة فلا تجتمعوا مع العجز و
تحولوا الى بلاد آخر واقتدوا بالانبياء والصالحين فى مهاجرتهم
الى غير بلادهم ليزدادوا احسانا الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم
وقيل هو للذين كانوا فى بلد المشركين فامروا بالمهاجرة عنه كقوله
تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وقيل هى ارض الجنة و
الصابرون الذين صبروا على مفارقة اوطانهم وعشايرهم وعلى
غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا فى طاعة الله وازديا
د الخير بغير حساب لا يحاسبون عليه وقيل بغير مكيال وغير ميزان يغرف
لهم غرفا وهو تمثيل للتكثير وعن ابن عباس لا يهتدى اليه حساب
الحساب ولا يعرف وعن النبى صلى الله عليه وسلم تنصب الموازين يوم
القيمة فيؤتى باهل الصلوة فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى
باهل الصدقة فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل الحج فيوفون
اجورهم بالموازين ويؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا
ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا قال الله تعالى انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية فى الدنيا ان اجسادهم تقرض
بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل ⁖ قل انى امرت ان
اعبد الله مخلصا له الدين وامرت لان اكون اول المسلمين ⁖ قل انى
امرت باخلاص الدين وامرت بذلك لاجل ان اكون اول المسلمين اى
مقدمهم وسابقهم فى الدنيا والآخرة والمعنى ان الاخلاص له السبقة

في الدين فمن اخلص كان سابقا فان قلت كيف عطف امرت على امرت وهما واحد
قلت ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك ان الامر بالاخلاص و
تكليفه شيء والامر به ليحوز القايم به قصب السبق في الدين
شيء واذا اختلف وجها الشيء وصفتاه ينزل بذلك منزلة شيئين
مختلفين ولك ان تجعل اللام مزيدة مثلها في اردت لان افعل ولا تزاد الا
مع ان خاصة دون الاسم الصريح كانها زيدت عوضا من ترك الاصل الى ما يقوم
مقامه كما عوض السين في اسطاع عوضا من ترك الاصل الذي هو اطوع و
الدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله تعالى وامرت ان اكون
من المسلمين وامرت ان اكون من المؤمنين وامرت ان اكون اول من اسلم و
في معناه اوجه ان اكون اول من اسلم في زماني ومن قومي لانه اول
من خالف دين ابائه وخلع الاصنام وحطمها وان اكون اول الذين
دعوتهم الى الاسلام اسلاما وان اكون اول من دعا نفسه الى ما دعا
اليه غيره لاكون مقتدى بي في قولي وفعلي جميعا ولا تكون صفتي صفة
الملوك الذين يامرون بما لا يفعلون وان افعل ما استحق به الاولية من
اعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب قل اني [اخاف] ان عصيت ربي
عذاب يوم عظيم يعني ان الله امرني ان اخلص له الدين من
الشرك والريا وكل شوب بدليلي العقل والوحي فان عصيت ربي
بمخالفة الدليلين استوجبت عذابه فلا اعصيه ولا اتابع امركم وذلك
حين دعوه الى دين ابائه قل الله اعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما

شئتم



من دونه قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة
الا ذلك هو الخسران المبين فان قلت ما معنى التكرير في قوله قل اني
امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وقوله قل الله اعبد مخلصا له ديني
قلت ليس بتكرير لان الاول اخبار بانه مامور من جهة الله باحداث
العبادة والاخلاص والثاني اخبار بانه يخص الله وحده دون غيره
بعبادته مخلصا له دينه ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل
العبادة واخره في الاول فالكلام اولا واقع في الفعل نفسه
وايجاده وثانيا فيمن يفعل الفعل لاجله ولذلك رتب عليه قوله
فاعبدوا ما شئتم من دونه والمراد بهذا الامر الوارد على وجه التخيير المبالغة
في الخذلان والتخلية على ما حققت فيه القول مرتين قل ان الكاملين
في الخسران الجامعين لوجوهه واسبابه هم الذين خسروا انفسهم
لوقوعها في هلكة لا هلكة بعدها وخسروا اهليهم لانهم ان كانوا من
اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة
فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده اليهم وقيل خسروهم لانهم لم
يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم اهل في الجنة يعني وخسروا
اهليهم الذين كانوا يكونون لهم لو امنوا ولقد وصف خسرانهم
بغاية الفظاعة في قوله الا ذلك هو الخسران المبين حيث استانف الجملة
وصدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدا والخبر وعرف
الخسران ونعته بالمبين لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم

ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون ومن تحتهم اطباق من
النار هي ظلل لآخرين ذلك العذاب هو الذي يتوعد الله به عباده
ويخوفهم ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما
يوجب سخطي وهذه عظة من الله ونصيحة بالغة وقرئ يا عبادي
فاتقون والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وانابوا الى الله لهم
البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه او
لئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب الطاغوت فعلوت
من الطغيان كالملكوت والرحموت الا ان فيها قلبا بتقديم اللام على العين
اطلقت على الشيطان او الشياطين لكونها مصدرا وفيها مبالغات وهي
التسمية بالمصدر كأن عين الشيطان طغيان وان البناء بناء مبالغة فان
الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للا
ختصاص اذ لا تطلق على غير الشيطان والمراد بها هنا الجمع وقرئ
الطواغيت ان يعبدوها بدل من الطاغوت بدل الاشتمال لهم
البشرى هي البشارة بالثواب كقوله تعالى لهم البشرى في الحيوة الدنيا
وفي الآخرة الله عز وجل يبشرهم بذلك في وحيه على السنة رسله
وتتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون
قال الله يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم
وبايمانهم بشراكم اليوم جنات واراد بعباده الذين يستمعون
القول فيتبعون احسنه الذين اجتنبوا وانابوا لا غيرهم وانما





اراد بهم ان يكونوا مع الاجتناب والانابة على هذه الصفة فوضع الظاهر
الظاهر موضع المضمر اراد ان يكونوا نقادا في الدين يميزون
بين الحسن والاحسن والفاضل والافضل فاذا اعترضهم امران
واجب وندب اختاروا الواجب وكذلك المباح والندب حرصا
على ما هو اقرب عند الله واكثر ثوابا ويدخل تحته المذاهب واختيار
اثبتها على السبك واقواها عند السبر وابينها دليلا او امارة وان لا تكون
في مذهبك كما قال القائل ولا تكن مثل عير قيد فانقادا يريد المقلد وقيل
يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن وقيل يستمعون اوامر
الله فيتبعون احسنها نحو القصاص والعفو والانتصار والا
غضاء والابداء والاخفاء لقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وان
تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وعن ابن عباس هو الرجل
يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساوي فيحدث
باحسن ما سمع ويكف عما سواه ومن الوقفة من يقف على فبشر عباد
ويبتدئ الذين يستمعون يرفعه على الابتداء وخبره اولئك
افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار اصل
الكلام امن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه جملة شرطية
دخل عليها همزة الانكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التي

فى اولها للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب تقديره اانت
مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه والهمزة
الثانية هى الاولى كررت لتوكيد معنى الانكار والاستبعاد
ووضع من فى النار موضع الضمير فالآية على هذا جملة وا
حدة ووجه اخر وهو ان يكون الآية جملتين افمن حق عليه
العذاب فانت تخلصه افانت تنقذ من فى النار وانما جاز
حذف فانت تخلصه لان افانت تنقذ يدل عليه نزل استحقا
قهم العذاب وهم فى الدنيا منزلة دخولهم النار حتى نزل
اجتهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكده نفسه فى دعائهم الى
الايمان منزلة انقاذهم من النار وقوله افانت تنقذ يفيد ان
الله هو الذى يقدر على الانقاذ من النار وحده لا
يقدر على ذلك احد غيره فكما لا تقدر انت ان تنقذ الداخل
فى النار من النار لا تقدر ان تخلصه مما هو فيه من استحقاق
العذاب بتحصيل الايمان فيه لكن الذين اتقوا ربهم لهم
غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الانهار وعد الله
لا يخلف الله الميعاد غرف من فوقها غرف علالى بعضها
فوق بعض فان قلت ما معنى قوله مبنية قلت معناه والله ا

اعلم

٢٠٩

اعلم انها بنيت بناء المنازل التى على الارض وسويت تسويتها تجرى
من تحتها الانهار كما تجرى من تحتها الانهار كما تجرى من تحت المنازل
من غير تفاوت بين العلو والسفل وعد الله مصدر مؤكد لان
قوله لهم غرف فى معنى وعدهم الله ذلك الم تر ان الله انزل من السما
ماء فسلكه ينابيع فى الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه ثم يهيج
فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان فى ذلك لذكرى لاولى الالباب
انزل من السماء ماء هو المطر وقيل كل ماء فى الارض فهو من
السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله فسلكه فادخله ونظمه
ينابيع فى الارض عيونا ومسالك ومجارى كالعروق فى الاجساد
مختلفا الوانه هيئاته من خضرة وحمرة وبياض وغير ذلك او
اصنافه من بر وشعير وسمسم وغيرها يهيج يتم جفافه عن
الاصمعى لانه اذا تم جفافه حان له ان يثور عن منابته ويذهب
حطاما فتاتا ودرينا ان فى ذلك لذكرى لتذكيرا وتنبيها على
انه لا بد من صانع حكيم وان ذلك كائن عن تقدير وتدبير لا
عن تعطيل واهمال ويجوز ان يكون مثالا للدنيا كقوله انما مثل
الحيوة الدنيا واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا وقرئ مصفارا
افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل

للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين افمن عرف الله
انه من اهل اللطف فلطف به حتى انشرح صدره للاسلام و
رغب فيه وقبله كمن لا لطف له فهو حرج الصدر قاسى القلب
ونور الله هو لطفه وقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية فقيل
يا رسول الله فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن
دار الغرور والتاهب للموت قبل نزول الموت وهو نظير قوله فلان
[illegible] في حذف الخبر من ذكر الله من اجل ذكره اى اذا ذكر الله عند
هم او اياته اشمازوا وازدادت قلوبهم قساوة كقوله فزادتهم
رجسا الى رجسهم وقرئ عن ذكر الله فان قلت ما الفرق بين من و
عن في هذا قلت اذا قلت قسا قلبه من ذكر الله فالمعنى ما ذكرت من ان القسوة
من اجل الذكر وبسببه واذا قلت عن ذكر الله فالمعنى غلظ عن
قبول الذكر وجفا عنه ونظيره سقاه من العيمة اى من اجل
عطشه وسقاه عن العيمة اذا ارواه حتى ابعده عن العطش
عن ابن مسعود رضي الله عنه ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا
له حدثنا فنزلت الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها
مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم
وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن

يضلل



يضلل الله فما له من هاد في ايقاع اسم الله مبتدا وبناء نزل
عليه تفخيم لاحسن الحديث ورفع منه واستشهاد على حسنه
وتاكيد لاستناده الى الله وانه من عنده وان مثله لا يجوز ان يصدر
الا عنه وتنبيه على انه وحى معجز مباين لسائر الاحاديث وكتابا بدل
من احسن الحديث ويحتمل ان يكون حالا منه ومتشابها مطلق في مشابهة
بعضه بعضا فكان متناولا لتشابه معانيه في الصحة والاحكام و
البناء على الحق والصدق ومنفعة الخلق وتناسب الفاظه
وتناصفها في التخير والاصابة وتجاوب نظمه وتاليفه في الاعجاز
والتبكيت ويجوز ان يكون مثاني بيانا لكونه متشابها لان القصص
المكررة لا تكون الا متشابهة والمثاني جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما
ثني من قصصه وانبائه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده
ووعيده ومواعظه وقيل لانه يثنى في التلاوة فلا يمل كما جاء في
وصفه لا يتفه ولا يتشان ولا يخلق على كثرة الرد ويجوز ان
يكون جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما كان قوله
ثم ارجع البصر كرتين بمعنى كرة بعد كرة وكذلك لبيك و
سعديك وحنانيك فان قلت كيف وصف الواحد بالجمع قلت انما
صح ذلك لان الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشيء هي جملته لا غير
الا تراك تقول القران اسباع واخماس وسور وايات وكذلك تقول
اقاصيص واحكام ومواعظ مكررات ونظيره قولك الانسان عظام

بينة

وعروق واعصاب الا انك تركت الموصوف الى الصفة واصله كتابا
متشابها فصولا مثاني ويجوز ان يكون كقولك برمة اعشار وثوب
اخلاق ويجوز ان لا يكون مثاني صفة ويكون منتصبا على التمييز من متشابها
كما تقول رايت رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابهة مثانيه فان
قلت ما فائدة التثنية والتكرير قلت النفوس انفر شيء عن حديث
الوعظ والنصيحة فما لم يكرر عليها عودا عن بدء لم يرسخ
فيها ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكرر عليهم
ما كان يعظ به وينصح ثلث مرات وسبعا ليركزه في قلوبهم ويغرسه
في صدورهم اقشعر الجلد اذا تقبض تقبضا شديدا وتركيبه
من حروف القشع وهو الاديم اليابس مضموما اليها حرف
رابع وهو الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال اقشعر
جلده من الخوف وقف شعره وهو مثل في شدة الخوف فيجوز
ان يريد به الله سبحانه التمثيل تصويرا لافراط خشيتهم وان يريد
به التحقيق والمعنى انهم اذا سمعوا بالقران وبايات وعيده
اصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم ثم اذا ذكروا الله ورحمته
وجوده بالمغفرة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان
بها من الخشية والقشعريرة فان قلت ما وجه تعديته بالى
قلت ضمن معنى فعل متعد بالى كانه قيل سكنت او اطمانت
الى ذكر الله لينة غير منقبضة راجية غير خاشية فان قلت لم

اقتصر



ما اقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة قلت لان اصل امره الرحمة والرافة
ورحمته هي سابقة غضبه فلاصالة رحمته اذا ذكر لم يخطر بالبال قبل
كل شيء من صفاته الا كونه رؤفا رحيما فان قلت لم ذكرت الجلود
وحدها اولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا قلت اذا ذكرت الخشية التي
محلها القلوب فقد ذكرت القلوب فكانه قيل تقشعر جلودهم من
ايات الوعيد وتخشى قلوبهم في اول وهلة فاذا ذكروا الله و
مبنى امره على الرافة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم و
بالقشعريرة لينا في جلودهم ذلك اشارة الى الكتاب وهو هدى الله
يهدى به يوفق به من يشاء يعني عباده المتقين حتى يخشوا تلك
الخشية ويرجوا ذلك الرجاء كما قال هدى للمتقين ومن يضلل
الله ومن يخذله من الفساق والفجرة فما له من هاد او ذلك الكائن
من الخشية والرجاء هدى الله اي اثر هداه وهو لطفه فسماه
هدى لانه حاصل بالهدى يهدي به يلطف به من يشاء يعني
من صحب اولئك وراهم خاشعين راجين فكان ذلك مرغبا
لهم في الاقتداء بسيرتهم وسلوك طريقتهم ومن يضلل الله ومن لم
يؤثر فيه الطافه لقسوة قلبه واصراره على فجوره فما له من هاد
من مؤثر فيه بشيء قط افمن يتقي بوجهه سوء العذاب
يوم القيمة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون يقال اتقاه
بدرقته استقبله بها فوقى بها نفسه اياه واتقاه بيده وتقديره

أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن أمن العذاب فحذف الخبر
كما حذف في نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه أن الإنسان إذا
لقي مخوفا من المخاوف استقبله بيده وطلب أن يقي بها وجهه
لأنه أعز أعضائه عليه والذي يلقى في النار يلقى مغلولة يداه إلى
عنقه فلا يتهيأ له أن يتقي النار إلا بوجهه الذي كان يتقي المخاوف
بغيره وقاية له ومحاماة عليه وقيل المراد بالوجه الجملة وقيل نزلت في
أبي جهل وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون كذب
الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فأذاقهم
الله الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا
يعلمون من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر
ببالهم أن الشر يأتيهم منها بيناهم آمنون رافهون إذ فوجئوا من مأ
منهم والخزي الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء و
ما أشبه ذلك من نكال الله ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل
لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون قرآنا
عربيا حال مؤكدة كقولك جاءني زيد رجلا صالحا وإنسانا عاقلا
ويجوز أن ينتصب على المدح غير ذي عوج مستقيما بريئا من التناقض
نفي (احداهما) نفي أن يكون فيه عوج قط كما قال ولم يجعل له عوجا
والثانية أن لفظ العوج مختص بالمعاني دون الأعيان وقيل
المراد بالعوج الشك واللبس وأنشد وقد أتاك يقين غير ذي

عوج

والاختصار فإن قلت فهلا قيل مستقيما
أو غير معوج قلت فيه فائدتان إحداهما



عوج

من الآية وقوله غير مكذوب فيه ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء
متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله
بل أكثرهم لا يعلمون واضرب لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون
في رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع
كل واحد منهم يدعي أنه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه في
مهن شتى ومشادة وإذا عنت له حاجة تدافعوه فهو متحير
في أمره سادر قد تشعبت الهموم قلبه وتوزعت أفكاره لا يدري
أيهم يرضي بخدمته وعلى أيهم يعتمد في حاجاته وفي آخر قد سلم
لمالك واحد وخلص له فهو معتنق لما لزمه من خدمته معتمد
عليه فيما يصلحه فهمه واحد وقلبه مجتمع أي هذين العبدين
أحسن حالا وأحمد شأنا والمراد تمثيل حال من يثبت آلهة شتى
وما يلزمه على قضية مذهبه من أن يدعي كل واحد منهم عبوديته
ويتشاكسوا في ذلك ويتغالبوا كما قال ولعلا بعضهم على
بعض ويبقى هو متحيرا ضائعا لا يدري أيهم يعبد وعلى
ربوبية أيهم يعتمد وممن يطلب رزقه وممن
يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه أوزاع وحال من لم يثبت إلا
إلها واحدا فهو قائم بما كلفه عارف بما أرضاه وما أسخطه
متفضل عليه في عاجله مؤمل للثواب في آجله وفيه صلة شركاء
كما تقول اشتركوا فيه والتشاكس والتشاخس الاختلاف

٤

دينه

يقال تشاكست احواله وتشاخست اسنانه ورجلا سلما لرجل خالصا له
وقرئ سلما بفتح الفاء والعين وفتح الفاء وكسرها مع سكون العين
وهي مصادر سلم والمعنى ذا سلامة لرجل اي ذا خلوص له من
الشركة من قولهم سلمت له الضيعة وقرئ بالرفع على الابتداء
اي وهناك رجل سالم لرجل وانما جعله رجلا ليكون افطن لما
شقي له او سعد فان المرأة والصبي قد يغفلان عن ذلك هل
يستويان مثلا صفة على التمييز والمعنى هل يستوي
صفتاهما وحالاهما وانما اقتصر في التمييز على الواحد لبيان الجنس
وقرئ مثلين كقوله واكثر اموالا واولادا مع قوله اشد منهم قوة
ويجوز فيمن قرأ مثلين ان يكون الضمير في يستويان للمثلين لان التقدير
مثل رجل ومثل رجل والمعنى هل يستويان فيما يرجع الى الوصفية
كما تقول كفى بهما رجلين الحمد لله الواحد الذي لا شريك له دون
كل معبود سواه اي يجب ان يكون الحمد متوجها اليه وحده و
العبادة فقد ثبت انه لا اله الا هو بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون
به غيره انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم
تختصمون كانوا يتربصون برسول الله موته فاخبر ان الموت
نعى الى نبيه نفسه ونعى اليكم انفسكم وقرئ مائت ومائتون
والفرق بين الميت والمائت ان الميت صفة لازمة كالسيد واما
المائت فصفة حادثة تقول زيد مائت غدا كما تقول سائد



غدا اي سيموت وسيسود واذا قلت زيد ميت فكما تقول حي
في نقيضه فيما يرجع الى اللزوم والثبوت والمعنى في قوله انك ميت وانهم
ميتون انك واياهم وان كنتم احياء فانتم في عداد الموتى لان ما هو كائن
فكان قد كان ثم انكم ثم انك واياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب
تختصمون فتحتج انت عليهم بانك بلغت فكذبوا فاجتهدت في الدعوة
فلجوا في العناد ويعتذرون بما لا طائل تحته يقول الاتباع اطعنا سادتنا
وكبراءنا ويقول السادات اغوتنا الشياطين وآباؤنا الاقدمون
وقد حمل على اختصام الجميع وان الكفار يخاصم بعضهم بعضا حتى يقال
لهم لا تختصموا لدي والمؤمنون الكافرين يبكتونهم بالحجج واهل القبلة
يكون بينهم الخصام قال عبد الله ابن عمر لقد عشنا برهة من دهرنا
ونحن نرى ان هذه الآية انزلت فينا وفي اهل الكتاب قلنا كيف نختصم
ونبينا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رايت بعضنا يضرب
وجوه بعض بالسيف فعرفت انها نزلت فينا وقال ابو سعيد الخدري
كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم
صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن
ابراهيم النخعي قالت الصحابة ما خصومتنا ونحن اخوان فلما قتل
عثمان رضي الله عنه قالوا هذه خصومتنا وعن ابي العالية نزلت في اهل
القبلة والوجه الذي يدل عليه كلام الله هو ما قدمت اولا

والذي جاء
الآيتين اي قوله فمن اظلم ممن كذب على الله وقوله والذي جاء
بالصدق وصدق به وما هما الا بيان وتفسير للذين يكون بينهم
الخصومة فمن اظلم ممن كذب بالصدق اذ جاءه اليس في جهنم
مثوى للكافرين ممن كذب على الله افترى عليه باضافة الولد والشريك
اليه وكذب بالصدق بالامر الذي هو الصدق بعينه وهو ما جاء به
محمد صلى الله عليه وسلم اذ جاءه فاجأه بالتكذيب لما سمع به من غير وقفة لاعمال
روية او اهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل اهل النصفة فيما يسمعون
مثوى للكافرين اي لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق
واللام في للكافرين اشارة اليهم والذي جاء بالصدق وصدق به
اولئك هم المتقون لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين
والذي جاء بالصدق وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق وآمن
به واراد به اياه ومن تبعه كما اراد بموسى اياه وقومه في قوله ولقد
آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فلذلك قال اولئك هم المتقون الا ان
هذا في الصفة وذاك في الاسم ويجوز ان يريد والفوج او الفريق
الذي جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول الذي جاء بالصدق
وصحابته الذين صدقوا به وفي قراءة ابن مسعود والذين جاؤا
بالصدق وصدقوا به وقرئ وصدق به بالتخفيف اي صدق به الناس
ولم يكذبهم به يعني اداه اليهم كما نزل عليه من غير تحريف وقيل صار

صادقا



ف

صادقا به اي بسببه لان القرآن معجزة والمعجزة تصديق من الحكيم الذي
لا يفعل القبيح لمن يجريها على يده ولا يجوز ان يصدق الا الصادق
فيصير لذلك صادقا بالمعجزة وقرئ وصدق به ليكفر الله عنهم
اسوأ الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون
فان قلت ما معنى اضافة الاسوأ والاحسن الى الذي عملوا و
ما معنى التفضيل فيهما قلت اما الاضافة فما هي من اضافة افعل الى
الجملة التي يفضل عليها ولكن من اضافة الشيء الى ما هو بعضه من
غير تفضيل كقولك الاشج اعدل بني مروان واما التفضيل فيؤذن
بان الشيء الذي يفرط منهم من الصغائر والزلات المكفرة هو
عندهم الاسوأ لاستعظامهم المعصية والحسن الذي يعملونه
هو عند الله الاحسن لحسن اخلاصهم فيه فلذلك ذكر سيئهم
بالاسوأ وحسنهم بالاحسن وقرئ اسواء الذي عملوا جمع
سوء اليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن
يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل اليس الله
بعزيز ذي انتقام اليس الله بكاف عبده ادخلت همزة
الانكار على كلمة النفي فافيد معنى اثبات الكفاية وتقريرها
بكاف عبده وهو رسول الله وبكاف عباده وهم الانبياء وذلك ان
قريشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا نخاف ان تخبلك آلهتنا

وإنا نخشى عليك معرّتها لعيبك إياها وروي أنه بعث خالدا إلى
العزى ليكسرها فقال له سادنها أحذركها يا خالد إن لها لشدة لا يقوم
لها شيء فعمد خالد إليها فهشم أنفها فقال الله عز وجل أليس الله بكاف
نبيه أن يعصمه من كل سوء ويدفع عنه كل بلاء في مواطن الخوف وفي
هذا تسلية بهم لأنهم خوفوه ما لا يقدر على نفع ولا ضر أو الجنس بكاف
أنبياءه ولقد قالت أممهم نحو ذلك فكفاهم الله وذلك قوله قوم هود
إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ويجوز أن يريد العبد و
العباد على الإطلاق لأنه كافيهم في الشدائد وكافل مصالحهم وقرئ
بكاف عباده على الإضافة ويكافي عباده ويكافي يحتمل أن يكون غير مهموز
مفاعلة من الكفاية كقولك تجاوز في تجوز وهو أبلغ من كفى لبنائه
على لفظ المغالبة والمباراة وأن يكون مهموزا من المكافأة وهي
المجازاة لما تقدم من قوله ويجزيهم أجرهم بالذين من دونه
أراد الأوثان التي اتخذوها آلهة من دونه بعزيز بغالب منيع ذي
انتقام ينتقم من أعدائه وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين
بأنه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم ولئن سألتهم من خلق السموات
والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني
الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته
قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون قرئ كاشفات ضره وممسكات رحمته

بالتنوين



بالتنوين على الأصل وبالإضافة للتخفيف فإن قلت لم فرض المسئلة في نفس
دونهم قلت لأنهم خوفوه معرة الأوثان وتخبيلها فأمر بأن يقررهم
أولا بأن خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير
فإن أرادني خالق العالم الذي أقررتم به بضر من مرض أو فقر
أو غير ذلك من النوازل أو برحمة من الصحة أو غنى أو نحوهما
هل هؤلاء اللاتي خوفتمونيهن كاشفات عنه ضره أو ممسكات
رحمته حتى إذا ألقمهم الحجر وقطعهم حتى لا يحيروا ببنت شفة قال حسبي
الله كافيا لمعرة أوثانكم عليه يتوكل المتوكلون وفيه تهكم ويروى
أن النبي عليه السلام سألهم فسكتوا فنزل فقل حسبي الله فإن قلت لم قيل
كاشفات وممسكات على التأنيث بعد قوله ويخوفونك بالذين من
دونه قلت أنثهن وكن إناثا وهن اللات والعزى ومناة قال الله
أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى
ليضعفها ويعجزها زيادة تضعيف وتعجيز عما طالبهم به من
كشف الضر وإمساك الرحمة لأن الأنوثة من باب اللين والرخاوة
كما أن الذكورة من باب الشدة والصلابة كأنه قال الإناث اللاتي هي
اللات والعزى ومناة أضعف مما تدعون لهن وأعجز وفيه تهكم
أيضا قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من
يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم على مكانتكم على

حالكم التي انتم عليها وجهتكم من العداوة التي تمكنتم منها والمكانة بمعنى
المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان و
هما للمكان فان قلت حق الكلام فاني عامل على مكانتي فلم حذف قلت
للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والايذان بان حاله لا تقف و
تزداد كل يوم قوة وشدة لان الله ناصره ومعينه ومظهره على الدين
كله الا ترى الى قوله فسوف تعلمون كيف توعدهم بكونه منصورا عليهم
غالبا عليهم في الدنيا والآخرة لانهم اذا اتاهم الخزي والعذاب فذاك
عزه وغلبته من حيث ان الغلبة تتم له بعز عزيز من اوليائه وبذل
ذليل من اعدائه يخزيه مثل مخزيه في وقوعه صفة للعذاب اي عذاب
مخز له وهو يوم بدر وعذاب دائم وهو عذاب النار وقرئ
مكاناتكم انا انزلنا [عليك] الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل
فانما يضل عليها وما انت عليهم بوكيل للناس لاجلهم ولاجل حاجتهم
اليه ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم الى اختيار الطاعة على
المعصية ولا حاجة لي الى ذلك فانا الغني فمن اختار الهدى فقد
نفع نفسه ومن اختار الضلالة فقد ضرها وما وكلت عليهم لتجبرهم على
الهدى فان التكليف مبني على الاختيار دون الاجبار الله يتوفى الانفس
حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل
الاخرى الى اجل مسمى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون الانفس الجمل

كما



كما

هي وتوفيها اماتتها وهي ان يسلب ما هي به حية حساسة دراكة من
صحة اجزائها وسلامتها لانها عند سلب الصحة كانها قد سلبت
والتي لم تمت في منامها يريد ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها اي
يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى ومنه قوله وهو الذي
يتوفاكم بالليل حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما ان الموتى كذلك فيمسك
الانفس التي قضى عليها الموت الحقيقي اي لا يردها في وقتها حية ويرسل
الاخرى النائمة الى اجل مسمى الى وقت ضربه لموتها وقيل يتوفى
الانفس يستوفيها ويقبضها وهي الانفس التي تكون معها الحياة
والحركة ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها وهي انفس التمييز قالوا
فالتي تتوفى في النوم هي نفس التمييز لا نفس الحياة لان نفس الحياة
اذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس ورووا عن ابن عباس
رضي الله عنه في ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي
بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحرك فاذا نام العبد
قبض الله نفسه ولم يقبض روحه والصحيح ما ذكرت اولا لان الله
عز وجل علق التوفي والموت والمنام جميعا بالانفس وما الذي عنوا
بنفس الحياة والحركة ونفس العقل والتمييز غير متصف بالموت و
النوم وانما الجملة هي التي تموت وهي التي تنام ان في ذلك ان في توفي
الانفس مائتة ونائمة وامساكها وارسالها الى اجل لآيات على قدرة الله

ونعلم لغوي تجيلون فيه افكارهم ويعتبرون وقرئ قضي عليها الموت
على البناء للمفعول ﴿ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا
لا يملكون شيئا ولا يعقلون﴾ اي اتخذوا بل اتخذ قريش والهمزة
للانكار من دون الله من اذنه شفعاء حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا
عند الله ولا يشفع عنده احد الا باذنه الا ترى الى قوله ﴿قل
لله الشفاعة جميعا﴾ اي هو مالكها فلا يستطيع احد شفاعة الا بشرطين
ان يكون المشفوع له مرتضى وان يكون الشفيع ماذونا له وههنا الشرطان
مفقودان جميعا ولو كانوا معناه ايشفعون ولو كانوا لا يملكون شيئا
ولا يعقلون اي ولو كانوا على هذه الصفة لا يملكون شيئا قط حتى يملكوا الشفاعة
ولا عقل لهم ﴿قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون﴾
ثم له ملك السموات والارض تقرير لقوله لله الشفاعة جميعا لانه اذا كان له
الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها فان قلت بم يتصل قوله ثم اليه
ترجعون قلت بما يليه معناه له ملك السموات والارض اليوم ثم اليه
ترجعون يوم القيمة فلا يكون الملك في ذلك اليوم الا له فله ملك الدنيا
والاخرة ﴿واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون
بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون﴾ مدار
المعنى على قوله وحده اي اذا افرد الله بالذكر ولم يذكر معه الهتهم
اشمأزوا اي نفروا وانقبضوا واذا ذكر الذين من دونه وهم
الهتهم



ذكر الله معهم او لم يذكر استبشروا لافتتانهم بها ونسيانهم حق
الله الى هواهم فيها وقيل اذا قيل لا اله الا الله وحده لا شريك له نفروا
لان فيه نفيا لالهتهم وقيل اراد استبشارهم بما سبق اليه لسان
رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكر الهتهم حين قرأ والنجم عند باب الكعبة
فسجدوا معه لفرحهم ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز
اذ كل واحد منهما غاية في بابه لان الاستبشار ان يمتلئ قلبه غما وغيظا
سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز ان يمتلئ
غما وغيظا حتى ينقبض اديم وجهه فان قلت ما العامل
في اذا ذكر قلت العامل في اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين
من دونه فاجئوا وقت الاستبشار ﴿قل اللهم فاطر السموات و
الارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك في ما كانوا
فيه يختلفون﴾ بعلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بربه وشدة شكيمتهم في
الكفر والعناد فقيل له ادع الله باسمائه العظمى وقل انت وحدك
تقدر على الحكم بيني وبينهم ولا حيلة لغيرك فيهم وفيه وصف
لحالهم واعذار لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له ووعيد لهم وعن
الربيع بن خثيم وكان قليل الكلام انه اخبر بقتل الحسين رضي الله عنه
وسخط على قاتله وقالوا الان يتكلم فما زاد على ان قال آه او قد فعلوا
وقرأ هذه الاية وروي انه قال على اثره قتل من كان صلى الله عليه وسلم
يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه ﴿ولو ان للذين ظلموا ما في الارض

جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة و
بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم من الله ما لم
يكونوا يحتسبون وعيد لهم لا كنه لفظاعته وشدته وهو
نظير قوله في الوعد فلا تعلم نفس ما اخفي لهم والمعنى و
ظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط في حسابهم ولم
يحدثوا به نفوسهم وقيل عملوا اعمالا حسبوها حسنات فاذا
هي سيئات وعن سفيان الثوري انه قرأها فقال ويل لاهل
الرياء وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له فقال اخشى
آية من كتاب الله وتلاها فانا اخشى ان يبدو لي من الله ما لم احتسبه
وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن
وبدا لهم سيئات ما كسبوا اي سيئات اعمالهم التي كسبوها او
سيئات كسبهم حين تعرض صحائفهم وكانت خافية عليهم كقوله
احصاه الله ونسوه او اراد بالسيئات انواع العذاب التي يجازون بها
على ما كسبوا فسماها سيئات كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق
بهم ونزل بهم واحاط جزاء هزئهم فاذا مس الانسان ضر
دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم بل هي فتنة ولكن
اكثرهم لا يعلمون التخويل مختص بالتفضل يقال خولني اذا
اعطاك على غير جزاء على علم اي على علم مني اني ساعطاه لما فيّ من
فضل واستحقاق او على علم من الله بي وباستحقاقي او على علم مني بو
جوه



الكسب كما قال قارون على علم عندي فان قلت لم ذكر الضمير في اوتيته وهو للنعمة
قلت ذهاباً به الى المعنى لان قوله نعمة منا شيئاً من النعمة وقسماً منها ويحتمل
ان يكون ما في انما موصولة لا كافة فيرجع اليه الضمير على معنى ان الذي اوتيته
على علم بل هي فتنة انكار لقوله كانه قال ما خولناك ما خولناك لما تقول بل
هي فتنة اي ابتلاء وامتحان لك اتشكر ام تكفر فان قلت كيف ذكر الضمير
ثم انثه قلت حملاً على المعنى اولاً وعلى اللفظ آخراً ولان الخبر لما كان
مؤنثاً اعني فتنة ساغ تأنيث المبتدأ لاجله لانه في معناه كقولهم
ما جاءت حاجتك وقرئ بل هو فتنة على وفق انما اوتيته فان قلت ما السبب
في عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها في اول السورة بالواو قلت السبب
في ذلك ان هذه وقعت مسببة عن قوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت
على معنى انهم يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مس
احدهم ضر دعا من اشمأز من ذكره دون من استبشر بذكره وما بينهما
من الآي اعتراض فان قلت حق الاعتراض ان يؤكد المعترض بينه وبينه
قلت ما في الاعتراض من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بامر منه وقوله انت تحكم
بينهم ثم ما عقبه من الوعيد العظيم تأكيد لانكار اشمئزازهم واستبشارهم
ورجوعهم الى الله في الشدائد دون آلهتهم كانه قيل قل يا رب لا
يحكم بيني وبين هؤلاء الذين يجترؤن عليك مثل هذه الجرأة ويرتكبون
مثل هذا الا انت وقوله ولو ان للذين ظلموا متناول لهم ولكل ظالم ان
جعل مطلقاً واياهم خاصة ان عنيتهم به كانه قيل ولو ان لهؤلاء الظالمين

ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به حيث أحكم عليهم سؤال
العذاب وهذه الأسرار والنكت لا يبرزها إلا علماء النظم والمتـ
بنيقه بحجة في أحكامها وأما الآية الأولى فلم تقع مسببة وما هي إلا
جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو كقولك قام زيد وقعد
عمرو فإن قلت من أين وقعت مسببة والاشمئزاز عن ذكر الله
ليس بمقتض للالتجاء إليه بل هو مقتض لصدوفهم عنه قلت
في هذا التسبيب لطف وبيانه أنك تقول زيد مؤمن بالله وإذا مسه
ضر التجأ إليه فهذا تسبيب ظاهر لا لبس فيه ثم تقول زيد كافر
بالله فإذا مسه ضر التجأ إليه فتجيء بالفاء مجيئك به ثمة كأن الكافر حين
التجأ إلى الله التجاء المؤمن إليه مقيم كفره مقام الإيمان ومجريه
مجراه في جعله سبباً في الالتجاء فأنت تحكي ما عكس فيه الكافر ألا ترى
أنك تقصد بهذا الكلام الإنكار والتعجب من فعله قد قالها
الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون الضمير في قالها
راجع إلى قوله إنما أوتيته على علم لأنها كلمة أو جملة من القول وقرئ قد
قاله على معنى القول والكلام وذلك والذين من قبلهم هم قارون
وقومه حيث قال إنما أوتيته على علم عندي وقومه راضون بها فكأنهم
قالوها ويجوز أن يكون في الأمم الخالية آخرون قائلون مثلها فما أغنى
عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا ويجمعون منه فأصابهم
سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما

فيه

كسبوا

كسبوا وما هم بمعجزين أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون من هؤلاء من
مشركي قومك سيصيبهم مثل ما أصاب أولئك فقتل صناديدهم
ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين ثم بسط
لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم أولم يعلموا أنه لا قابض ولا
باسط إلا الله عز وجل قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور
الرحيم أسرفوا على أنفسهم جنوا عليها بالإسراف في المعاصي والغلو
فيها لا تقنطوا قرئ بفتح النون وكسرها وضمها إن الله يغفر الذنوب
جميعاً يعني بشرط التوبة وقد تكرر ذكر هذا الشرط في القرآن فكان
ذكره فيما ذكر فيه ذكراً له فيما لم يذكر فيه لأن القرآن في حكم كلام واحد
ولا يجوز فيه التناقض وفي قراءة ابن عباس وابن مسعود يغفر الذ
جميعاً لمن يشاء والمراد بمن يشاء من تاب لأن مشيئة الله تابعة
لحكمته وعدله لا لملكه وجبروته وقيل في قراءة النبي عم وفاطمة رض
عنها يغفر الذنوب جميعاً ولا يبالي ونظير نفي المبالاة نفي الخوف
في قوله ولا يخاف عقباها وقيل قال أهل مكة يزعم محمد أن من عبد
الأوثان وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له فكيف ولم نهاجر
وقد عبدنا الأوثان وقتلنا النفس التي حرم الله فنزلت وروي أنه
أسلم عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ثم

ذنوب

يفتنوا ويعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لا يقبل الله لهم صرفاً ولا عدلاً
أبداً فنزلت فكتب بها عمر رضي الله عنه إليهم فأسلموا وهاجروا وقيل
نزلت في وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحب أن لي
الدنيا وما فيها بهذه الآية فقال رجل يا رسول الله ومن أشرك فسكت
ساعة ثم قال ألا ومن أشرك ثلاث مرات، وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا
له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون، وأنيبوا إلى ربكم وتوبوا
إليه وأسلموا له وأخلصوا له العمل وإنما ذكر الإنابة على إثر المغفرة
لئلا يطمع طامع في حصولها بغير توبة وللدلالة على أنها شرط فيها
لازم لا تحصل بدونه، واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم
من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون، واتبعوا
أحسن ما أنزل إليكم من ربكم مثل قوله الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه وأنتم لا تشعرون أي يفجأكم وأنتم غافلون كأنكم
لا تخشون شيئاً لفرط غفلتكم وسهوكم، أن تقول نفس يا
حسرتى على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين، أن تقول
نفس كراهة أن تقول فإن قلت لم نكرت قلت لأن المراد بها بعض
الأنفس وهي نفس الكافر ويجوز أن يراد نفس متميزة من الأنفس
إما بلجاج في الكفر شديد أو بعذاب عظيم ويجوز أن يراد التكثير
كما قال الأعشى، ورب بقيع لو هتفت بجوه أتاني كريم ينفض
الرأس مغضباً، وهو يريد أفواجاً من الكرام ينصرونه لا كريماً

بجوه





واحداً أو نظيره ورب بلد قطعت ورب بطل قارعت، وقد اختلس
الطعنة ولا يقصد إلا التكثير وقرئ يا حسرتي على الأصل ويا حسرتاي
على الجمع بين العوض والمعوض منه والجنب الجانب يقال
أنا في جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجنب والجانب
ثم قالوا فرط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه قال سابق البربري
، أما تتقين الله في جنب وامق له كبد حرى عليك تقطع، وهذا
من باب الكناية لأنك إذا أثبت الأمر في مكان الرجل وحيزه فقد
أثبته فيه ألا ترى إلى قوله إن السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت
على ابن الحشرج، ومنه قول الناس لمكانك فعلت كذا يريدون
لأجلك وفي الحديث من الشرك الخفي أن يصلي الرجل لمكان
الرجل وكذلك فعلت هذا من جهتك فمن حيث لم يبق فرق
فيما يرجع إلى أداء الغرض بين ذكر المكان وتركه قيل فرطت في
جنب الله على معنى فرطت في ذات الله فإن قلت فمرجع كلامك إلى
أن ذكر الجنب كلا ذكر سوى ما يعطي من حسن الكناية وبلاغتها
فكأنه قيل فرطت في الله فما معنى فرطت في الله قلت لا بد من تقدير
مضاف محذوف سواء ذكر الجنب أو لم يذكر والمعنى فرطت
في طاعة الله وعبادة الله وما أشبه ذلك وفي حرف عبد الله وحفصة
في ذكر الله وما في ما فرطت مصدرية مثلها في بما رحبت وإن كنت
لمن الساخرين قال قتادة لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر من

بربرى

أهلها ومحل وإن كنت النصب على الحال كأنه قال فرطت وأنا ساخر
أي فرطت في حال سخريتي وروي أنه كان في بني إسرائيل عالم
ترك علمه وفسق أتاه إبليس وقال له تمتع من الدنيا ثم تب فأ
طاعه وكان له مال فأنفقه في الفجور فأتاه ملك الموت في ألذ ما
ما كان فقال يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ذهب عمري في طا
الشيطان أو تحتج بالتقدير حين لم ينفعه الترك فأثبت الله
خبره في القرآن أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو
تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين بلى
قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين
لو أن الله هداني لا يخلو إما أن يريد الهداية بالإلجاء أو
بالألطاف أو بالوحي فالإلجاء خارج عن الحكمة ولم يكن من أهل
الألطاف فيلطف به وأما الوحي فقد كان ولكنه أعرض ولم يتبعه
حتى يهتدي وإنما يقول هذا تحيراً في أمره وتعللاً بما لا يجدي
عليه كما حكى عنهم التعلل بإغواء الرؤساء والشياطين ونحو ذلك
ونحوه لو هدانا الله لهديناكم وقوله بلى قد جاءتك آياتي رد من
الله عليه معناه بلى قد هديت بالوحي فكذبت به واستكبرت عن
قبوله وآثرت الكفر على الإيمان والضلالة على الهدى وقرئ بكسر التاء
على مخاطبة النفس فإن قلت هلا قرن الجواب بما هو جواب له
وهو قوله لو أن الله هداني ولم يفصل بينهما بآية قلت لأنه لا
يخلو

إما أن يقدم على أخرى القرائن الثلاث فيفرق بينهن وإما
أن تؤخر القرينة الوسطى فلم يحسن الأول لما فيه من تبتير
النظم بالجمع بين القرائن وأما الثاني فلما فيه من نقض
الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة ثم التعلل بفقد
الهداية ثم تمني الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو أنه حكى
أقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم أجاب من بينها عما اقتضى الجواب
فإن قلت كيف صح أن تقع بلى جواباً لغير منفي قلت لو أن الله هداني
فيه معنى ما هديت ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله
وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين كذبوا
على الله وصفوه بما لا يجوز عليه وهو متعال عنه فأضافوا إليه الولد
والشريك وقالوا هؤلاء شفعاؤنا وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم
وقالوا والله أمرنا بها ولا يبعد عنهم قوم يسفهونه بفعل
القبائح وتجويز أن يخلق خلقاً لا لغرض ويظلمونه بتكليف ما لا
يطاق ويجسمونه بكونه مرئياً معاينا مدركاً بالحاسة ويثبتون له يداً
وقدماً وجنباً مستترين بالبلكفة ويجعلون له أنداداً بإثباتهم معه
قدماء وجوههم مسودة جملة في موضع الحال إن كان ترى من رؤية
البصر ومفعول ثان إن كان من رؤية القلب وينجي الله الذين
اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون وقرئ ينجي
بمفازتهم بفلاحهم يقال فاز بكذا إذا أفلح به وظفر بمراده منه

ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله واطيعون ان الله
هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ؞ بالبينات بالمعجزات او با
بآيات الانجيل والشرائع البينات الواضحات بالحكمة بالانجيل والشرائع
فان قلت هلا بين لهم كل الذي يختلفون فيه ولكن بعضه قلت كانوا
يختلفون في الديانات وما يتعلق بالتكليف وفيما سوى ذلك مما لم
يتعبدوا بمعرفته والسؤال عنه وانما بعث ليبين لهم ما اختلفوا
فيه مما يعنيهم من امر دينهم ؞ فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين
ظلموا من عذاب يوم اليم الاحزاب الفرق المتحزبة بعد عيسى
وقيل اليهود والنصارى فويل للذين ظلموا وعيد لهم الاحزاب فان قلت
من بينهم الى من يرجع الضمير فيه قلت الى الذين خاطبهم عيسى في قوله
قد جئتكم بالحكمة وهم قومه المبعوث اليهم ؞ هل ينظرون الا الساعة
ان تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون ؞ ان تأتيهم بدل من الساعة والمعنى هل
ينظرون الا اتيان الساعة فان قلت اما ادى قوله بغتة مؤدى قوله
وهم لا يشعرون فيستغني عنه قلت لا لان معنى قوله وهم لا يشعرون
وهم غافلون لاشتغالهم بامور دنياهم كقوله تأخذهم وهم يخصمون
ويجوز ان تأتيهم بغتة وهم فطنون ؞ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض
عدو الا المتقين ؞ يومئذ منصوب بعدو اي تنقطع في ذلك اليوم
كل خلة بين المتخالين في غير ذات الله وتنقلب عداوة ومقتا الا خلة
المتصادقين في الله فانها الخلة الباقية المزدادة اذا رأوا ثواب التحاب
قوة





في الله والتباغض في الله وقيل الا المتقين الا المجتنبين اخلاء السوء وقيل
نزلت في ابي بن خلف وعقبة ابن ابي معيط ؞ يا عباد لا خوف عليكم اليوم
ولا انتم تحزنون ؞ يا عباد حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله
يومئذ والذين آمنوا منصوب المحل صفة لعبادي لانه منادى مضاف
اي الذين صدقوا باياتنا وكانوا مسلمين مخلصين وجوههم لنا جاعلين
انفسهم سالمة لطاعتنا وقيل اذا بعث الله الناس فزع كل احد فينادي مناد
يا عبادي فيرجوها الناس كلهم ثم يتبعها الذين آمنوا فييأس الناس منها
غير المسلمين وقرئ يا عبادي ؞ الذين آمنوا باياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا
الجنة انتم وازواجكم تحبرون ؞ تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره
اي اثره على وجوهكم كقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم وقال
الزجاج تكرمون اكراما يبالغ فيه الحبرة المبالغة فيما وصف بجميل ؞ يطاف
عليهم بصحاف من ذهب واكواب وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين
وانتم فيها خالدون ؞ والكوب الكوز لا عروة له وقيل الضمير للجنة وقرئ
تشتهي وتشتهيه وهذا حصر لانواع النعم لانها اما مشتهاة في القلوب واما
مستلذة في العيون ؞ وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون تلك
اشارة الى الجنة المذكورة فهي مبتدأ والجنة خبر والتي اورثتموها
صفة الجنة او الجنة صفة للمبتدأ الذي هو اسم الاشارة والتي اورثتموها خبر
المبتدأ او التي اورثتموها صفة وبما كنتم تعملون الخبر والباء يتعلق بمحذوف

كما في الظروف التي تقع اخبارا وفي الوجه الاول يتعلق باورثتموها و
شبهت في بقائها على اهلها بالميراث الباقي على الورثة وقرئ ورثتموها ٭
لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون ٭ منها تأكلون من للتبعيض اي لا تأكلون الا بعضها
واعقابها باقية في اشجارها فهي مزينة بالثمار ابدا موقرة بها لا ترى شجرة
عريانة من ثمرها كما في الدنيا وعن النبي عليه السلام لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها
الا نبت مكانها مثلاها ٭ ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم
وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ٭ لا يفتر عنهم لا يخفف
ولا ينقص من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت عنه قليلا ونقص حرها و
المبلس اليائس الساكت سكوت يائس من فرج وعن الضحاك يجعل المجرم
في تابوت من نار ثم يردم عليه فيبقى فيه خالدا لا يرى ولا يرى هم فصل عند
البصريين عماد عند الكوفيين وقرئ وهم بها في النار ٭ ونادوا يا مالك
ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون ٭ وقرأ علي وابن مسعود رضي الله عنهما يا مال
بحذف الكاف للترخيم كقول القائل ٭ والحق يا مال غير ما تصف ٭ وقيل لابن عباس
ان ابن مسعود قرأ ونادوا يا مال فقال ما اشغل اهل النار عن الترخيم وعن
حسن الترخيم انهم يقتطعون بعض الاسم لضعفهم وعظم ما هم فيه وقرأ ابو
السرار الغنوي يا مال بالرفع كما يقال يا حار ليقض علينا من قضى عليه اذا اما
ته فوكزه موسى فقضى عليه والمعنى سل ربك ان يقضي علينا فان قلت كيف قال
ونادوا يا مالك بعدما وصفهم بالابلاس قلت تلك ازمنة متطاولة واحقاب

ممتدة



ممتدة فتختلف بهم الاحوال فيسكتون اوقاتا لغلبة اليأس عليهم وعلمهم
انه لا فرج لهم ويغوثون اوقاتا لشدة ما بهم ماكثون لابثون فيه استهزاء و
المراد خلودهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انما يجيبهم بعد الف سنة وعن النبي عليه السلام يلقى
على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكا
فيدعون يا مالك ليقض علينا ربك ٭ لقد جئناكم بالحق ولكن اكثركم
للحق كارهون ٭ لقد جئناكم بالحق كلام الله عز وجل بدليل قراءة من
قرأ لقد جئتكم ويجب ان يكون في قال ضمير الله لما سألوا مالكا ان يسأل
الله القضاء عليهم اجابهم الله بذلك كارهون لا تقبلونه وتنفرون منه و
تشمئزون منه لان مع الباطل الدعة ومع الحق التعب ٭ ام ابرموا
امرا فانا مبرمون ٭ ام ابرموا مشركو مكة امرا من كيدهم برسول الله
فانا مبرمون كيدنا كما ابرموا كيدهم كقوله ام يريدون كيدا فالذين
كفروا هم المكيدون وكانوا يتنادون فيتناجون في امر رسول الله صلى الله عليه
٭ ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون
٭ فان قلت ما المراد بالسر والنجوى قلت بالسر ما حدث به الرجل نفسه او
غيره في مكان خال والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم بلى نسمعها ونطلع عليها
ورسلنا يريد الحفظة عندهم يكتبون ذلك وعن يحيى بن معاذ الرازي من
ستر من الناس ذنوبه وابداها للذي لا يخفى عليه شيء في السموات فقد
جعله اهون الناظرين اليه وهو من علامات النفاق ٭ قل ان كان للرحمن ولد

ومكرهم

فأنا أول العابدين إن كان للرحمن ولد وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح
توردونه وحجة واضحة تدلون بها فأنا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم
إلى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا
كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد
والإطناب فيه وأن لا يترك الناطق به شبهة إلا مضمحلة مع الترجمة عن
نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك أنه علق العبادة بكينونة
الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها فهو في صورة
إثبات الكينونة والعبادة وفي معنى نفيهما على أبلغ الوجوه وأقواها ونظيره
أن يقول العدلي للمجبر إن كان الله خالقا للكفر في القلوب ومعذبا
عليه عذابا سرمدا فأنا أول من يقول هو شيطان وليس بإله فمعنى
هذا الكلام وما وضع له أسلوبه ونظمه نفي أن يكون الله خالقا للكفر
وتنزيهه عن ذلك وتقديسه ولكن على طريق المبالغة فيه من الوجه
الذي ذكرنا مع الدلالة على سماجة المذهب وضلالة الذاهب إليه
والشهادة القاطعة بإحالته والإفصاح عن نفسه بالبراءة منه وغاية النفار
والاشمئزاز من ارتكابه ونحو هذه الطريقة قول سعيد بن جبير رحمه الله
للحجاج حين قال له أما والله لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى لو عرفت
أن ذلك إليك ما عبدت إلها غيرك وقد تمحل الناس بما أخرجوه به من
هذا الأسلوب الشريف المليء بالنكت والفوائد المستقل بإثبات



التوحيد على أبلغ وجوهه فقيل إن كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول
العابدين الموحدين لله المكذبين قولكم بإضافة الولد إليه وقيل إن
كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول الآنفين من أن يكون له ولد من عبد
يعبد إذا اشتد أنفه فهو عبد وعابد وقرأ بعضهم العبدين وقيل
هي إن النافية أي ما كان للرحمن ولد فأنا أول من قال بذلك وعبد ووحد
وروي أن النضر بن عبد الدار بن قصي قال إن الملائكة بنات الله
فنزلت فقال النضر ألا ترون أنه قد صدقني فقال له الوليد بن المغيرة
ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة
أن لا ولد له وقرئ ولد بضم الواو ثم نزه ذاته موصوفة بربوبية
السموات والأرض والعرش عن اتخاذ الولد ليدل على أنه من
صفة الأجسام ولو كان جسما لم يقدر على خلق هذا العالم وتدبير أمره
سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون فذرهم
يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون فذرهم
يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم وهذا دليل
على أن ما يقولونه من باب الجهل والخوض واللعب وإعلام لرسول الله
أنهم من المطبوع على قلوبهم الذين لا يرجعون البتة وإن ركب في دعوتهم
كل صعب وذلول وخذلان لهم وتخلية كقوله اعملوا ما شئتم وإيعاد
بالشقاء في العاقبة وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم
العليم

حالهما وفي ما لا يستجيب وفي ان يدعو غير الله من لا يستجيب ووصفهم
بترك الاستجابة والغفلة بطريق التهكم بها وبعبدتها ونحوه
قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم
ويوم القيمة يكفرون بشرككم، واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين
كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين ام يقولون افتراه قل ان
افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا هو اعلم بما تفيضون فيه كفى به
شهيدا بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم، بينات جمع بينة وهي
الحجة والشاهد او واضحات مبينات واللام في للحق مثلها في قوله تعالى
للذين آمنوا لو كان خيرا اي لاجل الحق ولاجل الذين آمنوا والمراد
بالحق الآيات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهران موضع
الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق لما جاءهم اي بادروا
هو بالجحود ساعة ما اتاهم واول ما سمعوه من غير اجالة فكر ولا
نظر من عنادهم وظلمهم انه تمويه سحر ابينا ظاهرا امره
في البطلان لا شبهة فيه ام يقولون افتراه اضراب عن ذكر تسميتهم
الآيات سحرا الى ذكر قولهم ان محمدا افتراه ومعنى الهمزة في ام
الانكار والتعجب كانه قيل دع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضي
منه التعجب وذلك ان محمدا كان لا يقدر عليه حتى يقدر ويفتريه على الله

ولو

يبين

اجالة



ولو قدر عليه دون امة العرب لكانت قدرته عليه معجزة لخرقها
العادة واذا كانت معجزة كانت تصديقا من الله والحكيم لا يصدق
الكاذب فلا يكون مفتريا والضمير للحق والمراد به الآيات قل ان افتريته
على سبيل الفرض فاجلني الله لا محالة بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدرون
على كفه عن معاجلتي ولا تطيقون دفع شيء من عقابه عني فكيف افتريه
واتعرض لعقابه يقال فلان لا يملك اذا غضب ولا يملك عنانه اذا
صمم ومثله فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم ومن يرد
الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ومنه قوله ومن لا املك لكم من الله شيئا ثم قال
هو اعلم بما تفيضون فيه اي تندفعون فيه من القدح في وحي الله والطعن في
آياته وتسميته سحرا تارة وفرية اخرى كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي
بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالكذب والجحود ومعنى ذكر العلم والشهادة
وعيد بجزاء افاضتهم وهو الغفور الرحيم موعدة بالغفران والرحمة ان
رجعوا عن الكفر وتابوا وآمنوا واشعار بحلم الله عنهم مع عظم ما ارتكبوا
فان قلت فما معنى اسناد الفعل اليهم في قوله فلا تملكون لي قلت كان فيما اتاهم به
النصيحة لهم والاشفاق عليهم من سوء العاقبة وارادة الخير بهم فكانه قال لهم
ان افتريته وانا اريد بذلك التنصيح لكم وصدكم عن عبادة الالهة الى
عبادة الله فما تغنون عني ايها المنصوحون ان اخذني الله بعقوبة الافتراء عليه

دة

ان قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم ان اتبع
الا ما يوحى الى وما انا الا نذير مبين قل ارايتم ان كان من عند الله
وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم
ان الله لا يهدى القوم الظالمين البدع بمعنى البديع كالخف
بمعنى الخفيف وقرئ بدعا بفتح الدال اى ذا بدع ويجوز ان يكون
صفة على فعل كقولهم دين قيم ولحم زيم كانوا يقترحون عليه الايات
ويسألونه عما لم يوح به اليه من الغيوب فقيل له قل ما كنت بدعا من
الرسل فاتيكم بما تقترحونه واخبركم بكل ما تسألون عنه من المغيبات
فان الرسل لم يكونوا ياتون الا بما اتاهم الله من اياته ولا يخبرون الا بما
اوحى اليهم ولقد اجاب موسى عليه السلام عن قول فرعون فما بال القرون الا
ولى بقوله علمها عند ربى وما ادرى لانه لا علم لى بالغيب ما يفعل
الله بى وبكم فيما يستقبل من الزمان من افعاله ويقدر لى ولكم من قضايا
ان اتبع الا ما يوحى الى وعن الحسن وما ادرى ما يصير اليه امرى
وامركم فى الدنيا ومن الغالب منا والمغلوب وعن الكلبى قال له اصحابه
وقد ضجروا من اذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما ادرى
ما يفعل بى ولا بكم اترك بمكة ام اومر بالخروج الى ارض قد رفعت
ورفعت لى ورايتها يعنى فى منامه ذات نخيل وشجر وعن ابن عباس رضى الله عنه





يفعل بى ولا بكم فى الاخرة وقال هى منسوخة بقوله ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر ويجوز ان يكون نفيا للدراية المفصلة وقرئ ما يفعل
بفتح الياء اى يفعل الله عز وجل فان قلت ان يفعل مثبت غير منفى فكان
وجه الكلام ما يفعل بى وبكم قلت اجل ولكن النفى فى ما ادرى لما كان
مشتملا عليه لتناوله ما وما فى حيزه صح ذلك وحسن الا ترى الى قوله
اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر
كيف دخلت الباء فى خبر ان وذلك لتناول النفى اياها مع ما فى حيزها و
ما فى يفعل يجوز ان تكون موصولة وان تكون استفهامية مرفوعة وقرئ
يوحى اى الله عز وجل جواب الشرط محذوف تقديره ان كان القرآن
من عند الله وكفرتم به الستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله ان الله
لا يهدى القوم الظالمين والشاهد من بنى اسرائيل عبد الله بن سلام
لما قدم رسول الله صلعم المدينة نظر الى وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب
وتأمله فتحقق انه هو النبى المنتظر وقال له انى سائلك عن ثلث لا يعلمهن
الا نبى ما اول اشراط الساعة وما اول طعام ياكله اهل الجنة وما بال الولد
ينزع الى ابيه او الى امه فقال عم اما اول اشراط الساعة فنار تحشرهم
من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد حوت
واما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المراة نزعته

فقال اشهد انك رسول الله حقا فقال يا رسول الله ان اليهود قوم
بهت وان علموا باسلامي قبل ان تسالهم عني بهتوني عندك
فجاءت اليهود فقال لهم النبي عم اي رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا
وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا قال ارايتم ان اسلم
عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان
لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا و
انتقصوه قال هذا ما كنت اخاف يا رسول الله واحذر قال سعد بن
ابي وقاص ما سمعت رسول الله عم يقول لاحد يمشي على وجه الارض
انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد
من بني اسرائيل على مثله الضمير للقرآن اي على مثله في المعنى وهو ما في التوراة
من المعاني المطابقة لمعاني القرآن من التوحيد والوعد والوعيد
وغير ذلك ويدل عليه قوله وانه لفي زبر الاولين ان هذا لفي
الصحف الاولى كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك ويجوز ان
المعنى ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعني
كونه من عند الله فان قلت اخبرني عن نظم هذا الكلام لاقف على
معناه من جهة النظم قلت الواو الاولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط
كما عطفته ثم في قوله قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به وكذلك

الواو

الواو الآخرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد واما الواو في وشهد
شاهد فقد عطفت جملة قوله شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله
فآمن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به ونظيره قولك
ان احسنت اليك واسات واقبلت عليك واعرضت لم نتفق في انك اخذت
ضميمين فعطفتهما على مثليهما والمعنى قل اخبروني ان اجتمع كون
القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة اعلم بني اسرائيل على
نزول مثله وايمانه به مع استكباركم عنه وعن الايمان به الستم اضل الناس
واظلمهم وقد جعل الايمان في قوله فآمن مسببا عن الشهادة على مثله لانه
لما علم ان مثله انزل على موسى صلوات الله عليه وانه من جنس الوحي وليس
من كلام البشر وانصف من نفسه فشهد عليه واعترف كان الايمان
نتيجة ذلك وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا
اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم للذين آمنوا
لاجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا عامة من يتبع محمدا السقاط يعنون
الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود فلو كان ما جاء به خيرا ما
سبقنا اليه هؤلاء وقيل لما اسلمت جهينة ومزينة واسلم وغفار
قالت بنو عامر وغطفان واسد واشجع لو كان خيرا ما سبقنا اليه
رعاء البهم وقيل ان امة لعمر اسلمت فكان عمر يضربها حتى يفتر

ابوه ابو بكر وامه ام رومان الى الاسلام فافف بهما وقال ابعثوا لي
جدعان بن عمرو وعثمان بن عمرو وهما من اجداده حتى اسالهما
عما يقول محمد ويشهد لبطلانه ان المراد بالذين في الجنس القائلين
ذلك وان قوله الذين حق عليهم القول هم اصحاب النار وعبد الرحمن
كان من افاضل المسلمين وسرواتهم وعن عائشة رضي الله عنها انكار نزوله
فيه وحين كتب معوية الى مروان بان يبايع الناس ليزيد قال
عبد الرحمن لقد جئتم بها هرقلية اتبايعون لابنائكم فقال مروان
يا ايها الناس هو الذي قال الله فيه والذي قال لوالديه اف لكما فسمعت
عائشة رضي الله عنها فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت ان
اسميه لسميته ولكن الله لعن اباك وانت في صلبه فانت فضض
من لعنة الله وقرئ اف بالكسر والفتح بغير تنوين وبالحركات
الثلث مع التنوين وهو صوت اذا صوت به الانسان علم انه
متضجر كما اذا قال حس علم انه متوجع واللام للبيان معناه
هذا التافيف لكما خاصة ولاجلكما دون غيركما وقرئ اتعدانني
بنونين واتعداني باحدهما واتعداني بالادغام وقد
قرا بعضهم اتعدانني بفتح النون كانه استثقل اجتماع
النونين والكسرتين والياء ففتح الاولى تحريا للتخفيف كما تحراه

من

لها

من ادغم ومن طرح احدهما ان اخرج ان ابعث واخرج من الارض وقرئ
وقد خلت القرون من قبلي يعني ولم يبعث منهم احد وهما يستغيثان
الله يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله ويلك
دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة
الهلاك في امم نحو قوله في اصحاب الجنة وقرئ ان بالفتح على معنى آمن
بان وعد الله حق ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم اعمالهم وهم
لا يظلمون ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في
حيوتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم
تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ولكل من
الجنسين المذكورين درجات مما عملوا منازل ومراتب من جزاء
ما عملوا من الخير والشر او من اجل ما عملوا مما هما فان قيل كيف قيل
درجات وقد جاء الجنة درجات والنار دركات قلت يجوز ان يقال ذلك
على وجه التغليب لاشتماله كما على الفريقين وليوفيهم وقرئ بالنون
تعليل معلله محذوف لدلالة الكلام عليه كانه قيل وليوفيهم
اعمالهم ولا يظلمون حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير اعمالهم
فجعل الثواب درجات والعقاب دركات فاحسب النظر هو القول
المضمر قبل اذهبتم ويعرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض
بنو فلان على السيف اذا قتلوا به ومنه قوله النار يعرضون عليها وقيل

لكل

عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض
الحوض عليها فقلبوا ويدل عليه تفسير ابن عباس يجاء بهم اليها فيكشف
لهم عنها اذهبتم طيباتكم اي ما كتب لكم حظ من الطيبات الا ما قد ~~اصبتموه~~
اصبتموه في دنياكم وقد ذهبتم به واستمتعتم به فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم
شيء منها وعن عمر رضي الله عنه لو شئت لدعوت بصلائق وصناب وكراكر
واسنمة ولكني رأيت الله تعالى نعى على قوم طيباتهم فقال اذهبتم طيباتكم في
حياتكم الدنيا وعنه لو شئت لكنت اطيبكم طعاما واحسنكم لباسا ولكني استبقي
طيباتي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه دخل على اهل الصفة وهم يرقعون ثيابهم
بالادم ما يجدون لها رقاعا فقال اانتم اليوم خير ام يوم يغدو احدكم
في حلة ويروح في اخرى ويغدى عليه بجفنة ويراح عليه باخرى ويستر بيته كما يستر
الكعبة قالوا نحن يومئذ خير وقرئ اذهبتم بهمزة الاستفهام وآاذهبتم
بالف بين همزتين الهون الهوان وقرئ عذاب الهوان وقرئ تفسقون
بضم السين وكسرها واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف وقد
خلت النذر من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله اني اخاف
عليكم عذاب يوم عظيم الاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مر
تفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانت عاد اصحاب عمد
يسكنون بين رمال مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر من بلاد
اليمن وقيل بين عمان ومهرة والنذر جمع نذير بمعنى المنذر او الانذار

من



من بين يديه من قبله ومن خلفه ومن بعده وقرئ من بين يديه ومن بعده
والمعنى ان هودا عليه السلام قد انذرهم وقال لهم لا تعبدوا الا الله اني اخاف
عليكم العذاب واعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون
بعده كلهم منذرون نحو انذاره وعن ابن عباس رضي الله عنه يعني الرسل
الذين بعثوا قبله والذين بعثوا في زمانه ومعنى ومن خلفه على هذا
التفسير ومن بعد انذاره هذا اذا علقت وقد خلت النذر بقوله
انذر قومه ولك ان تجعل قوله وقد خلت النذر من بين يديه ومن
خلفه اعتراضا بين انذر قومه وبين ان لا تعبدوا ويكون المعنى واذكر
انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد انذر من تقدمه
من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك فاذكرهم قالوا اجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا
فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما العلم عند الله وابلغكم ما
ارسلت به ولكني اراكم قوما تجهلون الافك الصرف يقال افكه عن رأيه
عن آلهتنا عن عبادتها بما تعدنا من معاجلة العذاب على الشرك ان كنت صادقا في
وعدك فان قلت من اين طابق قوله انما العلم عند الله جوابا لقولهم فأتنا
بما تعدنا قلت من حيث ان قولهم هذا استعجال منهم بالعذاب الا ترى الى
قوله بل هو ما استعجلتم به فقال لهم لا علم عندي بالوقت الذي يكون فيه تعذيبكم
حكمة وصوابا انما علم ذلك عند الله فكيف ادعوه بان يأتيكم بعذابه في وقت عاجل
تقترحونه انتم ومعنى وابلغكم ما ارسلت به وقرئ بالتخفيف ان الذي هو شأني وشرطي

أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق
مستقيم ۝ صرفنا إليك نفرا أملناهم إليك وأقبلنا بهم نحوك وقد قرئ صرفنا
بالتشديد لأنهم جماعة والنفر دون العشرة ويجمع أنفارا وفي
حديث أبي ذر رضي الله عنه لو كان هاهنا أحد من أنفارنا فلما حضروه
الضمير للقرآن أي فلما كان بمسمع منهم أو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويعضده
قراءة من قرأ فلما قضي أي أتم قراءته وفرغ منها قالوا قال بعضهم
لبعض أنصتوا اسكتوا مستمعين يقال أنصت لكذا وا
ستنصت له روي أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرست
السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا إلا لنبأ حدث فنهض
سبعة نفر أو تسعة من أشراف جن نصيبين أو نينوى منهم
زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا إلى وادي نخلة فوافوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلي أو في صلاة الفجر
فاستمعوا القرآن وذلك عند منصرفه من الطائف حين خرج
إليهم يستنصرهم فلم يجيبوه إلى طلبته وأغروا به سفهاء ثقيف وعن
سعيد بن جبير رضي الله عنه ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم
وإنما كان يتلو في صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فأنبأه
الله باستماعهم وقيل بل أمر الله رسوله أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف إليه
نفرا منهم جمعهم له فقال إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها



ثلاثا فأطرقوا إلا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لم يحضره ليلة الجن أحد
غيري فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة في شعب الحجون خط لي خطا وقال لا
تخرج منه حتى أعود إليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى
خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع
صوته ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت
شيئا قلت نعم رجالا سودا مستثفري ثياب بيض فقال أولئك جن
نصيبين وكانوا اثني عشر ألفا والسورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك
فإن قلت كيف قالوا من بعد موسى قلت عن عطاء أنهم كانوا على اليهودية
وعن ابن عباس أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى فلذلك قالت من بعد
موسى ۝ يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم و
يجركم من عذاب أليم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض
وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين ۝ فإن قلت لم بعض في قوله
من ذنوبكم قلت لأن من الذنوب ما لا يغفر بالإيمان كذنوب المظالم ونحوها
ونحوه قوله عز وجل أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من
ذنوبكم فإن قلت هل للجن ثواب كما للإنس قلت اختلف فيه فقيل لا ثواب
لهم إلا النجاة من النار لقوله ويجركم من عذاب أليم وإليه كان يذهب
أبو حنيفة رحمه الله والصحيح أنهم في حكم بني آدم لأنهم مكلفون مثلهم
فليس بمعجز في الأرض أي لا ينجي منه مهرب ولا يسبق قضاءه سابق

ونحوه قوله وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا (أولم يروا
أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى
بلى إنه على كل شيء قدير) بقادر في محل الرفع لأنه خبر أن ويدل عليه
قراءة يعقوب يقدر وإنما دخلت الباء لاشتمال النفي في أول الآية على أن وما
في حيزها وقال الزجاج لو قلت ما ظننت أن زيدا بقائم جاز كأنه قيل
أليس الله بقادر ألا ترى إلى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شيء من البعث و
غيره لا لرؤيتهم وقرئ يقدر ويقال عييت بالأمر إذا لم تعرف وجهه ومنه أفعيينا
بالخلق الأول (ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا
بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل
ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار
بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون) أليس هذا بالحق محكي بعد قول
مضمر وهذا المضمر هو ناصب الظرف وهذا إشارة إلى العذاب بدليل قوله
فذوقوا العذاب والمعنى التهكم بهم والتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله وو
عيده وقولهم وما نحن بمعذبين أولو العزم أولو الجد والثبات والصبر
ومن يجوز أن تكون للتبعيض ويراد بأولي العزم بعض الأنبياء قيل هم نوح صبر
على أذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وإبراهيم على النار وذبح ولده و
إسحاق على الذبح ويعقوب على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف على الجب و
السجن وأيوب على الضر وموسى قال له قومه إنا لمدركون قال كلا إن معي

ربي

ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته أربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وقال
إنها معبرة فاعبروها ولا تعمروها وقال الله في آدم ولم نجد له عزما وفي يونس
ولا تكن كصاحب الحوت ويجوز أن يكون للبيان فيكون أولو العزم صفة الرسل ولا
تستعجل للكفار قريش بالعذاب أي لا تدع لهم بتعجيله فإنه نازل بهم لا محالة و
إن تأخر وإنهم مستقصرون حينئذ مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة من نهار
بلاغ هذا بلاغ أي هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة أو هذا تبليغ من الرسول
فهل يهلك إلا الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبه ويدل على معنى التبليغ قراءة
من قرأ بلغ فهل يهلك وقرئ بلاغا أي بلغوا بلاغا وقرئ يهلك بفتح الياء و
كسر اللام ونهلك من هلك ونهلك بالنون إلا القوم الفاسقين عن
رسول الله ﷺ من قرأ سورة الأحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في
الدنيا سورة محمد مدنية وهي أربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات
وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح
بالهم وصدوا وامتنعوا عن الدخول في الإسلام أو صدوا
غيرهم عنه قال ابن عباس رضي الله عنه هم المطعمون يوم بدر وعن مقاتل كانوا
اثني عشر رجلا من أهل الشرك يصدون الناس عن الإسلام ويأمرونهم
بالكفر وقيل هم أهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من أراد منهم ومن غيرهم أن يد
خل في الإسلام وقيل هو عام في كل من كفر وصد أضل أعمالهم أبطلها وأحبطها وحقيقته

هم الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر منهم أبو جهل والحارث بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ... ١٢

يحاند

صدوا إما لازم أو متعد ١٢ ه

حل هذا بيان الوجه الثاني وهو أنه متعد ١٢ ه

أن يدخل مفعول أراد ١٢ ه

٢٣٤

جعلها ضالة ضايعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الابل التي
هي بمضيعة لا رب لها يحفظها ويعتني بامرها او جعلها ضالة في كفرهم و
معاصيهم مغلوبة بها كما يضل الماء في اللبن واعمالهم ما عملوا في كفرهم
مما كانوا يسمونه مكارم من صلة الارحام وفك الاسارى وقرى
الاضياف وحفظ الجوار وقيل ابطل ما عملوه من الكيد لرسول الله
والصد عن سبيل الله بان نصره عليهم واظهر دينه على الدين كله والذين
امنوا قال مقاتل هم ناس من قريش وقيل من الانصار وقيل هم مؤمنوا
اهل الكتاب وقيل هم عام وقوله وامنوا بما نزل على محمد تخصيص للايمان
بالمنزل على رسول الله من بين ما يجب به الايمان تعظيما لشانه وتعليما
لانه لا يصح الايمان ولا يتم الا به واكد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي قوله
وهو الحق من ربهم وقيل معناها ان دين محمد هو الحق اذ لا يرد عليه
النسخ وهو ناسخ لغيره وقرئ نزّل وانزل على البناء للمفعول ونزل
على البناء للفاعل ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم سترها بايمانهم وعملهم
الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم واصلح بالهم
احوالهم وشانهم بالتوفيق في امور الدين وبالتسليط على الدنيا بما
اعطاهم من النصرة والتاييد ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان
الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم
ذلك مبتدا وما بعده خبره اي ذلك الامر وهو اضلال اعمال احد

الفريقين



الفريقين وتكفير سيئات الثاني كائن بسبب اتباع هؤلاء
الباطل وهؤلاء الحق من ربهم ويجوز ان يكون ذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر
كما ذكر بهذا السبب فيكون محل الجار والمجرور منصوبا على هذا او مرفوعا
على الاول والباطل ما لا ينتفع به وعن مجاهد الباطل الشيطان وهذا
الكلام يسميه علماء البيان التفسير كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس امثالهم
والضمير راجع الى الناس او الى المذكورين من الفريقين على معنى انه
يضرب امثالهم لاجل الناس ليعتبروا بهم فان قلت اين ضرب الامثال قلت في
ان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين
او في ان جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز المؤمنين
فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق
فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها ذلك ولو يشاء الله
لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل
اعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم فاذا لقيتم من
اللقاء وهو الحرب فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل
وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار مع
اعطاء معنى التوكيد لانك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة
التي فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لان الواجب ان تضرب الرقاب
خاصة دون غيرها من الاعضاء وذلك انهم كانوا يقولون ضرب الامير
رقبة فلان وضرب عنقه وعلاوته وضرب ما فيه عيناه اذا قتله وذلك

ان قتل الانسان اكثر ما يكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وان ضرب
بغير رقبته من المقاتل كما ذكرنا في قوله بما كسبت ايديكم على ان في هذه العبارة
من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل باشنع
صورة وهو حز العنق واطارة العضو الذي هو راس البدن وعلوه
واوجه اعضائه ولقد زاد في هذه الغلظة في قوله فاضربوا فوق الاعناق و
اضربوا منهم كل بنان اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الشيء الثخين
وهو الغليظ او اثقلتموهم بالقتل والجراح حتى اذهبتم عنهم النهوض فشدوا
الوثاق فاسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به منا وفداء منصوبان
بفعليهما مضمرين اي فاما تمنون منا واما تفدون فداء والمعنى التخيير بعد
الاسر بين ان يمنوا عليهم فيطلقوهم وبين ان يفادوهم فان قلت كيف حكم اسارى
المشركين قلت اما عند ابي حنيفة واصحابه فاحد امرين اما قتلهم واما
استرقاقهم ايهما راى الامام ويقولون في المن والفداء المذكورين في
الاية نزل ذلك في يوم بدر ثم نسخ وعن مجاهد ليس اليوم من ولا
فداء وانما هو الاسلام او ضرب العنق ويجوز ان يراد بالمن ان يمن
عليهم بترك القتل ويسترقوا او يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وكونهم
من اهل الذمة وبالفداء ان يفادى باساراهم اسارى المشركين فقد
رواه الطحاوي مذهبا عن ابي حنيفة والمشهور انه لا يرى فداءهم لا بمال
ولا بغيره خيفة ان يعودوا حربا للمسلمين واما الشافعي رحمة الله عليه

فيتولى

فيتولى الامام ان يختار احد اربعة على حسب ما اقتضاه نظره للمسلمين وهو
القتل والاسترقاق والفداء باسارى المسلمين والمن ويحتج بان رسول الله
صلى الله عليه وسلم من على ابي عزة الجمحي وعلى ابي ثمامة الحنفي وفادى رجلا برجلين
من المشركين وهذا كله منسوخ عند اصحاب الراي وقرئ فدا بالقصر
مع فتح الفاء اوزارها الات الحرب واثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح
والكراع قال الاعشى واعددت للحرب اوزارها رماحا طوالا وخيلا
ذكورا وسميت اوزارها لانه لما لم يكن لها بد من جرها فكانها تحملها و
تستقل بها فاذا انقضت فكانها وضعتها وقيل اوزارها اثامها يعني حتى
يترك اهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بان يسلموا فان قلت
حتى بم تعلقت قلت لا تخلو من ان يتعلق بالضرب والشد او بالمن و
الفداء فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعي رضي الله عنه انهم لا يزالون
على ذلك ابدا الى ان لا يكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم يبق لهم شوكة
وقيل اذا نزل عيسى عليه السلام وعند ابي حنيفة رحمه الله اذا علق بالضرب
والشد فالمعنى انهم يقتلون ويؤسرون حتى يضع جنس الحرب الاوزار
وذلك حين لا يبقى شوكة للمشركين واذا علق بالمن والفداء فالمعنى انه
يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها الا ان يتاول المن
والفداء بما ذكرنا من التاويل ذلك اي الامر ذلك او افعلوا ذلك لانتصر
منهم لانتقم منهم ببعض اسباب الهلك من خسف او رجفة او حاصب او غرق

انما حظهم معنى الناس فيه ويتولى المؤمنين خاصة يتمتعون ينتفعون بمتاع الحيوة الدنيا اياما قلائل ويأكلون غافلين غير مفكرين في العاقبة كما تأكل الانعام في مسارحها ومعالفها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح والنار مثوى لهم منزل ومقام ؞ وكأين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك اهلكناهم فلا ناصر لهم افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا اهواءهم ؞ وكأين بمعنى وكم واراد بالقرية اهلها ولذلك قال اهلكناهم كانه قال وكم من قوم هم اشد قوة من قومك الذين اخرجوك اهلكناهم ومعنى اخرجوك كانوا سبب خروجك فان قلت كيف قال فلا ناصر لهم وانما هو امر قد مضى قلت مجراه مجرى الحال المحكية كقولك اهلكناهم فهم لا ينصرون من زين له هم اهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله ومن كان على بينة من ربه اي على حجة من عنده وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات هو رسول الله ص وقرئ امن كان على بينة من ربه وقال سوء عمله واتبعوا للحمل على لفظ من ومعناه ؞ مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ؞ فان قلت ما معنى قوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها

انهار

انهار كمن هو خالد في النار قلت هو كلام في صورة الاثبات ومعنى النفي والانكار لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الانكار ودخوله في حيزه وانخراطه في سلكه وهو قوله افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله فكأنه قيل امثل الجنة كمن هو خالد في النار اي كمثل جزاء من هو خالد في النار فان قلت فلم عري من حرف الانكار وما فائدة التعرية قلت تعريته من حرف الانكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وانه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجري فيها تلك الانهار وبين النار التي يسقى اهلها الحميم ونظيره قول القائل ؞ افرح ان ارزأ الكرام وان اورث ذودا شصائصا نبلا ؞ هو كلام منكر للفرح برزية الكرام ووراثة الذود مع تعريه من حرف الانكار لانطوائه تحت حكم قول من قال اتفرح بموت اخيك وبوراثة ابله والذي طرح لاجله حرف الانكار ارادة ان يصور قبح ما ازن به فكأنه قال نعم مثلي يفرح بمرزئة الكرام وبان يستبدل منهم ذودا يقل طائله وهو من التسليم الذي تحته كل انكار ومثل الجنة صفة الجنة العجيبة الشأن وهو مبتدأ وخبره كمن هو خالد وقوله فيها انهار داخل في حكم الصلة كالتكرير لها الا ترى الى صحة قولك التي فيها انهار ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف هي فيها انهار وكأن قائلا قال وما مثلها فقيل فيها انهار وان يكون في موضع الحال اي مستقرة فيها انهار وفي قراءة علي رضي الله عنه

أمثال الجنة أي صفاتها كصفات النار وقرئ أسن يقال أسن الماء وأجن إذا
تغير طعمه وريحه وأنشد ليزيد بن معاوية: لقد سقتني رضابا غير ذي أسن
كالمسك فت على ماء العناقيد، من لبن لم يتغير طعمه كما لا تتغير ألبان الدنيا
فلا يعود قارصا ولا حازرا ولا ما يكره من الطعوم، لذة تأنيث لذ وهو اللذيذ
أو وصف بمصدر وقرئ بالحركات الثلاث فالجر على صفة الخمر والرفع على
صفة الأنهار والنصب على العلة أي لأجل لذة الشاربين والمعنى ما هو إلا التلذذ
الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر مصفى
لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره حميما قيل إذا دنا منهم شوى
وجوههم وامازت فروة رؤوسهم فإذا شربوه قطع أمعاءهم ومنهم من
يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال
آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم والذين اهتدوا
زادهم هدى وآتاهم تقواهم هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ
فيستمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالا تهاونا منهم فإذا خرجوا قالوا لأولي
العلم من الصحابة ماذا قال الساعة على جهة الاستهزاء وقيل كان يخطب فإذا عاب المنافقين
خرجوا فقالوا ذلك للعلماء وقيل قالوه لعبد الله بن مسعود وعن ابن عباس
أنا منهم وقد سميت فيمن سئل آنفا وقرئ أنفا على فعل نصب على الظرف قال الزجاج
هو من استأنفت الشيء إذا ابتدأته والمعنى ماذا قال في أول وقت يقرب
منا زادهم الله هدى بالتوفيق وآتاهم تقواهم أعانهم عليها أو آتاهم تقواهم

أعانهم

الرضاب الريق

الفروة جلدة الرأس



أعانهم عليها أو آتاهم جزاء تقواهم وعن السدي بين لهم ما يتقون وقرئ
وأعطاهم وفيه الضمير في زادهم لقول الرسول أو لاستهزاء المنافقين
فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا
جاءتهم ذكراهم أن تأتيهم بدل اشتمال من الساعة نحو أن تطؤوهم من قوله رجال
مؤمنون ونساء مؤمنات وقرئ إن تأتهم بالوقف على الساعة واستئناف الشرط و
هي في مصاحف أهل مكة كذلك فإن قلت فما جزاء الشرط قلت قوله فأنى لهم و
معناه إن تأتهم الساعة فكيف لهم ذكراهم أي تذكرهم واتعاظهم إذا جاءتهم
الساعة يعني لا تنفعهم الذكرى حينئذ كقوله يومئذ يتذكر الإنسان
وأنى له الذكرى فإن قلت بم يتصل قوله فقد جاء أشراطها على القراءتين
قلت بإتيان الساعة اتصال العلة بالمعلول كقولك إن أكرمني زيد فأنا
حقيق بالإكرام أكرمه والأشراط العلامات قال أبو الأسود فإن كنت قد أز
معت بالصرم بيننا فقد جعلت أشراط أوله تبدو وقيل مبعث محمد
خاتم الأنبياء ﷺ وعليهم منها وانشقاق القمر والدخان وعن الكلبي كثرة
المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الأرحام وقلة الكرام وكثرة
اللئام وقرئ بغتة بوزن جربة وهي غريبة لم ترد في المصادر أختها
وهي مروية عن أبي عمرو وما أخوفني أن تكون غلطة من الراوي على أبي
عمرو وأن يكون الصواب بغتة بفتح الغين من غير تشديد كقراءة الحسن
فيما تقدم فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات

والله يعلم متقلبكم ومثويكم. لما ذكر حال المؤمنين وحال الكافرين قال إذا
علمت أن الأمر كما ذكر من سعادة هؤلاء وشقاوة هؤلاء فاثبت على ما
أنت عليه من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذ
نبك وذنوب من على دينك والله يعلم أحوالكم ومتصرفاتكم ومتقلبكم في معايشكم ومتا
جركم ويعلم حيث تستقرون من منازلكم في حيوتكم ومثويكم في القبور أو متقلبكم
في أعمالكم ومثويكم من الجنة والنار ومثله حقيق بأن يخشى ويتقى وأن يستغفر
ويسترحم وعن سفين بن عيينة أنه سئل عن فضل العلم فقال ألم تسمع قوله
حين بدأ به فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك فأمر بالعمل بعد العلم
وقال اعلموا أنما الحيوة الدنيا لعب ولهو إلى قوله سابقوا إلى مغفرة من
ربكم وقال واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ثم قال بعد فاحذروهم وقال
واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه ثم أمر بالعمل بعده ويقول
الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها
القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه
من الموت فأولى لهم كانوا يدعون الحرص على الجهاد ويتمنونه بألسنتهم
ويقولون لولا أنزلت سورة في معنى الجهاد فإذا أنزلت وأمروا فيها بما أمروا
من حرصوا عليه كاعوا وشق عليهم وسقطوا في أيديهم كقوله فلما كتب عليهم القتال
إذا فريق منهم يخشون الناس محكمة مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجها إلا وجوب القتال
وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة وهي أشد القرآن على المنافقين وقيل لها

محكمة



محكمة لأن النسخ لا يرد عليها من قبل أن القتال قد نسخ ما كان من الصفح والمهادنة
وهو غير منسوخ إلى يوم القيامة وقيل هي المحدثة لأنها حين يحدث نزولها
لا يتناولها النسخ ثم تنسخ بعد ذلك أو تبقى غير منسوخة وفي قراءة عبد الله
سورة محدثة وقرئ فإذا نزلت سورة وذكر فيها القتال على البناء للفاعل و
نصب القتال الذين في قلوبهم مرض هم الذين كانوا على حرف غير ثابتي الأقدام
نظر المغشي عليه من الموت أي تشخص أبصارهم جبنا وهلعا كما ينظر من أصابته
الغشية عند الموت فأولى لهم وعيد بمعنى فويل لهم وهو أفعل من الولي
وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه طاعة وقول معروف
فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم طاعة وقول معروف كلام
مستأنف أي طاعة وقول معروف خير لهم وقيل هي حكاية قولهم أي قالوا طاعة
وقول معروف بمعنى أمرنا طاعة وقول معروف وتشهد له قراءة أبي يقولون
طاعة وقول معروف فإذا عزم الأمر أي جد والعزم والجد لأصحاب الأمر و
إنما يسندان إلى الأمر إسنادا مجازيا ومنه قوله إن ذلك لمن عزم الأمور
فلو صدقوا الله فيما زعموا من الحرص على الجهاد أو فلو صدقوا في إيمانهم
وواطأت قلوبهم فيه ألسنتهم فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض
وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم
عسيتم وعسيتم لغة أهل الحجاز وأما بنو تميم فيقولون عسى أن تفعل
وعسى أن تفعلوا ولا يلحقون الضمائر وقرأ نافع بكسر السين وهو غريب وقد

عليه لأن من رفع الله قدره عن أن يجهر له بالقول حتى خاطبه
جلة المهاجرين والأنصار بأخي السرار فشنيع هؤلاء من المنكر
الذي بلغ في التفاحش مبلغا ومن هذا وأمثاله يقتطف ثمر
الألباب ويقتبس محاسن الآداب كما يحكى عن أبي عبيد ومكانه من
العلم والزهد وثقة الرواية ما لا يخفى أنه قال ما دققت بابا
على عالم قط، ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم
والله غفور رحيم، حتى يخرج في وقت خروجه. أنهم صبروا في
موضع الرفع على الفاعلية لأن المعنى ولو ثبت صبرهم والصبر
حبس النفس عن أن تنازع إلى هواها قال الله تعالى واصبر نفسك
مع الذين يدعون ربهم وقولهم صبر عن كذا محذوف منه
المفعول وهو النفس وهو حبس فيه شدة ومشقة على المحبوس
فلهذا قيل للحبس على اليمين أو القتل صبر وفي كلام بعضهم الصبر
مر لا يتجرعه إلا حر فإن قلت هل من فرق بين حتى تخرج وإلى
أن تخرج قلت إن حتى مختصة بالغاية المضروبة تقول أكلت السمكة
حتى رأسها ولو قلت حتى نصفها وحتى صدرها لم يجز وإلى عامة
في كل غاية فقد أفادت حتى بوضعها أن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم غاية
قد ضربت لصبرهم فما كان لهم أن يقطعوا أمرا دون الانتهاء

إليه

جملة م

قطفت العنب قطفا والقطف بالكسر العنقود م



فإن قلت فأي فائدة في قوله إليهم قلت فيه أنه لو خرج ولم يكن
خروجه إليهم ولأجلهم للزمهم أن يصبروا إلى أن يعلموا أن خروجه
إليهم. لكان خيرا لهم في كان إما ضمير فاعل الفعل المضمر بعد لو وإما
ضمير مصدر صبروا كقولهم من كذب كان شرا له. والله غفور رحيم
بليغ الغفران والرحمة واسعهما فلن يضيق غفرانه ورحمته
عن هؤلاء إن تابوا وأنابوا. يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق
بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين
ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة أخا عثمان لأمه وهو
الذي ولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما
فصلى بالناس وهو سكران صلاة الفجر أربعا ثم قال هل أزيدكم
فعزله عثمان رضي الله عنه عنهم مصدقا إلى بني المصطلق وكانت بينه
وبينهم إحنة فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له فحسبهم
مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا
الزكوة فوردوا وقالوا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله
فاتهمهم فقال لتنتهن أو لأبعثن إليكم رجلا هو عندي كنفسي
يقاتل مقاتلتكم ويسبي ذراريكم ثم ضرب بيده على كتف علي رضي الله عنه
وقيل بعث إليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوات

منهم من يسلموا اليه الصدقات فرجع وفي تنكير الفاسق والنبا شياع
في الفساق والانبا كانه قال اي فاسق جاءكم باي نبا فتوقفوا فيه وتطلبوا
بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق لان من لا يتحامى
جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه والفسوق الخروج
من الشي والانسلاخ منه يقال فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه
فقست البيضة اذا كسرتها واخرجت ما فيها ومن مقلوبه ايضا
قفست الشي اذا اخرجته من يد مالكه مغتصبا له عليه ثم استعمل في
الخروج عن القصد والانسلاخ من الحق قال رؤبة فواسقا عن
قصدها جوائرا وقرا ابن مسعود فتثبتوا والتثبت والتبين
متقاربان وهما طلب الثبات والبيان والتعرف ولما كان رسول الله صلعم
والذين معه بالمنزلة التي لا يجسر احد ان يخبرهم بكذب وما كان يقع
مثل ما فرط من الوليد الا في الندرة قيل ان جاءكم بحرف الشك وفيه
ان على المؤمنين ان يكونوا على هذه الصفة لئلا يطمع فاسق في مخاطبتهم
بكلمة زور ان تصيبوا مفعول له اي كراهة ان تصيبوا قوما
بجهالة حال كقوله ورد الله الذين كفروا بغيظهم يعني جا
هلين بحقيقة الامر وكنه القصة والاصباح بمعنى الصيرورة والندم
ضرب من الغم وهو ان تغتم على ما وقع منك تتمنى انه لم يقع

هو

هو غم يصحب الانسان صحبة لها دوام ولزام لانه كلما تذكر
المتندم عليه راجعه من التندم وهو من لزام الشي ودوامه
صحبته ومن مقلوبه ادمن الامر اذا دامه ومدن بالمكان اقام به ومنه
المدينة وقد تراهم يجعلون الهم صاحبا ونجيا وسميرا وضجيعا
وموصوفا بانه لا يفارق صاحبه واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم
في كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم و
كره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون
الجملة المصدرة بلو لا تكون كلاما مستانفا لادائه الى تنافر النظم ولكن
متصلا بما قبله حالا من احد الضميرين في فيكم المستتر المرفوع او البارز
المجرور وكلاهما مذهب سديد والمعنى ان فيكم رسول الله على حالة
يجب عليكم تغييرها او انتم على حالة يجب عليكم تغييرها وهي انكم تحاولون
منه ان يعمل في الحوادث على مقتضى ما يعن لكم من راي واستصواب
فعل المطواع لغيره التابع له فيما يرتئيه المحتذي على امثلته ولو فعل
ذلك لعنتم اي لوقعتم في الجهد والهلاك يقال فلان يتعنت فلانا
اي يطلب ما يؤديه الى الهلاك وقد اعنت العظم اذا هيض بعد
الجبر وهذا يدل على ان بعض المؤمنين زينوا لرسول الله صلعم الايقاع
ببني المصطلق وتصديق قول الوليد وان نظائر ذلك من الهنات

كانت تفرط منهم وأن بعضهم كانوا يتصوّنون ويزعهم جدّهم في
التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله ولكن
الله حبب إليكم الإيمان أي إلى بعضكم ولكنه أغنت عن ذكر البعض
صفتهم المفارقة لصفة غيرهم وهذا من إيجازات القرآن ولمحاته
اللطيفة التي لا يفطن لها إلا الخواص وعن بعض المفسرين هم
الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وقوله أولئك هم الراشدون
والخطاب لرسول الله عم أولئك هم ~~المتقون~~ المستثنون هم الراشدون
يصدق ما قلته فإن قلت ما فائدة تقديم خبر أن على اسمها قلت القصد
إلى توبيخ بعض المؤمنين على ما استهجن منهم من استتباع رأي رسول الله
عم لآرائهم فوجب تقديمه لانصباب الغرض إليه فإن قلت فلم قيل
يطيعكم دون أطاعكم قلت للدلالة على أنه كان في إرادتهم استمرار عمله على
ما يستصوبونه وأنه كلما عنّ لهم رأي في أمر كان معمولاً عليه
بدليل قوله في كثير من الأمر كقولك فلان يقري الضيف ويحمي الحريم
تريد أنه مما اعتاده ووجد منه مستمراً فإن قلت كيف موقع لكن
وشريطتها مفقودة من مخالفة ما بعدها لما قبلها نفياً وإثباتاً
قلت هي مفقودة من حيث اللفظ حاصلة من حيث المعنى لأن
الذين حبب إليهم الإيمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم

بهجة المحجة اذا ابصرته بنظر خفيف

فوقعت

فوقعت لكن في حاق موقعها من الاستدراك وعن تحبيب الله
وتكريهه اللطف والإمداد بالتوفيق وسبيله الكناية كما سبق وكل
ذي لب وراجع إلى بصيرته وذهنه لا يغبى عليه أن الرجل لا يمدح
بفعل غيره وحمل الآية على ظاهرها يؤدي إلى أن يثني عليهم بفعل
الله وقد نعى الله هذا على الذين أنزل فيهم ويحبون أن يحمدوا
بما لم يفعلوا فإن قلت فإن العرب تمدح بالجمال وحسن الوجوه
وذلك فعل الله وهو مدح مقبول عند الناس غير مردود قلت
الذي سوّغ ذلك لهم أنهم رأوا حسن الرواء ووسامة المنظر في
الغالب يسفر عن مخبر مرضي وأخلاق محمودة ومن ثم قالوا
أحسن ما في الدميم وجهه فلم يجعلوه من صفات المدح لذاته و
لكن لدلالته على غيره على أن من محققة النقاد وعلمائهم من عاب
ذلك وخطّأ المادح به وقصر المدح على النعت بأمهات الخير
وهي الفصاحة والشجاعة والعدل والعفة وما يتشعب منها ويرجع
إليها وجعل الوصف بالجمال والثروة وكثرة الحفدة والأعضاد وغير
ذلك مما ليس للإنسان فيه عمل غلطاً ومخالفة عن المعقول والكفر
تغطية نعم الله وغمطها بالجحود والفسوق الخروج عن قصد
الإيمان ومحجته بركوب الكبائر والعصيان ترك الانقياد والمضي

فع

جع

نخرج ويخرج من اخرج وخرج ويخرج اي الله عز وجل اللؤلؤ والمرجان بالنصب ونخرج
بالنون اللؤلؤ الدر والمرجان صغاره فان قلت لم قال منهما وانما يخرجان من الملح قلت
لما التقيا وصارا كالشي الواحد جاز ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا
يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وتقول خرجت من البلد و
انما خرجت من محلة من محاله بل من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان الا من
ملتقى الملح والعذب الجوار السفن وقرئ الجوار بحذف الياء ورفع الراء
ونحوه لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان والمنشآت المرفوعات الشرع وقرئ
بكسر الشين وهي الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن الامواج بجريهن والاعلام جمع
علم وهو الجبل الطويل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فبأي
آلاء ربكما تكذبان عليها على الارض وجه ربك ذاته والوجه يعبر به عن الجملة والذات
ومساكين مكة يقولون اين وجه عربي كريم ينقذني من الهوان وذو الجلال
والاكرام صفة الوجه وقرأ عبد الله ذي على صفة ربك ومعناه الذي يجله الموحدون
عن التشبيه بخلقه وعن افعالهم او الذي يقال له ما اجلك واكرمك او من
عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده وهذه الصفة من عظيم صفات الله
ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظوا بيا ذا الجلال والاكرام وعنه صلى الله عليه وسلم انه مر
برجل وهو يصلي ويقول يا ذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك
فان قلت ما النعمة في ذلك قلت اعظم النعمة وهو مجيء وقت الجزاء عقيب ذلك

يسئله



يسئله من في السموات والارض كل يوم هو في شأن فبأي آلاء ربكما تكذبان
كل من اهل السموات والارض مفتقرون اليه فيسأله اهل السموات ما يتعلق بدينهم
واهل الارض ما يتعلق بدينهم ودنياهم كل يوم هو في شأن اي كل وقت وحين يحدث
امورا ويجدد احوالا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه تلاها فقيل له وما ذلك الشأن
فقال من شأنه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وعن ابن
عيينة الدهر عند الله يومان احدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا فشأنه فيه
الامر والنهي والاماتة والاحياء والاعطاء والمنع والآخر يوم القيامة فشأنه
فيه الجزاء والحساب وقيل نزلت في اليهود حين قالوا ان الله لا يقضي يوم السبت
شيئا وسأل بعض الملوك وزيره عنها فاستمهله الى الغد وذهب كئيبا يفكر فيها
فقال له غلام له اسود يا مولاي اخبرني ما اصابك لعل الله يسهل لك على يدي فا
خبره فقال انا افسرها للملك فاعلمه فقال ايها الملك شأن الله انه يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويشفي سقيما
ويسقم سليما ويبتلي معافى ويعافي مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر
غنيا ويغني فقيرا فقال الامير احسنت وامر الوزير ان يخلع عليه ثياب الوزارة
فقال يا مولاي هذا من شأن الله وعن عبد الله بن طاهر انه دعا الحسين بن الفضل
وقال له اشكلت علي ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لي قوله فاصبح من النادمين وقد
صح ان الندم توبة وقوله كل يوم هو في شأن وصح ان القلم جف بما هو كائن الى

يوم القيامة وقوله وأن ليس للإنسان إلا ما سعى فمحمول على الإضعاف فقال أعني
يجوز أن لا يكون للذين توبة في تلك الأمة ويكون توبة في هذه الأمة لأن الله خفف
عن هذه الأمة تخفيفا ما يشاركهم فيه الأمم وقيل إن ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل بل
ولكن على حمله وأما قوله وأن ليس للإنسان إلا ما سعى فمعناه ليس له إلا ما سعى عدلا
ولي أن أجزيه بواحدة ألفا فضلا وأما قوله كل يوم هو في شأن فإنها شؤون
يبديها لا شؤون يبتديها فقام عبد الله وقبل رأسه وسوغ خراجه سنفرغ لكم
أيها الثقلان فبأي آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم مستعار من قول الرجل لمن
يتهدده سأفرغ لك يريد سأتجرد للإيقاع بك من كل ما يشغلني عنه حتى لا يكون لي
شغل سواه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه ويجوز أن يراد ستنتهي
الدنيا وتبلغ آخرها وتنتهي عند ذلك شؤون الخلق التي أرادها بقوله كل يوم
هو في شأن فلا يبقى إلا شأن واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على
طريق المثل وقرئ سيفرغ لكم أي الله تعالى وسأفرغ لكم وسنفرغ بالنون مفتوحا مع
ومكسورا وبفتح الراء وسيفرغ بالياء مفتوحا ومضموما مع فتح الراء و
في قراءة أبي سنفرغ إليكم أي سنقصد إليكم والثقلان الإنس والجن سميا
بذلك لأنهما ثقلا الأرض يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا
من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان فبأي آلاء
ربكما تكذبان يا معشر الجن والإنس كالترجمة لقوله أيها الثقلان إن

استطعتم

إن استطعتم أن تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن سمائي وأرضي فافعلوا
ثم قال لا تقدرون على النفوذ إلا بسلطان بقوة وقهر وغلبة وأنى لكم ذلك ونحوه
وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء وروي أن الملائكة تنزل فتحيط بجميع
الخلائق فإذا رآهم الجن والإنس هربوا فلا يأتون وجها إلا وجدوا الملائكة
أحاطت به فبأي آلاء ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران فبأي آلاء
ربكما تكذبان الشواظ والنحاس كلاهما بالضم والكسر والشواظ اللهب
الخالص والنحاس الدخان وأنشد تضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله
فيه نحاسا وقيل الصفر المذاب يصب على رؤوسهم وعن ابن عباس إذا خرجوا
من قبورهم ساقهم شواظ إلى المحشر وقرئ ونحاس مرفوعا عطفا على
شواظ ومجرورا عطفا على نار وقرئ ونحس جمع نحاس وهو الدخان نحو
لحاف ولحف وقرئ ونحس أي ونقتل بالعذاب وقرئ نرسل عليكما شواظا
من نار ونحاسا فلا تنتصران فلا تمتنعان فإذا انشقت السماء فكانت وردة
كالدهان فبأي آلاء ربكما تكذبان وردة حمراء كالدهان كدهن الزيت كما
قال كالمهل وهو دردي الزيت وهو جمع دهن أو اسم ما يدهن به كالحزام و
الإدام قال أتى كأنهما مزادتا متعجل فريان لما تدهنا بدهان وقيل الدهان
الأديم الأحمر وقرئ وردة بالرفع بمعنى فحصلت سماء وردة
وهو من الكلام الذي يسمى التجريد كقوله فلئن بقيت لأرحلن بغزوة

نحو العذاب او ثمرة كريه فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان
فبأي آلاء ربكما تكذبان اي انس بعض من الانس ولا جان أريد به
جان ولا بعض من الجن فوضع الجان الذي هو ابو الجن موضع الجن كما قيل
هاشم ويراد ولده وانما وحد ضمير الانس في قوله عن ذنبه لكونه في معنى البعض
والمعنى لا يسألون لانهم يعرفون بسيماهم المجرمين وهي سواد الوجوه و
زرقة العيون فان قلت هذا خلاف قوله فوربك لنسألنهم اجمعين وقوله
وقفوهم انهم مسئولون قلت ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسألون في
موطن ولا يسألون في آخر قال قتادة قد كانت مسألة ثم ختم على افواه القوم
وتكلمت ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وقيل لا يسأل عن ذنبه ليعلم من
جهته ولكن يسأل سؤال توبيخ وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد ولا جأن
فرارا من التقاء الساكنين وان كان على حده يعرف المجرمون بسيماهم
فيؤخذ بالنواصي والاقدام فبأي آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب
بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن فبأي آلاء ربكما تكذبان فيؤخذ
بالنواصي والاقدام عن الضحاك يجمع بين ناصيته وقدميه في سلسلة من
وراء ظهره وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصي وتارة بالاقدام
آن ماء حار قد انتهى حره ونضجه اي يعاقب عليهم بين التصلية بالنار
وبين شرب الحميم وقيل اذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم وقيل ان

واديا



ان واديا من اودية جهنم يجمع فيه صديد اهل النار فينطلق بهم في الاغلال فيغمسون فيه
حتى تنخلع اوصالهم ثم يخرجون منها وقد احدث الله لهم خلقا جديدا
وقرئ يطوفون من التطويف ويطوفون اي يتطوفون ويطافون وفي قراءة عبد الله
هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان تصليانها لا تموتان فيها ولا تحييان يطوفون بينها و
نعمة الله فيما ذكر من هول العذاب نجاة الناجي منه برحمته وفضله وما في الانذار
من اللطف نعم ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان
فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش
بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن قاصرات الطرف
لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان فبأي
آلاء ربكما تكذبان مقام ربه موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة
يوم يقوم الناس لرب العالمين ونحوه لمن خاف مقامي ويجوز ان يراد بمقام ربه
ان الله قائم عليه اي حافظ مهيمن من قوله افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت فهو
يراقب ذلك فلا يجسر على معصيته وقيل هو مقحم كما تقول اخاف جانب فلان وفعلت
هذا لمكانك وانشد ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين يريد ونفيت عنه
الذئب فان قلت لم قال جنتان قلت الخطاب للثقلين فكأنه قيل لكل خائفين منكما
جنتان جنة للخائف الانسي وجنة للخائف الجني ويجوز ان يقال جنة لفعل الطاعات
وجنة لترك المعاصي لان التكليف دائر عليهما وان يقال جنة يثاب بها واخرى تفضل

بينكم وبين آبائكم وأولادكم يوم يفر المرء من أخيه الآية فما لكم ترفضون
حق الله مراعاة لحقوق من يفر منكم غداً خطأ رأيهم في موالاة الكفار
بما يرجع إلى حال من والوا أولاً ثم بما يرجع إلى حال من اقتفوا
ثانياً ليريهم أن ما أقدموا عليه من أي جهة نظرت فيه وجدته باطلاً
قرئ يفصل ويفصل على البناء للمفعول ويفصل ويفصل على البناء للفاعل
وهو الله عز وجل ونفصل ونفصل بالنون قد كانت لكم أسوة حسنة
في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون
من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً
حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك
لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ربنا لا
تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم
قرئ أسوة وإسوة وهو اسم المؤتسى به أي كان فيهم مذهب حسن مرضي
بأن يؤتسى به ويتبع أثره وهو قولهم لكفار قومهم ما قالوا حيث كاشفوهم
بالعداوة وقشروا لهم العصا وأظهروا البغضاء والمقت وصرحوا بأن
سبب عداوتهم وبغضائهم ليس إلا كفرهم بالله وما دام هذا السبب قائماً كانت
العداوة قائمة حتى إن أزالوه وآمنوا بالله وحده انقلبت العداوة والبغضاء
محبة والمقت مقة فأفصحوا عن محض الإخلاص ومعنى كفرنا بكم وبما تعبدون

لا ت — قد — نت

نو — لب — موالاة

من دون الله

---

تبرئ

من دون الله أنا لا نعتد بشأنكم ولا بشأن آلهتكم وما أنتم عندنا على
فإن قلت مم استثنى قوله إلا قول إبراهيم قلت من قوله أسوة حسنة
لأنه أراد بالأسوة الحسنة قولهم الذي حق عليهم أن يأتسوا به ويتخذوه
سنة يستنون بها فإن قلت فإن كان قوله لأستغفرن لك مستثنى من القول الذي
هو أسوة حسنة فما بال قوله وما أملك لك من الله من شيء وهو غير حقيق
بالاستثناء ألا ترى إلى قوله فمن يملك لكم من الله شيئاً قلت أراد استثناء جملة قوله
لأبيه والقصد إلى موعد الاستغفار له وما بعده مبني عليه وتابع له كأنه
قال أنا أستغفر لك وما في طاقتي إلا الاستغفار فإن قلت بم اتصل قوله ربنا
عليك توكلنا قلت بما قبل الاستثناء وهو من جملة الأسوة الحسنة ويجوز أن يكون
المعنى قولوا ربنا أمراً من الله للمؤمنين بأن يقولوه وتعليماً منه لهم
تتميماً لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين ... في سلك
الكفار والائتساء بإبراهيم صلى الله عليه وقومه في البراءة منهم وتنبيهاً
على الإنابة إلى الله والاستعاذة به من فتنة أهل الكفر والاستغفار
مما فرط منهم وقرئ برآء كشركاء وبراء كظراف وبراء على إبدال الضم
من الكسر كرخال ورباب وبراء على الوصف بالمصدر والبراء والبراءة
كالظماء والظماءة لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو
الله واليوم الآخر ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد عسى الله أن يجعل
بينكم

وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم ثم كرر الحث على الائتساء بإبراهيم صلوات الله عليه وقومه تقريرا وتأكيدا عليهم ولذلك جاء به مصدرا بالقسم لأنه الغاية في التأكيد وأبدل عن قوله لكم قوله لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وعقبه بقوله ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد فلم يترك نوعا من التأكيد إلا جاء به ولما نزلت هذه الآية تشدد المؤمنون في عداوة آبائهم وأبنائهم وجميع أقربائهم من المشركين ومقاطعتهم فلما رأى الله منهم الجد والصبر على الوجد الشديد وطول التمني للسبب الذي يبيح لهم الموالاة والمواصلة رحمهم فوعدهم تيسير ما تمنوه فلما يسر فتح مكة أظفرهم الله بأمنيتهم فأسلم قومهم وتم بينهم من التحاب والتصافي ما تم وقيل تزوج رسول الله عم أم حبيبة فلانت عند ذلك عريكة أبي سفيان واسترخت شكيمته في العداوة وكانت أم حبيبة قد أسلمت وهاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى الحبشة فتنصر وأرادها على النصرانية فأبت وصبرت على دينها ومات زوجها فبعث رسول الله عم إلى النجاشي فخطبها عليه وساق عنه إليها أربع مائة دينار وبلغ ذلك أباها فقال ذلك الفحل لا يقدع أنفه وعسى وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون في بعض الحوائج عسى أو لعل





فلا يبقى للمحتاج في تمام ذلك أو قصد به إطماع المؤمنين والله قدير على تقليب القلوب وتغيير الأحوال وتسهيل أسباب المودة والله غفور رحيم لمن أسلم من المشركين لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون أن تبروهم بدل من الذين لم يقاتلوكم وكذلك أن تولوهم من الذين قاتلوكم والمعنى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء وإنما ينهاكم عن تولي هؤلاء وهذا أيضا رحمة لهم لتشددهم وجدهم في العداوة متقدمة لرحمته بتيسير إسلام قومهم حيث رخص لهم في صلة من لم يجاهر منهم بقتال المؤمنين وإخراجهم من ديارهم وقيل أراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله عم على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه وعن مجاهد هم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا وقيل هم النساء والصبيان وقيل قدمت على أسماء بنت أبي بكر أمها قتيلة بنت عبد العزى وهي مشركة بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت فأمرها رسول الله عم أن تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن إليها وعن قتادة نسختها آية القتال وتقسطوا إليهم وتقضوا إليهم بالقسط ولا تظلموهم وناهيك بتوصية الله المؤمنين أن يستعملوا القسط مع المشركين ويتحا

اعلم بايمانهن

ظلمهم من رحمة عن حال مسلم يحمله على ظلم اخيه المسلم ﴿يا ايها الذين
آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن
مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون
لهن وآتوهم ما انفقوا ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا آتيتموهن
اجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسألوا ما انفقتم وليسألوا
ما انفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم﴾ اذا جاءكم المؤمنات
سماهن مؤمنات لتصديقهن بالسنتهن ونطقهن بكلمة الشهادة
ولم يظهر منهن ما ينافي ذلك او لانهن مشارفات لثبات ايمانهن بالا
متحان فامتحنوهن فابتلوهن بالحلف والنظر في الامارات ليغلب على
ظنكم صدق ايمانهن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للممتحنة بالله الذي لا
اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة عن ارض الى
ارض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت الا حبا لله ولرسوله
الله اعلم بايمانهن منكم لانكم لا تكسبون فيه علما تطمئن معه نفوسكم و
ان استحلفتموهن ورزتم احوالهن وعند الله حقيقة العلم به فان علمتموهن
مؤمنات العلم الذي تبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب بالحلف و
ظهور الامارات فلا ترجعوهن الى الكفار فلا تردوهن الى ازواجهن
المشركين لانه لا حل بين المؤمنة والمشرك وآتوهم ما انفقوا واعطوا

ازوا

ازواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك ان صلح الحديبية كان على ان
من جاءنا من اهل مكة رددناه عليهم ومن اتى مكة منكم لم يرد اليكم وكتبوا بذلك كتابا وختموه
فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية فاقبل زو
جها مسافر المخزومي وقيل صيفي ابن الراهب فقال يا محمد اردد علي امرأتي
فانك قد شرطت لنا ان ترد علينا من اتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف فنزلت
بيانا لان الشرط انما كان في الرجال دون النساء وعن الضحاك كان بين رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبين المشركين عهد ان لا تأتيك منا امرأة ليست على دينك الا رددتها
الينا فان دخلت في دينك ولها زوج ان ترد على زوجها الذي انفق عليها و
للنبي صلى الله عليه وسلم من الشرط مثل ذلك وعن قتادة ثم نسخ هذا الحكم وهذا العهد براءة
فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر رضي الله عنه
فان قلت كيف سمى الظن علما في قوله فان علمتموهن قلت ايذانا بان
الظن الغالب وما يفضي اليه الاجتهاد والقياس جار مجرى العلم وان صاحبه
غير داخل في قوله ولا تقف ما ليس لك به علم فان قلت فما فائدة قوله
الله اعلم بايمانهن وذلك معلوم لا شبهة فيه قلت فائدته بيان ان لا سبيل
لكم الى ما تطمئن به النفس ويثلج به الصدر من الاحاطة بحقيقة ايمانهن
فان ذلك مما استأثر به علام الغيوب وان ما يؤدي اليه الامتحان من العلم
كاف في ذلك وان تكليفكم لا يعدوه ثم نفى عنهم الجناح في تزوج هؤلاء

جعلها

المهاجرات اذا اتوهن اجورهن اى مهورهن لان المهر اجر البضع
ولا تحملوا اياما اذ ربما لا يدفع المهر ليدفعه الى ازواجهن
ليتزوجها فهى اباحة تزوجهن تقديم ادائه واما ان يكون اداء ذلك اذ اد
فع المهر على سبيل القرض ثم يتزوجهن على ذلك ما يكتب به ... واما ان
يبين لهم ان ما اعطى ازواجهن لا يقوم مقام المهر وانه لابد من
اصداق وبه احتج ابو حنيفة رضى الله عنه على ان احد الزوجين اذا خرج
من دار الحرب مسلما او بذمة وبقى الآخر حربيا وقعت الفرقة ولا يرى
العدة على المهاجرة ويبيح نكاحها الا ان تكون حاملا ولا تمسكوا بعصم
الكوافر والعصمة ما يعتصم به من عقد وسبب يعنى اياها واياكم و
تكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس من كانت له
امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع
عصمتها وعن النخعى هى المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجا
هد امرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن واسألوا ما انفقتم
من مهور ازواجكم اللاحقات بالكفار وليسألوا ما انفقوا من مهور
نسائهم المهاجرات وقرئ ولا تمسكوا بالتخفيف ولا تمسكوا بالتثقيل ولا
تمسكوا اى ولا تتمسكوا ذلكم حكم الله يعنى جميع ما ذكر فى هذه الآية
يحكم بينكم كلام مستأنف او حال من حكم الله على حذف الضمير اى حكمه او

جعل



فعا
او جعل الحكم حاكما على المبالغة ﴿وان فاتكم شىء من ازواجكم الى الكفار
فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا واتقوا الله الذى انتم
به مؤمنون﴾ روى انه لما نزلت الآية الاولى ادى المؤمنون ما امروا به من اداء
المهور للمهاجرات الى ازواجهن المشركين وابى المشركون ان يؤدوا شيئا من
مهور الكوافر الى ازواجهن المسلمين فنزل قوله وان فاتكم وان سبقكم و
انفلت منكم شىء من ازواجكم احد منهن الى الكفار وهو فى قراءة ابن مسعود
فان قلت هل لايقاع شىء فى هذا الموضع فائدة قلت نعم الفائدة فيه
ان لا يغادر شىء من هذا الجنس وان قل وحقر غير معوض عنه تغليظا
فى هذا الحكم وتشديدا فيه فعاقبتم من العقبة وهى النوبة شبه ما حكم
به على المسلمين والكافرين من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة و
اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب فى الركوب
وغيره ومعناه فجاءت عقبتكم من اداء المهر فآتوا من فاتته امرأته الى الكفار
مثل مهرها من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر وهكذا عن الزهرى
يعطى من صداق من لحق بهم وقرئ فاعقبتم فعقبتم بالتشديد فعقبتم
بالتخفيف بفتح القاف وكسرها فمعناه اخذتم من دخل فى العقبة وعقبتم من عقبه
اذا قفاه لان كل واحد من المتعاقبين يقفى صاحبه وكذلك عقبتم بالتخفيف
يقال عقبه يعقبه وعقبتم بجد تبعتم وقال الزجاج فعاقبتم فاصبتموهم

في القتال بعقوبة حتى غنمتم والذي ذهبت زوجته كان يعطى من
الغنيمة المهر وفسر عقبتم بالغزو فكانت العقبى لكم اي كانت الغلبة
لكم حتى غنمتم وقيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين
راجعة عن الاسلام ست نسوة ام الحكم بنت ابي سفيان كانت تحت
عياض ابن شداد الفهري وفاطمة بنت ابي امية كانت تحت عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وهي اخت ام سلمة وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس
بن عثمان وعبدة بنت عبد العزى بن نضلة وزوجها عمرو بن عبد ود
وهند بنت ابي جهل كانت تحت هشام بن العاص وكلثوم بنت جرول
كانت تحت عمر فاعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهور نسائهم من الغنيمة
يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا و
لا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا ياتين ببهتان يفترينه
بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر
لهن الله ان الله غفور رحيم ولا يقتلن اولادهن وقت يقتلون
بالتسديد يريد وأد البنات ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن
وارجلهن كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدي
منك كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه
بزوجها كذبا لان بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذي تلده



به بين الرجلين ولا يعصينك في معروف فيما تامرهن به من المحسنات وتنهاهن
عنه من المنكرات وقيل كل ما وافق طاعة الله فهو معروف فان قلت لو اقتصر
على قوله ولا يعصينك فقد علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يامر الا بمعروف قلت
نبه بذلك على ان طاعة المخلوق في معصية الخالق جديرة بغاية التوقي
والاجتناب وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال
اخذ في بيعة النساء وهو على الصفا وعمر بن الخطاب رضي الله عنه اسفل
منه يبايعهن بامره ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة ابي سفيان متنقبة
متنكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابايعكن على
ان لا يشركن بالله شيئا فرفعت هند رأسها وقالت والله لقد عبدنا ا
الاصنام وانك لتاخذ علينا امرا ما رأيناك اخذته على الرجال تبايع
الرجال على الاسلام والجهاد فقال صلى الله عليه وسلم ولا يسرقن فقالت ان ابا سفيان
رجل شحيح واني اصبت من ماله هنات فما ادري اتحل لي ام لا فقال
ابو سفيان ما اصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله
عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت او تزني الحرة وفي رواية ما
زنت منهن امرأة قط فقال ولا يقتلن اولادهن فقالت ربيناهم صغارا
وقتلتموهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان قد قتل يوم

ثدى

ثديي فضحك عمر رضي الله عنه حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولا يأتين
ببهتان فقالت والله ان البهتان لامر قبيح وما تأمرنا الا بالرشد
ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك في معروف فقالت والله ما
جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء وقيل في كيفية المبايعة
دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمسن ايديهن وقيل صافحهن و
كان على يده ثوب قطري وقيل كان عمر يصافحهن عنه يا ايها الذين آمنوا
لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار
من اصحاب القبور روي ان بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون
اليهود ليصيبوا من ثمارهم فقيل لهم لا تتولوا قوما مغضوبا
عليهم قد يئسوا من ان يكون لهم حظ في الآخرة لعنادهم رسول الله وهم
يعلمون انه الرسول المنعوت في التورية كما يئس الكفار من موتاهم ان
يبعثوا ويرجعوا احياء وقيل من اصحاب القبور بيان للكفار الذين
اي كما يئس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة لانهم تبينوا قبح
حالهم وسوء منقلبهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة
كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيمة

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين آمنوا

لم

الاضافة

لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون لم هي لام
داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم و
مم وعم والام وعلام وانما حذفت الالف لان ما والحرف كشيء واحد ووقع استعمالها
كثيرا في كلام المستفهم وقد جاء استعمال الاصل قليلا والوقف على زيادة هاء
السكت او الاسكان ومن اسكن في الوصل فلاجرائه مجرى الوقف كما سمع ثلثة اربعة
بالهاء والقاء حركة الهمزة عليها محذوفة وهذا الكلام يتناول الكذب واخلاف
الموعد وروي ان المؤمنين قالوا قبل ان يؤمروا بالقتال لو نعلم احب الاعمال
الى الله لعملناه ولبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فدلهم الله على الجهاد في سبيله فولوا يوم احد
فعيرهم وقيل لما اخبر الله بثواب شهداء بدر قالوا لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا
ففروا يوم احد ولم يفوا وقيل كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن
وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر وقيل قد اذى المسلمين رجل ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله
آخر فقال عمر لصهيب رضي الله عنهما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انك قتلته فقال انما قتلته لله ولرسوله
فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله قتله صهيب قال كذلك يا ابا يحيى قال نعم فنزلت في المنتحل
وعن الحسن نزلت في المنافقين ونداؤهم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم هذا من
افصح الكلام وابلغه في معناه قصد في كبر التعجب من غير لفظه كقوله غلت
ناب كليب بواؤها ومعنى التعجب تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التعجب لا يكون
الا من شيء خارج عن نظائره واشكاله واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على

عيسى صلوات الله عليه متكلما عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو
يوم القيامة شفيعه

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما
في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذي بعث
في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب و
الحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين قرئت صفات الله عز وعلا
بالرفع على المدح كأنه قيل هو الملك القدوس ولو قرئت منصوبة لكان
وجها كقول العرب الحمد لله أهل الحمد الأمي منسوب إلى أمة العرب لأنهم
كانوا لا يكتبون ولا يقرؤن من بين الأمم وقيل بدئت الكتابة بالطائف
أخذوها من أهل الحيرة وأهل الحيرة من أهل الأنبار ومعنى بعث في الأميين رسولا
منهم بعث رجلا أميا في قوم أميين كما جاء في حديث شعيا إني أبعث
أعمى في عميان وأميا في أميين وقيل منهم كقوله من أنفسكم يعلمون
نسبه وأحواله وقرئ في الأمين بحذف ياء النسب يتلوا عليهم
آياته يقرؤها عليهم مع كونه أميا مثلهم لم تعهد منه قراءة ولم يعرف
بتعلم وقراءة أمي بغير تعلم آية بينة ويزكيهم ويطهرهم من الشرك و
خبائث الجاهلية ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة و

إن

وإن في وإن كانوا في ضلال لا ترى ضلالا أعظم منه وآخرين منهم لما يلحقوا بهم
وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وآخرين
مجرور عطف على الأميين يعني أنه بعثه في الأميين الذين على عهده وفي آخرين من
الأميين الذين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة رضوان الله عليهم
وقيل لما نزلت قيل من هم يا رسول الله فوضع يده على سلمان ثم قال لو كان الإيمان
عند الثريا لتناوله رجال من هؤلاء وقيل هم الذين يأتون من بعدهم إلى يوم
القيامة ويجوز أن ينتصب عطفا على المنصوب في ويعلمهم أي يعلمهم ويعلم آخرين
لأن التعليم إذا تناسق إلى آخر الزمان كان كله مستندا إلى أوله فكأنه هو الذي تولى
كل ما وجد منه وهو العزيز الحكيم في تمكينه رجلا أميا من ذلك الأمر العظيم وتأييده
عليه واختياره إياه من بين كافة البشر ذلك الفضل الذي أعطاه محمدا وهو أن يكون
نبي أبناء عصره ونبي أبناء العصور الغوابر هو فضل الله يؤتيه من يشاء إعطاءه
وتقتضيه حكمته مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل
أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي
القوم الظالمين شبه اليهود في أنهم حملة التوراة وقراؤها وحفاظ ما فيها
ثم إنهم غير عاملين بها ولا منتفعين بآياتها وذلك أن فيها نعت رسول الله والبشارة به
ولم يؤمنوا به بالحمار حمل أسفارا أي كتبا كبارا من كتب العلم فهو يمشي بها ولا يدري
منها إلا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا

مثله وبئس المثل مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله وهم اليهود
الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد صلوات الله عليه و
معنى حملوا التورية كلفوا علمها والعمل بها ثم لم يحملوها ثم لم يعملوا بها
فكانهم لم يحملوها ثم لم يعملوا بها فكانهم لم يحملوها وقرئ حملوا التورية اي
حملوها ثم لم يحملوها في الحقيقة لفقد العمل وقرئ يحمل الاسفار فان قلت يحمل
ما محله قلت النصب على الحال او الجر على الوصف لان الحمار كاللئيم في قوله
ولقد امر على اللئيم يسبني، قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء
لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه ابدا بما قدمت
ايديهم والله عليم بالظالمين، هاد يهود اذا تهود اولياء الله كانوا
يقولون نحن ابناء الله واحباؤه اي ان كان قولكم حقا وكنتم على ثقة فتمنوا
على الله ان يميتكم وينقلكم سريعا الى دار كرامته التي اعدها لاوليائه ثم قال ولا
يتمنونه ابدا بسبب ما قدموا من الكفر وقد قال لهم رسول الله صلعم والذي
نفسي بيده لا يقولها احد منكم الا غص بريقه فلولا انهم كانوا موقنين
بصدق رسول الله صلعم لتمنوا ولكنهم علموا انهم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم
ولحقهم الوعيد فما تمالك احد منهم ان يتمنى وهي احدى المعجزات وقرئ فتمنوا
الموت بكسر الواو تشبيها بلو استطعنا ولا فرق بين لا ولن في ان كل واحدة منهما نفي
للمستقبل الا ان في لن تاكيدا وتشديدا ليس في لا فاتى مرة بلفظ التاكيد

ولن

ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه، قل ان الموت الذي تفرون منه فانه
ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون، ثم قيل لهم
ان الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون ان تتمنوه خيفة ان تؤخذوا بوبال كفركم
لا تفوتونه وهو ملاقيكم لا محالة ثم تردون الى الله فينبئكم بما انتم اهله من
العقاب وقرئ انه [illegible] على انه ملاقيكم وفي قراءة ابن مسعود تفرون منه ملاقيكم
وهي ظاهرة واما التي بالفاء فلتضمن الذي معنى الشرط وقد جعل ان الموت الذي
تفرون منه كلاما برأسه في قراءة زيد اي ان الموت هو الشيء الذي تفرون منه ثم
استؤنف انه ملاقيكم، يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة
فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون، يوم الجمعة يوم
الفوج المجموع كقولهم ضحكة للمضحوك منه ويوم الجمعة بفتح الميم يوم الوقت
الجامع كقولهم ضحكة ولعنة ولعبة ويوم الجمعة تثقيل للجمعة كما قيل عسرة
في عسرة وقرئن جميعا فان قلت من في قوله من يوم الجمعة ما هي قلت هي بيان
لاذا وتفسير له والنداء الاذان وقالوا المراد به الاذان عند قعود الامام على
المنبر وقد كان لرسول الله صلعم مؤذن واحد فكان اذا جلس على المنبر اذن على باب
المسجد فاذا نزل اقام للصلوة ثم كان ابو بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه على
ذلك حتى اذا كان عثمان رضي الله عنه وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد مؤذنا
آخر فامر بالتاذين الاول على داره التي تسمى زوراء فاذا جلس على

المنبر أذن المؤذن الثاني فإذا نزل أقام للصلاة فلم يعب ذلك عليهم وقيل أول
من سماها الجمعة كعب بن لؤي وكان يقال لها العروبة وقيل إن الأنصار قالوا
لليهود يوم يجتمعون فيه في كل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل
لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم
الأحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا إلى سعد بن زرارة
فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه
فأنزل الله آية الجمعة فهي أول جمعة كانت في الإسلام وأما أول جمعة
جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي أنه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على بني
عمرو بن عوف وأقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وأسس
مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا إلى المدينة فأدركته صلاة
الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم مختلف فصلى الجمعة وعن بعضهم
قد أبطل الله قول اليهود في ثلاث افتخروا بأنهم أولياء الله وأحباؤه فكذ
بهم في قوله فتمنوا الموت إن كنتم صادقين وبأنهم أهل الكتاب والعرب لا كتاب
لهم فشبههم بالحمار يحمل أسفارا وبالسبت وأنه ليس للمسلمين مثله
فشرع الله لهم الجمعة وعن النبي صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم
الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط إلى الأرض وفيه تقوم
الساعة وهو عند الله يوم المزيد وقال صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل وفي

كفه

[illegible]

ر

في
كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولأمتك
من بعدك وهو سيد الأيام عندنا ونحن ندعوه إلى الآخرة يوم المزيد وعن
النبي إن لله في كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار وعن كعب إن الله فضل من البلدان
مكة ومن الشهور رمضان ومن الأيام الجمعة وقال صلى الله عليه وسلم من مات يوم الجمعة كتب
الله له أجر شهيد ووقي فتنة القبر وفي الحديث إذا كان يوم الجمعة قعدت
الملائكة على أبواب المساجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون
الأول فالأول على مراتبهم وكانت الطرقات في أيام السلف وقت السحر وبعد الفجر
مغتصة بالمبكرين إلى الجمعة يمشون بالسرج وقيل أول بدعة في الإسلام
ترك البكور إلى الجمعة وعن ابن مسعود أنه بكر فرأى ثلاثة نفر
سبقوه فاغتم وأخذ يعاتب نفسه يقول أراك رابع أربعة و
ما رابع أربعة بسعيد ولا تقام الجمعة عند أبي حنيفة رضي الله عنه
إلا في مصر جامع لقوله عليه السلام لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا أضحى إلا في
مصر جامع والمصر الجامع ما أقيمت فيه الحدود ونفذت فيه الأحكام
ومن شروطها الإمام أو من يقوم مقامه لقوله عليه السلام فمن تركها وله إمام
عادل أو جائر الحديث وقوله أربع إلى الولاة الفيء والصدقات
والحدود والجمعات فإن أم رجل بغير إذن الإمام أو من ولاه من قاض أو صاحب
شرطة لم يجز فإن لم يمكن الاستئذان فاجتمعوا على واحد فصلى بهم جاز و

احدثت

في الاسلام

ه

وبه تنعقد الجمعة بثلثة سوى الامام وعند الشافعي رضي الله عنه باربعين ولا جمعة
على المسافرين والعبيد والنساء والمرضى والزمنى ولا على الاعمى عند ابي حنيفة
ولا على الشيخ الذي لا يمشي الا بقائد وقرا عمر وابن عباس وابن مسعود
رضوان الله عليهم وغيرهم فامضوا وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقرا
فاسعوا فقال من اقراك هذا قال ابي بن كعب فقال لا يزال يقرا بالمنسوخ
لو كانت فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي وقيل المراد بالسعي القصد دون
العدو والسعي التصرف في كل عمل ومنه قوله فلما بلغ معه السعي وليس
للانسان الا ما سعى وعن الحسن ليس السعي على الاقدام ولكنه على النيات
والقلوب وذكر محمد بن الحسن رحمه الله في موطائه ان ابن عمر سمع الاقامة و
هو بالبقيع فاسرع المشي قال محمد وهذا لا باس به ما لم تجهد نفسك ذكر الله
الخطبة والصلوة وللتسمية الله الخطبة ذكر الله له قال ابو حنيفة رحمه الله ان
اقتصر الخطيب على مقدار يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز وعن
عثمان رضي الله عنه انه صعد المنبر فقال الحمد لله وارتج عليه فقال ان ابا بكر
وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام فعال احوج منكم الى امام
قوال وستاتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك بحضرة الصحابة ولم ينكر عليه احد
وعند صاحبيه والشافعي رضي الله عنه لا بد من كلام يسمى خطبة فان قلت كيف
يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر غير الله قلت ما كان من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم

تعالى



والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين واتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو
في حكم ذكر الله فاما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة والقابهم والثناء عليهم والدعاء
لهم وهم احقاء بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل واذا قال
المنصت للخطبة لصاحبه صه فقد لغا افلا يكون الخطيب الغالي في ذلك لاغيا نعوذ
بالله من غربة الاسلام ونكد الايام اراد الامر بترك ما يذهل عن ذكر الله من
شواغل الدنيا وانما خص البيع من بينها لان يوم الجمعة يوم يهبط الناس
فيه من قراهم وبواديهم وينصبون الى المصر من كل اوب ووقت هبوطهم
واجتماعهم واغتصاص الاسواق بهم اذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنا وقت
الظهيرة وحينئذ تحر التجارة ويتكاثر البيع والشرى فلما كان ذلك الوقت
مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله والمضي الى المسجد قيل لهم بادروا
تجارة الاخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذي لا شيء
انفع منه واربح وذروا البيع الذي نفعه يسير وربحه مقارب فان
قلت فاذا كان البيع في هذا الوقت مامورا بتركه محرما فهل هو فاسد قلت
عامة العلماء على ان ذلك لا يوجب فساد البيع قالوا لان البيع لم يحرم لعينه
ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلوة في الارض المغصوبة والثوب
المغصوب والوضوء بماء مغصوب وعن بعض الناس انه فاسد فاذا قضيت
الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم

ان قولهم ما لا يفعلون مقتا خالصا لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه واختير لفظ المقت
لانه اشد البغض وابلغه ومنه قيل نكاح المقت للعقد على الرابة ولم يقتصر على ان
جعل البغض كبيرا حتى جعل اشده وافحشه وعند الله ابلغ من ذلك لانه اذا ثبت كبر
مقته عند الله فقد تم كبره وشدته وانزاحت عنه الشكوك وعن بعض السلف
انه قيل له حدثنا فسكت ثم قيل له حدثنا فقال اتأمرونني ان اقول ما لا افعل فا
ستعجل مقت الله ٭ ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص
٭ وفي قوله ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله عقيب ذكر مقت المخلف دليل على ان
المقت قد تعلق بقول الذين وعدوا الثبات في قتال الكفار فلم يفوا وقرا زيد بن
علي يقاتلون بالفتح وقرئ يقتلون صفا صافين انفسهم او مصفوفين كانهم في
تراصهم من غير فرجة ولا خلل بنيان رص بعضه الى بعض ورصف وقيل يجوز
ان يريد استواء نياتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص
وعن بعضهم فيه دليل على فضل القتال راجلا لان الفرسان لا يصطفون على
هذه الصفة وقوله صفا كانهم بنيان حالان متداخلان ٭ واذ قال موسى
لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم فلما زاغوا ازاغ الله
قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين ٭ اذ منصوب باضمار اذكر اي حين
قال لهم ما قال كانوا يؤذونه بانواع الاذى من انتقاصه
وعيبه في نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما تعود اليهم منافعه وعبادتهم البقر

وطلبهم

وعدوا الثبات

بنيانهم التأم



وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه وقد تعلمون
في موضع الحال اي تؤذونني عالمين علما يقينا اني رسول الله وقضية علمكم بذلك وموجبه
تعظيمي وتوقيري لا ان تؤذوني وتستهينوا بي لان من عرف الله وعظمته عظم رسوله
علما بان تعظيمه في تعظيم رسول الله ولان من آذاه كان وعيد الله لاحقا به فلما زاغوا عن الحق
ازاغ الله قلوبهم بان منع الطافه عنهم والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يلطف بهم
لانهم ليسوا من اهل اللطف فان قلت ما معنى قد في قوله وقد تعلمون قلت معناه
التوكيد كانه قال وتعلمون علما يقينا لا شبهة لكم فيه ٭ واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل
اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية ومبشرا برسول يأتي من بعدي
اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ٭ قيل انما قال يا بني اسرائيل ولم
يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه والمعنى ارسلت اليكم في حال
تصديقي ما تقدمني من التورية وفي حال تبشيري برسول يأتي من بعدي اسمه احمد
يعني ان ديني التصديق بكتب الله وانبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر وقرئ من
بعدي بسكون الياء وفتحها والخليل وسيبويه يختاران الفتح وعن كعب ان الحوا
ريين قالوا لعيسى عليه السلام يا روح الله هل بعدنا من امة قال نعم امة احمد
حكماء علماء ابرار اتقياء كانهم من الفقه انبياء يرضون من الله باليسير من الرزق
ويرضى الله منهم باليسير من العمل فان قلت بم انتصب مصدقا ومبشرا ابما في الرسول
من معنى الارسال ام باليكم قلت بل بمعنى الارسال لان اليكم صلة للرسول فلا يجوز ان

يعمل

للحواريين نسبة عيسى

[illegible]

المصور

انه قرأ البارئ المصور بفتح الواو ونصب الراء الذي يبرأ
اى يميز ما يصوره بتفاوت الهيئات وقرأ ابن مسعود وما في الارض

عن ابي هريرة رضي الله عنه سألت حبيبي صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الاعظم فقال
عليك بآخر الحشر فاكثر قراءته فاعدت عليه فاعاد علي فاعدت عليه فاعاد
علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد
كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ر
بكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيل الله وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم
بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء
السبيل روي ان مولاة لابي عمرو بن صيفي بن هاشم يقال لها سارة
اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها امسلمة جئت
قالت لا قال افمهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل و
الموالي والعشيرة وقد ذهبت الموالي تعني قتلوا يوم بدر فاحتجت
حاجة شديدة فحث عليها بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزو
دوها فاتاها حاطب بن بلتعة الى اهل مكة اعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطا

ها

واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا الى اهل مكة نسخته من
حاطب بن ابي بلتعة الى اهل مكة اعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا
حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا و
عمار وعمر وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد رضوان الله عليهم وكانوا فر
سانا
وقال انطلقوا حتى روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى اهل مكة
فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها فجحدت وحلفت فهموا
بالرجوع فقال علي رضي الله عنه ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسل سيفه
وقال اخرجي الكتاب او تضعي رأسك فاخرجته من عقاص شعرها وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن جميع الناس يوم الفتح الا اربعة هي احدهم فاستحضر
رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ
اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت
امرأ ملصقا في قريش وروي عزيزا فيهم اي غريبا ولم اكن من انفسها و
كل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهاليهم واموالهم غيري
فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله ينزل عليهم
بأسه وان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه وقبل عذره فقال عمر رضي الله عنه دعني
يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على
اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر وقال

اليها على وجه التفضل كقوله لكم وزيادة وتخصيص الافنان بالذكر وهي الغصنة التي
تتشعب من فرع الشجر لانها هي التي تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال و
منها تجتنى الثمار وقيل الافنان الوان النعم ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين فالو
من كل افنان اللذاذة والصبي لكي تقوى به والعيش احلى فيهما عينان تجريان حيث
شاؤا في الاعالي والاسافل وقيل تجريان من جبل من مسك وعداى تجريان با
الزياد واحديهما التسنيم والاخرى السلسبيل زوجان صنفان قيل صنف معروف
وصنف غريب متكئين نصب على المدح للخائفين او حال منهم لان من خاف في معنى
الجمع بطائنها من استبرق من ديباج ثخين واذا كانت البطائن من استبرق فما
ظنك بالظهائر وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور وجنى الجنتين دان قريب يناله
القائم والقاعد والنائم وفرش وجنة بكسر الجيم فيهن في هذه الآلاء
المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى
او في الجنتين لاشتمالهما على اماكن وقصور ومجالس قاصرات الطرف نساء
قصرن ابصارهن على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم لم يطمث الانسيات
منهن احد من الانس ولا الجنيات احد من الجن وهذا دليل على ان الجن
يطمثون كما يطمث الانس وقرئ يطمثهن بضم الميم قبلهن في صفاء اليا
قوت وبياض المرجان وصغار الدر انصع بياضا قيل ان الحوراء تلبس
سبعين حلة فيرى مخ ساقيها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة

البيضاء

ثماء

جنتان

البيضاء هل جزاء الاحسان الا الاحسان فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما
فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان
فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان فبأي آلاء ربكما تكذبان حور
مقصورات في الخيام فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان
فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان فبأي آلاء ربكما
تكذبان تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام هل جزاء الاحسان في العمل الا
الاحسان في الثواب وعن محمد بن الحنفية هي مسجلة للبر والفاجر ومن دونهما
مسألة بمعنى ان كل من احسن احسن اليه وكل من اساء اسيء ومن دو
جنتان ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للمقربين جنتان لمن دونهم من ومن
اصحاب اليمين مدهامتان قد ادهامتا من شدة الخضرة نضاختان فوارتان
بالماء والنضخ اكثر من النضح لان النضح غير معجمة [illegible] عطف
~~التمر~~ النخل والرمان على الفاكهة وهما منها لانه اختصهما فضلهما وبيانا لفضلهما
لانهما لما من المزية جنسان آخران كقوله وجبريل وميكائيل او لان النخل ثمرة
فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ومنه قال ابو حنيفة رحمه الله
اذا حلف لا يأكل ~~هيبر كبيرة واما خير الذي هو بمعنى اخير فلا يقال فيه~~ فاكهة
فاكل رمانا او رطبا لم يحنث وخالفه صاحباه خيرات مخففة كقوله ع هينون لينون
واما خير الذي هو بمعنى اخير فلا يقال فيه خيرون ولا خيرات وقرئ خيرات على

لما امرت به الشارع والعرق العاصي العاند ومنه اعتصت النواة اشتدت
والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهي الصخرة
قال ابو الوازع كل صخرة رشادة وانشد وغير مقلد وموشمات
صلين الضوء من صم الرشاد فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم
فضلا مفعول له او مصدر من غير فعله فان قلت من اين جاز وقوعه مفعولا
له والرشد فعل القوم والفضل فعل الله والشرط ان يتحد الفاعل قلت
لما وقع الرشد عبارة عن التحبيب والتزيين والتكريه مسندة الى اسمه
تقدست اسماؤه صار الرشد كانه فعله فجاز ان ينتصب عنه ولا ينتصب
عن الراشدون ولكن عن الفعل المسند الى اسم الله تعالى والجملة التي هي
اولئك هم الراشدون اعتراض او عن فعل مقدر كانه قيل جرى ذلك او كان
ذلك فضلا من الله واما كونه مصدرا من غير فعله فان يوضع موضع رشدا
لان رشدهم فضلة من الله لكونهم موفقين فيه والفضل والنعمة بمعنى الافضال
والانعام والله عليم باحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل
حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق على افاضلهم وان طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احديهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي
حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب
المقسطين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال وقف رسول الله على مجلس

بعض



كعصي
العصي جمع عصا

بعض الانصار وهو على حمار فبال الحمار فامسك عبد الله ابن ابي
بانفه وقال خل سبيل حمارك فقد اذانا نتنه فقال عبد الله بن رواحة
والله ان بول حماره لاطيب من مسكك وروي حماره افضل منك وبول
حماره من مسكك ومضى رسول الله وطال الخوض بينهما حتى
استبا وتجالدا وجاء قوماهما وهما الاوس والخزرج فتجالدوا
بالعصي وقيل بالايدي والنعال والسعف فرجع اليهم رسول الله
فاصلح بينهم ونزلت وعن مقاتل قراها عليهم فاصطلحوا والبغي
الاستطالة والظلم واباء الصلح والفيء الرجوع وقد سمي به الظل
والغنيمة لان الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع
من اموال الكفار الى المسلمين وعن ابي عمرو حتى تفي بغير همز ووجهه
ان ابا عمرو خفف الاولى من الهمزتين الملتقيين فلطف على
الراوي تلك الخلسة فظنه قد طرحها فان قلت ما وجه قوله اقتتلوا
والقياس اقتتلتا كما قرا ابن ابي عبلة او اقتتلا كما قرا عبيد بن
عمير على تاويل الرهطين او النفرين قلت هو مما حمل على المعنى
دون اللفظ لان الطائفتين في معنى القوم والناس وفي قراءة عبد الله
حتى يفيئوا الى امر الله فان فاؤوا فخذوا بينهم بالقسط وحكم الفئة الباغية
وجوب قتالها ما قاتلت وعن ابن عمر رضي الله عنه ما وجدت في نفسي من شيء

حة

السعف جمع سعفة وهي اغصان النخل اذا يبست

لبغي

يقال تجالد القوم بالسيوف

يقال نسخت الشمس واستنسخته اذا ازالته

نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب بطريقة الالتفات ليكون ابلغ في التوبيخ فان قلت ما
معنى فهل عسيتم ان تفسدوا في الارض قلت معناه هل يتوقع منكم الفساد فان قلت كيف
يصح هذا في كلام الله عز وجل وهو عالم بما كان وما يكون قلت معناه انكم لما عهد
منكم احقاء بان يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم في الايمان يا
هؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتأمرتم عليهم لما تبين
منكم من الشواهد ولاح من المخايل ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا
على الملك وتهالكا على الدنيا وقيل ان اعرضتم وتوليتم عن دين رسول الله وسنته ان
ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الافساد في الارض بالتغاور والتناهب وقطع
الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وقرئ وليتم وفي قراءة علي
بن ابي طالب رضي الله عنه توليتم اي ان تولاكم ولاة غشمة خرجتم معهم ومشيتم تحت
لوائهم وافسدتم بافسادهم وقرئ وتقطعوا وتقطعوا من التقطيع والتقطع اولئك
اشارة الى المذكورين لعنهم الله لافسادهم وقطعهم الارحام فمنعهم الطافه
وخذلهم حتى صموا عن استماع الموعظة وعموا عن ابصار طريق الهدى ويجوز
ان يريد بالذين امنوا المؤمنين الخلص الثابتين وانهم يتشوقون الى الوحي
اذا ابطأ عليهم فاذا انزلت سورة في معنى الجهاد رايت المنافقين فيما بينهم
يضجرون منها افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها ان الذين ارتدوا
على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم
افلا يتدبرون القرآن ويتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر و

الناس صح

وعيد

ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصي ثم قال ام على قلوب اقفالها وام
بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بان قلوبهم مقفلة لا يتوصل اليها ذكر
وعن قتادة اذن والله يجدوا في القرآن زاجرا عن معصية الله لو تدبروه و
لكنهم اخذوا بالمتشابه فهلكوا فان قلت لم نكرت القلوب واضيفت الاقفال اليها
قلت اما التنكير ففيه وجهان ان يراد على قلوب قاسية مبهم امرها في ذلك او يراد
على بعض القلوب وهي قلوب المنافقين واما اضافة الاقفال فلانه يريد الاقفال
المختصة بها وهي اقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح وقرئ اقفالها على
المصدر الشيطان سول لهم جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا لان كقولك
ان زيدا عمرو مر به سول لهم سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو
الاسترخاء وقد اشتقه من السؤل من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعا
واملى لهم ومد لهم في الآمال والاماني وقرئ واملي لهم يعني ان الشيطان
يغويهم وانا انظرهم كقوله انما نملي لهم وقرئ واملي لهم على البناء للمفعول اي
امهلوا ومد في عمرهم وقرئ سول لهم ومعناه كيد الشيطان زين لهم على تقدير
حذف المضاف فان قلت من هؤلاء قلت اليهود كفروا بمحمد ﷺ من بعد ما
تبين لهم الهدى وهو نعته في التوراة وقيل هم المنافقون ذلك بانهم قالوا
للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر والله يعلم اسرارهم الذين
قالوا القائلون هم اليهود والذين كرهوا ما انزل الله المنافقون وقيل عكسه
وانه قول المنافقين لقريظة والنضير لئن اخرجتم لنخرجن معكم وقيل بعض

وأبلغكم ما أرسلت به من الإنذار والتخويف والصرف عما يعرضكم لسخط الله بجهدي ولكنكم جاهلون لا تعلمون أن الرسل إنما يبعثون منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما أذن لهم فيه فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين فلما رأوه في الضمير وجهان أن يرجع إلى ما تعدنا وأن يكون مبهما قد وضح أمره بقوله عارضا إما تمييزا وإما حالا وهذا الوجه أعرب وأفصح والعارض السحاب الذي يعرض في أفق السماء ومثله الحبي والعنان من حبا وعن إذا عرض وإضافة مستقبل وممطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وصفا للنكرة بل هو القول قبله مضمر والقائل هود عليه السلام والدليل عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو وقرئ قل بل ما استعجلتم به هي ريح أي قال الله قل تدمر كل شيء تهلك من نفوس عاد وأموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا إذا هلك لا ترى الخطاب للرائي من كان وقرئ لا يرى على البناء للمفعول بالياء والتاء وتأويل القراءة بالتاء وهي عن الحسن رضي الله عنه لا ترى بقايا ولا أشياء إلا مساكنهم ومنه بيت ذي الرمة وما بقيت إلا الضلوع الجراشع وقرئ بالفوقية لا ترى إلا مساكنهم ولا يرى إلا مساكنهم وروي أن الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعها في الجو حتى ترى كأنها جرادة وقيل أول من أبصر العذاب

الحبي السحاب المعترض

امرأة

امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروي أول ما عرفوا به أنه عذاب أنهم رأوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير بها الريح بين السماء والأرض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم وأمال الله عليهم الأحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في البحر وروي أن هودا لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا إلى جنب عين تنبع وعن ابن عباس اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح إلا ما يلين على الجلود وتلذه الأنفس وإنها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة وعن النبي عليه السلام أنه كان إذا رأى الريح فزع وقال اللهم إني أسألك خيرها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به وإذا رأى مخيلة قام وقعد وجاء وذهب وتغير لونه فنقول له يا رسول الله ما تخاف فيقول إني أخاف أن يكون مثل قوم عاد حيث قالوا هذا عارض ممطرنا فإن قلت ما فائدة إضافة الرب إلى الريح قلت الدلالة على أن الريح وتصريف أعنتها مما يشهد لعظم قدرته لأنها من أعاجيب خلقه وأكابر جنوده وذكر الأمر وكونها مأمورة من جهته عز وعلا يعضده ويقويه

ثم يقولون لولا اتى بينة لو دكر فرنا وكان كتاب فمن يتبعه يقولون
لو كان ما اتى به محمد حقا ما سبقنا اليه فلان وفلان وقيل كان اليهود
يقولونه عند اسلام عبد الله بن سلام واصحابه فان قلت لا بد من
عامل في الظرف في قوله واذ لم يهتدوا به وهو متعلق لقوله فسيقولون وليس
يستقيم ان يكون فسيقولون هو العامل في الظرف لتدافع دلالتي
المضي والاستقبال فما وجه هذا الكلام قلت العامل في اذ محذوف
لدلالة الكلام عليه كما حذف من قوله فلما ذهبوا به وقولهم حينئذ
الآن وتقديره واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون هذا
افك قديم فهذا المضمر صح به الكلام حيث انتصب به الظرف وكان
قوله فسيقولون مسببا عنه كما صح باضمار ان قوله حتى يقول الرسول
لمصادفته حتى مجرى حكاية المضارع ناصبه وقولهم افك قديم كقولهم
اساطير الاولين ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب
مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين ان
الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ومن قبله كتاب
موسى مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب اماما
على الحال كقولك في الدار زيد قائما وقرئ ومن قبله كتاب موسى على

وآتينا

وآتينا الذين قبله التورية ومعنى اماما قدوة يؤتم به في دين الله و
شرائعه كما يؤتم بالامام ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه وهذا القرآن
كتاب مصدق لكتاب موسى او لما بين يديه ولسانا عربيا حال من ضمير
الكتاب في مصدق والعامل فيه مصدق ويجوز ان ينتصب عن كتاب لتخصيصه
بالصفة ويعمل فيه معنى الاشارة وجوز ان يكون مفعولا لمصدق اي
يصدق ذا لسان عربي وهو الرسول وقرئ لتنذر بالتاء والياء
ولينذر من نذر ينذر اذا حذر وبشرى في محل النصب معطوف
على محل لينذر لانه مفعول له اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها
جزاء بما كانوا يعملون ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته امه كرها
وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة
قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان
اعمل صالحا ترضيه واصلح لي في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين حسنا
قرئ حسنا بفتحتيها وسكون السين وبضمتها وبفتحتيها واحسانا وكرها
بالضم والفتح وهما لغتان في معنى المشقة كالفقر والفقر والتعابة
على الحال اي ذات كره او على انه صفة للمصدر اي حملا ذا كره وحمله وفصاله
ومدة حمله وفصاله ثلاثون شهرا وهذا دليل على ان اقل الحمل ستة اشهر
لان مدة الرضاع اذا كانت حولين لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد

ضمّن اسمه تعالى معنى وصف، ولذلك علّق به الظرف في قوله في السماء
وفي الأرض، كما تقول: هو حاتم في طيّ وحاتم في تغلب، على تضمين معنى
الجواد الذي شهر به، كأنك قلت: هو جواد في طيّ جواد في تغلب
وقرئ: وهو الذي في السماء الله وفي الأرض الله، ومثله قوله تعالى: وهو
الله في السموات وفي الأرض، كأنه ضمّن معنى المعبود أو المالك أو نحو ذلك
والراجع إلى الموصول محذوف لطول الكلام، كقولهم: ما أنا بالذي قائل
لك شيئا، وزاده طولا أن المعطوف داخل في حيّز الصلة، ويحتمل أن يكون في السماء
صلة الذي، وإله خبر مبتدأ محذوف، على أن الجملة بيان للصلة، وأن كونه في السماء
على سبيل الإلهية والربوبية لا على معنى الاستقرار، وفيه نفي الآلهة التي
كانت تعبد في الأرض. وتبارك الذي له ملك السموات والأرض و
ما بينهما وعنده علم الساعة وإليه ترجعون. ترجعون: قرئ بضم التاء
وفتحها، ويرجعون: بالياء مضمومة، وقرئ: تحشرون بالتاء. ولا
يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون
ولا يملك آلهتهم الذين يدعون من دون الله الشفاعة كما زعموا أنهم
شفعاؤهم عند الله، ولكن من شهد بالحق وهو توحيده، وهو يعلم ما
يشهد به عن بصيرة وإيقان وإخلاص هو الذي يملك الشفاعة، وهو
استثناء منقطع، ويجوز أن يكون متصلا لأن في جملة الذين يدعون
من دون الله الملائكة، وقرئ: تدعون بالتاء، وتدّعون بالتاء وتشديد
الدال

ولئن

ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون. وقيله يا رب إن هؤلاء
قوم لا يؤمنون. فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون. وقيله: قرئ
بالحركات الثلاث، وذكر في النصب عن الأخفش أنه حمله على: أم يحسبون
أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله، وعنه: وقال قيله، وعطفه الزجاج
على محل الساعة، كما تقول: عجبت من ضرب زيد وعمرا، وحمل الجر على لفظ
الساعة، والرفع على الابتداء، والخبر ما بعده، وجوّز عطفه على علم
الساعة على تقدير حذف المضاف، معناه: وعنده علم الساعة وعلم قيله
والذي قالوه ليس بقوي في المعنى، مع وقوع الفصل بين المعطوف
والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا، ومع تنافر النظم، وأقوى من
ذلك وأوجه أن يكون الجر والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه
والرفع على قولهم: أيمن الله ولعمرك، ويكون قوله إن هؤلاء قوم
لا يؤمنون جواب القسم، كأنه قيل: وأقسم بقيله يا رب، أو وقيله يا رب
قسمي إن هؤلاء قوم لا يؤمنون. فاصفح عنهم: فأعرض عن دعوتهم
وودعهم وتاركهم، وقل لهم سلام: أي تسلم منكم ومتاركة، فسوف
يعلمون: وعيد من الله لهم وتسلية لرسوله، والضمير في وقيله
لرسول الله، وإقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه
إليه. عن النبي صلى الله عليه وسلم: من قرأ سورة الزخرف كان ممن
يقال له يوم القيامة: يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون

وتفسير المفازة قوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون كأنه قيل وما مفازتهم
فقيل لا يمسهم السوء أي ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم أو بسبب
منجاتهم من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب بالأعمال
الحسنة ويجوز بسببه فلاحهم لأن العمل الصالح سبب الفلاح وهو
دخول الجنة ويجوز أن يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة لأنه
سببها وقرئ بمفازاتهم على أن لكل متق مفازة فإن قلت لا يمسهم
السوء ما محله من الإعراب على التفسيرين قلت أما على التفسير الأول
فلا محل له لأنه كلام مستأنف وأما على الثاني فمحله النصب على الحال
الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد السماوات والأرض
والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون له مقاليد السموات
والأرض أي هو مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية لأن حافظ
الخزائن ومدبر أمرها هو الذي يملك مقاليدها ومنه قولهم
فلان ألقيت إليه مقاليد الملك وهي المفاتيح ولا واحد لها من لفظها
وقيل مقليد ويقال إقليد وأقاليد والكلمة أصلها فارسية فإن قلت
ما للكتاب العربي المبين وللفارسية قلت التعريب أحالها عربية
كما أخرج الاستعمال المهمل من كونه مهملا فإن قلت بم اتصل قوله
والذين كفروا قلت بقوله وينجي الله الذين اتقوا أي ينجي الله
المتقين بمفازاتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهما
بأنه خالق الأشياء كلها وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه شيء من



المكلفين فيها وما يستحقون عليها من الجزاء وقد جعل متصلا بما يليه
على أن كل شيء في السموات والأرض فالله خالقه وفاتح بابه والذين كفروا
وجحدوا أن يكون الأمر كذلك أولئك هم الخاسرون وقيل سأل عثمان رضي
الله عنه رسول الله عم عن تفسير قوله تعالى له مقاليد السموات والأرض
فقال يا عثمان ما سألني عنها أحد قبلك تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر
وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله هو الأول
والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء
قدير وتأويله على هذا أن لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي
مفاتيح خير السموات والأرض من تكلم بها من المتقين أصابه و
الذين كفروا بآيات الله وكلمات توحيده وتمجيده أولئك هم
الخاسرون قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون
أفغير الله منصوب بأعبد وتأمروني اعتراض ومعناه أفغير
الله أعبد بأمركم وذلك حين قال له المشركون استلم بعض آلهتنا
ونؤمن بإلهك أو ينتصب بما يدل عليه جملة قوله تأمروني أعبد
لأنه في معنى تعبدونني وتقولون لي اعبد والأصل تأمرونني أن
أعبد فحذف أن ورفع الفعل كما في قوله ألا أيهذا الزاجري
أحضر الوغى ألا ترى أنك تقول أفغير الله تقولون لي اعبده و
أفغير الله تقولون لي اعبد فكذلك أفغير الله تأمرونني أن أعبده
وأفغير الله تأمرونني أن أعبد والدليل على صحة هذا الوجه قراءة

من قرأ أعبد بالنصب وقرئ تأمروني على إدغام النون أو حذفها
ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن
عملك ولتكونن من الخاسرين قرئ ليحبطن عملك وليحبطن على
البناء للمفعول وليحبطن بالنون والياء أي ليحبطن الله أو الشرك
فإن قلت الموحى إليهم جماعة فكيف قال لئن أشركت على التوحيد قلت
معناه أوحي إليك لئن أشركت ليحبطن عملك وإلى الذين من قبلك
مثله أو أوحي إليك وإلى كل واحد منهم لئن أشركت كما تقول كسانا
حلة أي كل واحد منا فإن قلت ما الفرق بين اللامين قلت الأولى موطئة
للقسم المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساد
مسد الجوابين أعني جوابي القسم والشرط فإن قلت كيف صح
هذا الكلام مع علم الله أن رسله لا يشركون ولا تحبط أعمالهم
قلت هو على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها لأغراض فكيف بما
ليس بمحال ألا ترى إلى قوله ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم
جميعا يعني على سبيل الإلجاء ولن يكون ذلك لامتناع الداعي إليه ووجود
الصارف عنه فإن قلت ما معنى قوله ولتكونن من الخاسرين قلت
يحتمل ولتكونن من الخاسرين بسبب حبوط العمل ويحتمل ولتكونن
في الآخرة من جملة الخاسرين الذين خسروا أنفسهم إن مت على الردة
ويجوز أن يكون غضب الله على الرسول أشد فلا يمهله بعد الردة ألا
ترى إلى قوله إذا لأذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات بل الله





فاعبد وكن من الشاكرين رد لما أمروه به من
استلام بعض آلهتهم كأنه قال لا تعبد ما أمروك بعبادته بل إن
كنت عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول
عوضا منه وكن من الشاكرين على ما أنعم به عليك من أن جعلك
سيد ولد آدم وجوز الفراء نصبه بفعل مضمر هذا معطوف
عليه تقديره بل الله أعبد فاعبد لما كان العظيم من الأشياء إذا عرفه
الإنسان حق معرفته وقدره في نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه
وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة
والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون قيل وما
قدروا الله حق قدره وقرئ بالتشديد على معنى وما عظموه
كنه تعظيمه ثم نبههم على عظمته وجلالة شأنه على طريقة التخييل
فقال والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات
بيمينه والغرض من هذا الكلام إذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه
تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب
بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز وكذلك حكم ما يروى أن
جبرئيل صلوات الله عليه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا القاسم إن الله يمسك
السموات يوم القيامة على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع
والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملك
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال ثم قرأ تصديقا له وما قدروا الله حق

قدره الآية وإنما ضحك أفصح العرب وتعجب لأنه لم يفهم منه إلا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور إمساك ولا إصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع أول شيء وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة وأن الأفعال العظام التي تتحير فيها الأفهام والأذهان ولا تكتنهها الأوهام هينة عليه هوانا لا يوصل السامع إلى الوقوف عليه إلا إجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخييل ولا ترى بابا في علم البيان أدق ولا أرق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع وأعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله في القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الأنبياء فإن أكثره وعليته تخييلات قد زلت فيها الأقدام قديما وما أتي الزالون إلا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقير حتى يعلموا أن في عداد العلوم الدقيقة علما لو قدروه حق قدره لما خفي عليهم أن العلوم كلها مفتقرة إليه وعيال عليه إذ لا تحل عقدها الموربة ولا يفك قيودها المكربة إلا هو وكم آية من آيات التنزيل وحديث من أحاديث الرسول قد ضيم وسيم الخسف بالتأويلات الغثة والوجوه الرثة لأن من تأول ليس من هذا العلم في عير ولا نفير ولا يعرف قبيلا منه من دبير والمراد بالأرض الأرضون السبع يشهد لذلك شاهدان قوله جميعا وقوله والسموات ولأن الموضع موضع تعظيم وتفخيم فهو مقتض للمبالغة ومع القصد إلى

الجمع



الجمع وتأكيده أتبع الجميع مؤكده قبل مجيء الخبر ليعلم أول الأمر أن الخبر الذي يرد لا يقع عن أرض واحدة ولكن عن الأراضي كلهن والقبضة المرة من القبض فقبضت قبضة من أثر الرسول والقبضة بالضم المقدار المقبوض بالكف ويقال أيضا أعطني قبضة من كذا تريد معنى القبضة تسمية بالمصدر كما روي أنه نهى عن خطفة السبع وكلا المعنيين محتمل والمعنى والأرضون جميعا قبضته أي ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعني أن الأرضين مع عظمهن وبسطتهن لا يبلغن إلا قبضة واحدة من قبضاته كأنه يقبضها قبضة بكف واحدة كما تقول الجزور أكلة لقمان والقلة جرعته أي ذات أكلته وذات جرعته تريد أنهما لا يفيان إلا بأكلة فذة من أكلاته وجرعة فردة من جرعاته وإذا أريد معنى القبضة فظاهر لأن المعنى أن الأرضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة فإن قلت ما وجه قراءة من قرأ قبضته بالنصب قلت جعلها ظرفا مشبها للمؤقت بالمبهم مطويات من الطي الذي هو ضد النشر كما قال يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب وعادة طاوي السجل أن يطويه بيمينه وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه بقدرته وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لأنه أقسم أن يفنيها ومن اشتم رائحة من علمنا هذا فليعرض عليه هذا التأويل ليتلهى بالتعجب منه ومن قائله ثم يبكي حمية لكلام الله المعجز بفصاحته وما مني به من أمثاله وأثقل منه على

غثة

التروح وافتدع للكبد تدوين العلماء قوله واستحسانهم له وحكايته
على فروع المنابر واستجلاب الاهتزاز به من السامعين وفيه مطلق
على نظم السموات في حكم الارض وجعلها تحت القبضة ونصب مطويات
على الحال سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد من هذه قدرته وعظمته وما اعلاه
عما يضاف اليه من الشركاء ونفخ في الصور فصعق من في السموات
ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام
ينظرون فان قلت اخرى ما محلها من الاعراب قلت يحتمل الرفع و
النصب اما الرفع فعلى قوله ثم نفخ في الصور نفخة واحدة
واما النصب فعلى قراءة من قرأ نفخة واحدة والمعنى ونفخ في
الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه اخرى وانما حذفت لدلالة اخرى
عليها ولكونها معلومة بذكرها في غير مكان وقرئ قياما ينظرون
يقلبون ابصارهم في الجهات نظر المبهوت اذا فاجأه خطب وقيل
ينظرون ماذا يفعل بهم ويجوز ان يكون القيام بمعنى الوقوف
والجمود في مكان لتحيرهم واشرقت الارض بنور ربها ووضع
الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون
ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون قد استعار الله
عز وجل النور للحق والقرآن والبرهان في مواضع من التنزيل وهذا من
ذاك والمعنى واشرقت الارض بما يقيمه فيها من الحق والعدل و
يبسطه من القسط في الحساب ووزن الحسنات والسيئات وينادي عليه

بانه



بانه مستعار اضافته الى اسمه لانه هو الحق العدل واضافة اسمه
الى الارض لانه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه
ويحكم بالحق بين اهلها ولا ترى ازين للبقاع من العدل ولا اعمر لها
منه وفي هذه الاضافة ان ربها وخالقها هو الذي يعدل فيها وانما يجور
فيها غير ربها ثم ما عطف على اشراق الارض من وضع الكتاب والمجيء با
لنبيين والشهداء والقضاء بالحق وهو النور المذكور وترى الناس
يقولون للملك العادل اشرقت الآفاق بعدلك واضاءت الدنيا بقسطك
كما يقولون اظلمت البلاد بجور فلان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات
يوم القيامة وكما فتح الآية باثبات العدل ختمها بنفي الظلم وقرئ واشرقت
على البناء للمفعول من شرقت بالضوء تشرق اذا امتلأت به واغتصت
واشرقها الله كما تقول ملأ الارض عدلا وطبقها عدلا والكتاب
صحائف الاعمال ولكنه اكتفى باسم الجنس وقيل اللوح المحفوظ والشهداء
الذين يشهدون للامم وعليهم من الحفظة والاخيار وقيل المستشهدون
في سبيل الله وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها
فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات
ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب
على الكافرين الزمر الافواج المتفرقة بعضها في اثر بعض وقد
تزمروا قال حتى احزألت زمر بعد زمر وقيل في زمر الذين
اتقوا هي الطبقات المختلفة الشهداء والزهاد والعلماء والقراء

دخولهم

وعيدهم وتوبيخ بتقدمة منكم فان قلت لم اضيف اليوم قلت اراد
لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيمة وقد
جاء استعمال اليوم والايام مستفيضا في اوقات الشدة قالوا
بلى اتونا وتلوا علينا ولكن وجبت علينا كلمة الله لاملان بسوء
اعمالنا كما قالوا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا
عملهم الموجب بكلمة العذاب وهو الكفر والضلال قيل اد
خلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين اللام
في المتكبرين للجنس لان مثوى المتكبرين فاعل بئس وبئس فاعلها
اسم معرف بلام الجنس او مضاف الى مثله والمخصوص
بالذم محذوف تقديره فبئس مثوى المتكبرين جهنم حتى هي
التي تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هي الشرطية
الا ان جزاءها محذوف وانما حذف لانه في صفة ثواب اهل
الجنة فدل بحذفه على انه شيء لا يحيط به الوصف وحق موقعه
ما بعد خالدين وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا
حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام
عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقيل حتى اذا جاؤها وفتحت
ابوابها اي مع فتح ابوابها وقيل ابواب جهنم لا تفتح الا عند
دخول اهلها فيها واما ابواب الجنة فمتقدم فتحها بدليل
قوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جيء بالواو كانه

قيل



قيل حتى اذا جاؤها وقد فتحت ابوابها فان قلت كيف عبر عن الذهاب
بالفريقين جميعا بلفظ السوق قلت المراد بسوق اهل النار طردهم
اليها بالهوان والعنف كما يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان
اذا سيقوا الى حبس او قتل والمراد بسوق اهل الجنة سوق مراكبهم
لانه لا يذهب بهم الا راكبين وحثها اسراعا بهم الى دار الكرامة والرضوان
كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان
ما بين السوقين طبتم من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا
فادخلوها جعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة فما هي
الا دار الطيبين ومثوى الطاهرين لانها دار طهرها الله من كل دنس
وطيبها من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف بصفتها فما ابعد
احوالنا من تلك المناسبة وما اضعف سعينا في اكتساب تلك الصفة الا
ان يهب لنا الوهاب الكريم توبة نصوحا تنقي انفسنا من درن الذنوب
ونميط وضر هذه القلوب خالدين مقدرين الخلود وقالوا الحمد
لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء
فنعم اجر العاملين الارض عبارة عن المكان الذي اقاموا فيه واتخذوه
مقرا ومتبوأ وقد اورثوها اي ملكوها وجعلوا ملوكها واطلق تصرفهم
فيها كما يشاؤون تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يورثه واتساعه فيه وذها
به
في انفاقه طولا وعرضا فان قلت ما معنى قوله حيث نشاء وهل يتبوأ

احدهم مكان غيره قلت يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة
وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج الى جنة
غيره ﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد
ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين﴾
حافين محدقين من حوله يسبحون بحمد ربهم يقولون سبحان
الله والحمد لله متلذذين لا متعبدين فان قلت الام يرجع
الضمير في قوله بينهم قلت يجوز ان يرجع الى العباد كلهم و
ان ادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة لا يكون الا قضاء
بينهم بالحق والعدل وان يرجع الى الملائكة على ان ثوابهم
وان كانوا معصومين جميعا لا يكون على سنن واحد ولكن يفاضل
فيما بينهم على حسب تفاضلهم في اعمالهم فهو القضاء
بينهم بالحق فان قلت قوله وقيل الحمد لله من القائل ذلك
قلت المقضي بينهم اما جميع العباد واما الملائكة كانه قيل
وقضي بينهم بالحق وقالوا الحمد لله على قضائه بيننا بالحق وانزال
كل منا منزلته التي هي حقه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيمة و
اعطاه الله ثواب الخائفين وعن عايشة رضي الله عنها ان رسول
الله صلى عليه وسلم كان يقرا كل ليلة بني اسرائل والزمر

بسم الله



بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم قرئ بامالة الف حا وتفخيمها
وبتسكين الميم وفتحها ووجه الفتح التحريك لالتقاء الساكنين وايثار
اخف الحركات نحو اين وكيف او النصب باضمار اقرا ومنع الصرف
للتانيث والتعريف او للتعريف وانها على زنة اعجمي نحو قابيل وهابيل
﴿غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو
اليه المصير﴾ التوب والثوب والاوب اخوات في معنى الرجوع والطول
الفضل والزيادة يقال لفلان على فلان طول والافضال يقال طال عليه و
تطول اذا تفضل فان قلت كيف اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيرا
والموصوف معرفة تقتضي ان تكون مثله معارف قلت اما غافر الذنب
وقابل التوب فمعرفتان لانه لم يرد بهما حدوث الفعلين وانه يغفر الذنب
ويقبل التوب الان او غدا حتى يكونا في تقدير الانفصال فتكون اضافتهما
غير حقيقية وانما اريد ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمهما حكم اله الخلق
ورب العرش واما شديد العقاب فامره مشكل لانه في تقدير شديد
عقابه لا ينفك من هذا التقدير وقد جعله الزجاج بدلا وفي كونه
بدلا وحده بين الصفات نبو ظاهر والوجه ان يقال لما صودف بين
هؤلاء المعارف هذه النكرة الواحدة فقد آذنت بان كلها ابدال غير اوصاف
ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها مستفعلن وهي تحكم عليها بانها

مل

بانها من بحر الرجز فان وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكا
ولقائل ان يقول هي صفات وانما حذف الالف واللام من شديد العقاب
ليزاوج ما قبله وما بعده لفظا فقد غيروا كثيرا من كلامهم عن قوانينه
لاجل الازدواج حتى قالوا ما يعرف سحادليه من عنادليه
فثنوا ما هو وتر لاجل ما هو شفع على ان الخليل قال في قولهم ما
يحسن بالرجل مثلك ان يفعل ذلك وما يحسن بالرجل خير منك ان يفعل
ذلك انه على نية الالف واللام كما كان الجماء الغفير على نية طرح الالف واللام
ومما سهل ذلك الامن من اللبس وجهالة الموصوف ويجوز ان يقال
قد تعمد تنكيره وابهامه للدلالة على فرط الشدة وعلى ما لا شيء ادهى
منه وامر لزيادة الانذار ويجوز ان يقال هذه النكتة هي الدا
عية الى اختيار البدل على الوصف اذا سلكت طريقة الابدال
فان قلت ما بال الواو في قوله وقابل التوب قلت فيها نكتة جليلة
وهي افادة الجمع للمذنب التائب بين ان يقبل توبته فيكتبها له
طاعة من الطاعات وان يجعلها محاءة للذنوب كان لم يذنب كانه قال
جامع المغفرة والقبول وروي ان عمر رضي الله عنه افتقد رجلا
ذا بأس شديد من اهل الشام فقيل له تتابع في هذا الشراب
فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك وانا احمد

رحمتين وبين

اليك



اليك الله الذي لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله
اليه المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صا
ثم امر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما اتته الصحيفة جعل
يقرؤها ويقول قد وعدني الله ان يغفر لي وحذرني عقابه
فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فاحسن النزوع وحسنت تو
فلما بلغ عمر امره قال هكذا فاصنعوا اذا رأيتم اخاكم زل زلة
فسددوه ووقفوه وادعوا له الله ان يتوب عليه ولا تكونوا
اعوانا للشياطين عليه ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا
فلا يغررك تقلبهم في البلاد سجل على المجادلين في آيات الله
بالكفر والمراد الجدال بالباطل من الطعن فيها والقصد الى اد
حاض الحق واطفاء نور الله وقد دل على ذلك في قوله وجادلوا
بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيها لايضاح ملتبسها
وحل مشكلها ومقادحة اهل العلم في استنباط معانيها ورد
اهل الزيغ بها وعنها فاعظم جهاد في سبيل الله وقوله صلى الله عليه
م ان جدالا في القرآن كفر وايراده منكرا وان لم يقل ان الجدال
تمييز منه بين جدال وجدال فان قلت من اين تسبب لقوله
فلا يغررك ما قبله قلت من حيث انهم لما كانوا مشهودا عليهم
من قبل الله بالكفر والكافر لا احد اشقى منه عند الله وجب على

حيا

بته

قد

ل

علي من تحقق ذلك ان لا تبهج احوالهم في حينه ولا يغره اقبالهم في
دنياهم وتقلبهم في البلاد بالتجارات النافقة والمكاسب المربحة
وكانت قريش كذلك يتقلبون في بلاد الشام واليمن ولهم الاموال
يتجرون فيها ويتربحون فان مصير ذلك وعاقبته الى الزوال ووراءه
شقاوة الابد ثم ضرب لتكذيبهم وعداوتهم للرسل وجدالهم
بالباطل وما ادخر لهم من سوء العاقبة مثلا ما كان من نحو ذلك في
الامم وما اخذهم به من عقابه واحله بساحتهم من انتقامه وقوله
لا تغرنك كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم و
همت كل امة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا
به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب يعني الاحزاب الذين تحزبوا
على الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود وفرعون وغيرهم وهمت
كل امة من هذه الامم التي هي قوم نوح والاحزاب برسولهم و
قرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا منه ومن الايقاع به واصابته
بما ارادوه من تعذيب او قتل ويقال للاسير اخيذ فاخذتهم
يعني انهم قصدوا اخذه فجعلت جزاءهم على ارادة اخذه ان
اخذتهم فكيف كان عقاب فانكم تمرون على بلادهم ومساكنهم
فتعاينون اثر ذلك وهذا تقرير فيه معنى التعجب وكذلك
حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار

انهم



انهم اصحاب النار في محل الرفع بدل من كلمة ربك اي مثل ذلك الوجوب
وجبت على الكفرة كونهم من اصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم
في الدنيا بالعذاب المستاصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار
في الاخرة او في محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل والذين
كفروا قريش ومعناه كما وجب اهلاكهم اولئك الامم كذلك وجب
اهلاك هؤلاء لان علة واحدة تجمعهم انهم من اصحاب النار وقوله
كانه الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم و
يؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل
شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك و
قهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم
ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز
الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته و
ذلك هو الفوز العظيم وروي ان حملة العرش ارجلهم في
الارض السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش وهم خشوع
لا يرفعون طرفهم وعن النبي عم لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن
تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له
اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض
السفلى وقد مرق راسه من سبع سموات وانه ليتضاءل

من عظمة الله حتى يبين كافته الوضع وفي الحديث ان الله تعالى امر
جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش
تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل خلق الله العرش من جو
هرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع
ثمانين الف عام وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملائكة
يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون الف قد وضعوا
ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم
مائة الف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا
وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر وقرأ ابن عباس العرش بضم
العين فان قلت ما فائدة قوله ويؤمنون به ولا يخفى على احد
ان حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمد ربهم
مؤمنون قلت فائدته اظهار شرف الايمان وفضله والتر
غيب فيه كما وصف الانبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك
وكما عقب اعمال الخير بقوله ثم كان من الذين آمنوا فابان بذلك
فضل الايمان وفائدة اخرى وهي التنبيه على ان الامر لو كان كما تقوله
المجسمة لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين معاينين
ولما وصفوا بالايمان لانه انما يوصف بالايمان الغائب فلما وصفوا
به على سبيل الثناء عليهم علم ان ايمانهم وايمان من في الارض و

كل



دليل من غاب عنه ذلك المقام سواء في ان ايمان الجميع بطريق النظر والاستدلال
لا غير وانه لا طريق الى معرفته الا هذا وانه منزه عن صفات الاجرام وقد
روعي التناسب في قوله ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا كانه قيل
ويؤمنون ويستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم وفيه تنبيه على ان
الاشتراك في الايمان يجب ان يكون ادعى شيء الى النصيحة وابعثه على
امحاض الشفقة وان تفاوتت الاجناس وتباعدت الاماكن فانه لا
تجانس بين ملك وانسان ولا بين سماوي وارضي قط ثم لما جاء جاء
الايمان جاء معه التجانس الكلي والتناسب الحقيقي حتى استغفر
من حول العرش لمن فوق الارض قال الله ويستغفرون لمن في
الارض اي يقولون ربنا وهذا المضمر يحتمل ان يكون بيانا ليستغفرون
مرفوع المحل مثله وان يكون حالا فان قلت تعالى الله عن المكان فكيف
صح ان يقال وسع كل شيء قلت الرحمة والعلم هما اللذان وسعا
كل شيء في المعنى والاصل وسع كل شيء رحمتك وعلمك ولكن ازيل الكلام
عن اصله بان اسند الفعل الى صاحب الرحمة والعلم واخرجا منصوبين
على التمييز للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم كان ذاته رحمة وعلم واسعان
كل شيء فان قلت قد ذكر الرحمة والعلم فوجب ان يكون ما بعد الفاء
مشتملا على حديثهما جميعا وما ذكر الا الغفران وحده قلت معناه
فاغفر للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيلك وسبيل الله سبيل الحق

التى وعدتها لعبادك ودعا اليها انك انت العزيز الحكيم اى الملك الذى
لا يغلب وانت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيئا الا بداعى الحكمة
وموجب حكمتك ان تفى بوعدك وقهم السيئات اى العقوبات او جزاء
السيئات فحذف المضاف على ان السيئات هى الصغائر او الكبائر
المتوب عنها والوقاية منها التكفير او قبول التوبة فان قلت ما الفائدة
فى استغفارهم لهم وهم تائبون صالحون موعودون بالمغفرة والله لا
يخلف الميعاد قلت هذا بمنزلة الشفاعة وفائدته زيادة الكرامة والثواب
وقرئ جنة عدن وصلح بضم اللام والفتح افصح يقال صلح فهو صالح
وصلح فهو صليح وذريتهم ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر
من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون اى ينادون يوم
القيامة فيقال لهم لمقت الله اكبر والتقدير لمقت الله انفسكم اكبر من
مقتكم انفسكم فاستغنى بذكرها مرة واذ تدعون منصوب بالمقت
الاول والمعنى انه يقال لهم يوم القيامة كان الله يمقت انفسكم الامارة بالسوء
والكفر حين كان الانبياء يدعونكم الى الايمان فتأبون قبوله و
تختارون عليه الكفر اشد مما تمقتونهن اليوم وانتم فى النار اذ
اوقعتكم فيها باتباعكم هواهن وعن الحسن لما رأوا اعمالهم الخبيثة
مقتوا انفسهم فنودوا لمقت الله وقيل معناه لمقت الله اياكم الآن
اكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله ثم يكفر بعضكم ببعض ويلعن



بعضا واذ تدعون تعليل والمقت اشد البغض فوضع فى موضع
ابلغ الانكار واشده قالوا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا
بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل ذلكم بانه اذا دعى الله وحده كفرتم وان
يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير اثنتين اماتتين واحياءتين
او موتتين وحياتين واراد بالاماتتين خلقهم امواتا اولا واماتتهم
عند انقضاء آجالهم وبالاحياءتين الاحياءة الاولى واحياءة البعث وناهيك
تفسيرا لذلك قوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وكذا عن ابن
عباس فان قلت كيف صح ان يسمى خلقهم امواتا اماتة قلت كما
صح ان تقول سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وقولك للحفار
ضيق فم الركية ووسع اسفلها وليس ثمة نقل من كبر الى صغر ولا من صغر
الى كبر ولا من ضيق الى سعة ولا من سعة الى ضيق وانما اردت الانشاء على
تلك الصفات والسبب فى صحته ان الصغر والكبر جائزان معا على المصنوع
الواحد من غير ترجح لاحدهما وكذلك الضيق والسعة فاذا اختار
الصانع احد الجائزين وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع
عن الجائز الآخر فجعل صرفه عنه كنقله منه ومن جعل الاماتتين التى
بعد حياة الدنيا والتى بعد حياة القبر لزمه اثبات ثلث احياءات و
هو خلاف ما فى القرآن الا ان يتمحل فيجعل احديها غير معتد بها
او يزعم ان الله تعالى يحييهم فى القبور وتستمر بهم تلك الحيوة فلا يموتوا

بعضها ويمقتهم في المستقبل من الضعفة في قوله امتنا اثنتين
فان قلت كيف تسبب هذا القول فاعترفنا بذنوبنا قلت قد انكروا
البعث فكفروا وتبع ذلك من الذنوب ما لا تحصى لانه من لم يخش
العاقبة تخرق في المعاصي فلما رأوا الاماتة والاحياء قد تكررا
عليهم علموا بان الله قادر على الاعادة قدرته على الانشاء فاعترفوا
بذنوبهم التي اقترفوها من انكار البعث وما تبعه من معاصيهم
فهل الى خروج اي الى نوع من الخروج سريع او بطيء من سبيل قط
ام اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من
غلب عليه اليأس والقنوط وانما يقولون ذلك تعللا وتحيرا ولهذا
جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله ذلكم الذي انتم فيه فالحكم لله حكم
عليكم بالعذاب الشديد وقوله العلي الكبير دلالة على الكبرياء والعظمة
وعلى ان عقابه مثله لا يكون الا كذلك وهو الذي يطابق كبرياءه و
يناسب جبروته وقيل كأن الحرورية اخذوا قولهم لا حكم الا لله من هذا
٤ هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر الا من
ينيب فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ٤ يريكم آياته
من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها والرزق
المطر لانه سببه وما يتذكر الا من ينيب وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله
الا من يتوب من الشرك ويرجع الى الله فان المعاند لا سبيل الى تذكره



والاتعاظ ثم قال للمنيبين فادعوا الله اي اعبدوه مخلصين له الدين
من الشرك وان غاظ ذلك اعداءكم ممن ليس على دينكم رفيع الدرجات
ذو العرش يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده لينذر يوم
التلاق ٤ رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح ثلاثة اخبار لقوله
هو مترتبة على قوله الذي يريكم او اخبار مبتدأ محذوف وهي مختلفة
تعريفا وتنكيرا وقرئ رفيع الدرجات بالنصب على المدح ورفيع
الدرجات كقوله ذي المعارج وهي مصاعد الملائكة الى ان
تبلغ العرش وهي دليل على عزته وملكوته وعن ابن جبير سماء فوق
سماء والعرش فوقهن ويجوز ان يكون عبارة عن رفعة شأنه
وعلو سلطانه كما ان ذا العرش عبارة عن ملكه وقيل هي درجات ثوابه
التي ينزلها اولياءه في الجنة الروح من امره الذي هو سبب الحياة
من امره يريد الوحي الذي هو امر بالخير بعث عليه فاستعار
له الروح كما قال اومن كان ميتا فاحييناه لينذر الله او الملقى عليه
وهو الرسول او الروح وقرئ لتنذر اي لتنذر الروح لانها
تؤنث او على خطاب الرسول وقرئ لينذر يوم التلاق على البناء
للمفعول ويوم التلاق يوم القيامة لان الخلائق تلتقي فيه وقيل
يلتقي فيه اهل السماء واهل الارض وقيل المعبود والعابد يوم
هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الوا

يوم هم بارزون ظاهرون لا يسترهم شئ من جبل او اكمة او بناء
لان الارض بارزة قاع صفصف ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون
كما جاء في الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا لا يخفى على الله منهم شئ
من اعمالهم واحوالهم وعن ابن مسعود لا يخفى عليه منهم شئ
فان قلت قوله لا يخفى على الله منهم شئ بيان وتقرير لبروزهم والله
لا يخفى عليه منهم شئ برزوا او لم يبرزوا فما معناه قلت معناه انهم كانوا
يتوهمون في الدنيا اذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله لا يراهم
ويخفى عليه اعمالهم فهم اليوم صائرون من البروز والانكشاف الى
حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه قال الله ولكن ظننتم
ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال يستخفون من الناس ولا يستخفون
من الله وذلك لعلمهم ان الناس يبصرونهم وظنهم ان الله لا يبصرهم وهو
معنى قوله وبرزوا لله الواحد القهار لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار حكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به ومعناه انه ينادى
مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه اهل المحشر لله الواحد
القهار وقيل يجمع الله الخلائق يوم القيامة في صعيد واحد
بارض بيضاء كانها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فاول ما يتكلم به
ان ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم
تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب

اليوم



اليوم تجزى كل نفس الآية فهذا يقتضي ان يكون المنادي هو المجيب
لما قرر ان الملك لله وحده في ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهي ان كل
نفس تجزى بما كسبت وان الظلم مأمون لان الله ليس بظلام للعبيد و
ان الحساب لا يبطئ لان الله لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق
كله في وقت واحد وهو اسرع الحاسبين وعن ابن عباس رضي الله عنه اذا
اخذ في حسابهم لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها وانذرهم
يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا
شفيع يطاع الآزفة القيامة سميت بذلك لازوفها اي لقربها ويجوز
ان يريد بيوم الآزفة وقت الخطة الآزفة وهي مشارفتهم دخول النار
فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلتصق بحناجرهم فلا هي تخرج
فيموتوا ولا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا ولكنها معترضة
كالشجا كما قال فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا فان قلت كا
ظمين بم انتصب قلت هو حال عن اصحاب القلوب على المعنى لان المعنى
قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها ويجوز ان يكون حالا عن القلوب و
ان القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر وانما جمع الكا
ظم جمع السلامة لانه وصفها بالكظم الذي هو من افعال العقلاء
كما قال رأيتهم لي ساجدين وقال فظلت اعناقهم لها خاضعين و
تعضده قراءة من قرأ كاظمون ويجوز ان يكون حالا عن قوله و
انذرهم

ظم

اي وانهم متدرين اي مشارفين الكظم كقوله تعالى فادخلوها
خالدين الحميم المحب المشفق والمطاع يجاب في المشفع لان
حقيقة الطاعة نحو حقيقة الاسم في انها لا تكون الا لمن فوقك فان
قلت ما معنى قوله ولا شفيع يطاع قلت يحتمل ان يتناول النفي الشفاعة
والطاعة معا وان يتناول الطاعة دون الشفاعة كما تقول ما عندي
كتاب يباع فهو يحتمل نفي البيع وحده وان عندك كتابا الا انك لا
تبيعه ونفيهما جميعا وانه لا كتاب عندك ولا كونه مبيعا ونحوه ولا
ترى الضب بها ينجحر يريد نفي الضب وانجحاره فان قلت فعلى اي
الاحتمالين يجب حمله قلت على نفي الامرين جميعا من قبل ان الشفعاء
هم اولياء الله وانهم لا يحبون ولا يرضون الا من احبه الله ورضيه وان الله
لا يحب الظالمين فلا يحبونهم واذا لم يحبوهم لم ينصروهم ولم يشفعوا
لهم قال الله تعالى وما للظالمين من انصار وقال ولا يشفعون الا لمن
ارتضى ولان الشفاعة لا تكون الا في زيادة التفضل واهل التفضل
وزيادته انما هم اهل الثواب بدليل قوله ويزيدهم من فضله
وعن الحسن والله ما يكون لهم شفيع البتة فان قلت الغرض حاصل
بذكر الشفيع ونفيه فما الفائدة في ذكر هذه الصفة ونفيها قلت
في ذكرها فائدة جليلة وهي انها ضمت اليه ليقام انتفاؤها مقام
الشاهد على انتفاء الصفة لان الصفة لا تتأتى بدون





موصوف فما يكون ذلك ازالة لتوهم وجود الموصوف بيانه انك اذا عوتبت
على القعود عن الغزو فقلت ما لي فرس اركبه ولا معي سلاح
احارب به فقد جعلت عدم الفرس وفقد السلاح علة مانعة
عن الركوب والمحاربة كانك تقول كيف يتأتى مني الركوب والمحاربة
ولا فرس لي ولا سلاح معي فكذلك قوله ولا شفيع يطاع معناه
كيف يتأتى التشفيع ولا شفيع فكان ذكر التشفيع والاستشهاد على
عدم تأتيه بعدم الشفيع وضعا لانتفاء الشفيع موضع الامر
المعروف غير المنكر الذي لا ينبغي ان يتوهم خلافه يعلم خائنة
الاعين وما تخفي الصدور الخائنة صفة للنظرة او مصدر بمعنى
الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر الى ما لا يحل
كما يفعل اهل الريب ولا يحسن ان يراد الخائنة من الاعين لان قوله
وما تخفي الصدور لا يساعد عليه فان قلت بم اتصل قوله يعلم
خائنة الاعين قلت هو خبر من اخبار هو في قوله هو الذي يريكم
مثل يلقي الروح وقد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرد
ذكر احوال يوم التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك
عن اخواته والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا
يقضون بشيء ان الله هو السميع البصير والله يقضي بالحق
يعني والذي هذه صفاته واحواله لا يقضي الا بالحق والعدل

لاستغنائه عن الظلم والهتكم لا يقضون بشيء وهذا تهكم بهم لان ما
لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضي او لا يقضي ان الله هو السميع البصير
تقرير لقوله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ووعيد لهم بانه
يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما يد
عون من دون الله وانها لا تسمع ولا تبصر وقرئ تدعون بالتاء
والياء اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف عاقبة الذين كانوا من
قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة وآثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم
وما كان لهم من الله من واق ذلك بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات
فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب هم في كانوا هم
اشد منهم فصل فان قلت من حق الفصل ان لا يقع الا بين معرفتين فما
باله واقعا بين معرفة وغير معرفة وهو اشد منهم قلت قد ضارع
المعرفة في انه لا يدخله الالف واللام فاجري مجراه وقرئ منكم وهي في
مصاحف اهل الشام وآثارا يريد حصونهم وقصورهم وعدد
وما يوصف بالشدة من آثارهم او ارادوا واكثر آثارا كقوله متقلدا
سيفا ورمحا ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون
وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب وسلطان مبين وحجة ظا
هرة وهي المعجزات فقالوا هو ساحر كذاب فسموا السلطان المبين
سحرا وكذبا فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء

الذين



الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين الا في ضلال فلما
جاءهم بالحق بالنبوة فان قلت اما كان قتل الابناء واستحياء النساء من قبل خيفة
ان يولد المولود الذي انذرته الكهنة بظهوره وزوال ملكه على يده قلت قد
كان ذلك القتل حينئذ وهذا قتل آخر وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله قالوا
اقتلوا اعيدوا عليهم القتل كالذي كان اولا يريد ان هذا قتل غير القتل
الاول في ضلال في ضياع وذهاب باطلا لم يجد عليهم يعني انهم باشروا
قتلهم اولا فما اغنى عنهم ونفذ قضاء الله باظهار من خافوه فما يغني عنهم
عنهم هذا القتل الثاني وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث
موسى واحس بانه قد وقع اعاده عليهم غيظا وحنقا وظنا منه
انه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى عليه السلام وما علم ان كيده ضائع
في الكرتين جميعا وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه
اني اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر في الارض الفساد ذروني
اقتل موسى كانوا اذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذي تخافه و
هو اقل من ذلك واضعف وما هو الا بعض السحرة ومثله لا يقاوم
الا ساحرا مثله ويقولون اذا قتلته ادخلت الشبهة على الناس و
اعتقدوا انك عجزت عن معارضته بالحجة والظاهر ان فرعون لعنه
الله كان قد استيقن انه نبي وان ما جاء به آيات وما هو بسحر ولكن الرجل
كان فيه خب وجربزة وكان قتالا سفاكا للدماء في اهون شيء فكيف

الحنق الغيظ

لا یقتل من احس منه بانه هو الذی یثل عرشه ویهدم ملکه ولکنه کان
یخاف ان هم بقتله ان یعاجل بالهلاک وقوله ولیدع ربه شاهد صدق
علی فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وکان قوله ذرونی اقتل موسی تمویها
علی قومه وایهاما انهم هم الذین یکفونه وما کان یکفه الا ما فی نفسه من هول
الفزع ان یبدل دینکم ان یغیر ما انتم علیه وکانوا یعبدونه ویعبدون الا
صنام بدلیل قوله ویذرک والهتک والفساد فی الارض التقاتل والتهارج
الذی یذهب معه الامن ویتعطل المزارع والمکاسب والمعایش
ویهلک الناس قتلا وضیاعا کانه قال انی اخاف ان یفسد علیکم دینکم بدعوتکم
الی دینه او یفسد علیکم دنیاکم بما یظهر من الفتن بسببه وفی مصاحف اهل
الحجاز وان یظهر بالواو ومعناه انی اخاف فساد دینکم ودنیاکم معا وقرئ
یظهر من اظهر والفساد منصوبا ای لیظهر موسی الفساد وقرئ یظهر
بتشدید الظاء والهاء من تظهر یعنی تظاهر ای تتابع وتعاون
وقال موسی انی عذت بربی وربکم من کل متکبر لا یومن بیوم الحساب لما
سمع موسی ع م بما اجراه فرعون من حدیث قتله قال لقومه انی عذت
بالله الذی هو ربی وربکم وقوله وربکم فیه بعث علی ان یقتدوا به فیعوذوا
بالله عیاذه ویعتصموا بالتوکل علیه اعتصامه وقال من کل متکبر لتشمل
استعاذته کل جبار وغیره من الجبابرة ولیکون علی طریقة التعریض
لیکون ابلغ واراد بالتکبر الاستکبار عن الاذعان للحق وهو اقبح

استکبار

استکبار واد له علی دناءة صاحبه ومهانة نفسه وعلی فرط ظلمه وعسفه
وقال لا یؤمن بیوم الحساب لانه اذا اجتمع فی الرجل التجبر والتکذیب
بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استکمل اسباب القسوة والجراءة علی
الله وعباده ولم یترک عظیمة الا ارتکبها وعذت ونذت اخوان وقرئ
عت بالادغام وقال رجل مؤمن من آل فرعون یکتم ایمانه اتقتلون
رجلا ان یقول ربی الله وقد جاءکم بالبینات من ربکم وان یک کاذبا فعلیه
کذبه وان یک صادقا یصبکم بعض الذی یعدکم ان الله لا یهدی من هو
مسرف کذاب رجل مؤمن وقرئ رجل بسکون الجیم کما یقال عضد
فی عضد وکان قبطیا ابن عم لفرعون آمن بموسی سرا وقیل کان اسرا
ومن آل فرعون صفة لرجل او صلة لیکتم ای یکتم ایمانه من آل فرعون و
اسمه سمعان او حبیب وقیل خزبیل او حزبیل والظاهر انه کان من فرعون
فان المؤمنین من بنی اسرائیل لم یقتلوا ولم یعزوا والدلیل علیه قول
فرعون ابناء الذین امنوا معه وقول المؤمن فمن ینصرنا من باس
الله ان جاءنا دلیل ظاهر علی انه یتنصح لقومه ان یقول لا ان یقولوا وهذا انکار
منه عظیم وتبکیت شدید کانه قال اترتکبون الفعلة الشنعاء التی هی
قتل نفس محرمة وما لکم علة قط فی ارتکابها الا کلمة الحق التی نطق بها وهی
قوله ربی الله مع انه لم یحضر لتصحیح قوله بینة واحدة ولکن بینات عدة
من عند من نسب الیه الربوبیة وهو ربکم لا ربه وحده وهو استدراج

ئیلیا

آل

لهم الى الاعتراف به وليليّن بذلك جماحهم ويكسر من سورتهم ولك ان
تقدر مضافا محذوفا اى وقت ان يقول والمعنى اتقتلونه ساعة
سمعتم منه هذا القول من غير روية ولا فكر فى امره وقوله بالبينات
يريد بالبينات العظيمة التى عهدتموها وشهدتموها ثم اخذهم
بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو من ان يكون كاذبا او صادقا
فان يك كاذبا فعليه كذبه اى يعود عليه كذبه ولا يتخطاه ضرره وان يك
صادقا وهو نبى صادق فلا بد لما يعدهم ان يصيبهم كله لا بعضه قلت لانه
احتاج فى مقاولة خصوم موسى ومناكريه الى ان يلاوصهم ويداريهم
ويسلك معهم طريق الانصاف فى القول ويأتيهم من جهة المناصحة فجاء
بما علم انه اقرب الى تسليمهم لقوله وادخل فى تصديقهم له وقبولهم منه
فقال وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم وهو كلام المنصف فى
مقاولة غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يردوا عليه وذلك انه حين
فرضه صادقا فقد اثبت انه صادق فى جميع ما يعد ولكنه اردفه
يصبكم بعض الذى يعدكم ليهضمه بعض حقه فى ظاهر الكلام فيريهم
انه ليس بكلام من اعطاه حقه وافيا فضلا ان يتعصب له او يرمى
بالحصا من ورائه وتقديم الكاذب على الصادق ايضا من هذا القبيل
وكذلك قوله ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب فان قلت فعن
ابى عبيدة انه فسر البعض بالكل وانشد بيت لبيد تراك امكنة





اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها قلت ان صحت الرواية
عنه فقد حق فيه قول المازنى فى مسئلة العلقى كان اجفى من ان
يفقه ما اقول له ان الله لا يهدى من هو مسرف يحتمل انه ان كان مسرفا كذابا
خذله الله واهلكه ولم يستقم له امر فيتخلصون منه وانه لو كان مسرفا كذابا
لما هداه الله للنبوة ولما عضده بالبينات وقيل ما تولى ابو بكر من رسول الله صلعم
كان اشد من ذلك طاف بالبيت فلقوه حين فرغ فاخذوا بمجامع ردائه فقالوا
له انت الذى تنهانا عما كان يعبد اباؤنا فقال انا ذاك فقام ابو بكر رضى الله عنه
فالتزمه من ورائه وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم
بالبينات من ربكم رافعا صوته وعيناه تسفحان حتى ارسلوه وعن جعفر
الصادق ان مؤمن ال فرعون قال ذلك سرا وابو بكر قاله ظاهرا يا قوم
لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا قال
فرعون ما اريكم الا ما ارى وما اهديكم الا سبيل الرشاد ظاهرين
فى الارض فى ارض مصر عالين فيها على بنى اسرائيل يعنى ان لكم ملك مصر و
قد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا امركم على انفسكم ولا تتعرضوا
لباس الله وعذابه فانه لا قبل لكم به ان جاءكم ولا يمنعكم منه احد وقال
ينصرنا وجاءنا لانه منهم فى القرابة وليعلمهم بان الذى ينصحهم به
هو مساهم لهم فيه ما اريكم الا ما ارى اى ما اشير عليكم برأى الا بما ارى من
قتله يعنى لا استصوب الا قتله وهذا الذى تقولونه غير صواب وما اهديكم

ببينا الزرا الا سبيل الرشاد يريد سبيل الصواب والصلاح او
ما اعلمكم الا ما اعلم من الصواب ولا ادخر منه شيئا ولا اسر عنكم خلاف
ما اظهر يعني ان لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول وقد كذب فقد
كان مستشعرا للخوف الشديد من جهة موسى ولكنه كان يتجلد
ولولا استشعاره لم يستشر احدا ولم يقف الامر على الاشارة وقرئ الرشّاد
فعّال من رشد بالكسر كعلّام او من رشد بالفتح كعبّاد و
قيل هو من ارشد كجبّار من اجبر وليس بذاك لان فعّالا من افعل
لم يجئ الا في عدة احرف نحو دراك وسآر وقصّار وجبّار ولا يصح
القياس على القليل ويجوز ان يكون نسبة الى الرشد كعوّاج وبتّات
غير منظور فيه الى فعل وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم مثل
يوم الاحزاب مثل ايام الاحزاب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم
وما الله يريد ظلما للعباد مثل يوم الاحزاب مثل ايامهم لانه لما اضافه
الى الاحزاب وفسرهم بقوم نوح وعاد وثمود ولم يلتبس ان لكل حزب منهم
يوما كان افراد اليوم كجمعه على الواحد من الجمع لان المضاف اليه اغنى
عن ذلك كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا وقال الزجاج مثل يوم حزب
حزب ودأب هؤلاء دؤوبهم في عملهم من الكفر والتكذيب وسائر
المعاصي وكون ذلك دائبا دائما منهم لا يفترون عنه ولا بد من حذف
مضاف يريد مثل جزاء دأبهم فان قلت بم انتصب مثل الثاني قلت بانه

عطف



عطف بيان لمثل الاول لان آخر ما تناولته الاضافة قوم نوح ولو قلت
اهلك الله قوم نوح وعاد وثمود لم يكن الا عطف بيان لاضافة قوم
الى اعلام فسرى ذلك الحكم الى اول ما تناولته الاضافة وما الله يريد ظلما
للعباد يعني ان تدميرهم كان عدلا وقسطا لانهم استوجبوه باعمالهم
وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل المنفي ارادة
الظلم لان من كان عن ارادة الظلم بعيدا كان عن الظلم ابعد وحيث نكر
الظلم كانه نفى ان يريد ظلما ما لعباده ويجوز ان يكون معناه كمعنى قوله
ولا يرضى لعباده الكفر اي لا يريد لهم ان يظلموا يعني انه دمرهم لا
لانهم كانوا ظالمين ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون
مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد التناد
ما حكى الله في سورة الاعراف من قوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار
ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ويجوز ان يكون تصايحهم بالويل
والثبور وقرئ بالتشديد وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله
يوم يفر المرء من اخيه وعن الضحاك اذا سمعوا زفير النار
ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا
فبينا هم يموج بعضهم في بعض اذ سمعوا مناديا اقبلوا الى الحساب
تولون مدبرين وعن قتادة منصرفين عن موقف الحساب الى النار
وعن مجاهد فارين من النار غير معجزين ثم اكد التهديد بقوله

سو

من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث
الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب هو
يوسف بن يعقوب عليهما السلام وقيل يوسف بن ابراهيم بن يوسف
بن يعقوب اقام فيهم نبيا عشرين سنة وقيل ان فرعون يوسف عمر
الى زمنه وقيل هو فرعون آخر وبخهم بان يوسف اتاكم بالمعجزات فشككتم
فيها وانتم الآن شاكين كافرين حتى اذا قبض قلتم لن يبعث الله من
بعده رسولا حكما من عند انفسكم من غير برهان وتقدمة عزم
منكم على تكذيب الرسل فاذا جاءكم رسول جحدتم وكذبتم بناء على
حكمكم الباطل الذي استسمتموه وليس قولكم لن يبعث الله من
بعده رسولا بتصديق لرسالة يوسف وكيف وقد شككتم فيها وكفرتم
بها وانما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم الى تكذيب رسالته
وقرئ ألن يبعث الله على ادخال همزة الاستفهام على حرف النفي
كأن بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث ثم قال كذلك يضل الله اي
مثل هذا الخذلان المبين يخذل الله كل مسرف في عصيانه مرتاب
في دينه الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر
مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب
متكبر جبار الذين يجادلون بدل من من هو مسرف فان قلت كيف
جاز ابداله منه وهو جمع وذاك موحد قلت لانه لا يريد مسرفا





واحدا فكأنه قال كل مسرف فان قلت فما فاعل كبر قلت ضمير من
هو مسرف فان قلت اما قلت هو جمع ولهذا ابدلت منه الذين يجا دلون
قلت بلى هو جمع في المعنى واما اللفظ فموحد فحمل البدل على معناه
والضمير الراجع اليه على لفظه وليس ببدع ان يحمل على اللفظ تارة و
على المعنى اخرى وله نظائر ويجوز ان يرفع الذين يجادلون على الابتداء
ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع اليه الضمير في كبر تقديره
جدال الذين يجادلون كبر مقتا ويحتمل ان يكون الذين يجادلون مبتدأ
وبغير سلطان أتاهم خبرا وفاعل كبر قوله كذلك اي كبر مقتا مثل ذلك
الجدال ويطبع الله كلام مستأنف ومن قال كبر مقتا عند الله جدالهم
فقد حذف الفاعل والفاعل لا يصح حذفه وفي كبر مقتا ضرب من
التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه من حد اشكاله
من الكبائر وقرئ سلطان بضم اللام وقرئ قلب بالتنوين ووصف
القلب بالتكبر والتجبر لانه مركزهما ومنبعهما كما تقول رأت
العين وسمعت الاذن ونحوه قوله عز وجل فانه آثم قلبه وان كان الآثم
هو الجملة ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي على كل ذي قلب متكبر تجعل
الصفة لصاحب القلب وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي
ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لاظنه
كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد

بعد
فرعون إلا في تباب هلاك قيل الصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وإن
استقوه من صرح الشيء إذا ظهر وأسباب السماوات طرقها وأبوابها و
ما يؤدي إليها وكل ما أداك إلى شيء فهو سبب إليه كالرشاء ونحوه فإن قلت
ما فائدة هذا التكرير ولو قيل لعلي أبلغ أسباب السماوات لأجزى قلت
إذا أبهم الشيء ثم أوضح كان تفخيما لشأنه فلما أراد تفخيم ما أمل بلوغه
من أسباب السماوات أبهمها ثم أوضحها ولأنه لما كان بلوغها أمرا
عجيبا أراد أن يورده على نفس متشوفة ليعطيه السامع حقه من
التعجب فأبهمه ليشوف إليه نفس هامان ثم أوضحه وقرئ فأطلع
بالنصب على جواب الترجي تشبيها للترجي بالتمني ومثل ذلك التزيين
وذلك الصد زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل والمزين إما الشيطان
بوسوسته كقوله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل
أو الله تعالى على التسبيب لأنه مكن الشيطان وأمهله ومثله زينا
أعمالهم فهم يعمهون وقرئ وزين له سوء عمله على البناء للفاعل
والفعل لله عز وجل دل عليه قوله إلى إله موسى وصد بفتح
الصاد وضمها وكسرها على نقل حركة العين إلى الفاء كما قيل قيل والتباب
الخسران والهلاك ومن قرأ وصد فهو عطف على سوء عمله وصدوا
هو وقومه وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل
الرشاد إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار

يا قوم

قال



قال أهدكم سبيل الرشاد فأجمل لهم ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير
شأنها لأن الإخلاد إليها هو أصل الشر كله ومنه يتشعب جميع ما يؤدي
إلى سخط الله ويجلب الشقاوة في العاقبة وثنى بتعظيم الآخرة والا
على حقيقتها وأنها هي الوطن والمستقر وذكر الأعمال سيئها وحسنها و
عاقبة كل منهما ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف ثم وازن بين الدعوتين
دعوته إلى دين الله الذي ثمرته النجاة ودعوتهم إلى اتخاذ الأنداد
الذي عاقبته النار وحذر وأنذر واجتهد في ذلك واحتشد لا جرم
أن الله استثناه من آل فرعون وجعله حجة عليهم وعبرة للمعتبرين و
هو قوله فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب
وفي هذا أيضا دليل بين على أن الرجل كان من آل فرعون والرشاد
نقيض الغي وفيه تعريض شبيه بالتصريح أن ما عليه فرعون وقومه
هو سبيل الغي من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا
من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها
بغير حساب فلا يجزى إلا مثلها لأن الزيادة على مقدار جزاء السيئة
قبيحة لأنها ظلم وأما الزيادة على مقدار جزاء الحسنة فحسنة لأنها
فضل وقرئ يدخلون ويدخلون بغير حساب واقع في مقابلة إلا
مثلها يعني أن جزاء السيئة له حساب وتقدير لئلا يزيد على الاستحقاق
فأما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب بل ما شئت من الزيادة

على الحق والكثرة والسعة ويا قوم ما لي أدعوكم الى النجاة وتدعو
نني الى النار فان قلت لم كرر نداء قومه ولم جاء بالواو في النداء
الثالث دون الثاني قلت اما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم و
ايقاظ عن سنة الغفلة وفيه انهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم
وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة فهو يتحزن لهم
ويتلطف بهم ويستدعي بذلك ان لا يتهموه فان سرورهم سروره
وغمهم غمه وينزلوا على تنصحه داخل على كلام هو بيان للمجمل و
تفسير له فاعطي الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو واما
الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة تدعونني لاكفر
بالله واشرك به ما ليس لي به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار
يقال دعاه الى كذا ودعاه له كما يقال هداه الى الطريق
وهداه له علم اي بربوبيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه
قال واشرك به ما ليس باله وما ليس باله كيف يصح ان يعلم الها لا جرم
انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وان مردنا
الى الله وان المسرفين هم اصحاب النار لا جرم سياقه على مذهب
البصريين ان يجعل لا ردا لما دعاه اليه قومه وجرم فعل بمعنى
حق وان مع ما في حيزه فاعله اي حق ووجب بطلان دعوته او
بمعنى كسب من قوله ولا يجرمنكم شنآن قوم اي كسب ذلك الدعاء

اليه



اليه بطلان دعوته على معنى انه ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته
ويجوز ان يقال ان لا جرم نظير لا بد فعل من الجرم وهو القطع كما ان
بد فعل من التبديد وهو التفريق فكما ان معنى لا بد انك تفعل كذا
بمعنى لا بعد لك من فعله وكذلك لا جرم ان لهم النار اي لا انقطاع
لذلك بمعنى انهم ابدا يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا
قطع لبطلان دعوة الاصنام اي لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك
فينقلب حقا وروي عن العرب لا جرم انه يفعل بضم الجيم وسكون
الراء بزنة بد وفعل وفعل اخوان كرشد ورشد وعدم و
عدم ليس له دعوة معناه انما تدعونني اليه ليس له دعوة الى
نفسه قط اي مستحق المعبود بالحق ان يدعو العباد الى طاعته
ثم يدعو العباد اليها اظهارا لدعوة ربهم وما تدعون اليه والى
عبادته لا يدعو هو الى ذلك ولا يدعي الربوبية ولو كان حيوانا ناطقا
لضج من دعائكم وقوله في الدنيا ولا في الآخرة يعني انه في الدنيا
جماد لا يستطيع شيئا من دعاء وغيره وفي الآخرة اذا انشأه الله
حيوانا تبرأ من الدعاة اليه ومن عبدته وقيل معناه ليس له استجابة
دعوة تنفع في الدنيا وفي الآخرة او دعوة مستجابة جعلت الدعوة
التي لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة او سميت الاستجابة باسم
الدعوة كما سمي الفعل المجازى عليه باسم الجزاء في قولهم كما تدين

تدان

قال الله تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون
لهم بشيء المسرفين عن قتادة المشركين وعن مجاهد السفاكين
للدماء بغير حلها وقيل الذين غلب شرهم خيرهم هم المسرفون
فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير
بالعباد وقرئ فستذكرون أي فسيذكر بعضكم بعضا وأ
أفوض أمري إلى الله لأنهم توعدوه فوقاه الله سيئات ما مكروا
وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا و
عشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب
فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وما هموا به من إلحاق
أنواع العذاب بمن خالفهم وقيل نجا مع موسى وحاق بآل فرعون
ما هموا به من تعذيب المسلمين ورجع عليهم كيدهم النار بدل
من سوء العذاب أو خبر مبتدأ محذوف كأن قائلا قال ما سوء
العذاب فقيل هو النار أو مبتدأ خبره يعرضون عليها وفي هذا
الوجه تعظيم للنار وتهويل من عذابها وعرضهم عليها إحراقهم
بها يقال عرض الإمام الأسارى على السيف إذا قتلهم به وقرئ النار
بالنصب وهي تعضد الوجه الأخير وتقديره يدخلون النار يعرضون
عليها ويجوز أن ينتصب على الاختصاص غدوا وعشيا في هذين الو
وقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك الله أعلم بحالهم فإما أن يعذبوا

مكروا

بجنس

بجنس آخر من العذاب أو ينفس عنهم ويجوز أن يكون غدوا و
عشيا عبارة عن الدوام هذا ما دامت الدنيا فإذا قامت الساعة
قيل لهم ادخلوا يا آل فرعون أشد عذاب جهنم وقرئ أدخلوا آل
فرعون أي يقال لخزنة جهنم أدخلوهم النار قلت قوله وحاق بآل فرعون
سوء العذاب معناه أنه رجع عليهم ما هموا به من المكر بالمسلمين
كقول العرب من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا فإذا أثبت سوء العذاب
بنار جهنم لم يكن مكرهم راجعا عليهم لأنهم لا يعذبون بجهنم قلت
يجوز أن يهم الإنسان بأن يغرق قوما فيحرق بالنار ويسمى ذلك
حيقا لأنه هم بسوء فأصابه ما يقع عليه اسم السوء ولا يشترط في
الحيق أن يكون الحائق ذلك السوء بعينه ويجوز أن يهم فرعون لما سمع
إنذار المسلمين بالنار وقول المؤمن وأن المسرفين هم أصحاب النار
فيفعل نحو ما فعل نمروذ ويعذبهم بالنار فحاق به مثل ما أضمره و
هم بفعله ويستدل بهذه الآية على إثبات عذاب القبر وإذ يتحاجون
في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل
أنتم مغنون عنا نصيبا من النار واذكر وقت يتحاجون تبعا أي تباعا
كخدم في جمع خادم أو ذوي تبع أي أتباع أو وصفا بالمصدر قال
الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد وقرئ كلا على
التأكيد لاسم إن وهو معرفة والتنوين عوض من المضاف إليه يريد أنا

حجز

كا

كلنا فيها فان قلت هل يجوز ان يكون كلا حالا قد عمل فيها قلت لا لان الظرف لا
يعمل في الحال متقدمة كما يعمل في الظرف متقدما تقول كل يوم لك ثوب ولا
تقول قائما في الدار زيد قد حكم بين العباد قضى بينهم وفصل بان
ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار ﻫ وقال الذين في النار لخزنة
جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب ﻫ لخزنة جهنم للقوام
بتعذيب اهلها فان قلت هلا قيل الذين في النار لخزنتها قلت لان
في ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا ويحتمل ان جهنم هي ابعد النار قعرا من
قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وقولهم في النابغة جهنام تسمية
بها لزعمهم انه يلقي الشعر على لسان المنتسب اليه فهو بعيد الغور
في علمه بالشعر كما قال ابو نواس في خلف الاحمر قليذم من العيالم
الخسف وفيها اعتى الكفار واطغاهم فلعل الملائكة الموكلين بعذاب
اولئك اجوب دعوة لزيادة قربهم من الله فلهذا تعمدهم اهل النار
بطلب الدعوة منهم ﻫ قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا
فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال ﻫ اولم تك تاتيكم الزام للحجة و
توبيخ وانهم خلفوا وراءهم اوقات الدعاء والتضرع وعطلوا الاسباب
التي يستجيب الله لها الدعوات قالوا فادعوا انتم فانا لا نجترئ على
ذلك ولا نشفع الا بشرطين كون المشفوع له غير ظالم والاذن في الشفا
عة مع مراعاة وقتها وذلك قبل الحكم الفاصل بين الفريقين وليس قولهم

فادعوا



فادعوا لرجاء المنفعة ولكن للدلالة على الخيبة فان الملك المقرب اذا
لم يسمع دعاؤه فكيف يسمع دعاء الكافر ﻫ انا لننصر رسلنا والذين
آمنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين
معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ﻫ في الحيوة الدنيا ويوم
يقوم الاشهاد اي في الدنيا والآخرة يعني انه يغلبهم في الدارين جميعا
بالحجة والظفر على مخالفيهم وان غلبوا في الدنيا في بعض الاحايين
امتحانا من الله فالعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من اعدائهم و
لو بعد حين والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب يريد الحفظة
من الملائكة والانبياء والمؤمنين من امة محمد عم لتكونوا شهداء
على الناس واليوم الثاني بدل من الاول يحتمل انهم يعتذرون بمعذ رة
ولكنها لا تنفع لانها باطلة وانهم لو جاؤا بمعذرة لم تكن مقبولة لقوله ولا
يؤذن لهم فيعتذرون ولهم اللعنة البعد من رحمة الله ولهم سوء الدار
اي سوء دار الآخرة وهو عذابها وقرئ تقوم ولا ينفع بالتاء والياء
ولقد آتينا موسى الهدى واورثنا بني اسرائيل الكتاب هدى وذكرى
لاولي الالباب ﻫ يريد بالهدى جميع ما آتاه في باب الدين من المعجزات
والتورية والشرائع واورثنا وتركنا على بني اسرائيل من بعده الكتاب
اي التورية هدى وذكرى ارشادا وتذكرة وانتصابهما على المفعول له
او على الحال واولوا الالباب المؤمنون به العاملون بما فيه ﻫ فاصبر

ان وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار
فاصبر ان وعد الله حق يعني ان نصرة الرسل كما فهمنا ان الله وعدها
انه لا يخلف واستشهد بموسى وما آتاه من اسباب الهدى والنصر
على فرعون وجنوده وابقاء آثار هداه في بني اسرائيل والله ناصرك
كما نصرهم ومظهر دينك على الدين كله ومبلغ ملكه امتك مشارق الارض
ومغاربها فاصبر على ما يجري عليك قومك من الغصص فان العاقبة لك وما سبق به
وعدي من نصرتك واعلاء كلمتك حق واقبل على التقوى وتدارك الفرطات
بالاستغفار ودم على عبادة ربك والثناء عليه بالعشي والابكار وقيل
هما صلاتا العصر والفجر ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان
اتيهم ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع
البصير ان في صدورهم الا كبر الا تكبر عن تعلمه وهو ارادة التقدم و
الرياسة وان لا يكون احد فوقهم ولذلك عادوك ودفعوا آياتك خيفة
ان تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وامرك ونهيك لان النبوة تحتها كل
ملك ورياسة او ارادة ان تكون لهم النبوة دونك حسدا او بغيا ويدل عليه
قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه او ارادة دفع الآيات بالجدال ما
هم ببالغيه اي ببالغي موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق ارادتهم
من الرياسة او النبوة او دفع الآيات وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا
يقولون يخرج صاحبنا المسيح بن داود يريدون الدجال ويبلغ

سلطانه



جع

سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وهو آية من آيات الله فيرجع
الينا الملك فسمى الله تمنيهم ذلك كبرا ونفى ان يبلغوا متمناهم فاستعذ
بالله فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك انه هو السميع لما
تقول ويقولون البصير بما تعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من
شرهم لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر
الناس لا يعلمون فان قلت كيف اتصل قوله لخلق السموات والارض
بما قبله قلت ان مجادلتهم في آيات الله كانت مشتملة على انكار البعث
وهو اصل المجادلة ومدارها فحجوا بخلق السموات والارض لانهم كانوا
مقرين بان الله خالقها بانها خلق عظيم لا يقادر قدره وخلق الناس
بالقياس اليه شيء قليل مهين فمن قدر فلك وهو ابلغ من الاستشهاد
بخلق مثله لا يعلمون لانهم لا ينظرون ولا يتاملون لغلبة الغفلة عليهم
واتباعهم اهواءهم وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا و
عملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون ضرب الاعمى و
البصير مثلا للمحسن والمسيء وقرئ يتذكرون بالياء والتاء والتاء اعم
ان الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا ريب
فيها لا بد من مجيئها ولا محالة وليس بمرتاب فيها لانه لا بد من جزاء لا يؤمنون
لا يصدقون بها وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون
عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ادعوني اعبدوني و
الدعاء

الاعمى

منو

بمعنى العبادة كثير في القران ويدل عليه قوله تعالى ان الذين يستكبرون
عن عبادتي والاستجابة الاثابة وفي تفسير مجاهد اعبدوني اثبكم وعن
الحسن وقد سئل عنها اعملوا وابشروا فانه حق على الله ان يستجيب للذين
آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وعن الثوري انه قيل له ادع
الله فقال ان ترك الذنوب هو الدعاء وفي الحديث اذا شغل عبدي
طاعتي عن الدعاء اعطيته افضل ما اعطي السائلين وروى النعمان بن
بشير رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة وقرأ هذه
الآية ويجوز ان يريد الدعاء والاستجابة على ظاهرهما ويريد بعبادتي
دعائي لان الدعاء باب من العبادة ومن افضل ابوابها يصدقه قول ابن
عباس رضي الله عنه افضل العبادة الدعاء وعن كعب اعطى الله هذه الامة
ثلث خصال لم يعطهن الا نبيا مرسلا كان يقول لكل نبي انت شاهدي
على خلقي وقال لهذه الامة لتكونوا شهداء على الناس وكان يقول ما
عليك من حرج وقال لنا ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وكان يقول ادعني
استجب لك وقال لنا ادعوني استجب لكم وعن ابن عباس وحدوني
اغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد داخرين
صاغرين الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان
الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون مبصرا
من الاسناد المجازي لان الابصار في الحقيقة لاهل النهار فان قلت لم
قرن



قرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال وهلا كانا حالين او مفعولا لهما
فيراعى حق المقابلة قلت هما متقابلان من حيث المعنى لان كل واحد منهما
يؤدي مؤدى الآخر ولانه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التي في الاسناد
المجازي ولو قيل ساكنا والليل يجوز ان يوصف بالسكون على الحقيقة الا
ترى الى قولهم ليل ساج وساكن لا ريح فيه لم يتميز الحقيقة من المجاز فان
قلت فهلا قيل لمفضل او لمتفضل قلت لان الغرض تنكير الفضل وان يجعل
فضلا لا يوازيه فضل وذلك انما يستوي بالاضافة فان قلت فلو قيل ولكن اكثرهم
فلا يتكرر ذكر الناس قلت في هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم
وانهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله تعالى ان الانسان
لكفور ان الانسان لربه لكنود ان الانسان لظلوم كفار ذلكم الله
ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو فانى تؤفكون كذلك يؤفك الذين
كانوا بآيات الله يجحدون ذلكم المعلوم المتميز بالافعال الخاصة
التي لا يشاركه فيها احد هو الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار
مترادفة اي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية و
خلق كل شيء وانشائه لا يمتنع عليه شيء والوحدانية لا ثاني له فانى
تؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان
ثم ذكر ان كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ولم يكن فيه همة طلب الحق
وخشية العاقبة افك كما افكوا وقرئ خالق كل شيء نصبا على الاختصاص

ويتوسلون بالبناء والناء «الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء
وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب
العالمين» هذه ايضا دلالة اخرى على تميزه بافعال خاصة وهي انه جعل الارض
مستقرا والسماء بناء اي قبة ومنه ابنية العرب لمضاربهم لان السماء في
منظر العين كقبة مضروبة على وجه الارض فاحسن صوركم وقرئ بكسر الصاد
والمعنى واحد قيل لم يخلق حيوانا احسن صورة من الانسان وقيل لم يخلقهم
منكوسين كالبهائم كقوله في احسن تقويم «هو الحي لا اله الا هو فاد
عوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين» فادعوه فاعبدوه
مخلصين له الدين الطاعة من الشرك والرياء قائلين الحمد لله رب العالمين
وعن ابن عباس رضي الله عنه من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب
العالمين «قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات
من ربي وامرت ان اسلم لرب العالمين» فان قلت اما نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن عبادة الاوثان بادلة العقل حتى جاءته البينات من ربه قلت بلى ولكن البينات
لما كانت مقوية لادلة العقل ومؤكدة لها ومضمنة ذكرها نحو قوله تعالى
اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون واشباه ذلك من التنبيه على ادلة
العقل كان ذكر البينات ذكرا لادلة العقل والسمع جميعا لان ذكر تناصر
الادلة ادلة العقل وادلة السمع اقوى في ابطال مذهبهم وان كانت
ادلة العقل وحدها كافية «هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من

علقة



علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا و
منكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا اجلا مسمى ولعلكم تعقلون»
لتبلغوا اشدكم متعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك
لتكونوا واما ولتبلغوا اجلا مسمى فمعناه ونفعل ذلك لتبلغوا اجلا
مسمى وهو وقت الموت وقيل يوم القيامة وقرئ شيوخا بكسر الشين
وشيخا على التوحيد كقوله طفلا والمعنى كل واحد منكم او اقتصر
على الواحد لان الغرض بيان الجنس من قبل من قبل الشيخوخة او
من قبل هذه الاحوال اذا خرج سقطا ولعلكم تعقلون ما في ذلك من
العبر والحجج «هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له
كن فيكون» فاذا قضى امرا فانما يكونه من غير كلفة ولا معاناة
جعل هذا نتيجة من قدرته على الاحياء والاماتة وسائر ما ذكر من
افعاله الدالة على ان مقدورا لا يمتنع عليه كأنه قال فلذلك من الا
قتدار
اذا قضى امرا كان اهون شيء واسرعه «الم تر الى الذين يجادلون
في آيات الله انى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به
رسلنا فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل
يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون» بالكتاب بالقرآن
وبما ارسلنا به رسلنا من الكتب فسوف يعلمون وعيد وقوله
فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون

في الحميم ثم في النار يسجرون ٥ه بالكتاب بالقرآن وبما ارسلنا به رسلنا
من الكتب فان قلت وهل قوله فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم
الا مثل قولك سوف اصوم امس قلت المعنى على اذا الا ان الامور
المستقبلة لما كانت في اخبار الله تعالى متيقنة مقطوعا بها عبر عنها
بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال وعن ابن عباس والسلاسل
يسحبون بالنصب وفتح الياء على عطف الجملة الفعلية على الاسمية
وعنه والسلاسل يسحبون بجر السلاسل ووجهه انه لو
قيل اذ اعناقهم في الاغلال مكان قوله اذ الاغلال في اعناقهم لكان
صحيحا مستقيما فلما كانتا عبارتين معتقبتين حمل قوله والسلاسل على
العبارة الاخرى ونظيره مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب
كانه قيل بمصلحين وقرئ وبالسلاسل يسحبون في النار يسجرون
من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير كانه سجر
بالحب اي ملئ ومعناه انهم في النار فهي محيطة بهم وهم مسجورون
بالنار مملوءة بها اجوافهم ومنه قوله تعالى نار الله الموقدة التي
تطلع على الافئدة اللهم اجرنا من نارك فانا عائذون بجوارك
٥ه ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل
لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين ٥ه ضلوا
عنا غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم فان قلت اما

ذكرت

ذكرت في تفسير قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انهم
مقرونون بآلهتهم فكيف يكونون معهم وقد ضلوا عنهم قلت يجوز ان
يضلوا عنهم اذا وبخوا وقيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله
يغيثونكم ويشفعون لكم وان يكونوا معهم في سائر الاوقات وان يكونوا
معهم في جميع اوقاتهم الا انهم لما لم ينفعوهم فكانهم ضالون عنهم بل لم
نكن ندعوا من قبل شيئا اي تبين لنا انهم لم يكونوا شيئا وما كنا نعبد
بعبادتهم شيئا كما تقول حسبت ان فلانا شيء فاذا هو ليس بشيء
اذا خبرته فلم تر عنده خيرا كذلك يضل الله الكافرين مثل ضلال
آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة او طلبتهم الآلهة
لم يتصادفوا ٥ه ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم
تمرحون ٥ه ذلكم الاضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير
الحق وهو الشرك وعبادة الاوثان ٥ه ادخلوا ابواب جهنم خالدين
فيها فبئس مثوى المتكبرين ٥ه ادخلوا ابواب جهنم السبعة المقسو — مة
لكم قال الله تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم خا — لدين
مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق المستخفين
به مثواكم او جهنم فان قلت اليس قياس النظم ان يقال فبئس مدخل — خل
المتكبرين كما تقول زر بيت الله فنعم المزار وصل في المسجد الحرام
فنعم المصلى قلت الدخول الموقت بالخلود في معنى الثواء ٥ه

فاصبر ان وعد الله حق فاما نرينك بعض الذى نعدهم او نتوفينك
فالينا يرجعون ۝ فاما نرينك اصله فان نرك وما مزيدة لتاكيد معنى
الشرط ولذلك الحقت النون بالفعل الا تراك لا تقول ان تكرمنى اكرمك
فان قلت لا يخلو اما ان تعطف او نتوفينك على نرينك وتشركهما فى جزاء واحد
وهو قوله فالينا يرجعون فقولك فاما نرينك بعض الذى نعدهم فالينا
يرجعون غير صحيح وان جعلت فالينا يرجعون مختصا بالمعطوف
الذى هو نتوفينك بقى المعطوف عليه بغير جزاء قلت فالينا يرجعون
متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك محذوف تقديره فاما نرينك بعض الذى
نعدهم من العذاب وهو القتل والاسر يوم بدر فذاك او ان نتو
فينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون يوم القيمة فننتقم منهم اشد الا
الانتقام ونحوه قوله فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون او نرينك الذى
وعدناهم فانا عليهم مقتدرون ۝ ولقد ارسلنا رسلا من قبلك
منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول ان ياتى
بآية الا باذن الله فاذا جاء امر الله قضى بالحق وخسر هنالك المبطلون ۝ منهم
من لم نقصص عليك قيل بعث الله ثمانية آلاف نبى اربعة آلاف من بنى اسرائيل
واربعة آلاف من سائر الناس وعن على رضى الله عنه ان الله بعث نبيا اسود
فهو ممن لم يقصص عليه وهذا فى اقتراحهم الآيات على رسول الله عنادا
يعنى انا قد ارسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم ان ياتى باية

الا

الا باذن الله فمن لى بان آتى باية مما تقترحونه الا ان يشاء الله و
امر الله القيمة المبطلون المعاندون الذين اقترحوا الايات وقد
اتتهم الايات فانكروها وسموها سحرا ۝ الله الذى جعل لكم
الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها
حاجة فى صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ۝ الانعام الابل خاصة
فان قلت لم قال لتركبوا منها ولتبلغوا عليها ولم يقل لتاكلوا منها و
لتصلوا الى منافع او هلا قال منها تركبون ومنها تاكلون وتبلغون
عليها حاجة فى صدوركم قلت فى الركوب الركوب فى الحج والغزو و
فى بلوغ الحاجة الهجرة من بلد الى بلد لاقامة دين او طلب علم وهذه
اغراض دينية اما واجبة او مندوب اليها مما يتعلق به ارادة الحكيم
واما الاكل واصابة المنافع فمن جنس المباح الذى لا يتعلق به ارا دته
ومعنى قوله وعليها وعلى الفلك تحملون وعلى الانعام وحدها لا تحملون
ولكن عليها وعلى الفلك فى البر والبحر فان قلت هلا قيل وفى الفلك كما قال
قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين قلت معنى الايعاء ومعنى الاستعلاء
كلاهما مستقيم لان الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة له يستعليها
فلما صح المعنيان صحت العبارتان وايضا فليطابق قوله وعليها
ويزاوجه ۝ ويريكم آياته فاى آيات الله تنكرون ۝ فاى ايات الله جاءت
على اللغة المستفيضة وقولك فاية آيات الله قليل لان التفرقة بين

بين المذكر والمؤنث في الاسما غير الصفات نحو حمار وحمارة
غريب وهي في ايات الله غريبة لابهامه افلم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا
في الارض فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون واثارا قصورهم و
مصانعهم وقيل مشيهم بارجلهم لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم
ما نافية او مضمنة معنى الاستفهام ومحلها النصب والثانية موصولة
او مصدرية ومحلها الرفع يعني اي شيء اغنى عنهم مكسوبهم او
كسبهم فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم
وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون فرحوا بما عندهم من العلم
فيه وجوه منها انه اراد العلم الوارد على طريق التهكم في قوله بل
ادارك علمهم في الاخرة وعلمهم في الاخرة انهم كانوا يقولون لا
نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي
ان لي عنده للحسنى وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي
لاجدن خيرا منها منقلبا وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به
البينات وعلم الانبياء كما قال عز وجل كل حزب بما لديهم فرحون
ومنها ان يريد علم الفلاسفة والدهريين من بني يونان وكانوا
اذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علم الانبياء الى
علمهم وعن سقراط انه سمع بموسى صلوات الله عليه وسلم

فقيل

له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا
ومنها ان يوضع قوله فرحوا بما عندهم من العلم ولا علم عندهم البتة
موضع قوله لم يفرحوا بما جاءهم من العلم مبالغة في نفي فرحهم
بالوحي الموجب لاقصى الفرح والمسرة مع تهكم بفرط جهلهم و
خلوهم من العلم ومنها ان يراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح
ضحك منه واستهزاء به كانه قال استهزءوا بالبينات وبما جاءوا به من علم
الوحي فرحين مرحين ويدل عليه قوله وحاق بهم ما كانوا به
يستهزءون ومنها ان يجعل الفرح للرسل ومعناه ان الرسل لما راوا
جهلهم المتمادي واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم
من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا
الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم ويجوز
ان يريد بما فرحوا به من العلم علمهم بامور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها
كما قال الله يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غا
فلون ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهي
ابعد شيء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ
والشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزءوا بها واعتقدوا
انه لا علم انفع واجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به فلما راوا
باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم

بنا

ايمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك
الكافرون البأس شدة العذاب ومنه قوله بعذاب
بئيس فان قلت اي فرق بين قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم وبينه لو قيل
فلم ينفعهم ايمانهم قلت هو من كان في نحو قوله ما كان لله ان يتخذ من ولد
والمعنى فلم يصح ولم يستقم ان ينفعهم ايمانهم فان قلت كيف ترادفت
هذه الفاآت قلت اما قوله فما اغنى عنهم فهو نتيجة قوله كانوا
اكثر منهم واما قوله فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فجار مجرى البيان
والتفسير لقوله فما اغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم
يحسن الى الفقراء وقوله فلما رأوا بأسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كانه قال
فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا وكذلك فلم يك ينفعهم ايمانهم تابع لايمانهم
لما رأوا بأس الله سنت الله بمنزلة وعد الله وما اشبهه من المصادر المؤكدة
وهنالك مكان مستعار للزمان اي وخسروا وقت رؤية البأس وكذلك قوله
وخسر هنالك المبطلون بعد قوله فاذا جاء امر الله قضي بالحق اي وخسروا
وقت مجيء امر الله او وقت القضاء بالحق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه و
استغفر له

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل من الرحمن الرحيم ان جعلت حم اسما للسورة كانت في موضع
المبتدأ وتنزيل خبره وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل خبرا

لمبتدأ

لمبتدأ محذوف كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون
وكتاب بدل من تنزيل او خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف
وجوز الزجاج ان يكون تنزيل مبتدأ وكتاب خبره ووجهه ان
تنزيلا تخصص بالصفة فساغ وقوعه مبتدأ فصلت آياته ميزت
وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من احكام وامثال ومواعظ و
وعد ووعيد وغير ذلك وقرئ فصلت اي فرقت بين الحق
والباطل او فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها من قولك فصل
من البلد قرآنا عربيا نصب على الاختصاص والمدح اي اريد
بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت وقيل هو نصب
على الحال اي فصلت آياته في حال كونه قرآنا عربيا لقوم يعلمون
لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم
العربي المبين لا يلتبس عليهم شيء منه فان قلت بم يتعلق قوله
لقوم يعلمون قلت يجوز ان يتعلق بتنزيل او بفصلت اي
تنزيل من الله لاجلهم او فصلت آياته لهم والاجود ان يكون صفة
مثل ما قبله وما بعده اي قرآنا عربيا كائنا لقوم عرب لئلا يفرق
بين الصلات والصفات بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا
يسمعون وقرئ بشير ونذير صفة للكتاب او خبر مبتدأ محذوف
فهم لا يسمعون لا يقبلون ولا يطيعون من قولك تشفعت الى فلان

لم يسمع قولي ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه
فكأنه لم يسمعه ﴿وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذا
ننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون﴾ والأكنة
جمع كنان وهو الغطاء والوقر بالفتح الثقل وقرئ بالكسر وهذه
تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كأنها في غلف
وأغطية تمنع من نفوذه فيها كقوله ﴿وقالوا قلوبنا غلف﴾ ومج
أسماعهم له كأن بها صمما عنه ولتباعد المذهبين والدينين كأن
بينهم وما هم عليه وبين رسول الله صلعم وما هو عليه حجابا ساترا و
حاجزا منيعا من جبل أو نحوه فلا تلاقي ولا ترائي فاعمل على دينك
إننا عاملون على ديننا أو فاعمل في إبطال أمرنا إننا عاملون في إبطال
أمرك وقرئ إنا عاملون فإن قلت هل لزيادة من في قوله ومن بيننا و
بينك حجاب فائدة قلت نعم لأنه لو قيل وبيننا وبينك حجاب لكان المعنى أن
حجابا حاصلا وسط الجهتين وأما بزيادة من فالمعنى أن الحجاب
ابتداء منا وابتداء منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك
مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها فإن قلت هلا قيل على قلوبنا أكنة
كما قيل وفي آذاننا وقر ليكون الكلام على نمط واحد قلت هو على نمط
واحد لأنه لا فرق في المعنى بين قولك قلوبنا في أكنة وعلى قلوبنا أكنة والدليل
عليه قوله إنا جعلنا على قلوبهم أكنة ولو قيل إنا جعلنا قلوبهم

في



الملاحظة

في أكنة لم يختلف المعنى وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق و
إلا في المعاني ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد
فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين﴾ فإن قلت من أين كان
قوله إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي جوابا لقولهم قلوبنا في أكنة قلت
من حيث أنه قال لهم إني لست بملك وإنما أنا بشر مثلكم وقد أوحي إلي
دونكم فصحت بالوحي إلي وأنا بشر نبوتي وإذا صحت نبوتي و
جب عليكم اتباعي وفيما يوحى إلي أن إلهكم إله واحد فاستقيموا
إليه فاستووا إليه بالتوحيد وإخلاص العبادة غير ذاهبين
يمينا ولا شمالا ولا ملتفتين إلى ما يسول لكم الشيطان من اتخاذ الأولياء
والشفعاء وتوبوا إليه مما سبق لكم من الشرك واستغفروه وقرئ قال
إنما أنا بشر ﴿الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون
إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون﴾
فإن قلت لم خص من بين أوصاف المشركين منع الزكاة مقرونا
بالكفر بالآخرة قلت لأن أحب الشيء إلى الإنسان ماله وهو شقيق
روحه فإذا بذله في سبيل الله فذلك أقوى دليل على ثباته واستقامته
وصدق نيته ونصوع طويته ألا ترى إلى قوله عز وجل ﴿مثل الذين
ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم﴾ أي
يثبتون أنفسهم ويدلون على ثباتها بإنفاق الأموال وما خدع

ل

منه

المؤلفة قلوبهم الا لطمعة من الدنيا فتقرن محبتهم ولانت شكيمتهم
واهل الردة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تشبثوا الا بمنع الزكوة
فنصبت لهم الحرب وجوهدوا وفيه بعث للمؤمنين على اداء الزكوة و
تخويف شديد من منعها حيث جعل المنع من اوصاف المشركين وقرن
بالكفر بالآخرة وقيل كانت قريش يطعمون الحاج ويحرمون من آمن
منهم برسول الله وقيل لا يفعلون ما يكونون به ازكياء وهو الايمان امنو
المقطوع وقيل لا يمن عليهم لانه انما يمن التفضل فاما الاجر فحق اداؤه
وقيل نزلت في المرضى والزمنى والشيوخ اذا عجزوا عن الطاعة كتب
لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض
في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين ءانكم بهمزتين
الثانية بين بين وآينكم بالف بينهما ذلك الموصوف بقدرة خلق الارض
في يومين هو رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك
فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين رواسي
جبالا ثوابت فان قلت ما معنى قوله من فوقها وهلا اختص على
قوله وجعل فيها رواسي كقوله وجعلنا فيها رواسي شامخات وجعلنا
في الارض رواسي وجعلنا لها رواسي قلت لو كانت تحتها كالاساطين لها
تستقر عليها او مركوزة فيها كالمسامير لمنعت من الميدان وانما
اختار ارساءها فوق الارض لتكون المنافع في الجبال معرضة لطالبيها



لطالبيها حاضرة لمحصليها وليبصر ان الارض والجبال اثقال على اثقال
كلها مفتقرة الى ممسك لا بد لها منه وهو ممسكها عز وجل بقدرته
وبارك فيها واكثر خيرها وانماه وقدر فيها اقواتها ارزاق اهلها
ومعايشهم وما يصلحهم وفي قراءة ابن مسعود وقسم فيها اقواتها في
اربعة ايام كاملة مستوية سواء فذلكة لمدة خلق الله الارض
وما فيها كانه قال ذلك في اربعة ايام كاملة مستوية بلا زيادة ولا
نقصان قيل خلق الارض في يوم الاحد ويوم الاثنين وما فيها يوم
الثلثاء ويوم الاربعاء وقال الزجاج في اربعة ايام في تتمة اربعة ايام يريد
بالتتمة اليومين وقرئ سواء بالحركات الثلث الجر على الوصف و
النصب على المصدر سواء اي استواء والرفع على هي سواء فان قلت
بم تعلق قوله للسائلين قلت بمحذوف كانه قيل هذا الحصر لاجل
سائل في كم خلقت الارض وما فيها او بقدر اي قدر فيها الاقوات
لاجل الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وهذا الوجه الاخير
لا يستقيم الا على تفسير الزجاج فان قلت هلا قيل في يومين واي
فائدة في هذه الفذلكة قلت اذا قيل في اربعة ايام وقد ذكر ان الارض
خلقت في يومين علم ان ما فيها خلق في يومين فبقيت المخايرة بين
ان يقول في يومين وان يقول في اربعة ايام سواء فكانت في
اربعة ايام سواء فائدة ليست في يومين وفي تلك اليومان على

اكثر مما كان يجوز ان يريد باليومين الاولين والاخرين اكثر منهما ثم استوى
الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا
طائعين ثم استوى الى السماء من قولك استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه
توجها لا يلوي على شيء وهو من الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج ونحوه
قولهم استقام اليه وامتد اليه ومنه قوله تعالى فاستقيموا اليه والمعنى ثم دعاه
داعي الحكمة الى خلق السماء بعد خلق الارض وما فيها من غير صارف يصرفه
عن ذلك قيل كان عرشه قبل خلق السموات والارض على الماء فاخرج من الماء
دخانا فارتفع فوق الماء وعلا عليه فايبس الماء فجعله ارضا واحدة ثم
فتقها فجعلها ارضين ثم خلق السماء من الدخان المرتفع ومعنى امر السماء
والارض بالاتيان وامتثالهما انه اراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما
ارادهما وكانتا في ذلك كالمأمور المطيع اذا ورد عليه فعل الآمر المطاع
وهو من المجاز الذي يسمى التمثيل ويجوز ان يكون تخييلا ويبنى الامر
فيه على ان الله تعالى كلم السماء والارض وقال لهما ائتيا شئتما ذلك او
ابيتماه فقالتا اتينا على الطوع لا على الكره والغرض تصوير اثر قدرته في
المقدورات لا غير من غير ان يحقق شيء من الخطاب والجواب ونحوه قول
القائل قال الجدار للوتد لم تشقني قال الوتد اسأل من يدقني
فلم يتركني وراي الحجر الذي ورائي فان قلت لم ذكر الارض مع السماء و
انتظمهما في الامر بالاتيان والارض مخلوقة قبل السماء بيومين قلت



قد خلق جرم الارض اولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما
قال والارض بعد ذلك دحيها فالمعنى ائتيا على ما ينبغي ان تأتيا عليه من
الشكل والوصف ائتي يا ارض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وائتي يا سماء
مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول والوقوع كما تقول اتى عمله
مرضيا وجاء مقبولا ويجوز ان يكون المعنى لتأت كل واحدة منكما صاحبتها
الاتيان الذي اريده وتقتضيه الحكمة والتدبير من كون الارض قرارا
للسماء وكون السماء سقفا للارض وتنصره قراءة من قرأ آتيا وآتينا
من المؤاتاة وهي الموافقة اي لتؤات كل واحدة اختها ولتوافقها قالتا
وافقنا وساعدنا ويحتمل وافقا امري ومشيئتي ولا تمتنعا فان قلت
ما معنى طوعا او كرها قلت هو مثل للزوم تأثير قدرته فيهما وان امتناعهما
من تأثير قدرته محال كما يقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن
هذا شئت او ابيت ولتفعلنه طوعا او كرها وانتصابهما على الحال
بمعنى طائعتين او مكرهتين فان قلت هلا قيل طائعتين على اللفظ او
طائعات على المعنى لانها سموات وارضون قلت لما جعلن مخاطبات ومجيبات
ووصفن بالطوع والكره قيل طائعين في موضع طائعات نحو قوله
ساجدين فقضيهن سبع سموات في يومين واوحى في كل سماء
امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز
العليم

لنا

محلهما

او تتقاضاهن ويجوز ان يرجع الضمير فيه الى السماء وعلى المعنى كما قال
طائعين ونحوه اعجاز نخل خاوية ويجوز ان يكون ضميرا مبهما مفسرا
بسبع سموات والفرق بين النصبين ان احدهما على الحال والثاني على
التمييز قيل خلق السموات وما فيها في يومين في يوم الخميس والجمعة وفرغ
في اخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم وهي الساعة التي تقوم
فيها القيامة وفي هذا دليل على ما ذكرت من انه لو قال في يومين في موضع
في اربعة ايام سواء لم يعلم انهما يومان كاملان او ناقصان فان قلت
فلو قيل خلق الارض في يومين كاملين او قيل بعد ذكر اليومين تلك اربعة
سواء قلت الذي اورده سبحانه اخصر وافصح واحسن طباقا
لما عليه التنزيل من مغاصات القرائح ومصاك الركب ليتميز الفاضل من
الناقص والمتقدم من الناكص وترتفع الدرجات ويتضاعف
الثواب امرها ما امر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيرات و
غير ذلك او شأنها وما يصلحها وحفظا وحفظناها حفظا يعني من
المسترقة بالثواقب ويجوز ان يكون مفعولا له على المعنى كأنه قال و
خلقنا المصابيح زينة وحفظا كأنه فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة
مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم
الا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة فانا بما ارسلتم

به



به كافرون كأنه فان اعرضوا بعدما تتلو عليهم من هذه الحجج على وحدانيته
وقدرته فحذرهم ان يصيبهم صاعقة اي عذابا شديد الوقع كأنه
صاعقة وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق
او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب
فعلته ففعل من بين ايديهم ومن خلفهم اي اتوهم من كل جانب
واجتهدوا بهم واعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا العتو والا (عراض)
كما حكى الله عن الشيطان لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم
يعني لآتينهم من كل جهة ولاعملن فيهم كل حيلة وتقول استدرت
بفلان من كل جانب فلم يكن لي فيه حيلة وعن الحسن انذروهم
من وقائع الله فيمن قبلهم من الامم وعذاب الآخرة لانهم اذا
حذروهم ذلك فقد جاؤهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي و
ما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما سيجري عليهم
وقيل معناه اذ جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم فان قلت
الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون بانهم جا (ؤهم)
وكيف مخاطبتهم بقولهم فانا بما ارسلتم به كافرون قلت قد جاءهم
هود وصالح داعيين الى الايمان بهما وبجميع الرسل ممن جاءهما (م)
بين ايديهم اي من قبلهم وممن يجيء من خلفهم اي من بعدهم

فكأن

ب

الرسل جميعًا قد جاؤهم وقولهم انا بما ارسلتم به كافرون خطاب
منهم لهود وصالح ولسائر الانبياء الذين دعوا الى الايمان بهم أن في
ان لا تعبدوا بمعنى اي او مخففة من الثقيلة اصله بانه لا تعبدوا اي
بان الشأن والحديث قولنا لكم لا تعبدوا ومفعوله شاء محذوف اي لو
شاء ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة فانا بما ارسلتم به كافرون معناه
فاذا انتم بشر لستم بملائكة فانا لا نؤمن لكم ولا بما جئتم به وقولهم ارسلتم به
ليس باقرار بالارسال وانما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون
ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون روي ان ابا جهل قال في ملاء من قريش
قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة
والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان عن امره فقال عتبة ابن ربيعة والله لقد
سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى على
فاتاه فقال انت يا محمد خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت
خير ام عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا فان كنت تريد الرياسة
عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وان تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة
تختارهن اي بنات قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به
ورسول الله ساكت فلما فرغ قال بسم الله الرحمن الرحيم حم الى
قوله مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده بالرحم و

رجع



ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى
عتبة الا قد صبأ فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبأت
فغضب واقسم لا يكلم محمدا ابدا ثم قال والله لقد كلمته فاجابني بشيء
والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر فلما بلغ صاعقة عاد وثمود امسكت
بفيه وناشدته بالرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم
يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير
الحق وقالوا من اشد منا قوة اغترارا بقوتهم او لم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد
منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون فاستكبروا في الارض اي تعظموا فيها
على اهلها بما لا يستحقون به التعظيم وهو القوة وعظم الاجرام او استعلوا
في الارض واستولوا على اهلها بغير استحقاق للولاية من اشد منا قوة كانوا ذوي
اجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم ان الرجل كان ينزع الصخرة
من الجبل فيقتلعها بيده فان قلت القوة هي الشدة والصلابة في البنية
وهي نقيضة الضعف واما القدرة فما لاجله يصح الفعل من الفاعل من
تميز بذات او بصحة بنية وهي نقيضة العجز والله سبحانه لا يوصف با
لاعلى بمعنى القدرة فكيف صح قوله هو اشد منهم قوة وانما يصح اذا اريد
بالقوة في الموضعين شيء واحد قلت القدرة في الانسان هي صحة البنية
والاعتدال والقوة هي الشدة والصلابة في البنية وحقيقتها زيادة القدر

فلما صح ان يقال الله اقدر منهم جاز ان يقال الله اقوى منهم على معنى انه
يقدر لذاته على ما لا يقدرون عليه بازدياد قدرته وكانوا بآياتنا يجحدون كانوا
يعرفون انها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة وهو
معطوف على فاستكبروا اى كانوا كفرة فسقة فارسلنا عليهم ريحا صرصرا
في ايام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب
الآخرة اخزى وهم لا ينصرون صرصرا الريح العاصفة التي تصرصر اى
تصوت في هبوبها وقيل الباردة التي تحرق بشدة بردها تكرير لبناء
الصر وهو البرد الذي يصر اى يجمع ويقبض نحسات قرئ بكسر الحاء
وسكونها ونحس نحسا نقيض سعد سعدا وهو نحس واما نحس فاما
مخفف نحس او صفة على فعل او وصف بمصدر وقرئ لنذيقهم على
ان الاذاقة للريح او للايام النحسات واضاف العذاب الى الخزي وهو
الذل والاستكانة على انه وصف للعذاب كانه قال العذاب الخزي كما تقول
فعل السوء يريد الفعل السيئ والدليل عليه قوله ولعذاب الآخرة
اخزى وهو من الاسناد المجازي ووصف العذاب بالخزي ابلغ من
وصفهم به الا ترى الى البون بين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر
واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فاخذتهم
صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين آمنوا وكانوا
يتقون

وقرئ ثمود بالرفع والنصب منونا وغير منون والرفع افصح لو
قوعه بعد حرف الابتداء وقرئ بضم الثاء فهديناهم على طريق الضلالة
والرشد كقوله وهديناه النجدين فاستحبوا العمى على الهدى فا
ختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد فان قلت اليس معنى
هديته حصلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فما اهتدى بمعنى
تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فما ارتدع فكيف ساغ استعماله
في الدلالة المجردة قلت للدلالة على انه مكنهم وازاح عللهم ولم يبق لهم
عذرا ولا علة فكانه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها
صاعقة العذاب داهية العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان
وصف به العذاب مبالغة او ابدله منه ولو لم يكن في القرآن حجة على القدرية
الذين هم مجوس هذه الامة بشهادة نبيها صلى الله عليه وسلم وكفى به شاهدا
الا هذه لكفى بها حجة ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون
قرئ يحشر على البناء للمفعول ونحشر بالنون وضم الشين وكسرها
ويحشر على البناء للفاعل اى يحشر الله عز وجل اعداء الله الكفار من الاولين
والآخرين يوزعون يحبس اولهم على آخرهم اى يستوقف سوابقهم
حتى يلحق بهم تواليهم وهي عبارة عن كثرة اهل النار نسأل الله ان
يجيرنا منها بسعة رحمته حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم

وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم
علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون
فان قلت ما في قوله حتى اذا ما جاؤها ما هي قلت مزيدة للتاكيد ومعنى
التاكيد فيها ان وقت مجيئهم النار لا محالة ان يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه
لان يخلو منها ومثله قوله اثم اذا ما وقع آمنتم به اي لا بد لوقت وقوعه
من ان يكون وقت ايمانهم به شهادة الجلود بالملامسة للحرام وما اشبه ذلك
مما يفضي اليها من المحرمات فان قلت كيف تشهد عليهم اعضاؤهم وكيف
تنطق قلت الله عز وجل ينطقها كما انطق الشجرة بان يخلق فيها كلاما
وقيل المراد بالجلود الجوارح وقيل هي كناية عن الفروج اراد بكل شيء
كل شيء من الحيوان كما اراده في قوله والله على كل شيء قدير كل شيء من
المقدورات والمعنى ان نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر
على انطاق كل حيوان وعلى خلقكم وانشائكم اول مرة وعلى اعادتكم ورجعكم الى
جزائه وانما قالوا لهم لم شهدتم علينا لما تعاظمهم من شهادتها وكبر عليهم
من الافتضاح على السنة جوارحهم وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم
سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون
والمعنى انكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما
كان استتاركم ذلك خيفة ان يشهد عليكم جوارحكم لانكم كنتم غير عالمين بشهادتها

عليكم

عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء اصلا ولكنكم انما استترتم
لظنكم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وهو الخفيات من اعمالكم وذلكم
ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين وذلكم الظن
هو الذي اهلككم وفي هذا تنبيه على ان من حق المؤمن ان لا يذهب عنه
ولا يزل عن ذهنه ان عليه من الله عينا كالئة ورقيبا مهيمنا حتى يكون في
اوقات خلواته من ربه اهيب واحسن احتشاما واوفر تحفظا و
تصونا منه مع الملأ ولا ينبسط في سره مراقبة من التشبه بهؤلاء
الظانين وقرئ ولكن زعمتم وذلكم رفع بالابتداء وظنكم وارداكم خبران
ويجوز ان يكون ظنكم بدلا من ذلكم وارداكم الخبر فان يصبروا فالنار
مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين فان يصبروا لم
ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء في النار وان يستعتبوا وان
يسألوا العتبى وهي الرجوع لهم الى ما يحبون جزعا مما هم فيه لم يعتبوا
لم يعطوا العتبى ولم يجابوا اليها ونحوه قوله عز وجل اجزعنا ام صبرنا
ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين
اي ان يسألوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون اي لا سبيل لهم الى ذلك
وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم وحق
عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم

انهم كانوا خائبين منه وقيضنا لهم وقدرنا لهم بمعنى مكنا لهم
يقال هذان ثوبان قيضان اذا كانا متكافئين والمقايضة المعاوضة قرناء
اخدانا من الشياطين جمع قرين كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن
نقيض له شيطانا فهو له قرين فان قلت كيف جاز ان يقيض لهم
القرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم قلت معناه
انه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء
سوى الشياطين والدليل عليه ومن يعش نقيض ما بين ايديهم
وما خلفهم ما تقدم من اعمالهم وما هم عازمون عليها او ما بين
ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امر العاقبة
وان لا بعث ولا حساب وحق عليهم القول يعني كلمة العذاب في امم
في جملة امم ومثل في هذه ما في قوله ان تك عن احسن الصنيعة مأفو كا
ففي آخرين قد افكوا يريد فانت في جملة آخرين وانت في عداد
آخرين لست في ذلك باوحد فان قلت في امم ما محله قلت محله النصب
على الحال من الضمير في عليهم اي حق عليهم القول كائنين في جملة
امم انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير
لهم وللامم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن
والغوا فيه لعلكم تغلبون قرئ والغوا فيه بفتح الغين وضمها

يقال



يقال لغى يلغى ولغا يلغو واللغو الساقط من الكلام الذي
لا طائل تحته قال من اللغا ورفث التكلم والمعنى لا تسمعوا له اذا
قرئ وتشاغلوا عند قراءته برفع الاصوات بالخرافات والهذيان
والزمل وما اشبه ذلك حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه و
تغلبوه على قراءته كانت قريش يوصي بذلك بعضهم بعضا ف
فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم اسوأ
الذي كانوا يعملون فلنذيقن الذين كفروا يجوز ان يريد
بالذين كفروا هؤلاء اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة
وان يذكر الذين كفروا عامة لينطووا تحت ذكرهم وقد ذكر نا
اضافة اسوأ بما اغنى عن اعادته وعن ابن عباس عذابا شديدا
يوم بدر واسوأ الذي كانوا يعملون في الآخرة ذلك جزاء
اعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا
يجحدون ذلك اشارة الى الاسوأ ويجب ان يكون التقدير اسوأ
جزاء الذي كانوا يعملون حتى تستقيم هذه الاشارة والنار عطف
بيان للجزاء او خبر مبتدأ محذوف فان قلت ما معنى قوله لهم
فيها دار الخلد قلت معناه ان النار في نفسها دار الخلد كقوله

لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة والمعنى أن رسول
الله أسوة حسنة وتقول لك في هذه الدار دار السرور وأنت
تعني الدار بعينها جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون أي جزاء بما
كانوا يلغون فيها فذكر الجحود الذي هو سبب اللغو وقال
الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس
نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين اللذين أضلانا
أي الشيطانين اللذين أضلانا من الإنس والجن لأن الشيطان
على ضربين جني وإنسي قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
شياطين الإنس والجن وقال الذي يوسوس في صدور الناس
من الجنة والناس وقيل هما إبليس وقابيل لأنهما سنا الكفر
والقتل بغير حق وقرئ أرنا بسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا
في فخذ فخذ وقيل معناه أعطنا اللذين أضلانا وحكوا عن الخليل
أنك إذا قلت أرني ثوبك بالكسر فالمعنى بصرنيه وإذا قلته
بالسكون فهو استعطاء معناه أعطني ثوبك ونظيره اشتهار الإيتاء
في معنى الإعطاء وأصله الإحضار إن الذين قالوا ربنا الله
ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا

وابشروا



وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ثم لتراخي الاستقامة عن الإقرار
في المرتبة وفضلها عليه لأن الاستقامة لها الشأن كله ونحوه قوله تعالى
إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا والمعنى ثم
ثبتوا على الإقرار ومقتضياته وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه استقاموا
فعلا كما استقاموا قولا وعنه أنه تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا
لم يذنبوا قال حملتم الأمر على أشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا إلى عبادة
الأوثان وعن عمر رضي الله عنه استقاموا على الطريقة لم يروغوا روغان
الثعالب وعن عثمان رضي الله عنه أخلصوا العمل وعن علي رضي الله عنه
أدوا الفرائض وقال سفيان بن عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله
أخبرني بأمر أعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال فقلت ما أخوف
ما تخاف علي فأخذ رسول الله ع م بلسان نفسه فقال هذا تتنزل عليهم
الملائكة عند الموت بالبشرى وقيل البشرى في ثلاثة مواطن عند الموت
وفي القبر وإذا قاموا من قبورهم أن لا تخافوا أن بمعنى أي أو مخففة
من الثقيلة وأصله بأنه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن وفي قراءة ابن
مسعود لا تخافوا أي يقولون لا تخافوا والخوف غم يلحق لتوقع
المكروه والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار
والمعنى أن الله كتب لكم الأمن من كل غم فلن تذوقوه أبدا وقيل

لا تخافوا مما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم ٥ نحن أولياؤكم
في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها
ما تدعون نزلا من غفور رحيم ٥ كما ان الشياطين قرناء العصاة
واخوانهم فكذلك الملائكة أولياء المتقين واحباؤهم في الدارين
تدعون تتمنون والنزل رزق النزيل وهو الضيف وانتصابه على
الحال ٥ ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني
من المسلمين ٥ ممن دعا الى الله عن ابن عباس رضي الله عنه هو
رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى الاسلام وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وجعل
الاسلام نحلة له وعنه انهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عايشة رضي
الله عنها ما كنا نشك ان هذه الآية نزلت في المؤذنين وهي عامة في
كل من جمع بين هذه الثلث ان يكون موحدا معتقدا لدين الاسلام
عاملا بالخير داعيا اليه وما هم الا طبقة العالمين العاملين من اهل
العدل والتوحيد الدعاة الى دين الله وقوله وقال انني من المسلمين
ليس الغرض انه تكلم بهذا الكلام ولكن جعل دين الاسلام مذ
هبه ومعتقده كما تقول هذا قول ابي حنيفة تريد مذهبه ٥
ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا
الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين





صبروا وما يلقيها الا ذو حظ عظيم ٥ يعني ان الحسنة والسيئة متفاوتتان
في انفسهما فخذ بالحسنة التي هي احسن من اختها اذا اعترضتك حسنتان فا
دفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض اعدائك ومثال ذلك رجل اساء
اليك اساءة فالحسنة ان تعفو عنه والتي هي احسن ان تحسن اليه مكان
اساءته اليك مثل ان يذمك فتمدحه ويقتل ولدك فتفتدي ولده من
يد عدوه فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي
الحميم مصافاة لك ثم قال وما يلقى هذه الخليقة او السجية التي هي
مقابلة الاساءة بالاحسان الا اهل الصبر والا رجل خير وفق لحظ
عظيم من الخير فان قلت فهلا قيل فادفع بالتي هي احسن قلت هو على
تقدير قائل قال فكيف اصنع فقيل ادفع بالتي هي احسن وقيل لا مزيدة
والمعنى ولا تستوي الحسنة والسيئة فان قلت فكان القياس على هذا
التفسير ان يقال ادفع بالتي هي حسنة قلت اجل ولكن وضع التي هي
احسن موضع الحسنة ليكون ابلغ في الدفع بالحسنة لان من دفع
بالحسنى هان عليه الدفع بما هو دونها وعن ابن عباس بالتي هي
احسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند
الاساءة وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن والله ما عظم حظ
دون الجنة وقيل نزلت في ابي سفيان بن حرب وكان عدوا مؤ

رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاد ولياً مصافياً «وإما ينزغنك من الشيطان نزغ
فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم» النزغ والنسغ بمعنى وهو
شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كأنه ينخسه يبعثه على ما لا
ينبغي وجعل النزغ نازغاً كما قيل جد جده أو أريد وإما ينزغنك
نازغ وصفاً للشيطان بالمصدر أو لتسويله والمعنى وإن صرفك الشيطان
عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن فاستعذ بالله من شره وامض
على شأنك ولا تطعه «ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا
تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم
إياه تعبدون» الضمير في خلقهن لليل والنهار والشمس والقمر لأن
حكم جماعة ما لا يعقل حكم الأنثى أو الإناث يقال الأقلام بريتها وبريتهن
أو لما قال ومن آياته كن في معنى الآيات فقيل خلقهن فإن كنتم
إياه تعبدون موضع السجدة عند الشافعي رحمه الله لأنه تعبدون وهو المروي عن
مسروق عن عبد الله لذكر لفظ السجدة قبلها وعند أبي حنيفة رحمه الله
يسأمون لأنها تمام المعنى وهي عن ابن عباس وابن عمر وسعيد بن
المسيب لعل ناساً منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين
في عبادتهم الكواكب ويزعمون أنهم يقصدون بالسجود لهما السجود
لله فنهوا عن هذه الواسطة وأمروا أن لا يقصدوا بسجودهم

وجه



وجه الله خالصاً إن كانوا إياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين
«فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم
لا يسأمون» فإن استكبروا عن امتثال ما أمروا به وأبوا إلا الواسطة
فدعهم وشأنهم فإن الله عز سلطانه لا يعدم عابداً ولا ساجداً با
الإخلاص وله العباد المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار عن الا
نداد وقوله عند ربك عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة وقرئ
لا يسأمون بكسر الياء «ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا
عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء
قدير» الخشوع التذلل والتقاصر فاستعير لحال الأرض إذا كانت
قحطة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود في قوله وترى الأرض هامدة وهو
خلاف وصفها بالاهتزاز والربو وهو الانتفاخ أي إذا أخصبت
وتزخرفت بالنبات كأنها بمنزلة المختال في زيه وهي قبل ذلك كالذليل
الكاسف البال في الأطمار الرثة وقرئ وربأت أي ارتفعت لأن
النبت إذا هم أن يظهر ارتفعت له الأرض «إن الذين يلحدون
في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم
القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير» يقال ألحد الحافر و
لحد إذا مال عن الاستقامة فحفر في شق فاستعير للانحراف في

في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة وقرئ يلحدون ويلحدون
على اللغتين وقوله لا يخفون علينا وعيد لهم على التحريف ٥ ان الذين
كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز ٥ فان قلت بم اتصل قوله
ان الذين كفروا بالذكر قلت هو بدل من قوله ان الذين يلحدون في
آياتنا والذكر القرآن لانهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تأويله وانه
لكتاب عزيز اي منيع محمي بحماية الله ٥ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه تنزيل من حكيم حميد ٥ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه مثل كأن الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات
حتى يصل اليه ويتعلق به فان قلت اما طعن فيه الطاعنون وتأوله
المبطلون قلت بلى ولكن الله قد تقدم في حمايته عن تعلق الباطل به بان
قيض قوما عارضوهم بابطال تأويلهم وافساد اقاويلهم فلم يخلوا طعن
طاعن الا ممحوقا ولا قول مبطل الا مضمحلا ونحوه قوله انا نحن نزلنا
الذكر وانا له لحافظون ٥ ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ان ربك
لذو مغفرة وذو عقاب اليم ٥ ما يقال لك اي ما يقول لك كفار قومك
الا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب
المنزلة ان ربك لذو مغفرة ورحمة لانبيائه ان يكون ما يقول لك الا مثل ما
قال للرسل من قبلك واعتقد هذا قوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب

اليم



اليم فمن حقه ان يرجوه اهل طاعته ويخافه اهل معصيته والغرض
تخويف العصاة ٥ ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته
ءاعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون
في آذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد ٥
كانوا لتعنتهم يقولون هلا نزل القرآن بلغة العجم فقيل لو كان كما يقترحون
لم يتركوا الاعتراض والتعنت وقالوا لولا فصلت آياته اي بينت و
لخصت بلسان نفقهه ءاعجمي وعربي الهمزة همزة الانكار يعني
انكروا وقالوا اقرآن اعجمي ورسوله عربي او مرسل اليه عربي وقرئ
اعجمي والاعجمي الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه من اي جنس كان و
العجمي منسوب الى امة العجم وفي قراءة الحسن اعجمي بغير همزة الاستفهام على
الاخبار بان القرآن اعجمي والمرسل او المرسل اليه عربي والمعنى ان آيات
الله على اي طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لانهم غير طالبين
للحق وانما يتبعون اهواءهم ويجوز في قراءة الحسن هلا فصلت
آياته تفصيلا فجعل بعضها بيانا للعجم وبعضها بيانا للعرب فان قلت
كيف يصح ان يراد بالعربي المرسل اليهم وهم امة العرب قلت هو على
ما يجب ان يقع في انكار المنكر لو رأى كتابا اعجميا كتب الى قوم من العرب
يقول كتاب اعجمي ومكتوب اليه عربي وذلك لان مبنى الانكار على تنافر حالتي

الكتاب والمكتوب اليه لا حالات المكتوب اليه واحدا او جماعة فوجب ان يجرد
لما سيق له من الغرض ولا يوصل به الى ما يخيل غرضا آخر الا ترى انك تقول
وقد رايت لباسا طويلا على امراة قصيرة اللباس طويل واللابس قصير و
لو قلت واللابسة قصيرة جئت بما هو لكنة وفضول قول لان الكلام لم
يقع في ذكورة اللابس وانوثته انما وقع في غرض وراءهما هو ان القرآن
هدى وشفاء ارشاد الى الحق وشفاء لما في الصدور من الظن والشك فان
قلت والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر منقطع عن ذكر القرآن فما وجه اتصاله
به قلت لا يخلو اما ان يكون الذين لا يؤمنون في موضع الجر معطوفا على قوله
للذين آمنوا على معنى قولك هو للذين آمنوا هدى وشفاء وهو للذين
لا يؤمنون في آذانهم وقر الا ان فيه عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه
واما ان يكون مرفوعا على تقدير والذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقر على
حذف المبتدا او في آذانهم منه وقر وقرئ وهو عليهم عم وعمي كقوله
فعميت عليهم ينادون من مكان بعيد يعني انهم لا يقبلونه ولا يرعونه اسماعهم
مثلهم في ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاطة لا يسمع من مثلها الصوت
فلا يسمع النداء ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة
سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب فاختلف فيه
فقال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل والكلمة السابقة هي العدة

بالقيامة



بالقيامة وان الخصومات تفصل في ذلك اليوم ولولا ذلك لقضي بينهم في الدنيا
قال الله تعالى بل الساعة موعدهم ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى من عمل صالحا
فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد فلنفسه نفع
فعليها فنفسه ضر وما ربك بظلام فيعذب غير المسيء اليه يرد علم الساعة
وما تخرج من ثمرة من اكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه و
يوم يناديهم اين شركائي قالوا آذناك ما منا من شهيد وضل عنهم ما
كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص اليه يرد علم الساعة
اي اذا سئل عنها قيل الله يعلم او لا يعلمها الا الله وقرئ من ثمرات من
اكمامهن والكم بكسر الكاف وعاء الثمرة كجف الطلعة اي ما يحدث
شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع الا وهو عالم
به يعلم عدد ايام الحمل وساعاته واحواله من الخداج والتمام والذكورة
والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك اين شركائي اضافهم اليه على
زعمهم وبيانه في قوله اين شركائي الذين كنتم تزعمون وفيه تهكم وتقريع
آذناك اعلمناك ما منا من شهيد ما منا احد اليوم وقد ابصرنا
وسمعنا يشهد بانهم شركاؤك اي ما منا الا من هو موحد لك او
ما منا من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا
يبصرونها في ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء اي ما منا من شهيد

بشهيد بما اضافوا الينا من الشركة ومعنى ضلالهم عنهم على هذا التفسير
انهم لا ينفعونهم فكانهم ضلوا عنهم وظنوا وايقنوا والمحيص المهرب
فان قلت آذناك اخبار بايذان كان منهم فاذا قد آذنوا فلم سئلوا قلت
يجوز ان يعاد عليهم اين شركائي اعادة للتوبيخ واعادته في القرآن
على سبيل الحكاية دليل على اعادة المحكي ويجوز ان يكون المعنى
انك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه
اذا علمه من نفوسهم فكانهم اعلموه ويجوز ان يكون انشاء للايذان
ولا يكون اخبارا بايذان قد كان كما تقول اعلم الملك انه كان من الامر
كيت وكيت مما لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط
ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما اظن
الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى فلننبئن
الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ من دعاء
الخير من طلب السعة في المال والنعمة وقرا ابن مسعود من دعاء
بالخير وان مسه الشر الضيقة والفقر فيؤس قنوط بولغ فيه
من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير والقنوط ان يظهر
عليه اثر اليأس فيتضاءل وينكسر اي يقطع الرجاء من فضل الله
وروحه وهذه صفة الكافر بدليل قوله تعالى انه لا ييأس من روح

الله

الله الا القوم الكافرون واذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض او سعة
بعد ضيق قال هذا لي اي هذا حقي وصل الي لاني استوجبته بما عندي
من خير وفضل واعمال بر او هذا لي لا يزول عني ونحوه قوله تعالى فاذا
جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه ونحو قوله تعالى وما اظن الساعة قائمة
ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين يريد وما اظنها تكون فان كانت
على طريق التوهم ان لي عند الله الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة
قايسا امر الآخرة على امر الدنيا وعن بعضهم للكافر امنيتان يقول
في الدنيا ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ويقول في الآخرة
يا ليتني كنت ترابا وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة فلنخبرنهم
بحقيقة ما عملوا من الاعمال الموجبة للعذاب ولنبصرنهم عكس
ما اعتقدوا فيها انهم يستوجبون عليها كرامة وقربة عند الله
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وذلك انهم كانوا
ينفقون اموالهم رياء الناس وطلبا للافتخار والاستكبار لا غير
وكانوا يحسبون ان ما هم عليه سبب الغنى والصحة وانهم
محقوقون بذلك واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه
واذا مسه الشر فذو دعاء عريض هذا ايضا ضرب آخر من
طغيان الانسان اذا اصابه الله بنعمة ابطرته النعمة وكأنه لم يلق بؤسا

يؤسا قنطا فنسي المنعم واعرض عن شكره ونأى بجانبه اي ذهب
بنفسه وتكبر وتعظم وان مسه الشر والفقر اقبل على دوام الدعاء و
اخذ في الابتهال والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه
وهو من صفة الاجرام ويستعار له الطول ايضا كما استعير الغلظ
لشدة العذاب وقرئ ونأى بجانبه بامالة الالف وكسر النون للاتباع
وناء على القلب كما قالوا راء في رأى فان قلت حقق لي معنى قوله
ونأى بجانبه قلت فيه وجهان ان يوضع جانبه موضع نفسه كما ذكرنا
في قوله على ما فرطت في جنب الله ان مكان الشيء وجهته ينزل منزلة
الشيء نفسه ومنه قوله ونفيت عنه مقام الذئب ونفيت عنه الذئب
ومنه ولمن خاف مقام ربه ومنه قول الكتاب حضرة فلان ومجلسه و
كتبت الى جهته والى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكانه قال ونأى
بنفسه كقولهم في المتكبر ذهب بنفسه وذهبت به الخيلاء كل مذهب
وعصفت به الخيلاء والثاني ان يراد بجانبه عطفه ويكون عبارة عن الانحراف
والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه قل ارايتم ان كان من عند
الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد ارايتم اخبروني ان
كان القرآن من عند الله يعني ان ما انتم عليه من انكار القرآن وتكذيبه ليس
بامر صادر عن حجة قاطعة حصلتم منها على اليقين وثلج الصدور وانما

هو



[illegible]

هو قبل النظر واتباع الدليل امر محتمل يجوز ان يكون من عند الله
وان لا يكون من عنده وانتم لم تنظروا ولم تفحصوا فما انكرتم ان يكون
حقا وقد كفرتم به فاخبروني من اضل منكم ان يكون وانتم ابعدتم الشوط
في مشاقته ومناقضته ولعله حق فاهلكتم انفسكم وقوله ممن هو في شقاق
بعيد موضوع منكم بيانا لحالهم وصفتهم سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم
حتى يتبين لهم انه الحق او لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد سنريهم اياتنا في
الافاق وفي انفسهم يعني ما يسر الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء من
بعده وانصار دينه في افاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموما وفي
باحة العرب خصوصا من الفتوح التي لم تتيسر امثالها لاحد من خلفاء
الارض قبلهم من الاظهار على الجبابرة والاكاسرة وتغليب قليلهم على
كثيرهم وتسليط ضعافهم على اقويائهم واجرائه على ايديهم امورا
خارجة من المعهود خارقة للعادات ونشر دعوة الاسلام في اقطار
المعمورة وبسط دولته في اقاصيها والاستقراء يطلعك في التواريخ والكتب
المدونة في مشاهد اهله وايامهم على عجائب لا ترى وقعة من وقائعهم
الا علما من اعلام الله واية من اياته يقوى معها اليقين ويزداد بها
الايمان ويتبين ان دين الاسلام هو دين الحق الذي لا يحيد عنه
الا مكابر حسه مغالط نفسه وما الثبات والاستقامة الا صفة
الحق

والصدق فيها أن الاضطراب والتزلزل صفة الفرية والتمويه وأن
للباطل ريحا تخفق ثم تسكن ودولة تظهر ثم تضمحل أو لم يكف بربك في موضع
الرفع على أنه فاعل كفى وأنه على كل شيء شهيد بدل منه تقديره أو لم
يكفهم أن ربك على كل شيء شهيد ومعناه أن هذا الموعود من إظهار
آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند
ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد أي
مطلع مهيمن يستوي عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا
على أنه حق وأنه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة وعلا
شوامخ هذه النصرة ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل
شيء محيط وقرئ في مرية بالضم وهي الشك محيط عالم بجمل الأ
شياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا يخفى عليه خافية منهم
وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم في لقاء ربهم عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة أعطاه الله بكل
حرف عشر حسنات بسم الله الرحمن الرحيم
حم عسق كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ٥
قرأ ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما حم سق كذلك يوحي إليك أي
مثل ذلك الوحي أو مثل ذلك الكتاب يوحي إليك وإلى الرسل من قبلك الله يعني

انما



إن ما تضمنته هذه السورة من المعاني قد أوحى الله إليك مثله في غيرها
من السور وأوحاه من قبلك إلى رسله على معنى أن الله تعالى كرر هذه المعاني
في القرآن وفي جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف
العظيم لعباده من الأولين والآخرين ولم يقل أوحى إليك ولكن على
لفظ المضارع ليدل على أن إيحاء مثله عادته وقرئ يوحى إليك على
البناء للمفعول فإن قلت فما رافع اسم الله على هذه القراءة قلت ما دل
عليه يوحى كأن قائلا قال من الموحي فقيل الله كقراءة السلمي وكذلك
زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم على البناء للمفعول ورفع
شركاؤهم على إضمار زينه لهم شركاؤهم فإن قلت فما رافعه فيمن
قرأ نوحي بالنون قلت يرتفع بالابتداء والعزيز وما بعده
أخبار أو العزيز الحكيم صفتان والظرف خبر له ما في السموات
وما في الأرض وهو العلي العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن
والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله
هو الغفور الرحيم ٥ قرئ تكاد بالتاء والياء وينفطرن ويتفطرن
وروى يونس عن أبي عمرو قراءة غريبة يتفطرن بتاءين مع النون
ونظيرها حرف نادر روي في نوادر ابن الأعرابي الإبل تتشمس ومعناه
يكدن ينفطرن من علو شأن الله وعظمته يدل عليه مجيئه بعد العلي
العظيم

ن

وقيل من دعائهم له ولداً كقوله تكاد السموات يتفطرن منه فان قلت لم
قال من فوقهن قلت لان اعظم الايات وادلها على الجلال والعظمة
فوق السموات وهي العرش والكرسي وصفوف الملائكة المرتجة
بالتسبيح والتقديس حول العرش وما لا يعلم كنهه الا الله من آثار
ملكوته العظمى فلذلك قال يتفطرن من فوقهن اي يبتدئ الانفطار
من جهتهن الفوقانية او لان لكلمة الكفر جاءت من الذين تحت السموات
فكان القياس ان يقال يتفطرن من تحتهن من الجهة التي منها جاءت الكلمة
ولكنه بولغ في ذلك فجعلت مؤثرة في جهة الفوق كانه قيل يكدن يتفطرن
من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن ونظيره في المبالغة قوله
عز وعلا يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم
فجعل الحميم مؤثرا في اجزائهم الباطنة وقيل من فوقهن من فوق الا
رضين فان قلت كيف صح ان يستغفروا لمن في الارض وفيهم الكفار
اعداء الله وقد قال الله تعالى اولئك عليهم لعنة الله والملائكة فكيف
يكونون لاعنين مستغفرين لهم قلت قوله لمن في الارض يدل على
جنس اهل الارض وهذه الجنسية قائمة في كلهم وفي بعضهم
فيجوز ان يراد به هذا وهذا وقد دل الدليل على ان الملائكة لا
تستغفر الا لاولياء الله وهم المؤمنون فما اراد الله الا اياهم

الا ترى



الا ترى الى قوله في سورة المؤمن ويستغفرون للذين آمنوا وحكايته
عنهم فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك كيف وصفوا المستغفر لهم
بما يستوجب الاستغفار فما تركوا للذين لم يتوبوا من المصدقين
طمعا في استغفارهم فكيف للكفرة ويحتمل ان يقصدوا بالاستغفار طلب
الحلم والغفران في قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا الى
ان قال انه كان حليما غفورا وقوله ان ربك لذو مغفرة للناس على
ظلمهم والمراد الحلم عنهم وان لا يعاجلهم بالانتقام فيكون عاما فان قلت
قد فسرت قوله تكاد السموات يتفطرن بتفسيرين فما وجه طباق
ما بعده لهما قلت اما على احدهما فكانه قيل تكاد السموات يتفطرن
هيبة من جلاله واحتشاما من كبريائه والملائكة الذين هم ملء
السبع الطباق وحافون حول العرش صفوفا بعد صفوف يداو
مون خضوعا لعظمته على عبادته وتسبيحه وتحميده ويستغفرون
لمن في الارض خوفا عليهم من سطواته واما على الثاني فكانه قيل يكدن
يتفطرن من اقدام اهل الشرك على تلك الكلمة الشنعاء والملائكة
يوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات التي يضيفها
اليه الجاهلون يحامدون له على ما اولاهم من الطافه التي علم انهم
عندها يستعصمون مختارين غير ملجئين ويستغفرون لمؤمني
اهل الارض الذين تبرؤوا من تلك الكلمة ومن اهلها او يطلبون الى ربهم
ان يحلم عن اهل الارض ولا يعاجلهم بالعقاب مع وجود ذلك فيهم لما

عرفوا في ذلك من المقاصد وحرصا على نجاة الخلق وطمعا في توبة الكفار
والفساق منهم ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم
وما أنت عليهم بوكيل﴾ ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ جعلوا
له شركاء وأندادا ﴿الله حفيظ عليهم﴾ رقيب على أحوالهم وأعمالهم
لا يفوته منها شيء وهو يحاسبهم عليها ويعاقبهم لا رقيب عليهم إلا هو
وحده ﴿وما أنت﴾ يا محمد ﴿عليهم بوكيل﴾ ولا تفوض إليك أمرهم ولا
قسرهم على الإيمان إنما أنت منذر ﴿وكذلك أوحينا
إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم
الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير﴾ ومثل ذلك
﴿أوحينا إليك﴾ وذلك إشارة إلى معنى الآية قبلها من أن الله هو الرقيب
عليهم وما أنت برقيب عليهم ولكن نذير لهم لأن هذا المعنى
كرره الله في كتابه في مواضع جمة والكاف مفعول به لأوحينا وقرآنا
عربيا حال من المفعول به أي أوحيناه إليك وهو قرآن عربي بين لا لبس
فيه عليك لتفهم ما يقال لك ولا تتجاوز حد الإنذار ويجوز أن يكون
ذلك إشارة إلى مصدر أوحينا أي ومثل ذلك الإيحاء البين المفهم أوحينا
إليك قرآنا عربيا بلسانك ﴿لتنذر﴾ يقال أنذرته كذا وأنذرته بكذا وقد
قد حذف الأول أعني لتنذر أم القرى إلى المفعول الثاني أي أم القرى
أهلها أم القرى كقوله ﴿واسئل القرية﴾ ومن حولها من العرب وقرئ
لينذر بالياء والفعل للقرآن يوم الجمع يوم القيمة لأن الخلائق
يجمع



يجمع فيه قال الله تعالى ﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع﴾ وقيل يجمع بين الأرواح
والأجساد وقيل يجمع بين كل عامل وعمله ﴿لا ريب فيه﴾ اعتراض لا محل
له ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾ بالرفع والنصب فالرفع على منهم فريق
ومنهم فريق والضمير للمجموعين لأن المعنى يوم جمع الخلائق
والنصب على الحال منهم أي متفرقين كقوله ﴿ويوم تقوم الساعة
يومئذ يتفرقون﴾ فإن قلت كيف يكونون مجموعين متفرقين في حالة
واحدة قلت هم مجموعون في ذلك اليوم مع افتراقهم في داري البؤس
والنعيم كما يجتمع الناس يوم الجمعة متفرقين في مسجدين وإن
أريد بالجمع جمعهم في الموقف فالتفرق على معنى مشارفتهم للتفرق
﴿ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته
والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير﴾ ﴿لجعلهم أمة واحدة﴾ أي مؤ
منين كلهم على القسر والإكراه كقوله ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾
وقوله ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا﴾ والدليل
على أن المعنى هو الإلجاء إلى الإيمان قوله ﴿أفأنت تكره الناس
حتى يكونوا مؤمنين﴾ وقوله ﴿أفأنت تكره﴾ بإدخال همزة الإنكار على
المكره دون فعله دليل على أن الله وحده هو القادر على هذا الإكراه
دون غيره والمعنى ولو شاء ربك مشيئة قدرة لقسرهم جميعا على
الإيمان ولكنه شاء مشيئة حكمة فكلفهم وبنى أمرهم على ما يختارون ليدخل

ادخل

المؤمنين في رحمته وهم المراد بمن يشاء الا ترى الى وصفهم في مقابلة
الظالمين ويترك الظالمين بغير ولي ولا نصير في عذابه ﴿ام اتخذوا
من دونه اولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء
قدير﴾ معنى الهمزة في ام الانكار فالله هو الولي هو الذي يجب ان
يتولى وحده ويعتقد انه المولى والسيد والفاء في قوله فالله هو الولي
جواب شرط مقدر كانه قيل بعد انكار كل ولي سواه ان ارادوا اولياء بحق
فالله هو الولي بالحق لا ولي سواه وهو يحيي الموتى اي ومن شان هذا الولي
انه يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير فهو الحقيق بان يتخذ وليا دون
من لا يقدر على شيء ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله
ربي عليه توكلت واليه انيب﴾ وما اختلفتم فيه من شيء حكاية قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين اي ما خالفكم فيه الكفار من اهل الكتاب والمشركين
فاختلفتم انتم وهم فيه من امر من امور الدين فحكم ذلك المختلف فيه
مفوض الى الله وهو اثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين
ذلكم الحاكم بينكم هو الله ربي عليه توكلت في رد كيد اعداء الدين واليه
ارجع في كفاية شرهم وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شيء من
الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله ولا تؤثروا على حكومته حكومة
غيره كقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وقيل
وما اختلفتم فيه من تاويل آية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه الى









المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله وقيل وما وقع بينكم الخلاف
فيه من العلوم التي لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله
اعلم كمعرفة الروح قال الله تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي
فان قلت هل يجوز حمله على اختلاف المجتهدين في احكام الشريعة قلت
لا لان الاجتهاد لا يجوز بحضرة الرسول ﴿فاطر السموات والارض
جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه ليس
كمثله شيء وهو السميع البصير له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر انه بكل شيء عليم﴾ فاطر السموات والارض قرئ
بالرفع والجر فالرفع على انه احد اخبار ذلكم او خبر مبتدأ محذوف
والجر على فحكمه الى الله فاطر السموات وذلكم الى انيب اعتراض بين الصفة
والموصوف جعل لكم من انفسكم من جنسكم من الناس ازواجا ومن الا
نعام ازواجا وخلق من الانعام ازواجا ومعناه وخلق للانعام
ايضا من انفسها ازواجا يذرؤكم يكثركم يقال ذرأ الله الخلق بثهم و
كثرهم والذر والذرو والذرء اخوات فيه في هذا التدبير وهو
ان جعل للناس والانعام ازواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم
التوالد والتناسل والضمير في يذرؤكم يرجع الى المخاطبين والانعام
مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل وهي من الاحكام
ذات العلتين فان قلت ما معنى يذرؤكم في هذا التدبير وهلا قيل يذ
رؤكم به قلت جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير الا

الأنواع تتعدد للحيوان في الأزواج تكثير كما قال الله تعالى ولكم في القصاص
حياة قالوا مثلك لا يبخل فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن
ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية لأنهم إذا نفوه عمن
يسد مسده وعمن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه ونظيره قولك
للعربي العرب لا تخفر الذمم أبلغ من قولك أنت لا تخفر ومنه قولهم
قد أيفعت لداته وبلغت أترابه يريدون إيفاعه وبلوغه وفي حديث
رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب ألا وفيهم الطيب الطاهر لداته
والقصد إلى طهارته وطيبه فإذا علم أنه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله
ليس كالله شيء وبين قوله ليس كمثله شيء إلا ما تعطيه الكناية من فائدتها وكأنهما
عبارتان معتقبتان على معنى واحد وهو نفي المماثلة عن ذاته ونحوه
قوله عز وجل بل يداه مبسوطتان فإن معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا
بسط لها لأنها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون شيئا آخر حتى إنهم
استعملوها فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له
ولك أن تزعم أن كلمة التشبيه كررت للتأكيد كما كررها من قال وصاليات
ككما يؤثفين ومن قال فأصبحت مثل كعصف مأكول وقوله ويقدر
إنه بكل شيء عليم فإذا علم أن الغنى خير للعبد أغناه وإلا أفقره. شرع لكم من
الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى
وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه
الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب. شرع لكم من الدين دين نوح

ومحمد





ومحمد ومن بينهما من الأنبياء ثم فسر المشروع الذي اشترك هؤلاء
الأعلام من رسله فيه بقوله أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه والمراد
إقامة دين الإسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والإيمان برسله وكتبه
وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل بإقامته مسلما ولم يرد الشرائع
التي هي مصالح الأمم على حسب أحوالها فإنها مختلفة متفاوتة قال الله
تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل أن أقيموا إما نصب بدل من
مفعول شرع والمعطوفين عليه وإما رفع على الاستئناف كأنه قيل وما
ذلك المشروع فقيل هو إقامة الدين ونحوه قوله تعالى إن هذه أمتكم أمة
واحدة. كبر على المشركين عظم عليهم وشق عليهم ما تدعوهم إليه من إقامة
دين الله والتوحيد يجتبي إليه يجتلب إليه ويجمع والضمير للدين بالتوفيق
والتسديد إليه من يشاء من ينفع فيهم توفيقه ويجري عليهم
لطفه. وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا
كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم وإن الذين أورثوا
الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب. وما تفرق أهل الكتاب بعد
أنبيائهم إلا من بعد أن علموا أن الفرقة ضلال وفساد وأمر متوعد عليه
على ألسنة الأنبياء ولولا كلمة سبقت من ربك وهي عدة التأخير إلى يوم
القيامة
لقضي بينهم حين افترقوا لعظم ما اقترفوا وإن الذين أورثوا
الكتاب من بعدهم وهم أهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول
الله لفي شك من كتابهم لا يؤمنون به حق الإيمان وقيل كان الناس أمة

واحدة سوية بعد ان اهلك الله اهل الارض اجمعين بالطوفان فلما
مات الاباء اختلف الابناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله اليهم النبيين مبشر
ين ومنذرين وجاءهم العلم وانما اختلفوا للبغي بينهم وقيل وما تفرق
اهل الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث رسول الله كقوله وما تفرق
الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وان الذين اورثوا
الكتاب من بعدهم هم المشركون اورثوا القرآن من بعد ما اورث اهل
الكتابين التورية والانجيل وقرئ ورثوا وورثوه فلذلك فادع و
استقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم وقل آمنت بما انزل الله من كتاب
وامرت لاعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله
يجمع بيننا واليه المصير فلذلك فلاجل ذلك التفرق ولما حدث
بسببه من تشعب الكفر شعبا فادع الى الاتفاق والائتلاف على الملة
الحنيفية القديمة واستقم عليها وعلى الدعوة اليها كما امرك الله ولا تتبع
اهواءهم المختلفة الباطلة بما انزل الله من كتاب باي كتاب صح ان الله انزله
يعني الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين آمنوا ببعض وكفروا ببعض
كقوله نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى قوله اولئك هم الكافرون حقا
لاعدل بينكم في الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الي لا حجة بيننا وبينكم اي لا خصومة
لان الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة الى المحاجة ومعناه لا
ايراد حجة بيننا لان المتحاجين يورد هذا حجته وهذا حجته الله
يجمع بيننا يوم القيمة فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم وهذه محاجزة





ومتاركة بعد ظهور الحق وقيام الحجة والالزام فان قلت
كيف حاجزهم وقد فعل بهم بعد ذلك ما فعل من القتل وتخريب
البيوت وقطع النخيل والاجلاء قلت المراد محاجزتهم في مواقف
المقاولة لا في مواقف المقاتلة والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب
له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد
يحاجون في الله يخاصمون في دينه من بعد ما استجاب له الناس و
دخلوا في الاسلام ليردوهم الى دين الجاهلية كقوله ود كثير من
اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا كان اليهود والنصا
رى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم
واولى بالحق وقيل من بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر واظهر
دين الاسلام داحضة باطلة زائلة الله الذي انزل الكتاب
بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب انزل الكتاب
اي جنس الكتاب والميزان والعدل والتسوية ومعنى انزال العدل
انه انزله في كتبه المنزلة وقيل الذي يوزن به بالحق ملتبسا بالحق
مقترنا به بعيدا من الباطل او بالغرض الصحيح كما اقتضته الحكمة
او بالواجب من التحليل والتحريم وغير ذلك الساعة في تأويل
البعث فلذلك قيل قريب او لعل مجيء الساعة قريب فان قلت

كيف يقترن ذكر اقتراب الساعة مع انزال الكتاب والميزان ان ذلك لان
الساعة يوم الحساب ووضع الموازين للقسط فكانه قيل امركم الله
بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع قبل ان يفاجئكم اليوم الذي
يحاسبكم فيه ويزن اعمالكم ويوفي لمن اوفى ويطفف لمن طفف
يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون
منها ويعلمون انها الحق الا ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال
بعيد المماراة الملاجة لان كل واحد منهما يمري ما عند صاحبه
لفي ضلال بعيد من الحق لان قيام الساعة غير مستبعد من قدرة
الله ولدلالة الكتاب المعجز على انها آتية لا ريب فيها ولشهادة العقول
على انه لا بد من دار جزاء الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي
العزيز لطيف بعباده بر بليغ البر بهم قد توصل بره الى
جميعهم وتوصل من كل واحد منهم الى حيث لا يبلغه وهم احد من كلياته
وجزئياته فان قلت فما معنى قوله يرزق من يشاء بعد توصل بره الى
جميعهم قلت كلهم مبرورون لا يخلو احد من بره الا ان البر اصناف وله
اوصاف والقسمة بين العباد تتفاوت على حسب تفاوت قضايا الحكمة
والتدبير فيطير لبعض العباد صنف من البر لم يطر مثله لآخر ويصيب
هذا حظ له وصف ليس ذلك الوصف لحظ صاحبه فمن قسم له منهن ما





مالا يقسم للآخر فقد رزقه وهو الذي اراد بقوله يرزق من
يشاء كما يرزق احد الاخوين ولدا دون الآخر على انه اصابه
بنعمة اخرى لم يرزقها صاحب الولد وهو القوي الباهر القدرة
الغالب على كل شيء العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان يريد
حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته
منها وما له في الآخرة من نصيب سمى ما يعمله العامل مما يبتغي
به الفائدة والزكاء حرثا على المجاز وفرق بين عملي العاملين بان
من عمل للآخرة وفق في عمله وضوعفت حسناته ومن كان عمله للدنيا
اعطي شيئا منها لا ما يريده ويبتغيه وهو رزقه الذي قسم له و
فرغ منه وما له نصيب قط في الآخرة ولم يذكر في معنى عامل الآخرة
وله في الدنيا نصيب على ان رزقه المقسوم له واصل اليه لا محالة
للاستهانة بذلك الى جنب ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه في
المآب ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله
ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وان الظالمين لهم عذاب اليم
معنى الهمزة في ام التقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم
الذين زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم لا
يعلمون غيرها وهو الدين الذي شرعت لهم الشياطين وتعالى الله

عن الاذن فيه والامر به وقيل شركاؤهم اوثانهم وانما اضيفت
اليهم لانهم متخذوها وجعلت شارعة لدين الكفر كما قال ابراهيم عليه السلام
انهن اضللن كثيرا ولولا كلمة الفصل اى القضاء السابق بتاجيل الجزاء
او ولولا العدة بان الفصل يكون يوم القيمة لقضى بينهم اى بين الكافرين
والمؤمنين او بين المشركين وشركائهم وقرا مسلم بن جندب وان
الظالمين بالفتح عطفا له على كلمة الفصل يعنى ولولا كلمة الفصل و
تقدير تعذيب الظالمين فى الآخرة لقضى بينهم فى الدنيا ؛ ترى
الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين
آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم
ذلك هو الفضل الكبير ؛ ترى الظالمين فى الآخرة مشفقين خائفين خوفا
شديدا ارق قلوبهم مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم يريد
ووباله واقع بهم وواصل اليهم لا بد لهم منه اشفقوا او لم يشفقوا
كان روضة جنة المؤمن اطيب بقعة فيها وانزهها عند ربهم منصوب
بالظرف لا بيشاؤن ؛ ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا و
عملوا قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة فى القربى ومن يقترف
حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور ؛ قرئ يبشر من
بشره ويبشر من ابشره والاصل ذلك الثواب الذى

يبشر



يبشر الله به عباده فحذف الجار كقوله واختار موسى قومه
ثم حذف الراجع الى الموصول كقوله اهذا الذى بعث الله
رسولا او ذلك التبشير الذى يبشره الله عباده وروى انه اجتمع المشركون
فى مجمع لهم فقال بعضهم لبعض اترون ان محمدا يسأل على ما يتعاطاه
اجرا فنزلت الآية الا المودة فى القربى يجوز ان يكون استثناء
متصلا اى لا اسألكم اجرا الا هذا وهو ان تودوا اهل قرابتى
ولم يكن هذا اجرا فى الحقيقة لان قرابته قرابتهم فكانت صلتهم
لازمة لهم فى المروءة ويجوز ان يكون منقطعا اى لا اسألكم اجرا قط
ولكنى اسألكم ان تودوا قرابتى الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم فان قلت
هلا قيل الا مودة القربى او الا المودة للقربى وما معنى قوله الا المودة
فى القربى قلت جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لى فى آل فلان مو
دة ولى فيهم هوى وحب شديد تريد احبهم وهم مكان حبى ومحله
وليست فى بصلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى انما هى متعلقة
بمحذوف تعلق الظرف به فى قولك المال فى الكيس وتقديره الا المودة ثابتة
فى القربى ومتمكنة فيها والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة
والمراد فى اهل القربى وروى انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك
هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال على وفاطمة وابناهما ويدل

عليه ما روي عن علي رضي الله عنه شكوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسد الناس
لي فقال اما ترضى ان تكون رابع اربعة اول من يدخل الجنة انا وانت و
الحسن والحسين وازواجنا عن ايماننا وشمائلنا وذريتنا خلف ازوا جنا
وعن النبي عم حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتي وآذاني في عترتي
ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه
عليها فانا اجازيه عليها غدا اذا لقيني يوم القيمة وروي ان الانصار
قالوا فعلنا وفعلنا كانهم افتخروا فقال عباس او ابن عباس لنا الفضل
عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلعم فاتاهم في مجالسهم فقال يا معشر الا
نصار الم تكونوا اذلة فاعزكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال الم تكونوا
ضلالا فهداكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال افلا تجيبونني قالوا
ما نقول يا رسول الله قال الا تقولون الم يخرجك قومك فآويناك او لم
يكذبوك فصدقناك او لم يخذلوك فنصرناك قال فما زال يقولها حتى
جثوا على الركب وقالوا اموالنا وما في ايدينا لله ولرسوله فنزلت
الآية وقال رسول الله صلعم من مات على حب آل محمد مات شهيدا الا و
من مات على حب آل محمد مات مغفورا له الا ومن مات على حب آل محمد
مات تائبا الا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الايمان
الا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير

الا ومن



الا ومن مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت
زوجها الا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان الى الجنة الا ومن مات
على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة الا ومن مات على حب
آل محمد مات على السنة والجماعة الا ومن مات على بغض آل محمد جاء
يوم القيمة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله الا ومن مات على
بغض آل محمد مات كافرا الا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة
الجنة وقيل لم يكن بطن من بطون قريش الا وبين رسول الله وبينهم قربى
فلما كذبوه وابوا ان يبايعوه نزلت والمعنى الا ان تودوني في القربى
اي في حق القربى ومن اجلها كما تقول الحب في الله والبغض في الله
بمعنى في حقه ومن اجله يعني انكم قومي واحق من اجابني واطاعني
فاذ قد ابيتم ذلك فاحفظوا حق القربى ولا تؤذوني ولا تهيجوا
علي وقيل اتت الانصار رسول الله صلعم بمال جمعوه وقالوا يا رسول
قد هدانا الله بك وانت ابن اختنا وتعروك نوائب وحقوق وما لك سعة
فاستعن بهذا على ما ينوبك فنزلت ورده وقيل القربى التقرب الى الله الا ان
تحبوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة في
القربى ومن يقترف حسنة عن السدي انها المودة في آل رسول الله
نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه ومودته فيهم والظاهر العموم

في اي حسنة كانت الا انها لما ذكرت عقيب ذكر المودة في القربى دل ذ
على انها تناولت المودة تناولا اوليا كأن سائر الحسنات لها توابع و
قرئ يزد اي يزد الله وزيادة حسنها من جهة الله مضاعفتها كقوله من
ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وقرئ حسنى
وهو مصدر كالبشرى الشكور في صفة الله مجاز للاعتداد بالطاعة وتو
فية ثوابها والتفضل على المثاب ام يقولون افترى على الله كذبا
فان يشإ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه
عليم بذات الصدور ام منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كأنه
قيل أيتمالكون ان ينسبوا مثله الى الافتراء ثم الى الافتراء على الله الذي هو
اعظم الفرى وافحشها فان يشإ الله يختم على قلبك فان يشإ الله
يجعلك من المختوم على قلوبهم حتى يفتري عليه الكذب فانه لا يجترئ
على افتراء الكذب على الله الا من كان في مثل حالهم وهذا الاسلوب مؤداه
استبعاد الافتراء من مثله وانه في البعد مثل الشرك بالله والدخول
في جملة المختوم على قلوبهم ومثال هذا ان يخون بعض الامناء
فيقول لعل الله خذلني لعل الله اعمى قلبي وهو لا يريد اثبات الخذ
لان وعمى القلب وانما يريد استبعاد ان يخون مثله والتنبيه على
انه ركب من تخوينه امرا عظيما ثم قال ومن عادته الله ان يمحو
يمحو





الباطل ويثبت الحق بكلماته بوحيه او بقضائه كقوله بل نقذف بالحق
على الباطل فيدمغه يعني لو كان مفتريا كما يزعمون لكشف الله افتراءه ومحقه
وقذف بالحق على باطله فدمغه ويجوز ان يكون عدة لرسول الله بانه يمحو الباطل
الذي هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذي انت عليه
بالقرآن وبقضائه الذي لا مرد له من نصرتك عليهم ان الله عليم بما في
صدرك وصدورهم فيجري الامر على حسب ذلك وعن قتادة يختم
على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحي يعني لو افترى على الله
الكذب لفعل به ذلك وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا
يشق عليك اذاهم فان قلت ان كان قوله ويمح الله الباطل كلاما مبتدأ
غير معطوف على يختم فما بال الواو ساقطة في الخط قلت كما سقطت في
قوله تعالى ويدع الانسان بالشر وقوله سندع الزبانية على انها
مثبتة في بعض المصاحف وهو الذي يقبل التوبة عن عباده
ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون يقال قبلت منه الشيء
وقبلته عنه فمعنى قبلته منه اخذته منه وجعلته مبدأ قبولي و
منشأه ومعنى قبلته عنه عزلته عنه وابنته عنه والتوبة ان يرجع
عن القبيح والاخلال بالواجب بالندم عليهما والعزم على ان
لا يعاود لان المرجوع عنه قبيح واخلال بالواجب وان كان فيه
لعبد حق لم يكن بد من التفصي على طريقه وروى جابر ان ا
عرابيا

دخل مسجد رسول ﷺ فقال اللهم اني استغفرك واتوب اليك وكبر
فلما فرغ من صلوته قال علي رضي الله عنه يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار
توبة الكذابين وتوبتك تحتاج الى التوبة فقال يا امير المؤمنين وما
التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة و
لتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة
كما ربيتها في المعصية واذاقة النفس مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة
المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفوا عن السيئات عن الكبائر
اذا تيب عنها وعن الصغائر اذا اجتنبت الكبائر ويعلم ما تفعلون قرئ
بالتاء والياء اي يعلمه فيثيب على حسناته ويعاقب على سيئاته و
يستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون
لهم عذاب شديد ويستجيب الذين آمنوا ويستجيب لهم فحذف
اللام كما حذف في قوله واذا كالوهم اي يثيبهم على طاعتهم ويزيدهم
على الثواب تفضلا واذا دعوه استجاب دعاءهم واعطاهم ما طلبوا وزادهم
على مطلوبهم وقيل الاستجابة فعلهم اي يستجيبون له بالطاعة اذا دعاهم
اليها ويزيدهم هو من فضله على ثوابهم وعن سعيد بن جبير هذا من فعلهم
يجيبونه اذا دعاهم وعن ابراهيم بن ادهم انه قيل له ما بالنا ندعوا فلا نجاب قال
لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرأ والله يدعوا الى دار السلام ويستجيب الذين
آمنوا ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر

ما



ما يشاء انه بعباده خبير بصير لبغوا من البغي وهو الظلم اي
لبغى هذا على ذاك وذاك على هذا لان الغنى مبطرة مأشرة وكفى
بحال قارون عبرة ومنه قوله عليه السلام اخوف ما اخاف على امتي زهرة الدنيا
وكثرتها ولبعض العرب وقد جعل الوسمي ينبت بيننا وبين بني رومان
نبعا وشوحطا يعني انهم احيوا فحدثوا انفسهم بالبغي والتغابن
او من البغي وهو البذخ والكبر اي لتكبروا في الارض وفعلوا ما يتبع
الكبر من العلو فيها والفساد وقيل نزلت في قوم من اهل الصفة تمنوا
سعة الرزق والغنى قال خباب بن الارت فينا نزلت وذلك انا
نظرنا الى اموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها بقدر
بتقدير يقال قدره قدرا وقدرا خبير بصير يعرف ما يؤول
اليه احوالهم فيقدر لهم ما هو اصلح لهم واقرب الى جمع شملهم
فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط كما توجبه الحكمة
الربانية ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا فان قلت
قد نرى الناس يبغي بعضهم على بعض ومنهم مبسوط لهم ومنهم
مقبوض عنهم فان كان المبسوط لهم يبغون فلم بسط لهم وان كان المقبوض
عنهم يبغون فقد يكون البغي بدون البسط فلم شرطه قلت لا شبهة
ان البغي مع الفقر اقل ومع البسط اكثر واغلب وكلاهما

سبب ظاهر للاقدام على البغي والاحجام عنه فلو عمهم البسط لغلب البغي
حتى ينقلب الامر الى عكس ما عليه الآن ﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما
قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد﴾ قنطوا بفتح النون وكسرها وينشر رحمته
اي بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب وعن عمر رضي الله عنه انه
قيل له اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا اذن اراد هذه الآية ويجوز
ان يريد رحمته في كل شيء كانه قال ينزل الرحمة التي هي الغيث وينشر غيرها من
رحمته الواسعة الولي الذي يتولى عباده باحسانه الحميد على ذلك يحمده اهل
طاعته ﴿ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم
اذا يشاء قدير﴾ وما بث يجوز ان يكون مجرورا ومرفوعا حملا على المضاف او
المضاف اليه فان قلت لم جاز فيهما من دابة والدواب في الارض وحدها قلت يجوز
ان ينسب الشيء الى جميع المذكور وان كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم
شاعر مجيد او شجاع بطل وانما هو في فخذ من افخاذهم او فصيلة من
فصائلهم وبنو فلان فعلوا كذا وانما فعله نويس منهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما
اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح ويجوز ان يكون للملائكة عليهم السلام
مشي مع الطيران فيوصفوا بالدبيب كما يوصف به الاناسي ولا يبعد ان يخلق في
السموات حيوانا يمشون فيها مشي الاناسي على الارض سبحان الذي خلق ما نعلم وما
لا نعلم من اصناف الخلق اذا يدخل على المضارع كما يدخل على الماضي قال الله تعالى والليل
اذا يغشى وقال الشاعر واذا ما اشاء ابعث منها اخر الليل ناشطا مذعورا

وما



﴿وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير﴾ في مصاحف اهل
العراق فبما كسبت باثبات الفاء على تضمين ما معنى الشرط وفي مصاحف اهل المدينة
بما كسبت بغير فاء على ان ما مبتدأة وبما كسبت خبرها من غير تضمين معنى
الشرط والآية مخصوصة بالمجرمين ولا يمتنع ان يستوفي الله بعض عقاب المجرم و
يعفو عن بعض فاما من لا جرم له كالانبياء والاطفال والمجانين فهؤلاء اذا
اصابهم شيء من الم او غيره فللعوض الموفى والمصلحة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر الا بذنب ولما يعفو الله
عنه اكثر وعن بعضهم من لم يعلم ان ما وصل اليه من الفتن والمصائب وانما
عفا عنه مولاه اكثر كان قليل النظر في احسان ربه اليه وعن آخر العبد ملازم
للجنايات في كل اوان وجناياته في طاعته اكثر من جناياته في معاصيه لان جناية
المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جناياته
بانواع المصائب ليخفف عنه اثقاله في القيامة ولولا عفوه ورحمته لهلك
في اول خطوة وعن علي رضي الله عنه وقد رفعه من عفي عنه في الدنيا عفي عنه في
الآخرة ومن عوقب في الدنيا لم تثن عليه العقوبة في الآخرة وعنه رضي الله عنه
هذه ارجى آية للمؤمنين في القرآن ﴿وما انتم بمعجزين في الارض وما
لكم من دون الله من ولي ولا نصير﴾ بمعجزين بفائتين ما قضي عليكم من
المصائب من ولي من متول بالرحمة ﴿ومن آياته الجوار في
البحر﴾

كالأعلام إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات
لكل صبار شكور الجوار السفن وقرئ الجواري كالأعلام كالجبال
قالت الخنساء كأنه علم في رأسه نار وقرئ الرياح فيظللن بفتح اللام و
كسرها من ظل يظل ويظل نحو ضل يضل ويضل رواكد ثوابت لا تجري على
ظهر البحر لكل صبار على بلاء الله شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن
المخلص فجعلهما كناية عنه وهو الذي وكل همته بالنظر في آيات الله فهو
يستملي منها العبر أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير يوبقهن
يهلكهن والمعنى أنه إن يشأ يبتلي المسافرين في البحر بإحدى بليتين إما
أن يسكن الريح فيركد الجواري على متن البحر ويمنعهن من الجري
وإما أن يرسل الريح عاصفة فيهلكهن إغراقا بسبب ما كسبوا من الذنو
ويعف عن كثير منها فإن قلت علام عطف يوبقهن قلت على يسكن
لأن المعنى إن يشأ يسكن الريح فيركدن أو يعصفها فيغرقن بعصفها
فإن قلت فما معنى إدخال العفو في حكم الإيباق حيث جزم جزمه قلت
معناه أو إن يشأ يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم فإن قلت
فمن قرأ ويعفو قلت قد استأنف الكلام ويعلم الذين يجادلون
في آياتنا ما لهم من محيص فإن قلت فما وجوه القراءات الثلاث في و
يعلم قلنا أما الجزم فعلى ظاهر العطف وأما الرفع فعلى الاستئناف

وأما



وأما النصب فللعطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين
يجادلون ونحوه في العطف على التعليل المحذوف غير عزيز في القرآن منه
قوله ولنجعله آية للناس وقوله وخلق الله السماوات والأرض با
لحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وأما قول الزجاج النصب على
إضمار أن لأن قبلها جزاء تقول ما تصنع أصنع مثله وأكرمك وإن
شئت وأكرمك على وأنا أكرمك وإن شئت وأكرمك جزما ففيه نظر
لما أورده سيبويه في كتابه قال واعلم أن النصب بالفاء والواو في قوله
إن تأتني آتك وأعطيك ضعيف وهو نحو من قوله وألحق بالحجاز فأستريحا
فهذا يجوز وليس بحد الكلام ولا وجهه إلا أنه في الجزاء صار
أقوى قليلا لأنه ليس بواجب أنه يفعل إلا أن يكون من الأول فعل
فلما ضارع الذي لا يوجبه كالاستفهام ونحوه أجازوا فيه هذا على
ضعفه ولا يجوز أن تحمل القراءة المستفيضة على وجه ليس بحد
الكلام ولا وجهه ولو كانت من هذا الباب لما أخلى سيبويه منها
كتابه وقد ذكر نظائرها من الآيات المشكلة فإن قلت فكيف يصح
المعنى على جزم ويعلم قلت كأنه قال أو إن يشأ يجمع بين ثلاثة أمور
هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين من محيص عن
عقابه فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير و

أبقى

الفاء

للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ما الأولى ضمنت معنى الشرط فجاءت
الفاء في جوابها بخلاف الثانية عن علي رضي الله عنه اجتمع لأبي بكر رضي الله عنه مال
فتصدق به كله في سبيل الله والخير فلامه المسلمون وخطأه الكافرون فنزلت

والذين

والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون و
الذين يجتنبون عطف على للذين آمنوا وكذلك ما بعده ومعنى كبائر
الإثم الكبائر من هذا الجنس وقرئ كبير الإثم وعن ابن عباس كبير الإثم
هو الشرك هم يغفرون أي هم الأخصاء بالغفران في حال الغضب لا يغول
الغضب أحلامهم كما يغول حلوم الناس والمجيء بهم وإيقاعه مبتدأ
وإسناد يغفرون إليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون والذين استجابوا
لربهم وأقاموا الصلوة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون و
الذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون والذين استجابوا لربهم نزلت في
الأنصار دعاهم الله عز وجل للإيمان به وطاعته فاستجابوا له بأن آمنوا به وأطاعوه
وأقاموا الصلوة وأتموا الصلوات الخمس وكانوا قبل الإسلام وقبل مقدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة إذا كان بهم أمر اجتمعوا وتشاوروا فأثنى الله عليهم
أي لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور قوم إلا
هدوا لأرشد أمرهم والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومعنى
قوله وأمرهم شورى بينهم أي ذو شورى وكذلك قولهم ترك رسول الله

صلى



متعدد

صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب الخلافة شورى هو أن يقتصروا في الانتصار
على ما جعله الله لهم ولا يعتدوا وعن النخعي أنه كان إذا قرأها قال
كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترئ عليهم الفساق فإن قلت أهم محمودون

دون

على الانتصار قلت نعم لأن من أخذ حقه غير متعد حد الله وما أمر به فلم
يسرف في القتل إن كان ولي دم أو رد على سفيه محاماة على عرضه وردعا

لم

له فهو مطيع وكل مطيع محمود وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا و
أصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين كلتا الفعلتين الأولى وجزاؤها
سيئة لأنها تسوء من تنزل به قال الله تعالى وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه
من عندك يريد ما يسوؤهم من المصائب والبلايا والمعنى أنه يجب
إذا قوبلت الإساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة فإذا قال أخزاك الله
فيقال أخزاك الله فمن عفا وأصلح بينه وبين خصمه بالعفو والإغضاء كما قال
فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم فأجره على الله عدة مبهمة
لا يقاس أمرها في العظم وقوله إنه لا يحب الظالمين دلالة على أن الا
نتصار لا يكاد يؤمن فيه تجاوز التسوية والاعتداء خصوصا في
حال الحرد والتهاب الحمية فربما كان المجازي من الظالمين وهو لا يشعر وعن
النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله أجر فليقم
قال فيقوم خلق فيقال لهم ما أجركم على الله فيقولون نحن الذين

الحرد بالتسكين والتحريك الغضب

عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله ٥ ولمن انتصر بعد ظلمه
فاولئك ما عليهم من سبيل ٥ بعد ظلمه من اضافة المصدر الى المفعول
وتنبيه قراءة من قرأ بعد ما ظلم و اولئك اشارة الى معنى من دون
لفظه ما عليهم من سبيل للمعاقب ولا للعاتب والعايب انما السبيل
على الذين يظلمون الناس في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم
٥ انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدئون ويبغون في الارض
يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم
الامور ٥ ولمن صبر على الظلم والاذى وغفر ولم ينتصر وفوض امره الى الله
ان ذلك منه لمن عزم الامور وحذف الراجع لانه معلوم كما حذف
من قولهم السمن منوان بدرهم ويحكى ان رجلا سب رجلا في
مجلس الحسن رحمه الله فكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق
ثم قام فتلا هذه الاية فقال الحسن عقلها والله وفهمها اذ ضيعها
الجاهلون وقالوا العفو مندوب اليه ثم قد ينعكس الامر في بعض
الاحوال فيرجع ترك العفو مندوبا اليه وذلك اذا احتيج الى كف
زيادة البغي وقطع مادة الاذى وعن النبي ع م ما يدل عليه وهو
ان زينب اسمعت عائشة بحضرته وكان ينهاها فلا تنتهي فقال
عليه م لعائشة دونك فانتصري ٥ ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده

وترى



وترى الظالمين لما رأوا العذاب ٥ يقولون هل الى مرد من سبيل ٥ و
من يضلل الله ومن يخذله الله فما له من ولي من بعده فليس له من ناصر يتولاه
من بعد خذلانه ٥ وتريهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون
من طرف خفي وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم
واهليهم يوم القيمة الا ان الظالمين في عذاب مقيم ٥ خاشعين متذللين
متقاصرين مما يلحقهم من الذل وقد يتعلق من الذل بينظرون ويوقف
على خاشعين من طرف خفي اي يبتدئ نظرهم من تحريك لاجفانهم
ضعيف خفي بمسارقة كما ترى المصبور ينظر الى السيف وهكذا نظر الناظر
الى المكاره لا يقدر ان يفتح اجفانه عليها ويملأ عينيه منها كما يفعل في نظره
الى المحاب وقيل يحشرون عميا فلا ينظرون الا بقلوبهم وذلك نظر من طرف
خفي وفيه تعسف يوم القيمة اما ان يتعلق بخسروا ويكون قول المؤمنين
واقعا في الدنيا واما ان يتعلق بقال اي يقولون يوم القيمة اذا راوا
هم على تلك الصفة وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله و
من يضلل الله فما له من سبيل استجيبوا لربكم من قبل ان يأتي يوم
لا مرد له من الله ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير ٥ من الله من صلة لا
مرد له اي لا يرده الله بعدما حكم به او من صلة يأتي اي من قبل ان يأتي
من الله يوم لا يقدر احد على رده والنكير الانكار اي ما لكم مخلص من

العذاب ولا تقدرون ان تنكروا شيئا مما اقترفتموه ودون في صحائف اعمالكم
فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ وانا اذا اذقنا
الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان
الانسان كفور اراد بالانسان الجمع لا الواحد لقوله وان تصبهم
سيئة ولم يرد الا المجرمين لان اصابة السيئة بما قدمت ايديهم
انما تستقيم فيهم والرحمة النعمة من الصحة والغنى والامن والسيئة
البلاء من المرض والفقر والمخاوف والكفور البليغ الكفران ولم
يقل فانه كفور ليسجل على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم
كما قال ان الانسان لظلوم كفار ان الانسان لربه لكنود والمعنى
انه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها لله ملك السموات والارض
يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور
او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير
لما ذكر اذاقة الانسان الرحمة واصابته بضدها اتبع ذلك ان
له الملك وانه يقسم النعمة والبلاء كيف اراد ويهب لعباده من
الاولاد ما تقتضيه مشيئته فيخص بعضا بالاناث وبعضا بالذكور
وبعضا بالصنفين جميعا ويعقم آخرين فلا يهب لهم ولدا
قط فان قلت لم قدم الاناث اولا على الذكور مع تقدمهم عليهن



ثم رجع فقدمهم ولم عرف الذكور بعدما نكر الاناث قلت لانه ذكر البلاء
في آخر الآية الاولى وكفران الانسان بنسيانه الرحمة السابقة عنده ثم عقبه
بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الاولاد فقدم الاناث لان سياق الكلام
انه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاؤه الانسان فكان ذكر الاناث اللاتي من جملة
ما لا يشاؤه الانسان اهم والاهم واجب التقديم وليلي الجنس الذي
كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء واخر الذكور فلما اخرهم لذلك تدارك
تاخيرهم وهم احقاء بالتقديم بتعريفهم لان التعريف تنويه وتشهير
كانه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام المذكورين الذين لا يخفون
عليكم ثم اعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتاخير وعرف
ان تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتض آخر فقال ذكرانا واناثا كما
قال انا خلقناكم من ذكر وانثى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى و
قيل نزلت في الانبياء صلوات الله عليهم حيث وهب لشعيب ولوط اناثا
ولابرهيم ذكورا ولمحمد ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين
انه عليم بمصالح العباد قدير على تكوين ما يصلحهم وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه
ما يشاء انه علي حكيم وما كان لبشر وما صح لاحد من البشر ان يكلمه الله
الا على ثلثة اوجه اما على طريق الوحي وهو الالهام والقذف في القلب
او المنام كما اوحى الى ام موسى والى ابرهيم عليه السلام في ذبح ولده
وعن مجاهد اوحى الله الزبور الى داود عليه السلام في صدره قال

عبيد بن الابرص واوحى الى الله ان قد تأمروا بابل ابى اوفى فقمت
على رجلى اى الهمنى وقذف فى قلبى واما على ان يسمعه كلامه الذى يخلقه
فى بعض الاجرام من غير ان يبصر السامع من يكلمه لانه فى ذاته غير
مرئى وقوله من وراء حجاب مثل اى كما يكلم الملك المحتجب بعض
خواصه وهو من وراء الحجاب فيسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما
كلم موسى ويكلم الملائكة واما على ان يرسل اليه رسولا من الملائكة فيوحى
الملك اليه كما كلم الانبياء غير موسى وقيل وحيا كما اوحى الى الرسل بواسطة
الملائكة او يرسل رسولا اى نبيا كما كلم امم الانبياء على السنتهم ووحيا وان
يرسل مصدران واقعان موقع الحال لان ان يرسل فى معنى ارسالا ومن
وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال ايضا كقوله تعالى وعلى جنوبهم والتقدير
وما صح ان يكلم احدا الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا ويجوز
ان يكون وحيا موضوعا موضع كلاما لان الوحى كلام خفى فى سرعة كما
تقول لا اكلمه الا جهرا والا خفاتا لان الجهر والخفات ضربان من الكلام
وكذلك ارسالا جعل الكلام على لسان الرسول بمنزلة الكلام بغير واسطة
تقول قلت لفلان كذا وانما قاله وكيلك او رسولك وقوله او من وراء
حجاب معناه او اسماعا من وراء حجاب ومن جعل وحيا فى معنى ان يوحى
وعطف يرسل عليه على معنى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا بان يوحى او
بان يرسل فعليه ان يقدر قوله او من وراء حجاب تقديرا يطابقهما
عليه نحو او ان يسمع من وراء حجاب وقرئ او يرسل رسولا فيوحى بالرفع

على



على او هو يرسل او بمعنى مرسلا عطفا على وحيا فى معنى موحيا وروى ان اليهود
قالت للنبى صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه
فانا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك فقال لم ينظر موسى الى الله فنزلت وعن عائشة
رضى الله عنها من زعم ان محمدا راى ربه فقد اعظم على الله الفرية ثم قالت اولم
تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الآية انه على عن صفات المخلوقين حكيم
يجرى افعاله على موجب الحكمة فيكلم تارة بواسطة واخرى بغير واسطة
اما الهاما واما خطابا وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت
تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء
من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذى
له ما فى السموات وما فى الارض الا الى الله تصير الامور روحا من
امرنا يريد ما اوحى اليه لان الخلق يحيون به فى دينهم كما يحيا الجسد
بالروح فان قلت قد علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يدرى ما القرآن
قبل نزوله عليه فما معنى قوله ولا الايمان والانبياء لا يجوز عليهم اذا
عقلوا وتمكنوا من النظر والاستدلال ان يخطئهم الايمان بالله وتوحيده
ويجب ان يكونوا معصومين من ارتكاب الكبائر ومن الصغائر التى
فيها تنفير قبل المبعث وبعده فكيف لا يعصمون من الكفر قلت الايمان
اسم يتناول اشياء بعضها الطريق اليه العقل وبعضها الطريق اليه
السمع فعنى به ما الطريق اليه السمع دون العقل وذاك ما كان له فيه علم

حتى تشبه بالمولى الاشتر انه قد سمى الايمان في قوله تعالى وما كان الله ليضيع
ايمانكم بالصلوة لانها بعض ما يتناوله الايمان من نشاء من عبادنا من له
لطف ومن لا لطف له فلا وهداية تهدي عليه صراط الله بدل وقرئ لتهدى اي
ليهديك الله وقرئ لتدعو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم عسق كان
ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويترحمون له سورة الزخرف ثمانون وتسع

آيات بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب
المبين اقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله انا جعلناه قرآنا عربيا
جوابا للقسم وهو من الايمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه
وكونهما من واد واحد ونظيره قول ابي تمام وثناياك انها اغريض انه
المبين للذين انزل اليهم لانه بلغتهم واساليبهم وقيل الواضح للمتدبرين
وقيل المبين الذي ابان طرق الهدى من طرق الضلالة وابان ما تحتاج اليه الامة
في ابواب الديانة انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون اي جعلناه بمعنى صيرناه
معدى الى مفعولين او بمعنى خلقناه معدى الى واحد كقوله وجعل الظلمات
والنور وقرآنا عربيا حال ولعل مستعار لمعنى الارادة لتلاحظ معناها
ومعنى الترجي اي خلقناه عربيا غير عجمي ارادة ان تعقله العرب ولئلا
يقولوا لولا فصلت آياته وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم قرئ ام الكتاب بالكسر
وهو اللوح كقوله بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ سمي بام الكتاب لانه الاصل
الذي اثبت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ على رفيع الشان في الكتب لكونه معجزا من بينها

حكيم

حكيم ذو حكمة بالغة او محكم لا ينسخه غيره وهما خبران لان كناية عما اصفناه وهو مثبت في
ام الكتاب هكذا افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين افنذود
عنكم الذكر ونصرفه صفحا بمعنى افننحي عنكم الذكر فنذوده عنكم على سبيل المجاز
من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض ومنه قول الحجاج ولاضربنكم ضرب غرائب الابل
وقال طرفة اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والفاء
للعطف على محذوف تقديره انهملكم فنضرب عنكم الذكر انكارا لان يكون الامر
على خلاف ما قدم من انزال الكتاب وخلقه قرآنا عربيا ليعقلوه ويعملوا
بموجبه وصفحا على وجهين اما مصدر من صفح عنه اذا اعرض منتصب
على انه مفعول له على معنى افنعزل عنكم انزال القرآن والزام الحجة به
اعراضا عنكم وانما بمعنى الجانب من قولهم نظر اليه بصفح وجهه على
معنى افننحيه جانبا فينتصب على الظرف كما تقول ضعه جانبا وامش
جانبا وتعضده قراءة من قرأ صفحا بالضم وفي هذه القراءة وجه
آخر وهو ان يكون تخفيف صفح جمع صفوح وينتصب على الحال اي صا
فحين معرضين ان كنتم اي لان كنتم وقرئ ان كنتم واذ كنتم فان قلت كيف
استقام معنى ان الشرطية وقد كانوا مسرفين على البت قلت هو من الشرط
الذي ذكره المدل بصحة الامر المتحقق لثبوته كما يقول
الاجير ان كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالم بذلك ولكنه يخيل في

سلامة ان تعريضكم في اي زمان بعد تحقق فعل شأنه يشكل في الاستقبال فمع وقوعه
كيف حاله ﴿وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به
يستهزئون﴾ وما يأتيهم حكاية حال ماضية مستمرة اي كانوا على ذلك
فهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه ﴿فاهلكنا اشد منهم بطشا
ومضى مثل الاولين﴾ الضمير في اشد منهم للقوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم
الى رسول الله يخبره عنهم ومضى مثل الاولين اي سلف في القرآن في غير موضع منه
ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حقها ان تسير مسير المثل وهذا وعد لرسوله
ووعيد لهم ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن
العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون
والذي نزل من السماء ماء بقدر فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون﴾
فان قلت قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم وما سرد من الاوصاف
عقيبه ان كان من قولهم فما يصنع بقوله فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون
وان كان من قول الله فما وجهه قلت هو من قول الله لا من قولهم ومعنى قوله
ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي من صفته كيت وكيت لينسبن خلقها
الى الذي هذه اوصافه وليسندنه اليه بعد ان يسلم معه البلاد و
العباد ﴿لعلكم تهتدون﴾ ﴿والذي خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والا
نعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم

عليه



عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا
لمنقلبون﴾ والازواج الاصناف وما تركبون اي ما تركبونه فلت غلب
المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة فقيل تركبونه
على ظهوره على ظهور ما تركبون وهو الفلك والانعام ومعنى ذكر نعمة الله
عليهم ان يذكروها في قلوبهم معترفين بها مستعظمين لها ثم يحمدوا عليها
بالسنتهم وهو ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال
بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي
سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون وكبر ثلثا وهلل ثلثا وقالوا اذا ركب في
السفينة قال بسم الله مجريها ومرسيها ان ربي لغفور رحيم وعن الحسين
بن علي رضي الله عنهما انه رأى رجلا ركب دابة فقال سبحان الذي سخر لنا
هذا فقال ابهذا امرتم فقال وبم امرنا قال ان تذكروا نعمة ربكم
كان قد اغفل التحميد فنبهه عليه وهذا من حسن مراعاتهم لآداب الله
ومحافظتهم على دقيقها وجليلها جعلنا الله من المقتدين بهم والسائرين
بسيرتهم فما احسن بالعاقل النظر في لطائف الصناعات فكيف بالنظر
في لطائف الديانات مقرنين مطيقين يقال اقرن الشيء اذا اطاقه قال
ابن هرمة واقرنت ما حملتني ولقلما يطاق احتمال الصد يا دعد و
الهجر وحقيقته اقرنه وجده قرينته وما يقرن به لان الصعب لا
يكون قرينة للضعيف الا ترى الى قولهم في الضعيف لا يقرن به الصعبة

وفي مقت نفسه والمعنى واحسفاه قلت كيف اتصل بذلك قوله وانا
الى ربنا لمنقلبون قلت كم من راكب دابة عثرت به او شمست او
تقحمت او طاح من ظهرها فهلك وكم من راكبين في سفينة انكسرت بهم
فغرقوا فلما كان الركوب مباشرة امر مخطر واتصالا بسبب من اسباب
التلف امر ان لا ينسى عند اتصاله به يومه وانه هالك لا محالة فمنقلب الى الله غير
منفلت من قضائه ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعدا للقاء الله
باصلاحه من نفسه والحذر من ان يكون ركوبه ذلك من اسباب موته في علم الله
وهو غافل عنه ويستعيذ بالله من مقام من يقول لقرنائه تعالوا نتنزه
على الخيل او في بعض الزوارق فيركبون حاملين مع انفسهم اواني الخمر والمعازف
فلا يزالون يسقون حتى تميل طلاهم وهم على ظهور الدواب او في بطون
السفن وهي تجري بهم لا يذكرون الا الشيطان ولا يمتثلون الا اوامره وقد بلغني
ان بعض السلاطين ركب وهو يشرب من بلد الى بلد بينهما مسيرة شهر
فلم يصح الا بعدما اطمأنت به الدار فلم يشعر بمسيره ولا احس به فكم بين
فعله وفعل اولئك الراكبين وبين ما امر الله به في هذه الآية وقيل يذكرون عند
الركوب ركوب الجنازة ٥ وجعلوا له من عباده جزءا ان الانسان لكفور
مبين ٥ وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن سألتهم اي ولئن
سألتهم عن خالق السموات والارض ليعترفن به وقد جعلوا له
مع ذلك الاعتراف من عباده جزءا فوصفوه بصفات المخلوقين ومعنى

من



من عباده جزءا ان قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزءا له وبعضا منه
كما يكون الولد بضعة من والده وجزءا له ومن بدع التفاسير تفسير
الجزء بالاناث وادعاء ان الجزء في لغة العرب اسم للاناث وما هو
الا كذب على العرب ووضع مستحدث منحول ولم يقنعهم ذلك
حتى اشتقوا منه اجزأت المرأة ثم صنعوا بيتا وبيتا ان اجزأت
حرة يوما فلا عجب زوجتها من بنات الاوس مجزئة [illegible]
لكفور مبين لجحود للنعمة ظاهر جحوده لان نسبة الولد اليه كفر والكفر
اصل الكفران كله ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين ام اتخذ بل
اتخذ والهمزة للانكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شأنهم حيث لم يرضوا بان
جعلوا لله من عباده جزءا حتى جعلوا ذلك الجزء شر الجزءين وهو الاناث
دون الذكور على انهم انفر خلق الله عن الاناث وامقتهم لهن ولقد بلغ بهم
المقت الى ان وأدوهن كأنه قيل هبوا ان اضافة اتخاذ الولد اليه جائزة فرضا
وتمثيلا اما تستحيون من الشطط في القسمة ومن ادعائكم انه آثركم على نفسه
بخير الجزءين واعلاهما وترك له شرهما وادناهما وتنكير بنات وتعريف
البنين وتقديمهن في الذكر عليهم لما ذكرت في قوله يهب لمن يشاء
اناثا ويهب لمن يشاء الذكور واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا
ظل وجهه مسودا وهو كظيم اومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير
مبين بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي جعله مثلا اي شبها لانه اذا جعل

بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي جعله مثلا أي شبها لأنه إذا جعل
الملائكة جزءا لله وبعضا منه فقد جعله من جنسه ومماثلا له لأن الولد
لا يكون إلا من جنس الوالد يعني أنهم نسبوا إليه هذا الجنس ومن حالهم
أن أحدهم إذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه غيظا وتأسفا
وهو مملوء من الكرب وعن بعض العرب أن امرأته وضعت أنثى
فهجر البيت الذي فيه المرأة فقالت ما لأبي حمزة لا يأتينا يظل في
البيت الذي يلينا غضبان أن لا نلد البنينا ليس لنا من أمرنا ما شينا
وإنما نأخذ ما أعطينا والظلول بمعنى الصيرورة كما يستعمل أكثر الأفعال
الناقصة بمعناها وقرئ مسود ومسواد على أن في ظل ضمير المبشر ووجهه
مسود جملة واقعة موقع الخبر ثم قال أو يجعل للرحمن من الولد من هذه
الصفة المذمومة صفته وهو أنه ينشأ أي يتربى في الزينة والنعمة وهو إذا
احتاج إلى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان
ولا يأتي ببرهان يحتج به من يخاصمه وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهن
عن فطرة الرجال يقال قلما تكلمت امرأة فأرادت أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت
بالحجة عليها وفيه أنه جعل النشء في الزينة والنعومة من المعايب والمذام وأنه
من صفة ربات الحجال فعلى الرجل أن يجتنب ذلك ويأنف منه ويربأ بنفسه عنه
ويعيش كما قال عمر رضي الله عنه اخشوشنوا واخشوشبوا وتمعددوا وإن أراد
أن يزين نفسه زينها من باطن بلباس التقوى وقرئ ينشأ ويناشأ





الملائكة

ونظيره المناشأة بمعنى الإنشاء المغالاة بمعنى الإغلاء وجعلوا
الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم
ويسألون قد جمعوا في كفرة ثلث كفرات وذلك أنهم نسبوا إلى الله
الولد ونسبوا إليه أخس النوعين وجعلوه من الملائكة الذين هم
أكرم عباد الله فاستخفوا بهم واحتقروهم وقرئ عباد الرحمن و
عبيد الرحمن وعند الرحمن وهو مثل لزلفاهم واختصاصهم وإناثا و
أنثا جمع الجمع ومعنى جعلوا سموا وقالوا إنهم إناث وقرئ أشهدوا
وأأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وآشهدوا بألف
بينهما وهذا تهكم بهم بمعنى أنهم يقولون ذلك من غير أن يستند قولهم
إلى علم فإن الله لم يضطرهم إلى علم ذلك ولا تطرقوا إليه باستدلال ولا
أحاطوا به عن خبر يوجب العلم فلم يبق إلا أن يشاهدوا خلقهم فأخبروا
عن المشاهدة ستكتب شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة من أنوثتهم
ويسألون وهذا وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم
وشهادتهم ويساءلون على يفاعلون وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم
ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم
هما كفرتان أيضا مضمومتان إلى الكفرات الثلث وهما عبادتهم الملائكة
من دون الله وزعمهم أن عبادتهم بمشيئة الله كما يقول إخوانهم المجبرة فإن
قلت ما أنكرت على من يقول قالوا ذلك على وجه الاستهزاء ولو قالوه

جاحدين لما كانوا متوغلين تلك الدلائل على انهم قالوه مستهزئين
وادعاء ما لا دليل عليه بالمحال حلا ان الله تعالى قد حكى عنهم على سبيل الذم
والشهادة بالكفر انهم جعلوا له من عباده جزءا وانه اتخذ بنات و
اصفاهم بالبنين وانهم جعلوا الملائكة المكرمين اناثا وانهم عبدوهم
وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فلو كانوا ناطقين بها على طريق الجد
لكان النطق بالحق مكتوبا فيقال هذا المحكي الذي هو ايمان عنده لو جدوا
في النطق به مذ خالهم من قبل انها كلمات كفر نطقوا بها على طريق
العبث فيبقى ان يكونوا كاذبين وينكر سلها في انها كلمات كفر يا
قالوا نجعل هذا الاخير وهذا يفعلوا على وجه العبث دون ما قبله فيما
بعد الا نعول بكتاب الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه لنستوى مذهبهم الباطل ولو كانت هذه كلمة حق نطقوا بها
هزءا لم يكن لقوله لهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون معنى لان
من قال لا اله الا الله على طريق العبث كان الواجب ان ينكر عليه استهزاؤ
ه ولا يكذب لانه لا يجوز تكذيب الناطق بالحق جادا كان او هازئا
فان قلت ما قولك فيمن يفسر ما لهم بقولهم ان الملائكة بنات الله
علم ان هم الا يخرصون في ذلك القول لا في تعليق عبادتهم بمشيئة الله
قلت هو تمحل مبطل وتحريف مكابر ونحوه قوله تعالى سيقول الذين
اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب

الذين



الذين من قبلهم ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون بل قالوا انا وجدنا
آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير
الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون من قبله
من قبل القرآن او الرسول والمعنى انهم الصقوا عبادة غير الله بمشيئة الله
قولا قالوه غير مستند الى علم ثم قال ام آتيناهم كتابا قبل هذا الكتاب نسبنا فيه
الكفر والقبائح الينا فحصل لهم علم بذلك من جهة الوحي فاستمسكوا بذلك
الكتاب واحتجوا به بل لا حجة لهم يستمسكون بها الا قولهم انا وجدنا آباءنا
على امة على دين وقرئ على امة بالكسر وكلتاهما من الام وهو القصد فالامة
الطريقة التي تؤم اي تقصد كالرحلة للمرحول اليه والامة
الحالة التي يكون عليها الآم وهو القاصد وقيل على نعمة وحالة حسنة على
آثارهم مهتدون خبر ان او الظرف صلة لمهتدون مترفوها الذين اترفتهم
النعمة اي ابطرتهم فلا يحبون الا الشهوات والملاهي ويعافون مشاق
الدين وتكاليفه قال اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا
انا بما ارسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين
قرئ قل وقال وجئتكم وجئناكم يعني اتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين
اهدى من دين آبائكم قالوا انا ثابتون على دين آبائنا لا ننفك عنه وان
جئتنا بما هو اهدى واهدى واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء
مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين قرئ براء بفتح الباء

وضعها وبين قولهم برآء كريم وكرماء وبراء سمعت كظماء والبراء
استوى فيه الواحد والاثنان والجماعة والمذكر والمؤنث يقال نحن البراء
منك والخلاء منك الا الذي فطرني فيه غير وجه ان يكون منصوبا على انه استثناء
منقطع كانه قال لكن الذي فطرني فانه سيهدين وان يكون مجرورا بدلا من
المجرور بمن كانه قال انني براء مما تعبدون الا من الذي فطرني فان قلت
كيف تجعله بدلا وليس من جنس ما يعبدون من وجهين احدهما ان
ذات الله مخالفة لجميع الذوات فكانت مخالفة لذوات ما يعبدون والثاني
ان الله غير معبود بينهم والاوثان معبودة قلت كانوا يعبدون الله مع اوثانهم
وان تكون الا صفة بمعنى غير على ان ما في ما تعبدون موصوفة
تقديره انني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فهو نظير
قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فان قلت ما معنى قوله سيهدين
على التسويف قلت قال مرة فهو يهدين ومرة فانه سيهدين فاجمع بينهما
وقدر كانه قال فهو يهدين وسيهدين فيدلان على استمرار الهداية في الحال
والاستقبال وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون وجعلها وجعل
ابرهيم صلوات الله عليه كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله انني براء مما
تعبدون الا الذي فطرني كلمة باقية في عقبه في ذريته فلا يزال فيهم من
يوحد الله ويدعو الى توحيده لعل من اشرك منهم يرجع بدعاء من
وحد منهم ونحوه ووصى بها ابرهيم بنيه وقيل وجعلها الله وقرئ كلمة على

التخفيف



التخفيف وفي عقبه كذلك وفي عاقبه اي فيمن عقبه اي خلفه بل متعت هؤلاء
وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر و
انا به كافرون وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
بل متعت هؤلاء يعني اهل مكة وهم من عقب ابرهيم بالمد في العمر والنعمة
فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التو
حيد حتى جاءهم الحق وهو القرآن ورسول مبين الرسالة واضحها بما معه
من الآيات البينة فكذبوا به وسموه ساحرا وما جاء به سحرا ولم يوجد
منهم ما رجاه ابرهيم وقرئ بل متعنا فان قلت فما وجه من قرأ متعت
بفتح التاء قلت كان الله اعترض على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه
لعلهم يرجعون فقال بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة في
الرزق حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد واراد بذلك الاطناب في تعييرهم
لانه اذا متعهم بزيادة النعم وجب عليهم ان يجعلوا ذلك سببا في زيادة
الشكر والثبات على التوحيد والايمان لا ان يشركوا به ويجعلوا له اندادا
فمثاله ان يشكو الرجل اساءة من احسن اليه ثم يقبل على نفسه فيقول
انت السبب في ذلك بمعروفك واحسانك وغرضه بهذا الكلام توبيخ المسيء
لا تقبيح فعله فان قلت قد جعل مجيء الحق والرسول غاية التمتيع ثم اردفه
قوله ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر فما طريقة هذا النظم ومؤداه قلت
المراد بالتمتيع ما هو سبب له وهو اشتغالهم بالاستمتاع عن التوحيد و

ونقيضها فيقال حق وعدو بل اشتغلوا عن التوحيد حتى جاءهم الحق ورسوله
مبين فخيلت بهذه الغاية انهم تنبهوا عندها عن غفلتهم لاقتضائها التنبه ثم
ابتدا قصتهم عند مجيء الحق فقال ولما جاءهم جاؤا بما هو شر من غفلتهم التي
كانوا عليها وهو ان ضموا الى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول ومعاداته
والاستخفاف بكتاب الله وشرائعه والاصرار على افعال الكفرة والاحتكام على
حكمة الله في تخير محمد من اهل زمانه بقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم وهي الغاية في تشويه صورة امرهم قرئ على رجل بسكون
الجيم من القريتين من احدى القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ
اي من احدهما والقريتان مكة والطائف وقيل من رجال القريتين وهما
الوليد بن المغيرة المخزومي وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي عن
ابن عباس وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل وعن قتادة
الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي وكان الوليد يقول
لو كان حقا ما يقول محمد لنزل هذا القرآن علي او على ابي مسعود يعني
عروة بن مسعود وما انكروا من ان يبعث الله بشرا رسولا فلما تلا ابوا
بتكريم الله ايهم ان الرسل لا يكونوا الا رجالا من اهل القرى جاؤا بالانكار من
من جهة اخرى وهو تحكمهم ان يكون احد هذين وقولهم هذا القرآن ذكر له على
وجه الاستهانة وارادوا بعظم الرجل رياسته وتقدمه في الدنيا و
وعزب عن عقولهم ان العظيم من كان عند الله عظيما اهم يقسمون رحمت

ربك



ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض
درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون اهم
يقسمون رحمة ربك هذه الهمزة للانكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من اعتراضهم
وتحكمهم وان يكونوا هم المدبرين لامر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بها
والمتولين لقسمة رحمة الله التي لا يتولاها الا هو بباهر قدرته وبالغ
حكمته ثم ضرب لهم مثلا فاعلم انهم عاجزون عن تدبير خويصة امرهم وما يصلحهم
في دنياهم وان الله عز وعلا هو الذي قسم بينهم معيشتهم وقدرها ودبر احوالهم
تدبير العالم بها فلم يسو بينهم ولكن فاوت بينهم في اسباب العيش وغاير بين
منازلهم فجعل منهم اقوياء وضعفاء واغنياء ومحاويج وموالي وخدما ليصرف
بعضهم بعضا في حوائجهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في اشغالهم
حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى منافعهم ويحصلوا على مرافقهم ولو
وكلهم الى انفسهم وولاهم تدبير امرهم لضاعوا وهلكوا واذا كانوا في
تدبير امر الدين الذي هو رحمة الله الكبرى ورافته العظمى وهو الطريق الى
حيازة حظوظ الآخرة والسلم الى حلول دار السلام ثم قال ورحمة ربك يريد
هذه الرحمة وهي دين الله وما يتبعه من الفوز في المآب خير مما يجمع هؤلاء من
حطام الدنيا فان قلت معيشتهم ما يعيشون به من المنافع ومنهم من يعيش
بالحلال ومنهم من يعيش بالحرام فاذن قد قسم الله الحرام كما قسم الحلال
قلت الله قسم لكل عبد معيشته وهي مطاعمه ومشاربه وما يصلحه من المنافع

واذن له في تناولها ولكن شرط عليه وكلفه ان يسلك في تناولها الطريق التي
شرعها فاذا سلكها فقد تناول قسمته من المعيشة حلالا وسماها رزق الله واذا
لم يسلكها تناولها حراما وليس له ان يسميها رزق الله فالله قاسم المعايش
والمنافع ولكن العباد هم الذين يكسبونها صفة الحرمة بسوء تناولهم وهو
عدولهم فيه عما شرعه الله الى ما لم يشرعه ولولا ان يكون الناس امة واحدة
لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها
يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما
متاع الحيوة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين لبيوتهم بدل اشتمال من
قوله لمن يكفر ويجوز ان يكونا بمنزلة اللامين في قولك وهبت له ثوبا لقميصه و
سقفا بفتح السين وسكون القاف وبضمها وسكون القاف وبضمهما جمع سقف
كرهن ورهن ورهن وعن الفراء جمع سقيفة وسقفا بفتحتين كانه لغة
في سقف وسقوفا ومعارج ومعاريج والمعارج جمع معرج او اسم جمع
لمعراج وهي المصاعد الى العلالي عليها يظهرون اي على المعارج يظهرون
السطوح يعلونها فما اسطاعوا ان يظهروه وسررا بفتح الراء لاستثقال
الضمتين مع حرفي التضعيف لما متاع الحيوة الدنيا اللام هي الفارقة
بين ان المخففة والنافية وقرئ بكسر اللام اي للذي هو متاع الحيوة كقوله
مثلا ما بعوضة ولما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ وما كل ذلك الا
قال عيسى عليه السلام [illegible] الدنيا وحقروها [illegible] الدنيا عنده

حلالا



300

من قوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة ولولا كراهة ان يجتمعوا على الكفر
ويطبقوا عليه لجعلنا لحقارة زهرة الحيوة الدنيا عندنا للكفار سقوفا ومصاعد
وابوابا وسررا كلها من فضة وجعلنا لهم زخرفا اي زينة من كل شيء والزخرف
الزينة والذهب ويجوز ان يكون الاصل سقفا من فضة وزخرف يعني بعضها
من فضة وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة وفي معناه قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو وزنت عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها
شربة ماء فان قلت فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التي كان يؤدي اليها التوسعة
عليهم من اطباق الناس على الكفر لحبهم الدنيا وتهالكهم عليها فهلا وسع
على المسلمين ليطبق الناس على الاسلام قلت التوسعة عليهم مفسدة ايضا
لما تؤدي اليه من الدخول في الاسلام لاجل الدنيا والدخول في الدين
لاجل الدنيا من دين المنافقين فكانت الحكمة فيما دبر حيث جعل في الفريقين
اغنياء وفقراء وغلب الفقراء على الاغنياء ومن يعش عن ذكر الرحمن
نقيض له شيطانا فهو له قرين قرئ ومن يعش بضم الشين و
فتحها والفرق بينهما انه اذا حصلت الآفة في بصره قيل عشي واذا نظر
نظر العشي ولا آفة به قيل عشا ونظيره عرج لمن به الآفة وعرج لمن مشى
مشية العرجان من غير عرج قال الحطيئة متى تأته تعشو الى ضوء ناره
اي تنظر اليها نظر العشي لما يضعف بصرك من عظم الوقود واتساع
الضوء وهو بين في قول حاتم اعشو اذا ما جارتي برزت حتى يواري

ليقين

ردي

جاءنا اعتذر وفرح يعشوا الحال أن من موصولة غير مضمنة معنى الشرط وحق هذا
القارئ أن يرفع نقيض ومعنى القراءة بالفتح ومن يعم عن ذكر الرحمن وهو القرآن
كقوله صم بكم عمي وأما القراءة بالضم فمعناها ومن يتعام عن ذكره أي يعرف أنه
الحق وهو يتجاهل ويتغابى كقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم
نقيض له شيطانا نخل بينه وبين الشيطان كقوله وقيضنا لهم قرناء
ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين وقرئ يقيض له الرحمن ويقيض له
شيطان فهو له قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون فإن
قلت لم جمع ضمير من وضمير الشيطان في قوله وإنهم ليصدونهم قلت لأن
من مبهم في جنس العاشي وقد قيض له شيطان مبهم في جنسه فلما جاز أن
يتناولا لإبهامهما غير واحد جاز أن يرجع الضمير إليهما مجموعا حتى
إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين حتى إذا
جاءنا العاشي وقرئ جاءانا أي العاشي وقرينه قال لشيطانه يا ليت
بيني وبينك بعد المشرقين يريد المشرق والمغرب فغلب كما قيل العمران و
القمران فإن قلت فما بعد المشرقين قلت تباعدهما والأصل بعد المشرق
من المغرب والمغرب من المشرق فلما غلب وجمع بين المفترقين بالتثنية أضاف البعد
إليهما ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون أنكم في محل
الرفع على الفاعلية يعني ولن ينفعكم كونكم مشتركين في العذاب كما ينفع الواقعين
في الأمر الصعب اشتراكهم فيه لتعاونهم في تحمل أعبائه وتقسمهم لشدته

وعنائه



وعنائه وذلك أن كل واحد منكم به من العذاب ما لا تبلغه طاقته ولك أن
تجعل الفعل للتمني في قوله يا ليت بيني وبينك على معنى ولن ينفعكم اليوم
ما أنتم فيه من تمني مباعدة القرين وقوله أنكم في العذاب مشتركون تعليل
أي لن ينفعكم تمنيكم لأن حقكم أن تشتركوا أنتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم
مشتركين في سببه وهو الكفر ويقويه قراءة من قرأ إنكم بالكسر وقيل إذا رأى
الممنو بشدة من مني بمثلها روحه ذلك ونفس بعض كربه وهو التأسي
الذي ذكرته الخنساء أعزي النفس عنه بالتأسي فهؤلاء لا يؤسيهم
اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ما هم فيه فإن قلت ما معنى قوله إذ ظلمتم قلت معناه
إذ صح ظلمكم وتبين ولم يبق لكم ولا لأحد شبهة في أنكم كنتم ظالمين وذلك يوم القيامة
وإذ بدل من اليوم ونظيره إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة أي تبين أني ولد كريمة

ار تبين

أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين كان رسول الله
عم يجتهد ويجهد ويكد روحه في دعاء قومه وهم لا يزيدون على دعائه
إلا تصميما على الكفر وتماديا في الغي فأنكر عليه بقوله أفأنت تسمع إنكار
تعجيب من أن يكون هو الذي يقدر على هدايتهم وأراد أنه لا يقدر
على ذلك منهم إلا هو وحده على سبيل الإلجاء والقسر كقوله إن الله يسمع
من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون
أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون فاستمسك بالذي أوحي
إليك إنك على صراط مستقيم ما في قوله فإما نذهبن بمنزلة لام القسم في

انما اذا دخلته دخلت معها النون المؤكدة والمعنى فان قبضناك قبل
ان ننصرك عليهم ونشفي صدور المؤمنين منهم فانا منهم منتقمون اشد
الانتقام في الاخرة كقوله او نتوفينك فالينا يرجعون وان اردنا ان ننجز
في حياتك ما وعدناهم من العذاب النازل بهم وهو يوم بدر فهم تحت ملكتنا
وقدرتنا لا يفوتوننا وصفهم بشدة الشكيمة في الكفر والضلال ثم اتبعه
شدة الوعيد بعذاب الدنيا والاخرة وقرئ نرينك بالنون الخفيفة وقرئ
بالذي اوحي اليك على البناء للفاعل وهو الله عز وجل والمعنى وسواء
عجلنا لك الظفر والغلبة او اخرنا الى اليوم الاخر فكن مستمسكا بما اوحينا
اليك وبالعمل به فانه الصراط المستقيم الذي لا يحيد عنه الا ضال شقي
وزد كل يوم صلابة في المحاماة على دين الله ولا يخرجك الضجر بامرهم
الى شيء من اللين والرخاوة في امرك ولكن كما يفعل الثابت الذي لا
ينشطه تعجيل ظفر ولا يثبطه تاخيره وانه لذكر لك ولقومك و
سوف تسألون وان الذي اوحي اليك لشرف لك ولقومك
وسوف تسألون عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له
وشكركم على ان رزقتموه وخصصتم به من بين العالمين واسأل
من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون
ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال لاحالته ولكنه مجاز
عن النظر في اديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الاوثان





قط في ملة من ملل الانبياء وكفاه نظرا وفحصا نظره في كتاب الله المعجز
المصدق لما بين يديه واخبار الله فيه بانهم يعبدون من دون الله ما لم
ينزل به سلطانا وهذه الاية في نفسها كافية لا حاجة الى غيرها والسؤال
الواقع مجازا عن النظر حيث لا يصح السؤال على الحقيقة كثير منه مساءلة
الشعراء الديار والرسوم والاطلال وقول من قال سل الارض فقل من
شق انهارك وغرس اشجارك وجنى ثمارك فانها ان لم تجبك حوارا
اجابتك اعتبارا وقيل ان النبي عم جمعت له الانبياء ليلة الاسراء في
بيت المقدس فامهم وقيل له سلهم فلم يشكك ولم يسأل وقيل معناه
سل امم من ارسلنا وهم اهل الكتابين التوراة والانجيل وعن الفراء
هم انما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم فكانه سأل الانبياء عم
ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين
فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون ما اجابوه به عند قوله اني رسول رب
العالمين محذوف دل عليه قوله فلما جاءهم باياتنا وهو مطالبتهم اياه باحضار
البينة على دعواه وابراز الاية اذا هم منها يضحكون اي يسخرون منها ويهزؤون
بها ويسمونها سحرا واذا للمفاجأة فان قلت كيف جاز ان تجاب لما باذا
المفاجأة قلت لان فعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل النصب في محلها
كانه قيل فلما جاءهم باياتنا فاجؤوا وقت ضحكهم وما نريهم من اية الا
هي اكبر من اختها واخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون فان قلت

اذا جاءتهم آية واحدة من جملة التسع فما اختها التي فضلت عليها في الكبر
من بقية الآيات قلت اختها التي هي آية مثلها وهذه صفة كل واحدة منها فكان
المعنى على انه اكبر من بقية الآيات على سبيل التفصيل والاستقراء واحدة بعد
واحدة كما تقول هو افضل رجل رأيته تريد تفضيله على امة الرجال الذين
رأيتهم اذا قرّيتهم رجلا رجلا فان قلت هو كلام متناقض لان معناه
ما من آية من التسع الا وهي اكبر من كل واحدة منها فتكون كل واحدة منها فا
ضلة ومفضولة في حالة واحدة قلت الغرض بهذا الكلام انهن
موصوفات بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه وكذلك العادة في الاشياء التي تتلاقى
في الفضل وتتفاوت منازلها فيه التفاوت اليسير ان تختلف آراء الناس في تفضيلها
فيفضل بعضهم هذا وبعضهم ذلك فعلى ذلك بنى الناس فقالوا رأيت رجالا
بعضهم افضل من بعض وربما اختلفت آراء الرجل الواحد فيها فتارة
يفضل هذا وتارة يفضل ذاك ومنه بيت الحماسة من تلق منهم تقل لاقيت
سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري وقد فاضلت الانمارية
بين الكملة من بنيها ثم قالت لما ابصرت مراتبهم متدانية قليلة التفاوت
ثكلتهم ان كنت اعلم ايهم افضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها
لعلهم يرجعون ارادة ان يرجعوا عن الكفر اى الاعادة فان قلت لو اراد رجوعهم
لكان قلت ارادته فعل غيره ليس الا ان يأمره به ويطلب منه ايجاده فان كان ذلك
على سبيل القسر وجد والا دار بين ان يوجد وبين ان لا يوجد على حسب

اختيار



اختيار المكلف وانما لم يكن الرجوع لان الارادة لم يكن قسرا ولم يختاروه
والمراد بالعذاب السنون والطوفان والجراد وغير ذلك وقالوا يا ايها
الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون فلما
كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون قرئ يا ايه الساحر
بضم الهاء وقد سبق وجهه فان قلت كيف سموه بالساحر مع قولهم
اننا لمهتدون قلت قولهم اننا لمهتدون وعد منوي اخلافه و
عهد معزوم على نكثه معلق بشرط ان يدعو لهم وينكشف عنهم العذاب
الا ترى الى قوله فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون فما كانت تسميتهم
اياه بالساحر بمنافية لقولهم اننا لمهتدون وقيل كانوا يقولون للعالم
الماهر انما هو ساحر لاستعظامهم علم السحر بما عهد عندك بعهده
عندك من ان دعوتك مستجابة او بعهده عندك وهو النبوة او بما عهد
عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة او بما عهد عندك من كشف
العذاب عمن اهتدى ونادى فرعون في قومه قال يا قوم اليس لي
ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون ونادى
فرعون في قومه جعلهم محلا لندائه وموقعا له والمعنى انه امر بالنداء في
مجامعهم واماكنهم من نادى فيها بذلك فاسند النداء اليه كقولك
قطع الامير اللص اذا امر بقطعه ويجوز ان يكون عنده عظماء القبط فرفع
صوته بذلك فيما بينهم ثم ينشر عنه في جموع القبط فكانه نودي به بينهم فقال

فقال أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار يعني أنهار النيل ومعظمها أربعة نهر
الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس قيل كانت تجري تحت قصره وقيل
تحت سريره لارتفاعه وقيل بين يدي في جناني وبساتيني ويجوز أن تكون
الواو عاطفة للأنهار على ملك مصر وتجري نصب على الحال منها وأن تكون الواو
للحال واسم الإشارة مبتدأ والأنهار صفة لاسم الإشارة وتجري خبر للمبتدأ
وليت شعري كيف ارتقت إلى دعوة الربوبية همة من تعاظم بملك مصر
وعجب الناس من مدى عظمته وأمر فنودي بها في أسواق مصر وأزقتها
لئلا تخفى تلك الأبهة والجلالة على صغير وكبير وحتى يتربع في صدور
الدهماء مقدار عزته وملكوته وعن الرشيد أنه لما قرأها قال لأولينها
أخس عبيدي فولاها الخصيب وكان على وضوئه وعن عبد الله بن طاهر
أنه وليها فخرج إليها فلما شارفها ووقع عليها بصره قال أهي القرية التي
افتخر بها فرعون حتى قال أليس لي ملك مصر والله لهي أقل عندي من أن
أدخلها فثنى عنانه ٥٥ أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا
يكاد يبين فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة
مقترنين ٥٥ أم هذه متصلة لأن المعنى أفلا تبصرون أم
تبصرون إلا أنه وضع قوله أنا خير موضع تبصرون لأنهم إذا قالوا
له أنت خير فهم عنده بصراء وهذا من إنزال السبب منزلة المسبب
ويجوز أن تكون منقطعة على بل أنا خير والهمزة للتقرير وذلك أنه

قدم



قدم تعديد أسباب الفضل والتقدم عليهم من ملك مصر وجري الأنهار تحته
ونادى بذلك وملأ به مسامعهم ثم قال أنا خير كأنه يقول أثبت عندكم واستقر
أني أنا خير وهذه حالي من هذا الذي هو مهين أي ضعيف حقير وقرئ أما أنا
خير ولا يكاد يبين الكلام لما به من الرتة يريد أنه ليس معه من العدد
وآلات الملك والسياسة وما يعتضد به وهو في نفسه مخل بما ينعت به الرجال
من اللسن والفصاحة وكانت الأنبياء كلهم أبيناء بلغاء وأراد بإلقاء الأسورة
عليه إلقاء مقاليد الملك إليه لأنهم كانوا إذا أرادوا تسويد الرجل سوروه
بسوار وطوقوه بطوق من ذهب مقترنين إما مقترنين به من قولك قرنته
به فاقترن به وإما من اقترنوا بمعنى تقارنوا لما وصف نفسه بالملك والعز
ووازن بينه وبين موسى صلوات الله عليه فوصفه بالضعف وقلة الأعضاد
اعترض فقال هلا إن كان صادقا ملكه ربه وسوده وسوره وجعل
الملائكة أعضاده وأنصاره وقرئ أساور جمع أسورة وأساوير
جمع أسوار وهو السوار وأساورة على تعويض التاء من ياء أساوير
وقرئ ألقى عليه أسورة وأساور على البناء للفاعل وهو الله عز وجل
٥٥ فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين ٥٥ فاستخف قومه
فاستفزهم وحقيقته حملهم على أن يخفوا له ولما أراد منهم وكذلك استفزه
من قولهم للخفيف فز ٥٥ فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين ٥٥
آسف منقول من أسف أسفا إذا اشتد غضبه ومنه الحديث في موت //

النبي ﷺ تتمة للمؤمنين والخاتمة السوء للكافر ومعناه انهم افرطوا في المعاصي
وعدوا طورهم فاستوجبوا ان نعجل لهم عذابنا وانتقامنا وان لا نحلم
عنهم ﴿فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين﴾ وقرئ سُلُفا جمع سالف
كخدم وخادم وسُلَفا بضمتين جمع سليف اي فريق قد سلف وسُلَفا
جمع سُلفة اي ثلة قد سلفت ومعناه فجعلناهم قدوة للآخرين من
الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لاتيانهم بمثل افعالهم
وحديثا عجيب الشأن سائرا سير المثل يحدثون به ويقال لهم مثلكم مثل
قوم فرعون ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون﴾ لما
قرأ رسول الله ﷺ على قريش ﴿انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾
امتعضوا من ذلك امتعاضا شديدا فقال عبد الله بن الزبعرى يا محمد أخاصة
لنا ولآلهتنا ام لجميع الامم فقال عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع
الامم فقال خصمتك ورب الكعبة الست تزعم ان عيسى ابن مريم نبي
وتثني عليه خيرا وعلى امه وقد علمت ان النصارى يعبدونهما وعزيرا
يعبد والملائكة يعبدون فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن و
آلهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبي ﷺ فانزل الله تعالى ﴿ان الذين
سبقت لهم﴾ ونزلت هذه الآية والمعنى ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى
عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله ﷺ بعبادة النصارى اياه اذا قومك
قريش منه من هذا المثل يصدون يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجذلا

وضحكا



يضجون [illegible]
الصوت والجلبة

وضحكا لما سمعوا منه من اسكات رسول الله ﷺ بجدله كما يرتفع لغط القوم و
جلبتهم اذا تعيّوا بحجة ثم فتحت عليهم واما من قرأ يصدون بالضم فمن
الصدود اي من اجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل من
الصديد وهو الجلبة وانهما لغتان نحو يعكف ويعكُف ونظائر لهما
﴿وقالوا ءآلهتنا خير ام هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ان
هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم
ملائكة في الارض يخلفون﴾ وقالوا آلهتنا خير ام هو يعنون ان آلهتنا
عندك ليست بخير من عيسى فاذا كان عيسى من حصب النار كان امر آلهتنا هينا ما
ضربوه اي ما ضربوا هذا المثل لك الا جدلا الا لاجل الجدل والغلبة في
القول لا لطلب المميز بين الحق والباطل بل هم قوم خصمون لد شداد
الخصومة دأبهم اللجاج لقوله تعالى قوما لدا وذلك ان قوله تعالى انكم وما
تعبدون ما اريد به الا الاصنام وكذلك قوله عليه السلام هو لكم ولآلهتكم
ولجميع الامم انما قصد به الاصنام ومحال ان يقصد به الانبياء والملائكة
الا ان ابن الزبعرى بخبثه ودهائه وخبث دخلته لما رأى كلام الله و
رسوله محتملا لفظا وجه العموم مع علمه بان المراد به اصنامهم لا غير
وجد للحيلة مساغا فصرف معناه الى الشمول والاحاطة بكل معبود غير
الله على طريقة المحك والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقح في ذلك
فتوقف رسول الله ﷺ حتى اجاب عنه ربه ان الذين سبقت لهم منا الحسنى

فدل به على ان الانحا فة في الاصنام على ان ظاهر قوله وما تعبدون لغير العقلاء
وقيل لما سمعوا قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم قالوا نحن اهدى
من النصارى لانهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت وقوله
الهتنا خير هو على هذا القول تفضيل لآلهتهم على عيسى لان المراد بهم
الملائكة وما ضربوه لك الا جدلا معناه ما قالوا هذا القول يعني االهتنا خير
ام هو الا للجدل وقرئ االهتنا خير باثبات همزة الاستفهام وباسقاطها
لدلالة ام العديلة عليها وفي حرف ابن مسعود خير ام هذا ويجوز
ان يكون جدلا حالا اي جدلين وقيل لما نزلت ان مثل عيسى عند الله قالوا
ما يريد محمد بهذا الا ان نعبده وانه يستاهل ان يعبد وان كان بشرا
كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون و
يضجرون والضمير في انه هو لمحمد صلى الله عليه وسلم وغرضهم بالموازنة بينه و
بين الهتهم السخرية والاستهزاء ويجوز ان يقولوا لما انكر عليهم قولهم
الملائكة بنات الله وعبدوهم نحن اشف منهم قولا وفعلا
فانا نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسي فقيل لهم مذهب
النصارى شرك بالله ومذهبكم شرك مثله وما تنصلكم مما انتم عليه بما
اوردتموه الا قياس باطل بما هو ابطل منه كسائر العبيد انعمنا
عليه حين جعلناه آية بان خلقناه من غير سبب كما خلقنا آدم وشرفناه
بالنبوة وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر لبني اسرائيل ولو نشاء
لقدرتنا على عجائب الامور وبدائع الفطر لجعلنا منكم لولدنا

منكم



منكم يا رجال ملائكة يخلفونكم في الارض كما يخلفكم اولادكم كما ولدنا عيسى
من انثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا ان الملائكة
اجسام لا تتولد الا من اجسام وذوات القديم متعالية عن ذلك وانه
انه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم
الشيطان انه لكم عدو مبين وانه وان عيسى عم لعلم للساعة اي شرط
من اشراطها تعلم به فسمي الشرط علما لحصول العلم به وقرا ابن عباس
لعلم وهو العلامة وقرئ للعلم وقرا ابي لذكر على تسمية ما يذكر
به كما سمي ما يعلم به علما وفي الحديث ان عيسى عم ينزل على ثنية بالارض
المقدسة يقال لها افيق وعليه ممصرتان وشعر راسه دهين وبيده حربة
وبها يقتل الدجال فياتي بيت المقدس والناس في صلوة الصبح والامام
يؤم بهم فيتقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد عم ثم يقتل
الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى
الا من آمن به وعن الحسن ان الضمير للقرآن وان القرآن به تعلم الساعة
لان فيه الاعلام بها فلا تمترن بها من المرية وهي الشك واتبعون و
اتبعوا هداي وشرعي او رسولي وقيل هذا امر لرسول الله عم ان يقوله
هذا صراط مستقيم اي هذا الذي ادعوكم اليه او هذا القرآن ان جعل
الضمير في وانه للقرآن عدو مبين قد بانت عداوته لكم اذ اخرج اباكم من الجنة
ونزع عنه لباس النور ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة

نكتة

ادخلوا الجنة بغير حساب. سورة الدخان خمسون واربع آيات بسم الله الرحمن الرحيم. حم والكتاب المبين انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم. الواو في الكتاب واو القسم ان جعلت تعديدا للحروف او اسما للسورة مرفوعا على خبر الابتداء المحذوف وواو العطف ان كانت حم مقسما بها و قوله انا انزلناه جواب القسم والكتاب المبين القرآن والليلة المباركة ليلة القدر وقيل ليلة النصف من شعبان ولها اربعة اسماء الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الصك وليلة الرحمة وقيل بينها وبين ليلة القدر اربعون ليلة وقيل في تسميتها ليلة البراءة والصك ان البندار اذا استوفى الخراج من اهله كتب لهم البراءة كذلك الله عز وجل يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه الليلة وقيل هي مخففة لخمس خصال تفريق كل امر حكيم وفضيلة العبادة فيها قال رسول الله ع م من صلى في هذه الليلة مائة ركعة ارسل الله اليه مائة ملك ثلثون يبشرونه بالجنة وثلثون يؤمنونه من عذاب النار وثلثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان ونزول الرحمة قال ع م ان الله يرحم امتي في هذه الليلة بعدد شعر اغنام بني كلب وحصول المغفرة قال ع م ان الله يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة الا لكاهن او ساحر او مشاحن او مدمن خمر او عاق للوالدين او مصر على الزنا وما

وما اعطي فيها رسول الله ع م من تمام الشفاعة وذلك انه سال ليلة الثالث عشر من شعبان في امته فاعطي الثلث منها ثم سال ليلة الرابع عشر فاعطي الثلثين ثم سال ليلة الخامس عشر فاعطي الجميع الا من شرد على الله شراد البعير ومن عادة الله في هذه الليلة ان يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة والقول الاكثر ان المراد بالليلة المباركة ليلة القدر لقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر ولمطابقة قوله فيها يفرق كل امر حكيم لقوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن وليلة القدر في اكثر الاقاويل في شهر رمضان فان قلت ما معنى انزال القرآن في هذه الليلة قلت قالوا انزل جملة واحدة من السماء السابعة الى السماء الدنيا وامر السفرة الكرام بانتساخه في ليلة القدر وكان جبرئيل عليه السلام ينزله على رسول الله ع م نجوما نجوما فان قلت انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم ما موقع هاتين الجملتين قلت هما جملتان مستانفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم الذي هو قوله انا انزلناه في ليلة مباركة كانه قيل انزلناه لان من شاننا الانذار والتحذير من العقاب وكان انزالنا اياه في هذه الليلة خصوصا لان انزال القرآن من الامور الحكيمة وهذه الليلة مفرق كل امر حكيم والمباركة الكثيرة الخير لما يتيح الله فيها من الامور التي يتعلق بها منافع العباد في دينهم ودنياهم ولو لم يوجد فيها الا انزال القرآن وحده لكفى به بركة ومعنى يفرق يفصل

فيها لغو اذا الاولى متعلقة بقوله انزلناه والثانية بقوله في ليلة مباركة

ويكتب كل أمر حكيم من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمرهم منها
إلى الأخرى القابلة وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ
في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الأعمال
إلى إسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب
إلى ملك الموت وعن بعضهم يعطى كل عامل بركات أعماله فيلقى على ألسنة
الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق كل
على بنائه للفاعل ونصب كل والفارق الله عز وجل وقرأ زيد بن علي
رضي الله عنه نفرق بالنون كل أمر حكيم كل شأن ذي حكمة أي مفعول على ما
يقتضيه الحكمة وهو من الإسناد المجازي لأن الحكيم صفة صاحب الأمر
على الحقيقة ووصف الأمر به مجاز أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين
رحمة من ربك إنه هو السميع العليم رب السموات والأرض وما
بينهما إن كنتم موقنين لا إله إلا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم
الأولين بل هم في شك يلعبون أمرا من عندنا نصب على الاختصاص
جعل كل أمر جزلا فخما بأن وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وكسبه فخامة
بأن قال أعني بهذا الأمر أمرا حاصلا من عندنا كائنا من لدنا وكما
اقتضاه علمنا وتدبيرنا ويجوز أن يراد به الأمر الذي هو ضد النهي ثم
إما أن يوضع موضع فرقانا الذي هو مصدر يفرق لأن معنى الأمر و
الفرقان واحد من حيث إنه إذا حكم بالشيء وكتبه فقد أمر به وأوجبه





أو يكون حالا من أحد الضميرين في أنزلناه إما من ضمير الفاعل أي أنزلناه آمرين
أمرا أو من ضمير المفعول أي أنزلناه في حال كونه أمرا من عندنا بما يجب أن يفعل
فإن قلت إنا كنا مرسلين رحمة من ربك بم يتعلق قلت يجوز أن يكون بدلا من قوله
إنا كنا منذرين ورحمة من ربك مفعولا له على معنى إنا أنزلنا القرآن لأن من شأننا
إرسال الرسل بالكتب إلى عبادنا لأجل الرحمة عليهم وأن يكون تعليلا ليفرق أو
لقوله أمرا من عندنا ورحمة مفعولا به وقد وصف الرحمة بالإرسال كما وصفها
به في قوله وما يمسك فلا مرسل له من بعده أي يفصل في هذه الليلة كل أمر أو تصدر
الأوامر من عندنا لأن من عادتنا أن نرسل رحمتنا وفصل كل أمر من قسمة الأرزاق
وغيرها من باب الرحمة وكذلك الأوامر الصادرة من جهته عز وعلا لأن الغرض في
تكليف العباد تعريضهم للمنافع والأصل إنا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر
الظاهر موضع الضمير إيذانا بأن الربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين وفي قراءة
زيد بن علي أمر من عندنا على هو أمر وهي تنصر انتصابه على الاختصاص وقرأ
الحسن رحمة من ربك على تلك رحمة من ربك وهي تنصر انتصابها بأنها مفعول له إنه
هو السميع العليم وما بعده تحقيق لربوبيته وأنها لا تحق إلا لمن هذه أوصافه
وقرئ رب السموات ربكم ورب آبائكم بالجر بدلا من ربك فإن قلت ما معنى الشرط الذي
هو قوله إن كنتم موقنين قلت كانوا يقرون بأن للسموات والأرض ربا وخالقا
فقيل لهم إن إرسال الرسل وإنزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل إن هذا الرب هو
السميع العليم الذي أنتم مقرون به ومعترفون بأنه رب السموات والأرض و

وما بينهما إن كان إقراركم عن علم وإيقان كما تقول هذا إنعام زيد الذي تسامع
الناس بكرمه واشتهروا سخاءه إن بلغك حديثه وحدثت بقصته ثم رد
أن يكونوا موقنين بقوله بل هم في شك يلعبون وأن إقرارهم غير صادر عن
علم وتيقن ولا عن جد وحقيقة بل قول مخلوط بهزؤ ولعب فارتقب يوم
تأتي السماء بدخان مبين يوم تأتي السماء مفعول به مرتقب يقال رقبته
وارتقبته نحو نظرته وانتظرته واختلفوا في الدخان فعن علي بن أبي
طالب رضي الله عنه وبه أخذ الحسن أنه دخان يأتي من السماء قبل يوم
القيمة يدخل في أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ
ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه
ليس فيه خصاص وعن رسول الله ﷺ أول الآيات الدخان ونزول عيسى
ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر
قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا رسول الله ﷺ الآية وقال يملأ
ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه
كهيئة الزكمة وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه وأذنيه
ودبره وعن ابن مسعود رضي الله عنه خمس قد مضت الروم والدخان
والقمر والبطشة واللزام ويروى أنه قيل لابن مسعود إن قاصا عند أبواب
كندة يقول إنه دخان يأتي يوم القيمة فيأخذ بأنفاس الخلق فقال من
علم علما فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإن من علم الرجل أن يقول

لشيء

لشيء لا يعلمه الله أعلم ثم قال ألا وسأحدثكم أن قريشا لما استعصت
على رسول الله ﷺ دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها
عليهم سنين كسني يوسف فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز و
كان الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع
كلامه ولا يراه من الدخان فمشى إليه أبو سفيان ونفر معه وناشدوه
الله والرحم وواعدوه إن دعا لهم وكشف عنهم أن يؤمنوا فلما كشف عنهم
رجعوا إلى شركهم بدخان مبين ظاهر حاله لا يشك أحد في أنه دخان يغشى
الناس هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون يغشى الناس
يشملهم ويلبسهم وهو في محل الجر صفة لدخان وهذا عذاب إلى قوله مؤمنون
منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب على الحال أي
قائلين ذلك إنا مؤمنون موعدة بالإيمان إن كشف عنهم العذاب أنى لهم
الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون إنا كاشفوا
العذاب قليلا إنكم عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون
أنى لهم الذكرى كيف يتذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الإيمان
عند كشف العذاب وقد جاءهم ما هو أعظم وأدخل في وجوب الادكار
من كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله ﷺ من الآيات والبينات من
الكتاب المعجز وغيره من المعجزات فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه
بأن عداسا غلاما أعجميا لبعض ثقيف هو الذي علمه ونسبوه إلى
الجنون

ثم قال انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون اى ريثما نكشف عنكم العذاب
تعودون الى شرككم لا تلبثون غب الكشف على ما انتم عليه من التضرع والابتهال
فان قلت كيف يستقيم على قول من جعل الدخان قبل يوم القيمة قوله
انا كاشفوا العذاب قليلا قلت اذا اتت السماء بالدخان تضور
المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا
العذاب انا مؤمنون منيبون فيكشفه الله عنهم بعد اربعين يوما
فريثما يكشفه عنهم يرتدون لا يتمهلون ثم قال يوم نبطش البطشة
الكبرى يريد يوم القيمة كقوله فاذا جاءت الطامة الكبرى انا منتقم
ای ننتقم منهم فی ذلک الیوم فان قلت بم انتصب یوم نبطش قلت
بما دل عليه انا منتقمون وهو ننتقم ولا يصح ان ينتصب بمنتقمون لان
ان تحجب عن ذلك وقرئ نبطش بضم الطاء وقرا الحسن نبطش
بضم النون كانه يحمل الملائكة على ان يبطشوا بهم البطشة الكبرى او
يجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقيل البطشة الكبرى يوم بدر
ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ان ادوا
الى عباد الله انى لكم رسول امين وقرئ ولقد فتنا بالتشديد للتاكيد
او لوقوعه على القوم ومعنى الفتنة انه امهلهم ووسع عليهم في الرزق
فكان ذلك سببا في ارتكابهم المعاصي واقترافهم الاثام او ابتلاهم
بارسال موسى عليه السلام اليهم ليؤمنوا فاختاروا الكفر على الايمان او



او سلبهم ملكهم واغرقهم كريم على الله وعلى عباده المؤمنين او كريم في
نفسه لان الله لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم ان ادوا الي هي
ان المفسرة لان مجيء الرسول من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لانه لا
يجيئهم الا مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله او المخففة من الثقيلة ومعناه
وجاءهم بان الشان والحديث ادوا الي وعباد الله مفعول به وهم بنو اسرائيل
يقول ادوهم الي وارسلوهم معي كقوله ارسل معنا بني اسرائيل ولا
تعذبهم ويجوز ان يكون نداء لهم على ادوا الي يا عباد الله ما هو واجب
لي عليكم من الايمان لي وقبول دعوتي واتباع سبيلي وعلل ذلك بانه رسول
امين غير ظنين قد ائتمنه الله على وحيه ورسالته وان لا تعلوا على الله
انى آتيكم بسلطان مبين وانى عذت بربى وربكم ان ترجمون وان لم تؤمنوا
لى فاعتزلون فتحاربه انه لهذا قوم مجرمون وان لا تعلوا ان هذه
مثل الاولى في وجهيها اى لا تستكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووحيه
او لا تستكبروا على نبي الله بسلطان مبين بحجة واضحة ان ترجمون
ان تقتلون وقرئ عت بالادغام ومعناه انه عائذ بربه متكل على انه
يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه به من
الرجم والقتل فاعتزلون يريد وان لم تؤمنوا الى فلا موالاة بيني وبين
من لا يؤمن فتنحوا عني واقطعوا اسباب الوصلة عني وخلوني كفافا لا لي
ولا علي ولا تتعرضوا لي بشركم واذاكم فليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلا

وان ذا الكلام ... معنى العود بعد ... جاز ان يعود ... المغفرة

يريد انه اذا كان ان المخففة
من الثقيلة يكون جار ان الجر محذوفا
وهو الباء للتعدية او للملابسة اى
جاءهم ملتبسا بشان وهو ان ادوا

ذلك أن هؤلاء، بأن هؤلاء أي دعا ربه بذلك قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم
ما يستحقونه بإجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين
وإنما ذكر الله تعالى السبب الذي استوجبوا به الهلاك وهو كونهم مجرمين
وقرئ إن هؤلاء بالكسر على إضمار القول أي فدعا ربه فقال إن هؤلاء
فأسر بعبادي ليلا إنكم متبعون واترك البحر رهوا إنهم جند مغرقون
كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين
كذلك وأورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا
منظرين فأسر قرئ بقطع الهمزة من أسرى ووصلها من سرى وفيه و
جهان إضمار القول بعد الفاء فقال أسر بعبادي وأن يكون جوابا لشرط
محذوف كأنه قيل قال إن كان الأمر كما تقول فأسر بعبادي يعني فأسر بني
إسرائيل فقد دبر الله أن تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجي
المتقدمين ويغرق التابعين الرهو فيه وجهان أحدهما أنه الساكن قال الأعشى
يمشين رهوا فلا الأعجاز خاذلة ولا الصدور على الأعجاز تتكل أي مشيا
ساكنا على هينته أراد موسى لما جاوز البحر أن يضربه بعصاه فينطبق
كما ضربه فانفلق فأمر بأن يتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله من انتصاب الماء
وكون الطريق يبسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئا ليدخله القبط
فإذا حصلوا فيه أطبقه الله عليهم والثاني أن الرهو الفجوة الواسعة و
عن بعض العرب أنه رأى جملا فالجا فقال سبحان الله رهو بين سنامين

يعني



يعني اتركه منفتحا على حاله منفرجا انهم جند قرئ بالفتح بمعنى لانهم
والمقام الكريم ما كان لهم من المجالس والمنازل الحسنة وقيل المنابر و
النعمة بالفتح من التنعم وبالكسر من الإنعام وقرئ فاكهين كذلك وفكهين
كذلك الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الإخراج أخرجناهم منها وأورثناها
أو في موضع الرفع على الأمر كذلك قوما آخرين ليسوا منهم في شيء من قرابة
ولا دين ولا ولاء وهم بنو إسرائيل كانوا متسخرين مستعبدين في
أيديهم فأهلكهم الله على أيديهم وأورثهم ملكهم وديارهم إذا مات
رجل خطير قالت العرب في تعظيم مهلكه بكت عليه السماء والأرض و
بكته الريح وأظلمت له الشمس وفي حديث رسول الله عليه السلام ما من مؤمن مات
في غربة غابت فيها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض وقال جرير
تبكي عليه نجوم الليل والقمرا وقالت الخارجية أيا شجر الخابور
ما لك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف وذلك على سبيل التمثيل
والتخييل مبالغة في وجوب الجزع والبكاء عليه وكذلك ما يروى عن
ابن عباس رضي الله عنهما من بكاء مصلى المؤمن وآثاره في الأرض و
مصاعد عمله ومهابط رزقه في السماء تمثيل ونفي ذلك عنهم في
قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والأرض فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية
لحال من يعظم فقده فيقال فيه بكت عليه السماء والأرض وعن الحسن
فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين يعني فما

أوله
الشمس طالعة ليست بكاسفة

بكى عليهم اهل السماء واهل الارض وما كانوا منظرين لما جاء وقت هلاكهم
لم ينظروا الى وقت آخر ولم يمهلوا الى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا ولقد
نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون انه كان عاليا من المسرفين
ولقد اخترناهم على علم على العالمين وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين من
من فرعون بدل من العذاب المهين كانه في نفسه كان عذابا مهينا لافراطه
في تعذيبهم واهانتهم ويجوز ان يكون المعنى من العذاب المهين واقعا
من جهة فرعون وقرئ من عذاب المهين ووجهه ان يكون تقديره
قوله من فرعون من عذاب فرعون حتى يكون المهين هو فرعون وفي قراءة
ابن عباس من فرعون لما وصف عذاب فرعون بالشدة والفظاعة قال من فر
عون على معنى هل تعرفونه من هو في عتوه وشيطنته ثم عرف حاله في ذلك بقوله
انه كان عاليا من المسرفين اي كبيرا رفيع الطبقة من بينهم فائقا لهم بليغا
في اسرافه وعاليا متكبرا كقوله ان فرعون علا في الارض ومن المسرفين
خبر ثان كانه قيل انه كان متكبرا مسرفا اخترناهم اخترنا بني اسرائيل على علم في
موضع الحال اي عالمين بمكان الخيرة وبانهم احقاء بان يختاروا ويجوز ان
يكون المعنى مع علمنا بانهم يزيغون ويفرط منهم الفرطات في بعض الاحوال
على العالمين على عالمي زمانهم وقيل على الناس جميعا لكثرة الانبياء منهم من
الآيات من نحو فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك
من الآيات العظام التي لم يظهر الله في غيرهم مثلها بلاء مبين نعمة ظاهرة لان

الله



الله تعالى يبلو بالنعمة كما يبلو بالمصيبة او اختبارا ظاهرا لننظر كيف تعملون كقوله
وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ان هؤلاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى و
ما نحن بمنشرين فأتوا بآبائنا ان كنتم صادقين اهم خير ام قوم تبع والذين
من قبلهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما
بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون هؤلاء
اشارة الى كفار قريش فان قلت كان الكلام واقعا في الحياة الثانية لا
في الموت فهلا قيل ان هي الا حياتنا الاولى وما نحن بمنشرين كما قيل ان هي
الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وما معنى قوله ان هي الا موتتنا
الاولى وما معنى ذكر الاولى كانهم وعدوا موتة اخرى حتى نفوها وجحدوها
واثبتوا الاولى قلت معناه والله الموفق للصواب انه قيل لهم انكم تموتون
موتة تتعقبها حياة كما تقدمتكم موتة قد تعقبتها حياة وذلك قوله
[عز وجل] وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هي الا موتتنا الاولى يريدون
ما الموتة التي من شأنها ان يتعقبها حياة الا الموتة الاولى دون الموتة الثانية
وما هذه الصفة التي تصفون بها الموتة من تعقب الحياة لها الا
للموتة الاولى خاصة فلا فرق اذا بين هذا وبين قوله ان هي الا حياتنا الدنيا
في المعنى يقال انشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم فأتوا بآبائنا خطاب
للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله والمؤمنين اي ان صدقتم
فيما تقولون فعجلوا لنا احياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم ذلك حتى

يكون دليلاً على ان ما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق وقيل كانوا
يطلبون اليهم ان يدعوا الله فينشر لهم قصي بن كلاب ليشاوروه فانه كان كبيرهم
ويشاورونه في النوازل ومعاظم الشؤون هو تبع الحميري كان مؤمنا وقومه كافرين
ولذلك ذم الله قومه ولم يذمه وهو الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى
سمرقند وقيل هدمها وكان اذا كتب قال بسم الله الذي ملك برا وبحرا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم وعنه عليه السلام ما ادري اكان
تبع نبيا او غير نبي وعن ابن عباس كان نبيا وقيل نظر الى قبرين بناحية حمير
قال هذا قبر رضوى وقبر حبى بنتي تبع لا تشركان بالله شيئا وقيل هو الذي كسا
البيت وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون
وسمي الظل تبعا لانه يتبع الشمس فان قلت ما معنى قوله اهم خير ولا
خير في الفريقين قلت معناه اهم خير في القوة والمنعة كقوله اكفاركم
خير من اولئكم بعد ذكر آل فرعون وفي تفسير ابن عباس اهم اشد ام
قوم تبع وما بينهما وما بين الجنسين وقرأ عبيد بن عمير وما بينهن
ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا
هم ينصرون الا من رحم الله انه هو العزيز الرحيم ان يوم الفصل ميقاتهم
علمانه ان يوم الفصل بين الخلائق ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم
الفصل لا يغني مولى اي مولى كان من قرابة او غيرها عن مولى عن اي مولى كان
من شيئا قليلا ولا هم ينصرون الضمير للموالي لانهم في المعنى كثير لتناول





اللفظ على الابهام والشياع لكل مولى من رحم الله في محل الرفع على البدل من
الواو في ينصرون اي لا يمنع من العذاب الا من رحمه الله ويجوز ان ينتصب على
الاستثناء انه هو العزيز لا ينصر منه من عصاه الرحيم لمن اطاعه ان شجرة
الزقوم طعام الاثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم خذوه فاعتلوه الى
سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق انك انت العزيز
الكريم ان هذا ما كنتم به تمترون قرئ ان شجرة الزقوم بكسر الشين
وفيها ثلث لغات شجرة بفتح الشين وكسرها وشيرة بالياء وروي انه
لما نزل اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم قال ابن الزبعرى ان اهل اليمن
يدعون الزبد والتمر الزقوم فدعا ابو جهل بتمر وزبد فقال تزقموا
فان هذا هو الذي يخوفكم به محمد فنزل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم وهو
الفاجر الكثير الآثام وعن ابي الدرداء انه كان يقرئ رجلا فكان يقول
طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر يا هذا وبهذا يستدل على ان ابدال
كلمة مكان كلمة جائز اذا كانت مؤدية معناها ومنه اجاز ابو حنيفة رضي الله عنه القراءة بالفا
رسية على شريطة وهي ان يؤدي القارئ المعاني على كمالها من غير ان يخرم منها شيئا
قالوا وهذه الشريطة تشهد انها اجازة كلا اجازة لان في كلام العرب خصوصا
في القرآن الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه واساليبه من لطائف
المعاني والاغراض ما لا يستقل باداءه لسان من فارسية وغيرها وما
كان ابو حنيفة مثل قول صاحبيه في انكار القراءة بالفارسية كالمهل قرئ

بفتح الميم وضمها وهو دردي ... عنه تحسين الفارسية فلم يكن ذلك منه عن
تحقق وتبصر وروى علي بن الجعد عن ابي يوسف عن ابي حنيفة مثل قول
صاحبيه في انكار القراءة بالفارسية كالمهل قرئ بفتح الميم وضمها وهو دردي
الزيت ويدل عليه قوله فكانت وردة كالدهان وقيل هو ذائب الفضة والنحاس
والكاف رفع خبر بعد خبر وكذلك تغلي وقرئ بالتاء للشجرة وبالياء للطعام والحميم
الماء الحار الذي انتهى غليانه يقال للزبانية خذوه فاعتلوه فقودوه بعنف و
غلظة وهو ان يؤخذ بتلبيب الرجل فيجر الى حبس او قتل ومنه العتل وهو الغليظ
الجافي وقرئ بكسر التاء وضمها الى سواء الجحيم كقوله في سواء الجحيم وسطها ومعظمها فان
قلت هلا قيل صبوا فوق رأسه من الحميم كقوله يصب من فوق رؤسهم الحميم لان
الحميم هو المصبوب لا عذابه قلت اذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته الا ان
صب العذاب طريقة الاستعارة كقوله صبت عليه صروف الدهر من صبب وكقوله
افرغ علينا صبرا فذكر العذاب معلقا به الصب مستعارا له ليكون اهول واهيب
يقال ذق انك انت العزيز الكريم على سبيل الهزؤ والتهكم بمن كان يتعزز ويتكرم على
قومه وروي ان ابا جهل قال لرسول الله ما بين جبليها اعز ولا اكرم مني فوالله ما تستطيع
انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا وقرئ انك بمعنى لانك وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه قرأ به
على المنبر ان هذا العذاب او ان هذا الامر هو ما كنتم به تمترون او تشكون وتتمارون
وتتجادلون ان المتقين في مقام امين في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق
متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت



الا الموتة الاولى ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم
قرئ في مقام بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذي
وقع مستعملا في معنى العموم وبالضم وهو موضع الاقامة والامين من قولك امن
الرجل امانة فهو امين وهو من صفة الخائف فوصف به المكان استعارة لان المكان
المخيف كانما يخوف صاحبه بما يلقى فيه من المكاره قيل السندس مارق من الديباج
والاستبرق ما غلظ منه وهو تعريب استبره فان قلت كيف ساغ ان يقع في
القرآن العربي المبين لفظ اعجمي قلت اذا عرب خرج من ان يكون اعجميا لان
معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على
اوجه الاعراب كذلك الكاف مرفوعة على الامر كذلك او منصوبة على مثل ذلك اثبناهم
وزوجناهم وقرأ عكرمة بحور عين على الاضافة والمعنى بالحور من العين لان
العين اما ان تكون حورا او غير حور فهؤلاء من الحور العين لا من شهلهن
مثلا وفي قراءة عبد الله بعيس عين والعيساء البيضاء تعلوها حمرة وقرأ
عبيد بن عمير لا يذاقون فيها الموت وقرأ عبد الله لا يذوقون فيها طعم الموت فان
قلت كيف استثنيت الموتة الاولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه
فيها قلت اريد ان يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة الاولى
موضع ذلك لان الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال
كانه قيل ان كانت الموتة الاولى يستقيم ذوقها في المستقبل فانهم يذوقونها و
قرئ ووقاهم بالتشديد فضلا من ربك عطاء من ربك وثوابا يعني كل ما اعطي المتقين

من نعيم الجنة والنجاة من النار وقوله فضلا ذلك فضلا فانما يسرناه
بلسانك لعلهم يتذكرون فارتقب انهم مرتقبون فانما يسرناه بلسانك قد
للسورة وسعادها ذكرهم بالكتاب المبين فانما يسرناه بلسانك اي سهلناه حيث
انزلناه عربيا بلسانك بلغتك ارادة ان يفهمه قومك فيتذكروا فارتقب
فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون ما يحل بك من الدوائر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا حم الدخان في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك وعنه عليه السلام
من قرا حم التي فيها الدخان في ليلة جمعة اصبح مغفورا له سورة الجا
ثية ثلثون وسبع ايات بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض لايات للمؤ
منين وفي خلقكم وما يبث من دابة ايات لقوم يوقنون واختلاف الليل و
النهار وما انزل الله من السماء من رزق فاحيا به الارض بعد موتها وتصريف
(الرياح) ايات لقوم يعقلون حم ان جعلتها اسما مبتدأ مخبرا عنه بتنزيل الكتاب
لم يكن بد من حذف مضاف تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب ومن الله صلة
للتنزيل وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبرا
ان في السموات والارض يحتمل ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في
خلق السموات لقوله وفي خلقكم فانه يحسن عطفه وما يبث على الخلق
المضاف اي على الضمير المضاف اليه فانه بل على المضاف لان المضاف اليه ضمير
متصل مجرور يستقبح العطف عليه لاستقباح ان يقال مررت بك وزيد وهذا

لكن

الرياح صح

الدرك

ابوك وعمرو وكذلك ان اكدوه كرهوا ان يقولوا مررت بك انت وزيد وقرئ ايات
لقوم يوقنون بالنصب والرفع على قولك ان زيدا في الدار وعمرا في السوق او
وعمرو في السوق واما قوله ايات لقوم يعقلون فمن العطف على عاملين سواء نصبت
او رفعت فالعاملان اذا نصبت هما ان وفي اقيمت الواو مقامهما فعملتا الجر
في واختلاف الليل والنهار والنصب في ايات واذا رفعت فالعاملان الابتداء و
في عملت الرفع في ايات والجر في اختلاف وقرا ابن مسعود وفي اختلاف
الليل والنهار فان قلت العطف على عاملين على مذهب الاخفش سديد لا
مقال فيه وقد اباه سيبويه فما وجه تخريج الاية عنده قلت فيه وجهان احدهما
ان يكون على اضمار في والذي حسنه تقدم ذكره في الايتين قبلها ويعضده
قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والثاني ان ينتصب ايات على الاختصاص
بعد انقضاء المجرور معطوفا على ما قبله او على التكرير ورفعها باضمار
هي وقرئ واختلاف الليل والنهار بالرفع وقرئ اية وكذلك وما يبث
من دابة اية وقرئ وتصريف الريح والمعنى ان المنصفين من العباد اذا
نظروا في السموات والارض النظر الصحيح علموا انها مصنوعة وانه
لا بد لها من صانع فامنوا بالله واقروا فاذا نظروا في خلق انفسهم وتنقلها
من حال الى حال وهيئة الى هيئة وفي خلق ما على ظهر الارض من صنوف الحيوانات
ازدادوا ايمانا وايقنوا وانتفى عنهم اللبس فاذا نظروا في سائر الحوادث
التي تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار وحيوة
الارض

وحيوة الارض بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا
عقلوا او استحكم علمهم وخلص يقينهم وتسمية المطر رزقا لانه سبب الرزق
تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون ويل
لكل افاك اثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها
فبشره بعذاب اليم واذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا اولئك لهم
عذاب مهين تلك اشارة الى الآيات المتقدمة اي تلك الآيات آيات الله ونتلوها
في محل الحال اي متلوة عليك بالحق والعامل ما دل عليه تلك من معنى الاشارة
ونحوه وهذا بعلي شيخا وقرئ يتلوها بالياء بعد الله وآياته اي بعد
آيات الله كقولهم اعجبني زيد وكرمه يريدون اعجبني كرم زيد ونحوه من
بعد حديث الله وهو كتابه يوقرانه كقوله الله نزل احسن الحديث
وقرئ تؤمنون بالياء والتاء الافاك الكذاب والاثيم المتبالغ في اقتراف
الآثام ثم يصر يقبل على كفره ويقيم عليه واصله من اصرار الحمار على العانة و
هو ان ينكب عليها صارا اذنيه مستكبرا عن الايمان بالآيات والاذعان
لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده قيل نزلت في النضر بن
الحارث وكان يشتري من احاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع
القرآن والآية عامة في كل من كان مضارا لدين الله فان قلت ما معنى ثم
في قوله ثم يصر مستكبرا قلت معناه في قول القائل يرى غمرات الموت
ثم يزورها وذلك ان غمرات الموت حقيقة بان ينجو رائيها بنفسه و

ويطلب



ويطلب الفرار عنها واما زيارتها والاقدام على مزاولتها فامر مستبعد
فمعنى ثم الايذان بان فعل المقدم عليها بعد ما رآها وعاينها شيء
يستبعد في العادات والطباع وكذلك آيات الله الواضحة الناطقة بالحق
من تليت عليه وسمعها كان مستبعدا في العقول اصراره على الضلالة
عندها واستكباره عن الايمان بها كأن مخففة والاصل كانه لم يسمعها و
الضمير ضمير الشأن كما في قوله كأن ظبية تعطو الى ناضر السلم وهي محل الجملة
النصب على الحال اي يصر مثل غير السامع واذا بلغه شيء من آياتنا وعلم
انه من جملة الآيات نزلت اتخذها اي اتخذ الآيات هزوا ولم يقل اتخذه
للاشعار بانه اذا احس بشيء من الكلام انه من جملة الآيات المنزلة
الله على محمد صلعم خاض في الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء
بما بلغه ويحتمل واذا علم من آياتنا شيئا يمكن ان يتشبث به المعاند ويجد
له محملا يتسلق به على الطعن والغميزة افترصه واتخذ آيات الله هزوا
وذلك كافتراء ابن الزبعرى قوله انكم وما تعبدون من دون
الله حصب جهنم ومغالطته رسول الله صلعم وقوله خصمتك ويجوز ان يرجع
الضمير الى شيء لانه في معنى الآية كقول ابي العتاهية نفسي بشيء من
الدنيا معلقة الله والقائم المهدي يكفيها حيث اراد عتبة وقرئ علم
اولئك اشارة الى كل افاك اثيم لشموله الافاكين لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم ولا
يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء ولهم عذاب عظيم

هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم الله الذي
سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم
تشكرون والوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف او قدام
قال أليس ورائي ان تراخت منيتي ادب مع الولدان ازحف كالنسر ومنه
قوله عز وجل من ورائهم اي من قدامهم ما كسبوا من الاموال في رحلهم ومتا
جرهم ولا ما اتخذوا من دون الله من الاوثان هذا اشارة الى القرآن يدل عليه
قوله والذين كفروا بآيات ربهم لان آيات ربهم هي القرآن كامل في الهداية كما تقول
زيد رجل تريد كامل في الرجولية وايما رجل والرجز اشد العذاب وقرئ
بجر اليم ورفعه ولتبتغوا من فضله بالتجارة او بالغوص على اللؤلؤ والمر
جان واستخراج اللحم الطري وغير ذلك من منافع البحر وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض جميعا منه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون قل للذين آمنوا
يغفروا للذين لا يرجون ايام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون من عمل
صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون فان قلت ما معنى منه
في قوله جميعا منه وما موقعها من الاعراب قلت هي واقعة موقع الحال و
المعنى انه سخر هذه الاشياء كائنة منه وحاصلة من عنده يعني انه مكونها وموجدها
بقدرته وحكمته ثم مسخرها لخلقه ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره
هي جميعا منه وان يكون وسخر لكم تأكيدا لقوله سخر لكم ثم ابتدأ قوله ما في السموات
وما في الارض جميعا منه وان يكون وما في الارض مبتدأ ومنه خبره وقرأ ابن عباس منة

وقرأ





وقرأ سلمة بن محارب منه على ان يكون منه فاعل سخر على الاسناد المجازي او على انه
خبر مبتدأ محذوف اي ذلك او هو منه حذف المفعول لان الجواب دال عليه والمعنى
قل لهم اغفروا يغفروا الذين لا يرجون ايام الله لا يتوقعون وقائع الله باعدائه من
قولهم لوقائع العرب ايام العرب وقيل لا يأملون الاوقات التي وقتها الله لثواب المؤمنين
ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخ حكمها وقيل نزلت في عمر رضي الله
عنه وقد شتمه رجل من غفار فهم ان يبطش به وعن سعيد بن المسيب كنا بين يدي
عمر بن الخطاب فقرأ قارئ هذه الآية فقال عمر ليجزي عمر بما صنع ليجزي تعليل
للامر بالمغفرة اي انما امروا بان يغفروا لما اراد الله من توفيتهم جزاء مغفرتهم
يوم القيمة فان قلت قوله قوما ما وجه تنكيره وانما اراد الذين آمنوا وهم معا
قلت هو مدح لهم وثناء عليهم كأنه قيل ليجزي اي قوما وقوما مخصوصين بصبرهم
واغضائهم على اذى اعدائهم من الكفار وعلى ما كانوا يتجرعونه من الغصص
بما كانوا يكسبون من الثواب العظيم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ومعنى قوله
عمر ليجزي عمر بما صنع ليجزي بصبره واحتماله وقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عند نزول الآية والذي بعثك بالحق لا ترى الغضب في وجهي وقرئ ليجزي
قوما اي الله ولنجزي ونجزي وليجزى قوما على معنى وليجزى الجزاء
قوما ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات
وفضلناهم على العالمين الكتاب التوراة والحكم الحكمة والفقه او فصل
الحكومات بين الناس لان الملك كان فيهم والنبوة من الطيبات مما احل الله لهم

والطيبات من الأرزاق وفضلناهم على العالمين حيث آتيناهم ما لم نؤت غيرهم مثلها وآتيناهم
بينات آيات ومعجزات وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جا
ءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم
جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون إنهم
لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين
بينات من الأمر أمر الدين فما وقع بينهم الخلاف في الدين إلا من بعد ما جاء
هم ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم وإنما اختلفوا للبغي حسدا بينهم
أو لعداوة وحسد على شريعة على طريقة ومنهاج من الأمر أمر الدين
فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل والحجج ولا تتبع ما لا حجة عليه من أهواء
الجهال ودينهم المبني على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا ارجع
إلى دين آبائك [illegible] إنما يتولى الظالمين من هو مثلهم وأما
المتقون فوليهم الله وهم موالوه وما أبين الفضل بين الولايتين
هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون أم حسب الذين
اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء
محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون هذا القرآن بصائر للناس جعل
ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل
روحا وحياة وهو هدى من الضلالة ورحمة من العذاب لمن آمن وأيقن
وفي قراءة [illegible] بصائر أي هذه الآيات أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها إنكار

الحسبان



الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح وفلان جارحة أهله أي
كاسبهم أن نجعلهم أن نصيرهم وهو من جعل المتعدي إلى مفعولين فأو
لهما الضمير والثاني الكاف والجملة التي هي سواء محياهم ومماتهم بدل من الكاف
لأن الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت في حكم المفرد ألا ترى أنك لو قلت أن
نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا كما تقول ظننت زيدا أبوه
منطلق ومن قرأ سواء بالنصب أجرى سواء مجرى مستويا وارتفع
محياهم ومماتهم على الفاعلية وكان مفردا غير جملة ومن قرأ ومماتهم
بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج وخفوق النجم
أي سواء في محياهم وفي مماتهم والمعنى إنكار أن يستوي المسيئون والمحسنون
محيا وأن يستووا مماتا لافتراق أحوالهم أحياء حيث عاش هؤلاء على
القيام بالطاعات وأولئك على ركوب المعاصي ومماتا حيث مات هؤلاء
على البشرى بالرحمة والوصول إلى ثواب الله ورضوانه وأولئك على اليأس
من رحمة الله والوصول إلى هول ما أعد لهم وقيل معناه إنكار أن يستووا
في الممات كما استووا في الحياة لأن المسيئين والمحسنين مستو محياهم
في الرزق والصحة وإنما يفترقون في الممات وقيل سواء محياهم ومما
تهم كلام مستأنف على معنى أن محيا المسيئين ومماتهم سواء وكذلك
محيا المحسنين ومماتهم كل يموت على حسب ما عاش عليه وعن تميم
الداري

رضي الله عنه كان يصلي ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل
يبكي ويردد الى الصباح ساء ما يحكمون وعن الفضيل انه بلغها فجعل
يرددها ويبكي ويقول يا فضيل ليت شعري من اي الفريقين انت
وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون
افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه
وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون ولتجزى
معطوف على بالحق لان فيه معنى التعليل او على معلل محذوف تقديره وخلق
السموات والارض ليدل بها على قدرته ولتجزى كل نفس اي هو مطواع
لهوى النفس يتبع ما يدعوه اليه فكأنه يعبده كما يعبد الرجل الهه و
قرئ آلهة هواه لانه كان يستحسن الحجر فيعبده فاذا رأى ما هو احسن
رفضه اليه فكأنه اتخذ هواه آلهة شتى يعبد كل وقت واحدا منها واضله
الله على علم وتركه عن الهداية واللطف وخذله على علم عالما بان ذلك لا يجدي
عليه وانه ممن لا لطف له او مع علمه بوجوه الهداية واحاطته بانواع الالطاف
المحصلة والمقربة فمن يهديه من بعد اضلال الله وقرئ غشاوة با
لحركات الثلث وغشوة بالكسر والفتح وقرئ تتذكرون وقالوا ما هي
الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من
علم ان هم الا يظنون نموت ونحيى نموت نحن ونحيى اولادنا او

قبله

يموت



يموت بعض ويحيى بعض او نكون مواتا نطفا في الاصلاب ونحيى بعد ذلك
او يصيبنا الامران الموت والحيوة يريدون الحيوة في الدنيا والموت بعدها
وليس وراء ذلك حيوة وقرئ نحيى بضم النون وقرئ الا دهر يمر وما يقولون
ذلك عن علم ولكن عن ظن وتخمين كانوا يزعمون ان مرور الايام والليالي هو
المؤثر في هلاك الانفس وينكرون ملك الموت وقبضه الارواح باذن الله وكانوا
يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر والزمان وترى اشعارهم ناطقة بشكوى
الزمان ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر اي فان الله هو الآتي
بالحوادث لا الدهر واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا
بآبائنا ان كنتم صادقين وقرئ حجتهم بالرفع والنصب على تقديم خبر كان وتأخيره
فان قلت لم سمي قولهم حجة وليس بحجة قلت لانهم ادلوا به كما يدلي المحتج
بحجته وساقوه مساقها فسميت حجة على سبيل التهكم او لانه في حسبانهم وتقديرهم
حجة او لانه في اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع كانه قيل ما كان حجتهم الا ما ليس
بحجة والمراد نفي ان يكون لهم حجة البتة قل الله يحييكم ثم يميتكم الى يوم القيمة
لا ريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون فان قلت كيف وقع قوله قل الله
يحييكم جوابا لقولهم ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين قلت لما انكروا البعث
وكذبوا الرسل وحسبوا ان ما قالوه قول مبكت الزموا ما هم مقرون به
من ان الله عز وجل هو الذي يحييهم ثم يميتهم وضم الى الزام ذلك الزام
ما هو واجب الاقرار به ان انصفوا واصغوا الى داعي الحق وهو جمعهم

الى يوم القيامة ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان بآبائهم وكان
اهون شئ عليه ، ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ
يخسر المبطلون ، وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم
تعملون ، عامل النصب في يوم تقوم يخسر ويومئذ بدل من يوم تقوم
جاثية باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية والجذو اشد استيفازا من
الجثو لان الجاذى هو الذى يجلس على اطراف اصابعه وعن ابن عباس رضي الله عنه
جاثية مجتمعة وعن قتادة جماعات من الجثوة وهي الجماعة وجمعها جثى وفي
الحديث من جثى جهنم وقرئ كل امة على الابتداء وكل امة تدعى على الابدال من كل
امة الى كتابها الى صحائف اعمالها فاكتفى باسم الجنس كقوله ووضع
الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه اليوم تجزون محمول على القول فان
قلت كيف اضيف الكتاب اليهم والى الله عز وجل قلت الاضافة تكون للملابسة
وقد لابسهم ولابسه اما ملابسته اياهم فلان اعمالهم مثبتة فيه واما ملا
بسته اياه فلانه مالكه والامر ملائكته ان يكتبوا فيه اعمال عباده ، هذا
كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون فاما الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين ، ينطق عليكم
يشهد عليكم بما عملتم بالحق من غير زيادة ولا نقصان انا كنا نستنسخ الملائكة
كتبة ما كنتم تعملون اي نستكتبهم اعمالكم في رحمته في جنته ، واما الذين
كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين واذا قيل

ان



ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن
الا ظنا وما نحن بمستيقنين وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا
به يستهزئون ، وجواب اما محذوف تقديره واما الذين كفروا فيقال
لهم افلم تكن آياتي تتلى عليكم والمعنى الم يأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف
المعطوف عليه وقرئ والساعة بالنصب عطفا على الوعد وبالرفع عطفا
على محل ان واسمها ما الساعة اي شئ الساعة فان قلت ما معنى ان نظن الا ظنا
قلت اصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فادخل حرفا النفي والاستثناء
ليفاد اثبات الظن مع نفي ما سواه وزيد نفي ما سوى الظن
توكيدا بقوله وما نحن بمستيقنين سيئات ما عملوا اي قبائح اعمالهم او
عقوبات اعمالهم السيئات كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ، وقيل
اليوم ننسيكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين
ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون
منها ولا هم يستعتبون فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين
وله الكبرياء في السموات والارض وهو العزيز الحكيم ، ننسيكم نترككم في
العذاب كما تركتم عدة لقاء يومكم هذا وهي الطاعة او نجعلكم بمنزلة
الشئ المنسي غير المبالى به كما لم تبالوا انتم بلقاء يومكم ولم تخطروه ببال
كالشئ الذي يطرح نسيا منسيا فان قلت ما معنى اضافة اللقاء الى اليوم قلت
معناه اضافة المكر في قوله بل مكر الليل والنهار اي نسيتم لقاء الله في يومكم هذا

هنا ولقاء حذانه حرث لا تحوجه بنتح الباء ولام يستعتبون
لا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اى ان يرضوه فلله الحمد الله الذى هو
ربكم ورب كل شئ من السموات والارض والعالمين فان مثل هذه الربوبية
العامة يوجب الحمد والثناء على كل مربوب وكبرياؤه تقدست اى كبريائه
وعظمته فى السموات والارض وحق مثله ان يكبر ويعظم عن رسول الله صلى الله ع
من قرا حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب سورة الا
حقاف ثلثون وخمس آية بسم الله الرحمن الرحيم حم
تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما
الا بالحق واجل مسمى والذين كفروا عما انذروا معرضون قل ارايتم ما تد
عون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك فى السموات
ائتونى بكتاب من قبل هذا او اثارة من علم ان كنتم صادقين، الا بالحق الا
خلقا ملتبسا بالحكمة والغرض الصحيح وبتقدير اجل مسمى ينتهى اليه
وهو يوم القيمة والذين كفروا عما انذروا من هول ذلك اليوم الذى
لا بد لكل خلق من انتهائه اليه معرضون لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد
له ويجوز ان يكون ما مصدرية اى عن انذارهم ذلك اليوم بكتاب من قبل هذا
اى من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعنى ان هذا الكتاب ناطق بالتوحيد
وابطال الشرك وما من كتاب انزل من قبله من كتب الله الا وهو ناطق بمثل
ذلك فاتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما انتم عليه عبادة

اخبرونى شئ

غير



غير الله او اثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين من قولهم
سمنت الناقة على اثارة من شحم اى على بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب
وقرئ اثرة اى من شئ اوثرتم به وخصصتم من علم لا احاطة به لغيركم و
قرئ اثرة بالحركات الثلث فى الهمزة مع سكون الثاء، فالمفتوحة بالكسر بمعنى الاثرة
واما الاثرة فالمرة من مصدر اثر الحديث اذا رواه واما الاثرة بالضم
فاسم ما يؤثر كالخطبة اسم ما يخطب به، ومن اضل ممن يدعوا من دون
الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس
كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين، ومن اضل معنى الاستفهام فيه
انكار ان يكون فى الضلال كلهم ابلغ ضلالا من عبدة الاصنام حيث يتركون
دعاء السميع المجيب القادر على كل تحصيل بغيته ومرامه ويدعون من دو
نه من لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة احد منهم ما دامت الدنيا
والى ان تقوم القيمة واذا قامت القيمة وحشر الناس كانوا لهم
اعداء وكانوا عليهم ضدا فليسوا فى الدارين الا على نكد ومضرة لا
تتولاهم فى الدنيا بالاستجابة وفى الاخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم وانما
قيل من وهم لانه اسند اليهم ما يسند الى اولى العلم من الاستجابة والغفلة
ولانهم كانوا يصفونهم بالتمييز جهلا وغباوة ويجوز ان يريد كل
معبود من دون الله من الجن والانس والاوثان فغلب غير الاو
ثان

ان يتم الرضاعة بنيف للحمل ستة اشهر وقرئ وفصله والفصل
والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى فان قلت المراد بيان مدة
الرضاع لا الفطام فكيف عبر عنه بالفصال قلت لما كان الرضاع يليه الفصال
ويلابسه لانه ينتهي به ويتم سمي فصالا كما سمي المدة بالامد من
قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى امده وفيه فائدة وهي
الدلالة على الرضاع التام المنتهي بالفصال ووقته وقرئ حتى اذا استوى
وبلغ اشده وبلوغ الاشد ان يكتهل ويستوفي السن التي تستحكم
فيها قوته وعقله وتمييزه وذلك اذا اناف على الثلثين وناطح الاربعين
وعن قتادة ثلث وثلثون سنة ووجهه ان يكون ذلك اول الاشد وغايته
الاربعين وقيل لم يبعث نبي قط الا بعد اربعين سنة والمراد بالنعمة
التي استوزع الشكر عليها نعمة التوحيد والاسلام وجمع بين شكري
النعمة عليه وعلى والديه لان النعمة عليهما نعمة عليه وقيل في العمل المرضي
هو الصلوات الخمس فان قلت ما معنى في في قوله واصلح لي في ذريتي قلت
معناه ان يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنة له كانه قال هب لي
الصلاح في ذريتي واوقعه فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي
المسلمين من المخلصين اولئك الذين نتقبل عنهم احسن
ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في اصحاب الجنة وعد الصدق الذي

كانوا



كانوا يوعدون وقرئ يتقبل ويتجاوز بفتح الياء والضمير فيهما
لله عز وجل وقرئ بالنون فان قلت ما معنى قوله في اصحاب الجنة قلت
هو نحو قولك اكرمني الامير في ناس من اصحابه تريد اكرمني في جملة
من اكرم منهم ونظمني في عدادهم ومحله النصب على الحال على معنى كا
ئنين في اصحاب الجنة ومعدودين فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد
لان قوله يتقبل ويتجاوز وعد من الله بالتقبل والتجاوز وقيل نزلت
في ابي بكر رضي الله عنه وفي ابيه ابي قحافة وامه ام الخير وفي اولاده واستجابة
دعائه فيهم وقيل لم يكن احد من الصحابة من المهاجرين منهم والانصار
اسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير ابي بكر رضي الله عنه والذي قال
لوالديه اف لكما اتعدانني ان اخرج وقد خلت القرون من
قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن ان وعد الله حق فيقول ما هذا
الا اساطير الاولين اولئك الذين حق عليهم القول في امم قد خلت
من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين والذي قال لوالديه
مبتدا خبره اولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذي قال الجنس
القائل ذلك القول ولذلك وقع الخبر مجموعا وعن الحسن هو في الكافر
العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق
لوالديه فاجر لربه وقيل نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه وقد دعاه

﴿ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا
وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء
إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ولقد أهلكنا
ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون﴾ إن نافية أي فيما
ما مكناكم فيه إلا أن إن أحسن في اللفظ لما في مجامعة ما مثلها من التكرير
المستبشع ومثله مجتنب ألا ترى أن الأصل في مهما ماما فلبشاعة التكرير
قلبوا الألف هاء ولقد أغث أبو الطيب في قوله لعمرك ما ما بان منك
لضارب وما فتره لو اقتدى بعذوبة لفظ التنزيل لقال لعمرك ما إن
بان منك لضارب وقد جعلت إن صلة مثلها فيما أنشده
الأخفش يرجي المرء ما إن لا يراه ويعرض دون أدناه الخطوب
وتؤول بأنا مكناهم في مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الأول ولقد جاء
عليه غير آية في القرآن هم أحسن أثاثا ورئيا كانوا أكثر منهم وأشد قوة
وآثارا وهو أبلغ في التوبيخ وأدخل في الحث على الاعتبار من
الأغنياء وهو القليل منه فإن قلت بم انتصب إذ كانوا يجحدون قلت
بقوله فما أغنى فإن قلت لم جرى مجرى التعليل قلت لاستواء
مؤدى التعليل والظرف في قولك ضربته لإساءته وضربته إذ أساء

ما ان ما نحو

لانك



حيث

لانك إذا ضربته في وقت إساءته فإنما ضربته فيه لوجود إساءته فيه إلا أن إذ
غلبتا دون سائر الظروف في ذلك ما حولكم يا أهل مكة من القرى من نحو حجر
ثمود وقرية سدوم وغيرهما والمراد أهل القرى ولذلك قال لعلهم
يرجعون ﴿فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل
ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون﴾ القربان ما تقرب به إلى الله
أي اتخذوهم شفعاء متقربا بهم إلى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا
عند الله وأحد مفعولي اتخذ الراجع إلى الذين المحذوف والثاني آلهة
وقربانا حال ولا يصح أن يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه
لفساد المعنى فيه وقرئ قربانا بضم الراء والمعنى فهلا منعهم من الهلاك
آلهتهم بل ضلوا عنهم أي غابوا عن نصرتهم وذلك إشارة إلى امتناع نصرة
آلهتهم وضلالهم عنهم أي وذلك أثر إفكهم الذي هو اتخاذهم إياها آلهة
وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب من كونه ذا شركاء وقرئ إفكهم
والإفك والأفك كالحذر والحذر وقرئ وذلك أفكهم أي وذلك الاتخاذ
الذي هذا أثره وثمرته صرفهم عن الحق وقرئ أفّكهم على التشديد للمبالغة
وآفكهم جعلهم آفكين وآفكهم أي قولهم الإفك أي ذو الإفك كما تقول قول
كاذب وذلك إفك مما كانوا يفترون أي بعض ما كانوا يفترون من الإفك
﴿وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا
أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا

لغة

الأمر التكذيب برسول الله صلى الله عليه وسلم أو بلا إله إلا الله أو ترك القتال معه وقيل
هو قول أحد الفريقين للمشركين سنطيعكم في التظافر على عداوة رسول
الله صلى الله عليه وسلم والقعود عن الجهاد معه ومعنى في بعض الأمر في بعض ما تأمرون به أو
في بعض الأمر الذي يهمكم والله يعلم أسرارهم وقرئ إسرارهم على المصدر
قالوا ذلك سرا فيما بينهم فأفشاه الله عليهم فكيف إذا توفتهم الملائكة
يضربون وجوههم وأدبارهم فكيف يعملون وما حيلتهم حينئذ وقرئ توفاهم
ويحتمل أن يكون ماضيا ومضارعا قد حذفت إحدى تاءيه كقوله إن الذين
توفاهم الملائكة وعن ابن عباس لا يتوفى أحد على معصية الله إلا يضرب من
الملائكة في وجهه ودبره ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا
رضوانه فأحبط أعمالهم ذلك إشارة إلى التوفي الموصوف ما أسخط الله
من كتمان نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضوانه الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم أم حسب
الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم أضغانهم أحقادهم
وإخراجها إبرازها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين وإظهارهم على نفاقهم
وعداوتهم لهم وكانت صدورهم تغلي حنقا عليهم ولو نشاء لأريناكهم
فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم
ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم لأ
ريناكهم لعرفناكهم ودللناك عليهم حتى تعرفهم بأعيانهم لا يخفون عليك
بسيماهم بعلامتهم وهو أن يسمهم الله بعلامة يعلمون بها وعن أنس رضي الله عنه

ما خفي



ما خفي على رسول الله بعد هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم
بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين
يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة وأصبحوا وعلى كل جبهة واحد منهم
مكتوب هذا منافق فإن قلت أي فرق بين اللامين في فلعرفتهم ولتعرفنهم
قلت الأولى هي الداخلة في جواب لو كالتي في لأريناكهم كررت في المعطوف
وأما اللام في ولتعرفنهم فواقعة مع النون في جواب قسم محذوف في لحن
القول في نحوه وأسلوبه وعن ابن عباس هو قولهم ما لنا إن أطعنا من
الثواب ولا يقولون ما علينا إن عصينا من العقاب وقيل اللحن أن تلحن
بكلامك أي تميله إلى نحو من الأنحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية
قال ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا واللحن يعرفه ذوو الألباب وقيل
للمخطئ لاحن لأنه يعدل بالكلام عن الصواب أخباركم ما يحكى عنكم وما يخبر
به عن أعمالكم ليعلم حسنها من قبيحها لأن الخبر على حسب المخبر عنه إن
على حسب المخبر عنه إن حسنا فحسن وإن قبيحا فقبيح وقرأ يعقوب ونبلو
بسكون الواو على معنى ونحن نبلو أخباركم وقرئ وليبلونكم ويعلم ويبلو
بالياء وعن الفضيل أنه كان إذا قرأها بكى وقال اللهم لا تبتلنا فإنك إن بلوتنا
فضحتنا وهتكت أستارنا وعذبتنا إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط
أعمالهم التي عملوها في دينهم يرجون بها الثواب لأنها مع كفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم باطلة

وهم قريظة والنضير سيحبط اعمالهم التي عملوها والمكايد التي نصبوها
في مشاقة الرسول اي سيبطلها فلا يصلون منها الى اغراضهم بل يستضرون بها
ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم وقيل هم رؤساء قريش و
المطعمون يوم بدر يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
ولا تبطلوا اعمالكم ولا تبطلوا اعمالكم اي لا تحبطوا الطاعات بالكبائر كقوله
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الى ان قال ان تحبط اعمالكم وعن ابي العالية
كان اصحاب رسول الله صلعم يرون انه لا يضر مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع
الشرك عمل حتى نزلت ولا تبطلوا اعمالكم فكانوا يخافون الكبائر على اعمالهم
وعن حذيفة فخافوا ان تحبط الكبائر اعمالهم وعن ابن عمر كنا نرى انه ليس
شيء من حسناتنا الا مقبولا حتى نزل ولا تبطلوا اعمالكم فقلنا ما هذا الذي
يبطل اعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن القول في ذلك فكنا نخاف
على من اصاب الكبائر ونرجو لمن لم يصبها وعن قتادة رحمه رحم الله عبدا لم
يحبط عمله الصالح بعمله السيء وقيل لا تبطلوها بمعصيتهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما
لا تبطلوها بالرياء والسمعة وعنه بالشك والنفاق وقيل بالعجب فان العجب
ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وقيل ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله
لهم فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم



ثم ماتوا وهم كفار قيل هم اصحاب القليب والظاهر العموم فلا تهنوا
فلا تضعفوا ولا تذلوا للعدو وتدعوا الى السلم وقرئ السلم وهما
المسالمة وانتم الاعلون الاغلبون الاقهرون والله معكم ناصركم وعن
عادة لا تكونوا اول الطائفتين ضرعت الى صاحبتها بالموادعة وقرئ ولا تدعوا
من ادعى القوم وتداعوا اذا دعوا نحو قولك ارتموا الصيد وتراموا
وتدعوا مجزوم لدخوله في حكم النهي او منصوب لاضمار ان وقوله
وانتم الاعلون قوله انك انت الاعلى ولن يتركم ولن يضيعكم من وترت الرجل اذا قتلت
له قتيلا من ولد او اخ او حميم او حربته وحقيقته افردته من قريب او مال
من الوتر وهو الفرد فشبه اضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر
الواتر وهو من فصيح الكلام ومنه قوله صلعم من فاتته صلوة العصر فكانما
وتر اهله وماله اي افرد عنهما قتلا ونهبا انما الحيوة الدنيا لعب
ولهو وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ولا يسئلكم اموالكم ان يسئلكموها
فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم يؤتكم اجوركم ثواب ايمانكم وتقواكم و
لا يسئلكم اموالكم ولا يسئلكم جميعها انما يقتصر منكم على ربع العشر قال ان
يسئلكموها فيحفكم اي يجهدكم ويطلبه كله والاحفاء المبالغة وبلوغ الغاية في
كل شيء يقال احفاه في المسألة اذا لم يترك شيئا من الالحاح واحفى شاربه
اذا استأصله تبخلوا ويخرج اضغانكم اي تضطغنون على رسول الله صلعم
ويضيق صدوركم لذلك واظهرتم كراهتكم ومقتكم لدين يذهب باموا

والضمير في يخرج لله عز وجل اي يضغنكم بطلب اموالكم او للبخل لانه سبب
الاضغان وقرئ نخرج بالنون ويخرج بالياء والتاء مع فتحها ورفع اضغانكم
ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل عن نفسه والله
الغني وانتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم
هؤلاء موصول بمعنى الذين صلته تدعون اي انتم الذين تدعون او انتم
يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون ثم استانف وصفهم كانهم قالوا وما وصفنا
فقيل تدعون لتنفقوا في سبيل الله قيل هي النفقة في الغزو وقيل الزكوة كانه
قيل الدليل على انه لو احفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء واضطغنتم انكم تدعون
الى اداء ربع العشر فمنكم ناس يبخلون به ثم قال ومن يبخل بالصدقة و
اداء الفريضة فلا يتعداه ضرر بخله وانما يبخل على نفسه يقال بخلت
عليه وعنه وكذلك ضننت عليه وعنه ثم اخبر انه لا يامر بذلك ولا يدعوا
اليه لحاجته اليه فهو الغني الذي تستحيل اليه الحاجات ولكن لحاجتكم
وفقركم الى الثواب وان تتولوا معطوف على وان تؤمنوا وتتقوا يستبدل
قوما غيركم يخلق قوما سواكم على خلاف صفتكم راغبين في الايمان والتقوى
غير متولين عنهما كقوله ويات بخلق جديد وقيل هم الملائكة وقيل الانصار
وعن ابن عباس كندة والنخع وعن الحسن العجم وعن عكرمة فارس والروم
وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه
وقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله

رجال

رجال
من فارس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة محمد كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة
سورة الفتح عشرون وتسع آيات بسم الله الرحمن الرحيم انا
فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ويتم نعمته
عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا هو فتح مكة و
قد نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجيء
به على لفظ الماضي على عادة رب العزة سبحانه في اخباره لانها في تحققها و
تيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو
شان المخبر ما لا يخفى فان قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة قلت لم يجعل
علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة وهي المغفرة واتمام
النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قيل يسرنا لك فتح مكة
ونصرناك على عدوك لنجمع لك بين عز الدارين واغراض العاجل والآجل
ويجوز ان يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب
والفتح الظفر بالبلد عنوة او صلحا بحرب او بغير حرب لانه منغلق ما لم
يظفر به فاذا ظفر به وحصل في اليد فقد فتح وقيل فتح الحديبية
ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة وعن
ابن عباس رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم
حتى سالوا الصلح فان قلت كيف يكون فتحا وقد احصروا فنحروا وحلقوا بالحديبية
قلت كان ذلك قبل الهدنة فلما طلبوها وتمت كانت فتحا مبينا وعن موسى بن عقبة
فتحا

اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية راجعا فقال رجل من اصحابه ما هذا بفتح لقد
صدونا عن البيت وصد هدينا فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال بئس الكلام هذا
بل هو اعظم الفتوح وقد رضي المشركون ان يدفعوكم عن بلادهم بالراح
ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد رأوا منكم ما كرهوا وعن
الشعبي نزلت بالحديبية واصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة ما لم يصب
في غزوة اصاب ان بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
وظهرت الروم على فارس وبلغ الهدي محله واطعموا نخل خيبر وكان
في فتح الحديبية آية عظيمة وذلك انه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة
فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه
وقيل فتح مكة والماضي لتحقق وقوعه فيما بعد وقيل هو فتح خيبر و
قيل فتح الروم وقيل فتح الله له بالاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف
ولا فتح ابين منه واعظم وهو راس الفتوح كلها اذ لا فتح من فتوح الاسلام
الا وهو تحته ومتشعب منه وقيل معناه قضينا لك قضاء بينا على اهل مكة ان
تدخلها انت واصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت من الفتاحة وهي الحكومة
وكذا عن قتادة ما تقدم وما تأخر يريد جميع ما فرط منك وعن مقاتل ما
تقدم في الجاهلية وما بعدها وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تأخر
من امرأة زيد نصرا عزيزا فيه عز ومنعة او وصف بصفة المنصور اسنادا
مجازيا العزيز صاحبه هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا

ايمانا

ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما ليدخل
المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم
سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات و
المشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله
عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا ولله جنود السموات والارض
وكان الله عزيزا حكيما السكينة السكون كالبهيتة للبهتان اي انزل الله في قلوبهم
السكون والطمأنينة بسبب الصلح والامن ليعرفوا فضل الله عليهم بتيسير الامن
بعد الخوف والهدنة غب القتال فيزدادوا يقينا الى يقينهم او انزل فيها
السكون الى ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الشرائع ليزدادوا ايمانا بالشرائع مقرونا
الى ايمانهم وهو التوحيد عن ابن عباس رضي الله عنه ان اول ما اتاهم به النبي صلى الله عليه وسلم
التوحيد فلما آمنوا بالله وحده انزل الصلوة والزكوة ثم الحج ثم الجهاد
فازدادوا ايمانا الى ايمانهم وانزل فيها الوقار والعظمة لله ولرسوله
ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا الى ايمانهم وقيل انزل فيها الرحمة ليتراحموا
فيزداد ايمانهم ولله جنود السموات والارض يسلط بعضها على بعض
كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته ان سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية
ووعدهم ان يفتح لهم وانما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها
فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه

والسَّوء عبارة عن رداءة الشيء وفساده والصدق عن جودته وصلاحه
فقيل في المرضي الصالح من الأفعال فعل صدق وفي المسخوط الفاسد منها
فعل سوء، ومن ظنهم السوء ظنهم أن الله لا ينصر الرسول والمؤمنين و
لا يرجعهم إلى مكة ظافرين فاتحيها عنوة وقهرا عليهم دائرة السوء
ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم والسوء
الهلاك والدمار وقرئ دائرة السَّوء بالفتح أي الدائرة التي يذمونها
ويسخطونها فهي عندهم دائرة سوء وعند المؤمنين دائرة صدق
فإن قلت هل من فرق بين السَّوء والسُّوء قلت هما كالكَره والكُره والضَّعف
والضُّعف من ساء إلا أن المفتوح غلب في أن يضاف إليه ما يراد ذمه من كل شيء
وأما السوء فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير يقال أراد به السوء وأراد
به الخير ولذلك أضيف الظن إلى المفتوح لكونه مذموما وكانت الدائرة
محمودة فكان حقها أن لا تضاف إليه إلا على التأويل الذي ذكرنا وأما دائرة
السوء بالضم فلأن الذي أصابهم مكروه وشدة فصح أن يقع عليه اسم السوء
كقوله عز وجل إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة، إنا أرسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه
بكرة وأصيلا، شاهدا تشهد على أمتك كقوله ويكون الرسول عليكم

شهيدا



شهيدا لتؤمنوا الضمير للناس وتعزروه وتقووه بالنصرة وتوقروه و
تعظموه وتسبحوه من التسبيح أو من السبحة والضمائر لله عز وجل والمراد
بتعزير الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضمائر فقد أبعد وقرئ
لتؤمنوا وتعزروه وتوقروه بالتاء والخطاب لرسول الله ولأمته وقرئ
وتعزُروه بضم الزاء وكسرها وتُعزِروه بضم التاء والتخفيف وتعززوه با
لزائين وتوقروه من أوقره بمعنى وقّره وتسبحوا الله بكرة وأصيلا
عن ابن عباس صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر، إن الذين يبايعونك
إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه
ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما، لما قال إنما يبايعون الله
أكده تأكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق أيديهم يريد أن
يد رسول الله التي تعلو أيدي المبايعين هي يد الله والله منزه عن
الجوارح وعن صفات الأجسام وإنما المعنى تقرير أن عقد الميثاق
مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله من يطع الرسول
فقد أطاع الله والمراد بيعة الرضوان فإنما ينكث على نفسه فلا يعود
ضرر نكثه إلا عليه قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
تحت الشجرة على الموت وعلى أن لا نفر فما نكث أحد منا البيعة إلا جد
بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت إبط بعيره ولم يسر مع القوم وقرئ

انما يبايعون الله اي لاجل الله ولوجهه وقرئ ينكث بفتح الكاف وكسرها ومن اوفى
بما عاهد وعهد فسنؤتيه بالنون والياء يقال وفيت بالعهد واوفيت بالعهد
واوفيت به وهي لغة تهامة ومنها قوله اوفوا بالعقود والموفون بعهدهم
سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا
يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم
ضرا او اراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا هم الذين خلفوا
عن الحديبية وهم اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم والديل
وذلك انه عليه السلام حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول
المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش
ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت واحرم هو عليه السلام وساق
معه الهدي ليعلم انه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الاعراب وقالوا نذهب
الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فنقاتلهم و
ظنوا انه يهلك فلا ينقلب الى المدينة واعتلوا بالشغل باهاليهم واموالهم
وانه ليس لهم من يقوم باشغالهم وقرئ شغلتنا بالتشديد يقولون
بالسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم في اعتذارهم وان الذي خلفهم
ليس ما يقولون وانما هو الشك في الله والنفاق وطلبهم الاستغفار
ايضا ليس بصادر عن حقيقة فمن يمنعكم من مشيئة الله وقضائه ان اراد

بكم



بكم ما يفوتكم من قتل او هزيمة او اراد بكم نفعا من ظفر وغنيمة وقرئ ضرا بالضم
والفتح بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا وزين
ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا الاهلون جمع اهل ويقال
اهلات على تقدير تاء التانيث كارض وارضات وقد جاء اهلة واما اهال
فاسم جمع كليال وقرئ الى اهلهم وزين على البناء للفاعل وهو الشيطان
او الله عز وجل وكلاهما جاء في القرآن وزين لهم الشيطان اعمالهم و
زينا لهم اعمالهم والبور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك
وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويجوز ان يكون جمع بائر
كعائذ وعوذ والمعنى وكنتم قوما فاسدين في انفسكم وقلوبكم ونياتكم
لا خير فيكم او هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه ومن لم يؤمن
بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا للكافرين مقام ضمير
هم للايذان بان من لم يجمع بين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر ونكر
سعيرا لانها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى ولله ملك
السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله
غفورا رحيما ولله ملك السموات والارض يدبره تدبير قادر
حكيم فيغفر ويعذب بمشيئته تابعة لحكمته وحكمته المغفرة للتائب
وتعذيب المصر وكان الله غفورا رحيما رحمته سابقة لغضبه

حيث يكفر السيئات باجتناب الكبائر ويغفر الكبائر بالتوبة ٭ سيقول
المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون
ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون
بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون الا قليلا ٭ سيقول المخلفون الذين
تخلفوا عن الحديبية اذا انطلقتم الى مغانم الى غنائم خيبر ذرونا
يبدلوا كلام الله وقيل كلام الله ان يغيروا موعد الله لاهل الحد
يبية وذلك انه وعدهم ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر اذا
قفلوا موادعين لا يصيبون منهم شيئا وقيل هو قوله تعالى لن تخرجوا
معي ابدا تحسدوننا ان نصيب معكم من الغنائم قرئ بفتح السين
وكسرها لا يفقهون لا يفهمون الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور
الدنيا دون امور الدين كقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا
فان قلت ما الفرق بين حرفي الاضراب قلت الاول اضراب معناه رد ان
يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني اضراب عن وصفهم
باضافة الحسد الى المؤمنين الى وصفهم بما هو اطم منه وهو الجهل وقلة
الفقه ٭ قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي باس
شديد تقاتلونهم او يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا
حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما ٭





قل للمخلفين هم الذين تخلفوا عن الحديبية الى قوم اولي باس شديد
يعني بني حنيفة قوم مسيلمة واهل الردة الذين حاربهم ابو بكر
الصديق رضي الله عنه لان مشركي العرب والمرتدين هم الذين لا
يقبل منهم الا الاسلام او السيف عند ابي حنيفة ومن عداهم
من مشركي العجم واهل الكتاب والمجوس يقبل منهم الجزية وعند
الشافعي رضي الله عنه لا تقبل الجزية الا من اهل الكتاب والمجوس دون
مشركي العجم والعرب وهذا دليل على امامة ابي بكر الصديق رضي الله عنه
فانهم لم يدعوا الى حرب في ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن بعد وفاته وكيف
يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى فقل لن تخرجوا معي ابدا و
لن تقاتلوا معي عدوا وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون
ينقادون لان الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم اعطاء
الجزية فان قلت عن قتادة انهم ثقيف وهوازن وكان ذلك في ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم
قلت ان صح ذلك فالمعنى لن تخرجوا معي ابدا ما دمتم على ما انتم عليه
من مرض القلوب والاضطراب في الدين او على قول مجاهد كان
الموعد انهم لا يتبعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الا متطوعين لا نصيب لهم
في المغنم كما توليتم من قبل يريد في غزوة الحديبية او يسلمون

سعظوم سبعا تقاتلونهم اي يكون احد الامرين اما المقاتلة او
الاسلام لا ثالث لهما وفي قراءة ابي او يسلموا بمعنى الى ان يسلموا
ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج
ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن
يتول يعذبه عذابا اليما نفى الحرج عن هؤلاء من ذوي العاهات
في التخلف عن الغزو وقرئ ندخله ونعذبه بالنون لقد رضي الله عن
المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة
عليهم واثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا
حكيما هي بيعة الرضوان سميت بهذه الآية وقصتها ان النبي عليه السلام
حين نزل بالحديبية بعث جواس بن امية الخزاعي رسوله الى مكة
فهموا به فمنعه الاحابيش فلما رجع دعا بعمر رضي الله عنه ليبعثه فقال
اني اخافهم على نفسي لما عرف من عداوتي اياهم وما بمكة عدوي من
يمنعني ولكني ادلك على رجل هو اعز بها مني واحب اليهم عثمان بن عفان
رضي الله عنه فبعثه فخبرهم انه لم يأت لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت
معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف بالبيت فافعل
فقال ما كنت لاطوف قبل ان يطوف رسول الله عليه السلام واحتبس عندهم

فارجف



فارجف بانهم قتلوه فقال رسول الله عليه السلام لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا
الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة قال جابر بن عبد الله
لو كنت ابصر لاريتكم مكانها وقيل كان رسول الله عليه السلام جالسا في اصل الشجرة
وعلى ظهره غصن من اغصانها قال عبد الله بن المغفل وكنت قائما على رأسه
وبيدي غصن من الشجرة اذب عنه فرفعت الغصن عن ظهره فبايعوه
على الموت دونه وعلى ان لا يفروا فقال لهم رسول الله انتم اليوم خير اهل
الارض وكان عدد المبايعين الفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل الفا و
اربعمائة وقيل الفا وثلثمائة فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص وصدق
الضمائر فيما بايعوا عليه فانزل السكينة اي الطمانينة والامن بسبب
الصلح على قلوبهم واثابهم فتحا قريبا وقرئ واتاهم وهو فتح خيبر غب
انصرافهم من مكة وعن الحسن فتح هجر وهو اجل فتح اتسعوا
بثمرها زمانا ومغانم كثيرة يأخذونها هي مغانم خيبر وكانت ارضا ذات
عقار واموال فقسمها عليهم ثم اتاه عثمان بالصلح فصالحهم وانصرف بعد
ان نحر بالحديبية وحلق وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل
لكم هذه وكف ايدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما
واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا وعد
الله مغانم كثيرة وهي ما يفيء على المؤمنين الى يوم القيمة فعجل لكم هذه المغانم
يعني مغانم خيبر وكف ايدي الناس عنكم يعني ايدي اهل خيبر وحلفائهم

رجعوا

من أسد وغطفان حين جاؤوا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا
وقيل أيدي أهل مكة بالصلح ولتكون هذه الكفة آية للمؤمنين وعبرة يعرفون بها
أنهم من الله بمكان وأنه ضامن نصرهم والفتح عليهم وقيل رأى رسول الله صلى
فتح مكة في منامه ورؤيا الأنبياء وحي فتأخر ذلك إلى السنة القابلة فجعل فتح
خيبر علامة وعنوانا لفتح مكة ويهديكم صراطا مستقيما ويزيدكم بصيرة
ويقينا وثقة بفضل الله وأخرى معطوفة على هذه أي فعجل لكم هذه المغانم
أخرى لم تقدروا عليها وهي مغانم هوازن في غزوة حنين وقال لم تقدروا
عليها لما كان فيها من الجولة قد أحاط الله بها أي قدر عليها واستولى وأظهركم
عليها وغنمكموها ويجوز في أخرى النصب بفعل مضمر يفسره قد أحاط الله
بها تقديره وقضى الله أخرى قد أحاط الله بها وأما لم تقدروا عليها فصفة لأخرى
والرفع على الابتداء لكونها موصوفة بلم تقدروا وقد أحاط الله بها خبر المبتداء
والجر بإضمار رب فإن قلت قوله ولتكون آية للمؤمنين كيف موقعه قلت هو
كلام معترض ومعناه ولتكون الكفة آية للمؤمنين فعل ذلك ويجوز أن يكون
المعنى وعدكم المغانم فعجل هذه الغنيمة وكف الأعداء لينفعكم بها و
لتكون آية للمؤمنين إذا وجدوا وعد الله بها صادقا لأن صدق الإخبار
عن الغيوب معجزة وآية ويزيدكم بذلك هداية وإيقانا ولو قاتلكم الذين
كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد
خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ولو قاتلكم الذين كفروا



من أهل مكة ولم يصالحوا وقيل من حلفاء أهل خيبر لغلبوا وانهزموا سنة
الله في موضع المصدر المؤكد أي سن الله غلبة أنبيائه سنة وهو قوله
لأغلبن أنا ورسلي وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة
من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا أي أيديهم أيدي أهل
مكة أي قضى بينهم وبينكم المكافة والمحاجزة بعد ما خولكم الظفر عليهم
والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد أبو حنيفة على أن مكة فتحت عنوة
لا صلحا وقيل كان ذلك في غزوة الحديبية لما روي أن عكرمة بن أبي جهل خرج
في خمسمائة فبعث رسول الله ﷺ من هزمه وأدخله حيطان مكة وعن ابن
عباس رضي الله عنه أظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت
وقرئ تعملون بالتاء والياء هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد
الحرام والهدي معكوفا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء
مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل
الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا
أليما وقرئ والهدي والهدي بتخفيف الياء وتشديدها وهو ما يهدى
إلى الكعبة بالنصب عطفا على الضمير المنصوب في صدوكم أي صدوكم وصدوا
الهدي وبالجر عطفا على المسجد الحرام بمعنى وصدوكم عن نحر الهدي
معكوفا أن يبلغ محله محبوسا عن أن يبلغ وبالرفع على وصد الهدي
ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره أي يجب وهذا دليل لأبي حنيفة على أن

المحصر محله هدية الحرم فإن قلت فكيف حل رسول الله ع م ومن معه وإنما
نحر هديهم بالحديبية قلت بعض الحديبية من الحرم وروي أن مضارب
رسول الله ع م كانت في الحل ومصلاه في الحرم فإن قلت فإذن قد نحر في
الحرم فلم قيل معكوفا أن يبلغ محله قلت المراد المحل المعهود وهو منى
لم تعلموهم صفة للرجال والنساء جميعا وأن تطؤوهم بدل اشتمال منهم
أو من الضمير المنصوب في تعلموهم والمعرة مفعلة من عره بمعنى
عراه إذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه وبغير علم متعلق بأن تطؤوهم يعني
أن تطؤوهم غير عالمين بهم والوطء والدوس عبارة عن الإيقاع والإبادة
قال ووطئتنا وطأ على حنق وطء المقيد نابت الهرم وقال رسول الله ع م وإن آخر
وطأة وطئها الله بوج والمعنى أنه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين
غير متميزين منهم ولا معروفي الأماكن فقيل ولولا كراهة أن تهلكوا ناسا مؤمنين
بين ظهراني المشركين وأنتم غير عارفين بهم فيصيبكم بإهلاكهم مكروه ومشقة
لما كف أيديكم عنهم وحذف جواب لولا لدلالة الكلام عليه ويجوز أن يكون لو
تزيلوا كالتكرير للولا رجال مؤمنون لمرجعهما إلى معنى واحد ويكون لعذ
بنا هو الجواب فإن قلت أي معرة تصيبهم إذا قتلوهم وهم لا يعلمون قلت
تصيبهم وجوب الدية والكفارة وسوء قالة المشركين أنهم فعلوا بأهل دينهم مثل
ما فعلوا بنا من غير تمييز والمأثم إذا جرى منهم بعض التقصير فإن قلت قوله ليدخل
الله في رحمته من يشاء تعليل لماذا قلت لما دلت عليه الآية وسيقت له من كف الأيدي





عن أهل مكة والمنع من قتلهم صونا لمن بين أظهرهم من المؤمنين كأنه قال
كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله في رحمته أي في توفيقه لزيادة الخير و
الطاعة مؤمنيهم أو ليدخل في الإسلام من رغب فيه من مشركيهم لو تزيلوا
لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض من زاله يزيله وقرئ لو تزايلوا إذ
جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله
وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل
شيء عليما إذ يجوز أن يعمل فيه ما قبله أي لعذبناهم أو صدوهم عن المسجد
الحرام في ذلك الوقت وأن ينتصب بإضمار اذكر والمراد بحمية الذين كفروا
وسكينة المؤمنين والحمية الأنفة والسكينة الوقار ما روي أن رسول الله ع م
لما نزل بالحديبية بعثت قريش سهيل بن عمرو والقرشي وحويطب
بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الأحنف على أن يعرضوا على النبي ع م
أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام
ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال ع م لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله
الرحمن الرحيم فقال سهيل وأصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك
اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله ع م أهل مكة فقالوا لو كنا
نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا
ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال ع م اكتب ما يريدون فأنا أشهد
أني رسول الله وأنا محمد بن عبد الله فهم المسلمون أن يأبوا ذلك ويشمئزوا منه

فانزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا وكلمة التقوى بسم الله
الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله قد اختارها الله لنبيه وللذين معه اهل
الخير ومستحقيه ومن هو اولى بالهداية من غيرهم وقيل هي كلمة الشهادة وعن
الحسن كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد ومعنى اضافتها الى التقوى انها سبب التقوى
واساسها وقيل كلمة اهل التقوى وفي مصحف الحارث بن سويد صاحب
عبد الله وكانوا اهلها واحق بها وهو الذي دفن مصحفه ايام الحجاج
لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله
آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون
ذلك فتحا قريبا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية كانه واصحابه
قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا
واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم وقالوا ان رؤيا رسول الله
حق فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحارث
والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت ومعنى صدق
الله رسوله الرؤيا صدقه في رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب وعن كل
قبيح علوا كبيرا فحذف الجار واوصل الفعل كقوله صدقوا ما عاهدوا
الله عليه فان قلت بم تعلق بالحق قلت اما بصدق اي صدقه فيما رأى وفي
كونه وحصوله صدقا ملتبسا بالحق اي بالغرض الصحيح والحكمة البالغة
وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن المخلص وبين من في قلبه

مرض



مرض ويجوز ان يتعلق بالرؤيا حالا منها اي صدقه الرؤيا ملتبسة بالحق على
معنى انها لم تكن من اضغاث الاحلام ويجوز ان يكون بالحق قسما اما بالحق
الذي هو نقيض الباطل او بالحق الذي هو من اسمائه ولتدخلن جوابه وعلى
الاول هو جواب قسم محذوف فان قلت ما وجه دخول ان شاء الله في اخبار
الله عز وجل قلت فيه وجوه ان يعلق عدته بالمشية تعليما لعباده ان يقولوا
في عداتهم مثل ذلك متأدبين بأدب الله ومقتدين بسنته وان يريد لتدخلن
جميعا ان شاء الله ولم يمت منكم احد او كان ذلك على لسان ملك فادخل الملك
ان شاء الله او هي حكاية ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه وقص عليهم وقيل هو
متعلق بآمنين فعلم ما لم تعلموا من الحكمة والصواب في تأخير فتح مكة الى العام
القابل فجعل من دون ذلك اي من دون فتح مكة فتحا قريبا وهو فتح خيبر
لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الفتح الموعود هو الذي ارسل
رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا اي
بالهدى ودين الحق بدين الاسلام ليظهره ليغلبه على الدين كله على جنس
الدين كله يريد الاديان المختلفة من اديان المشركين والجاحدين واهل
الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه فانك لا ترى دينا قط الا وللاسلام دونه
العز والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى عليه السلام حين لا يبقى على وجه الارض
كافر وقيل هو اظهاره بالحجج والآيات وفي هذه الآية تأكيد لما وعد من الفتح

لتستروح اليه لتستانس به

وتوطين لنفوس المؤمنين على أن الله سيفتح لهم من البلاد ويقيض لهم
من الغلبة على الأقاليم ما يستقلون إليه فتح مكة وكفى بالله شهيدا على أن ما
وعده كائن وعن الحسن رضي الله عنه شهد على نفسه أنه سيظهر دينك ثم قال
محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم
تريهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في
وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التورية ومثلهم في الإنجيل كزرع
أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع
ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة
وأجرا عظيما محمد إما خبر مبتدأ أي هو محمد لتقدم قوله هو الذي
أرسل رسوله وإما مبتدأ ورسول الله عطف بيان وعن ابن عامر أنه
قرأ رسول الله بالنصب على المدح والذين معه أصحابه أشداء على
الكفار رحماء بينهم جمع شديد ورحيم ونحوه أذلة على المؤمنين
أعزة على الكافرين واغلظ عليهم بالمؤمنين رؤف رحيم وعن الحسن
بلغ من تشددهم على الكفار أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تلزق
بثيابهم ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم وبلغ من ترحمهم فيما
بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنا إلا صافحه وعانقه والمصافحة لم
تختلف فيها الفقهاء وأما المعانقة فقد كرهها أبو حنيفة رحمه الله

وكذلك



وكذلك التقبيل قال لا أحب أن يقبل الرجل من الرجل وجهه ولا يده ولا
شيئا من جسده وقد رخص أبو يوسف في المعانقة ومن حق المسلمين
في كل زمان أن يراعوا هذا التشدد وهذا التعطف فيتشددوا على من
ليس على ملتهم ودينهم ويتحاموه ويعاشروا إخوتهم في الإسلام
متعطفين بالبر والصلة وكف الأذى والمعونة والاحتمال والأخلاق
السجيحة ووجه من قرأ أشداء ورحماء بالنصب أن ينصبهما
على المدح أو على الحال بالمقدر في معه ويجعل تراهم الخبر سيماهم
علامتهم وقرئ سيمياؤهم وفيها ثلاث لغات هاتان والسيماء والمد
السمة التي تحدث في جبهة السجاد من كثرة السجود وقوله من أثر السجود
يفسرها أي من التأثير الذي يؤثره السجود وكان كل من العليين علي بن
الحسين زين العابدين وعلي بن عبد الله بن عباس أبي الأملاك يقال
له ذو الثفنات لأن كثرة سجودهما أحدثت في مواقعه منهما أشباه
ثفنات البعير وقرئ من إثر السجود ومن آثار السجود وكذا عن
سعيد بن جبير هي السمة في الوجه فإن قلت فقد جاء عن النبي ع
لا تعلبوا صوركم وعن ابن عمر رضي الله عنه أنه رأى رجلا قد أثر في و
جهه السجود فقال إن صورة وجهك أنفك فلا تعلب وجهك ولا تشن
صورتك قلت ذلك إذا اعتمد بجبهته على الأرض لتحدث فيه تلك السمة

وذلك رياء ونفاق يستعاذ بالله منه ونحن فيما حدث في جبهة السجاد
الذي لا يسجد إلا خالصا لوجه الله وعن بعض المتقدمين كنا نصلي
فلا يرى بين أعيننا شيء ونرى أحدنا الآن يصلي فيرى بين عينيه ركبة
البعير فما ندري أثقلت الأرؤس أم خشنت الأرض وإنما أراد بذلك
من تعمد ذلك للنفاق وقيل هو صفرة الوجه من خشية الله وعن الضحاك
ليس بالندب في الوجوه ولكنه صفرة وعن سعيد بن المسيب ندى
الطهور وتراب الأرض وعن عطاء استنارت وجوههم من طول
ما صلوا بالليل كقوله من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار ذلك الوصف
مثلهم أي وصفهم العجيب الشأن في الكتابين جميعا ثم ابتدأ فقال كزرع
يريد هم كزرع وقيل تم الكلام عند قوله ذلك مثلهم في التوراة ثم
ابتدئ ومثلهم في الإنجيل كزرع ويجوز أن يكون ذلك إشارة مبهمة أو
ضحت بقوله كزرع أخرج شطأه كقوله وقضينا إليه ذلك الأمر
أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرئ الأنجيل بفتح الهمزة شطأه
فراخه أشطأ الزرع إذا أفرخ وقرئ شطأه بفتح الطاء و
شطاءه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة و
نقل حركتها إلى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا فآزره من المؤازرة وهي
المعاونة وعن الأخفش أنه أفعل وقرئ فأزره بالتخفيف والتشديد





أي فشد أزره وقواه ومن جعل آزر أفعل فهو في معنى القراءتين
فاستغلظ فصار من الدقة إلى الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه
جمع ساق وقيل مكتوب في الإنجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع
يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة أخرج شطأه بأبي بكر
فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلي وهذا مثل ضربه الله
لبدء أمر الإسلام وترقيه في الزيادة إلى أن قوي واستحكم لأن النبي صلى الله عليه وسلم
قام وحده ثم قواه الله بمن آمن معه كما يقوي الطاقة الأولى من
الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزراع فإن قلت قوله
ليغيظ بهم الكفار تعليل لماذا قلت لما دل عليه تشبيههم بالزرع من
نمائهم وترقيهم في الزيادة والقوة ويجوز أن يعلل به وعد الله الذين
آمنوا لأن الكفار إذا سمعوا بما أعد لهم في الآخرة مع ما يعزهم به
في الدنيا غاظهم ذلك ومنهم للبيان كقوله فاجتنبوا الرجس
من الأوثان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد
مع محمد فتح مكة سورة الحجرات ثماني عشرة آية بسم الله
الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله
واتقوا الله إن الله سميع عليم قدمه وأقدمه منقولان بتثقيل
الحشو والهمزة من قدمه إذا تقدمه في قوله لا تقدموا من غير ذكر

[illegible]

مفعول وجهان احدهما ان يحذف ليتناول كل ما يقع في النفس مما يقدم و
الثاني ان لا يقصد قصد مفعول ولا حذفه ويتوجه بالنهي الى نفس التقدمة
كانه قيل لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل ولا تجعلوا منكم بسبيل كقوله هو الذي
يحيي ويميت ويجوز ان يكون من قدم بمعنى تقدم كوجه وبين ومنه مقدمة
الجيش خلاف ساقته وهي الجماعة المتقدمة منه وتعضده قراءة من قرا لا
تقدموا بحذف احدى تاءي تتقدموا الا ان الاول املأ بالحسن واوجه و
اشد ملاءمة لبلاغة القرآن والعلماء له اقبل وقرئ لا تقدموا من القدوم
اي لا تقدموا الى امر من امور الدين قبلهما ولا تعجلوا عليهما وحقيقة
قولهم جلست بين يدي فلان ان تجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه و
شماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين
مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشيء باسم غيره اذا جاوره وداناه و
قد جرت هذه العبارة ههنا على سنن ضرب من المجاز وهو الذي يسميه
اهل البيان تمثيلا وفيه فائدة جليلة ليست في الكلام العريان و
هو تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على امر من
الامور دون الاحتذاء على امثلة الكتاب والسنة والمعنى ان لا تقطعوا
امرا الا بعد ما يحكمان به ويأذنان فيه فتكونوا اما عاملين بالوحي المنزل
واما مقتدين برسول الله صلعم وعليه يدور تفسير ابن عباس رضي الله عنهما

وعن



وعن مجاهد لا تفتاتوا على الله شيئا حتى يقصه على لسان رسوله ويجوز
ان يجري مجرى قولك سرني زيد وحسن حاله واعجبت بعمرو وكرمه وفائدة
هذا الاسلوب الدلالة على قوة الاختصاص ولما كان رسول الله صلعم من الله
بالمكان الذي لا يخفى سلك به ذلك المسلك وفي هذا تمهيد وتوطئة لما نقم
منهم فيما يتلوه من رفع اصواتهم فوق صوته لان من احظاه الله بهذه
الاثرة واختصه هذا الاختصاص القوي كان ادنى ما يجب له من التهيب
والاجلال ان يخفض بين يديه الصوت ويخافت لديه بالكلام وقيل بعث
رسول الله صلعم الى تهامة سرية سبعة وعشرين رجلا عليهم المنذر
بن عمرو الساعدي فقتلهم بنو عامر وعليهم عامر بن الطفيل الا ثلاثة نفر
نجوا فلقوا رجلين من بني سليم قرب المدينة فاعتزيا لهم الى بني عامر
لانهم اعز من بني سليم فقتلوهما وسلبوهما ثم اتوا رسول الله صلعم
فقال بئس ما صنعتم كانا من سليم والسلب ما كسوتهما فوداهما
رسول الله صلعم ونزلت اي لا تعملوا شيئا من انفسكم حتى تستأمروا في
اليوم الذي يشك فيه فقالت للجارية اسقيه عسلا فقلت اني صائمة
فقالت قد نهى الله عن صوم ذلك اليوم وفيه نزلت وعن الحسن ان اناسا
ذبحوا يوم الاضحى قبل الصلاة فنزلت وامرهم رسول الله صلعم ان يعيدوا
ذبحا آخر وهذا مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه الا ان تزول الشمس

وعن الشافعي رضي الله عنه يجوز الذبح اذا مضى من الوقت مقدار الصلوة
وعن الحسن ايضا لما استقر رسول الله ع م بالمدينة اتته الوفود من الآفاق
فاكثروا عليه بالمسائل فنهوا ان يبتدئوه بالمسألة حتى يكون هو المبتدئ
ـا وعن قتادة ذكر لنا ان ناسا يقولون لو انزل في كذا لكان كذا فكره الله
ذلك منهم وانزل وقيل معناه لا تقولوا قبل قوله وفعله ويدخل فيه انه اذا جرت
مسئلة في مجلس رسول الله ع م لا يسبقوه بالجواب وان لا يمشي بين يديه
الا للحاجة وان يستأنى في الافتتاح بالطعام واتقوا الله فانكم ان اتقيتموه
عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهي عنها وعن جميع ما يقتضي مراقبة الله
تجنبه فان التقي حذر لا يشافه امرا الا عن ارتفاع الريب وانجلاء
الشك في انه لا تبعة عليه فيه وهذا كما تقول لمن يقارف بعض الرذائل لا تفعل
هذا وتحفظ مما يلصق بك العار فتنهاه اولا عن عين ما قارفه ثم تعم وتشيع
وتأمره بما لو امتثل فيه امرك لم يرتكب تلك الفعلة وكل ما يضرب في طريقها
ويتعلق بسببها ان الله سميع لما تقولون عليم بما تفعلون وحق مثله ان
يتقى ويراقب ه يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت
النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم
لا تشعرون ه اعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند
كل خطاب وارد وتطرية الانصات لكل حكم نازل وتحريك منهم لئلا يفتروا

ويغفلوا



الا ان يألوا الى ان نفر نفيرا ه

ويغفلوا عن تأملهم وما اخذوا به عند حضور مجلس رسول الله ع م
من الادب الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم وذلك
لان في اعظام صاحب الشرع اعظام ما ورد به ومستعظم الحق لا يدعه
استعظامه ان يألو عملا مما يحدوه عليه وارتداعا عما يصده عنه و
انتهاء الى الخير واراد بقوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي
انه اذا نطق ونطقتم فعليكم ان لا تبلغوا باصواتكم وراء الحد الذي
يبلغه بصوته وان تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم وجهره
باهرا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته واضحة وامتيازه
عن جمهوركم كشية الابلق غير خاف لا ان تغمروا صوته بلغطكم وتبهروا
منطقه بصخبكم وبقوله ولا تجهروا له بالقول انكم اذا كلمتموه وهو
صامت فاياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم ان لا تبلغوا
به الجهر الدائر بينكم وان تتعمدوا في مخاطبته القول اللين المقرب
من الهمس الذي يضاد الجهر كما يكون مخاطبة المهيب المعظم عاملين
بقوله عز اسمه وتعزروه وتوقروه وقيل معنى ولا تجهروا له با
لقول كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا له يا محمد يا احمد وخاطبوه بالنبوة
قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله
والله لا اكلمك الا السرار او اخا السرار حتى القى الله وعن عمر رضي الله عنه

اللغط بالتحريك الصوت والجلبة ه

من غمره اي علاه ه

لقوله

انه كان يكلم النبي صلعم كأخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان ابو بكر
رضي الله عنه اذا قدم على رسول الله صلعم وفد ارسل اليهم من يعلمهم كيف
يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله صلعم وليس الغرض
برفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة لان ذلك
كفر والمخاطبون مؤمنون وانما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع
من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء ويتناول النهي ايضا رفع
القول الذي لا يتأذى به رسول الله صلعم ويوقر الكبراء فيتكلف الغض
منه ورده الى حد يميل به الى ما يستبين فيه المأمور به من التعزير و
التوقير ولم يتناول النهي ايضا رفع الصوت الذي لا يتأذى به رسول
الله صلعم وهو ما كان منهم في حرب او مجادلة معاند او ارهاب عدو
وما اشبه ذلك ففي الحديث انه قال صلعم للعباس بن عبد المطلب رضي الله
عنه لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ بالناس وكان العباس اجهر
الناس صوتا يروى ان غارة اتتهم يوما فصاح العباس يا صباحاه
فاسقطت الحوامل لشدة صوته وفيه يقول نابغة بني جعدة زجر
ابي عروة السباع اذا اشفقن ان يختلطن بالغنم زعمت الرواة
انه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع في جوفه وفي
قراءة ابن مسعود لا ترفعوا باصواتكم والباء مزيدة محذو بها

حذو



حذو التشديد في قول الاعلم الهذلي * رفعت عيني بالحجاز الى اناس
بالمناقب * وليس المعنى في هذه القراءة انهم نهوا عن الرفع الشديد
تخيلا ان يكون ما دون الشديد مسوغا لهم ولكن المعنى نهيهم عما كانوا
عليه من الجلبة واستجفاؤهم فيما كانوا يفعلون وعن ابن عباس نزلت في ثابت
بن قيس بن شماس وكان في اذنه وقر وكان جهوري الصوت فكان اذا كلم
رفع صوته وربما كان يكلم رسول الله صلعم فيتأذى بصوته وعن انس ان
هذه الآية لما نزلت فقد ثابت فتفقده رسول الله صلعم فأخبر بشأنه
فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية واني رجل
جهير الصوت فأخاف ان يكون عملي قد حبط فقال له رسول الله صلعم لست
هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة واما ما يروى عن الحسن
انها نزلت فيمن كان يرفع صوته من المنافقين فوق صوت رسول الله صلعم
فمحمله والخطاب للمؤمنين على ان ينهى المؤمنون ليندرج المنافقون تحت
النهي ليكون الامر اغلظ عليهم واشق وقيل كان المنافقون يرفعون اصواتهم ليظهروا
قلة مبالاتهم به الا تجهروا والجهر مثل جهر بعضكم لبعض وفي هذا
انهم ما نهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم الا ان يكلموه بالهمس
والمخافتة وانما نهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة اعني الجهر
المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منه فيما بينهم وهو الخلو من مرا

عاة

ابهة النبوة وجلالة مقدارها وانحطاط سائر الرتب وان جلت عن
رتبتها ان تحبط اعمالكم منصوب الموضع على انه مفعول له وفي متعلقه
وجهان احدهما ان يتعلق بمعنى النهي فيكون المعنى انتهوا عما نهيتم
عنه لحبوط اعمالكم اي لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف كقوله تعالى
يبين الله لكم ان تضلوا والثاني ان يتعلق بنفس الفعل ويكون المعنى
انهم نهوا عن الفعل الذي فعلوه لاجل الحبوط لانه لما كان بصدد
الاداء الى الحبوط جعل كانه فعله لاجله وكانه العلة والسبب في
ايجاده على سبيل التمثيل كقوله تعالى ليكون لهم عدوا فان قلت
لخص الفرق بين الوجهين قلت تلخيصه ان يقدر الفعل في الثاني مضموما
اليه المفعول له كانهما شيء واحد ثم يصب النهي عليهما جميعا صبا
وفي الاول يقدر النهي موجها على الفعل على حياله ثم يعلل له منهيا
عنه فان قلت باي النهيين تعلق المفعول له قلت بالثاني عند البصريين
مقدرا اضماره عند الاول كقوله تعالى آتوني افرغ عليه قطرا وبا
لعكس عند الكوفيين وايهما كان فمرجع المعنى الى ان الرفع والجهر
كلاهما منصوص اداؤه الى حبوط العمل وقراءة ابن مسعود
فتحبط اعمالكم اظهر نصا بذلك لان ما بعد الفاء لا يكون الا مسببا
عما قبله فيتنزل الحبوط من الجهر منزلة الحلول من الطغيان في قوله

فيحل



فيحل عليكم غضبي والحبوط من حبطت الابل اذا اكلت الخضر فنفخ
بطونها وربما هلكت ومنه قوله عليه السلام وان مما ينبت الربيع لما
يقتل حبطا او يلم ومن اخواته حبجت الابل اذا اكلت العرفج
فاصابها ذلك واحبض عمله مثل احبطه وحبط الجرح وحبر اذا
غفر وهو نكسه وتراميه الى الفساد جعل العمل السيء في اضراره
بالعمل الصالح كالداء والحرض لمن يصاب به اعاذنا الله من حبط
الاعمال وخيبة الآمال وقد دلت الآية على امرين هائلين احدهما ان
فيما يرتكب من يؤمن من الآثام ما يحبط عمله والثاني ان في آثامه ما لا يدري
انه محبط ولعله عند الله كذلك فعلى المؤمن ان يكون في تقواه كالماشي
في طريق شائك لا يزال يحترز ويتوقى ويتحفظ ان الذين
يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله
قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم امتحن الله قلوبهم
للتقوى من قولك امتحن فلان لامر كذا وجرب له ودرب للنهوض
به فهو مضطلع به غير وان عنه والمعنى انهم صبر على التقوى اقوياء
على احتمال مشاقها او وضع الامتحان موضع المعرفة لان تحقق الشيء
باختباره كما يوضع الخبر موضعها فكانه قيل عرف الله قلوبهم للتقوى
وتكون اللام متعلقة بمحذوف واللام هي التي في قولك انت

لهذا الامر كائن له ومختص به قال انت لها احمد من بين
البشر اعداء من لليعملات على الوجى وهي مع معمولها
منصوبة على الحال او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف
الصعبة لاجل التقوى اي لتثبت وتظهر تقواها ويعلم انهم
متقون لان حقيقة التقوى لا تعلم الا عند المحن والشدائد
والاصطبار عليها وقيل اخلصها للتقوى من قولهم امتحن
الذهب وفتنه اذا اذابه فخلص ابريزه من خبثه ونقاه وعن
عمر رضي الله عنه اذهب الشهوات عنها والامتحان افتعال من محنه
وهو اختبار بليغ او بلاء جهيد قال ابو عمرو كل شيء جهدته
فقد محنته وانشد اتت رذايا باديا كلالها قد محنت و
اضطربت آطالها قيل انزلت في الشيخين رضي الله عنهما لما كان
منهما من غض الصوت والبلوغ به اخا السرار وهذه الآية
بنظمها الذي رتبت عليه من ايقاع الغاضين اصواتهم اسما
لان المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدأ وخبر معرفتين
معا والمبتدأ اسم الاشارة واستئناف الجملة المستودعة
نكرة مبهما امره في الدلالة على غاية الاعتداد والارتضاء لما
فعل الذين وقروا رسول الله صلى الله عليه وسلم من خفض اصواتهم و

في

وفي الاعلام بمبلغ عزة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدر شرف منزلته
وفيها تعريض بعظيم ما ارتكب الرافعون اصواتهم ولهم
ضد ما استوجب هؤلاء ان الذين ينادونك من وراء الحجرات
اكثرهم لا يعقلون الوراء الجهة التي يواريك عنها الشخص
بظله من خلف او قدام ومن لابتداء الغاية وان المناداة
نشأت من ذلك المكان فان قلت افرق بين الكلامين بين ما تثبت
فيه وما تسقط عنه قلت الفرق بينهما ان المنادي والمنادى في
احدهما يجوز ان يجمعهما الوراء وفي الثاني لا يجوز لان
الوراء تصير بدخول من مبتدأ الغاية ولا يجتمع على
الجهة الواحدة ان تكون مبتدأ ومنتهى لفعل واحد والذي
يقول ناداني فلان من وراء الدار لا يريد وجه الدار ولا
دبرها ولكن اي قطر من اقطارها الظاهرة كان مطلقا بغير
تعيين واختصاص والانكار لم يتوجه عليهم من قبل ان النداء
وقع منهم في ادبار الحجرات او في وجوهها وانما انكر عليهم انهم
نادوه من البر والخارج مناداة الاجلاف بعضهم لبعض من غير
قصد الى جهة دون جهة والحجرة الرقعة من الارض المحجورة
بحائط يحوط عليها وحظيرة الابل تسمى الحجرة وهي فعلة بمعنى

مبهم

مفعولة كالغرفة والقبضة وجمعها الحجرات بضمتين والحجرات بفتح الجيم والحجرات بتسكينها وقرئ بهن جميعاً والمراد حجرات نساء النبي صلى الله عليه وسلم وكانت لكل منهن حجرة ومناداتهم من ورائها يحتمل أنهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك وأنهم قد أتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها وأنهم نادوه من وراء الحجرة التي كان فيها ولكنها جمعت إجلالاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمكان حرمته والفعل وإن كان مسنداً إلى جميعهم فإنه يجوز أن يتولاه بعضهم وكان الباقون راضين فكأنهم تولوه جميعاً فقد ذكر الأصم أن الذي ناداه عيينة بن حصن والأقرع بن حابس والإخبار عن أكثرهم بأنهم لا يعقلون يحتمل أن يكون فيهم من قصد بالمحاشاة ويحتمل أن يكون الحكم بقلة العقلاء فيهم قصداً إلى نفي أن يكون فيهم من يعقل فإن القلة تقع موقع النفي في كلامهم وروي أن وفد بني تميم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة وهو راقد فجعلوا ينادونه يا محمد اخرج إلينا فاستيقظ فخرج ونزلت وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هم جفاة بني تميم لولا أنهم من أشد الناس قتالاً للأعور الدجال لدعوت الله عليهم أن يهلكهم وورود الآية على النمط الذي وردت عليه

بالمحاشاة أي بالاستثناء ه

فيه





فيه ما لا يخفى على الناظرين من بينات إكبار محل رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجلاله منها مجيئها على النظم المسجل على الصائحين به بالسفه والجهل لما أقدموا عليه ومنها لفظ الحجرات وإيقاعها كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها المرور على لفظها بالاقتصار على القدر الذي تبين به ما استنكر عليهم ومنها التعريف باللام دون الإضافة ومنها أن شفع ذمهم باستجفائهم واستركاك عقولهم وقلة ضبطهم لمواضع التمييز في المخاطبات تهويناً للخطب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له وإماطة لما تداخله من إيحاش تعجرفهم وسوء أدبهم وهلم جراً من أول السورة إلى آخر هذه الآية فتأمل كيف ابتدئ بإيجاب أن تكون الأمور التي تنتمي إلى الله ورسوله متقدمة على الأمور كلها من غير حصر ولا تقييد ثم أردف ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كأن الأول بساطاً للثاني ووطاء لذكره ثم ذكر ما هو ثناء على الذين تحاموا ذلك فغضوا أصواتهم دلالة على عظيم موقعه عند الله ثم جيء على عقيب ذلك بما هو أطم وهجنته أتم من الصياح برسول الله صلى الله عليه وسلم في حال خلوته ببعض حرماته من وراء الجدار كما يصاح بأهون الناس قدراً لينبه على فظاعة ما أجروا إليه وجسروا

الاستجفاء عده جافياً

ما وجدته من أمر هذه الآية إن لم أقاتل هذه الفئة الباغية كما أمرني
الله تعالى بعد أن أغزى كذا الآفة وتقف عن الحرب البديهيات
وإذا أخرجت يحكي ما أتى عن البيهقي أنه قال يا ابن أم عبد هل
تدري كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الأمة قال الله ورسوله أعلم
قال لا يجهز على جريحها ولا يقتل أسيرها ولا يطلب هاربها ولا
يقسم فيئها ولا تخلو الفئتان من المسلمين في اقتتالهما إما أن يقتتلا
على سبيل البغي منهما جميعاً فالواجب في ذلك أن يمشي بينهما بما يصلح
ذات البين ويثمر المكافة والموادعة فإن لم يتحاجزا ولم يصطلحا
وأقاما على البغي صير إلى مقاتلتهما وإما أن يلتحم بينهما القتال لشبهة
دخلت عليهما وكلتاهما عند أنفسهما محقة فالواجب إزالة
الشبهة بالحجج النيرة والبراهين القاطعة وإطلاعهما على مراشد
الحق فإن ركبتا متن اللجاج ولم تعملا على شاكلة ما هديتا إليه و
نصحتا به من اتباع الحق بعد وضوحه لهما فقد لحقتا بالفئتين
الباغيتين وإما أن تكون إحديهما الباغية على الأخرى فالواجب أن
تقاتل فئة البغي إلى أن تكف وتتوب فإن فعلت أصلح بينها وبين المبغي
عليها بالقسط والعدل وفي ذلك تفاصيل إن كانت الباغية من قلة العدد
بحيث لا منعة لها ضمنت بعد الفيئة ما جنت وإن كانت كثيرة ذات



منعة وشوكة لم تضمن إلا عند محمد بن الحسن رحمه الله فإنه كان يفتي بأن
الضمان يلزمها إذا فاءت وأما قبل التجمع والتجند أو حين يتفرق عند
وضع الحرب أوزارها فما جنته ضمنته عند الجميع فمحمل الإصلاح
بالعدل في قوله فأصلحوا بينهما بالعدل على مذهب محمد واضح
منطبق على لفظ التنزيل وعلى قول غيره وجهه أن يحمل على كون الفئة
قليلة العدد والذي ذكروا أن الغرض إماتة الضغائن وسل الأحقاد
دون ضمان الجنايات ليس بحسن الطباق للمأمور به من أعمال العدل
ومراعاة القسط فإن قلت فلم قرن بالإصلاح الثاني العدل دون الأول
قلت لأن المراد بالاقتتال في أول الآية أن يقتتلا باغيتين معاً أو راكبتي
شبهة وأيتهما كانت فالذي يجب على المسلمين أن يأخذوا به في شأنهما
إصلاح ذات البين وتسكين الدهماء بإراءة الحق والمواعظ الشافية
ونفي الشبهة إلا إذا أصرتا فحينئذ تجب المقاتلة وأما الضمان فلا يتجه
وليس كذلك إذا بغت إحديهما فإن الضمان متجه على الوجهين
المذكورين وأقسطوا أمر باستعمال القسط على طريق العموم بعد
ما أمر به في إصلاح ذات البين والقول فيه مثله في الأمر باتقاء الله على
عقب النهي عن التقديم بين يديه والقسط بالفتح الجور من
القسط وهو اعوجاج في الرجلين وعود قاسط يابس وأقسطته

الزيادة ٥ واما القسط بمعنى العدل فالفعل منه اقسط وهمزته
للسلب اي ازال القسط وهو الجور ٥ انما المؤمنون اخوة فاصلحوا
بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ٥ هذا تقرير لما الزمه من
تولي الاصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وبيان ان الا[خوة في الدين]
قد عقدت بين اهلها من السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل
الاخوة ولم يبرز عليها لم ينقص عنها ولم يتقاصر عن غايتها ثم قد جرت
عادة الناس على انه اذا نشب مثل ذلك بين اثنين من اخوة الولاد لزم
السائر ان يتناهضوا في رفعه وازاحته ويركبوا الصعب والذلول
مشيا بالصلح وبثا للسفراء بينهما الى ان يصادف ما وهى من الوفاق من
يرقعه وما استمسك من الوصال من يصله فالاخوة في الدين احق
بذلك وباشد منه وعن النبي عليه السلام المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا
يعيبه ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عنه الريح الا باذنه ولا يوذيه
بقتار قدره ثم قال احفظوا ولا يحفظ منكم الا قليل فان قلت فلم خص
الاثنان بالذكر دون الجمع قلت لان اقل من يقع بينهم الشقاق
اثنان فاذا لزمت المصالحة بين الاقل كانت بين الاكثر الزم
لان الفساد في شقاق الجمع اكثر منه في شقاق
الاثنين وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ

السابق

ما وهى ما انعقد

السفراء جمع
السفير وهو
المصلح بينهما

بقتار حقته
المراد بدخانه
الشواء

بين

بين اخوتكم واخوانكم والمعنى ليس المؤمنون الا اخوة وانهم خلقاء
لذلك متمحضون قد انزاحت عنهم شبهات الاجنبية وابى لطف حالهم
في التمازج والاتحاد ان يقدموا على ما يتولد منه التقاطع فبادروا قطع
ما يقع من ذلك ان وقع واحسموه واتقوا الله فانكم ان فعلتم لم تحملكم
التقوى الا على التواصل والائتلاف والمسارعة الى اماطة ما يفرط
منه وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله اليكم واشتمال رافته عليكم
حقيقا بان تعقدوا به رجاءكم ٥ يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم
من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا
منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق
بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون ٥ القوم الرجال خا[صة]
لانهم القوام بامور النساء قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء و
وقال صلى الله عليه وسلم النساء لحم على وضم الا ما ذب عنه والذابون هم الرجال
وهو في الاصل جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر او تسمية بال
مصدر عن بعض العرب اذا اكلت طعاما احببت نوما وابغضت
قوما اي قياما واختصاص القوم بالرجال صريح في الاية وفي قول زهير
اقوم ال حصن ام نساء ٥ واما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد
هم الذكور والاناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين

قه

حه

اوله
وما ادري وسوف
اخال ادري ٥

ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الإناث لأنهن توابع لرجا
لهن وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين أن يراد لا يسخر بعض المؤ
منين والمؤمنات من بعض وأن تقصد إفادة الشياع وأن يصير كل جماعة
منهم منهية عن السخرية وإنما لم يقل رجل ولا امرأة من امرأة على التو
حيه
حيد إعلاما بإقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم
على السخرية واستفظاعا للشأن الذي كانوا عليه ولأن مشهد الساخر
لا يكاد يخلو ممن يتلهى ويستضحك على قوله ولا يأتي ما عليه من النهي و
الإنكار فيكون شريك الساخر وتلوه في تحمل الوزر وكذلك كل من يطرق
سمعه فيستطيبه ويضحك به فيؤدي ذلك وإن أوجده واحد إلى تكثر السخ[رة]
وانقلاب الواحد جماعة وقوما وقوله عسى أن يكونوا خيرا منهم كلام
مستأنف قد ورد مورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة لما جاء
النهي عنه وإلا فقد كان حقه أن يوصل بما قبله بالفاء والمعنى وجوب أن
يعتقد كل أحد أن المسخور منه ربما كان عند الله خيرا من الساخر
لأن الناس لا يطلعون إلا على ظواهر الأحوال ولا علم لهم بالخفيات
وإنما الذي يزن عند الله خلوص الضمائر وتقوى القلوب وعلمهم
من ذلك بمعزل فينبغي أن لا يجترئ أحد على الاستهزاء بمن تقتحمه
عينه إذا رآه رث الحال أو ذا عاهة في بدنه أو غير لبيق في محادثته

فلعله



فلعله أخلص ضميرا وأنقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه
بتحقير من وقره الله والاستهانة بمن عظمه الله ولقد بلغ بالسلف
إفراط توقيهم وتصونهم من ذلك أن قال عمرو بن شرحبيل لو
البغ
رأيت رجلا يرضع عنزا فضحكت منه خشيت أن أصنع مثل الذي صنعه
وعن عبد الله بن مسعود البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب
لخشيت أن أحول كلبا وفي قراءة عبد الله عسوا أن يكونوا وعسين أن
يكن فعسى على هذه القراءة هي ذات الخبر كالتي في قوله فهل عسيتم و
على الأولى التي لا خبر لها كقوله وعسى أن تكرهوا شيئا واللمز الطعن
والضرب باللسان وقرئ ولا تلمزوا بالضم والمعنى وخصوا أيها المؤ
منوا
منون أنفسكم بالانتهاء عن عيبها والطعن فيها ولا عليكم أن تعيبوا غيركم ممن لا يدين
ٮٮٮ
بدينكم ولا يسير بسيرتكم ففي الحديث عن رسول الله ع م اذكروا الفاجر بما
فيه كي يحذره الناس وعن الحسن في ذكر الحجاج أخرج إلي بنانا قصيرة قلما
عرقت فيها الأعنة في سبيل الله ثم جعل يطبطب شعيرات له ويقول يا أبا
سعيد يا أبا سعيد وقال لما مات اللهم أنت أمته فاقطع سنته فإنه أتانا
أخيفش أعيمش يخطر في مشيته ويصعد المنبر حتى تفوته الصلاة لا
من الله يتقي ولا من الناس يستحي فوقه الله وتحته مائة ألف أو يزيدون
لا يقول له قائل الصلاة أيها الرجل الصلاة أيها الرجل هيهات دون

ذلك التنابز والسوء وقيل معناه لا يغتب بعضكم بعضا لان المؤمنين كنفس
واحدة فمتى عاب المؤمن المؤمن فكانما عاب نفسه وقيل معناه لا تفعلوا
ما تلمزون به لان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة و
التنابز بالالقاب التداعي بها تفاعل من نبزه وبنو فلان يتنابزون و
يتنازبون ويقال النبز والنزب لقب السوء والتلقيب المنهي عنه
هو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به وذما له وشينا فا
ما ما تحبه مما يزينه وينوه به فلا بأس به روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من حق
المؤمن على اخيه ان يسميه باحب اسمائه اليه ولهذا كانت التكنية
من السنة والادب الحسن قال عمر رضي الله عنه اشيعوا الكنى فانها تما
منبهة وقد لقب ابو بكر بالعتيق والصديق وعمر بالفاروق
وحمزة باسد الله وخالد بسيف الله وقل من المشاهير في الجاهلية
والاسلام من ليس له لقب ولم تزل هذه الالقاب الحسنة في
الامم كلها من العرب والعجم تجري في مخاطباتهم ومكاتباتهم من
غير نكير روي عن الضحاك ان قوما من بني تميم استهزؤا ببلال وخباب وعمار و
صهيب وابي ذر وسالم مولى حذيفة فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها انها كانت
تسخر من زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت قصيرة وعن ابن عباس ان ام سلمة رضي الله عنها
ربطت حقويها بسبيبة وسدلت طرفيها خلفها وكانت تجره فقالت عائشة

لحفصة



لحفصة انظري ما تجر خلفها كانه لسان كلب وعن انس عيرت نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم
ام سلمة بالقصر وعن عكرمة عن ابن عباس ان صفية بنت حيي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت ان النساء تعيرنني ويقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
هلا قلت ان ابي هرون وان عمي موسى وان زوجي محمد وروي انها نزلت في ثابت
بن قيس وكان به وقر وكانوا يوسعون له في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسمع فاتى يوما
وهو يقول تفسحوا حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال
من هذا قال الرجل انا فلان فقال بل انت ابن فلانة يريد ما كان يعير بها في الجا هلية
فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت لا افخر على احد في الحسب بعدها ابدا الاسم
ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم كما يقال طار ثناؤه وصيته
وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس الا ترى الى قولهم اشاد بذكره كانه
قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائم ان يذكروا
بالفسق وفي قوله بعد الايمان ثلثة اوجه احدها استقباح الجمع بين الايمان
وبين الفسق الذي يأباه الايمان وتحظره كما تقول بئس الشأن بعد الكبرة
الصبوة والثاني انه كان في شتائمهم لمن اسلم من اليهود يا يهودي يا فاسق
فنهوا عنه وقيل لهم بئس الذكر ان تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد
ايمانه والجملة على هذا التفسير متعلقة بالنهي عن التنابز والثالث ان يجعل من
فسق غير مؤمن كما تقول للمتحول عن التجارة الى الفلاحة بئست الحرفة

الفلاح بعد النجاة يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض
الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه
ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم يقال جنبه الشر إذا أبعده
عنه وحقيقته جعله منه في جانب فيعدى إلى مفعولين قال الله تعالى واجنبني
وبني أن نعبد الأصنام ثم يقال في مطاوعه اجتنب الشر فينقص المطاوع
مفعولا والمأمور باجتنابه هو بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة
ألا ترى إلى قوله إن بعض الظن إثم فإن قلت بين الفصلين حيث جاء
نكرة وبينه لو جاء معرفة قلت مجيئه نكرة يفيد معنى البعضية وإن في الظنون ما
يجب أن يجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين لئلا يجترئ أحد على ظن إلا بعد نظر وتأمل و
تمييز بين حقه وباطله بأمارة بينة مع استشعار للتقوى والحذر ولو عرف ذلك لا
الأمر باجتناب الظن منوطا بما يكثر منه دون ما يقل وجب أن يكون كل ظن متصف
بالكثرة مجتنبا وما اتصف منه بالقلة مرخصا في تظنيه والذي يميز الظنون التي يجب
اجتنابها عما سواها أن كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراما
واجب الاجتناب وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح وأونست
منه الأمانة في الظاهر فظن الفساد والخيانة به محرم بخلاف من اشتهره
الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث عن النبي عليه السلام إن الله حرم من المسلم
دمه وعرضه وأن يظن به ظن السوء وعن الحسن كنا في زمان الظن بالناس حرام و

أنت



أنت اليوم في زمان اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت وعنه لا حرمة لفاجر وعنه إن
الفاسق إذا أظهر فسقه وهتك ستره هتكه الله وإذا استتر لم يظهره الله عليه لعله أن يتوب
وقد روي من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له والإثم الذنب الذي يستحق صاحبه
العقاب ومنه قيل لعقوبته الأثام فعال منه كالنكال والعذاب والوبال قال لقد
فعلت هذي النوى بي فعلة أصاب النوى قبل الممات أثامها والهمزة فيه عن الواو
كأنه يثم الأعمال أي يكسرها بإحباطه وقرئ ولا تحسسوا بالحاء والمعنيان متقاربان
يقال تجسس الأمر إذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس كما أن التلمس بمعنى التطلب
من اللمس لما في اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب في قوله وأنا لمسنا السماء
والتحسس التعرف من الحس ولتقاربهما قيل لمشاعر الإنسان الحواس بالحاء
والجيم والمراد النهي عن تتبع عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عما
ستروه وعن مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستره الله وعن النبي عليه السلام أنه
خطب فرفع صوته حتى أسمع العواتق في خدورهن قال يا معشر من آمن
بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين فإن من تتبع عورة
المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته وعن زيد بن وهب
قلنا لابن مسعود هل لك في الوليد بن عقبة بن أبي معيط تقطر لحيته خمرا
فقال ابن مسعود إنا قد نهينا عن التجسس فإن ظهر لنا شيء أخذنا به غابه
واغتابه كغاله واغتاله والغيبة من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وهو ذكر

الشديد في الغيبة وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال أن تذكر أخاك بما يكره فإن كان
فيه فقد اغتبته وعن ابن عباس الغيبة إدام كلاب الناس أيحب أحدكم تمثيل
وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفظع وجه وأفحشه وفيه مبالغات
شتى منها الاستفهام الذي معناه التقرير ومنها جعل ما هو في الغاية
من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها إسناد الفعل إلى أحدكم والإشعار بأن أحدا
من الأحدين لا يحب ذلك ومنها أن لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان حتى
جعل الإنسان أخا ومنها أن لم يقتصر على أكل لحم الأخ حتى جعل ميتا وعن قتادة
كما تكره إن وجدت جيفة مدودة أن تأكل منها كذلك فاكره لحم أخيك وهو حي
وانتصب ميتا على الحال من اللحم ويجوز أن ينتصب عن الأخ وقرئ ميتا ولما قرره بقوله
فكرهتموه معناه فقد كرهتموه واستقر ذلك وفيه معنى الشرط أي إن صح
هذا فكرهتموه وهي الفاء الفصيحة أي فتحققت بوجوب الإقرار عليكم
وبأنكم لا تقدرون على دفعه وإنكاره لإباء البشرية عليكم أن تجحدوه كراهتكم
له وتقذركم منه فليتحقق أيضا أن تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة والطعن
في أعراض المسلمين وقرئ فكرهتموه أي جبلتم على كراهته فإن قلت هلا
عدي بإلى كما عدي في قوله وكره إليكم الكفر وأيهما القياس قلت القياس
تعديه بنفسه لأنه ذو مفعول واحد قبل تثقيله تقول كرهت
الشيء فإذا ثقل استدعى زيادة مفعول وأما تعديته بإلى فتأول وإجراء

لكره

وإن لم يكن فيه فقد بهته صح





لكره مجرى بغض لأن بغض منقول من بغض إليه الشيء فهو بغيض إليه كقولك
حبب إليه فهو حبيب إليه والمبالغة في التواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من
عباده أو لأنه ما من ذنب يقترفه المقترف إلا كان معفوا عنه بالتوبة أو لأنه بليغ
في قبول التوبة منزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه والمعنى واتقوا
الله بترك ما أمرتم باجتنابه والندم على ما وجد منكم فإنكم إن اتقيتم تقبل الله
توبتكم وأنعم عليكم ثواب المتقين التائبين وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن
سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوي لهما طعامهما فنام عن شأنه
يوما فبعثاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما ما عنده شيء فأخبرهما سلمان فعند
ذلك قالا لو بعثناه إلى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لهما ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال إنكما قد
اغتبتما فنزلت يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا
وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير من ذكر
وأنثى من آدم وحواء أو خلقنا كل واحد منكم من أب وأم فما منكم أحد
إلا وهو يدلي بمثل ما يدلي به الآخر سواء بسواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل
في النسب والشعب الطبقة الأولى من الطبقات الست التي عليها العرب وهي
الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة فالشعب يجمع القبائل
والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الأفخاذ

والفخذ تجمع الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي
بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان القبائل تشعبت
منها وقرئ لتتعارفوا ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا اي لتعلموا
تتناسبون ولتعرفوا والمعنى ان الحكمة التي من اجلها رتبكم على شعوب و
قبائل هي ان يعرف بعضكم نسب بعض فلا يعتزي الى غير ابائه لا ان تتفاخروا
بالاباء والاجداد وتدعوا التفاوت والتفاضل في الانساب ثم بين الخصلة
التي بها يفضل الانسان غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله فقال ان اكرمكم
عند الله اتقيكم وقرئ ان بالفتح كانه قيل لم لا يتفاخر بالانساب فقيل لان اكرمكم
عند الله اتقيكم لا انسبكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه طاف يوم فتح مكة فحمد
الله واثنى عليه ثم قال الحمد لله الذي اذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها
يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين
على الله ثم قرأ الآية وعنه صلى الله عليه وسلم من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله
وعن ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى وعن يزيد بن
شجرة مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوق المدينة فرأى غلاما اسود يقول
من اشتراني فعلى شرط لا يمنعني عن الصلوات الخمس خلف رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاشتراه رجل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عند كل صلوة
ففقده يوما فسأل عنه صاحبه فقال محموم فعاده ثم سأل عنه بعد ثلثة

ايام

271

ايام فقال هو لما به فجاءه وهو في ذمائه فتولى غسله ودفنه فدخل على
المهاجرين والانصار امر عظيم فنزلت قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا
ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله
لا يلتكم من اعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم الايمان هو التصديق بالله
مع الثقة وطمأنينة النفس والاسلام الدخول في السلم والخروج من
ان يكون حربا للمؤمنين باظهار الشهادتين الا ترى الى قوله ولما يدخل
الايمان في قلوبكم فاعلم ان كل ما يكون من الاقرار باللسان من غير مواطاة
القلب فهو اسلام وما واطأ فيه القلب اللسان فهو ايمان فان قلت ما
وجه قوله قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا والذي يقتضيه نظم الكلام
ان يقال قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا او قل لم تؤمنوا ولكن
اسلمتم قلت افاد هذا النظم تكذيب دعواهم اولا ودفع ما انتحلوه
فقيل قل لم تؤمنوا وروعي في هذا النوع من التكذيب ادب حسن حين
لم يصرح بلفظه فلم يقل كذبتم ووضع لم تؤمنوا الذي هو نفي ما ادعوا
اثباته موضعه ثم نبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما فعل من وضعه موضع
كذبتم في قوله في صفة المخلصين اولئك هم الصادقون تعريضا بان
هؤلاء هم الكاذبون ورب تعريض لا يقاومه التصريح واستغنى بالجملة التي
هي لم تؤمنوا عن ان يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان ان يخاطبوا بلفظ مؤداه

النهي عن القول بالإيمان ثم وصلت بها الجملة المصدرة بكلمة الاستدراك محمولة
على المعنى ولم يقل ولكن أسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم
آمنا كذلك ولو قيل ولكن أسلمتم لكان خروجه في معرض التسليم لهم والاعتداد
بقولهم وهو غير معتد به فإن قلت قوله ولما يدخل الإيمان في قلوبكم بعد
قوله قل لم تؤمنوا يشبه التكرير من غير استقلال بفائدة متجددة قلت ليس كذلك
فإن فائدة قوله لم تؤمنوا تكذيب دعواهم وقوله ولما يدخل الإيمان في قلوبكم
توقيت لما أمروا به أن يقولوه كأنه قيل لهم ولكن قولوا أسلمنا حين لم تثبت
مواطأة قلوبكم لألسنتكم لأنه كلام واقع موقع الحال من الضمير في قولوا وما في
لما من معنى التوقع دال على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد لا يلتكم لا ينقصكم ولا يظلمكم
يقال ألته السلطان حقه أشد الألت وهي لغة أسد وأهل الحجاز لاته ليتا وحكى
الأصمعي عن أم هشام السلولية أنها قالت الحمد لله الذي لا يفات ولا يلات
ولا تصمه الأصوات وقرئ باللغتين لا يلتكم ولا يألتكم ونحوه في المعنى فلا
تظلم نفس شيئا ومعنى طاعة الله ورسوله أن يتوبوا مما كانوا عليه من النفاق ويعقدوا
قلوبهم على الإيمان ويعملوا بمقتضياته فإن فعلوا ذلك تقبل الله توبتهم ووهب
لهم مغفرته وأنعم عليهم بجزيل ثوابه وعن ابن عباس أن نفرا من بني أسد
قدموا المدينة في سنة جدبة فأظهروا الشهادة وأفسدوا طرق المدينة با
لعذرات وأغلوا أسعارها وهم يغدون ويروحون على رسول الله ع م

ويقولون

ويقولون أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالأثقال والذراري
يريدون الصدقة ويمنون عليه فنزلت إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله و
رسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم
الصادقون ارتاب مطاوع رابه إذا أوقعه في الشك مع التهمة والمعنى أنهم
آمنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا ولا اتهام لمن صدقوه واعترفوا
بأن الحق معه فإن قلت ما معنى ثم ههنا وهي للتراخي وعدم الارتياب يجب
أن يكون مقارنا للإيمان لأنه وصف فيه لما بينت من إفادة الإيمان معنى الثقة
والطمأنينة التي حقيقتها التيقن وانتفاء الريب قلت الجواب على طريقين
أحدهما أن من وجد منه الإيمان ربما اعترضه الشيطان أو بعض المضلين
بعد ثلج الصدر فشككه وقذف في قلبه ما يثلم يقينه أو نظر هو نظرا غير
سديد يسقط به على الشك ثم يستمر على ذلك راكبا رأسه لا يطلب له
مخرجا فوصف المؤمنون حقا بالبعد عن هذه الموبقات ونظيره قوله
ثم استقاموا والثاني أن الإيقان وزوال الريب لما كان ملاك الإيمان بكلمة
التراخي إشعارا باستقراره في الأزمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا و
جاهدوا يجوز أن يكون المجاهد منويا وهو العدو المحارب أو الشيطان
أو الهوى وأن يكون جاهد مبالغة في جهد ويجوز أن يراد بالمجاهدة بالمال
نحو ما عمله عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة وأن يتناول الزكوات وكل ما

فسع

أفرد بالذكر بعد تقدم الإيمان تنبيها
على مكانه وعطف على الإيمان صح

يتعلق بالمال من اعمال البر التي يتهما مدفيها النزاع على مال من حبا له اولئك هم الصاد
قون الذين صدقوا في قولهم آمنا ولم يكذبوا كما كذب اعراب بني اسد
او هم الذين ايمانهم ايمان صدق وايمان حق وجد وثبات قل اتعلمون
الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم
يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم
للايمان ان كنتم صادقين تعالى ما علمت بقدر منك انما شعرت به ولذا احطت
به ومنه قوله تعالى اتعلمون الله بدينكم وفيه تجهيل لهم يقال من عليه بيد كذا ها
اليه كفعل لكل انعم عليه وافضل عليه والمنة النعمة التي لا يستثيب مسديها
من بزلها اليه واشتقاقها من المن الذي هو القطع لانه انما يسديها اليه ليقطع
بها حاجته لا غير من غير ان يعمد لطلب مثوبة ثم يقال من عليه صنعه اذا
اعتده عليه منة وانعاما وسياق هذه الآية فيه لطف ورشاقة وذلك ان الكائن
من الاعاريب قد سماه الله اسلاما ونفى ان يكون كما زعموا ايمانا فلما منوا على
رسول الله ع م ما كان منهم قال الله سبحانه لرسوله ع م ان هؤلاء يعتدون
عليك بما ليس جديرا بالاعتداد به من حدثهم الذي حق تسميته ان يقال له
اسلام فقل لهم لا تعتدوا علي اسلامكم اي حدثكم المسمى كذا انما عند
لا ايمانا ثم قال بل الله يعتد عليكم ان امدكم بتوفيقه حيث هداكم للايمان على ما
زعمتم وادعيتم انكم ارشدتم اليه ورزقتموه ان صح زعمكم وصدقت د

دعواكم



دعواكم انكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه وفي اضافة الاسلام
اليهم وايراد الايمان غير مضاف ما لا يخفى على المتأمل وجواب الشرط محذوف
لدلالة ما قبله عليه تقديره ان كنتم صادقين في ادعائكم الايمان فلله المنة
عليكم وقرئ ان هداكم بكسر الهمزة وفي قراءة ابن مسعود اذ هداكم ان الله
يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون وقرئ يعملون بالياء
والتاء وهذا بيان لكونهم غير صادقين في دعواهم يعني انه عز وجل يعلم
كل مستتر في العالم ويبصر كل عمل تعملونه في سركم وعلانيتكم لا يخفى عليه منه شيء
فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم ولا يطلع على صدقكم وكذبكم وذلك ان حاله
مع كل معلوم واحدة لا تختلف عن رسول الله ع م من قرأ سورة الحجرات
اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله ومن عصاه بسم الله
الرحمن الرحيم ق والقرآن المجيد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال
الكافرون هذا شيء عجيب الكلام في ق والقرآن المجيد بل عجبوا نحو
في ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا سواء بسواء لتساويهما في
اسلوب واحد والمجيد ذو المجد والشرف على غيره من الكتب ومن
احاط علما بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وهو بسبب
من الله المجيد فجاز اتصافه بصفته قوله بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار
لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا

وساطته فيهم وعدالته وامانته ومن كان على صفته لم يكن الا ناصحا لقومه
مترفرفا عليهم خائفا ان ينالهم سوء ويحل بهم مكروه واذا علم ان مخوفا
اظلهم لزمه ان ينذرهم ويحذرهم فكيف بما هو غاية المخاوف ونهاية المحا
ذير وانكار لتعجبهم مما انذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله
على خلق السموات والارض وما بينهما وعلى اختراع كل شيء وابداعه و
اقرارهم بالنشأة الاولى ومع شهادة العقل بانه لا بد من الجزاء ثم عول
على احد الانكارين بقوله فقال الكافرون هذا شيء عجيب ءاذا متنا
وكنا ترابا ذلك رجع بعيد قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب
حفيظ ءاذا متنا وكنا ترابا دلالة على ان تعجبهم من البعث ادخل في
الاستبعاد واحق بالانكار ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على
انهم في قولهم هذا مقتحمون في الكفر العظيم وهذا اشارة الى الرجع
واذا منصوب بمضمر معناه احين نموت ونبلى نرجع ذلك رجع بعيد
مستبعد مستنكر كقولك هذا قول بعيد وقد ابعد فلان في قوله
ومعناه بعيد من الوهم والعادة ويجوز ان يكون الرجع بمعنى المرجوع
وهو الجواب ويكون من كلام الله استبعادا لانكارهم ما انذروا به من
البعث والوقف قبله على هذا التفسير حسن وقرئ اذا متنا على لفظ الخبر
ومعناه اذا متنا بعد ان نرجع والدال عليه ذلك رجع بعيد فان قلت

فما



فما ناصب الظرف اذا كان الرجع بمعنى المرجوع قلت ما دل عليه المنذر
من المنذر به وهو البعث قد علمنا رد لاستبعادهم الرجع لان من لطف
علمه حتى تغلغل الى ما تنقص الارض من اجساد الموتى وتأكله من لحومهم و
عظامهم كان قادرا على رجعهم احياء كما كانوا عن النبي صلى الله كل ابن ادم
يبلى الا عجب الذنب وعن السدي ما تنقص الارض منهم ما يموت فيدفن في
الارض منهم كتاب حفيظ محفوظ من الشياطين ومن التغيير وهو اللوح
المحفوظ او حافظ لما اودعه وكتب فيه بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم
في امر مريج افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما
لها من فروج بل كذبوا اضراب اتبع الاضراب الاول للدلالة على انهم جاءوا
بما هو افظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة الثابتة
بالمعجزات في اول وهلة من غير تفكر ولا تدبر فهم في امر مريج مضطرب
يقال مرج الخاتم في اصبعه وجرج فيقولون تارة شاعر وتارة ساحر
وتارة كاهن لا يثبتون على شيء واحد وقرئ لما جاءهم بكسر اللام وما
المصدرية واللام مثلها في قولهم لخمس خلون اي عند مجيئه اياهم
وقيل الحق القرآن وقيل الاخبار بالبعث افلم ينظروا حين كفروا
بالبعث الى اثار قدرة الله في خلق العالم بنيناها رفعناها بغير
عمد من فروج من فتوق يعني انها ملساء سليمة من العيوب

ملساء

لا فتوق فيها ولا صدع ولا خلل كقوله تعالى هل ترى من فطور، والارض مددناها
والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب
ونزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات
لها طلع نضيد رزقا للعباد واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج، مددناها
دحوناها ورواسي جبالا ثوابت لولاها لتكفأت من كل زوج من كل صنف
بهيج يبتهج به لحسنه تبصرة وذكرى لتبصر وتذكر لكل عبد منيب راجع
الى ربه متفكر في بدائع خلقه وقرئ تبصرة وذكرى بالرفع اي خلقها تبصرة
ماء مباركا كثير المنافع وحب الحصيد وحب الزرع من شأنه ان يحصد و
هو ما يقتات به من نحو الحنطة والشعير وغيرهما باسقات طوالا في السماء
وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم باصقات بابدال السين صادا لاجل القاف نضيد منضود
بعضه فوق بعض اما ان يراد كثرة الطلع وتراكمه او كثرة ما فيه من الثمر
رزقا علة لانبتناها لان الانبات في معنى الرزق او على انه مفعول له اي
انبتناها للرزق فيه كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون
احياء بعد موتكم والكاف في محل الرفع على الابتداء كذبت قبلهم قوم نوح
واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة وقوم
تبع كل كذب الرسل فحق وعيد اراد بفرعون قومه كقوله من فرعون
وملائهم لان المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات كل يجوز ان يراد

به



به كل واحد منهم وان يراد جميعهم الا انه وحد الضمير الراجع اليه على اللفظ دون
المعنى فحق وعيد فوجب وحل وعيدي وهو كلمة العذاب وفيه تسلية للرسول
صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد عي
بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار والمعنى انا لم نعجز كما علموا عن
الخلق الاول حتى نعجز عن الاعادة بل هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول
اعترافهم بذلك في طية الاعتراف بالقدرة على الاعادة بل هم في لبس اي في خلط و
شبهة قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم ومنه قول علي كرم الله وجهه يا
حار انه ملبوس عليك اعرف الحق تعرف اهله ولبس الشيطان عليهم تسويله
اليهم ان احياء الموتى امر خارج عن العادة فتركوا لذلك القياس الصحيح
ان من قدر على الانشاء كان على الاعادة اقدر فان قلت لم نكر الخلق الجديد
وهلا عرف كالخلق الاول قلت قصد في تنكير الخلق جديد له شأن
عظيم وحال شديد حق من سمع به ان يهتم به ويخاف ويبحث عنه ولا
يقعد على لبس في مثله. ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس
به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد الوسوسة الصوت الخفي
ومنها وسواس الحلي والوسوسة النفس ما يخطر ببال الانسان ويهجس في
ضميره من حديث النفس والباء مثلها في قولك صوت بكذا او همس به ويجوز ان
يكون للتعدية والضمير للانسان اي ما تجعله موسوسا وما مصدرية لانهم

يقولون حدثت نفسه بكذا كما يقولون حدثته به نفسه قال، واكذب النفس
اذا حدثتها، ونحن اقرب اليه مجاز والمراد قرب علمه منه وانه يتعلق بمعلوم
منه ومن احواله تعلقا لا يخفى عليه شيء من خفياته فكان ذاته قريبة منه كما يقال الله
في كل مكان، وقد جل عن الامكنة وحبل الوريد مثل في فرط القرب كقولهم هو مني مقعد
القابلة ومعقد الازار، قال ذو الرمة، والموت ادنى لي من الوريد، والحبل
العرق شبه بواحد الحبال الانه المفتولة، كان وريديه رشاء خلب، والوريد
ان عرقان مكتنفان لصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس
اليه وقيل سمي وريدا لان الروح ترده فان قلت ما وجه اضافة الحبل الى الوريد
والشيء لا يضاف الى نفسه قلت فيه وجهان احدهما ان يكون الاضافة للبيان كقولهم
بعير سانية والثاني ان يراد حبل العاتق فيضاف الى الوريد كما يضاف الى العاتق
لاجتماعهما في عضو واحد كما لو قيل حبل العلباء ونحوه، اذ يتلقى المتلقيان
عن اليمين وعن الشمال قعيد منصوب باقرب وساغ ذلك لان المعنى انه
تعالى مما النظر نستغربه وتناجيه والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى
خطرات النفس وما لا شيء اخفى منه وهو اقرب من الانسان من كل قريب
حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به ايذانا بان استحفاظ الملكين امر هو غني عنه
وكيف لا يستغني عنه وهو مطلع على اخفى الخفيات وانما ذلك لحكمة اقتضت
ذلك وهي ما في كتبة الملكين وحفظهما وعرضهما صحائف العمل يوم يقوم

الاشهاد

سانية ع

نسخ

منهما

الاشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطة الله بعلمه من زيادة لطف له في الانتهاء
عن السيئات والرغبة في الحسنات وعن النبي ص ان مقعد ملكيك على ثنيتيك
ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجري فيما لا يعنيك لا تستحيي من الله
ولا منهما ويجوز ان يكون تلقي الملكين بيانا للقرب يعني ونحن قريبون منه مطلعون
على احواله مهيمنون عليه اذ حفظتنا وكتبتنا موكلون به والتلقي التلقن بالحفظ والكتبة
والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس وتقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال
قعيد من المتلقين فترك احدهما لدلالة الثاني عليه كقوله كنت منه ووالدي بريئا
،، ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما
كنت منه تحيد، رقيب ملك يرقب عمله عتيد حاضر واختلف فيما يكتب
الملكان فقيل يكتبان الا شيء انينه في مرضه وقيل لا يكتبان كل شيء حتى انينه في
مرضه وقيل لا يكتبان الا ما يوجر عليه او يوزر به ويدل عليه قوله صلى
الله عم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب الحسنات امين على كاتب
السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب
اليمين لصاحب الشمال دعه ست ساعات لعله يسبح او يستغفر
وقيل
ان الملائكة يجتنبون الانسان عند غائطه وعند جماعه وقرئ ما يلفظ
على البناء للمفعول لما ذكروا انكارهم للبعث واحتج عليهم بو
قدرته وعلمه اعلمهم انما انكروه وجحدوه هم لاقوه عن قريب عند

عند موته وخفقات الساعة ونبه على اقتراب ذلك بان عبر عنه بلفظ الماضي
وهو قوله وجاءت سكرة الموت ونفخ في الصور وسكرة الموت شدته الذاهبة
بالعقل والباء في بالحق للتعدية يعني واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر
الذي انطق الله به كتبه وبعث به رسله او حقيقة الامر وجلية الحال من
سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذي خلق له الانسان من ان كل نفس ذائقة
الموت ويجوز ان يكون الباء مثلها في قوله تنبت بالدهن اي وجاءت ملتبسة بالحق
اي بحقيقة الامر او بالحكمة والغرض الصحيح كقوله خلق السموات والارض
بالحق وقرأ ابو بكر وابن مسعود رضي الله عنهما سكرة الحق بالموت على
اضافة السكرة الى الحق والدلالة على انها السكرة التي كتبت على الانسان واوجبت له
انها حكمة والباء للتعدية لانها سبب زهوق الروح لشدتها او لان الموت
يعقبها فكانها جاءت به ويجوز ان يكون المعنى جاءت ومعها الموت وقيل سكرة
الحق سكرة الله اضيفت اليه تفظيعا لشانها وتهويلا وقرئ سكرات الموت ذلك
ما كنت منه تحيد الاشارة الى الموت والخطاب للانسان في قوله ولقد خلقنا الانسان على طريق
الالتفات او الى الحق والخطاب للفاجر تحيد تنفر وتهرب وعن بعضهم انه
سال زيد بن اسلم عن ذلك فقال الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحكاه لصالح بن
كيسان فقال والله ما سن عالية ولا لسان فصيح ولا معرفة بكلام العرب
هو للكافر ثم حكاهما للحسين بن عبيد الله بن عباس رضوان الله عليهم فقال





اخالفهما جميعا هو للبر والفاجر ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت
كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك
اليوم حديد ذلك يوم الوعيد على تقدير حذف المضاف اي وقت ذلك يوم
الوعيد والاشارة الى مصدر نفخ سائق وشهيد ملكان احدهما يسوقه
الى المحشر والاخر يشهد عليه بعمله او ملك واحد جامع بين الامرين كانه
قيل معها ملك يسوقه ويشهد عليه ومحل معها سائق النصب على الحال من كل
لتعرفه بالاضافة الى ما هو في حكم المعرفة وقرئ لقد كنت في غفلة الى آخره
بالكسر على خطاب النفس اي يقال لها لقد كنت جعلت الغفلة كانها غطاء
غطي به جسده او غشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيئا فاذا كان يوم القيامة
تيقظ وزالت عنه الغفلة وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق ورجع بصره
الكليل عن الابصار لغفلته حديدا لتيقظه وقال قرينه هذا ما لدي
عتيد القيا في جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب وقال قرينه هو
الشيطان الذي قيض له في قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين يشهد له قوله
قرينه ربنا ما اطغيته هذا ما لدي عتيد هذا شيء لدي وفي ملكتي عتيد
لجهنم والمعنى ان ملكا يسوقه وآخر يشهد عليه وشيطانا مقرونا به
يقول قد اعتدته لجهنم وهيأته لها باغوائي واضلالي فان قلت كيف
اعراب هذا الكلام قلت ان جعلت ما موصوفة فعتيد صفة لها وان جعلتها موصولة

نعوذ بدا او خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف ألقيا خطاب من الله للملكين
السابقين السائق والشهيد ويجوز ان يكون خطابا للواحد على وجهين احدهما
قول المبرد ان تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل لاتحادهما كانه
قيل الق الق للتاكيد والثاني ان العرب اكثر ما يرافق الرجل منهم اثنين
فكثر على السنتهم ان يقولوا خليلي وصاحبي وقفا واسعدا حتى خاطبوا
الواحد خطاب الاثنين عن الحجاج انه كان يقول يا حرسي اضربا عنقه وقرأ
الحسن القين بالنون الخفيفة ويجوز ان تكون الالف في القيا بدلا من النون
اجراء للوصل مجرى الوقف عنيد معاند مجانب للحق معاند لاهله مناع للخير
كثير المنع للمال عن حقوقه جعل ذلك عادة له لا يبذل منه شيئا قط
او مناع لجنس الخير ان يصل الى اهله يحول بينه وبينهم قيل نزلت في الوليد
ابن المغيرة كان يمنع بني اخيه من الاسلام وكان يقول من دخل منكم فيه
لم انفعه بخير ما عشت معتد ظالم متخط للحق مريب شاك في الله وفي دينه
الذي جعل مع الله الها آخر فالقياه في العذاب الشديد الذي جعل مبتدأ
متضمن معنى الشرط ولذلك اجيب بالفاء ويجوز ان يكون الذي جعل منصوبا
بدلا من كل كفار ويكون فالقياه تكريرا للتوكيد قال قرينه ربنا ما اطغيته
ولكن كان في ضلال بعيد فان قلت لم اخليت هذه الجملة من الواو وادخلت
على الاولى قلت لانها استؤنفت كما تستأنف الجمل الواقعة في حكاية التقاول

مطاع

كما رأيت



كما رأيت في حكاية المقاولة بين موسى وفرعون فان قلت فاين التقاول
ههنا قلت لما قال قرينه هذا ما لدي عتيد وتبعه قوله قال قرينه ربنا ما
اطغيته وتلاه لا تختصموا لدي علم ان ثم مقاولة من الكافر لكنها طرحت
لما يدل عليها كانه قال رب هو اطغاني فقال قرينه ربنا ما اطغيته واما
الجملة الاولى فواجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما
قبلها في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال له
ما اطغيته ما جعلته طاغيا وما اوقعته في الطغيان ولكنه طغى واختار
الضلالة على الهدى كقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي قال لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول
لدي وما انا بظلام للعبيد قال لا تختصموا استئناف مثل قوله قال قرينه
كانه قائل قال فماذا قال الله فقيل قال لا تختصموا لدي في دار الجزاء وموقف الحساب
فلا فائدة في اختصامكم ولا طائل تحته وقد اوعدتكم بعذابي على الطغيان في كتبي
وعلى السنة رسلي فما تركت لكم حجة علي ثم قال لا تطمعوا ان ابدل قولي ووعيدي
فاعفيكم عما اوعدتكم به وما انا بظلام للعبيد فاعذب من ليس بمستوجب
للعذاب والباء في بالوعيد مزيدة مثلها في ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او
معدية على ان قدم مطاوع بمعنى تقدم ويجوز ان يقع الفعل على الجملة
جملة قوله ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد ويكون بالوعيد

اليكم

حال اي قدمت اليكم هذا ملتبسا بالوعيد مقترنا به او قدمته
موعدا لكم به فان قلت ان قوله وقد قدمت واقع موقع الحال من لا
تختصموا والتقديم بالوعيد في الدنيا والخصومة في الاخرة وا
جتماعهما في زمان واحد واجب قلت معناه لا تختصموا وقد صح عند
كم اني قدمت اليكم بالوعيد وصحة ذلك عندكم في الاخرة فان قلت
كيف قال بظلام على لفظ المبالغة قلت فيه وجهان ان يكون من قولك هو ظالم
لعبده وظلام لعبيده وان يراد لو عذبت من لا يستحق العذاب
لكنت ظلاما مفرط الظلم فنفى ذلك يوم نقول لجهنم هل امتلأت
وتقول هل من مزيد قرئ نقول بالنون والياء وعن سعيد بن جبير
يقول الله لجهنم وعن ابن مسعود والحسن يقال وانتصاب اليوم بظلام او
بمضمر نحو اذكر وانذر ويجوز ان ينتصب بنفخ كانه قيل في الصور يوم
نقول لجهنم وعلى هذا يشار بذلك الى يوم نقول ولا يقدر حذف
المضاف وسؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به تصوير
المعنى في القلب وتبيينه وفيه معنيان احدهما انها تمتلئ مع اتساعها
وتباعد اطرافها حتى لا يسعها شيء ولا يزاد على امتلائها كقوله لاملان
جهنم والثاني انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع
للمزيد ويجوز ان يكون هل من مزيد استكثارا للداخلين فيها واستبداعا

وتثبيته

للزياد



للزيادة عليها لفرط كثرتهم او طلبا للزيادة غيظا على العصاة والمزيد
اما مصدر كالمحيد والمميد واما اسم مفعول كالمبيع وازلفت الجنة
للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون لكل اواب حفيظ غير بعيد نصب
على الظرف اي مكانا غير بعيد او على الحال وتذكيره لانه على زنة المصدر كالز

زئير

والصليل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث او على حذف
الموصوف اي شيئا غير بعيد ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد
وعزيز غير ذليل وقرئ توعدون بالتاء والياء وهي جملة اعتراضية ولكل اواب
بدل من قوله للمتقين بتكرير الجار كقوله للذين استضعفوا لمن آمن
منهم وهذا اشارة الى الثواب او الى مصدر ازلفت والاواب الرجاع الى
ذكر الله والحفيظ الحافظ لحدوده من خشي الرحمن بالغيب وجاء
بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود ومن خشي بدل بعد
بدل تابع لكل ويجوز ان يكون بدلا عن موصوف اواب وحفيظ ولا يجوز ان
يكون مبتدأ خبره يقال لهم ادخلوها بسلام لان من في معنى الجمع ويجوز
~~ان يكون منادى كقولهم في حكم اواب وحفيظ لان من لا يوصف به ولا يوصف~~
~~من بين الموصولات الا بالذي وحده ويجوز ان يكون مبتدأ خبره يقال لهم~~
~~ادخلوها بسلام لان من في معنى الجمع ويجوز ان يكون منادى كقولهم في حكم~~
~~اواب وحفيظ لان من لا يوصف به ولا يوصف من بين الموصولات الا بالذي~~

وحده ويجوز أن يكون مبتدأ خبره يقال لهم ادخلوها بسلام لأن من في معنى
الجمع ويجوز أن يكون منادى كقولهم من لا يزال محسنا أحسن إليّ وحذف حرف
النداء للتقريب بالغيب حال من المفعول أي خشيه وهو غائب لا يعرفه
وكونه معاقبا إلا بطريق الاستدلال أو صفة لمصدر خشي أي خشية خشية
ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب أو خشيه بسبب الغيب الذي أوعده
به من عذابه وقيل في الخلوة حيث لا يراه أحد فإن قلت كيف قرن بالخشية
اسمه الدال على سعة الرحمة قلت للثناء البليغ على الخاشي وهو خشيته مع
علمه أنه الواسع الرحمة كما أثنى عليه بأنه خاش مع أن المخشي منه غائب ونحوه
والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات
ووصف القلب بالإنابة وهي الرجوع إلى الله تعالى لأن الاعتبار بما ثبت منها في القلب
يقال لهم ادخلوها بسلام أي سالمين من العذاب وزوال النعم أو مسلما عليكم من
الله وملائكته يوم الخلود أي يوم تقدير الخلود كقوله
ادخلوها خالدين أي مقدرين الخلود لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد
وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص
ولدينا مزيد وهو ما لا يخطر ببالهم ولا تبلغه أمانيهم حتى يشاؤوه وقيل
إن السحاب تمر بأهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذي قال الله
ولدينا مزيد فنقبوا في البلاد دوخوا والتنقيب التنقير عن الأمر و

البحث



والبحث والطلب قال الحارث بن حلزة نقبوا في البلاد من حذر الموت وجالوا
في الأرض كل مجال ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله هم أشد منهم بطشا أي بطشهم
وأقدرتهم على التنقيب وقوتهم عليه ويجوز أن يراد فنقب أهل مكة في
أسفارهم ومسايرهم بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا
لأنفسهم والدليل على صحته قراءة من قرأ فنقبوا على الأمر كقوله فسيحوا
في الأرض وقرئ بكسر القاف مخففة من النقب وهو أن ينتقب خف البعير
قال ما مسها من نقب ولا دبر والمعنى فنقبت أخفاف إبلهم أو حفيت أقدامهم
ونقبت كما تنقب أخفاف الإبل لكثرة طوفهم في البلاد هل من محيص من الله
أو من الموت إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد
ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب
لمن كان له قلب واع لأن من لا يعي قلبه فكأنه لا قلب له وإلقاء السمع إصغاؤه
وهو شهيد أي حاضر بفطنته لأن من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب وقد ملح الإمام
عبد القاهر في قوله لبعض من يأخذ عنه ما شئت من زهزهة والفتى بمقعلة
بأذلسنبه النزوع أو وهو مؤمن شاهد على صحته وأنه وحي من الله
أو هو بعض الشهداء في قوله لتكونوا شهداء على الناس وعن قتادة
وهو شاهد على صدقه من أهل الكتاب لوجوده نعته عنده وقرأ السدي
وجماعة ألقي السمع على البناء للمفعول ومعناه لمن ألقي غيره السمع

ما

وفتح له اذنه ليسمع وانه يحضره وهو حاضر الذهن متفطن او قبل النفي [حاشية: ان يسمعه]
او السمع من اللغوب الاعياء وقرئ بالفتح بزنة القبول والولوع قيل نزلت
في اليهود لعنت تكذيبا لقولهم خلق الله السموات والارض في ستة ايام اولها
الاحد واخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش وقالوا ان
الذي وقع من التشبيه في هذه الآية انما وقع من اليهود ومنهم اخذه فاصبر
على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه
وادبار السجود فاصبر على ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان من
قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم وقيل هي منسوخة باية
السيف وقيل الصبر مامور به في كل حال وسبح بحمد ربك حامدا لربك والتسبيح
محمول على ظاهره او على الصلوة فالصلوة قبل طلوع الشمس الصبح وقبل الغروب
الظهر والعصر ومن الليل العشاء وقيل التهجد وادبار السجود والتسبيح في
اعقاب الصلوة والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلوة وقيل النوافل بعد
المكتوبة وعن علي رضي الله عنه الركعتان بعد المغرب وروي عن النبي عم [حاشية: صلى]
+ بعد المغرب اربعا بينهم كتبت صلوته في عليين وعن ابن عباس الوتر بعد العشاء [حاشية: بعد العشاء]
والادبار جمع دبر وقرئ وادبار من ادبرت الصلوة اذا انقضت وتمت و
وقت انقضاء السجود كقولهم آتيك خفوق النجم واستمع يوم يناد
المناد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج

انا

انا نحن نحيي ونميت والينا المصير واستمع يعني واستمع لما اخبرك
به من حال يوم القيمة وفي ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به والمحدث
عنه كما يروى عن النبي عم انه قال سبعة ايام يا معاذ بن جبل يا معاذ اسمع
ما اقول لك ثم حدثه بعد ذلك فان قلت بم انتصب اليوم قلت بما دل عليه
ذلك يوم الخروج اي يوم ينادي المناد يخرجون من القبور ويوم
يسمعون بدل من يوم ينادي والمنادي اسرافيل ينفخ في الصور
وينادي ايتها العظام البالية والاوصال المنقطعة واللحوم المتمزقة
والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل
اسرافيل ينفخ وجبرائيل ينادي بالحشر من مكان قريب من صخرة بيت
المقدس وهي اقرب الارض من السماء باثني عشر ميلا وهي وسط الارض
وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة
ايتها العظام البالية والصيحة النفخة الثانية بالحق متعلقة بالصيحة
والمراد به البعث والجزاء يوم تشقق الارض عنهم سراعا [حاشية: مجا]
ذلك حشر علينا يسير نحن اعلم بما يقولون وما انت عليهم بجبار فذكر [حاشية: تجبر]
بالقرآن من يخاف وعيد وقرئ تشقق وتشقق بادغام التاء في
الشين وتشقق على البناء للمفعول وتنشق سراعا حال من
المجرور علينا يسير تقديم الظرف يدل على الاختصاص يعني لا

لا يثبت بمثل ذلك الا من العظيم الأعلى القادر الذات الذي لا يشغله شأن
عن شأن كما قال الله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة نحن اعلم بما يقولون
تهديد لهم وتسلية لرسول الله صلعم بجبار كقوله بمسيطر حتى تقسرهم على
الايمان انما انت داع وباعث وقيل اريد به التحلم عنهم وترك الغلظة عليهم
ويجوز ان يكون من جبره على الامر بمعنى اجبره اي ما انت بوال عليهم تجبرهم
على الايمان وعلى هذا منزلته في قوله هو عليهم اذ الامر واليهم وما لك امرهم
من يخاف وعيد كقوله انما انت منذر من يخشاها لانه لا ينتفع الا
فيه دون المصر على الكفر عن رسول الله صلعم من قرأ سورة ق هون الله
عليه تاراته وسكراته

بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا فالحاملات و
قرا فالجاريات يسرا فالمقسمات امرا انما توعدون لصادق وان
الدين لواقع ثمه الذاريات الرياح لانها تذرو التراب وغيره قال
الله تذروه الرياح وقرئ بادغام التاء في الذال والحاملات و
وقرا السحاب لانها تحمل المطر وقرئ وقرا بفتح الواو على تسمية
المحمول بالمصدر او على ايقاعه موقع حملا والجاريات يسرا الفلك
وسعين يسرا اجريا ذا يسر اي ذا سهولة والمقسمات امرا الملائكة
لانها تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او تفعل التقسيم





مأمورة بذلك وعن مجاهد يتولى تقسيم امر العباد جبريل للغلظة و
ميكائيل للرحمة وملك الموت لقبض الارواح واسرافيل للنفخ وعن علي رضي الله عنه
انه قال وهو على المنبر سلوني قبل ان لا تسألوني ولن تسألوا بعدي مثلي فقام
ابن الكوا فقال ما الذاريات قال الرياح قال فالحاملات وقرا قال السحاب قال
فالجاريات يسرا قال الفلك قال فالمقسمات امرا قال الملائكة وكذا عن ابن
عباس وعن الحسن المقسمات السحاب يقسم الله بها ارزاق العباد وقد حمل
على الكواكب السبعة ويجوز ان يراد بها الرياح لا غير لانها تنشئ السحاب
وتقله وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب
فان قلت ما معنى الفاء على التفسيرين قلت اما على الاول فمعنى التعقيب فيها انه
اقسم بالرياح فبالسحاب الذي تسوقه فبالفلك التي تجريها بهبوبها فبالملائكة
التي تقسم الارزاق باذن الله من الامطار وتجارات البحر ومنافعه واما على
الثاني فلانها تبتدئ بالهبوب فتذرو التراب والحصباء فتقل السحاب فتجري
في الجو باسطة له فتقسم المطر انما توعدون جواب القسم وما موصولة او مصدرية
والموعود البعث او وعد صادق كعيشة راضية وان الدين الجزاء لواقع
لحاصل والسماء ذات الحبك انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من افك الحبك
الطرائق مثل حبك الرمل والماء اذا ضربته الريح وكذلك حبك الشعر آثار
تثنيه وتكسره قال زهير بالصواب النجم تنسجه ريح خريف لضاحي مائه حبك

نكتة

تية

والدرع محبوكة لأن حلقها مطرقة طرائق ويقال إن خلقة السماء كذلك وعن
الحسن حبكها نجومها والمعنى أنها تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشي
وقيل حبكها صفاقتها وإحكامها من قولهم فرس محبوك المعاقم أي محكمها
وإذا أجاد الحائك الحياكة قالوا ما أحسن حبكه وهو جمع حباك كمثال ومثل
وحبيكة كطريقة وطرق وقرئ الحبك بوزن القفل والحبك بوزن السلك و
الحبك بوزن الجبل والحبك بوزن البرق والحبك بوزن النعم والحبك بوزن الإبل
لفي قول مختلف قولهم في الرسول ساحر وشاعر ومجنون وفي القرآن
شعر وسحر وأساطير الأولين وعن الضحاك قول الكفرة لا يكون مستويا
إنما هو متناقض مختلف وعن قتادة منكم مصدق ومكذب ومقر ومنكر
يؤفك عنه الضمير للقرآن أو الرسول أي يصرف عنه من صرف الصرف الذي
لا صرف أشد منه وأعظم كقوله لا يهلك على الله إلا هالك وقيل يصرف عنه
من صرف في سابق علم الله أي علم فيما لم يزل أنه مأفوك عن الحق لا يرعوي
ويجوز أن يكون الضمير لما توعدون أو للدين أقسم بالذاريات على أن
وقوع أمر القيامة حق ثم أقسم بالسماء على أنهم في قول مختلف فمنهم شاك
ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الإقرار بأمر القيامة من هو المأفوك ووجه
آخر وهو أن يرجع الضمير إلى القول المختلف وعن مثله في قوله ينهون عن
الأكل وعن شرب أي يتناهون في السمن بسبب الأكل والشرب وحقيقته

يصدر



يصدر تناهيهم في السمن عنهما وكذلك يصدر إفكهم عن القول المختلف
وقرأ سعيد بن جبير يؤفك عنه من أفك على البناء للفاعل أي من أفك الناس
عنه وهم قريش وذلك أن الحي كانوا يبعثون الرجل ذا العقل والرأي
ليسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون له احذره فيرجع فيخبرهم وعن
زيد بن علي يأفك عنه من أفك أي يصرف الناس عنه من هو أفاك
كذاب وقرئ يؤفن عنه من أفن أي يحرمه من حرم من أفن الضرع
إذا نهكه حلبا قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون يسألون أيان
يوم الدين يوم هم على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به
تستعجلون قتل الخراصون دعاء عليهم كقوله قتل الإنسان ما أكفره
وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن وقبح والخراصون
الكذابون المقدرون ما لا يصح وهم أصحاب القول المختلف واللام إشارة
إليهم كأنه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين أي قتل الله في غمرة
ساهون في جهل يغمرهم ساهون غافلون عما أمروا به يسألون فيقولون
أيان يوم الدين أي متى يوم الجزاء وقرئ بكسر الهمزة وهي لغة
فإن قلت كيف وقع أيان ظرفا لليوم وإنما تقع الأحيان ظروفا للحدثان
قلت معناه أيان وقوع يوم الدين فإن قلت بم انتصب اليوم
الواقع في الجواب قلت بفعل مضمر دل عليه السؤال أي يقع

يوم هم على النار يفتنون ويجوز أن يكون مفتوحاً لإضافته إلى غير متمكن
وهو الجملة فإن قلت فما محله مفتوحاً قلت يجوز أن يكون محله نصباً با
لمضمر الذي هو يقع ورفعاً على هو يوم هم على النار يفتنون وقرأ
ابن أبي عبلة بالرفع يفتنون يحرقون ويعذبون ومنه الفتين وهو
الحرة لأن حجارتها كأنها محرقة ذوقوا فتنتكم في محل الحال أي مقولاً لهم هذا
القول هذا مبتدأ والذي خبره أي هذا العذاب هو الذي كنتم به
تستعجلون ويجوز أن يكون هذا بدلاً من فتنتكم أي ذوقوا هذا العذاب
إن المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك
محسنين كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون
وفي أموالهم حق للسائل والمحروم آخذين ما آتاهم ربهم قابلين
لكل ما أعطاهم راضين به يعني أنه ليس فيما آتاهم إلا ما هو متلقى با
لقبول مرضي غير مسخوط لأن جميعه حسن طيب ومنه قوله ويأخذ الصدقات
أي يقبلها ويرضاها محسنين قد أحسنوا أعمالهم وتفسير إحسانهم ما بعده
ما مزيدة والمعنى كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل إن جعلت قليلاً ظرفاً
ولك أن تجعله صفة للمصدر أي كانوا يهجعون هجوعاً قليلاً ويجوز أن
يكون ما مصدرية أو موصولة على كانوا قليلاً من الليل هجوعهم أو ما يهجعون
فيه وارتفاعه بقليلاً على الفاعلية وفيه مبالغات لفظ الهجوع وهو الغرار

الليل



من النوم قال قد حصت البيضة رأسي فما أطعم نوماً غير تهجاع وقوله
قليلاً ومن الليل لأن الليل وقت السبات والراحة وزيادة ما المؤكدة لذلك و
وصفهم بأنهم يحيون الليل متهجدين فإذا أسحروا أخذوا في الاستغفار كأنهم
أسلفوا في ليلهم الجرائم وقوله هم يستغفرون فيه أنهم هم المستغفرون
الأحقاء بالاستغفار دون المصرين فكأنهم المختصون به لاستدامتهم له و
إطنابهم فيه فإن قلت هل يجوز أن يكون ما نافية كما قال بعضهم وأن يكون
المعنى أنهم لا يهجعون من الليل قليلاً ويحيونه كله قلت لا لأن ما النافية
لا يعمل ما بعدها فيما قبلها تقول زيداً لم أضرب ولا تقول زيداً ما ضربت
السائل الذي يستجدي والمحروم الذي يحسب غنياً فيحرم الصدقة لتعففه
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذي ترده الأكلة والأكلتان والتمرة والتمرتان
قالوا فما هو قال الذي لا يجد ولا يتصدق عليه وقيل الذي لا ينمى له مال
وقيل المحارف الذي لا يكاد يكسب وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم
أفلا تبصرون وفي الأرض آيات تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتد
حيث هي مدحوة كالبساط لما فوقها كما قال الذي جعل لكم الأرض مهاداً
وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها والماشين في مناكبها وهي مجزأة
فمن سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات من صلبة ورخوة وعذاة
وسبخة وهي كالطروقة تلقح بألوان النبات وأنواع الأشجار بالثمار المختلفة

والتمر

بيره

الانواع والطعوم والروائح تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض
في الاكل وكلها موافقة لحوائج ساكنيها ومنافعهم ومصالحهم في صحتهم
واعتلالهم وما فيها من العيون المتفجرة والمعادن المفتنة والدواب
المنبثة في برها وبحرها المختلفة الصور والاشكال الذين سلكوا الطريق
السوي البرهاني الموصل الى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وافهام
نافذة كلما راوا اية عرفوا وجه تاملها فازدادوا ايمانا مع ايمانهم وايقانا
مع ايقانهم وفي انفسكم في حال ابتدائها وتنقلها من حال الى حال وفي بوا
طنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتحير فيه الاذهان
وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وخصت به من اصناف
المعاني وبالالسن والنطق ومخارج الحروف وما في تركيبها وترتيبها و
لطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة المدبر دع الا
سماع والابصار والاطراف وسائر الجوارح وتأتيها لما خلقت له وما
سوي في الاعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني فانه اذا جسا شيء
منها جاء العجز واذا استرخى اناخ الذل فتبارك الله احسن الخالقين
وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل
ما انكم تنطقون رزقكم هو المطر لانه سبب الاقوات وعن سعيد بن
جبير هو الثلج وكل عين دائمة منه وعن الحسن انه كان اذا راى السحاب قال

لاصحابه



لاصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم وما توعدون الجنة هي على ظهر
السماء السابعة تحت العرش او اراد ان ما ترزقونه في الدنيا وما توعدون
به في العقبى كله مقدر مكتوب في السماء وقرئ مثل ما بالرفع صفة للحق اي حق
مثل نطقكم وبالنصب على انه لحق حقا مثل نطقكم ويجوز فتحه لاضافته الى غير
متمكن وما مزيدة بنص الخليل وهذا كقول الناس ان هذا لحق كما انك ترى
وتسمع ومثل ما انك ههنا وهذا الضمير اشارة الى ما ذكر من امر الآيات و
الرزق وامر النبي عم او الى ما توعدون وعن الاصمعي اقبلت من جامع
البصرة فطلع اعرابي على قعود فقال ممن الرجل قلت من بني اصمع قال
من اين اقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن فقال اتل علي فتلوت
والذاريات فلما بلغت قوله وفي السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته
فنحرها ووزعها على من اقبل وادبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى
فلما حججت مع الرشيد طفقت اطوف فاذا انا بمن يهتف بي بصوت دقيق
فالتفت فاذا انا بالاعرابي قد نحل واصفر فسلم علي واستقرأ السورة
فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير
هذا فقرأت فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من
ذا الذي اغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى الجؤوه الى اليمين
قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه هل اتيك حديث ضيف ابراهيم المكرمين

اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ الى اهله
فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تأكلون ٥ هل اتيك تفخيم للحديث و
تنبيه على انه ليس من علم رسول الله وانما عرفه بالوحي والضيف للواحد
والجماعة كالزور والصوم لانه في الاصل مصدر ضافه وكانوا اثني عشر ملكا
وقيل تسعة عاشرهم جبريل وقيل ثلثة جبريل وميكائيل وملك معهما و
جعلهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف حيث اضافهم ابرهيم او لانهم
كانوا في حسبانه كذلك واكرامهم ان ابرهيم خدمهم بنفسه واخدمهم امرأته
وعجل لهم القرى او لانهم في انفسهم مكرمون قال الله بل عباد مكرمون اذ دخلوا
نصب بالمكرمين اذا فسر باكرام ابرهيم لهم والا فبما في ضيف من معنى الفعل
او باضمار اذكر سلاما مصدر ساد مسد الفعل مستغنى عنه واصله نسلم
عليكم سلاما واما سلام فمعدول به الى الرفع على الابتداء وخبره محذوف
معناه عليكم سلام للدلالة على ثبات السلام كانه قصد ان يحييهم باحسن
مما حيوه به اخذا بادب الله وهذا ايضا من اكرامه لهم وقرئ مرفوعين وقرئ
سلاما قال سلما والسلم السلام وقرئ سلاما قال سلم قوم منكرون انكرهم
للسلام الذي هو علم الاسلام واراد انهم ليسوا من معارفه او من جنس
الناس الذين عهدهم كما لو ابصر العرب قوما من الخزر او راى لهم حالا و
شكلا خلاف حال الناس وشكلهم او كان هذا سؤالا لهم كانه قال انتم قوم

منكرون

منكرون فعرفوني انتم فراغ الى اهله فذهب اليهم في خفية من ضيوفه ومن ادب
المضيف ان يخفي امره وان يبادره بالقرى من غير ان يشعر به الضيف حذرا من
ان يكفه ويعذره قال قتادة كان عامة مال نبي الله ابرهيم البقر فجاء بعجل سمين
والهمزة في الا تأكلون للانكار انكر عليهم ترك الاكل او حثهم عليه فاوجس منهم
خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم فاقبلت امرأته في صرة فصكت و
جهها وقالت عجوز عقيم قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم فاوجس
فاضمر وانما خافهم لانهم لم يتحرموا بطعامه فظن انهم يريدون به سوءا
وعن ابن عباس وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب وعن عون بن شداد
مسح جبريل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه بغلام عليم اذ بلغ
ويعلم وعن الحسن عليم نبي والمبشر به اسحق وهو اكثر الاقاويل واصحها
لان الصفة صفة سارة لا هاجر وهي امرأة ابرهيم وهو بعلها وعن مجاهد
هو اسمعيل في صرة في صيحة من صر الجندب وصر القلم وصر الباب ومحله
النصب على الحال او نحو صارت قال الحسن اقبلت الى بيتها وكانت في زاوية
تنظر اليهم لانها وجدت حرارة الدم فلطمت وجهها من الحياء وقيل فاخذت
في صرة كما تقول اقبل يشتمني وقيل صرتها قولها اوه وقيل يا ويلتي وعن عكرمة
رنتها فصكت فلطمت ببسط يديها وقيل فضربت باطراف اصابعها جبهتها فعل
المتعجب

عجوز انا عجوز فكيف الد كذلك مثل ذلك الذي قلنا واخبرنا به قال ربك اي انما نخبرك
عن الله والله قادر على ما تستبعد ويروى ان جبريل عليه السلام قال لها انظري الى سقف
بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة فما خطبكم ايها المرسلون قالوا
انا ارسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين
فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وتركنا فيها
آية للذين يخافون العذاب الاليم ثم علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون الا
باذن الله رسلا في بعض الامور قال فما خطبكم اي فما شأنكم وما طلبكم الى قوم
مجرمين الى قوم لوط حجارة من طين يريد السجيل وهو طين طبخ كما يطبخ الآجر
حتى صار في صلابة الحجارة مسومة معلمة من السومة وهي العلامة على كل واحد
منها اسم من يهلك به وقيل اعلمت بانها من حجارة العذاب وقيل بعلامة تدل انها
ليست من حجارة الدنيا سماهم مسرفين كما سماهم عادين لاسرافهم وعدوانهم
في عملهم حيث لم يقنعوا بما ابيح لهم الضمير في فيها للقرية وان لم يجر لها ذكر
لكونها معلومة وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد وانهما صفتان مدح قيل
هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط واهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر وعن قتادة لو كان
فيها اكثر من ذلك لانجاهم ليعلموا ان الايمان محفوظ لا ضيعة على اهله عند الله آية
علامة يعتبر بها الذين يخافون دون القاسية قلوبهم قال ابن جريج هي صخر منضود فيها

وقيل



وقيل ماء اسود منتن وفي موسى اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين فتولى بركنه
وقال ساحر او مجنون فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم وفي موسى
عطف على وفي الارض آيات او على قوله وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا في موسى
آية كقوله علفتها تبنا وماء باردا فتولى بركنه فازور واعرض كقوله ونأى بجانبه
وقيل فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وملكه وقرئ بركنه بضم الكاف وقال ساحر
اي هو ساحر مليم آت بما يلام عليه من كفره وعناده والجملة مع الواو حال
من الضمير في فاخذناه فان قلت كيف وصف نبي الله يونس صلوات الله عليه بما وصف
به فرعون في قوله فالتقمه الحوت وهو مليم قلت موجبات اللوم تختلف وعلى
حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكبيرة ملوم على مقدارها
وكذلك مقترف الصغيرة الا ترى الى قوله وعصوا رسله وعصى آدم ربه
لان الكبيرة والصغيرة يجمعهما اسم العصيان كما يجمعهما اسم القبيح والسيئة
وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته
كالرميم العقيم التي لا خير فيها من انشاء مطر او القاح شجر وهي ريح
الهلاك واختلف فيها فعن علي رضي الله عنه النكباء وعن ابن عباس الدبور
وعن ابن المسيب الجنوب الرميم كل ما رم اي بلى وتفتت من عظم او
نبات او غير ذلك وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن امر
ربهم فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام وما كانوا

تفسيره حتى حين تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلاثة ايام فعتوا عن امر ربهم فا
ستكبروا عن امتثاله وقرئ الصعقة وهي المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة والصا
عقة النازلة نفسها وهم ينظرون كانت نهارا يعاينونها وروي ان العمالقة كانوا
معهم في الوادي ينظرون اليهم وما ضرتهم فما استطاعوا من قيام كقوله تعالى فاصبحوا
في دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه وما كانوا منتصرين ممتنعين
من العذاب وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين وقوم قرئ بالجر عطفا على معنى
وفي قوم نوح ويقويه قراءة عبد الله وفي قوم نوح وبالنصب على معنى واهلكنا قوم
نوح لان ما قبله يدل عليه او واذكر قوم نوح والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون
والارض فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون بايد
بقوة والايد والآد القوة وقد آد يئيد وهو ايد وانا لموسعون لقادرون من
الوسع وهو الطاقة والموسع القدرة على الانفاق وعن الحسن لموسعون الرزق با
لمطر وقيل جعلنا بينها وبين الارض سعة فنعم الماهدون نحن ومن كل شيء من
من الحيوان خلقنا زوجين ذكرا وانثى وعن الحسن السماء والارض والليل والنهار
والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحيوة فعدد اشياء وقال كل اثنين منها
زوج والله تعالى فرد لا مثل له لعلكم تذكرون اي فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش
الارض وخلق الازواج ارادة ان تتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه ففروا
ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها آخر اني لكم منه

نذير

نذير مبين كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون
اتواصوا به بل هم قوم طاغون فتول عنهم فما انت بملوم وذكر فان الذكرى
تنفع المؤمنين ففروا الى الله من الطاعة وثوابه من معصيته وعقابه ووحدوه
ولا تشركوا به وكرر قوله اني لكم منه نذير مبين عند الامر بالطاعة والنهي عن
الشرك ليعلم ان الايمان لا ينفع الا مع العمل كما ان العمل لا ينفع الا مع الايمان وانه
لا يفوز عند الله الا الجامع بينهما الا ترى الى قوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن
آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا والمعنى قل يا محمد ففروا الى الله كذلك
الامر مثل ذلك وذلك اشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا او مجنونا ثم
فسر ما اجمل بقوله ما اتى ولا يصح ان يكون الكاف منصوبة باتى لان ما النافية لا
يعمل ما بعدها فيما قبلها ولو قيل لم يأت لكان صحيحا على معنى مثل ذلك الاتيان لم
يأت من قبلهم رسول الا قالوا اتواصوا به الضمير للقول يعني اتواصى الاولون
والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين عليه بل هم قوم طاغون اي لم
يتواصوا به لانهم لم يتلاقوا في زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة و
هي الطغيان والطغيان هو الحامل عليه فتول عنهم فاعرض عن الذين كررت عليهم
الدعوة فلم يجيبوا وعرفت منهم العناد واللجاج فما انت بملوم عليك في اعراضك بعد
ما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك في البلاغ والدعوة ولا تدع التذكير والموعظة
بايام الله فان الذكرى تنفع المؤمنين اي تؤثر في الذين عرف الله منهم انهم يدخلون

في الايمان او من يسال الداخلين فيه ايمانا وروي انه لما نزلت فتول عنهم حزن
رسول الله ع واشتد ذلك على اصحابه وراوا ان الوحي قد انقطع وان العذاب
قد حضر فانزل الله وذكر ... وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد
منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين اي
وما خلقت الجن والانس الا لاجل العبادة ولم ارد من جميعهم الا اياها
فان قلت لو كان مريدا للعبادة منهم لكانوا كلهم عبادا قلت انما اراد منهم ان
يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين اليها لانه خلقهم ممكنين فاختار بعضهم
ترك العبادة مع كونه مريدا لها ولو ارادها على القسر والالجاء لوجدت من
جميعهم يريد ان شاني مع عبادي ليس كشان السادة مع عبيدهم فان ملاك
العبيد انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وارزاقهم
فاما مجهز في تجارة ليبغي ربحا او مرتب في فلاحة ليغتل ارضا او مسلم
في حرفة لينتفع باجرته او محتطب او محتش او مستق او طابخ او خابز او
ما اشبه ذلك من الاعمال والمهن التي هي تصرف في اسباب المعيشة وابواب
الرزق فاما مالك ملك العبيد فقال لهم اشتغلوا بما يسعدكم في انفسكم ولا
اريد ان اصرفكم في تحصيل رزقي ولا رزقكم وما يصلحكم ويعيشكم من عندي
فما هو الا انا وحدي المتين الشديد القوة وقرئ بالرفع صفة لذو وبالجر
صفة للقوة على تاويل الاقتدار والمعنى في وصفه بالقوة والمتانة انه



القادر البليغ الاقتدار على كل شيء وقرئ الرازق وفي قراءة النبي ع اني
انا الرزاق فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم فلا يستعجلون فويل للذين
كفروا من يومهم الذي يوعدون الذنوب الدلو العظيمة وهذا تمثيل اصله
في السقاة يتقسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب قال لنا ذنوب ولكم ذنوب
فان ابيتم فلنا القليب وعن عمرو بن شاس وفي كل حي قد خبطت بنعمة فحق
لشاس من نداك ذنوب قال الملك نعم واذنبة والمعنى فان للذين ظلموا رسول الله
بالتكذيب من اهل مكة نصيبا من عذاب الله مثل نصيب اصحابهم ونظرائهم
من القرون وعن قتادة سجلا من عذاب الله مثل سجل اصحابهم من يومهم من يوم
القيمة وقيل من يوم بدر عن رسول الله ع من قرا سورة والذاريات اعطاه الله
عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا بسم الله الرحمن الرحيم
والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع
والبحر المسجور ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع الطور الجبل
الذي كلم الله عليه موسى صلوات الله عليه وهو بمدين والكتاب المسطور في
الرق المنشور والرق الصحيفة وقيل الجلد الذي يكتب فيه الكتاب الذي
فيه الاعمال قال الله تع ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وقيل هو ما
كتبه الله لموسى وهو يسمع صرير القلم وقيل اللوح المحفوظ وقيل القرآن
ونكر لانه كتاب مخصوص من بين جنس الكتب كقوله تع ونفس وما سواها

والبيت المعمور الضراح في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من
الملائكة وقيل الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار والمجاورين والسقف
المرفوع السماء والبحر المسجور المملوء وقيل الموقد من قوله واذا البحار
سجرت وروي ان الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار كلها نارا تسجر بها نار
جهنم وعن علي رضي الله عنه انه سأل يهوديا اين موضع النار في كتابكم قال في
البحر قال علي ما اراه الا صادقا لقوله والبحر المسجور ان عذاب ربك لواقع لنازل قال جبير بن
مطعم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلمه في الاسارى فالفيته في صلاة الفجر يقرأ سورة
الطور فلما بلغ ان عذاب ربك لواقع اسلمت خوفا من ان ينزل العذاب
ما له من دافع يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا فويل يومئذ للمكذبين
الذين هم في خوض يلعبون يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التي
كنتم بها تكذبون تمور تضطرب وتجيء وتذهب وقيل المور تحرك في
تموج وهو الشيء يتردد في عرض كالداغصة في الركبة غلب الخوض في الاندفاع
في الباطل والكذب ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائضين ودعهم كالدع
خاصة الدع الدفع العنيف وذلك ان خزنة النار يغلون ايديهم الى
اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ويدفعون الى النار دفعا على
وجوههم وزخا في اقفيتهم وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى
يقال لهم هلموا الى النار وادخلوا النار دعا مدعوعين يقال لهم فسحر

سواء





سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون افسحر هذا يعني كنتم تقولون للوحي
هذا سحر افسحر هذا ام انتم لا تبصرون هذا ايضا سحر ودخلت الفاء
لهذا المعنى ام انتم لا تبصرون كما كنتم لا تبصرون في الدنيا يعني انتم
عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم سواء خبر محذوف
اي سواء عليكم الامران الصبر وعدمه فان قلت لم علل استواء الصبر وعدمه
بقوله انما تجزون ما كنتم تعملون قلت لان الصبر انما يكون له مزية على الجزع
لنفعه في العاقبة بان يجازى عليه الصابر جزاء الخير فاما الصبر على العذاب
الذي هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع ان المتقين
في جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب
الجحيم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون متكئين على سرر مصفوفة و
زوجناهم بحور عين في جنات ونعيم في اية جنات واي نعيم بمعنى
الكمال في الصفة او في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة
وقرئ فاكهين وفكهين وفاكهون من نصبه حالا جعل الظرف مستقرا
ومن رفعه خبرا جعل الظرف لغوا ان المتقين بما آتاهم ربهم فان
قلت علام عطف قوله ووقاهم ربهم قلت على قوله في جنات او على آتاهم ربهم
على ان تجعل ما مصدرية والمعنى فاكهين باتيانهم ربهم ووقايتهم عذاب
الجحيم ويجوز ان يكون الواو للحال وقد بعدها مضمرة يقال لهم كلوا

واشربوا اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه
ويجوز ان يكون مثله في قوله هنيئا مريئا غير داء مخامر لعزة من اعراضنا
ما استحلت اعني صفة استعملت استعمال المصدر القائم مقام الفعل مرتفعا
به ما استحلت كما يرتفع بالفعل كانه قيل هنأ عزة المستحل من اعراضنا
وكذلك معنى هنيئا هنا هنأكم الاكل والشرب او هنأكم ما كنتم تعملون اي جزاء
ما كنتم تعملون والباء مزيدة كما في كفى بالله والباء متعلقة بكلوا واشربوا
اذا جعلت الفاعل الاكل والشرب وقرئ بعيس عين والذين آمنوا واتبعتهم
ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ
بما كسب رهين والذين آمنوا معطوف على حور عين اي قرناهم بالحور
وبالذين آمنوا اي بالرفقاء والجلساء منهم كقوله اخوانا على سرر متقابلين
فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وتارة بمؤانسة الاخوان المؤمنين
واتبعناهم ذرياتهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته
وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية فيجمع الله لهم انواع السرور
بسعادتهم في انفسهم وبمزاوجة الحور العين وبمؤانسة الاخوان
وزوجة الحور
المؤمنين وباجتماع اولادهم ونسلهم بهم ثم قال بايمان الحقنا بهم ذرياتهم
اي بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الآباء الحقنا بدرجاتهم
ذريتهم وان كانوا لا يستأهلونها تفضلا عليهم وعلى آبائهم لنتم سرورهم

سرورهم ونكمل نعيمهم فان قلت ما معنى تنكير الايمان قلت معناه الدلالة على انه
ايمان خاص عظيم المنزلة ويجوز ان يراد ايمان الذرية الداني المحل كانه قال بشيء
من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الآباء الحقنا بهم وقرئ واتبعتهم ذريتهم واتبعتهم
ذريتهم وذرياتهم وقرئ ذرياتهم بكسر الذال ووجه آخر وهو ان يكون والذين آمنوا
مبتدأ خبره بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وما بينهما اعتراض وما ألتناهم وما نقصناهم
يعني وفرنا عليهم جميع ما ذكرنا من الثواب والتفضل وما نقصناهم من ثواب
عملهم من شيء وقيل معناه وما نقصناهم من ثوابهم شيئا بعطية الابناء حتى
يلحقوا بهم انما الحقناهم بهم على سبيل التفضل وقرئ ألتناهم وهو من باب
الت يألت ومن لات يليت كامات يميت وآلتناهم من آلت يولت كآمن
ووَلتناهم من ولت يليت وولتناهم من ولت يلت ومعناهن واحد كل امرئ
بما كسب رهين اي مرهون كان نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذي
هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه فان عمل صالحا فكها وخلصها
والا اوبقها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون يتنازعون فيها كاسا
لا لغو فيها ولا تأثيم وامددناهم بفاكهة وزدناهم في وقت بعد وقت
يتنازعون يتعاطون ويتعاورون هم وجلساؤهم من اقربائهم واخوانهم
كاسا خمرا لا لغو فيها في شربها ولا تأثيم اي لا يتكلمون في اثناء الشرب بسقط
الحديث وما لا طائل تحته كفعل المتنادمين في الدنيا على الشراب في سفههم

[illegible] بينهم ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله اي ينسب الى الاثم لو فعله في دار التكليف
من الكذب والشتم والفواحش وانما يتكلمون بالحكم والكلام الحسن متلذذين
بذلك لان عقولهم ثابتة غير زائلة وهم حكماء علماء وقرئ لا لغو فيها ولا
تأثيم ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون وأقبل بعضهم على بعض
يتساءلون قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم
انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم غلمان لهم اي مملوكون لهم مخصوصون
بهم مكنون في الصدف لانه رطبا احسن واصفى او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين
الغالي القيمة وقيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله
ع م والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة
البدر على ساير الكواكب وعنه صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة
من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه لبيك لبيك يتساءلون ويسأل
بعضهم بعضا عن احواله واعماله وما استوجب به نيل ما عند الله مشفقين
ارقاء القلوب من خشية الله وقرئ ووقّانا بالتشديد عذاب السموم عذاب
النار ووهجها ولفحها والسموم الريح الحارة التي تدخل المسام فسميت
بها نار جهنم لانها بهذه الصفة من قبل لقاء الله والمصير اليه يعنون في الدنيا
ندعوه نعبده ونسأله الوقاية انه هو البر المحسن الرحيم العظيم الرحمة
الذي اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب وقرئ انه بالفتح بمعنى لانه فذكر

فما

فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ام يقولون شاعر نتربص به
ريب المنون قل تربصوا فاني معكم من المتربصين فذكر فاثبت على
تذكير الناس وعظتهم ولا يثبطنك قولهم كاهن او مجنون ولا تبال به
فانه قول باطل متناقض لان الكاهن يحتاج في كهانته الى فطنة ودقة نظر
والمجنون مغطى على عقله وما انت بحمد الله وانعامه عليك بصدق النبوة ور
جاحة العقل احد هذين وقرئ يتربص به ريب المنون على البناء للمفعول
وريب المنون ما يقلق النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر قال امن المنون
وريبه تتوجع وقيل المنون الموت وهو الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت
قطوع ولذلك سميت شعوب قالوا ننتظر به نوائب الزمان فيهلك كما هلك
من قبله من الشعراء زهير والنابغة من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون
هلاكي ام تأمرهم احلامهم بهذا ام هم قوم طاغون ام يقولون تقوّله
بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين احلامهم عقولهم و البابهم
ومنه قولهم احلام عاد والمعنى اتأمرهم احلامهم بهذا التناقض في القول وهو
قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون اهل الاحلام و
النهى ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد في العناد مع ظهور الحق لهم فان قلت ما
معنى كون الاحلام آمرة قلت هو مجاز لادائها الى ذلك كقوله اصلواتك تأمرك
ان نترك ما يعبد آباؤنا وقرئ بل هم قوم طاغون تقوله اختلقه من تلقاء نفسه

بل لا يؤمنون فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن مع علمهم ببطلانها. قولهم
وانه ليس بمتقول لعجز العرب عنه وما هو الا واحد من العرب وقرئ بحديث
مثله على الاضافة والضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعناه مثله في فصاحته ليس معه
في العرب فان قدرتم على نظمه كان مثله قادرا عليه فليأتوا بذلك المثل. ام خلقوا
من غير شيء ام هم الخالقون ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون ام
عندهم خزائن ربك ام هم المسيطرون ام لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم
بسلطان مبين. ام خلقوا اي احدثوا وقدروا التقدير الذي عليه فطرتهم
من غير شيء من غير مقدر ام هم الذين خلقوا انفسهم حيث لا يعبدون الخالق
لقوا اذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم شاكون
فيما يقولون لا يوقنون وقيل اخلقوا من اجل لا شيء من جزاء ولا حساب و
قيل اخلقوا من غير اب وام ام عندهم خزائن الرزق حتى يرزقوا النبوة
من شاؤوا او عندهم خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختياره حكمة ومصلحة
ام هم المسيطرون الارباب الغالبون حتى يدبروا امر الربوبية ويبنوا الامور
على ارادتهم ومشيتهم وقرئ المصيطرون بالصاد ام لهم سلم منصوب الى السماء
يستمعون صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى
يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم في العاقبة دونه كما يز
عمون بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماع مستمعهم. ام له البنات و

لكم



لكم البنون ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون ام عندهم الغيب
فهم يكتبون ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون. المغرم
ان يلتزم الانسان ما ليس عليه اي لزمهم مغرم ثقيل فدحهم فزهدهم ذلك
في اتباعك ام عندهم الغيب اي اللوح المحفوظ لانهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا
لا نبعث وان بعثنا لا نعذب ام يريدون كيدا وهو كيدهم في دار الندوة
برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين فالذين كفروا اشارة اليهم او اريد بهم كل من
كفر بالله هم المكيدون هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم
وذلك انهم قتلوا يوم بدر او المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته. ام
لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون وان يروا كسفا من السماء ساقطا
يقولوا سحاب مركوم فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون
يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون. كسفا قطعة وهو جواب
قولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يعني انهم لشدة طغيانهم
وعنادهم لو اسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب مركوم بعضه فوق
بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب وقرئ حتى يلقوا
يصعقون يموتون وقرئ يُصعقون يقال صعقه فصعق وذلك عند النفخة
الاولى نفخة الصعقة. وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن اكثرهم
لا يعلمون واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم

ومن الليل فسبحه وادبار النجوم * وان للذين ظلموا اي لهؤلاء الظلمة عذابا
دون ذلك دون يوم القيمة وهو القتل ببدر والقحط سبع سنين وعذاب
القبر في مصحف عبد الله دون ذلك قريبا لحكم ربك باتمالهم وما يلحقك فيه من المشقة
والكلفة فانك باعيننا مثل انا بحيث نريك ونكلاك وجمع العين لان الضمير بلفظ
ضمير الجماعة الا ترى المقولة ولتصنع على عيني وقرئ باعينا بالادغام حين تقوم
من اي مكان قمت وقيل من منامك وادبار النجوم واذا ادبرت النجوم من
آخر الليل وقرئ وادبار بالفتح بمعنى في اعقاب النجوم وآثارها اذا غربت
والمراد الامر بقول سبحان الله وبحمده في هذه الاوقات وقيل التسبيح الصلوة
اذا قام من نومه ومن الليل صلوة العشائين وادبار النجوم صلوة الفجر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه
وان ينعمه في جنته

بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم
وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى * النجم الثريا وهو اسم
غالب بها قال اذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعي كساء او جنس النجوم فقال
فباتت تعد النجم في مستحيرة يريد النجوم اذا هوى اذا غرب او انتثر يوم القيمة
او النجم الذي يرجم به اذا هوى اذا انقض او النجم من نجوم القرآن وقد نزل
منجما في عشرين سنة اذا هوى اذا نزل او النبات اذا هوى اذا سقط على الارض.

حز



وعن عروة بن الزبير ان عتبة بن ابي لهب وكانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
اراد الخروج الى الشام فقال لآتين محمدا فلاوذينه فاتاه فقال يا محمد هو كافر
بالنجم اذا هوى وبالذي دنى فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد عليه وطلقها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا فوجم لها
وقال ما كان اغناك يا ابن اخي عن هذه الدعوة فرجع عتبة الى ابيه فاخبره ثم
خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم ان
هذه ارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه اغيثونا يا معشر قريش هذه
الليلة فاني اخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا جمالهم واناخوها حولهم واحدقوا
بعتبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله وقال حسان من يرجع
العام الى اهله فما اكيل السبع بالراجع * ما ضل صاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والخطاب
لقريش وهو جواب القسم والضلال نقيض الهدى والغي نقيض الرشد اي هو
مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى الضلال والغي وما اتيكم به
من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه وانما هو وحي من عند الله
يوحى اليه ويحتج بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد للانبياء ويجاب بان الله اذا
سوغ لهم الاجتهاد وما يستند اليه كله وحيا لا نطقا عن الهوى * علمه شديد
القوى ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين
او ادنى * شديد القوى ملك شديد قواه والاضافة غير حقيقية لانها

افانه القفه المشتبهة اي فاعلها وهو جبريل عليه السلام ومن قوته انه اقتلع قرى
قوم لوط من الماء الاسود وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها و
صاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده في اوحى
من رجعة الطرف وراى ابليس يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقاب الارض
المقدسة فنفحه بجناحه نفحة فالقاه في اقصى جبل بالهند ذو مرة ذو حصافة
في عقله ورايه ومتانة في دينه فاستوى فاستقام على صورة نفسه الحقيقية
دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وكان ينزل في صورة دحية
وذلك ان رسول الله احب ان يراه في صورته التي جبل عليها فاستوى له في الافق
الاعلى وهو افق الشمس فملأ الافق وقيل ما رآه احد من الانبياء في صورته
الحقيقية غير محمد مرتين مرة في الارض ومرة في السماء ثم دنا من رسول الله
ص فتدلى فتعلق عليه في الهواء ومنه تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير
والدوالي الثمر المعلق قال تدلى عليها بين سب وخيطة ويقال هو مثل
القرلى ان رأى خيرا تدلى وان لم يره تولى فكان قاب قوسين مقدار قوسين
عربيتين والقاب والقيب والقيد والقيس المقدار وقرأ زيد بن علي قاد
وقرئ قيد وقدر وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع و
الباع والخطوة والشبر والفتر والاصبع ومنه لا صلاة الى ان ترتفع الشمس مقدار
رمحين وفي الحديث لقاب قوس احدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا

وما

وما فيها والقد السوط ويقال بينهما خطوات يسيرة وقال وقد جعلتني من
حزيمة اصبعا فان قلت كيف تقدير قوله فكان قاب قوسين قلت تقديره
فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت هذه المضافات كما قال ابو
علي في قوله وقد جعلتني من حزيمة اصبعا اي ذا مقدار مسافة اصبع او
ادنى اي على تقديركم كقوله او يزيدون فاوحى الى عبده ما اوحى ما كذب الفؤاد
ما رآه فاوحى جبريل الى عبد الله وان لم يجر لاسمه عز وجل ذكر
لانه لا يلبس كقوله ما ترك على ظهرها ما اوحى تفخيم للوحي الذي اوحي اليه ان الجنة
محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك ما كذب فؤاد محمد ما
رآه ببصره من صورة جبريل اي ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا
لانه عرفه يعني انه رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في ان ما رآه حق وقرئ ما كذب اي
صدقه ولم يشك انه جبريل بصورته افتمارونه من المراء وهو الملاحاة والمجادلة
واشتقاقه من مري الناقة كان كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه و
قرئ افتمرونه افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة
عدي بعلى كما تقول غلبته على كذا وقيل افتمرونه افتجحدونه وانشدوا لئن
هجرت اخا صدق ومكرمة لقد مريت اخا ما كان يمريكا وقالوا يقال مريته حقه
اذا جحدته وتعديته بعلى لا تصح الا على مذهب التضمين ولقد رآه نزلة
اخرى عند سدرة المنتهى نزلة اخرى من النزول نصبت النزلة نصب

الظرف الذي هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها اي نزل
عليه جبريل نزلة اخرى في صورة نفسه فرآه عليها وذلك ليلة المعراج قيل في سدرة
المنتهى هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر و
ورقها كآذان الفيول تنبع من اصلها الانهار التي ذكرها الله في كتابه يسير
الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء واليها ينتهي
علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم احد ما وراءها وقيل تنتهي اليه ارواح الشهداء
عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى
من آيات ربه الكبرى جنة المأوى الجنة التي يصير اليها المتقون عن الحسن وقيل
تأوي اليها ارواح الشهداء وقرأ علي وابن الزبير وجماعة جنه المأوى اي ستره
بظلاله ودخل فيه وعن عائشة رضي الله عنها انها انكرته وقالت من قرأ به فا
جنه الله ما يغشى تكثير وتعظيم لما يغشاها فقد علم بهذه العبارة ان ما يغشاها
من الخلائق الدالة على عظمة الله وجلاله اشياء لا يكتنهها النعت ولا
يحيط بها الوصف وقد قيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت على كل ورقة من ورقها ملكا قائما يسبح الله وعنه عليه السلام
يغشاها رفرف من طير خضر وعن ابن مسعود وغيره يغشاها فراش من
ذهب ما زاغ بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طغى ما اثبته اثباتا مستيقنا
صحيحا من غير ان يزيغ بصره عنه او يتجاوزه او ما عدل عن رؤية



العجايب التي امر برؤيتها ومكن منها وما طغى وما جاوز ما امر برؤيته لقد
رأى والله لقد رأى من آيات ربه الآيات التي هي كبراها وعظماها يعني حين رقي به الى
السماء فأري عجايب الملكوت افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى
هي اللات والعزى ومناة اصنام كانت لهم وهي مؤنثات فاللات كانت لثقيف بالطائف
وقيل كانت بنخلة تعبدها قريش وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها
ويعكفون للعبادة او يلتوون عليها اي يطوفون وقرئ اللات بالتشديد وزعموا
انه سمي برجل كان يلت عنده السمن بالزيت ويطعمه الحاج وعن مجاهد كان
رجل يلت السويق بالطائف وكانوا يعكفون على قبره فجعلوه وثنا والعزى
كانت لغطفان وهي سمرة واصلها تانيث الاعز وبعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها وا
ضعة يدها على رأسها فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول يا عز كفرانك
لا سبحانك اني رأيت الله قد اهانك ورجع فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام
تلك العزى ولن تعبد ابدا ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة وعن ابن
عباس لثقيف وقريش ومناة وكانها سميت مناة لان دماء النسائك كانت تمنى
عندها اي تراق ومناءة مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء
تبركا بها والاخرى ذم وهي المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله وقالت
اخراهم لاولاهم اي وضعاؤهم لرؤسائهم واشرافهم ويجوز ان يكون

الاولية والتقدم عندهم اللات والعزى الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة
ضيزى انهم كانوا يقولون ان الملائكة وهذه الاصنام بنات الله وكانوا يعبدو
نهم ويزعمون انهم شفعاؤهم عند الله مع وادهم البنات فقيل لهم
الكم الذكر وله الانثى ويجوز ان يراد ان اللات والعزى ومناة اناث وقد جعلتمو
هن لله شركاء ومن شانكم ان تحتقروا الاناث وتستنكفوا من ان يولدن لكم
وينسبن اليكم فكيف تجعلون هؤلاء الاناث انداداً لله وتسمونهن آلهة
قسمة ضيزى جائرة من ضازه يضيزه اذا ضامه والاصل ضوزى ففعل بها ما فعل
ببيض لتسلم الياء وقد قرئ ضئزى من ضأزه بالهمز وضيزى بفتح الضاد ان هي
الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا
الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ام للانسان ما
تمنى هي ضمير الاصنام اي ما هي الا اسماء ليس تحتها في الحقيقة مسميات
لانكم تدعون الالهية لما هو ابعد شيء منها واشد منافاة لها ونحوه قوله تعالى
ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها او ضمير الاسماء وهي قولهم اللات
والعزى ومناة وهم يقصدون بهذه الاسماء الآلهة يعني ما هذه الاسماء
الا اسماء سميتموها بهواكم وشهوتكم ليس لكم من الله على صحة تسميتها برهان
تتعلقون به ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد
ان يتبعون وقرئ بالتاء الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق وان آلهتهم





شفعاؤهم وما تشتهيه انفسهم ويتركون ما جاءهم من الهدى والدليل على ان دينهم
باطل ام للانسان ما تمنى ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ليس للانسان
ما تمنى والمراد طمعهم في شفاعة الآلهة وهو تمن على الله في غاية البعد وقيل هو قوله
ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقيل هو قول الوليد بن المغيرة
لاوتين مالا وولدا وقيل تمني بعضهم ان يكون هو النبي فلله الآخرة والاولى وكم من ملك
في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى فلله الا
خرة والاولى اذ هو مالكهما فهو يعطي منهما ما يشاء ويمنع من يشاء وليس لاحد ان
يتحكم عليه في شيء منهما يعني ان امر الشفاعة ضيق وذلك ان الملائكة مع قربتهم وزلفاهم
وكثرتهم واختصاص السموات بجموعهم لو شفعوا باجمعهم لاحد لا تغني شفاعتهم
عنه شيئا قط ولا تنفع الا شفعوا من بعد ان يأذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء
الشفاعة له ويرضاه ويراه اهلا لان يشفع له فكيف تشفع الاصنام اليه لعبدتهم
ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى وما لهم به من علم
ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا ليسمون الملائكة اي كل
واحد منهم تسمية الانثى لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد
منهم بنتا وهي تسمية الانثى به من علم اي بذلك وبما يقولون وفي قراءة ابي بها اي با
لملائكة او التسمية لا يغني من الحق شيئا يعني انما يدرك الحق الذي هو حقيقة ا
لشيء وما هو عليه بالعلم والتيقن لا والتوهم فاعرض عن من تولى عن ذكرنا و

وما يريد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله
وهو اعلم بمن اهتدى، فاعرض عن دعوة من رايته معرضا عن ذكر الله و
الآخرة ولم يرد الا الدنيا ولا تتهالك على اسلامه ثم قال ان ربك هو اعلم اي انما يعلم
الله من يجيب ممن لا يجيب وانت لا تعلم فخفف على نفسك ولا تتبعها فانك لا تهدي
من احببت وما عليك الا البلاغ وقوله ذلك مبلغهم من العلم اعتراض او ما تاخر عنه
ولا تقابله ان ربك هو اعلم بالضال والمهتدي وهو مجازيهما بما يستحقان من
الجزاء، ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين اساؤا بما عملوا و
يجزي الذين احسنوا بالحسنى، قرئ ليجزي ونجزي بالياء والنون فيهما و
معناه ان الله عز وجل انما خلق وسوى هذه الملكوت لهذا الغرض وهو ان يجازي
المحسن من المكلفين والمسيء منهم ويجوز ان يتعلق بقوله هو اعلم بمن ضل عن
سبيله وهو اعلم بمن اهتدى لان نتيجة العلم بالضال والمهتدي جزاؤهما بما
عملوا بعقاب ما عملوا من السوء وبالحسنى بالمثوبة الحسنى وهي الجنة او بسبب
ما عملوا من السوء وبسبب الاعمال الحسنى، الذين يجتنبون كبائر الاثم
والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة هو اعلم بكم اذ انشاكم من الا
رض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى،
كبائر الاثم اي الكبائر من الاثم لان الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر والكبائر
الذنوب التي لا يسقط عقابها الا بالتوبة وقيل التي يكسب عقابها بالاضافة ال

وعنى

العالم

ثواب



اللونة مستحسنة

ثواب صاحبها والفواحش ما فحش من الكبائر كانه قال والفواحش منها خاصة وقرئ
كبير الاثم اي النوع الكبير منه وقيل هو الشرك بالله واللمم ما قل وصغر ومنه اللمم المس
من الجنون واللوثة منه والمام بالمكان اذا قل فيه لبثه والمام بالطعام قلة منه ومنه لقاء
اخلائي الصفاء لمام والمراد الصغائر من الذنوب ولا يخلو قوله الا اللمم من ان
يكون استثناء منقطعا او صفة كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله كانه قيل كبائر الاثم غير
اللمم والآلهة غير الله وعن ابي سعيد الخدري اللمم هي النظرة والغمزة والقبلة
وعن السدي الخطرة من الذنب وعن الكلبي كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذا
وعن عطاء عادة النفس الحين بعد الحين ان ربك واسع المغفرة حيث يكفر
الصغائر باجتناب الكبائر والكبائر بالتوبة فلا تزكوا انفسكم فلا تنسبوها
الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات او الى الزكاء والطهارة من المعاصي ولا
تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكي منكم والتقي اولا وآخرا قبل ان يخرجكم
من صلب آدم وقبل ان تخرجوا من بطون امهاتكم وقيل كان ناس يعملون اعمالا
حسنة ثم يقولون صلوتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان على سبيل الا
عجاب والرياء فاما من اعتقد ان ما عمله من العمل الصالح من الله وبتوفيقه
وتاييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين انفسهم لان المسرة بالطاعة
طاعة وذكرها شكر، افرايت الذي تولى واعطى قليلا واكدى اعنده
علم الغيب فهو يرى، اكدى قطع عطيته وامسك واصله اكداء الحافر وهو

ثابا

جلكم

ان تلقاه كدية وهي صلابة كالصخر فيمسك عن الحفر ونحوه اجبل الحافر ثم كثر
فقيل اجبل الشاعر اذا افحم روي ان عثمان رضي الله عنه كان يعطي ماله في الخير فقال له
عبد الله بن سعد بن ابي سرح وهو اخوه من الرضاعة يوشك ان لا يبقى لك شيء
فقال عثمان ان لي ذنوبا وخطايا واني اطلب بما اصنع رضا الله وارجو عفوه فقال عبد
الله اعطني ناقتك برحلها وانا اتحمل عنك ذنوبك كلها فاعطاه واشهد عليه وامسك عن
العطاء فنزلت ومعنى تولى ترك المركز يوم احد فعاد عثمان الى احسن من ذلك
واجمل فهو يرى يعلم ان ما قال له اخوه من احتمال اوزاره حق ام لم ينبأ بما في
صحف موسى وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى وفى قرئ تخفيفا
وتشديدا والتشديد مبالغة في الوفاء ومعنى وفى اتم كقوله فاتمهن والمراد
ليتناول كل وفاء وتوفية من ذلك تبليغ الرسالة واستقلاله باعباء النبوة والصبر
على ذبح ولده وعلى نار نمرود وقيامه باضيافه وخدمته اياهم بنفسه انه كان يخرج
كل يوم فيمشي فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وعن الحسن
ما امره الله بشيء الا وفى به وعن الهذيل بن شرحبيل كان بين نوح وابراهيم صلوات الله
عليهما يؤخذ الرجل بجريرة غيره ويقتل بابيه وابنه وعمه وخاله والزوج بامرأته
والعبد بسيده فاول من خالفهم ابراهيم وعن عطاء بن السائب عهد ان لا يسئل
مخلوقا فلما قذف في النار قال له جبريل وميكائيل الك حاجة فقال اما اليكما فلا وعن النبي
ﷺ وفى عمله كل يوم باربع ركعات في صدر النهار وهي صلاة الضحى وروي الا اخبركم





بما سماه الله خليله الذي وفى كان يقول اذا اصبح واذا امسى فسبحان الله حين تمسون الى حين
وقيل وفى سهام الاسلام وهي ثلاثون عشرة في التوبة التائبون وعشرة في الاحزاب ان
المسلمين وعشرة في المؤمنين قد افلح المؤمنون وقرئ في صحف بالتخفيف الا تزر ان
مخففة من الثقيلة والمعنى انه لا تزر والضمير ضمير الشان ومحلها الجر بدلا
بدلا من ما في صحف موسى او الرفع على هو ان لا تزر كأن قائلا قال وما في صحف موسى
وابراهيم فقيل ان لا تزر وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم
يجزاه الجزاء الاوفى الا ما سعى الا سعيه فان قلت اما صح في الاخبار
الصدقة عن الميت والحج عنه وله الاضعاف قلت اجيب بان احدهما ان سعي غيره لما
لم ينفعه الا مبنيا على سعي نفسه وهو ان يكون مؤمنا صالحا وكذلك الاضعاف كان سعي
غيره كانه سعي نفسه لكونه تابعا له وقائما بقيامه والثاني ان سعي غيره لا ينفعه اذا
عمله لنفسه ولكن اذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه ثم
يجزاه ثم يجزى العبد سعيه يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف الجار وايصال
الفعل ويجوز ان يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله الجزاء الاوفى او ابدله عنه كقوله
واسروا النجوى الذين ظلموا وان الى ربك المنتهى وانه هو اضحك وابكى وانه
هو امات واحيا وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى وان عليه النشأة
الاخرى وان الى ربك قرئ بالفتح على معنى ان هذا كله في الصحف وبالكسر على الابتداء
وكذلك ما بعده والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء اي ينتهي اليه الخلق ويرجعون اليه

كقوله له والى المنتهى اضحك وابكى خلق قوتي الضحك والبكاء اذا تدفق في الرحم يقال
منى وامنى وعن الاخفش تخلق من منى الماني اى قدر المقدر قرئ النشاءة والنشاة بالمد
وقال عليه لانها واجبة في الحكمة ليجازي على الاحسان والاساءة وانه هو اغنى واقنى
اقنى انه هو رب الشعرى وانه اهلك عادا الاولى وثمودا فما ابقى واقنى واعطى القنية
وهي ما تأثل من الاموال وخصت الا يخرج من تدرك الشعرى بوزن الجوزاء وهي التي
تطلع وراءها وتسمى كلب الجبار وهما شعريان الغميصاء والعبور والمراد العبور
وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك ابو كبشة رجل من اشرافهم وكانت قريش
يقولون للرسول الله ص ابن ابي كبشة تشبيها له به لمخالفته اباهم في دينهم يريد انه رب
معبودهم هذا وعادا الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى القدماء لانهم اول
الامم هلاكا بعد قوم نوح او المتقدمون في الدنيا الاشراف وقرئ عادا لولى
وعاد لولى بادغام التنوين في اللام وطرح همزة اولى ونقل ضمتها الى لام التعريف
وثمودا اوقرئ وثمود فما ابقى وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم واطغى والمؤتفكة
اهوى فغشاها ما غشى فباي الاء ربك تتمارى هذا نذير من النذر الاولى
اظلم واطغى لانهم كانوا يؤذونه ويضربونه حتى لا يكون به حراك وينفرون عنه حتى
كانوا يحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه وما اثر فيهم دعاؤه قريبا من الف سنة
والمؤتفكة والقرى التي ائتفكت باهلها اي انقلبت وهي قرى قوم لوط ايتفاك افكه فا
نتكفا وقرئ والمؤتفكات اهوى رفعها الى السماء على جناح جبرائيل ثم اهوى الى

الارض

وفي بعض النسخ كلب الجوزاء





الارض او اسقطها فغشاها ما غشى تهويل وتعظيم لما صب عليها من العذاب وامطر عليها من
الحجر المنضود فباي الاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب للرسول الله ص او لكل انسان
على الاطلاق وقد عدد نعما ونقما وسماها كلها الاء من قبل ما في نقمه من المزاجر
والمواعظ للمعتبرين هذا القرآن نذير من النذر الاولى اي انذار من جنس الانذارات
الاولى التي انذر بها من قبلكم او هو الرسول منذر من المنذرين الاولين وقال الا
على تأويل الجماعة ازفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة افمن هذا الحديث تعجبون
وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون فاسجدوا لله واعبدوا ازفت الآزفة
قربت الموصوفة بالقرب في قوله اقتربت الساعة ليس لها الا نفس كاشفة اي قادرة
على كشفها اذا وقعت الا الله غير انه لا يكشفها او ليس لها الان نفس كاشفة بالتا
خير
وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية وقرئ ليس لها مما يدعون من دون
الله كاشفة وهي على الظالمين ساءت الغاشية افمن هذا الحديث وهو القرآن
تعجبون انكارا او تضحكون استهزاء ولا تبكون والبكاء والخشوع حق عليكم وعن رسول
الله ص انه ما رئي ضاحكا بعد نزولها وقرئ تعجبون تضحكون بغير واو وانتم سامدون
شامخون مبرطمون وقيل لاهون لاعبون فقال بعضهم لجاريته اسمدي لنا اي
غني لنا فاسجدوا لله واعبدوا ولا تعبدوا الالهة عن رسول الله ص من قرا
سورة والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق به وجحد به بمكة

بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة
وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر انشقاق القمر
من آيات رسول الله ومعجزاته النيرة عن انس بن مالك ان الكفار سألوا رسول الله آية
فانشق القمر مرتين وكذا عن ابن عباس وابن مسعود قال ابن عباس انفلق فلقتين
فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رأيت حراء بين فلقتي القمر
وعن بعض الناس ان معناه ينشق يوم القيامة وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر
مستمر يرده وكفى به رادا وفي قراءة حذيفة وقد انشق القمر اي اقتربت الساعة
وقد حصل من آيات اقترابها ان القمر قد انشق كما تقول اقبل الامير وقد جاء
المبشر بقدومه وعن حذيفة انه خطب بالمدائن ثم قال الا ان الساعة قد اقتربت
وان القمر قد انشق على عهد نبيكم مستمر دائم مطرد وكل شيء قد انقادت
طريقته ودامت حالته قيل فيه قد استمر لما رأوا تتابع المعجزات وترادف الآيات
قالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر قوي محكم من قولهم استمر مريره وقيل
هو من استمر الشيء اذا اشتدت مرارته اي مستبشع عندنا مر على لهواتنا لا
نقدر ان نسيغه كما لا نسيغ المر المكروه وقيل مار ذاهب يزول ولا يبقى
تمنية لانفسهم وتعليلا وقرئ وان يروا وكذبوا واتبعوا اهواءهم وكل امر مستقر
ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر واتبعوا اهواءهم وما زين لهم الشيطان
من دفع الحق بعد ظهوره وكل امر مستقر اي منته الى غاية يستقر



وقوله

يستقر عليها وان امر محمد سيصير الى غاية يتبين عندها انه حق او باطل وسيظهر لهم
عاقبته او وكل امر من امرهم وامره مستقر اي سيثبت ويستقر على حالة خذلان او
نصرة في الدنيا او شقاوة او سعادة في الآخرة وقرئ بفتح القاف يعني كل امر ذو مستقر اي ذو
او ذو موضع استقرار او زمان استقرار وعن ابي جعفر مستقر بكسر القاف والجر عطفا
على الساعة اي اقتربت الساعة واقترب كل امر مستقر يستقر ويتبين حاله من الانباء
من القرآن المودع انباء القرون الخالية او انباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار
ما فيه مزدجر ازدجار او موضع ازدجار والمعنى هو في نفسه موضع الازدجار ومظنة
له كقوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة اي هو اسوة حسنة وقرئ مزجر بقلب تاء
الافتعال زايا وادغام الزاي فيها حكمة بالغة فما تغن النذر فتولّ عنهم يوم يدع
الداع الى شيء نكر خشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث كانهم جراد منتشر
حكمة بالغة بدل من ما او على حكمة وقرئ بالنصب حالا من ما فان قلت ان كانت ما موصولة
ساغ لك ان تنصب حكمة حالا فكيف تعمل ان كانت موصوفة وهو الظاهر قلت
تخصيصها بالصفة فيحسن نصب الحال عنها فما تغن النذر نفي او انكار وما منصوبة اي
فاي غناء تغني النذر فتول عنهم لعلمك ان الانذار لا يغني فيهم يوم يدع
الداع بيخرجون او باضمار اذكر وقرئ باسقاط الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا والداعي
اسرافيل او جبرئيل كقوله يوم ينادي المناد الى شيء نكر فظيع تنكره النفوس
لانها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيامة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى انكر خاشعا

ابصارهم حال من الخارجين فعل للابصار وذكر كما تقول تخشع ابصارهم وقرئ خاشعة
على تخشع ابصارهم وخشعا على تخشعن ابصارهم وهي لغة من يقول اكلوني البراغيث
وهم طي ويجوز ان يكون في خشعا ضميرهم وتقع ابصارهم بدلا منه وقرئ خشع ابصارهم
على الابتداء والخبر فتكون الجملة حالا كقوله وجدته حاضراه الجود والكرم
وخشوع الابصار كناية عن الذلة والانخزال لان ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران
في عيونهما وقرئ تخرجون من الاجداث من القبور كانهم جراد منتشر مثل
في الكثرة والتموج يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض جاؤوا كالجراد وكالدبا
منتشر في الامكنة لكثرته مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر كذبت
قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر فدعا ربه اني مغلوب
فانتصر ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر
قد قدر مهطعين الى الداع مسرعين مادي اعناقهم اليه وقيل ناظرين اليه لا يقلعون با
بصارهم [illegible] قبلهم قبل
اهل مكة فكذبوا عبدنا يعني نوحا فان قلت ما معنى قوله فكذبوا بعد قوله كذبت
قلت كذبوا فكذبوا عبدنا اي كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن
مكذب او كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا لانهم كانوا مكذبين بالرسل جاحدين
للنبوة راسا فكذبوا نوحا لانه من جملة الرسل مجنون هو مجنون وازدجر وانتهر
بالشتم والضرب والوعيد بالرجم في قولهم لتكونن من المرجومين وقيل

بهو

هو من جملة قيلهم اي قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه
وطارت بقلبه فدعا ربه فدعا ربه اني بمعنى فدعا باني وانه على ارادة القول فدعا
اني مغلوب غلبني قومي فلم يسمعوا مني واستحكم اليأس من اجابتهم لي فانتصر فانتقم
منهم بعذاب تبعثه عليهم وانما دعا بذلك بعدما طم عليه الامر وبلغ السيل الزبى فقد
روي ان الواحد من امته كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق وهو يقول
اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ففتحنا مخففا ومشددا او كذلك فجرنا منهمر
منصب في كثرة وتتابع لم ينقطع اربعين يوما وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الار
ض كلها كانها عيون تتفجر وهو ابلغ من قولك وفجرنا عيون الارض ونظيره في النظم
واشتعل الرأس شيبا فالتقى الماء يعني مياه السماء والارض وقرئ الماءان
اي النوعان من الماء السماوي والارضي ونحوه قولك عندي تمران تريد ضربان
من التمر برني ومعقلي قال لنا ابلان فيهما ما علمتم وقرئ الماوان
بقلب الهمزة واوا كقولهم علباوان على امر قد قدر على حال قدرها
الله كيف شاء وقيل على حالة مقدرة مستوية وهي ان قدر ما انزل من
السماء كقدر ما اخرج من الارض سواء بسواء وقيل على امر قد قدر
في اللوح انه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه على ذات الواح
ودسر تجري باعيننا جزاء لمن كان كفر ولقد تركناها آية فهل من مدكر فكيف
كان عذابي ونذر على ذات الواح ودسر اراد السفينة وهي من الصفات

الذي تقوم مقامه الموصوفات فتنوب منابها وتؤدي مؤداها بحيث لا يفصل
بينها وبينها ونحوه ولكن قميصي مسرودة من حديد اراد ولكن قميصي درع
وكذلك ولو في عيون النازيات باكرع اراد ولو في عيون الجراد الا ترى انك لو
جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة او بين الدرع والجراد وهاتين الصفتين
لم يصح وهذا من فصيح الكلام وبديعه والدسر جمع دسار وهو المسمار فعال
من دسره اذا دفعه لانه يدسر به منفذه جزاء مفعول له لما قدم من فتح
ابواب السماء وما بعده اي فعلنا ذلك جزاء لمن كان كفر وهو نوح عليه السلام
وجعله مكفورا لان النبي نعمة من الله ورحمة قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين وكان نوح نعمة مكفورة ومن هذا المعنى ما يحكى ان رجلا قال للرشيد
الحمد لله عليك فقال ما معنى هذا الكلام قال انت نعمة حمدت الله عليها ويجوز
ان يكون على تقدير حذف الجار وايصال الفعل وقرا قتادة كفر اي جزاء
للكافرين وقرا الحسن جزاء بالكسر اي مجازاة الضمير في تركناها للسفينة
او للفعلة اي جعلناها آية يعتبر بها وعن قتادة ابقاها الله بارض الجزيرة
وقيل على الجودي دهرا طويلا حتى نظر اليها اوائل هذه الامة والمدكر المعتبر
وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا وادغام الذال فيها وهذا
نحو مدجر ومزدجر والنذر جمع نذير وهو الانذار ولقد يسرنا القرآن
للذكر فهل من مدكر ولقد سهلنا القرآن للذكر سهلناه للادكار و

الاتعاظ



كتب

والاتعاظ بان شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعيد فهل من متعظ وقيل
ولقد سهلناه للحفظ واعنا عليه من اراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه
ويجوز ان يكون المعنى ولقد هيأناه للذكر من يسر ناقته للسفر اذا رحلها ويسر
فرسه للغزو اذا اسرجه والجمه قال وقمت اليه باللجام ميسرا هنالك يجزيني الذي
كنت اصنع ويروى ان اهل الاديان نحو التورية والانجيل لا يتلونها اهلها الا نظرا
ولا يحفظونها ظاهرا كالقرآن كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم
ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر فكيف كان عذابي
ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ونذر وانذاراتي لهم بالعذاب
قبل نزوله او وانذاراتي في تعذيبهم لمن بعدهم في يوم نحس في يوم شؤم مستمر
في يوم نحس كقوله في ايام نحسات قد استمر عليهم ودام حتى اهلكهم او استمر
عليهم جميعا على كبيرهم وصغيرهم حتى لم يبق منهم نسمة وكان في اربعاء في آخر الشهر
لا تدور ويجوز ان يريد بالمستمر الشديد المرارة والبشاعة تنزع الناس
تقلعهم عن اماكنهم وكانوا يصطفون آخذين بعضهم بايدي بعض ويتداخلون
في الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم
كانهم اعجاز نخل منقعر يعني انهم كانوا يتساقطون على الارض امواتا وهم
جثث طوال عظام كانهم اعجاز نخل وهي اصولها بلا فروع منقعر منقلع
عن مغارسه وقيل شبهوا باعجاز النخل لان الريح كانت تقطع رؤوسهم

فتبقى اجسادا بلا روس وذكر صفة نخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لانث كما
قال اعجاز نخل خاوية * كذبت ثمود بالنذر * فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه
انا اذا لفي ضلال وسعر * ءالقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب اشر * بشرا
ابشرا منا واحدا انتصب بفعل يفسره نتبعه وقرئ ابشر منا واحد على الا
بتداء ونتبعه خبر والاول اوجه للاستفهام كان يقول ان تتبعوني كنتم في
ضلال عن الحق وسعر ونيران جمع سعير فعكسوا عليه فقالوا ان اتبعناك
كنا اذا كما تقول وقيل الضلال الخطاء والبعد عن الصواب والسعر
الجنون يقال ناقة مسعورة قال كان بها سعرا اذا العيس هزها ذميل وار
من السير متعب فان قلت كيف انكروا ان يتبعوا بشرا منهم واحدا قلت قالوا
ابشرا انكارا لان يتبعوا مثلهم في الجنسية وطلبوا ان يكون من جنس اعلى من
جنس البشر وهم الملائكة وقالوا منا لانه اذا كان منهم كانت المماثلة اقوى
وقالوا واحدا انكارا لان تتبع الامة رجلا واحدا او ارادوا واحدا من افنائهم ليس باشرفهم
وافضلهم ويدل عليه قولهم ءالقي الذكر عليه من بيننا اي اانزل عليه الو
حي من بيننا وفينا من هو احق منه بالاختيار للنبوة اشر بطر متكبر
حمله بطره وشطارته التعظم علينا على ادعاء ذلك * سيعلمون غدا من
الكذاب الاشر * انا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر ونبئهم
ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر * فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر

فكيف

فكيف كان عذابي ونذر * انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر
ولقد يسرنا القرءان للذكر فهل من مدكر * سيعلمون غدا عند نزول
العذاب بهم او يوم القيمة من الكذاب الاشر اصالح ام من كذبه وقرئ ستعلمون
بالتاء على حكاية ما قال لهم صالح مجيبا لهم او هو كلام الله على سبيل الالتفات وقرئ
الاشر بضم الشين كقولهم حدث وحدث وحذر وحذر واخواتها وقرئ
الاشر وهو الابلغ في الشرارة والاخير والاشر اصل قولهم هو خير منه وهو
اشر منه وقد حكم ابن الانباري تقول العرب هو اخير واشر مرسلوا
الناقة باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سالوا فتنة لهم امتحانا لهم
وابتلاء فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون واصطبر على اذاهم ونبئهم
ان الماء قسمة بينهم مقسوم بينهم لها شرب يوم ولهم شرب يوم وانما قال
بينهم تغليبا للعقلاء كل شرب محتضر يحضره لهم او للناقة وقيل يحضرون الماء في نوبتهم
واللبن في نوبتها صاحبها فنادوا صاحبهم قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فاجترأ على
تعاطي الامر العظيم غير مكترث له فاحدث العقر بالناقة فتعاطى الناقة فعقرها
او فتعاطى السيف صيحة واحدة صيحة جبريل فكانوا كهشيم المحتظر
المتكسر والمحتظر الذي يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان و
يتوطاه البهائم فيتحطم ويتهشم وقرئ بفتح الظاء وهو موضع
الاحتظار اي الحظيرة * كذبت قوم لوط بالنذر * انا ارسلنا عليهم

صح

حاصبا الا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر ولقد انذرهم
بطشتنا فتماروا بالنذر حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة اي ترميهم بسحر بقطع من
الليل وهو السدس الآخر منه وقيل هما سحران فالسحر الاعلى قبل انصداع الفجر
والآخر عند انصداعه وانشد مرته باعلى السحر بين نزال وصرف لانه نكرة ويقال
لقيته سحر اذا لقيته في سحر يومه نعمة انعاما مفعول له من شكر نعمة الله بايمانه
وطاعته ولقد انذرهم لوط عليه السلام بطشتنا اخذتنا بالعذاب فتماروا فكذبوا
بالنذر متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فذوقوا عذابي
ونذر ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابي ونذر ولقد
يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر فطمسنا اعينهم فمسحناها وجعلناها كسائر
الوجه لا يرى لها شق روي انهم لما عالجوا باب لوط عليه السلام ليدخلوا قالت الملائكة
خلهم يدخلوا انا رسل ربك لن يصلوا اليك فصفقهم جبريل بجناحه صفقة
فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم لوط فذوقوا فقلت
لهم ذوقوا على السنة الملائكة بكرة اول النهار وباكره كقوله مشرقين و
مصبحين وقرأ زيد بن علي بكرة غير منونة تقول اتيته بكرة وغدوة
بالتنوين اذا اردت التنكير وبكرة وغدوة اذا عرفت وقصدت بكرة
نهارك وغدوته عذاب مستقر ثابت قد استقر عليهم الى ان يفضي بهم
الى عذاب الآخرة فان قلت ما فائدة تكرير قوله فذوقوا عذابي ونذر و

لقد

لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر قلت فائدته ان يجددوا عند
استماع كل نبأ من انباء الاولين ادكارا واتعاظا وان يستأنفوا تنبها واستيقاظا
اذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه وان يقرع لهم العصا مرات و
يقعقع لهم الشن تارات لئلا يغلبهم السهو ولا يستولي عليهم الغفلة
وهكذا حكم التكرير بقوله فباي آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها في
سورة الرحمن وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية اوردها في سورة
المرسلات وكذلك تكرير الانباء والقصص في انفسها لتكون تلك العبر حاضرة
للقلوب مصورة للاذهان مذكورة غير منسية في كل اوان ولقد جاء آل
فرعون النذر كذبوا باياتنا كلها فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر اكفاركم
خير من اولئكم ام لكم براءة في الزبر ام يقولون نحن جميع منتصر سيهزم
الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر النذر
موسى وهرون وغيرهما من الانبياء لانهما عرضا عليهم ما انذر به المرسلون او
جمع نذير وهو الانذار باياتنا كلها بالآيات التسع اخذ عزيز لا يغالب
مقتدر لا يعجزه شيء اكفاركم يا اهل مكة خير من اولئكم الكفار المعدودين قوم
نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون اي اهم خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا
او اقل كفرا وعنادا يعني ان كفاركم مثل اولئك بل شر منهم ام انزلت عليكم
يا اهل مكة براءة في الكتب المتقدمة ان من كفر منكم وكذب الرسل كان آمنا من

عذاب الله فأمنتم بتلك البراءة نحن جميع جماعة أمرنا مجتمع منتصر ممتنع لا يرام ولا يضام وعن أبي جهل أنه ضرب فرسه يوم بدر فتقدم في الصف وقال نحن ننتصر اليوم من محمد وأصحابه فنزلت سيهزم فلما رأى رسول الله ﷺ يثب في الدرع ويقول سيهزم الجمع عرف تأويلها ويولون الدبر أي الأدبار كما قال كلوا في بعض بطنكم وقرئ الأدبار أدهى أشد وأفظع والداهية الأمر المنكر الذي لا يهتدى لدوائه وأمر من الهزيمة والقتل والأسر وقرئ سنهزم الجمع إن المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر في ضلال وسعر في هلاك ونيران أو في ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الآخرة مس سقر كقولك وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب لأن النار إذا أصابتهم بحرها ولحقتهم بإيلامها فكأنها تمسهم مسا بذلك كما يمس الحيوان ويباشر بما يؤذي ويؤلم وذوقوا على إرادة القول وسقر علم لجهنم من سقرته النار وصقرته إذا لوحته قال ذو الرمة إذا ذابت الشمس اتقى صقراتها بأفنان مربوع الصريمة معبل وعدم صرفها للتعريف والتأنيث كل شيء منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرئ كل شيء بالرفع والقدر والقدر التقدير وقرئ بهما أي خلقنا كل شيء مقدرا محكما مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة أو مقدرا مكتوبا في اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه





وما أمرنا إلا واحدة إلا كلمة واحدة سريعة التكوين كلمح بالبصر أراد قوله كن يعني أنه إذا أراد تكوين شيء لم يلبث كونه ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر أشياعكم أشباهكم في الكفر من الأمم في الزبر في دواوين الحفظة وكل صغير وكبير من الأعمال ومن كل ما هو كائن مستطر مسطور في اللوح ونهر واكتفى باسم الجنس وقيل هو السعة والضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء ونهر جمع نهر كأسد وأسد في مقعد صدق في مكان مرضي وقرئ في مقاعد صدق عند مليك مقتدر مقربين عنده ملتبسين مبهم أمره في الملك والاقتدار فلا شيء إلا وهو تحت ملكه وقدرته فأي منزلة أكرم من تلك المنزلة وأجمع للغبطة كلها والسعادة بأسرها عن رسول الله ﷺ من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر

بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان عدد الله عز وعلا آلاءه فأراد أن يقدم أول شيء ما هو أسبق قدما من ضروب آلائه وأصناف نعمائه وهي نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ما هو في أعلى مراتبها وأقصى مراقيها وهو إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه لأنه أعظم وحي الله رتبة وأعلاه منزلة وأحسنه في أبواب الدين أثرا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها وأخر ذكر خلق الإنسان عن ذكره ثم أتبعه إياه ليعلم أنه إنما خلقه للدين وليحيط علما بوحيه وكتبه وما خلق الإنسان من أجله

قوله الرحمن نزل حين قال المشركون وما الرحمن ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة الكذاب فأخبر الله تعالى عن نفسه فقال الرحمن وهو ابتداء لا يحتمل البعض لأنه خبر مبتدأ محذوف أي الله الرحمن أو هو مبتدأ وخبره ما بعده أي الله الرحمن أو هو مبتدأ وخبره ما بعده الرحمن الذي أنكروه علم محمدا القرآن بإنزال جبريل إياه وقراءته عليه شيخ

علمه البيان والتعليم أن علم الوحي فتبين ما تعرف به بالمنطق وتبيين به عما بقي من الحيوان

وكان الغرض في إنشائه كما تقدم تعليمه وما يعلم به ثم ذكر ما تميز به من سائر
الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير والرحمن مبتدأ
وهذه الأفعال مع ضمائرها أخبار مترادفة وإخلاؤها عن العاطف لمجيئها
على نمط التعديد كما تقول زيد أغناك بعد فقر أعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل
بك ما لم يفعل أحد بأحد فما تنكر من إحسانه الشمس والقمر بحسبان و
النجم والشجر يسجدان بحسبان بحساب معلوم وتقدير سوي يجريان في
بروجهما ومنازلهما وفي ذلك منافع للناس عظيمة منها علم السنين والحساب و
النجم النبات الذي ينجم من الأرض لا ساق له كالبقول والشجر الذي له ساق و
سجودهما انقيادهما لله فيما خلقا له وأنهما لا يمتنعان تشبيها بالساجدين من
المكلفين في انقياده فإن قلت كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن قلت استغنى
فيهما عن الوصل اللفظي بالوصل المعنوي لما علم أن الحسبان حسبانه والسجود
له لا لغيره كأنه قيل والشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان
له فإن قلت كيف أخل بالعاطف في الجمل الأول ثم جيء به بعد قلت بكت
بتلك الجمل الأول واردة على سنن التعديد ليكون كل واحدة من الجمل مستقلة
في تقريع الذين أنكروا الرحمن وآلاءه كما يبكت منكر أيادي المنعم عليه
من الناس بتعديدها عليه في المثال الذي قدمته ثم رد الكلام إلى منهاجه بعد
التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف فإن قلت أي تناسب

بين



بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف قلت إن الشمس والقمر سما
ويان والنجم والشجر أرضيان فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل
وأن السماء والأرض لا تزالان تذكران قرينتين وأن جري الشمس و
القمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله فهو مناسب لسجود النجم
والشجر وقيل علم القرآن جعله علامة وآية وعن ابن عباس رضي الله عنه
الإنسان آدم وعنه أيضا محمد عم وعن مجاهد النجم نجوم السماء
والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالـ
قسط ولا تخسروا الميزان والسماء رفعها خلقها مرفوعة مسموكة
حيث جعلها منشأ أحكامه ومصدر قضاياه ومتنزل أوامره ونواهيه
ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحي على أنبيائه ونبه بذلك على كبرياء
شأنه وملكه وسلطانه ووضع الميزان وفي قراءة عبد الله وخفض الميزان
وأراد به كل ما يوزن به الأشياء ويعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون و
مكيال ومقياس أي خلقه موضوعا مخفوضا على الأرض حيث علق به أحكام
عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في أخذهم و
إعطائهم ألا تطغوا لئلا تطغوا أو هي أن المفسرة وقرأ عبد الله لا تطغوا بغير
أن على إرادة القول وأقيموا الوزن بالقسط وقوموا وزنكم بالعدل ولا
تخسروا الميزان ولا تنقصوه أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو

اعتدا او زيادة وعن ابن ان الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ
الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه ووضع
السماء بالرفع ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها لغات
خسر الميزان يخسره ويخسره واما الفتح فعلى ان الاصل ولا تخسروا في الميزان
فحذف الجار واوصل الفعل والارض وضعها للانام فيها فاكهة والنخل
ذات الاكمام والحب ذو العصف والريحان فباي آلاء ربكما تكذبان
ووضعها خفضها مدحوة على الماء للانام للخلق وهو كل ما على ظهر
الارض من دابة وعن الحسن الانس والجن فهي كالمهاد لهم يتقلبون
فوقها فاكهة ضروب مما يتفكه به والاكمام كل ما يكم اي يغطي من ليفه
وسعفه وكفراه وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه
وقيل الاكمام اوعية التمر الواحد كم بكسر الكاف والعصف ورق الزرع وقيل
التبن والريحان الرزق وهو اللب اراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع
بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب وقرئ و
الريحان بالكسر ومعناه والحب ذو العصف الذي هو علف الانعام والريحان
الذي هو مطعم الناس وبالفتح على وذو الريحان فحذف المضاف و
اقيم المضاف اليه مقامه وقيل معناه وفيها الريحان الذي يشم وفي مصاحف
حفص اهل الشام والحب ذا العصف والريحان اي وخلق الحب والر

يحان



يحان او واخص الحب والريحان ويجوز ان يراد وذو الريحان فحذف المضاف و
المضاف اليه مقامه والخطاب في ربكما تكذبان للثقلين بدلالة الانام عليهما وقوله سنفرغ
لكم ايها الثقلان خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار فباي
آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين ورب المغربين فباي آلاء ربكما تكذبان الصلصال الطين
اليابس له صلصلة والفخار الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف فان قلت قد اختلفت
التنزيل في هذا وذلك قوله من حمأ مسنون من طين لازب من تراب قلت هو متفق
في المعنى ومفيد انه خلقه من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا والجان
ابو الجن وقيل هو ابليس والمارج اللهب الصافي الذي لا دخان فيه وقيل المختلط
بسواد النار من مرج الشيء اذا اضطرب واختلط فان قلت فما معنى قوله من نار
قلت هو بيان لمارج كانه قيل من صاف من نار او مختلط من نار او اراد من نار مخصوصة منه
كقوله فانذرتكم نارا تلظى رب المشرقين ورب المغربين بالجر بدل من
ربكما واراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما مرج البحرين يلتقيان بينهما
برزخ لا يبغيان فباي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فباي
آلاء ربكما تكذبان ~~يخرج منهما~~ وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام فباي
آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين ارسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين
متلاقيين لا فصل بين الماءين في مرأى العين بينهما برزخ حاجز من قدرة الله لا
يبغيان لا يتجاوزان حديهما ولا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة وقرئ

الاصل والمعنى فاضلات الاخلاق حسان الخلق مقصورات قصرن في خدورهن
يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة اى مخدرة وقيل ان الخيمة من خيامهن
درة مجوفة قبلهم قبل اصحاب الجنتين دل عليه ذكر الجنتين متكئين نصب على
الاختصاص والرفرف ضرب من البسط او ذيل البسط وقيل الوسائد وقيل كل
ثوب عريض رفرف ويقال لاطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف ورفرف
السحاب هيدبه والعبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انه بلد الجن
فينسبون اليه كل شيء عجيب وقرئ رفارف خضر بضمتين وعباقري نسبة الى
الى عباقر في اسم البلد وروى ابو حاتم عباقري بفتح القاف ومنع الصرف
وهذا لا وجه لصحته فان قلت كيف تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن
الاوليين حتى قيل ومن دونهما قلت مدهامتان دون ذواتا افنان ونضاختان
دون تجريان وفاكهة دون كل فاكهة وكذلك صفة الحور والمتكأ وقرئ
ذو الجلال صفة الاسم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن ادى
شكر ما انعم الله عليه

بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت
الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة وقعت الواقعة
كقولك كانت الكائنة وحدثت الحادثة والمراد القيامة وصفت با
لوقوع لانها تقع لا محالة فكأنه قيل اذا وقعت التي لا بد من وقوعها

ووقوع



ووقوع الامر نزوله يقال وقع ما كنت اتوقعه اى نزل ما كنت اترقب نزوله
فان قلت بم انتصب اذا قلت بليس كقولك يوم الجمعة ليس لي شغل او بمحذوف
يعنى اذا وقعت كان كيت وكيت او باضمار اذكر كاذبة اى لا تكون حين تقع نفس
تكذب على الله وتكذب في تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة
واكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات كقوله فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا
بالله وحده لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم ولا يزال الذين كفروا
في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة واللام مثلها في قوله يا ليتني قدمت لحياتي او
ليس لها نفس تكذبها وتقول لها لم تكوني كما لها اليوم نفوس كثيرة يكذبنها يقلن
لها لن تكوني او هي من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته على
مباشرته اى قالت له انك تطيقه وما فوقه فتعرض له ولا تبال به على معنى انها وقعة
لا تطاق شدة وفظاعة وان لا نفس حينئذ تحدث صاحبها بما تحدثه به عند عظائم
الامور وتزين له احتمالها واطاقتها لانهم يومئذ اضعف من ذلك واذل الا ترى
الى قوله كالفراش المبثوث والفراش مثل في الضعف وقيل كاذبة مصدر كالعاقبة بمعنى
التكذيب من قولك حمل على قرنه فما كذب اى فما جبن وما تثبط وحقيقته فما كذب
نفسه فيما حدثته به من اطاقته له واقدامه عليه قال زهير اذا ما الليث كذب عن
اقرانه صدقا اى اذا وقعت لم تكن لها رجعة ولا ارتداد خافضة رافعة
على هي خافضة رافعة ترفع اقواما وتضع آخرين اما وصفا لها بالشدة لان الو

العظام من تلك يرتفع فيها كانت المراتب ويتضع ناس واما لانه الاشقيا
تخفض الى الدركات والسعدا ترفعهم الى الدرجات واما انها تزلزل الا
وتزيلها عن مقارها فتخفض بعضا وترفع بعضا حيث تسقط السما كسفا و
تنتثر الكواكب وتنكدر وتسير الجبال تمر مر السحاب وقرئ خافضة بالنصب   في الجو
على الحال اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا اي
رجت حركت تحريكا شديدا حتى ينهدم كل شيء فوقها من جبل وبناء و
بست الجبال وفتت حتى تعود كالسويق او سيقت من بس الغنم
اذا ساقها كقوله وسيرت الجبال منبثا منتشرا وقرئ بالتاء اي منقطعا
وقرئ رجت وبست اي ارتجت وذهبت وفي كلام بنت الخس عينها
هاج وصلاؤها راج وهي تمشي وتفاج فلت انتصب اذا رجت قلت
هو بدل من اذا وقعت ويجوز ان ينتصب بخافضة رافعة اي تخفض و
ترفع وقت رج الارض وبس الجبال لانه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع و
يرتفع ما هو منخفض وكنتم ازواجا ثلثة فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة   منخفض بين
واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة ازواجا اصنافا يقال للاصناف التي بعضها
من بعض او يذكر بعضها مع بعض او يذكر بعضها مع بعض ازواج فاصحاب
الميمنة الذين يؤتون صحايفهم بايمانهم واصحاب المشأمة الذين يؤتونها بشمالهم
بلهم او اصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من قولك فلان مني باليمين

وفلان

وفلان

مني بالشمال اذا وصفتها بالرفعة عندك والضعة وذلك لتيمنهم بالميا

وتشاؤمهم بالشمايل ولتفاؤلهم بالسانح وتطيرهم من البارح ولذلك اشتقوا

اليمين الاسم من اليمن وسموا الشمال الشؤمى وقيل اصحاب الميمنة و

اصحاب المشأمة اصحاب اليمن والشؤم لان السعداء ميامين على

انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم وقيل يؤخذ

باهل الجنة ذات اليمين وباهل النار ذات الشمال والسابقون السابقون

اولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين

والسابقون المخلصون الذين سبقوا الى ما دعاهم الله اليه وشقوا الغبا

في طلب مرضاة الله وقيل الناس ثلثة فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه ثم دا

عليه حتى خرج من الدنيا فهذا السابق المقرب ورجل ابتكر عمره

بالذنب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبة حتى خرج من الدنيا فهذا

صاحب الشمال ما اصحاب الميمنة وما اصحاب المشأمة تعجيب من حال

الفريقين في السعادة والشقاوة والمعنى اي شيء هم والسابقون

السابقون يريد والسابقون من عرفت حالهم وبلغك وصفهم

كقوله وعبد الله عبد الله وقول ابي النجم وشعري شعري كانه قال

وشعري ما انتهى اليك وسمعت بفصاحته وبراعته وقد جعل السا

تاكيدا واولئك المقربون خبرا وليس بذاك ووقف بعضهم على

ودام

بتقوت

والسابقون السابقون أولئك المقربون والقول أن يوقف على
الثاني لأنه تمام الجملة وهو في مقابلة ما أصحاب الميمنة وما أصحاب المشأمة
المقربون في جنات النعيم الذين قربت درجاتهم في الجنة من العرش
وأعليت مراتبهم وقرئ في جنة النعيم الثلة الأمة من الناس الكثيرة قال
وجاءت إليهم ثلة خندفية بجيش كتيار من السيل مزبد وقوله وقليل
من الآخرين كفى به دليلا على الكثرة وهي من الثل وهو الكسر كما أن الأمة من
الأم وهو الشج كأنها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم والمعنى أن السابقين
كثير من الأولين وهم الأمم من لدن آدم إلى محمد صلوات الله عليهما وقليل
من الآخرين وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من الأولين من متقدمي هذه
الأمة ومن الآخرين من متأخريها وعن النبي صلعم الثلتان جميعا من أمتي فإن قلت
كيف قال وقليل من الآخرين ثم قال وثلة من الآخرين قلت هذا في السابقين و
ذلك في أصحاب اليمين وأنهم يتكاثرون من الأولين والآخرين جميعا فإن قلت فقد روي
أنها لما نزلت شق ذلك على المسلمين فما زال رسول الله عم يراجع ربه حتى نزلت
ثلة من الأولين وثلة من الآخرين قلت هذا لا يصح لأمرين أحدهما أن هذه الآية
واردة في السابقين ورودا ظاهرا وكذلك الثانية في أصحاب اليمين ألا ترى كيف عطف أصحاب
اليمين ووعدهم على السابقين ووعدهم والثاني أن النسخ في الأخبار غير جائز وعن
سابقو الأمم أكثر من سابقي أمتنا وتابعو الأمم مثل تابعي هذه الأمة وثلة



بلين

خبر مبتدأ محذوف أي هم ثلة على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين
يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون
عنها ولا ينزفون موضونة مرمولة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت
قد دوخل بعضها في بعض كما توضن حلق الدرع قال الأعشى ومن نسج
داود موضونة وقيل متواصلة أدني بعضها من بعض متكئين حال من الضمير في
على وهو العامل فيها أي استقروا عليها متكئين متقابلين لا ينظر بعضهم في
أقفاء بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الأخلاق والآداب مخلدون
مبقون أبدا على شكل الولدان وحد الوصافة لا يتحولون عنه وقيل مقرطون
والخلدة القرط وقيل هم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا
عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روي عن علي كرم الله وجهه وعن الحسن
وفي الحديث أولاد الكفار خدام أهل الجنة الأكواب أوان بلا عرى و
خراطيم والأباريق ذوات الخراطيم لا يصدعون عنها أي بسببها و
حقيقته لا يصدر صداعهم عنها أو لا يتفرقون عنها وقرأ مجاهد لا
يصدعون بمعنى لا يتصدعون لا يتفرقون كقوله يومئذ يصدعون
ويصدعون أي لا يصدع بعضهم بعضا لا يفرقونهم وفاكهة مما
يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون
جزاء بما كانوا يعملون يتخيرون يأخذون خيره وأفضله يشتهون

طون

عون

يتمنون وقرئ ولحم طير وقرئ وحور عين بالرفع على وفيها حور
عين كبيت الكتاب،، الاولى اكدهن هن هبا ومشابه،، او للعطف على
ولدان وبالجر عطفا على جنات النعيم كانه قال هم في جنات وفاكهة ولحم
وحور او على اكواب لان معنى يطوفون عليهم ولدان مخلدون باكواب
ينعمون باكواب وبالنصب على ويؤتون حورا جزاء مفعول له اي
يفعل بهم ذلك كله جزاء باعمالهم،، لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا
قيلا سلاما سلاما واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود
وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب،، سلاما سلاما اما بدل
من قيلا بدليل قوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما واما مفعول
به لقيلا بمعنى لا يسمعون فيها الا ان يقولوا سلاما سلاما والمعنى
انهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام وقرئ سلام
سلام على الحكاية السدر شجر النبق والمخضود الذي لا شوك له كان
خضد شوكه وعن مجاهد الموقر الذي تنثني اغصانه كثرة حمله من
خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب والطلح شجر الموز وقيل هو
شجر ام غيلان وله نور كثير طيب الرائحة وعن السدي شجر
يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل وعن علي رضي الله عنه انه قرأ
وطلع وما شأن الطلح وقرأ قوله لها طلع نضيد فقيل او نحولها

فقال

فقال آي القرآن لا تهاج اليوم ولا تحول وعن ابن عباس رضي الله عنهما
نحوه والمنضود الذي نضد بالحمل من اسفله الى اعلاه فليست له ساق
بارزة،، وظل ممدود ممتد منبسط لا يتقلص كظل ما بين طلوع الفجر
وطلوع الشمس مسكوب يسكب لهم اين شاءوا وكيف شاءوا لا يتعنون
فيه وقيل دائم الجرية لا ينقطع وقيل مصبوب يجري على الارض في غير
اخدود وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة،، لا مقطوعة اي
دائمة لا تنقطع في بعض الاوقات كفواكه الدنيا ولا ممنوعة لا تمتنع
عن متناولها بوجه ولا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وقرئ
وفاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة كقوله وحور عين،، وفرش
مرفوعة انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا
لاصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين،، وفرش جمع فراش
وقرئ وفرش بالتخفيف مرفوعة نضدت حتى ارتفعت او مرفوعة
على الاسرة وقيل هي النساء لان المرأة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على
الارائك قال الله تعالى هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون ويدل
عليه قوله تعالى انا انشأناهن انشاء وعلى التفسير الاول اضمر لهن لان
ذكر الفرش وهي المضاجع دل عليهن انشأناهن انشاء وعلى
التفسير ابتداء جديدا من غير ولادة فاما ان يراد التي ابتدئ

انشاءً هن او اللاتي اعيد انشاؤهن وعن رسول الله عم ان ام سلمة
سألته عن قول الله عز وجل انشاناهن فقال يا ام سلمة هن اللواتي
قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا
على ميلاد واحد في الاستواء كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا
فلما سمعت رسول الله عايشة رضي الله عنها ذلك قالت وا وجعاه فقال
رسول الله عم ليس هناك وجع وقالت عجوز لرسول الله عم ادع
الله ان يدخلني الجنة فقال ان الجنة لا تدخلها العجائز فولت وهي تبكي
فقال عم اخبروها انها ليست يومئذ بعجوز وقرأ الاية عربا وقرئ
عربا بالتخفيف جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل اترا با
مستويات في السن بنات ثلث وثلثين وازواجهن ايضا كذلك عن رسول
الله عم يدخل اهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا جعادا مكحلين ابناء
ثلاث وثلثين واللام في لاصحاب اليمين من صلة انشانا وجعلنا ماو
اصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لا
بارد ولا كريم انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث
العظيم وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون
او آباؤنا الاولون قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقا ت
يوم معلوم في سموم في حر نار ينفذ في المسام وحميم وماء

حار



حار متناه في الحرارة وظل من يحموم من دخان اسود بهيم لا بارد
ولا كريم نفي لصفتي الظل عنه يريد انه ظل ولكن لا كسائر الظلال سماه ظلا
ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه لمن يأوي اليه من اذى الحر وذلك كرمه
ليمحق ما في مدلول الظل من الاسترواح اليه والمعنى انه ظل حار ضار الا
ان للنفي في نحو هذا شانا ليس للاثبات وفيه تهكم باصحاب المشامة وانهم لا
يستاهلون الظل البارد الكريم الذي هو لاضدادهم في الجنة وقرئ لا بارد
ولا كريم بالرفع اي لا هو كذلك والحنث الذنب العظيم ومنه قولهم بلغ
الغلام الحنث اي الحلم ووقت المؤاخذة بالمآثم ومنه حنث في يمينه خلاف
بر فيها ويقال تحنث اذا اثم وتحرج اوآباؤنا دخلت همزة الاستفهام
على حرف العطف فان قلت كيف حسن العطف على المضمر في لمبعوثون من
غير تاكيد بنحن قلت حسن للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله ما
اشركنا ولا آباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفي وقرئ او آباؤنا وقرئ لمجمعون
الى ميقات يوم معلوم الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضا فة
بمعنى من كخاتم فضة والميقات ما وقت به الشيء اي حد ومنه مواقيت
الاحرام وهي الحدود التي لا يتجاوزها من يريد دخول مكة الا محرما
ثم انكم ايها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون
منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم

الضالون عن الهدى المكذبون بالبعث وهم أهل مكة ومن في مثل حالهم
من شجر من زقوم من الأولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر و
تغيب وأنث ضمير الشجر على المعنى وذكره على اللفظ في قوله منها وعليه و
من قرأ من شجرة من زقوم فقد جعل الضميرين للشجرة وإنما ذكر الثاني
على تأويل الزقوم لأنه تفسيرها وهي في معناه شرب الهيم قرئ بالحركات الثلث
فالفتح والضم مصدران وعن جعفر الصادق رضي الله عنه أيام أكل وشرب
بفتح الشين وأما المكسور فبمعنى المشروب أي ما يشربه الهيم وهي
الإبل التي بها الهيام وهو داء تشرب منه فلا تروى جمع أهيم وهيماء قال ذو
الرمة فأصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها وقيل
الهيم الرمال ووجهه أن يكون جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي
لا يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع
أبيض والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم إلى أكل الزقوم الذي
هو كالمهل فإذا ملأوا منه البطون يسلط عليهم من العطش ما يضطرهم
إلى شرب الحميم الذي يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الهيم فإن قلت كيف صح
عطف الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتان متفقتان فكان عطفا للشيء على
نفسه قلت ليستا متفقتين من حيث إن كونهم شاربين للحميم على ما
هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الأمعاء أمر عجيب وشربهم له على

ذلك



ذلك كما يشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضا فكانتا صفتين مختلفتين هذا
نزلهم يوم الدين نحن خلقناكم فلولا تصدقون النزل الرزق
الذي يعد للنازل تكرمة له وفيه تهكم كما في قوله فبشرهم بعذاب أليم
وكقول أبي الشعر الضبي وكنا إذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا
القنا والمرهفات له نزلا وقرئ نزلهم بالتخفيف فلولا تصدقون
تحضيض على التصديق إما بالخلق لأنهم وإن كانوا مصدقين به إلا أنه
لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكأنهم مكذبون به وإما بالبعث
لأن من خلق أولا لم يمتنع عليه أن يخلق ثانيا أفرأيتم ما تمنون أأنتم
تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين
على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الأولى
فلولا تذكرون ما تمنون ما تمنونه أي تقذفونه في الأرحام من النطف
وقرأ أبو السمال بفتح التاء يقال أمنى النطفة ومناها قال الله من نطفة
إذا تمنى تخلقونه تقدرونه وتصورونه قدرنا بينكم الموت تقديرا و
قسمناه عليكم قسمة الرزق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا فاختلفت
أعماركم من قصير وطويل ومتوسط وقرئ قدرنا بالتخفيف سبقته على الشيء
إذا أعجزته عنه وغلبته عليه وما تمكنه عليه وأمثالكم جمع مثل أي على أن نبدل

منكم وما تكم أشباهكم من الخلق وعلى أن ننشئكم في خلق لا تعلمونها وما
عهدتم بمثلها يعني أنا نقدر على الأمرين جميعا على خلق ما يماثلكم وما
لا يماثلكم فكيف نعجز عن إعادتكم ويجوز أن يكون أمثالكم جمع مثل أي على أن
نبدل ونغير صفاتكم التي أنتم عليها في خلقكم وأخلاقكم وننشئكم في صفات لا
تعلمونها وقرئ النشأة وفي هذا دليل على صحة القياس حيث جهلهم في ترك
قياس النشأة الأخرى على الأولى أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه
أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون إنا لمغرمون
بل نحن محرومون أفرأيتم ما تحرثون من الطعام تبذرون حبه وتعملون
في أرضه أأنتم تزرعونه تنبتونه وتردونه نباتا يرف وينمو إلى أن يبلغ
الغاية وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت قال
أبو هريرة أرأيتم إلى قوله أفرأيتم الآية والحطام من حطم كالفتات و
الجذاذ من فت وجذ وهو ما صار هشيما وتحطم فظلتم وقرئ بالكسر و
فظللتم على الأصل تفكهون تعجبون وعن الحسن تندمون على تعبكم فيه وإنفا قكم
عليه أو على ما اقترفتم من المعاصي التي أصبتم بذلك من أجلها وقرئ تفكنون
ومنه الحديث مثل العالم كمثل الحمة يأتيها البعداء ويتركها القرباء فبينا هم
إذ غار ماؤها فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفكنون أي يتندمون إنا
لمغرمون لملزمون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام

وهو



وهو الهلاك بل نحن محرومون محارفون محدودون لا حظ لنا ولا بخت
ولو كنا مجدودين لما جرى علينا هذا وقرئ أئنا أفرأيتم الماء
الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء
جعلناه أجاجا فلولا تشكرون أفرأيتم الماء الذي تشربون يريد الماء العذب
الصالح للشرب والمزن السحاب الواحدة مزنة وقيل هو السحاب الأبيض
خاصة وهو أعذب ماء أجاجا ملحا زعاقا لا يقدر على شربه فإن قلت
لم أدخلت اللام على جواب لو في قوله لجعلناه حطاما ونزعت منه ههنا
قلت إن لو لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالأولى تعلق الجزاء
بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كإن ولا عاملة مثلها وإنما سرى فيها معنى
الشرط اتفاقا من حيث إفادتها في مضموني جملتيها أن الثانية امتنع لامتناع
الأولى افتقرت في جوابها إلى ما ينصب علما على هذا التعلق فزيدت هذه
اللام لتكون علما على ذلك فإذا حذفت بعد ما صارت علما مشهورا مكانه
فلأن الشيء إذا علم وشهر موقعه وصار مألوفا ومأنوسا به لم يبال
بإسقاطه عن اللفظ استغناء بمعرفة السامع ألا ترى إلى ما يحكى عن رؤبة
أنه كان يقول خير لمن قال له كيف أصبحت فحذف الجار لعلم كل أحد بمكانه
وتساوي حالي حذفه وإثباته لشهرة أمره وناهيك بقول أوس حتى إذا
الكلاب قال لها كاليوم مطلوبا ولا طلبا وحذفه لا أرى فإذن حذفها اختصار

لفظتي وهي ثابتة في المعنى فاستوى الموضعان لا فرق بينهما على ان تقدم ذكرها
والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية ونائب عنه ويجوز ان يقال ان هذه
اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة فادخلت في اية المطعوم دون اية
المشروب للدلالة على ان امر المطعوم مقدم على امر المشروب وان الو
عيد بفقده اشد واصعب من قبل ان المشروب انما يحتاج اليه تبعا
للمطعوم الا ترى انك انما تسقي ضيفك بعد ان تطعمه ولو عكست قعدت
تحت قول ابي العلاء اذا سقيت ضيوف الناس محضا سقوا اضيافهم
شبما زلالا وسقي بعض العرب فقال انا لا اشرب الا على ثميلة ولهذا
قدمت اية المطعوم على اية المشروب افرايتم النار التي تورون
اانتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا
للمقوين فسبح باسم ربك العظيم تورون تقدحونها وتستخرجو
من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك احدهما على الاخر ويسمون
الاعلى الزند والاسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة شجر
التي منها الزناد تذكرة تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها اسباب المعا
يش كلها وعممنا بالحاجة اليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون
اليها ويذكرون ما اوعدوا به او جعلناها تذكرة وانموذجا من جهنم
لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التي يوقد بنو ادم

جزء





جزء من سبعين جزءا من حر جهنم ومتاعا ومنفعة للمقوين للذين ينزلون
القواء وهي القفر او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام من قولهم
اقويت من ايام اي لم اكل شيئا فسبح باسم ربك فاحدث التسبيح بذكر اسم
ربك او اراد بالاسم الذكر اي بذكر ربك والعظيم صفة للمضاف او للمضاف
اليه والمعنى انه لما ذكر ما دل على قدرته وانعامه على عباده قال فاحدث
التسبيح وهو ان يقول سبحان الله اما تنزيها له عما يقول الظالمون الذين
يجحدون وحدانيته ويكفرون نعمته واما تعجبا من امرهم في غمط الائه
واياديه الظاهرة واما شكرا لله على النعم التي عدها ونبه عليها
فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فلا اقسم معناه
فاقسم ولا مزيدة مؤكدة مثلها في قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وقرا الحسن
فلاقسم ومعناه فلانا اقسم اللام لام الابتداء دخلت على جملة من
مبتدا وخبر وهي انا اقسم كقولك لزيد منطلق ثم حذف المبتدا ولا
يصح ان تكون اللام لام القسم لامرين احدهما ان حقها ان يقرن بها
النون المؤكدة والاخلال بها ضعيف قبيح والثاني ان لافعلن في جواب
القسم للاستقبال وفعل القسم يجب ان يكون للحال بمواقع النجوم
بمساقطها ومغاربها ولعل لله في اخر الليل اذا انحطت النجوم الى
المغرب افعالا مخصوصة عظيمة او للملائكة عبادات موصوفة او لانه

وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه من عباده القانتين ونزول الرحمة
والرضوان عليهم فلذلك اقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله وانه لقسم
لو تعلمون عظيم او اقسم بمواقعها منازلها ومسايرها وله في ذلك من
الدليل على عظم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف وقوله وانه لقسم
لو تعلمون عظيم اعتراض في اعتراض لانه اعترض به بين القسم والمقسم عليه
وهو قوله انه لقرآن كريم واعترض بلو تعلمون بين الموصوف وصفته وقيل
مواقع النجوم اوقات وقوع نجوم القرآن اي اوقات نزولها انه
لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العا
لمين انه لكريم حسن مرضي في جنسه من الكتب او نفاع جم المنافع او
كريم على الله في كتاب مكنون مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع
عليه من سواهم وهم المطهرون من جميع الادناس ادناس الذنوب وما
سواها ان جعلت الجملة صفة للكتاب مكنون وهو اللوح المحفوظ وان
جعلتها صفة للقرآن فالمعنى لا ينبغي ان يمسه الا من هو على الطهارة من
الناس يعني مس المكتوب منه ومن الناس من حمله على القراءة ايضا وعن ابن
عمر احب الي ان لا يقرأ الا وهو طاهر وعن ابن عباس في رواية انه كان يبيح
القراءة للجنب ونحوه قول رسول الله صلعم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا
يسلمه اي لا ينبغي له ان يظلمه او يسلمه وقرئ المتطهرون والمطهرون

بالادغام

بالادغام والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون بمعنى يطهرون
انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم والوحي الذي ينزلونه تنزيل صفة ثالثة او
رابعة للقرآن اي منزل من رب العالمين او وصف بالمصدر لانه نزل نجوما
من بين ساير كتب الله فكانه في نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض اسمائه
فقيل جاء في التنزيل كذا او نطق به التنزيل او هو تنزيل على حذف المبتدأ وقرئ
تنزيلا على نزل تنزيلا افبهذا الحديث انتم مدهنون وتجعلون رزقكم
انكم تكذبون افبهذا الحديث يعني القرآن انتم مدهنون اي متهاونون
به كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون
رزقكم انكم تكذبون على حذف المضاف يعني وتجعلون شكر رزقكم التكذيب
اي وضعتم التكذيب موضع الشكر وفي قراءة علي رضي الله عنه وتجعلون شكركم
انكم تكذبون وقيل هي قراءة رسول الله صلعم والمعنى تجعلون شكركم لنعمة
القرآن انكم تكذبون به وقيل نزلت في الانواء ونسبتهم السقيا اليها والرزق
المطر يعني وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث انكم تكذبون بكونه من
الله حيث تنسبونه الى النجوم وقرئ تكذبون وهو قولهم في القرآن
شعر وسحر وافتراء وفي المطر هو من الانواء ولان كل مكذب بالحق كاذب
فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون ونحن اقرب
اليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صا
دقين

وترتيب الآية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين
ولولا الثانية مكررة للتوكيد والضمير في ترجعونها للنفس وهي الروح
ونحن اقرب اليه للمحتضر غير مدينين غير مربوبين من دان السلطان الرعية
اذا ساسهم ونحن اقرب اليه منكم يا اهل الميت بقدرتنا وعلمنا
او بملائكة الموت والمعنى انكم في جحودكم افعال الله وآياته في كل شيء
ان انزل عليكم كتابا معجزا قلتم سحر وافتراء وان ارسل اليكم رسولا صادقا
قلتم ساحر كذاب وان رزقكم مطرا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب
يؤدي الى الاهمال والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد
بلوغه الحلقوم ان لم يكن ثم قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم
بالمحيي المميت المبدئ المعيد فاما ان كان من المقربين فروح وريحان و
جنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين
فاما ان كان المتوفى من المقربين من السابقين من الازواج الثلثة المذكورة
في اول السورة فروح فله استراحة وروت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله
فروح بالضم وقرئ به اي الرحمة لانها كالحياة للمرحوم
وقيل البقاء اي فهذان له معا وهو الخلود مع الرزق والنعيم والريحان
الرزق فسلام لك من اصحاب اليمين اي فسلام لك يا صاحب اليمين من
اخوانك اصحاب اليمين اي يسلمون عليك كقوله الا قيلا سلاما سلاما

واما



واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا
لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم فنزل من حميم كقوله هذا
نزلهم يوم الدين وقرئ بالتخفيف وتصلية جحيم وقرئت بالرفع و
الجر عطفا على نزل وحميم ان هذا الذي انزل في هذه السورة لهو
حق اليقين اي الحق الثابت من اليقين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم له ملك السموات
والارض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير جاء في بعض الفواتح سبح
على لفظ الماضي وفي بعضها على لفظ المضارع وكل واحد منهما معناه ان من شأن
من اسند اليه التسبيح ان يسبحه وذلك هجيراه وديدنه وقد عدي هذا الفعل
باللام تارة وبنفسه اخرى في قوله وتسبحوه واصله التعدي بنفسه لان معنى سبحته
بعدته عن السوء منقول من سبح اذا ذهب وبعد فاللام اما ان تكون
مثل اللام في نصحته ونصحت له واما ان يراد بسبح لله احدث التسبيح لاجل الله
ولوجهه خالصا ما في السموات والارض ما يتأتى منه التسبيح ويصح فان
قلت ما محل يحيي قلت يجوز ان لا يكون له محل ويكون جملة برأسها كقوله له
ملك السموات وان يكون مرفوعا على هو يحيي ويميت ومنصوبا حالا من

المجرور في له والجملة حال عاملة فيها ومعناه يحيي النطف والبيض والموتى يوم القيمة
ويميت الأحياء «هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم»
هو الأول هو القديم الذي كان قبل كل شيء والآخر الذي يبقى بعد هلاك كل
شيء والظاهر بالأدلة الدالة عليه والباطن لكونه غير مدرك بالحواس فإن قلت
فما معنى الواو قلت الواو الأولى معناها الدلالة على أنه الجامع بين الصفتين
الأولية والآخرية والثالثة على أنه الجامع بين الظهور والخفاء وأما الوسطى فعلى
أنه الجامع بين مجموع الصفتين الأوليين ومجموع الصفتين الأخريين فهو المستمر
الوجود في جميع الأوقات الماضية والآتية وهو في جميعها ظاهر وباطن جامع
للظهور بالأدلة والخفاء فلا يدرك بالحواس وفي هذا حجة على من جوز إدراكه
في الآخرة بالحاسة وقيل الظاهر العالي على كل شيء الغالب له من ظهر عليه إذا علاه
وغلبه والباطن الذي بطن كل شيء أي علم باطنه وليس بذاك مع العدول عن الظاهر
المفهوم «هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش
يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما
كنتم والله بما تعملون بصير له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور يولج
الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور آمنوا بالله ورسوله وأ
نفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير»
مستخلفين فيه يعني أن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله بخلقه وإنشائه وإنما
فيها

سوركم

سولكم إياها وخولكم الاستمتاع بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها فليست هي بأموالكم
في الحقيقة وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنواب فأنفقوا منها في حقوق الله
وليهن عليكم الإنفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره إذا أذن له فيه أو
أو جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما في أيديكم بتوريثه إياكم فاعتبروا بحالهم
حيث انتقل منهم إليكم وسينتقل منكم إلى من بعدكم فلا تبخلوا به وانفعوا
بالإنفاق منها أنفسكم «وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا
بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين» لا تؤمنون حال من معنى الفعل في
ما لكم كما تقول ما لك قائماً بمعنى ما تصنع قائماً أي وما لكم كافرين بالله والواو في
والرسول يدعوكم واو الحال فهما حالان متداخلتان وقرئ وما لكم لا تؤمنون
بالله ورسوله والرسول يدعوكم والمعنى وأي عذر لكم في ترك الإيمان والرسول
يدعوكم إليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج وقبل
قد أخذ الله ميثاقكم بالإيمان حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الأدلة
ومكنكم من النظر وأزاح عللكم فإذا لم تبق لكم علة بعد أدلة العقول
وتنبيه الرسول فما لكم لا تؤمنون إن كنتم مؤمنين لموجب ما فإن هذا الموجب
لا مزيد عليه وقرئ أخذ ميثاقكم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل «هو الذي
ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور وإن الله بكم لرءوف رحيم
وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض لا يستوي منكم

من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد
وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير لما ... الله بآياته من
للمكلفين الكفر ... من سائر ... ليتخير حكم الرسول بدعوته ترون وفي
ترون الا تنفقوا اي ان لا تنفقوا ولله ميراث السموات والارض يرث كل
شيء فيهما لا يبقى منه باق لاحد من مال وغيره يعني واي غرض لكم في ترك
الانفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث اموالكم وهو من
ابلغ البعث على الانفاق في سبيل الله ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم
فقال لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح قبل فتح مكة قبل عز الاسلام وقوة
اهله ودخول الناس في دين الله افواجا وقلة الحاجة الى القتال والنفقة فيه
ومن انفق من بعد الفتح فحذف لوضوح الدلالة اولئك الذين انفقوا
قبل الفتح وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم
الرسول لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اعظم
درجة وقرئ قبل الفتح وكلا واحدا من الفريقين وعد الله الحسنى اي المثوبة
الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات وقرئ بالرفع على وكل وعده الله وقيل
نزلت في ابي بكر رضي الله عنه لانه اول من اسلم واول من انفق في سبيل
الله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم القرض
الحسن الانفاق في سبيله شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز لانه اذا اعطى



عفا

ما له لوجهه فكأنه اقرضه اياه فيضاعفه له اي يعطيه اجره على انفاقه مضاعفا
اضعافا من فضله وله اجر كريم يعني وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف
كريم في نفسه وقرئ فيضعفه وقرئ بالنصب على جواب الاستفهام و
الرفع عطف على يقرضه او على فهو يضاعفه يوم ترى المؤمنين والمؤمنات
يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم ترى ظرف لقوله وله
اجر كريم او منصوب باضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم وانما قال بين ايديهم
وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين كما ان الاشقياء
يؤتونها من شمائلهم ومن وراء ظهورهم فيجعل النور في الجهتين شعارا لهم
وآية لانهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض افلحوا فاذا
ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعون يسعى بسعيهم ذلك النور
جنيبا لهم ومتقدما ويقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة بشراكم اليوم
في ذلك الفوز يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا
نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور
له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب يوم يقول بدل من يوم ترى
انظرونا انتظرونا لانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف على
ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة او انظروا الينا لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم

بوجوههم والنور بين أيديهم فيستضيئون به انظرونا من النظرة وهي
الإمهال جعل اتئادهم في المضي إلى أن يلحقوا بهم انتظاراً لهم نقتبس
من نوركم نصب منه وذلك أن يلحقوا بهم فيستنيروا به قيل ارجعوا وراءكم
فالتمسوا نوراً طرد لهم وتهكم بهم أي ارجعوا إلى الموقف حيث أعطينا
هذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم يقتبس أو ارجعوا إلى الدنيا فا
لتمسوا نوراً بتحصيل سببه وهو الإيمان أو ارجعوا خائبين وتنحوا عنا
فالتمسوا نوراً آخر فلا سبيل لكم إلى هذا النور وقد علموا أن لا نور وراءهم
وإنما هو تخييب وإقناط لهم فضرب بينهم بسور بين المؤمنين والمنافقين
بحائط حائل بين شق الجنة وشق النار قيل هو الأعراف له أي لذلك السور
باب لأهل الجنة يدخلون منه باطنه باطن السور أو الباب وهو الشق الذي
يلي الجنة وظاهره ما ظهر لأهل النار من قبله من عنده ومن جهته العذاب
وهو الظلمة والنار وقرئ فضرب على البناء للفاعل
ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم و
غرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور ألم نكن معكم يريدون
موافقتهم في الظاهر فتنتم أنفسكم محنتموها بالنفاق وأهلكتموها وتربصتم
بالمؤمنين الدوائر وغرتكم الأماني طول الآمال والطمع في امتداد الأعمار
حتى جاء أمر الله وهو الموت وغركم بالله الغرور وغركم الشيطان بأن الله

عفو



عفو غفور كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور بالضم فاليوم لا يؤخذ منكم
فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير فدية ما
يفتدى به هي مولاكم هي أولى بكم كقول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب
أنه مولى المخافة خلفها وأمامها وحقيقته محراكم ومقمنكم أي مكانكم الذي يقال فيه
هو أولى بكم كما قيل هو مئنة الكرم أي مكان لقول القائل إنه لكريم ويجوز أن يراد
هي ناصركم أي لا ناصر لكم غيرها والمراد نفي الناصر على البتات ونحوه قولهم أصيب
فلان بكذا فاستنعوا أي ... ومنه قوله يغاثوا بماء كالمهل وقيل يتولاكم كما
توليتم في الدنيا أعمال أهل النار ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلو
بهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال
عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ألم يأن ألم يأت أنى الأمر
يأني إذا جاء إناه أي وقته وقرئ ألم يئن من آن يئين بمعنى أنى يأني و
ألما يأن قيل كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة ففتروا
عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا
بهذه الآية إلا أربع سنين وعن ابن عباس أن الله استبطأ قلوب المؤمنين
فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن وعن الحسن أما
والله لقد استبطأهم وهم يقرؤون من القرآن أقل مما تقرؤون فانظروا
في طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسق وعن أبي بكر رضي الله عنه

ان هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من اهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا
فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب وقرئ نزل وانزل ولا يكونوا
عطف على تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات ويجوز ان يكون نهيا لهم عن مماثلة
اهل الكتاب في قسوة القلوب بعد ان وبخوا وذلك ان بني اسرائيل كان الحق
يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التورية والانجيل خشعوا
لله ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة وا
ختلفوا واحدثوا ما احدثوا من التحريف وغيره فان قلت ما معنى لذ كر
الله وما نزل من الحق قلت يجوز ان يراد بالذكر وبما نزل من الحق القرآن
لانه جامع للامرين للذكر والموعظة وانه حق نازل من السماء وان يراد
خشوعها اذا ذكر الله واذا تلي القرآن كقوله انما اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا اراد بالامد الاجل كقوله اذا
جاء اجلهم وقرئ الامد اي الوقت الاطول وكثير منهم فاسقون خارجون
عن دينهم رافضون لما في الكتابين اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها
قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله
قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم اجر كريم والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم
الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم والذين كفروا و
كذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو

قيل



يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجويكم صدقة ذلك خير
لكم واطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجويكم
صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الله و
رسوله والله خبير بما تعملون بين يدي نجويكم استعارة ممن له يدان والمعنى قبل نجويكم كقول
عمر من افضل ما اوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل امام حاجته فيستمطر به
الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته ذلكم التقديم خير لكم في دينكم واطهر
لان الصدقة طهرة روي ان الناس اكثروا مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يريدون حتى
املوه وابرموه فاريد ان يكفوا عن ذلك فامروا بان من اراد ان يناجيه قدم قبل مناجاته
صدقة قال علي رضي الله عنه لما نزلت دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تقول في دينار قلت
لا يطيقونه قال كم قلت حبة او شعيرة قال انك لزهيد فلما رأوا ذلك اشتد عليهم
فارتدعوا وكفوا اما الفقير فلعسرته واما الغني فلشحه وقيل كان ذلك عشر ليال
ثم نسخ وقيل ما كان الا ساعة من نهار وعن علي رضي الله عنه ان في كتاب الله لآية ما
عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت
بدرهم قال الكلبي تصدق به في عشر كلمات سالهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عمر كان لعلي
ثلث لو كانت لي واحدة منهن كانت احب الي من حمر النعم تزويجه فاطمة واعطاؤه
الراية يوم خيبر وآية النجوى قال ابن عباس هي منسوخة بالآية التي بعدها و
قيل هي منسوخة بالزكوة ءاشفقتم اخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الانفاق

جاته

الذي تكرهون وان الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء فاذ لم تفعلوا ما امرتم به
وشق عليكم وتاب الله عليكم وعذركم ورخص لكم في ان لا تفعلوا فلا تفرطوا في
الصلوة والزكوة وسائر الطاعات بما تعملون خبير بالتاء والياء الم تر الى الذين
تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون
اعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون كان المنافقون يتولون
اليهود وهم الذين غضب الله عليهم في قوله من لعنه الله وغضب عليه وينافقونهم
وينقلون اليهم اسرار المؤمنين ما هم منكم يا مسلمون ولا منهم ولا من اليهود كقوله
مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ويحلفون على الكذب ان يقولون والله
انا لمسلمون فيحلفون على الكذب الذي هو ادعاء الاسلام وهم يعلمون ان المحلوف
عليه كذب بحت فان قلت فما فائدة قوله وهم يعلمون قلت الكذب ان يكون الخبر لا على و
فاق المخبر عنه سواء علم المخبر او لم يعلم فالمعنى انهم الذين يخبرون وعندهم خلاف
ما يخبرون عنه وهم عالمون بذلك متعمدون له كمن يحلف بالغموس وقيل كان عبد الله
بن نبتل المنافق يجالس رسول الله ص ثم يرفع الى اليهود فبينا رسول الله ع في حجرة
من حجره اذ قال لاصحابه يدخل عليكم الان رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان
فدخل ابن نبتل وكان ازرق فقال له النبي ع علام تشتمني انت واصحابك فحلف با
لله ما فعل فقال ع بل فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت
عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون يعني انهم

كانوا



كانوا في الزمان الماضي المتطاول على سوء العمل مصرين عليه او هي حكاية ما يقال لهم في
الاخرة اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين لن
تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا
انهم هم الكاذبون وقرئ ايمانهم بالكسر اتخذوا ايمانهم التي حلفوا بها
او ايمانهم الذي اظهروه جنة اي سترة يتسترون بها من المؤمنين ومن قتلهم
فصدوا الناس في خلال امنهم وسلامتهم عن سبيل الله وكانوا يثبطون من
لقيهم عن الدخول في الاسلام ويضعفون امر المسلمين عندهم واما
وعدهم الله العذاب المهين المخزي لكفرهم وصدهم كقوله الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب من الله من عذاب الله
شيئا قليلا من الاغناء روي ان رجلا منهم قال لننصرن يوم القيمة بانفسنا
واموالنا واولادنا فيحلفون لله تعالى انهم مسلمون في الاخرة كما يحلفون لكم في
الدنيا على ذلك ويحسبون انهم على شيء من النفع يعني ليس العجب من حلفهم
لكم فانكم بشر يخفى عليكم السرائر وان لهم نفعا في ذلك دفع القتل عن ارواحهم والتجارات
فوائد دنيوية وانهم يفعلونه في دار لا يضطرون فيها الى علم ما يوجبون ولكن
العجب من حلفهم لله عالم الغيب والشهادة مع عدم النفع والاضطرار
الى علم ما انذرتهم الرسل والمراد وصفهم بالتوغل في نفاقهم ومرونهم

تثبط باز داشتن از کاری

يعني ان اليهود لا يدري لكن المتعجب له التعجب من انا لا يدري بين اليد اذ كان تا [illegible]

عليه وان ذلك بعد موتهم وبعثهم باق فيهم لا ينفك عنهم كما قال ولو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه وقد اختلف العلماء في كذبهم في الآخرة والقرآن ناطق بثباته نطقا
مكشوفا كما ترى في هذه الآية وفي قوله والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا
على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ويحسبون انهم على شيء من النفع
حلفهم الاستنظارهم المؤمنين ليقتبسوا من نورهم لحسبانهم ان الايمان الظاهر
نما ينفعهم وقيل عند ذلك يختم على افواههم الا انهم هم الكاذبون يعني انهم
الغاية التي لا مطمح وراءها في قول الكذب حيث يستوي حالهم فيه في الدنيا و
الآخرة استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان
حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين كتب الله
لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوا
دون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب
في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالد
ين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون استحوذ
عليهم استولى عليهم من حاذ الحمار العانة اذا جمعها وساقها غالبا لها ومنه كان احوذيا
نسيج وحده وهو احد ما جاء على الاصل نحو استصوب واستنوق اي ملكهم
الشيطان لطاعتهم له في كل ما يريده منهم حتى جعلهم رعيته وحزبه فانساهم
ان يذكروا الله اصلا لا بقلوبهم ولا بالسنتهم قال ابو عبيد حزب الشيطان جنده

في الاذلين في جملة من هو اذل خلق الله لا ترى احدا اذل منهم كتب الله في
اللوح لاغلبن انا ورسلي بالحجة والسيف او باحدهما لا تجد قوما من باب التخييل
خيل ان من الممتنع المحال ان تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين والغرض به انه
لا ينبغي ان يكون ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة في النهي عنه والتحذير
عن ملابسته والتوصية بالتصلب في مجانبة اعداء الله ومباعدتهم والاحتراس
من مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك تأكيدا وتشديدا بقوله ولو كانوا
آباءهم وبقوله اولئك كتب في قلوبهم الايمان وبمقابلة قوله اولئك حزب الشيطان
بقوله اولئك حزب الله فلا تجد شيئا ادخل في الاخلاص من موالاة اولياء الله ومعا
داة اعدائه بل هو الاخلاص بعينه كتب في قلوبهم الايمان اثبته فيها بما وفقهم فيه
وشرح له صدورهم وايدهم بروح منه بلطف من عنده حييت به قلوبهم و
يجوز ان يكون الضمير للايمان اي بروح من الايمان على انه في نفسه روح لحيوة
القلوب به وعن الثوري انه قال كانوا يرون انها نزلت فيمن يصحب السلطان
وعن عبد العزيز بن ابي رواد انه لقيه المنصور في الطواف فلما عرفه هرب منه
وتلاها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي
نعمة فاني وجدت فيما اوحيت لا تجد قوما وروي انها نزلت في ابي بكر رضي الله عنه
وذلك ان ابا قحافة سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصكه صكة سقط منها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
او فعلته قال نعم قال لا تعد قال والله لو كان السيف قريبا مني لقتلته وقيل نزلت

في أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد وفي
أبي بكر رضي الله عنه دعا ابنه يوم بدر إلى البراز وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعني أكن
في الرعلة الأولى قال متعنا بنفسك يا أبا بكر أما تعلم أنك عندي بمنزلة السمع و
البصر وفي مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد وفي عمر رضي الله عنه
قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر وفي علي وحمزة وعبيدة بن الحارث رضوان الله
عليهم قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم هو الذي أخرج
الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا
أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في
قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي
الأبصار روي أنه صالح بني النضير رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر
يوم بدر قالوا هو النبي الذي نعته في التوراة لا ترد له راية فلما هزم
المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الأشرف في أربعين راكبا
إلى مكة فحالفوا عليه قريشا عند الكعبة فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة
الأنصاري فقتل كعبا غيلة وكان أخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب

وهو

وهو على حمار مخطوم بليف فقال لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت أحب
إلينا من ذلك فتنادوا بالحرب وقيل استمهلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة أيام ليتجهزوا
للخروج فدس عبد الله بن أبي المنافق وأصحابه إليهم لا تخرجوا من الحصن فإن
قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الأزقة و
حصنوها فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة فلما قذف الله الرعب في قلوبهم و
أيسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فأبى عليهم إلا الجلاء على أن يحمل كل ثلاثة أبيات
على بعير ما شاؤوا من متاعهم فجلوا إلى الشام إلى أريحا وأذرعات إلا أهل بيتين
منهم آل أبي الحقيق وآل حيي بن أخطب فإنهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة
بالحيرة واللام في لأول الحشر يتعلق بأخرج وهي اللام في قوله يا ليتني قدمت
لحياتي وقولك جئته لوقت كذا والمعنى أخرج الذين كفروا عند أول الحشر
ومعنى أول الحشر أن هذا أول حشرهم إلى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم
جلاء قط وهم أول من أخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب إلى الشام أو
هذا أول حشرهم وآخر حشرهم إجلاء عمر إياهم من خيبر إلى الشام وقيل آخر
حشرهم حشر يوم القيامة لأن المحشر يكون بالشام وعن عكرمة من شك أن المحشر
ههنا يعني الشام فليقرأ هذه الآية وقيل معناه أخرجهم من ديارهم لأول حشر الرسول لهم
لقتالهم لأنه أول قتال قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظننتم أن يخرجوا لشدة بأسهم و
منعتهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم

منعتهم

من بأس الله فأتاهم أمر الله من حيث لم يحتسبوا من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم
وهو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف غرة على يد أخيه وذلك مما أضعف قوتهم
وفل من شوكتهم وسلب قلوبهم الأمن والطمأنينة بما قذف فيها من الرعب و
ألهمهم أن يوافقوا المؤمنين في تخريب بيوتهم ويعينوا على أنفسهم وثبطهم
ونقض الذين كانوا يتولونهم عن مظاهرتهم وهذا كله لم يكن في حسبانهم
ومنه أتاهم الهلاك فإن قلت أي فرق بين قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم
أو مانعتهم وبين النظم الذي جاء عليه قلت في تقديم الخبر على المبتدأ دليل على
فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها إياهم وفي تصيير ضميرهم اسما لأن وإسناد الجملة إليه دليل على
اعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة لا يبالى معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع في
معازتهم وليس ذلك في قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم وفي قرئ فآتاهم أي فآتاهم
فأتاهم الهلاك والرعب الخوف الذي يرعب الصدر أي يملأه وقذفه إثباته
وركزه ومنه قالوا في صفة الأسد مقذف كأنما قذف باللحم قذفا لاكتنازه و
تداخل أجزائه وقرئ يخربون ويخربون مثقلا ومخففا والتخريب والإخراب
الإفساد بالنقض والهدم والخربة الفساد كانوا يخربون بواطنها والمسلمون
ظواهرها لما أراد الله من استئصال شأفتهم وأن لا يبقى لهم بالمدينة دار
ولا منهم ديار والذي دعاهم إلى التخريب حاجتهم إلى الخشب والحجارة ليسدوا
بها أفواه الأزقة وأن لا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها مساكن لهم

للمسلمين

للمسلمين وأن ينقلوا معهم ما كان في أبنيتهم من جيد الخشب والساج المليح وأما
المؤمنون فداعيهم إزالة متحصنهم ومتمنعهم وأن يتسع لهم مجال الحرب فإن
قلت ما معنى تخريبهم لها بأيدي المؤمنين قلت لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب
فيه فكأنهم أمروهم به وكلفوهم إياه فاعتبروا بما دبر الله ويسر من إخراجهم و
تسليط المسلمين عليهم من غير قتال وقيل وعد رسول الله صلعم المسلمين أن يورثهم
الله أرضهم وأموالهم بغير قتال فكان كما قال ﴿ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء
لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله
ومن يشاق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب ما قطعتم من لينة
أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين وما أفاء الله
على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله
على من يشاء والله على كل شيء قدير﴾ يعني أن الله قد عزم على تطهير أرض
المدينة منهم وإراحة المسلمين من جوارهم وتوريثهم أموالهم فلولا أنه
كتب عليهم الجلاء واقتضته حكمته ودعاه إلى اختياره أنه أشق عليهم من الموت
لعذبهم في الدنيا بالقتل كما فعل بإخوانهم بني قريظة ولهم سواء أجلوا
أو قتلوا عذاب النار يعني إن نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب
الآخرة من لينة بيان لما قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم كأنه قال أي شيء قطعتم
وأنث الضمير الراجع إلى ما في قوله أو تركتموها لأنه في معنى اللينة و

واللينة النخلة من الألوان وهي ضروب النخل ما خلا العجوة والبرنية وهما أجود
النخيل وياؤها عن واو قلبت لكسرة ما قبلها كالديمة وقيل اللينة النخلة الكريمة
كأنهم اشتقوها من اللين قال ذو الرمة كأن قتودي فوقها عش طائر على لينة سوقاء
تهفو جنوبها وجمعها ليان وقرئ قوما على أصلها وفيه وجهان أنه جمع أصل
كرهن أو اكتفى فيه بالضمة عن الواو وقرئ قائما على أصولها ذهابا إلى لفظة
ما فبإذن الله فقطعها بإذن الله وأمره وليخزي الفاسقين وليذل اليهود ويغيظهم
أذن في قطعها وذلك أن رسول الله ع حين أمر أن يقطع نخلهم ويحرق
قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض فما بال قطع النخل وتحريقها
فكان في أنفس المؤمنين من ذلك شيء فنزلت يعني أن الله أذن لهم في قطعها ليزيدكم
غيظا ويضاعف لكم حسرة إذا رأيتموهم يتحكمون في أموالكم كيف أحبوا ويتصر
فون فيها ما شاؤوا واتفق العلماء أن حصون الكفرة وديارهم لا بأس بأن تهدم
وتحرق وتغرق وترمى بالمجانيق وكذلك أشجارهم لا بأس بقلعها مثمرة
كانت أو غير مثمرة وعن ابن مسعود قطعوا منها ما كان موضعا للقتال فإن قلت
لم خصت اللينة بالقطع قلت إن كانت من الألوان فليستبقوا لأنفسهم العجوة
والبرنية وإن كانت من كرام النخل فليكون غيظ اليهود أشد وأشق وروي
أن رجلين كانا يقطعان أحدهما العجوة والآخر اللون فسألهما رسول الله
ع فقال هذا تركتها لرسول الله ع وقال هذا قطعتها غيظا للكفار وقد

[illegible]

استدرك



استدرك فيه على جواز الاجتهاد وعلى جوازه بحضرة الرسول لأنهما بالاجتهاد
فعلا ذلك واحتج به من يقول كل مجتهد مصيب وما أفاء الله على رسوله جعله فيئا له
خاصة والإيجاف من الوجيف وهو السير السريع ومنه قوله ع في الإفاضة
من عرفات ليس البر بإيجاف الخيل ولا إيضاع الإبل على هينتكم ومعنى فما أوجفتم عليه
تحصيله وتغنمه خيلا ولا ركابا ولا تعبتم في القتال عليه وإنما مشيتم إليه على أر
جلكم والمعنى أن ما خول الله رسوله من أموال بني النضير شيء لم تحصلوه بالقتال
والغلبة ولكن سلطه الله عليهم وعلى ما في أيديهم كما كان يسلط رسله على أعدا
ئه فالأمر فيه مفوض إليه يضعه حيث يشاء يعني أنه لا يقسم قسمة الغنائم التي
قوتل عليها وأخذت عنوة وقهرا وذلك أنهم طلبوا القسمة فنزلت ما أفاء
الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين
وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه و
ما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب لم يدخل العاطف
على هذه الجملة لأنها بيان للأولى فهي غير أجنبية عنها بين لرسول الله ع ما يصنع
بما أفاء الله عليه وأمره أن يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما على
الأقسام الخمسة والدولة والدولة بالضم والفتح وقد قرئ بهما ما يدول
للإنسان أي يدور من الجد يقال دالت له الدولة وأديل لفلان ومعنى قوله
كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم كيلا يكون الفيء الذي حقه أن يعطى

كيلا

الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها جدا بين الاغنياء يتكاثرون به او
يكون دولة جاهلية بينهم ومعنى الدولة الجاهلية ان الرؤساء منهم كانوا
يستأثرون بالغنيمة لانهم اهل الرياسة والدولة والغلبة وكانوا يقولون
من عز بز والمعنى كيلا يكون اخذه غلبة واثرة جاهلية ومنه قول الحسن
اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا يريد من غلب منهم اخذه واستأثر به
وقيل الدولة ما يتداول كالغرفة اسم ما يغترف كيلا يكون الفيء شيئا يتداوله الاغنياء
بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح بمعنى التداول اي كيلا يكون
ذا تداول بينهم او كيلا يكون امساكه تداولا بينهم لا يخرجونه الى الفقراء وقرئ
دولة بالرفع على كان التامة كقوله تعالى وان كان ذو عسرة يعني كيلا يقع دولة جاهلية
ولينقطع اثرها او كيلا يكون تداول له بينهم او كيلا يكون شيء متعاورا بينهم
غير مخرج الى الفقراء وما آتاكم الرسول من قسمة غنيمة او فيء فخذوه وما نهاكم
عنه عن اخذه فانتهوا ولا تتبعه انفسكم واتقوا الله ان تخالفوه وتتهاونوا باوامره
ونواهيه ان الله شديد العقاب لمن خالف رسوله والاجود ان يكون عاما في
كل ما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عنه وامر الفيء داخل في عمومه وعن ابن مسعود رضي الله عنه
انه لقي رجلا محرما وعليه ثيابه فقال له انزع عنك هذا فقال الرجل اقرأ علي
في هذا آية من كتاب الله تعالى قال نعم فقرأها عليه للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا
من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله

اولئك

اولئك هم الصادقون والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون
من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على
انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون
والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم
للفقراء بدل من قوله ولذي القربى والمعطوف عليه والذي منع الابدال
من لله وللرسول والمعطوف عليهما وان كان المعنى لرسول الله ان الله عز و
جل اخرج رسوله من الفقراء في قوله وينصرون الله ورسوله وانه يترفع برسول الله
عن التسمية بالفقير وان الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في
تعظيم الله عز وجل اولئك هم الصادقون في ايمانهم وجهادهم والذين تبوؤا عطف
على المهاجرين وهم الانصار فان قلت ما معنى عطف الايمان على الدار ولا يقال
تبوؤا الايمان قلت معناه تبوؤا الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا
وماء باردا او وجعلوا الايمان مستقرا ومتبوأ لهم لتمكنهم منه واستقامتهم
عليه كما جعلوا المدينة كذلك او اراد دار الهجرة ودار الايمان فاقام لام التعريف
في الدار مقام المضاف وحذف المضاف من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه
او سمى المدينة لانها دار الهجرة ومكان ظهور الايمان بالايمان من قبلهم من
قبل المهاجرين لانهم سبقوهم في تبوء دار الهجرة والايمان وقيل من قبل هجرتهم

ولا يجدون ولا يعلمون في أنفسهم حاجة مما أوتوا من طلب محتاج اليه مما أوتي
المهاجرون من الفيء وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة يقال خذ منه حاجتك و
أعطاه من ماله حاجته يعني أن نفوسهم ما تتبع ما أعطوا ولا تطمح الى شيء منه
تحتاج اليه ولو كان بهم خصاصة أي خلة وأصلها خصاص البيت وهي فروجه و
الجملة في موضع الحال أي مفروضة خصاصتهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بني
النضير على المهاجرين ولم يعط الأنصار الا ثلثة نفر محتاجين أبا دجانة سماك
بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم
للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت
لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقال الأنصار بل نقسم لهم من
أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت الشح بالضم
والكسر وقد قرئ بهما اللؤم وأن تكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع كما
قال يمارس نفسا بين جنبيه كزة إذا هم بالمعروف قالت له مهلا وقد
الى النفس لأنه غريزة فيها وأما البخل فهو المنع نفسه ومنه قوله تعالى وأحضرت
الأنفس الشح ومن يوق شح نفسه ومن غلب ما أمرته به نفسه وخالف هواها
بمعونة الله وتوفيقه فأولئك هم المفلحون الظافرون بما أرادوا وقرئ
ومن يوق والذين جاءوا من بعدهم عطف على المهاجرين وهم الذين هاجروا
من بعد وقيل التابعون بإحسان غلا وقرئ غمرا وهما الحقد ألم تر الى الذين

نافقوا

جن

نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن
معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم
لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم
ليولن الأدبار ثم لا ينصرون لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم
قوم لا يفقهون لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر
بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون
لإخوانهم للذين بينهم وبينهم أخوة الكفر ولأنهم كانوا يوالونهم ويؤاخونهم
حدثتهم وكانوا أعوانهم على المؤمنين في السر ولا نطيع فيكم في قتالكم أحدا من رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين إن حملنا عليه أو في خذلانكم وإخلاف ما وعدناكم من النصرة
لكاذبون ثم فيما وعدوهم لليهود وفيه دليل على صحة النبوة لأنه إخبار بالغيب
فإن قلت كيف قيل ولئن نصروهم بعد الإخبار بأنهم لا ينصرونهم قلت معناه
ولئن نصروهم على الفرض والتقدير كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك وكما
يعلم ما يكون لو كان كيف يكون والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود ليهزمن
المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك أي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور
كفرهم أو ليهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين رهبة مصدر رهب
المبني للمفعول كأنه قيل أشد مرهوبية وقوله في صدورهم دلالة على نفاقهم يعني أنهم
يظهرون لكم في العلانية خوف الله وأنتم أهيب في صدورهم من الله فإن قلت

رهبتهم

لانهم كانوا يرهبونه من الله حتى يكون رهبتهم منهم اشد قلت معناه ان رهبتهم
في السر اشد من رهبتهم من الله التي يظهرونها لكم وكانوا يظهرون لكم رهبة
شديدة من الله ويجوز ان يريد ان اليهود يخافونكم في صدورهم اشد من
خوفهم من الله لانهم كانوا قوما اولي باس ونجدة فكانوا يتشجعون لكم مع
اضمارهم الخيفة في صدورهم لا يفقهون لا يعلمون الله وعظمته حتى يخشوه حق
خشيته لا يقاتلونكم لا يقدرون على مقاتلتكم جميعا مجتمعين متساندين يعني
اليهود والمنافقين الا كائنين في قرى محصنة بالخنادق والدروب او من وراء
جدر دون ان يصحروا لكم ويبارزوكم لقذف الله الرعب في قلوبهم وان تاييد
الله ونصرته معكم وقرئ جدر بالتخفيف وجدار وجدر وجدر وهما
الجدار باسهم بينهم شديد يعني ان الباس الشديد الذي يوصفون به انما
هو بينهم اذا اقتتلوا ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك الباس والشدة لان الشجاع
يجبن والعزيز يذل عند محاربة الله ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين ذوي
الفة واتحاد وقلوبهم شتى متفرقة لا الفة بينها يعني ان بينهم احنا وعداوة
فلا يتعاضدون حق التعاضد ولا يرمون عن قوس واحدة وهذا
تجسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم قوم لا يعقلون ان تشتت القلوب
مما يوهن قواهم ويعين على ارواحهم كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا
وبال امرهم ولهم عذاب اليم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء

منك

زمانا

منك اني اخاف الله رب العالمين كمثل الذين من قبلهم اي مثلهم كمثل اهل بدر في
قريب فان قلت بم انتصب قريبا قلت بمثل على كوجود مثل اهل بدر قريبا وبال امرهم
سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم كلا وبيل وخيم سيء
العاقبة يعني ذاقوا عذاب القتل في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب النار مثل المنافقين
في اغرائهم اليهود على القتال ووعدهم اياهم النصر ثم متاركتهم لهم واخلافهم
فهم كمثل الشيطان اذا استغوى الانسان بكيده ثم تبرا منه في العاقبة والمراد
استغواؤه قريشا يوم بدر وقوله لهم لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار
لكم الى قوله اني بريء منكم فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان
الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون
وقرا ابن مسعود خالدان فيها على انه خبر ان وفي النار لغو وعلى القراءة المشهورة
الظرف مستقر وخالدين فيها حال وقرئ انا بريء وعاقبتهما بالرفع كرر الامر
بالتقوى تاكيدا او اتقوا الله في اداء الواجبات لانه قرن بما هو عمل واتقوا الله
في ترك المعاصي لانه قرن بما يجري مجرى الوعيد والغد يوم القيامة سماه باليوم
الذي يليه تقريبا له وعن الحسن لم يزل يقربه حتى جعله كالغد ونحوه قوله
كان لم تغن بالامس يريد تقريب الزمان الماضي وقيل عبر عن الاخرة بالغد كان الدنيا
والاخرة نهاران يوم وغد فان قلت ما معنى تنكير النفس والغد قلت اما تنكير النفس

وهو قوله ولتنظر الاخرة

فاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن للاخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك
واما تنكير الغد فلتعظيمه وابهام امره كانه قيل لغد لا يعرف كنهه لعظمه وعن ما
لك بن دينار مكتوب على باب الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ما خلفنا
نسوا الله نسوا حقه فجعلهم ناسين حق انفسهم بان لم يدعوهم حتى لم يسمعوا
لها ما ينفعها عنده او اراهم يوم القيمة من الاهوال ما انسوا به
انفسهم كقوله لا يرتد اليهم طرفهم لا يستوي اصحاب النار واصحاب
الجنة هم الفائزون لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته متصدعا من خشية
الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون هذا تنبيه للناس و
ايذان لهم بانهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وتهالكهم على ايثار
العاجلة واتباع الشهوات كانهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون
العظيم بين اصحابهما وان الفوز مع اصحاب الجنة فمن حقهم ان يعلموا ذلك وينبهوا
عليه كما تقول لمن يعق اباه هو ابوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبهه بذلك على
حق الابوة الذي يقتضي البر والتعطف وقد استدل اصحاب الشافعي رضي الله عنه بهذه
الاية على ان المسلم لا يقتل بالكافر وان الكفار لا يملكون اموال المسلمين بالقهر هذا
تمثيل وتخييل كما مر في قوله انا عرضنا الامانة وقد دل عليه قوله وتلك الامثال
نضربها والغرض توبيخ الانسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن
وتدبر قوارعه وزواجره وقرئ مصدعا على الادغام وتلك الامثال اشارة الى

الى هذا

الى هذا المثل والى امثاله في مواضع من التنزيل هو الله الذي لا اله الا هو
عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك
القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما
يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما في
السموات والارض وهو العزيز الحكيم الغيب المعدوم والشهادة
الموجود المدرك كانه يشاهده وقيل ما غاب عن العباد وما شاهدوه
وقيل السر والعلانية وقيل الدنيا والاخرة القدوس بالفتح والضم
وقد قرئ به البليغ في النزاهة عما يستقبح ونظيره السبوح وفي تسبيح
الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح السلام بمعنى السلامة
ومنه دار السلام وسلام عليكم وصف به مبالغة في وصف كونه سليما من
النقائص او في اعطائه السلامة المؤمن واهب الامن وقرئ بفتح الميم
بمعنى المؤمن به على حذف الجار كما تقول في قوم موسى من قوله واختار
موسى قومه المختار بلفظ صفة السبعين المهيمن الرقيب على كل شيء
الحافظ له مفيعل من الامن همزته قلبت هاء والجبار القاهر الذي جبر
خلقه على ما اراده منه والمتكبر البليغ الكبرياء والعظمة وقيل المتكبر
عن ظلم عباده والخالق المقدر لما يوجده والبارئ المميز بعضه عن بعض
بالاشكال المختلفة والمصور الممثل وعن حاطب بن ابي بلتعة انه قرا

اولياء
الله ورسوله عدوي اتخذ الى مفعولين وهما عدوي
والعدو فعول من عدا كالعفو من عفا ولكونه على زنة المصدر اوقع على
الجمع ايقاعه على الواحد فان قلت تلقون بم يتعلق قلت يجوز ان يتعلق بلا
تتخذوا حالا من ضميره وباولياء صفة له ويجوز ان يكون استينافا فان قلت
اذا جعلته صفة لاولياء وقد جرى على غير من هو له فاين الضمير البارز وهو قولك
تلقون اليهم انتم بالمودة قلت ذلك انما اشترطوه في الاسماء دون الافعال لو قيل
اولياء ملقين اليهم بالمودة على الوصف لما كان بد من الضمير البارز والالقاء
عبارة عن ايصال المودة والافضاء بها اليهم يقال القى اليه خراشي صدره وافضى
اليه بشقوره والباء في بالمودة اما زائدة مؤكدة للتعدي
مثلها في ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واما ثابتة على ان مفعول تلقون محذوف
معناه تلقون اليهم اخبار رسول الله بسبب المودة التي بينكم وبينهم وكذلك
قوله تسرون اليهم بالمودة اي تفضون اليهم بمودتكم سرا او تسرون اليهم
اسرار رسول الله بسبب المودة فان قلت وقد كفروا حال مماذا قلت
اما من لا تتخذوا واما من تلقون اي لا تتولوهم او توادونهم وهذه حالهم
يخرجون استيناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم او حال من كفروا ان تؤمنوا تعليل
ليخرجون اي يخرجونكم لايمانكم ان كنتم خرجتم متعلق بلا تتخذوا يعني
لا تتولوا اعدائي ان كنتم اوليائي وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه

بكم



اسراركم
وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه وتسرون استيناف اي طائل لكم في
وقد علمتم ان الاخفاء والاعلان سيان في علمي لا تفاوت بينهما
وانا مطلع رسولي على ما تسرون ومن يفعله ومن يفعل هذا الاسرار فقد اخطأ
طريق الحق والصواب وقرا الجحدري لما جاءكم اي كفروا لاجل ما جاءكم
بمعنى ان ما كان يجب ان يكون سبب ايمانهم جعلوه سببا لكفرهم ان
يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء
بالقتال والشتم وتمنوا لو ترتدون عن دينكم فاذن مودة امثالهم ومناصحتهم
خطأ عظيم منكم ومغالطة لانفسكم ونحوه قوله لا يألونكم خبالا فان قلت كيف
اورد جواب الشرط مضارعا مثله ثم قال وودوا بلفظ الماضي قلت الماضي وان كان
يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الاعراب فان فيه نكتة كانه قيل وودوا قبل
كل شيء كفركم وارتدادكم يعني انهم يريدون ان يلحقوا بكم مضار الدنيا و
الدين جميعا من قتل الانفس وتمزيق الاعراض وردكم كفارا او ردكم كفارا
اسبق المضار عندهم واولها لعلمهم ان الدين اعز عليكم من ارواحكم
لانكم بذالون لها دونه والعدو اهم شيء عنده ان يقصد اعز

شيء عند صاحبه

لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما
تعملون بصير لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون
الكفار من اجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم ثم قال يوم القيامة يفصل

وبلان

شيئا لانه حروف الجر لا تعمل بانفسها ولكن بما فيها من معنى الفعل فاذا وقعت
ما انتصب بمعنى فعل فمن ابدى نعما وقرئ هذا ساحر مبين ومن اظلم ممن
افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين
يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو
كره المشركون واي الناس اشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه الى الاسلام
الذي له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته اليه افتراء الكذب على الله بقوله
لكلامه الذي هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر لان السحر كذب وتمويه
وقرأ طلحة بن مصرف وهو يدعى بمعنى يدعو يقال دعاه وادعاه نحو لمسه و
التمسه وعنه يدعى بمعنى يدعو وهو الله عز وجل فان قلت ما هذه اللام في قوله يريدون ليطفئوا قلت اصله يريدون ان يطفئوا
كما جاء في سورة براءة وكأن هذه اللام زيدت مع فعل الارادة تأكيدا له لما
فيها من معنى الارادة في قولك جئتك لاكرامك كما زيدت اللام في لا ابا لك تأكيدا
لمعنى الاضافة في لا اباك واطفاء نور الله بافواههم تهكم بهم في ارادتهم
ابطال الاسلام بقولهم في القرآن هذا سحر مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور
الشمس بفيه ليطفئه والله متم نوره متم الحق ومبلغه غايته وقرئ بالاضافة
ودين الحق الملة الحنيفية ليظهره ليعليه على الدين كله على جميع الاديان المخالفة
له ولعمري لقد فعل فما بقي دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور

بدين

دين

بدين الاسلام وعن مجاهد اذا نزل عيسى لم يكن في الارض الا دين
الاسلام وقرئ ارسل نبيه يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من
عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم
ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار
ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم تنجيكم قرئ مخففا ومثقلا و
تؤمنون استئناف كأنهم قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون وهو خبر في معنى الامر
ولهذا اجيب بقوله يغفر لكم ويدل عليه قراءة ابن مسعود آمنوا بالله
وجاهدوا فان قلت لم جيء به على لفظ الخبر قلت للايذان بوجوب الامتثال
وكأنه امتثل فهو يخبر عن ايمان وجهاد موجودين ونظيره قول الداعي غفر الله
لك ويغفر الله لك جعلت المغفرة لقوة الرجاء كأنها كانت ووجدت فان قلت هل
لقول الفراء انه جواب هل ادلكم وجه قلت وجهه ان متعلق الدلالة هو
التجارة والتجارة مفسرة بالايمان والجهاد فكأنه قيل هل تتجرون بالايمان و
الجهاد يغفر لكم فان قلت فما وجه قراءة زيد بن علي رضي الله عنهما تؤمنوا وتجاهدوا
قلت وجهها ان تكون على اضمار لام الامر كقوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا
ما خفت من امر تبالا وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم قالوا لو نعلم احب الاعمال
الى الله لعملناها فنزلت هذه الآية فمكثوا ما شاء الله يقولون ليتنا نعلم ما هي فدلهم
الله عليها بقوله تؤمنون وهذا دليل على ان تؤمنون كلام مستأنف وعلى

ان الامر الوارد على النفوس بعد تشوف وتطلع منها اليه اوقع فيها واقوى
من قبولها له مما فوجئت به ذلكم يعني ما ذكر من الايمان والجهاد خير لكم من
اموالكم وانفسكم فان قلت ما معنى قوله ان كنتم تعلمون قلت معناه ان كنتم تعلمون
انه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه احببتم الايمان و
الجهاد فوق ما تحبون انفسكم واموالكم فتخلصون وتفلحون واخرى تحبو
نها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله
كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار
الله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عد
وهم فاصبحوا ظاهرين واخرى تحبونها ولكم الى هذه النعمة المذكورة من
المغفرة والثواب في الآجلة نعمة اخرى عاجلة محبوبة اليكم ثم فسرها بقوله
نصر من الله وفتح قريب اي عاجل وهو فتح مكة وقال الحسن فتح فارس والروم
وفي تحبونها شيء من التوبيخ على محبة العاجل فان قلت علام عطف قوله و
بشر المؤمنين قلت على تؤمنون لانه في معنى الامر كانه قيل آمنوا وجاهدوا
يثبكم الله وينصركم وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك فان قلت لم نصب من قرا
نصرا من الله وفتحا قريبا قلت يجوز ان ينصب على الاختصاص او على تنصرون نصرا
ويفتح لكم فتحا او على يغفر لكم ويدخلكم جنات ويؤتكم اخرى نصرا وفتحا
كونوا انصار الله وانصارا لله وقرا ابن مسعود كونوا انتم انصار الله

وفيه

وفيه زيادة حث على النصرة عليهم فان قلت ما وجه صحة التشبيه وظاهره تشبيه
كونهم انصارا بقول عيسى من انصاري الى الله قلت التشبيه محمول
على المعنى وعليه يصح والمراد كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصار
عيسى حين قال لهم من انصاري الى الله فان قلت ما معنى قوله من انصاري
الى الله قلت يجب ان يكون معناه مطابقا لجواب الحواريين نحن انصار الله
والذي يطابقه ان يكون المعنى من جندي متوجها الى نصرة الله واضافة
انصاري خلاف اضافة انصار الله فان معنى نحن انصار الله نحن الذين
ينصرون الله ومعنى من انصاري من الانصار الذين يختصون بي ويكونون
معي في نصرة الله ولا يصح ان يكون معناه من ينصرني مع الله لانه لا
يطابق الجواب والدليل عليه قراءة من قرا من انصار الله والحواريون
اصفياؤه وهم اول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا وحواري
الرجل صفيه وخلصانه من الحور وهو البياض الخالص والحواري
الدرمك ومنه قوله عم الزبير ابن عمتي وحواريي من امتي وقيل
كانوا قصارين يحورون الثياب يبيضونها ونظير الحواري في زنته
الحوالي الكثير الحيلة فآمنت طائفة منهم بعيسى وكفرت به طائفة
فايدنا المؤمنين على الكافرين منهم فاصبحوا ظاهرين وعن زيد بن علي عنهم
كان ظهورهم بالحجة عن رسول الله صم من قرا سورة الصف كان

تعلمون وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً قل ما عند الله خير
من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين ثم اطلق لهم ما حظر عليهم
بعد قضاء الصلوة من الانتشار وابتغاء الربح مع التوصية بإكثار الذكر
وان لا يلهيهم شيء من تجارة ولا غيرها عنه وان يكون هممهم في جميع احوالهم
واوقاتهم موصولة به لا ينفضون عنه لان فلاحهم فيه وفوزهم منوط به
عن ابن عباس لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور
الجنائز وزيارة اخ في الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم
وقيل صلوة التطوع وعن بعض السلف انه كان يشغل نفسه بعد الجمعة
بشيء من امور الدنيا نظراً الى هذه الآية روي ان اهل المدينة اصابهم جوع
وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام و
النبي يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشوا ان يسبقوا اليه فما بقي
معه الا يسير قيل ثمانية واحد عشر واثنا عشر واربعون فقال صلى الله عليه وسلم
والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعاً لاضرم الله عليهم الوادي
ناراً وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو المراد باللهو
وعن قتادة فعلوا ذلك ثلث مرات في كل مقدم عير فان قلت فان انفض الناس
عن الامام في صلوة الجمعة كيف يصنع قلت ان بقي وحده او مع اقل من
ثلثة فعند ابي حنيفة يستأنف الظهر اذا نفروا عنه قبل الركوع وعند



صاحبيه اذا كبر وهم معه مضى فيها وعند زفر اذا نفروا قبل التشهد بطلت
قلت كيف قال اليها وقد ذكر شيئين قلت تقديره اذا رأوا تجارة انفضوا
اليها او لهواً انفضوا اليه فحذف احدهما لدلالة المذكور عليه وكذلك قراءة
من قرأ انفضوا اليه وقرئ اليهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرأ سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة وبعدد
من لم يأتها في امصار المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله و
الله يشهد ان المنافقين لكاذبون ارادوا بقولهم نشهد انك لرسول الله شهادة
واطأت فيها قلوبهم ألسنتهم فقال الله عز وجل قالوا ذلك والله يعلم ان الامر
كما يدل عليه قولهم انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون في قولهم نشهد
وادعائهم فيه المواطأة او انهم لكاذبون فيه لانه اذا خلا عن المواطأة لم يكن
شهادة في الحقيقة فهم كاذبون في تسميته شهادة او اراد والله يشهد انهم لكاذبون
عند انفسهم لانهم كانوا يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف
ما عليه حال المخبر عنه فان قلت اي فائدة في قوله والله يعلم انك لرسوله قلت لو
قال قالوا نشهد انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون لكان يوهم ان
قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله والله يعلم انك لرسوله ليميط هذا الايهام

ذلك

نا اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون
بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون اتخذوا ايمانهم
جنة يجوز ان يراد قولهم نشهد انك لرسول الله يمين من ايمانهم الكاذبة لان الشهادة
تجري مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد يقول الرجل اشهد واشهد بالله و
اعزم واعزم بالله في موضع اقسم واقسم وبه استشهد ابو حنيفة رضي الله عنه على ان اشهد
يمين ويجوز ان يكون وصفا للمنافقين في استجنانهم بالايمان وقرأ الحسن ايمانهم
اي ما اظهروه من الايمان بالسنتهم ويعضده قوله ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا
ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم الناس عن سبيل الله وفي ساء معنى التعجب
الذي هو تعظيم امرهم عند السامعين ذلك اشارة الى قوله ساء ما كانوا يعملون
اي ذلك القول الشاهد عليهم بانهم اسوء الناس اعمالا بسبب انهم آمنوا ثم كفروا
او الى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستجنان بالايمان اي ذلك كله بسبب
انهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فجسروا على كل عظيمة فان قلت المنافقون
لم يكونوا الا على الكفر الثابت الدائم فما معنى قوله آمنوا ثم كفروا قلت فيه ثلثة
اوجه احدها آمنوا اي نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل في
الاسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين بما اطلع عليه من قولهم
ان كان ما يقوله محمد حقا فنحن حمير وقولهم في غزوة تبوك ايطمع هذا
الرجل ان تفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات ونحوه قوله يحلفون بالله ما قا

لوا

ولقد



ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم اي وظهر كفرهم بعد ما اسلموا
ونحوه قوله لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم والثاني آمنوا اي نطقوا بالايمان
عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالاسلام كقوله واذا
لقوا الذين آمنوا الى قوله انما نحن مستهزءون والثالث ان يراد اهل الردة منهم
وقرئ فطبع على قلوبهم وقرأ زيد بن علي فطبع الله واذا رأيتهم
تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كانهم خشب مسندة يحسبون
كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله انى يؤفكون كان عبد الله
بن ابي رجلا جسيما صبيحا فصيحا ذلق اللسان وقوم من المنافقين في شكله
وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجلس رسول الله ص فيستندون فيه
ولهم جهارة المناظر وفصاحة الالسن فكان النبي ص ومن حضر يعجبون
بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم فان قلت ما معنى قوله كانهم خشب مسندة
قلت شبهوا في استنادهم وما هم الا اجرام خالية عن الايمان والخير بالخشب متعلق بشبهوا
المسندة الى الحائط ولان الخشب اذا انتفع به كان في سقف او جدار او غيرهما
من مظان الانتفاع وما دام متروكا فارغا غير منتفع به اسند الى الحائط فشبهوا
به في عدم الانتفاع ويجوز ان يراد بالخشب المسندة الاصنام المنحوتة من الخشب
المسندة الى الحيطان شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم والخطاب في
رأيتهم تعجبك لرسول الله ص او لكل من يخاطب وقرئ يسمع على البناء للمفعول

وموضع كأنهم خشب رفع على هم كأنهم خشب او هو كلام مستأنف لا محل
له وقرئ خشب جمع خشبة كبدنة وبدن وخشب كثمرة وثمر وخشب كمدرة
ومدر وهي في قراءة ابن عباس وعن اليزيدي انه قال في خشب جمع خشباء و
الخشباء الخشبة التي دعر جوفها شبهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم عليهم
ثاني مفعولي يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم لجبنهم وهلعهم
وما في قلوبهم من الرعب اذا نادى مناد في العسكر او انفلتت دابة او انشدت
ضالة ظنوه ايقاعا بهم وقيل كانوا على وجل من ان ينزل الله فيهم ما يهتك
استارهم ويبيح دماءهم واموالهم ومنه اخذ الاخطل وقال ما زلت تحسب
كل شيء بعدهم خيلا تكر عليهم ورجالا يوقف على عليهم ويبتدأ هم العدو
اي هم الكاملون في العداوة لان اعدى الاعداء العدو المداجي الذي يكاشرك
وتحت ضلوعه الداء الدوي فاحذرهم ولا تغترر بظاهرهم ويجوز ان
يكون هم العدو المفعول الثاني كما لو طرحت الضمير فان قلت فحقه ان
يقال هي العدو قلت منظور فيه الى الخبر كما ذكر في هذا ربي وان يقدر مضاف
محذوف على يحسبون كل اهل صيحة قاتلهم الله دعاء عليهم وطلب من ذاته ان
يلعنهم ويخزيهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك انى يؤفكون كيف
يعدلون عن الحق تعجبا من جهلهم وضلالتهم واذا قيل لهم تعالوا
يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون

سواء

سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله
لا يهدي القوم الفاسقين لووا رءوسهم عطفوها واما لوها اعراضا
عن ذلك واستكبارا قرئ بالتخفيف والتشديد للتكثير وروي ان رسول الله ص
حين لقي بني المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتل منهم ازدحم على
الماء جهجاه بن سعيد اجير لعمر يقود فرسه وسنان الجهني حليف
لعبد الله بن ابي واقتتلا فصرخ جهجاه بالمهاجرين ولطم سنانا فقال
عبد الله لجعال وانت هناك وقال ما صحبنا محمدا الا لنلطم والله ما مثلنا و
مثلهم الا كما قال سمن كلبك ياكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز
منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله ص ثم قال لقومه ماذا
فعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو امسكتم
عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولاوشكوا ان يتحولوا
عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن ارقم
وهو حدث فقال انت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد في عز
من الرحمن وقوة من المسلمين فقال عبد الله اسكت فانما كنت العب فاخبر
زيد رسول الله ص فقال عمر رضي الله عنه دعني اضرب عنق هذا المنافق يا رسول
قال اذن ترعد انف كثيرة بيثرب قال فان كرهت ان يقتله مهاجري فامر به انصاريا
فقال فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال ص لعبد الله انت

صاحب الكلام الذي بلغني قال والله الذي أنزل عليك الكتاب ما قلت
شيئا من ذلك وإن زيدا لكاذب فهو قوله تعالى اتخذوا أيمانهم جنة
فقال الحاضرون يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام عسى
أن يكون قد وهم وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لعلك غضبت عليه قال لا قال
فلعله أخطأ سمعك قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا فلما نزلت لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا
من خلفه فعرك أذنه وقال وفت أذنك يا غلام إن الله قد صدقك وكذب المنافقين
ولما أراد عبد الله أن يدخل المدينة اعترضه ابنه حباب وهو عبد الله بن عبد الله
غير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه فقال إن حبابا اسم شيطان وكان مخلصا وقال وراءك و
الله لا تدخلها حتى تقول رسول الله الأعز وأنا الأذل فلم يزل حبيسا في يده
حتى أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخليته وروي أنه قال له لئن لم تقر لله ورسوله
بالعز لأضربن عنقك فقال ويحك أفاعل أنت قال نعم فلما رأى منه الجد
قال أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنه
جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا فلما بان كذب عبد الله قيل
له قد نزلت فيك آي شداد فاذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك
فلوى رأسه ثم قال أمرتموني أن أومن فآمنت وأمرتموني أن أزكي مالي فزكيت
فما بقي إلا أن أسجد لمحمد فنزلت وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله
ولم يلبث إلا أياما قلائل حتى اشتكى ومات سواء عليهم الاستغفار وعدمه لا

أي جمع آية

لأنهم



لأنهم لا يلتفتون إليه ولا يعتدون به لكفرهم أو لأن الله لا يغفر لهم وقرئ استغفرت
على حذف حرف الاستفهام لأن أم المعادلة تدل عليه وقرأ أبو جعفر آستغفرت
إشباعا لهمزة الاستفهام لأنها المعادلة للإظهار والبيان لا قلبا لهمزة
الوصل ألفا كما في آلسحر وآلله هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول
الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون
يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة و
لرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ينفضوا يتفرقوا وقرئ
ينفضوا من أنفض القوم إذا فنيت أزوادهم وحقيقته حان لهم أن ينفضوا
مزاودهم ولله خزائن السموات والأرض وبيده الأرزاق والقسم فهو
رازقهم منها وإن أبى أهل المدينة أن ينفقوا عليهم ولكن عبد الله وأضرابه
جاهلون لا يفقهون ذلك فيهذون بما يزين لهم الشيطان وقرئ ليخرجن الأعز
منها الأذل بفتح الياء وليخرجن على البناء للمفعول وقرأ الحسن وابن أبي
عبلة لنخرجن بالنون ونصب الأعز والأذل ومعناه خروج الأذل أو إخراج
الأذل وهي العزة الغلبة والقوة ولمن أعزه الله وأيده من رسوله ومن
المؤمنين وهم الأخصاء بذلك كما أن المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين
والمنافقين وعن بعض الصالحات وكانت في هيئة رثة ألست على الإسلام وهو
العز الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه وعن الحسن

أو مثله

بن علي رضي الله عنهما أن رجلا قال له إن الناس يزعمون أن فيك تيها قال ليس بتيه
ولكنه عزة وتلا هذه الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم
عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾ لا تلهكم لا تشغلكم أموا
والتصرف فيها والسعي في تدبير أمرها والتهالك على طلب النماء فيها بالتجا
والاغتلال وابتغاء النتاج والتلذذ بها والاستمتاع بمنافعها ولا أولادكم
وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤونتهم وتسوية ما يصلحهم
معايشهم في حياتكم وبعد مماتكم وقد عرفتم قدر منفعة الأموال
والأولاد وأنه أهون شيء وأدونه في جنب ما عند الله عن ذكر الله وإيثاره
عليها ومن يفعل ذلك يريد الشغل بالدنيا عن الدين فأولئك هم الخاسرون
في تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وقيل ذكر الله
الصلوات الخمس وعن الحسن جميع الفرائض كأنه قال عن طاعة الله وقيل
القرآن وعن الكلبي الجهاد مع رسول الله عليه السلام ﴿وأنفقوا مما رزقناكم من قبل
أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق و
أكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملو
ن﴾ من في مما رزقناكم للتبعيض والمراد الإنفاق الواجب من قبل أن يأتي
أحدكم الموت من قبل أن يرى دلائل الموت ويعاين ما ييأس معه من الإ
مهال ويضيق به الخناق ويتعذر عليه الإنفاق ويفوت وقت القبول فيتحسر

على

على المنع ويعض أنامله على فقد ما كان متمكنا منه وعن ابن عباس تصدقوا قبل أن ينزل
عليكم سلطان الموت فلا يقبل توبة ولا ينفع عمل وعنه ما يمنع أحدكم إذا كان له
مال أن يزكي وإذا أطاق الحج أن يحج من قبل أن يأتيه الموت فيسأل ربه الكرة فلا يعطاها
وعنه أنها نزلت في مانعي الزكاة ووالله لو رأى خيرا لما سأل الرجعة
فقيل له أما تتقي الله يسأل المؤمنون الكرة قال نعم أنا أقرأ عليكم به قرآنا
يعني أنها نزلت في المؤمنين وهم المخاطبون بها وكذا عن الحسن ما من أحد
لم يزك ولم يصم ولم يحج إلا سأل الرجعة وعن عكرمة أنها نزلت في
أهل القبلة لولا أخرتني وقرئ أخرتني يريد هلا أخرت موتي إلى أجل
قريب إلى زمان قليل فأصدق فأتصدق وقرئ فأتصدق على الأصل وقرئ وأكن
عطفا على محل فأصدق كأنه قيل إن أخرتني أصدق وأكن ومن قرأ وأكون
أكون على النصب فعلى اللفظ وقرأ عبيد بن عمير وأكون على وأنا أكون
عدة منه بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا نفي للتأخير على وجه التأكيد الذي
معناه منافاة المنفعة الحكمة والمعنى أنكم إذا علمتم أن تأخير الموت عن وقته
من الأسباب له وأنه هاجم لا محالة وأن الله عليم بأعمالكم فمجاز عليها
من منع واجب وغيره لم يبق إلا المسارعة إلى الخروج عن عهدة الواجبات
والاستعداد للقاء الله وقرئ يعملون بالياء وعن رسول الله عليه السلام
من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء
قدير هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير قدم
الظرفان ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك لأن
الملك على الحقيقة له لأنه مبدئ كل شيء ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه
وكذلك الحمد لأن أصول النعم وفروعها منه وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء
وحمده اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن
يعني فمنكم آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالإيمان وفاعل له كقوله وجعلنا في ذريتهما
النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون والدليل عليه قوله والله بما
تعملون بصير أي عالم بكفركم وإيمانكم اللذين هما من عملكم والمعنى هو الذي تفضل
عليكم بأصل النعم الذي هو الخلق والإيجاد عن العدم فكان يجب أن تنظروا
النظر الصحيح وتكونوا بأجمعكم عبادا شاكرين فما فعلتم مع تمكنكم بل
تشعبتم شعبا وتفرقتم أمما فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقدم الكفر لأنه الأغلب
عليهم والأكثر فيهم وقيل هو الذي خلقكم فمنكم كافر بالخلق وهم الدهرية و
منكم مؤمن به فإن قلت نعم إن العباد هم الفاعلون للكفر ولكن قد سبق في علم
الحكيم أنه إذا خلقهم لم يفعلوا إلا الكفر ولم يختاروا غيره فما دعاه إلى خلقهم مع
علمه بما يكون منهم وهل خلق القبيح وخلق فاعل القبيح إلا واحد وهل مثله إلا

مثل



مثل من وهب سيفا باترا لمن شهر بقطع السبيل وقتل النفس المحرمة فقتل به مؤمنا
أما يطبق العقلاء على ذم الواهب وتعنيفه والدق في فروته كما يذمون القاتل
بل إنحاؤهم باللوائم على الواهب أشد قلت قد علمنا أن الله حكيم عالم بقبح القبيح
عالم بغناه عنه فقد علمنا أن أفعاله كلها حسنة وخلق فاعل القبيح فعله فوجب
أن يكون حسنا وأن يكون له وجه حسن وخفاء وجه الحسن علينا لا يقدح في حسنه كما
لا يقدح في حسن أكثر مخلوقاته جهلنا بداعي الحكمة إلى خلقها خلق السموات
والأرض وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير يعلم ما في السموات والأرض
ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور ألم يأتكم نبؤا الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم ذلك بأنه كانت
تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله
والله غني حميد بالحق بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وهو أن جعلها مقار
المكلفين ليعملوا فيجازيهم وصوركم وقرئ صوركم بالكسر لتشكروا وإليه المصير
فيجازيكم على الشكر وتركه فإن قلت كيف أحسن صورهم قلت جعلهم
أحسن الحيوان كله وأبهاه بدليل أن الإنسان لا يتمنى أن يكون صورته على خلاف
ما يرى من سائر الصور ومن حسن صورته أنه خلق منتصبا غير منكب كما
قال عز وجل في أحسن تقويم فإن قلت فكم من دميم مشوه الصورة سمج الخلقة
تقتحمه العيون قلت لا سماجة ثم ولكن الحسن كغيره من المعاني على طبقات ومراتب
فلانحطاط بعض الصور عن مراتب ما فوقها انحطاطا بينا وإضافتها إلى الموفى

عليها لا تستملح والا فهي داخلة في خير الحسن غير خارجة عن حده الا ترى انك قد
تعجب بصورة وتستملحها ولا ترى الدنيا بها ثم ترى املح واعلى في مراتب
الحسن فينبو عن الاولى طرفك وتستثقل النظر اليها بعد افتتانك بها وتهالكك
عليها وقالت الحكماء شيئان لا غاية لهما الجمال والبيان نبه بعلمه ما في السموات
والارض ثم بعلمه ما يسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه ذوات الصدور ان
شيئا من الكليات والجزئيات غير خاف عليه ولا عازب عنه فحقه ان يتقى ويحذر
ولا يجترأ على شيء مما يخالف رضاه وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد وكل ما
ذكره بعد قوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن كما ترى في معنى الوعيد على الكفر
وانكار ان يعصى الخالق ولا تشكر نعمته فما اجهل من يمزج الكفر بالخلق ويجعله
من جملته والخلق اعظم نعمة من الله على عباده والكفر اعظم كفران من العباد لر
بهم الم يأتكم الخطاب لكفار مكة وذلك اشارة الى ما ذكر من الوبال الذي ذا
قوه في الدنيا وما اعد لهم من العذاب في الآخرة بانه بان الشان والحديث كانت تأتيهم
رسلهم ابشر يهدوننا انكروا ان يكون الرسل بشرا ولم ينكروا ان يكون الله حجرا
واستغنى الله اطلق ليتناول كل شيء ومن جملته ايمانهم وطاعتهم فان قلت
قوله وتولوا واستغنى الله يوهم وجود التولي والاستغناء معا والله تعالى لم
يزل غنيا قلت معناه وظهر استغناء الله حيث لم يلجئهم الى الايمان ولم يضطرهم
اليه مع قدرته على ذلك زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن



ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا و
الله بما تعملون خبير يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن با
لله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب
النار خالدين فيها وبئس المصير الزعم ادعاء العلم ومنه قوله ص زعموا
مطية الكذب وعن شريح لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا ويتعدى الى المفعو
لين تعدي العلم قال ولم ازعمك عن ذاك معزلا وان مع ما في حيزه قائم مقامهما والذ
ين كفروا اهل مكة بلى اثبات لما بعد لن وهو البعث وذلك على الله يسير اي لا يصر
فه عنه صارف وعنى برسوله والنور محمدا ص والقرآن وقرئ نجمعكم ونكفر ون
دخله بالياء والنون فان قلت بم انتصب الظرف قلت بقوله لتنبؤن او بخبير
لما فيه من معنى الوعيد كانه قيل والله معاقبكم يوم يجمعكم او
باضمار اذكر ليوم الجمع ليوم يجمع فيه الاولون والآخرون والتغابن مستعار
من تغابن القوم في التجارة وهو ان يغبن بعضهم بعضا لنزول السعداء
منازل الاشقياء التي كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ونزول الاشقياء منازل
السعداء التي كانوا ينزلونها لو كانوا اشقياء وفيه تهكم بالاشقياء لان نزولهم ليس بغبن و
في حديث رسول الله ص ما من عبد يدخل الجنة الا ارى مقعده من النار لو
اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا ارى مقعده من الجنة لو

لواحد لينزل ادخره وسمي ذلك يوم التغابن وقد يتغابن الناس في
غير ذلك اليوم استعظاماً له وان تغابنهم هو التغابن في الحقيقة لا التغابن
في أمور الدنيا وان جلت وعظمت صالحاً للمقدر اي عملاً صالحاً ما أصاب
من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم واطيعوا
الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين الا باذن الله الا
بتقديره ومشيئته كأنه أذن للمصيبة أن تصيبه يهد قلبه يلطف به ويشرحه للازدياد
الطاعة والخير وقيل يهد للاسترجاع عند المصيبة وعن الضحاك يهد قلبه حتى
يعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه وعن مجاهد ان ابتلي
صبر وان اعطي شكر وان ظلم غفر وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول والقلب
مرفوع او منصوب ووجه النصب ان يكون مثل سفه نفسه اي يهد في قلبه ويجوز
ان يكون المعنى ان الكافر ضال عن قلبه بعيد منه والمؤمن واجد له مهتد اليه كقوله
لمن كان له قلب وقرئ نهد قلبه بالنون ويهدأ قلبه بالهمزة اي يسكن به
يطمئن ويهدو ويهدا على التخفيف والله بكل شيء عليم يعلم ما يؤثر فيه اللطف
من القلوب مما لا يؤثر فيه فيمنحه ويمنعه فان توليتم فلا عليه اذا توليتم لانه لم
يكتب عليه الاختيار انما كتب عليه ان يبلغ وقد بلغ حسبه الله لا اله الا هو
وعلى الله فليتوكل المؤمنون يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم
عدواً لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم



وعلى الله فليتوكل المؤمنون بعث لرسول الله على التوكل والتقوي به في امره
حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه ان من الازواج ازواجاً يعادين بعولتهن ويخاصمنهم
ويجلبن عليهم ومن الاولاد اولاداً يعادون آباءهم ويعقونهم ويجرعونهم الغصص
والأذى فاحذروهم الضمير للعدو او للازواج والاولاد جميعاً اي لما علمتم ان
هؤلاء لا يخلون من عدو فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشرهم وان
تعفوا عنهم اذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها فان الله يغفر لكم ذنو
بكم ويكفر عنكم وقيل ان ناساً ارادوا الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم واولا
دهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا
الذين سبقوهم قد تفقهوا في الدين ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم
فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم واموالكم فغضبوا
وقالوا لئن جمعنا الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير
فحثوا ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة وقيل ان عوف بن مالك الا
شجعي ذا اهل وولد فاذا اراد ان يغزو تعلقوا به وبكوا اليه ورققوه فكأنه
هم باذاهم فنزلت انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم فاتقوا الله
ما استطعتم واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيراً لانفسكم ومن يوق شح
نفسه فاولئك هم المفلحون ان تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم
والله شكور حليم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم فتنة بلاء ومحنة

لانهم يوقعون في الاثم والعقوبة ولا بلاء اعظم منهما ولذلك قال والله عنده اجر عظيم وفي الحديث يؤتى برجل يوم القيمة فيقال اكل عياله حسناته وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات وعن النبي عم انه كان يخطب في اذ جاء الحسن والحسين وعليهما قميصان احمران يعثران ويقومان فنزل اليهما فاخذهما ووضعهما في حجره على المنبر فقال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة رايت هذين الصبيين فلم اصبر عنهما ثم اخذ في خطبته وقيل اذا امكنكم الجهاد والهجرة فلا يفتننكم الميل الى الاموال والاولاد عنهما ما استطعتم جهدكم ووسعكم او ابذلوا فيه استطاعتكم واسمعوا ما توعظون به واطيعوا فيما تؤمرون به وتنهون عنه وانفقوا في الوجوه التي وجبت عليكم النفقة فيها خيرا لانفسكم نصب بمحذوف تقديره ايتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وانفع وهذا تاكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لان هذه الامور خير لانفسكم من الاموال والاولاد وما انتم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا وذكر القرض تلطف في الاستدعاء يضاعفه لكم بالواحدة عشرا او سبعمائة الى ما شاء من الزيادة وقرئ يضعفه شكور يجازيكم يفعل بكم ما يفعل المبالغ في الشكر على الثواب وكذلك حليم يفعل بكم ما يفعل من يحلم عن المسيء فلا يعاجلكم في العقاب مع كثرة ذنوبكم عن رسول الله عم من قرا سورة التغابن دفع

عنه

عنه موت الفجاءة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا خص النبي عم بالنداء وعم بالخطاب لان النبي امام امته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه وانه مدرة قومه ولسانهم والذي يصدرون عن رايه ولا يستبدون بامر دونه فكان هو وحده في حكم كلهم وسادا مسد جميعهم ومعنى اذا طلقتم النساء اذا اردتم تطليقهن وهممتم به على تنزيل المقبل على الامر المشارف له منزلة الشارع فيه كقوله عم من قتل قتيلا فله سلبه ومنه كان الماشي الى الصلوة والمنتظر لها في حكم المصلي فطلقوهن لعدتهن فطلقوهن مستقبلات لعدتهن كقولك اتيته لليلة بقيت من المحرم اي مستقبلا لها وفي قراءة رسول الله عم في قبل عدتهن واذا طلقت المراة في الطهر المتقدم للقرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان يطلقن في طهر لم يجامعن فيه ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا احسن الطلاق وادخله في السنة وابعده من الندم ويدل عليه ما روي عن ابرهيم النخعي ان اصحاب رسول الله عم كانوا يستحبون ان لا يطلقوا

ازواجهن للسنة الواحدة ثم لا يطلقها غير ذلك حتى تنقضي العدة وكان ابو
حنيفة يقول ان يطلق الرجل ثلثا في ثلثة اطهار وقال مالك بن انس لا اعرف طلاق
السنة الا واحدة وكان يكره الثلث مجموعة كانت او متفرقة واما ابو حنيفة
واصحابه فانما كرهوا ما زاد على الواحدة في طهر واحد فاما متفرقا في الاطهار
فلا لما روي عن النبي عم انه قال لابن عمر حين طلق امراته وهي حائض ما هكذا
امرك الله انما السنة ان يستقبل الطهر استقبالا وتطلقها لكل قرء تطليقة
وروي انه قال لعمر مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها حتى تحيض ثم تطهر ثم
ليطلقها ان شاء فتلك العدة التي امر الله ان تطلق لها النساء وعند الشافعي انه
لا بأس بارسال الثلث وقال لا اعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو
مباح فمالك يراعي في طلاق السنة الوحدة والوقت وابو حنيفة رحمه الله
يراعي التفريق والوقت والشافعي رحمه الله يراعي الوقت وحده فان قلت
فهل يقع الطلاق في الحيض ولو للسنة قلت نعم وهو اثم لما روي عن النبي عم
ان رجلا طلق امراته ثلثا بين يديه فقال اتلعبون بكتاب الله وانا بين اظهر
كم وفي حديث ابن عمر انه قال يا رسول الله ارايت لو طلقتها ثلثا فقال له اذن عصيت
وبانت منك امراتك وعن علي رضي الله عنه انه كان لا يؤتى برجل طلق امراته
ثلثا الا اوجعه ضربا واجاز ذلك عليه وعن سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين
ان من خالف السنة في الطلاق فاوقعه في حيض او ثلث لم يقع وشبهوه



بمن وكل غيره بطلاق السنة فخالف فان قلت كيف تطلق للسنة التي لا تحيض
لصغر او كبر او حمل وغير المدخول بها قلت الصغيرة والايسة والحامل
كلهن عند ابي حنيفة وابي يوسف يفرق عليهن الثلث في الاشهر وخالفهما
محمد وزفر في الحامل فقالا لا تطلق للسنة الا واحدة واما غير المدخول بها
فلا تطلق للسنة الا واحدة ولا يراعى الوقت فان قلت فهل يكره ان تطلق
المدخول بها واحدة باينة قلت اختلفت الرواية فيه عن اصحابنا والظاهر
الكراهة فان قلت قوله اذا طلقتم النساء عام يتناول المدخول بهن وغير
المدخول بهن من ذوات الاقراء والايسات والصغاير والحوامل فكيف صح
تخصيصه بذوات الاقراء المدخول بهن قلت لا عموم ثمه ولا خصوص ولكن
النساء اسم جنس للاناث من الانس وهذه الجنسية معنى قائم في كلهن وفي
بعضهن فجاز ان يراد بالنساء هذا وذاك فلما قيل فطلقوهن لعدتهن علم
انه اطلق على بعضهن وهن المدخول بهن من المعتدات بالحيض واحصوا العدة
واضبطوها بالحفظ واكملوها ثلثة اقراء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن
ولا تخرجوهن حتى تنقضي عدتهن من بيوتهن من مساكنهن التي يسكنها
قبل العدة وهي بيوت الازواج واضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث
السكنى فان قلت ما معنى الجمع بين اخراجهن وخروجهن قلت معنى الاخراج
ان لا تخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن او لحاجة لهم

الى المساكن وان لا ياذنوا لهن في الخروج اذ الاذن في ذلك ايضا انا بانا اذنهم
لا لانه لم يدفع اعتبار ولا تخرجن بانفسهن ان اردن ذلك الا ان ياتين بفاحشة
مبينة قرئ بفتح الياء وكسرها قيل الزنا يعني الا ان يزنين فيخرجن لاقامة
الحد عليهن وقيل الا ان يبذون على الزوج والنشوز يسقط حقهن في السكنى وقيل
الا ان يبذون فيحل اخراجهن لبذائهن ويؤيده قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم و
قيل خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة في نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا ان
يقلب قلبه من بغضها الى محبتها ومن الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق
الى الندم عليه فيراجعها والمعنى فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة
لعلكم ترغبون وتندمون فتراجعون فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف
او فارقوهن بمعروف واشهدوا ذوي عدل منكم واقيموا الشهادة لله
ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره
قد جعل الله لكل شيء قدرا فاذا بلغن اجلهن وهو آخر العدة وشا
رفته فانتم بالخيار ان شئتم فالرجعة والامساك بالمعروف والاحسان وان
شئتم فترك الرجعة والمفارقة واتقاء الضرار وهو ان يراجعها في آخر عدتها
ثم يطلقها تطويلا للعدة عليها وتعذيبا لها واشهدوا يعني عند الرجعة
والفرقة جميعا وهذا الاشهاد مندوب اليه عند ابي حنيفة رضي الله عنه كقوله

لعلكم صح



واشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعي رضي الله عنه هو واجب في الرجعة
مندوب اليه في الفرقة وقيل فائدة الاشهاد ان لا يقع بينهما التجاحد وان لا يتهم في
امساكها ولئلا يموت احدهما فيدعي الآخر ثبوت الزوجية ليرث منكم قال الحسن
من المسلمين وعن قتادة من احراركم واقيموا الشهادة لله لوجهه خالصا وذلك ان تقيموها لا
للمشهود له ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الاغراض سوى اقامة الحق ودفع
الظلم كقوله كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم ذلكم يعني
الحث على اقامة الشهادة لوجه الله ولاجل القيام بالقسط يوعظ به ومن يتق الله يجوز
ان يكون جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من اجراء امر الطلاق على السنة والمر
الاحسن والابعد من الندم ويكون المعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم
يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فاشهد يجعل الله له مخرجا مما في
شان الازواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه وينفس ويعطه
الخلاص ويرزقه من وجه لا يخطره بباله ولا يحتسبه او في المهر واداء الحقوق
والنفقات وقلة ماله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عمن طلق ثلاثا او الفا هل له من مخرج
فتلاها وعن ابن عباس انه سئل عن ذلك فقال لم تتق الله فلم يجعل لك مخرجا بانت
منك بثلاث والزيادة اثم في عنقك ويجوز ان يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر
قوله ذلكم يوعظ به يعني ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا
والآخرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات

الموعود من شدائد يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم اني لاعلم آية لو اخذ
الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروي ان عوف بن
الاشجعي اسر المشركون ابنا له يسمى سالما فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اسر ابني
وشكا اليه الفاقة فقال ما امسى عند آل محمد الا مد فاتق الله واصبر واكثر من قول
لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة
من الابل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت هذه الآية ان الله بالغ امره يبلغ
ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرئ بالغ امره بالاضافة وبالغ
امره بالرفع اي نافذ امره وقرأ المفضل بالغا امره على ان قوله قد جعل الله
خبر ان وبالغا حال قدرا تقديرا او توقيتا وهذا بيان لوجوب التوكل
على الله وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون الا
بتقديره وتوفيقه لم يبق الا التسليم للقدر والتوكل عليه واللائي يئسن
من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر واللائي لم يحضن واو
لات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا
ذلك امر الله انزله اليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا
روي ان ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الاقراء فما عدة اللائي لا تحيض فنزلت
فمعنى ان ارتبتم ان اشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن و
قيل ان ارتبتم في دم البالغات مبلغ الياس وقد قدروه بستين سنة

وبخمس

وبخمس وخمسين انه دم حيض او استحاضة فعدتهن ثلثة اشهر واذا كانت
هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها اولى بذلك واللائي لم يحضن هن الصغائر
والمعنى فعدتهن ثلثة اشهر فحذف لدلالة المذكور عليه واللفظ مطلق في اولات
الاحمال فاشتمل على المطلقات والمتوفى عنهن وكان ابن مسعود وابي وابو هريرة
وغيرهم لا يفرقون وعن علي وابن عباس عدة الحامل المتوفى عنها ابعد الاجلين و
عن عبد الله من شاء لاعنته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد التي في البقرة
بعشرين فهذا اللفظ مطلق في الحوامل وروت ام سلمة ان سبيعة الاسلمية
ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها قد
حللت فانكحي يجعل له من امره يسرا يسهل له من امره ويحلله من عقده بسبب
التقوى ذلك امر الله اشارة الى ما علم من حكم هؤلاء المعتدات والمعنى ومن يتق
في العمل بما انزل الله من هذه الاحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه مما ذكر
من الاسكان وترك الضرار والنفقة على الحوامل وايتاء اجر المرضعات وغير ذلك
استوجب تكفير السيئات والاجر العظيم اسكنوهن من حيث سكنتم
من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن
حتى يضعن حملهن فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له
اخرى اسكنوهن وما بعده بيان لما شرط من التقوى في قوله ومن يتق الله كأنه
قيل كيف نعمل بالتقوى في شان المعتدات فقيل اسكنوهن مكانا من حيث سكنتم

سكنتم ما هي قلت هي التبعيضية مبعضها محذوف معناه اسكنوهن مكانا من
حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم كقوله تعالى يغضوا من ابصارهم اي بعض
ابصارهم قال قتادة ان لم يكن الا بيت واحد فاسكنها في بعض جوانبه فان قلت
فقوله من وجدكم قلت هو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له كانه
قيل اسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد الوسع والطاقة وقرئ
بالحركات الثلث والسكنى والنفقة واجبتان للمطلقة وعند مالك والشافعي
رضي الله عنهما ليس للمبتوتة الا السكنى ولا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت
قيس ان زوجها ابت طلاقها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سكنى لك ولا نفقة وعن
عمر رضي الله عنه لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امراة لعلها نسيت او شبه
لها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها السكنى والنفقة ولا تضاروهن ولا تستعملوا
معهن الضرار لتضيقوا عليهن في المسكن ببعض الاسباب من انزال من لا
يوافقهن او يشغل مكانهن او غير ذلك حتى تضطروهن الى الخروج وقيل هو
ان يلجئها الى ان تفتدي منه فان قلت فاذا كانت كل مطلقة عندكم تجب لها النفقة
فما فائدة الشرط في قوله وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن قلت فائدته ان مدة
الحمل ربما طالت فظن ظان ان النفقة تسقط اذا مضى مقدار عدة الحائل فنفى
ذلك الوهم فان قلت فما تقول في الحامل المتوفى عنها قلت هي مختلف فيها فاكثر
هم على انه لا نفقة لها لوقوع الاجماع على ان من اجبر الرجل على النفقة عليه من امراة





او ولد صغير لا يجب ان ينفق عليه من ماله بعد موته فكذلك الحامل وعن علي وعبد
الله وجماعة انهم اوجبوا نفقتها فان ارضعن لكم يعني هؤلاء المطلقات ان ارضعن
لكم ولدا من غيرهن او منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية فآتوهن اجورهن في
ذلك حكم الاظآر ولا يجوز عند ابي حنيفة واصحابه الاستيجار اذا كان الولد منهن
ما لم يبن ويجوز عند الشافعي رضي الله عنه الائتمار بمعنى التآمر كالاشتوار بمعنى
التشاور يقال ائتمر القوم وتأمروا اذا امر بعضهم بعضا والمعنى وليأمر بعضكم
بعضا والخطاب للآباء والامهات بمعروف بجميل وهو المسامحة وان لا يماكس الاب
ولا تعاسر الام لانه ولدهما معا وهما شريكان فيه وفي وجوب الاشفاق عليه وان
تعاسرتم فسترضع له اخرى فستوجد ولا تعوز مرضعة غير الام ترضعه وفيه
طرف من معاتبة الام على المعاسرة كما تقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى
سيقضيها غيرك تريد لن تبقى غير مقضية وانت ملوم وقوله له اي للاب اي
الاب غير معاسرة ترضع له ولده ان عاسرته امه لينفق ذو سعة من سعته ومن
قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله
بعد عسر يسرا لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه
يريد ما امر به من الانفاق وقرئ لينفق بالنصب اي شرعنا ذلك لينفق وقرأ ابن ابي
عبلة قدر سيجعل الله موعد لفقراء ذلك الوقت بفتح ابواب الرزق عليهم او
لفقراء الازواج ان انفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا وكأين من قرية

عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا
فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا أعد الله لهم عذابا شديدا
فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا يتلو عليكم آيات الله
مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ومن يؤمن بالله
ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له
رزقا الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا
أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما عتت عن أمر ربها أعرضت
عنه على وجه العتو والعناد حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة عذابا نكرا
وقرئ نكرا منكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال
ويلقون من الخسر وجيء به على لفظ الماضي كقوله ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب
النار ونحو ذلك لأن المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى في الحقيقة وما هو كائن فكأن
قد كان وقوله أعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كأنه
قال أعد الله لهم هذا العذاب فليكن لكم ذلك يا أولي الألباب من المؤمنين لطفا في تقوى
الله وحذر عقابه ويجوز أن يراد إحصاء السيئات واستقصاؤها عليهم في الدنيا
وإثباتها في صحائف الحفظة وما أصيبوا به من العذاب في العاجل وأن يكون عتت
وما عطف عليه صفة للقرية وأعد الله لهم جوابا لكأين رسولا هو جبريل عليه السلام
أبدل من ذكرا لأنه وصف بتلاوة آيات الله فكان إنزاله في معنى إنزال الذكر فصح

إبداله

إبداله منه أو أريد بالذكر الشرف من قوله وإنه لذكر لك ولقومك فأبدل منه كأنه في
نفسه شرف إما لأنه شرف للمنزل عليه وإما لأنه ذو مجد وشرف عند الله كقوله عند ذي العرش
مكين أو جعل لكثرة ذكره لله وعبادته كأنه ذكر أو أريد به ذا ذكر أي ملكا مذكورا في
السماوات وفي الأمم كلها أو دل قوله أنزل الله إليكم ذكرا على أرسل فكأنه قيل أرسل رسولا
أو أعمل ذكرا في رسولا إعمال المصدر في المفاعيل أي أنزل الله إليكم أن ذكر رسولا أو ذكره
رسولا وقرئ رسول على هو رسول ليخرج الذين آمنوا بعد إنزاله أي ليحصل
لهم ما هم عليه الساعة من الإيمان والعمل الصالح لأنهم كانوا وقت إنزاله غير مؤمنين
وإنما آمنوا بعد الإنزال والتبليغ أو ليخرج الذين علم منهم أنهم يؤمنون وقرئ
ندخله بالياء والنون قد أحسن الله له رزقا فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق
المؤمنين من الثواب الله الذي خلق مبتدأ وخبر وقرئ مثلهن بالنصب عطفا
على سبع سماوات وبالرفع على الابتداء وخبره من الأرض قيل ما في القرآن آية
تدل على أن الأرضين سبع إلا هذه وقيل بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وغلظ
كل سماء كذلك والأرضون مثل السماوات يتنزل الأمر بينهن أي يجري أمر الله و
حكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن وعن قتادة في كل سماء وفي كل أرض خلق من خلقه
وأمر من أمره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرئ
ينزل الأمر وعن ابن عباس أن نافع بن الأزرق سأله هل تحت الأرضين خلق قال
نعم قال فما الخلق قال إما ملائكة أو جن لتعلموا قرئ بالياء والتاء عن رسول الله صلعم

مدنية وهي سورة التحريم [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم
قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم روي أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عائشة رضي الله عنها وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمي
علي وقد حرمت مارية على نفسي وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدي أمر أمتي
فأخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فأرضاها بذلك
واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة
في بيت مارية وروي أن عمر رضي الله عنه قال لها لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك
فنزل جبريل عليه السلام وقال راجعها فإنها صوامة قوامة وإنها لمن نسائك في الجنة
وروي أنه شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة
وحفصة فقالتا له إنا نشم منك ريح المغافير وكان يكره رسول الله صلى الله عليه وسلم التفل
فحرم العسل فمعناه لم تحرم ما أحل الله لك من ملك اليمين أو من العسل
تبتغي إما تفسير لتحرم أو حال أو استئناف وكان هذا زلة منه لأنه ليس
لأحد أن يحرم ما أحل الله لأن الله عز وجل إنما أحل ما أحل لحكمة ومصلحة
عرفها في إحلاله فإذا حرم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة والله غفور
قد غفر لك ما زللت فيه رحيم قد رحمك فلم يؤاخذك به قد فرض الله

الله لكم تحلة أيمانكم فيه معنيان أحدهما قد شرع الله لكم الاستثناء في أيمانكم من قولك
حلل فلان في يمينه إذا استثنى فيها ومنه حلا أبيت اللعن بمعنى استثن في يمينك
إذا أطلقها وذلك أن يقول إن شاء الله عقيبها حتى لا يحنث والثاني قد شرع لكم
تحليلها بالكفارة ومنه قوله عليه السلام لا يموت لرجل ثلاثة أولاد فتمسه النار إلا تحلة
القسم وقول ذي الرمة قليلا كتحليل الألى فإن قلت ما حكم تحريم الحلال قلت
قد اختلف فيه فأبو حنيفة يراه يمينا في كل شيء ويعتبر الانتفاع المقصود فيما
يحرمه فإذا حرم طعاما فقد حلف على أكله أو أمة فعلى وطئها أو زوجة فعلى
الإيلاء منها إذا لم يكن له نية وإن نوى الظهار فظهار وإن نوى الطلاق
فطلاق بائن وكذلك إن نوى ثنتين وإن نوى ثلاثا فكما نوى وإن قال نويت الكذب
دين فيما بينه وبين الله ولا يدين في القضاء بإبطال الإيلاء وإن قال كل حلال
علي حرام فعلى الطعام والشراب إذا لم ينو وإلا فعلى ما نوى ولا يراه الشافعي
يمينا ولكن سببا في الكفارة في النساء وحدهن وإن نوى الطلاق فهو
رجعي عنده وعن أبي بكر وعمر وابن عباس وابن مسعود وزيد رضي الله
عنهم أن الحرام يمين وعن عمر إذا نوى الطلاق فرجعي وعن علي رضي الله عنه
ثلاث وعن زيد واحدة بائنة وعن عثمان رضي الله عنه ظهار وكان مسروق لا
يراه شيئا ويقول ما أبالي أحرمتها أم قصعة من ثريد وكذلك عن الشعبي
قال ليس بشيء محتجا بقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال

نعل

وهذا احراه وقوله لم لا تحرم ببيان ما احل الله لكم وماله تحريم ما احل الله عليه
لاحد ان يحرمه ولان يفيد تحريمه حراما وانه ثبت عن رسول الله ص انه
قال لما احله الله هو حرام علي وانما امتنع من مارية ليمين تقدمت منه و
هو قوله والله لا اقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرم ما احل الله لك اي لم تمتنع
منه بسبب اليمين يعني اقدم على ما حلفت عليه وكفر يمينك ونحوه قوله
وحرمنا عليه المراضع اي منعناه منها وظاهر قوله قد فرض الله لكم تحلة
ايمانكم انه كانت منه يمين فان قلت هل كفر رسول الله ص لذلك قلت عن
الحسن انه لم يكفر لانه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وانما هو
تعليم للمؤمنين وعن مقاتل ان رسول الله ص اعتق رقبة في تحريم مارية و
الله مولاكم سيدكم ومتولي اموركم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم فلا
يامركم ولا ينهاكم الا بما توجبه الحكمة وقيل مولاكم اولى بكم من انفسكم فكانت
نصيحته انفع لكم من نصائحكم لانفسكم واذ اسر النبي الى بعض ازواجه
حديثا فلما نبأت به واظهره الله عليه عرف بعضه واعرض عن بعض فلما
نبأها به قالت من انباك هذا قال نبأني العليم الخبير ان تتوبا الى الله فقد
صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح
المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير بعض ازواجه حفصة واي
الذي اسر اليها حديث مارية وامامة الشيخين نبأت به افشته الى عا

يشة



الا جعله الله خالصا لوجهه

عايشة ومعنى نبأت به افشته واظهره واطلع النبي ص على الحديث على افشائه
على لسان جبريل وقيل اظهر الله الحديث على النبي ص من الظهور عرف بعضه
اعلم ببعض الحديث تكرما قال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام وقرئ
عرف بعضه جازى عليه من قولك للمسيء لاعرفن لك ذلك وقد عرفت ما صنعت
ومنه اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم وهو كثير في القرآن وكان جزاؤه
تطليقه اياها وقيل المعرف حديث الامامة والمعرض عنه حديث مارية وروي
انه قال لها الم اقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا
بالكرامة التي خص الله بها اباها فان قلت هلا قيل فلما نبأت به بعضهن و
عرفها بعضه قلت ليس الغرض بيان من المذاع اليه ومن المعرف وانما هو
ذكر جناية حفصة في وجود الانباء به وافشائه من قبلها وان رسول الله ص
بكرمه وحلمه لم يوجد منه الا الاعلام ببعضه وهو حديث الامامة الا ترى
انه لما كان المقصود في قوله فلما نباها به قالت من انباك هذا ذكر المنبأ كيف
اتى بضميره ان تتوبا خطاب لحفصة وعايشة على طريقة الالتفات ليكون ابلغ في
معاتبتهما وعن ابن عباس لم ازل حريصا على ان اسال عمر عنهما حتى حج وحججت
معه فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالاداوة فسكبت الماء
على يده فتوضأ فقلت من هما فقال عجبا يا ابن عباس كانه كره ما سالته عنه ثم
قال هما حفصة وعايشة فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب

التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حب ما
يحبه وكراهة ما يكرهه وقرأ ابن مسعود فقد زاغت وان تظاهرا عليه
وان تعاونا عليه بما يسوءه من الافراط في الغيرة وافشاء سره فلن يعدم هو
من يظاهره وكيف يعدم المظاهر من الله مولاه اي وليه وناصره وزيادة هو
ايذان بان نصرته عزيمة من عزائمه وانه يتولى ذلك بذاته وجبريل رأس الكروبيين
وقرن ذكره بذكره مفردا له من الملائكة تعظيما له واظهارا لمكانته عنده
وصالح المؤمنين ومن صلح من المؤمنين يعني كل من آمن وعمل صالحا وعن سعيد بن
جبير من برئ منهم من النفاق وقيل الانبياء وقيل الصحابة وقيل الخلفاء منهم فان قلت
صالح المؤمنين واحد ام جمع قلت هو واحد اريد به الجمع كقولك لا يفعل
هذا الصالح من الناس تريد الجنس كقولك لا يفعله من صلح منهم ومثله قولك كنت
في السامر والحاضر ويجوز ان يكون اصله صالحوا المؤمنين بالواو فكتب بغير واو
على اللفظ لان لفظ الواحد والجمع واحد فيه كما جاءت اشياء في المصحف متبوع
فيها حكم اللفظ دون وضع الخط والملائكة على تكاثر عددهم وامتلاء السموات
من جموعهم بعد ذلك بعد نصرة الله وناموسه وصالح المؤمنين ظهير فوج مظاهر
له كانهم يد واحدة على من يعاديه فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء
ظهراؤه فان قلت قوله بعد ذلك تعظيم للملائكة ومظاهرتهم وقد تقدمت
نصرة الله وجبريل وصالح المؤمنين ونصرة الله اعظم واعظم قلت مظاهرة الملا

ئكة من جملة نصرة الله فكأنه فضل نصرته بهم وبمظاهرتهم على غيرها من وجوه نصرته
لفضلهم على جميع خلقه وقرئ تظاهرا وتتظاهرا وتظهرا عسى ربه
ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عا
بدات سائحات ثيبات وابكارا وقرئ يبدله بالتخفيف والتشديد للكثرة
مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات سائحات صائمات وقرئ سيحات وهي ابلغ
وقيل للصائم سائح لان السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا الى ان يجد ما يطعمه
فشبه به الصائم في امساكه الى ان يجيء وقت افطاره وقيل سائحات مهاجرات وعن
زيد بن اسلم لم تكن في هذه الامة سياحة الا الهجرة فان قلت كيف يكون المبد
لات خيرا منهن ولم تكن على وجه الارض نساء خير من امهات المؤمنين قلت
اذا طلقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعصيانهن له وايذائهن اياه لم يبقين على تلك
الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الاوصاف مع الطاعة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم والنزول على هواه ورضاه خيرا منهن وقد عرض بذلك في قوله قانتات
لان القنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة الله في طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قلت
لم اخليت الصفات كلها عن العاطف ووسط بين الثيبات والابكار قلت
لانهما صفتان متنافيتان لا يجتمعن فيهما اجتماعهن في سائر الصفات فلم يكن
بد من الواو يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس
والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون

كما يؤمرون يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون
قوا أنفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات وأهليكم بأن تأخذوهم بما تأخذون به
أنفسكم وفي الحديث رحم الله رجلا قال يا أهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم
جيرانكم لعل الله يجمعكم معهم في الجنة وقيل إن أشد الناس عذابا يوم القيمة من جهل
أهله وقرئ وأهلوكم عطفا على واو قوا وحسن العطف للفاصل فإن قلت
أليس التقدير قوا أنفسكم وليق أهلوكم أنفسهم قلت لا ولكن المعطوف مقارن
في التقدير للواو وأنفسكم واقع بعده فكأنه قيل قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم لما جمعت مع المخاطب
الغائب غلبته عليه فجعلت ضميرهما معا على لفظ المخاطب نارا وقودها الناس والحجارة نوعا
من النار لا تتقد إلا بالناس والحجارة كما يتقد غيرها من النيران بالحطب وعن ابن عباس رضي الله عنهما
هي حجارة الكبريت وهي أشد الأشياء حرا إذا أوقد عليها وقرئ وقودها بالضم أي ذو وقودها
عليها يلي أمرها وتعذيب أهلها ملائكة يعني الزبانية التسعة عشر وأعوانهم غلاظ
شداد في أجرامهم غلظة وشدة أي جفاء وقوة أو في أفعالهم جفاء وخشونة لا تأخذهم رأفة
في تنفيذ أوامر الله والغضب له والانتقام من أعدائه ما أمرهم في محل النصب على
البدل أي لا يعصون ما أمر الله أي أمره كقوله أفعصيت أمري أو لا يعصونه فيما أمرهم فإن قلت
أليست الجملتان في معنى واحد قلت لا فإن معنى الأولى أنهم يتقبلون أوامره ويلتزمونها ولا
يأبونها ولا ينكرونها ومعنى الثانية أنهم يؤدون ما يؤمرون به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون
فيه فإن قلت قد خاطب الله المشركين المكذبين بالوحي بهذا بعينه في قوله فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا

النار التي وقودها الناس والحجارة وقال أعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين
فما معنى مخاطبته به المؤمنين قلت الفساق وإن كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فإنهم مؤمنون
مساكنون الكفار في دار واحدة فقيل للذين آمنوا قوا أنفسكم باجتناب الفسوق مساكنة
الذين أعدت لهم هذه النار الموصوفة ويجوز أن يأمرهم بالتوقي من الارتداد والندم
على الدخول في الإسلام وأن يكون خطابا للذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون ويعضد
ذلك قوله على أثره يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون أي
يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا تعتذروا لأنه لا عذر لكم أو لأنه لا ينفعكم الاعتذار
يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم
جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين
أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير
توبة نصوحا وصفت التوبة بالنصح على الإسناد المجازي والنصح صفة التائبين وهو أن
ينصحوا بالتوبة أنفسهم فيأتوا بها على طريقها متداركة للفرطات ماحية للسيئات وذلك
أن يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين أشد الاغتمام لارتكابها عازمين على
أنهم لا يعودون في قبيح من القبائح إلى أن يعود اللبن في الضرع موطنين أنفسهم على ذلك
وعن علي رضي الله عنه أنه سمع أعرابيا يقول اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك فقال يا هذا
إن سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال وما التوبة قال يجمعها ستة أشياء على الماضي
من الذنوب الندامة وللفرائض الإعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وأن تعزم على

ان لا تعودوا ان تذنب تتسلى في طاعة الله كما ربيتها في المعصية وان تذيقها مرارة الطاعات
كما اذقتها حلاوة المعاصي وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر ان يتوب عن الذنب
ثم يعود فيه وعن شهر بن حوشب ان لا يعود ولو حز بالسيوف واحرق بالنار وعن ابن
السماك ان تنصب الذنب الذي اقللت فيه الحياء من الله امام عينيك وتستعد لمنتظرك
وقيل توبة لا يتاب منها وعن السدي لا تصح التوبة الا بنصيحة النفس والمؤمنين لان
من صدق توبته احب ان يكون الناس مثله وقيل نصوحا من نصاحة الثوب اي توبة ترفو خرقك
في دينك وترم خللك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع
ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس اي تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها في صاحبها
واستعماله الجد والعزيمة في العمل على مقتضياتها وقرأ زيد بن علي توبة نصوحا وفي نصوح
بالضم وهو مصدر نصح والنصح والنصوح كالشكر والشكور والكفر والكفور اي ذات
نصوح او تنصح نصوحا او توبوا النصح انفسكم على انه مفعول له عسى ربكم اطماع من
الله لعباده واحدهما ان يكون على ما جرت به عادة الجبابرة من الاجابة بعسى ولعل ووقوع
ذلك منهم موقع القطع والبت والثاني ان يجيء به تعليما للعباد وجوب الترجح بين
الخوف والرجاء والذي يدل على المعنى الاول وانه في معنى البت قراءة ابن ابي عبلة
ويدخلكم بالجزم عطفا على محل عسى ان يكفر كانه قيل توبوا يوجب تكفير سيئاتكم و
يدخلكم يوم لا يخزي الله النبي تعريض بمن اخزاهم الله من
اهل الكفر والفسوق واستحماد الى المؤمنين على انه عصمهم من مثل حالهم يسعى نورهم

على الصراط اتمم لنا نورنا قال ابن عباس يقولون ذلك اذا انطفأ نور المنافقين اشفاقا
وعن الحسن الله متمه لهم ولكنهم يدعون تقربا الى الله كقوله واستغفر لذنبك
وهو مغفور له وقيل يقوله ادناهم منزلة لانهم يعطون من النور قدر ما يبصرون به مواطئ
اقدامهم لان النور على قدر الاعمال فيسألون اتمامه تفضلا وقيل السابقون الى
الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم حبوا وزحفا فاولئك الذين يقولون ربنا اتمم لنا
نورنا فان قلت كيف يشفقون والمؤمنون آمنون ام كيف يقترحون ... ولا خوف
عليهم ولا يحزنهم الفزع الاكبر او كيف يتقربون وليست الدار دار تقرب قلت
اما الاشفاق فيجوز ان يكون على عادة البشرية وان كانوا معتقدين الامن واما التقرب
فلما كانت حالهم كحال المتقربين حيث يطلبون ما هو حاصل لهم من الرحمة سماه
تقربا يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس
المصير ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من
عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين
جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالاحتجاج واستعمل الغلظة والخشونة على
الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة وعن قتادة مجاهدة المنافقين
باقامة الحدود عليهم وعن مجاهد بالوعيد وقيل بافشاء اسرارهم مثل الله
حال الكفار في انهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم من غير
ابقاء ولا محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم من لحمة نسب او
وبينهم

صهر لان عداوتهم لهم وكفرهم بالله ورسوله قطع العلائق وبت الوصل و
جعلهم ابعد من الاجانب وابعد وان كان المؤمن الذي يتصل به الكافر نبيا من
انبياء الله بحال امراة نوح وامراة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين لم يغن
الرسولان عنهما بحق ما بينهما وبينهما من وصلة الزواج اغناء ما من عذاب الله و
قيل لهما عند موتهما او يوم القيمة ادخلا مع ساير الداخلين الذين لا
وصلة بينهم وبين الانبياء او مع داخليها من اخوانكما من قوم نوح وقوم
لوط ومثل حال المؤمنين في ان وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيئا من ثوابهم
وزلفاهم عند الله بحال امراة فرعون ومنزلتها عند الله مع كونها زوجة اعدى
اعداء الله الناطق بالكلمة العظمى ومريم ابنة عمران وما اوتيت من كرامة الد
والاخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع ان قومها كانوا كفارا وفي طي هذين
التمثيلين تعريض بامي المؤمنين المذكورتين في اول السورة وما فرط منهما من
التظاهر على رسول الله ع م بما كرهه وتحذير لهما على اغلظ وجه لما في التمثيل
من ذكر الكفر ونحوه في التغليظ قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين واشارة
الى ان من حقهما ان تكونا في الاخلاص والكمال فيه كمثل هاتين المؤمنتين وان لا
تتكلا على انهما زوجا رسول الله ع م فان ذلك الفضل لا ينفعهما الا مع كو
نهما مخلصتين والتعريض بحفصة ارجح لان امراة لوط افشت عليه كما افشت
حفصة على رسول الله ع م واسرار التنزيل ورموزه في كل باب بالغة من اللطف والخفاء

حدا

[margin: النار — اعداء جمع — واشده]



حدا يدق عن تفطن العالم ويزل عن تبصره فان قلت ما فائدة قوله من عبادنا
قلت لما كان مبنى التمثيل على وجود الصلاح في الانسان كيفما كان وانه وحده هو الذي يبلغ
به الفوز وينال ما عند الله قال عبدين من عبادنا صالحين فذكر النبيين المشهورين
العلمين بانهما عبدان لم يكونا الا كساير عبادنا من غير تفاوت بينهما وبينهم الا بالصلاح وحده
اظهارا وابانة لان عبدا من العباد لا يرجح عنده الا بالصلاح لا غير وان ما سواه
مما يرجح به الناس عند الناس ليس بسبب للرجحان عنده فان قلت ما كانت خيانتهما
قلت نفاقهما وابطانهما الكفر وتظاهرهما على الرسولين فامراة نوح قالت لقومه انه مجنون
وامراة لوط دلت على ضيفانه ولا يجوز ان يراد بالخيانة الفجور لانه سمج في الطباع
نقيصة عند كل احد بخلاف الكفر فان الكفار لا يستسمجونه ويسمونه حقا وعن ابن
عباس رضي الله عنهما ما بغت امراة نبي قط وضرب الله مثلا للذين آمنوا امراة
فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله من القوم
الظالمين وامراة فرعون آسية بنت مزاحم وقيل هي عمة موسى ع م آمنت
حين سمعت      عصا موسى ع م الافك فعذبها فرعون عن ابي هريرة
ان فرعون وتد امراته باربعة اوتاد واستقبل بها الشمس واضجعها على ظهرها
ووضع رحى على صدرها وقيل امر بان تلقى عليها صخرة عظيمة فدعت الله فرقى
بروحها فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه وعن الحسن فنجاها الله اكرم
نجاة فرفعها الى الجنة فهي تاكل وتشرب وتتنعم فيها وقيل لما قالت رب ابن لي

[margin: وتظاهرهما — بل يستحسنونه — ونجني]

عندك بيتا في الجنة ارادت بيتها في الجنة ثمة وقيل انه من درة وقيل كانت
تعذب في الشمس فتظلها الملائكة فان قلت ما معنى الجمع بين عندك وفي الجنة
قلت طلبت القرب من رحمة الله والبعد من عذاب اعدائه ثم بينت مكان القرب
بقولها في الجنة او ارادت ارتفاع الدرجة في الجنة وان يكون جنتها من الجنا
التي هي اقرب الى العرش وهي جنة المأوى فعبرت عن القرب الى العرش بقو
عندك من فرعون وعمله من عمل فرعون او من نفس فرعون الخبيثة و
سلطانه الغشوم وخصوصا من عمله وهو الكفر وعبادة الاصنام والظلم
والتعذيب بغير جرم ونجني من القوم الظالمين من القبط كلهم وفيه
دليل على ان الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسألة الخلاص منه عند المحن والنوازل
من سير الصالحين وسنن الانبياء والمرسلين ربنا افتح بيننا وبين قومنا ونجني
ومن معي من المؤمنين ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ومريم
ابنت عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات
ربها وكتبه وكانت من القانتين وقرئ في فرجها وقرأ ابن مسعود فيها للجملة
سورة الانبياء والقصص كما قرئ وقد مر لي في هذا الظرف كلام ومن
بدع التفاسير ان الفرج هو جيب الدرع ومعنى احصنته منعته جبريل وانه
جمع في التمثيل بين التي لها زوج والتي لا زوج لها تسلية للارامل وتطييبا
لانفسهن وصدقت قرئ بالتشديد وبالتخفيف على انها جعلت الكلمات والكتب

صادقة

صادقة يعني وصفتها بالصدق وهو معنى التصديق بعينه فان قلت فما كلمات الله
وكتبه قلت يجوز ان يراد بكلماته صحفه التي انزلها على ادريس وغيره سماها كلمات
لقصرها وبكتبه الكتب الاربعة وان يراد جميع ما كلم الله به ملائكته وغيرهم وجميع
ما كتبه في اللوح وغيره وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى وبالكتاب المنزل عليه وهو
الانجيل فان قلت لم قيل من القانتين على التذكير قلت لان القنوت صفة تشمل من
قنت من القبيلين فغلب ذكورهم على اناثهم ومن للتبعيض ويجوز ان يكون لابتداء
الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب هرون اخي موسى صلوات الله
وعن النبي صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت
مزاحم امراة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد
وفضل عائشة كفضل الثريد على سائر الطعام واما ما روي ان عائشة سالت
رسول الله كيف سمى الله المسلمة بعينها ولم يسم الكافرة فقال بغضا
لها قالت وما اسمها قال اسم امراة نوح واعلة واسم امراة لوط واهلة فلعله حديث اثر الصنعة
عليه لائحة ولقد سمى الله جماعة من الكفار باسمائهم وكناهم ولو كانت
للحب وتركها للبغض لسمى آسية وقد قرن بينها وبين مريم في التمثيل للمو
ابى الله الا ان يجعل للمغموص عليه امارة تنم عليه وحكاية رسول الله عن احكم الحاكمين
ذلك عن رسول الله من قرأ سورة التحريم اتاه الله توبة نصوحا

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك
الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم
أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور تبارك تعالى وتعاظم عن
المخلوقين الذي بيده الملك على كل موجود وهو على كل ما لم يوجد مما يدخل
تحت القدرة قدير وذكر اليد مجاز عن الإحاطة بالملك والاستيلاء
عليه والحيوة ما يصح بوجوده الإحساس وقيل ما يوجب كون
الشيء حيا وهو الذي يصح منه أن يعلم ويقدر والموت عدم ذلك فيه ومعنى
خلق الموت والحيوة إيجاد ذلك المصحح وإعدامه والمعنى خلق موتكم و
حيوتكم أيها المكلفون ليبلوكم وسمى علم الواقع منهم باختيارهم بلوى و
هي الخبرة استعارة من فعل المختبر فإن قلت من أين تعلق قوله أيكم أحسن
عملا بفعل البلوى قلت من حيث إنه تضمن معنى العلم فكأنه قيل ليعلمكم
أيكم أحسن عملا وإذا قلت علمته أزيد أحسن عملا أم هو كانت هذه
الجملة واقعة موقع الثاني من مفعوليه كما تقول علمته هو أحسن عملا فإن
قلت أتسمي هذا تعليقا قلت لا إنما التعليق أن توقع بعده ما يسد
مسد المفعولين جميعا كقولك علمت أيهما عمرو وعلمت أزيد منطلق ألا
ترى أنه لا فصل بعد سبق أحد المفعولين بين أن يقع ما بعده مصدرا بحرف
الاستفهام وغير مصدر به ولو كان تعليقا لافترقت الحالتان كما افترقتا في قولك علمت

أزيد

أزيد منطلق وعلمت زيدا منطلقا أحسن عملا قيل أخلصه وأصوبه لأنه إذا
كان خالصا غير صواب لم يقبل وكذلك إذا كان صوابا غير خالص فالخالص أن يكون لوجه الله
والصواب أن يكون على السنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تلاها فلما بلغ قوله أيكم أحسن عملا قال أيكم أحسن عقلا
وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله يعني أيكم أتم عقلا عن الله وفهما لأ
غراضه والمراد أنه أعطاكم الحيوة التي تقدرون بها على العمل وتستمكنون منه وسلط
عليكم الموت الذي هو داعيكم إلى اختيار العمل الحسن على القبيح لأن وراءه البعث والجزاء
الذي لا بد منه وقدم الموت على الحيوة لأن أقوى الناس داعيا إلى العمل من نصب موته
بين عينيه فقدم لأنه فيما يرجع إلى الغرض المسوق له الآية أهم وهو العزيز الغالب
الذي لا يعجزه من أساء العمل الغفور لمن تاب من أهل الإساءة الذي خلق سبع سموات
طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع
البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير طباقا مطابقة بعضها فوق
بعض من طابق النعل إذا خصفها طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر أو على
ذات طباق أو على طوبقت طباقا من تفاوت وقرئ من تفوت ومعنى البنائين
واحد كقولهم تظاهروا من نسائهم وتظهروا وتعاهدته وتعهدته أي من اختلاف
واضطراب في الخلقة ولا تناقض إنما هي مستوية مستقيمة وحقيقة التفاوت عدم
التناسب كأن بعض الشيء يفوت بعضا ولا يلائمه ومنه قولهم خلق متفاوت وفي نقيضه
متناصف فإن قلت كيف موقع هذه الجملة مما قبلها قلت هي صفة مشايعة لقوله

لقوله طباقا واصلها ما ترى فيهن من تفاوت فوضع مكان الضمير قوله خلق الر
حمن تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو انه خلق
الرحمن وانه بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب والخطاب
في ما ترى للرسول او لكل مخاطب وقوله فارجع البصر متعلق به على معنى التسبيب
اخبره بانه لا تفاوت في خلقهن ثم قال فارجع البصر حتى يصح عندك ما
اخبرت به بالمعاينة ولا تبقى معك شبهة فيه هل ترى من فطور من صدوع
وشقوق جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ومنه فطر ناب البعير
كما يقال شق وبزل ومعناه شق اللحم فطلع وامره بتكرير البصر فيهن متصفحا
ومتتبعا يلتمس عيبا وخللا ينقلب اليك اي ان رجعت البصر وكررت
النظر لم يرجع اليك بصرك بما التمسته من رؤية الخلل وادراك العيب بل يرجع
اليك بالخسوء والحسور اي بالبعد عن اصابة الملتمس كانه يطرد عن ذلك طردا
بالصغار والقماءة وبالاعياء والكلال لطول الاجالة والترديد فان قلت كيف
ينقلب البصر خاسئا حسيرا برجعه كرتين اثنتين قلت معنى التثنية
التكرير بكثرة كقولهم لبيك وسعديك يريد اجابات كثيرة بعضها في اثر بعض وقو
لهم في المثل دهدرين سعد القين من ذلك اي باطلا بعد باطل فما معنى
ثم ارجع قلت امره برجع البصر ثم امره بان لا يقتنع بالرجعة الاولى وبا
لنظرة الحمقاء وان يتوقف بعدها ويجم بصره ثم يعاوده ويعاود الى ان يحسر بصره من طول
المعاودة فانه لا يعثر على شيء من فطور



فطور ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين واعتدنا
لهم عذاب السعير الدنيا القربى لانها اقرب السموات الى الناس ومعناها السماء
الدنيا منكم والمصابيح السرج سميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم
باثقاب المصابيح فقيل ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح باي
مصابيح لا توازيها مصابيحكم اضاءة وضممنا الى ذلك منافع اخر وجعلناها رجو
ما لاعدائكم الشياطين الذين يخرجونكم من النور الى الظلمات وتهتدون بها في ظلمات
البر والبحر قال قتادة خلق الله النجوم لثلث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات
يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به وعن محمد بن كعب والله ما
لاحد من اهل الارض في السماء نجم ولكنهم يتبعون الكهانة ويتخذون النجوم علة
والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرجم به ومعنى كونها مراجم للشياطين
ان الشهب التي تنقض لرمي المسترقة منهم منفصلة من نار الكواكب لا انهم يرجمون
بالكواكب انفسها لانها قارة في الفلك على حالها وما ذاك الا كقبس يؤخذ من نار والنار
ثابتة كاملة لا تنقص وقيل من الشياطين المرجومة من يقتله الشهاب ومنهم من
يخبله وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم
النجامون واعتدنا لهم عذاب السعير في الآخرة بعد عذاب الاحراق بالشهب
في الدنيا وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير اذا القوا فيها
سمعوا لها شهيقا وهي تفور تكاد تميز من الغيظ كلما القي فيها فوج

وصف الدنيا اي القربى

القبس شعلة من النار

الغيظ الغضب

سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل
الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير وللذين كفروا بربهم ولكل من
كفر بالله من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وليس الشياطين المرجومون مخصوصين
بذلك وقرئ عذاب جهنم بالنصب عطفا على عذاب السعير إذا ألقوا فيها
أي طرحوا كما يطرح الحطب في النار العظيمة ويرمى به ومثله قوله حصب
جهنم سمعوا لها شهيقا إما لأهلها ممن تقدم طرحهم فيها أو من أنفسهم
كقوله لهم فيها زفير وشهيق وإما للنار تشبيها لحسيسها المنكر الفظيع بالشهيق
وهي تفور تغلي بهم غليان المرجل بما فيه وجعلت كالمغتاظة عليهم لشدة غليانها
بهم ويقولون فلان يتميز غيظا ويتقصف غضبا وغضب فطارت منه شقة
في الأرض وشقة في السماء إذا وصفوه بالإفراط فيه ويجوز أن يراد غيظ الز
بانية ألم يأتكم نذير توبيخ يزدادون به عذابا إلى عذابهم وحسرة إلى حسرتهم
وخزنتها مالك وأعوانه من الزبانية قالوا بلى اعتراف منهم بعدل الله وإقرار
بأن الله عز وجل أزاح عللهم ببعثة الرسل وإنذارهم ما وقعوا فيه وأنهم
لم يؤتوا من قدرة كما تزعم المجبرة وإنما أتوا من قبل أنفسهم واختيارهم خلاف
ما اختار الله وأمر به وأوعد على ضده إن أنتم إلا في ضلال كبير إما أن يكون
من جملة قول الكفار وخطابهم للمنذرين على أن النذير بمعنى الإنذار
والمعنى ألا أتانا أهل نذير أو وصف منذروهم لغلوهم في الإنذار كأنهم ليسوا



إلا إنذارا وكذلك قد جاءنا نذير ونحوه قوله إنا رسول رب العالمين
أي حاملا رسالته ويجوز أن يكون من كلام الخزنة للكفار على إرادة القول أراد
حكاية ما كانوا عليه من ضلالتهم في الدنيا أو أرادوا بالضلال الهلاك أو سموا عقاب
الضلال باسمه أو من كلام الرسل لهم حكوه للخزنة أي قالوا لنا هذا فلم نقبله
وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب
السعير إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير وأسروا قولكم
أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير
لو كنا نسمع الإنذار سماع طالبين للحق أو نعقله عقل متأملين وقيل إنما جمع
بين السمع والعقل لأن مدار التكليف على أدلة السمع والعقل ومن بدع التفاسير
أن المراد لو كنا على مذهب أصحاب الحديث أو على مذهب أصحاب الرأي كأن هذه
الآية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين وكأن سائر أصحاب المذاهب والمجتهدين
قد أنزل الله وعيدهم وكأن من كان من هؤلاء فهو من الناجين لا محالة وعدة المبشرين
من الصحابة عشرة لم يضم إليهم حادي عشر وكان من يجوز على البراءة أكثرهم لم يسمعوا
باسم هذين الفريقين بذنبهم بكفرهم في تكذيبهم الرسل فسحقا قرئ بالتخفيف و
التثقيل أي فبعدا لهم اعترفوا أو جحدوا فإن ذلك لا ينفعهم ظاهره الأمر
بأحد الأمرين الإسرار والإجهار ومعناه ليستوي عندكم إسراركم وإجهاركم
في علم الله ثم إنه علله بأنه عليم بذات الصدور بضمائرها قبل أن تترجم

الالسنة عنها نكتة لا يعلم ما تكلم به ثم انكر ان لا يحيط علما بالمضمر والمسر والمجهر
من خلق الاشياء وحاله انه اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز
ان يكون من خلق منصوبا بمعنى الا يعلم مخلوقه وهذه حاله وروي ان المشركين كانوا
يتكلمون فيما بينهم باشياء فيظهر الله رسوله عليها فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمع
اله محمد فنبه الله على جهلهم فان قلت قدرت في الا يعلم مفعولا على معنى الا
يعلم ذلك المذكور مما اضمر في القلب واظهر باللسان من خلق فهلا جعلته مثل
قولهم هو يعطي ويمنع وهلا كان المعنى الا يكون عالما من هو خالق لان الخلق لا
يصح الا مع العلم قلت ابت ذلك الحال التي هي قوله وهو اللطيف الخبير لانك لو
قلت الا يكون عالما من هو خالق وهو اللطيف الخبير لم يكن معنى صحيحا لان الا يعلم
معتمد على الحال والشيء لا يوقت بنفسه فلا يقال الا يعلم وهو عالم ولكن الا يعلم
وهو عالم بكل شيء هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا
من رزقه واليه النشور ءامنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور
ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير ولقد كذب
الذين من قبلهم فكيف كان نكيره المشي في مناكبها مثل لفرط التذليل ومجاوزته
الغاية لان المنكبين وملتقاهما من الغارب ارق شيء من البعير وانباه عن ان
يطأه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فاذا جعلها في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يترك
وقيل مناكبها جبالها قال الزجاج معناه سهل لكم السلوك فيها فاذا امكنكم السلوك

تقديره هو يفعل الاعطاء ويفعل المنع

قوله الحال يريد الحال التي هي ...

الذلول من الذل بالكسر اللين وهو نقيض الصعوبة يقال دابة ذلول بينة الذل من دواب ...

كما

في جبالها

في جبالها فهو ابلغ التذليل وقيل جوانبها والمعنى واليه نشوركم فهو مسائلكم
عن شكر ما انعم به عليكم ءامنتم من في السماء فيه وجهان احدهما من ملكوته في السماء لانها
مسكن ملائكته ومنها عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها ينزل قضاياه وكتبه واو
امره ونواهيه والثاني انهم كانوا يعتقدون التشبيه وانه في السماء وان الرحمة
والعذاب ينزلان منه وكانوا يدعونه من جهتها فقيل لهم على حسب اعتقادهم ا
من تزعمون انه في السماء وهو متعال عن المكان ان يعذبكم بخسف او بحاصب كما
تقول لبعض المشبهة اما تخاف من فوق العرش ان يعاقبك بما تفعل اذا ر
ايت بعض المعاصي فستعلمون قرئ بالياء والتاء كيف نذير اي انذاري اذا رايتم
المنذر به علمتم كيف انذاري حين لا ينفعكم العلم او لم يروا الى الطير فوقهم
صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شيء بصير امن هذا الذي هو
جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا في غرور امن هذا الذي
يرزقكم ان امسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور افمن يمشي مكبا على وجهه
اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم صافات باسطات اجنحتهن في
الجو عند طيرانها لانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن و
يضممنها اذا ضربن بها جنوبهن فان قلت لم قيل ويقبضن ولم يقل وقابضات
قلت لان الاصل في الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران في الهواء كالسباحة
في الماء والاصل في السباحة مد الاطراف وبسطها واما القبض فطارئ على

امنتم

اينه

او لم ينتبهوا خلقهم

على البسط والاستظهار بهن في التحرك فجيء بما هو للأصل على لفظ الفعل على معنى أنهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح ما يمسكهن إلا الرحمن بقدرته وبما دبر لهن من القوادم والخوافي وبنى الأجسام على شكل وخصائص قد تأتى منها الجري في الجو إنه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب أمن يشار إليه من الجموع ويقال هذا الذي هو جند لكم ينصركم إن أرسل عليكم عذابه أمن يشار إليه ويقال هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه وهذا على التقدير ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأوثان لاعتقادهم أنهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة آلهتهم فكأنهم الجند الناصر والرازق ونحوه قوله أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا بل لجوا بل تمادوا في عناد وشراد عن الحق لثقله عليهم فلم يتبعوه يجعل أكب مطاوع كبه ويقال كببته فأكب من الغرائب والشواذ ونحوه قشعت الريح السحاب فأقشع وما هو كذلك ولا شيء من بناء أفعل مطاوعا ولا يتقن نحو هذا إلا حملة كتاب سيبويه وإنما أكب من باب أنفض وألأم ومعناه دخل في الكب وصار ذا كب وكذلك أقشع السحاب دخل في القشع ومطاوع كب وقشع انكب وانقشع فإن قلت ما معنى يمشي مكبا على وجهه وكيف قابل يمشي سويا على صراط مستقيم قلت معناه يمشي معتسفا في مكان معتاد غير مستو فيه انخفاض وارتفاع فيعثر كل ساعة فيخر على وجهه منكبا فحاله نقيض حال من يمشي

سويا



سويا أي قائما سالما من العثور والخرور أو مستوي الجهة قليل الانحراف خلاف المعتسف الذي ينحرف هكذا وهكذا على طريق مستو ويجوز أن يراد الأعمى الذي لا يهتدي إلى الطريق فيعتسف فلا يزال ينكب على وجهه وأنه ليس كالرجل السوي الصحيح البصر الماشي في الطريق المهتدي له وهو مثل للمؤمن والكافر وعن قتادة الكافر أكب على معاصي الله فحشره الله يوم القيامة على وجهه وعن الكلبي عنى به أبو جهل بن هشام وبالسوي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون قل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدعون قل أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين فلما رأوه الضمير للوعد والزلفة القرب وانتصابها على الحال أو الظرف أي رأوه ذا زلفة أو مكانا ذا زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ساءت رؤية الوعد وجوههم بأن علتها الكآبة وغشيها الكسوف والقترة وكلحوا وكما يكون وجه من يقاد إلى القتل أو يعرض على بعض العذاب وقيل القائلون الزبانية تدعون تفتعلون من الدعاء

انه تطلبونه وتستعجلون به وقيل هو من الدعوى اي كنتم بسببه تدعون انكم لا
تبعثون وقرئ تدعون وعن بعض الزهاد انه تلاها في اول الليل في صلوته
فبقي يكررها وهو يبكي الى ان نودي لصلوة الفجر ولعمري انها لوقاذة لمن تحقق
تلك الحالة قل ارايتم ان اهلكني الله كان كفار مكة يدعون على رسول الله وعلى المؤمنين بالهلاك فامر
بان يقول لهم نحن مؤمنون متربصون لاحدى الحسنيين اما ان نهلك كما تتمنون فننقلب
الى الجنة او نرحم بالنصرة والادالة للاسلام كما نرجوا فانتم ما تصنعون من يجير الكافرين
وانتم كافرون من عذاب اليم لا بد لكم منه يعني انكم تطلبون لنا الهلاك الذي هو
استعجال للفوز والسعادة وانتم في امر هو الهلاك الذي لا هلاك بعده وانتم غافلون
لا تطلبون الخلاص منه او ان اهلكنا الله بالموت فمن يجيركم بعد موت هداتكم والاخذ
بحجزتكم من النار وان رحمنا بالامهال والغلبة عليكم وقتلكم فمن يجيركم فان المقتول
على ايدينا هالك او ان اهلكنا الله في الاخرة بذنوبنا ونحن مسلمون فمن يجير الكافرين
وهم اولى بالهلاك لكفرهم وان رحمنا بالايمان فمن يجير من لا ايمان له قل هو الرحمن
مفعول آمنا وتاخير مفعول توكلنا قلت لوقوع آمنا تعريضا بالكافرين حين
ورد عقيب ذكرهم كانه قيل آمنا ولم نكفر كما كفرتم ثم قال وعليه توكلنا خصوصا لم نتكل
على ما انتم متكلون عليه من رجالكم واموالكم ان اصبح ماؤكم غورا غائرا في الارض بحيث لا تناله
الدلاء وهو وصف بالمصدر كعدل ورضى وعن بعض الشطار انها تليت عنده
فقال تجيء به الفؤس والمعاول فذهب ماء عينه نعوذ بالله من الجرأة على الله و

على آياته



آياته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكأنما أحيا الليلة
القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وإن لك لأجرا غير ممنون و
إنك لعلى خلق عظيم ن قرئ نون والقلم بالبيان والادغام وبسكون النون وفتحها و
كسرها كما في ص والمراد هذا الحرف من حروف المعجم وأما قولهم هو الدواة فما
أدري أهو وضع لغوي أم شرعي ولا يخلو إذا كان اسما للدواة من أن يكون
جنسا أو علما فإن كان جنسا فأين الإعراب والتنوين وإن كان علما فأين الإعراب
وأيهما كان فلا بد له من موقع في تأليف الكلام فإن قلت هو مقسم به وجب
إن كان جنسا أن تجره وتنونه ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة كأنه قيل ودواة
والقلم وإن كان علما أن تصرفه وتجره أو لا تصرفه وتفتحه للعلمية والتأنيث وكذلك
التفسير بالحوت إما أن يراد نون من النينان أو يجعل علما لليهموت الذي يز
عمون والتفسير باللوح من نور أو ذهب والنهر في الجنة نحو ذلك وأقسم بالقلم
تعظيما لما في خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة ولما فيه من المنافع
والفوائد التي يحيط بها الوصف وما يسطرون ~~ويكتب من كتب~~ وقيل ما يسطرون
وما يكتب من كتب وقيل وما يسطرون الحفظة وما موصولة أو مصدرية ويجوز أن
يراد بالقلم أصحابه فيكون الضمير في يسطرون لهم كأنه قيل وأصحاب القلم ومسطورهم

[illegible]

او ويسطرونهم ... بما كانت يسطرا وا تحقيقه فانه قلت بم يتعلق
بعامل مشتاق قولك انت بنعمة الله عاقل مستويا في ذلك الاثبات والنفي
كاستواهما في قولك ضرب زيد عمرا وما ضرب زيد عمرا تعمل الفعل مثبتا
ومنفيا اعمالا واحدا ومحله النصب على الحال كانه قال ما انت مجنون منعما عليك
بذلك ولا تمنع الباء ان يعمل مجنون فيما قبله لانها زائدة لتاكيد النفي و
المعنى استبعاد ما كان ينسبه اليه كفار مكة عداوة وحسدا وانه من انعام
الله عليه بحصافة العقل والشهامة التي يقتضيها التاهيل للنبوة بمنزل وان لك
على احتماله ذلك واساغة الغصة فيه والصبر عليه لاجرا لثوابا غير ممنون غير
منقطع كقوله عطاء غير مجذوذ او غير ممنون عليك لانه ثواب تستوجبه
على عملك وليس بتفضل ابتداء وانما تمن الفواضل لا الاجور على الاعمال
انك لعلى خلق عظيم لتحمل احتمالك المضغاة من قومك وحسن مخالقتك ومداراتك
لهم وقيل هو الخلق الذي امر الله به في قوله خذ العفو وامر بالعرف وا
عرض عن الجاهلين وعن عائشة ان سعيد بن هشام سالها عن خلق رسول الله
ص فقالت كان خلقه القرآن الست تقرا القرآن قد افلح المؤمنون فستبصر
ويبصرون بايكم المفتون ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو
اعلم بالمهتدين المفتون المجنون لانه فتن اي محن بالجنون او لان العرب
يزعمون انه من تخبيل الجن وهم الفتان للفتاك منهم والباء مزيدة والمفتون

مصدر كالمعقول والمجلود اي بايكم الجنون او باي الفريقين منكم الجنون
ابفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اي في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم
وهو تعريض بابي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة واضرابهما وهذا
كقوله سيعلمون غدا من الكذاب الاشر ان ربك هو اعلم بالمجانين على
الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله وهو اعلم بالعقلاء وهم المهتدون او
يكون وعيدا ووعدا وانه اعلم بجزاء الفريقين فلا تطع المكذبين ودوا
لو تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير
معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم فلا تطع المكذبين تهييج والهاب للتصميم على
معاصاتهم وكانوا قد ارادوه على ان يعبد الله مدة وآلهتهم مدة ويكفوا
عنه غوائلهم لو تدهن لو تلين وتصانع فيدهنون فان قلت لم رفع فيد
هنون ولم ينصب باضمار ان وهو جواب التمني قلت قد عدل به الى طريق آخر وهو
ان جعل خبر مبتدا محذوف اي فهم يدهنون كقوله فمن يؤمن بربه
فلا يخاف على معنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك
فهم الآن يدهنون لطمعهم في ادهانك قال سيبويه وزعم هارون انها في
بعض المصاحف ودوا لو تدهن فيدهنوا حلاف كثير الحلف في الحق و
الباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف ومثله قوله ولا تجعلوا الله
عرضة لايمانكم مهين من المهانة وهي القلة والحقارة يريد القلة في الراي والتمييز

أو أراد الكذاب لأنه حقير عند الناس هماز عياب طعان وعن الحسن يلوي شدقيه
في أقفية الناس مشاء بنميم مضرب نقال للحديث من قوم إلى قوم على وجه السعاية
والإفساد بينهم والنميم والنميمة السعاية وأنشدني بعض العرب تشببي
تمشي بها زهرا إلى تميمة مناع للخير بخيل والخير المال أو مناع أهله الخير وهو الإسلام
فذكر الممنوع منه دون الممنوع كأنه قال مناع من الخير قيل هو الوليد بن المغيرة المخزومي
كان موسرا وكان له عشرة من البنين فكان يقول لهم وللحمته من أسلم منكم منعته رفدي عن
ابن عباس وعنه أبو جهل وعن مجاهد الأسود بن عبد يغوث وعن السدي الأخنس
خنس بن شريق أصله في ثقيف وعداده في زهرة ولذلك قيل زنيم معتد مجاوز في
الظلم حده أثيم كثير الآثام عتل غليظ جاف من عتله إذا قاده بعنف وغلظة بعد
ذلك بعد ما عد له من المثالب والنقائص زنيم دعي قال حسان وأنت زنيم نيط في
آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد وكان الوليد دعيا في قريش ليس من
سنخهم ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة من مولده وقيل بغت أمه ولم يعرف حتى
نزلت هذه الآية جعل جفاءه ودعوته أشد معايبه لأنه إذا جفا وغلظ طبعه
قسا قلبه واجترأ على كل معصية ولأن الغالب أن النطفة إذا خبثت
خبث الناشئ منها ومن ثم قال رسول الله لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا
ولد ولده وبعد ذلك نظير ثم في قوله ثم كان من الذين آمنوا وقرأ الحسن عتل
على الذم وهذه القراءة تقوية لما يدل عليه بعد ذلك والزنيم من الزنمة و

ه

(هامش: قوله تشببي تحالب النساء بعقوله المشبه النميمة يمشي بها عند الحرات — بان الشيء بينونة ... عليه — معرفة هذا الحديث — يريد قوله بعد ذلك زنيم تقوية)



الواحد أسطورة
الأساطير الأباطيل

هي الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى معلقة في حلقها لأنه زيادة معلقة بغير
أهله أن كان ذا مال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين سنسمه على
الخرطوم أن كان ذا مال متعلق بقوله ولا تطع يعني ولا تطعه مع هذه المثالب
لأن كان ذا مال أي ليساره وحظه من الدنيا ويجوز أن يتعلق بما بعده على معنى لكونه
متمولا مستظهرا بالبنين كذب آياتنا ولا يعمل فيه قال الذي هو جواب إذا لأن
ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ولكن ما دلت عليه الجملة من معنى التكذيب وقرئ
أأن كان على الاستفهام على ألأن كان ذا مال كذب أو أتطيعه لأن كان ذا مال وروى الزبيري عن
نافع إن كان بالكسر والشرط للمخاطب أي لا تطع كل حلاف شارطا يساره لأنه إذا أطاع
الكافر لغناه فكأنه اشترط في الطاعة الغنى ونحو صرف الشرط للمخاطب صرف الترجي
إليه في قوله لعله يتذكر الوجه أكرم موضع في الجسد والأنف أكرم موضع من
الوجه لتقدمه له ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الأنفة
وقالوا الأنف في الأنف وحمي أنفه وفلان شامخ العرنين وقالوا في الذليل
جدع أنفه ورغم أنفه فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الإذلال والإهانة
لأن السمة على الوجه شين وإذالة فكيف على أكرم موضع منه ولقد وسم العباس
أباعره في وجوهها فقال له رسول الله أكرموا الوجوه فوسمها في جواعرها
وفي لفظ الخرطوم استخفاف به واستهانة وقيل معناه سنعلمه يوم القيامة
بعلامة مشوهة يبين بها عن سائر الكفرة كما عادى رسول الله عداوة

مفتحة

(هامش: والملاحة في السنه قالوا الحسن في الأنف — الأنف في الأنف أي الحمية — جمع جاعرة وهو دبر الإبل)

بان بها عنهم وقيل خطم يوم بدر بالسيف فبقيت سمة على خرطومه وقيل معناه
سنشهره بهذه الشتيمة في الدارين جميعا فلا تخفى كما لا تخفى السمة على
الخراطيم وعن النضر بن شميل ان الخرطوم الخمر وان معناه سنحده على
شربها وهو تعسف وقيل للخمر الخرطوم كما قيل لها السلافة وهي ما سكر
من عصير العنب او لانها تطير في الخياشيم ﴿انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة
اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم
نائمون فاصبحت كالصريم فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين
فانطلقوا وهم يتخافتون ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد
قادرين فلما راوها قالوا انا لضالون بل نحن محرومون﴾ انا بلوناهم اهل مكة بالقحط
والجوع بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بلونا اصحاب الجنة وهم قوم من اهل الصلاة كانت
لابيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان ياخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقي
فكان يترك للمساكين ما اخطاه المنجل وما في اسفل الاكداس وما اخطاه
القطاف من العنب وما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة اذا صرمت فكان
يجتمع لهم شيء كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا
الامر ونحن اولو عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين في السدف خفية عن المساكين
ولم يستثنوا في يمينهم فاحرق الله جنتهم وقيل كانوا من بني اسرائيل مصبحين
داخلين في الصبح مبكرين ولا يستثنون ولا يقولون ان شاء الله فان قلت



لم سمي استثناء وانما هو شرط قلت لانه يؤدي مؤدى الاستثناء من حيث
ان معنى قولك لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد فطاف
عليها بلاء او هلاك طائف كقوله واحيط بثمره وقرئ طيف فاصبحت كالصريم
كالمصرومة لهلاك ثمرها وقيل الصريم الليل اي احترقت فاسودت وقيل النهار اي يبست
وذهبت خضرتها او لم يبق شيء فيها من قولهم بيض الاناء اذا فرغه وقيل الصريم
الرمال صارمين حاصدين فان قلت هلا قيل اغدوا الى حرثكم وما معنى على قلت
لما كان الغدو اليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول غدا عليهم العدو
ويجوز ان يضمن الغدو معنى الاقبال كقولهم يغدى عليه بالجفنة ويراح اي
فاقبلوا على حرثكم باكرين يتخافتون يتسارون فيما بينهم وخفي وخفت و
خفد ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ان لا يدخلنها ان مفسرة وقرا
ابن مسعود بطرحها باضمار القول اي يتخافتون يقولون لا يدخلنها والنهي عن
الدخول للمسكين نهي لهم عن تمكينه منها اي لا تمكنوه من الدخول حتى يدخل كقولك
لا ارينك ههنا الحرد من حاردت السنة اذا منعت خيرها وحاردت الابل اذا
منعت درها والمعنى وغدوا قادرين على نكد لا غير عاجزين عن النفع
يعني انهم عزموا ان يتنكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم
فغدوا بحال فقر وذهاب مال لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك انهم
طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة او وغدوا على محاردة جنتهم

وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافعها
اى غدوا حاصلين على الحرمان مكان الانتفاع او لما قالوا اغدوا على حرثكم وقد
خبثت نيتهم عاقبهم الله بان حاردت جنتهم وحرموا خيرها فلم يغدوا على حرث
وانما غدوا على حرد وقادرين من عكس الكلام للتهكم اى قادرين على ما
عزموا عليه من الصرام وحرمان المساكين وعلى حرد لبس بصلة قادرين
وقيل الحرد بمعنى الحرد وقرئ على حرد اى لغيظ والاحاد يحنق ويغضب
بعضهم على بعض كقوله يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة يقال حردت
حردك وقال اقبل سيل جاء من امر الله يحرد حرد الجنة المغلة وقيل حرداد
سراع يعني وغدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة ونشاط قادرين عند انفسهم
يقولون نحن نقدر على صرامها ونمنع منفعتها عن المساكين وقيل حرد علم
للجنة اى غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند انفسهم او مقدرين ان
يتم لهم مرادهم من الصرام والحرمان قالوا في بديهة وصولهم انا لضالون
اى ضللنا جنتنا وما هى بها لما راوا من هلاكها فلما تاملوا وعرفوا انها هى قالوا
بل نحن محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم اى اعدلهم الم اقل لكم
لولا تسبحون قالوا سبحن ربنا انا كنا ظالمين فاقبل بعضهم على بعض
يتلاومون قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين اوسطهم اعدلهم وخيرهم من قولهم
هو من سطة قومه واعطني من سطات مالك ومنه قوله كذلك جعلناكم امة وسطا

اى انا خيرا

اى اعدل مالك

لولا

لولا تسبحون لولا تذكرون الله وتتوبون اليه من خبث نيتكم كان اوسطهم قال لهم حين
عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة
من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم والدليل
عليه قولهم سبحن ربنا انا كنا ظالمين فتكلموا بعدما كان يدعوهم الى التكلم به على اثر مقارفة الخطيئة
الخطيئة ولكن بعد خراب البصرة وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لالتقائهما في معنى
التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه والتسبيح تنزيه له وكل واحد من التفويض
والتنزيه تعظيم وعن الحسن هو الصلوة كانهم كانوا يتوانون في الصلوة والا لنهتهم
عن الفحشاء والمنكر ولكانت لهم لطفا في ان يستثنوا ولا يحرموا سبحن ربنا
سبحوا الله ونزهوه عن الظلم وعن كل قبيح ثم اعترفوا بظلمهم في منع المعروف
وترك الاستثناء يتلاومون يلوم بعضهم بعضا لان منهم من زين ومنهم من استصوب الكف
وحذر ومنهم من عصى الامر ومنهم من سكت وهو راض عسى ربنا ان يبدلنا
خيرا منها انا الى ربنا راغبون كذلك العذاب ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون
منا يبدلنا قرئ بالتخفيف والتشديد انا الى ربنا راغبون طالبون منه
الخير راجون لعفوه كذلك العذاب مثل ذلك العذاب الذي بلونا به اهل مكة واصحاب
الجنة عذاب الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر واعظم منه وسئل قتادة عن اصحاب الجنة
اهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال لقد كلفتني تعبا وعن مجاهد تابوا فابدلوا
خيرا منها وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه بلغني انهم اخلصوا وعرف الله منهم

القسمة فان ساداتهم بها حجة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا واحدا
ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون أم
لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون أم لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيامة ان لكم
لما تحكمون سلهم أيهم بذلك زعيم عند ربهم أي في الآخرة جنات النعيم جنات ليس فيها
الا النعيم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنان الدنيا كان صناديد قريش يرون
وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فاذا سمعوا بحديث الآخرة و
وعد الله المسلمين قالوا ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه فان حالنا و
حالهم الا مثل ما هي في الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان
يساوونا فقيل أنحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم على طريقة الالتفات
ما لكم كيف تحكمون هذا الحكم الاعوج كأن امر الجزاء مفوض اليكم حتى تحكموا فيه
بما شئتم أم لكم كتاب من السماء تدرسون في ذلك الكتاب ان ما تختارونه وتشتهونه
لكم كقوله أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم والاصل تدرسون ان لكم ما تتخيرون
بفتح ان لانه مدروس فلما جاءت اللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس كما
هو كقوله وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح وتخير الشيء واختاره
اخذ خيره ونحوه تنخله وانتخله اذا اخذ منخوله لفلان علي يمين بكذا اذا
ضمنته منه وحلفت له على الوفاء به يعني أم ضمنا منكم واقسمنا لكم بايمان
مغلظة متناهية في التوكيد فان قلت بم يتعلق الى يوم القيامة قلت بالمقدر

السادة القادة

نغص الله عيشه اذا كدره

كلة

في الظرف وهي ثابتة لكم الى يوم القيامة لا تخرج عن عهدتها الا يومئذ اذا حكمناكم
واعطيناكم ما تحكمون ويجوز ان يتعلق ببالغة على انها تبلغ ذلك اليوم وتنتهي اليه
وافرة لم تبطل منها يمين الى ان يحصل المقسم عليه من التحكيم وقرأ الحسن بالغة
بالنصب على الحال من الضمير في الظرف ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى أم
لكم ايمان علينا أم اقسمنا لكم أيهم بذلك الحكم زعيم أي قائم به وبالاحتجاج لصحته
كما يقوم الزعيم المتكلم عن القوم المتكفل بامورهم أم لهم شركاء فليأتوا
بشركائهم ان كانوا صادقين يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا
يستطيعون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود
أي لهم شركاء أي ناس يشاركونهم في هذا القول ويوافقونهم عليه ويذ
هبون مذهبهم فليأتوا بهم ان كانوا صادقين في دعواهم يعني ان احدا لا يسلم
لهم هذا ولا يساعدهم عليه كما انه لا كتاب لهم ينطق به ولا عهد لهم به عند
الله ولا زعيم لهم يقوم به الكشف عن الساق والابداء عن الخدام مثل في
شدة الامر وصعوبة الخطب واصله في الروع والهزيمة وتشمير المخدرات
عن سوقهن في الهرب وابداء خدامهن عند ذلك قال حاتم اخو الحرب
ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا وقال
ابن الرقيات تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي عن خدام العقيلة العذراء
فمعنى يوم يكشف عن ساق في معنى يوم يشتد الامر ويتفاقم ولا كشف

الخدام اي الخلخال ه
هكذا

البكر ه

الكريمة والكريم ه

ثمّ ولا ساق، كما تقول للأقطع الشحيح: يده مغلولة، ولا يد ثمّ ولا غلّ، وإنما
هو مثل في البخل. وأمّا من شبّه فلضيق عطنه وقلّة نظره في علم البيان، والذي
غرّه منه حديث ابن مسعود رضي الله عنه: يكشف الرحمن عن ساقه، فأمّا المؤمنون
فيخرّون سجّداً، وأمّا المنافقون فتكون ظهورهم طبقاً طبقاً كأنّ فيها السفافيد.
ومعناه: يشتدّ أمر الرحمن ويتفاقم هوله، وهو الفزع الأكبر يوم القيامة، ثمّ
كان من حقّ الساق أن تعرّف على ما ذهب إليه المشبّه، لأنّها ساق مخصوصة معهودة
عنده وهي ساق الرحمن. فإن قلت: فلم جاءت منكّرة في التمثيل؟ قلت: للدلالة
على أنّه أمر مبهم في الشدّة منكر خارج عن المألوف، كقوله: يوم يدع
الداع إلى شيء نكر، كأنّه قيل: يوم يقع أمر فظيع هائل. ويحكى هذا التشبيه
عن مقاتل. وعن أبي عبيدة: خرج من خراسان رجلان، أحدهما شبّه حتّى
مثّل وهو مقاتل بن سليمان، والآخر نفى حتّى عطّل وهو جهم بن صفوان.
ومن أحسّ بعظم مضارّ فقد هذا العلم علم مقدار عظم منافعه.
وقرئ: يوم نكشف بالنون، وتكشف على البناء للفاعل والمفعول جميعاً. و
الفعل للساعة أو للحال، أي: يوم تشتدّ الحال أو الساعة، كما تقول:
كشفت الحرب عن ساقها، على المجاز. وقرئ: تكشف بالتاء المضمومة وكسر
الشين، من أكشف إذا دخل في الكشف، ومنه: أكشف الرجل فهو مكشف،
إذا انقلبت شفته العليا. وناصب الظرف: فليأتوا، أو إضمار اذكر، أو يوم

إليه

يكشف



يكشف عن ساق كان كيت وكيت، فحذف للتهويل البليغ، وأنّ ثمّ من الكوائن
ما لا يوصف لعظمه. وعن ابن مسعود رضي الله عنه: تعقم أصلابهم، أي: ترد
عظاماً بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض. وفي الحديث: وتبقى
أصلابهم طبقاً واحداً، أي: فقارة واحدة. فإن قلت: لم يدعون إلى السجود
ولا تكليف؟ قلت: لا يدعون إليه تعبّداً وتكليفاً، ولكن توبيخاً وتعنيفاً على
تركهم السجود في الدنيا، مع إعقام أصلابهم والحيلولة بينهم وبين
الاستطاعة تحسيراً لهم وتنديماً على ما فرّطوا فيه حين دعوا إلى السجود
وهم سالمو الأصلاب والمفاصل ممكّنون مزاحو العلل فيما تعبّدوا
به. فذرني ومن يكذّب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا
يعلمون. وأملي لهم إنّ كيدي متين. أم تسألهم أجراً فهم من مغرم
مثقلون. يقال: ذرني وإيّاه، يريدون: كله إليّ فإنّي أكفيكه، كأنّه يقول:
حسبك إيقاعاً به أن تكل أمره إليّ وتخلّي بيني وبينه، فإنّي عالم بما يجب
أن يفعل به مطيق له. والمراد: حسبي مجازياً لمن يكذّب بالقرآن، فلا تشغل
قلبك بشأنه، وتوكّل عليّ في الانتقام منه؛ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وتهديداً
للمكذّبين. استدرجه إلى كذا: إذا استنزله إليه درجة فدرجة حتّى يورّطه فيه. واستدراج الله
العصاة: أن يرزقهم الصحّة والنعمة، فيجعلوا رزق الله ذريعة ومتسلّقاً
إلى ازدياد الكفر والمعاصي. من حيث لا يعلمون: من الجهة التي لا يشعرون

حسبي

أنه استدراج وهو الإنعام عليهم يحسبونه إيثاراً لهم وتفضيلاً على المؤمنين
وهو سبب لهلاكهم وأملي لهم وأمهلهم كقوله إنما نملي لهم ليزدادوا
إثماً والصحة والرزق والمد في العمر إحسان من الله وإفضال يوجب
عليهم الشكر والطاعة ولكنهم يجعلونه سبباً في الكفر باختيارهم فلما تأدى
إلى الهلاك وصف المنعم بالاستدراج وقيل كم من مستدرج بالإحسان إليه
وكم من مفتون بالثناء عليه وكم من مغرور بالستر وسمى إحسانه و
تمكينه كيداً كما سماه استدراجاً لكونه في صورة الكيد حيث كان سبباً للتورط
في الهلكة ووصفه بالمتانة لقوة أثر إحسانه في التسبب للهلاك أم تسألهم أجراً
أي لم تطلب منهم على الهداية والتعليم أجراً فيثقل عليهم حمل الغرامات في
أموالهم فيثبطهم ذلك عن الإيمان أم عندهم الغيب فهم يكتبون فاصبر لحكم
ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم لولا أن تداركه نعمة
من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتباه ربه فجعله من الصالحين
أي أعندهم الغيب أي اللوح فهم يكتبون منه ما يحكمون به فاصبر لحكم ربك وهو إمهالهم
وتأخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت يعني يونس عليه السلام إذ نادى
في بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظاً من كظم السقاء إذا ملأه والمعنى لا
يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه حسن تذكير الفعل
لفصل الضمير في تداركه وقرأ ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما تداركته



وقرأ الحسن تداركه أي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا أن كان
يقال فيه تتداركه كما يقال كان زيد سيقوم فمنعه فلان أي كان يقال فيه سيقوم
والمعنى كان متوقعاً منه النبذ ونعمة ربه أن أنعم عليه بالتوفيق للتوبة وتاب عليه
وقد اعتمد في جواب لولا على الحال أعني قوله وهو مذموم يعني أن حاله كانت
على خلاف الذم حين نبذ بالعراء ولولا توبته لكانت حاله على الذم روي أنها
نزلت بأحد حين حل برسول الله ﷺ ما حل به فأراد أن يدعو على الذين
انهزموا وقيل حين أراد أن يدعو على ثقيف وقرئ رحمة من ربه فاجتباه
ربه فجمعه إليه وقربه بالتوبة عليه كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى
فجعله من الصالحين أي من الأنبياء وعن ابن عباس رضي الله عنهما رد الله
إليه الوحي وشفعه في نفسه وقومه وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك
بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون وما هو إلا ذكر
للعالمين إن مخففة من الثقيلة واللام علمها وقرئ ليزلقونك بضم الياء
وفتحها وزلقه وأزلقه بمعنى ويقال زلق الرأس وأزلقه حلقه و
قرئ ليزهقونك من زهقت نفسه وأزهقها يعني أنهم من شدة
تحديقهم ونظرهم إليك شزراً بعيون العداوة والبغضاء يكادون
يزلقون قدمك أو يهلكونك من قولهم نظر إلي نظراً يكاد يأكلني أي
لو أمكنه بنظره الصرع أو الأكل لفعله قال يتقارضون إذا التقوا

فمتورك نظر ابرز مواليه الاقدام، وقيل كانت العين في بني اسد فكان الرجل
منهم يتجوع ثلثة ايام فلا يمر به شيء فيقول فيه لم ار كاليوم مثله الا عانه
فاريد بعض العيانين على ان يقول في رسول الله مثل ذلك فقال لم ار
كاليوم رجلا فعصمه الله وعن الحسن دواء الاصابة بالعين ان تقرأ
هذه الاية لما سمعوا الذكر اي القرآن لم يملكوا انفسهم حسدا على ما اوتيت
من النبوة ويقولون انه لمجنون حيرة في امره وتنفيرا عنه والا فقد علموا
انه اعقلهم والمعنى انهم جننوه لاجل القرآن وما هو الا ذكر وموعظة
للعالمين فكيف يجنن من جاء بمثله عن رسول الله من قرأ سورة
القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحاقة ما الحاقة وما ادريك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة فاما
ثمود فاهلكوا بالطاغية، الحاقة الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء
التي هي آتية لا ريب فيها او التي فيها حواق الامور من الحساب والثواب
والعقاب او التي فيها الامور اي تعرف على الحقيقة من قولك لا احقه هذا
اي لا اعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لاهلها وارتفاعها على الابتداء
وخبرها ما الحاقة والاصل الحاقة ما هي اي اي شيء هي تفخيما لشانها وتعظيما
لهولها فوضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها وما ادريك وما

شيء اعلمك ما الحاقة يعني انك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها على انه من العظم والشدة
بحيث لا يبلغه دراية احد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهي اعظم من ذلك
وما في موضع الرفع على الابتداء وادريك معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام
القارعة التي تقرع الناس بالاهوال والافزاع والسماء بالانشقاق والانفطار
والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعت موضع
الضمير لتدل على معنى القرع فيها زيادة في وصف شدتها ولما ذكرها وفخمها
اتبع ذلك ذكر من كذبها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة و
تخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة و
اختلف فيها فقيل الرجفة وعن ابن عباس الصاعقة وعن قتادة بعث الله
عليهم صيحة فاهلكتهم وقيل الطاغية مصدر كالعافية اي بطغيانهم و
اما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام
حسوما فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية
وليس يشكل لعدم التناسب بينها وبين قوله بريح صرصر والصرصر من
تبلد الباردة من الصر كانها التي كرر فيها البرد وكثر فهي تحرق لشدة بردها
عاتية شديدة العصف والعتو استعارة او عتت على خزانها فلم يقدروا على ضبطها
بحيلة من السد ببناء او لياذ بجبل او اختفاء في حفرة فانها كانت تنزعهم
من مكامنهم وتهلكهم وقيل عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن

رسوله وهو ما ارسل الله سفينة من ريح الا بمكيال ولا قطرة من مطر الا بمثقال الا
الا يوم عاد ويوم نوح فان الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم
عليه سبيل ثم قرأ انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية وان الريح يوم عاد عتت
على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرأ بريح صرصر عاتية ولعلها عبارة
عن الشدة والافراط فيها والقوم لا يخلون ان يكونوا جمع حاسم كشهود و
قعود او مصدرا كالشكور والكفور فان كان جمعا فمعنى قوله حسوما نحسات
حسمت كل خير واستأصلت كل بركة او متتابعة هبوب الرياح ما خفتت ساعة
حتى اتت عليهم تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في اعادة الكي على الداء
كرة بعد اخرى حتى ينحسم وان كان مصدرا فاما ان ينتصب بفعله مضمرا
اي تحسم حسوما بمعنى تستأصل استئصالا او يكون صفة كقولك ذات حسوم
او يكون مفعولا له سخرها عليهم للاستئصال وقال عبد العزيز بن زرارة
الكلابي ففرق بين بينهم زمان تتابع فيه اعوام حسوم وهلة
وقيل هي ايام العجوز وذلك ان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها
الريح في اليوم الثامن فاهلكتها وقيل هي ايام العجز وهي آخر الشتاء و
اسماؤها الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل ومطفئ
الجمر وقيل مكفئ الظعن ومعنى سخرها عليهم سلطها عليهم كما شاء
فيها في مهابها او في الليالي والايام صرعى موتى جمع صريع كأنهم اعجاز نخل

بقية او من نفس باقية او من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان وجاء
فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا رسول ربهم فاخذهم اخذة
رابية انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها اذن واعية
ومن قبله يريد ومن عنده من اتباعه وقرأ ومن قبله اي ومن تقدمه ويعضده
الاول قراءة عبد الله وابي ومن معه وقراءة ابي موسى ومن تلقاءه والمؤتفكات
قرى قوم لوط بالخاطئة بالخطأ او بالفعلة او الافعال ذات الخطأ العظيم
رابية شديدة زائدة في الشدة كما زادت قبائحهم في القبح يقال ربا الشيء
اذا زاد ليربو في اموال الناس حملناكم آباءكم في الجارية في سفينة نوح لانهم
اذا كانوا من نسل المحمولين الناجين كان حمل آبائهم منة عليهم وكأنهم هم المحمولون
لان نجاتهم سبب ولادتهم لنجعلها الضمير للفعلة وهي نجاة المؤمنين واغراق
الكفرة تذكرة عبرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته وتعيها اذن واعية من شأنها ان تعي وتحفظ ما سمعت به
ولا تضيعه بترك العمل وكل ما حفظته في نفسها فقد وعته وما حفظته في غير نفسها
فقد اوعته كقولك اوعيت الشيء في الظرف وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعلي رضي الله عنه
عند نزول هذه الآية سألت الله ان يجعلها اذنك يا علي قال علي رضي الله عنه فما نسيت
شيئا بعد وما كان لي ان انسى وانما قال اذن واعية على التوحيد والتنكير
للدلالة على ان الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم وللدلالة
على ان الاذن الواحدة اذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد الاعظم

عند الله وان ما سواها لا يبالي بهم بالة وان ملأوا ما بين الخافقين و
قرئ وتعيها بسكون العين للتخفيف شبه تعي بكبد ﴿فاذا نفخ في الصور نفخة
واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة﴾ اسند الفعل الى
المصدر وحسن تذكيره للفصل وقرأ ابو السمال نفخة واحدة بالنصب
مسندا للفعل الى الجار والمجرور فان قلت هما نفختان فلم قيل واحدة قلت
معناه انها لا تثنى في وقتها فان قلت فاي النفختين هي قلت الاولى لان
عندها فساد العالم وهكذا الرواية عن ابن عباس وروي عنه انها الثانية
فان قلت اما قال بعد يومئذ تعرضون والعرض انما هو عند النفخة
الثانية قلت جعل اليوم اسما للحين الواسع الذي تقع فيه النفختان
والصعقة والنشور والوقوف والحساب فلذلك قيل يومئذ تعرضون كما
تقول جئته عام كذا وانما كان مجيئك في وقت واحد من اوقاته وحملت
ورفعت من جهاتها بريح بلغت من قوة عصفها انها تحمل الارض والجبا
أو بخلق من الملائكة او بقدرة الله من غير سبب وقرئ وحملت بتشديد
المحمل وهو احد الثلثة فدكتا فدكت الجملتان جملة الارضين وجملة الجبال فضرب
بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا والدك ابلغ من الدق
وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لا ترى فيها عوجا ولا امتا من قولك
اندك السنام اذا انفرش وبعير ادك وناقة دكاء ومنه الدكان فيومئذ

وقعت



نوقفه

وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على ارجائها
ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ فيومئذ وقعت الواقعة فحينئذ نزلت
النازلة وهي القيامة واهية مسترخية ساقطة القوة جدا بعد ما كانت
محكمة مستمسكة يريد والخلق الذي يقال له الملك ورد اليه الضمير مجموعا في قوله
فوقهم على المعنى فان قلت ما الفرق بين قوله والملك وبين ان يقال والملائكة
قلت الملك اعم من الملائكة الا ترى الى قولك ما من ملك الا وهو شاهد اعم من
قولك ما من ملائكة على ارجائها على جوانبها الواحد رجا يعني انها
تنشق وهي مسكن الملائكة فينضوون الى اطرافها وما حولها من حافاتها ثمانية اي
ثمانية منهم وعن رسول الله عم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله
باربعة آخرين فيكونون ثمانية املاك ارجلهم في تخوم الارض السابعة و
العرش فوق رؤوسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان
وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وروي
ثمانية املاك في خلق الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما
وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على
عفوك بعد قدرتك واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على بعد
علمك وعن الحسن الله اعلم كم هم أثمانية ام ثمانية آلاف وعن الضحاك ثمانية صفوف
لا يعلم عددهم الا الله ويجوز ان تكون الثمانية من الروح او من خلق آخر فهو

حلمك

القادر على ما خلق سبحانه الذي خلق الاشياء كلها ثمانية اصناف الارض وسماء
انفسهم وثمانية لا يعلمون يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية فاما من اوتي
كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه اني ظننت اني ملاق حسابيه فهو
في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في
الايام الخالية العرض عبارة عن المحاسبة والمسائلة شبه ذلك بعرض السلطان
العسكر لتعرف احواله وروي ان في يوم القيمة ثلث عرضات فاما عرضتان فا
عتذار واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة ففيها تنتشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والها
لك كتابه بشماله خافية سر وحال كانت تخفى في الدنيا بستر الله عليكم فاما من
تفصيل للعرض هاؤم صوت يصوت به فيفهم منه معنى خذ كاف وحس وما اشبه ذلك
وكتابيه منصوب بهاؤم عند الكوفيين وعند البصريين باقرؤا لانه اقرب العا
ملين واصله هاؤم كتابي اقرؤا كتابي فحذف الاول لدلالة الثاني عليه ونظيره
آتوني افرغ عليه قطرا قالوا ولو كان العامل الاول لقيل اقرؤه وافرغه
والهاء للسكت في كتابيه وكذلك في حسابيه وماليه وسلطانيه وحق هذه الهاءات ان
تثبت في الوقف وتسقط في الوصل وقد استحب ايثار الوقف ايثارا لثباتها
في المصحف وقيل لا باس بالوصل والاسقاط وقرا ابن محيصن باسكان الياء بغير ها
وقرا جماعة باثبات الهاء في الوصل والوقف جميعا لاتباع المصحف ظننت
علمت وانما اجري الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقوم مقام العلم في العادات والاحكام

وتعالى

وتعالى الى ان يكون كاليقين الا الامر كيف وكيف راضية منسوبة الى الرضا كالدارع و
النابل والنسبة نسبتان نسبة بالحرف ونسبة بالصيغة او جعل الفعل لها مجازا
وهو لصاحبها في جنة عالية مرتفعة المكان في السماء او رفيعة الدرجات او رفيعة الابنية
والقصور والاشجار قطوفها دانية يتناولها القاعد والقائم يقال لهم كلوا واشربوا
هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا على المصدر بما اسلفتم بما قدمتم من الاعما
ل الصالحة في الايام الخالية الماضية من ايام الدنيا وعن مجاهد ايام الصيام
الصلوات اي بدلا ما امسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله وروي يقول
الله يا اوليائي طال ما نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة
وغارت اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا هنيئا بما
اسلفتم في الايام الخالية واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت
كتابيه ولم ادر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه
القيمة يا ليتها للموتة يقول يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية القاطعة
لامري فلم ابعث بعدها او انك ما القى او للحالة اي ليت هذه الحالة كانت
الموتة التي قضت علي لانه رأى تلك الحالة ابشع وامر مما ذاقه من مرارة الموت
وشدته فتمناه عندها ما اغنى نفيا او استفهاما على وجه الانكار اي اي شيء اغنى
عني ما لي من اليسار هلك عني سلطانيه ملكي وتسلطي على الناس او حجتي فبقيت فقيرا
ذليلا وعن ابن عباس انها نزلت في الاسود بن عبد الاسد وحين تناجى الاماثل

القابلة

بالعقد انه لما نال حظا من الدولة وابتهج بنيلها ملك الاملاك خلد بالقدرة
تليه بعده وجد نكادا لا يتعلق لسانه الا بهذه الآية وقال ابن عباس ضلت عني
حجتي ومعناه بطلت حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا خذوه فغلوه ثم
الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه انه كان لا يؤمن
بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم ههنا حميم
ثم الجحيم صلوه ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان سلطانا
يتعظم على الناس فعال ... النار ثم في سلسلة فاسلكه في
السلسلة ان تلوى على جسده حتى تلتف عليه اثناؤها وهو فيما بينها
مضيق عليه لا يقدر على حركة وجعلها سبعين ذراعا اراد الوصف
بالطول كما قال ان تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لانها اذا
طالت كان الارهاق اشد والمعنى في تقديم السلسلة على السلك مثله في تقديم
الجحيم على التصلية اي لا تسلكوه الا في هذه السلسلة كانها افظع من سائر
مواضع الارهاق في الجحيم ومعنى ثم الدلالة على تفاوت ما بين الغل
والتصلية بالجحيم وما بينها وبين السلك في السلسلة لا على تراخي المدة
انه تعليل على طريق الاستئناف وهو ابلغ كانه قيل ماله يعذب الشديد فقيل
جيب بذلك ومن قوله ولا يحض على طعام المسكين دليلان قويان على عظم
الجرم في حرمان المسكين احدهما عطفه على الكفر وجعله قرينة له

والثاني

والثاني ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك
الفعل وما احسن قول القائل اذا نزل الاضياف كان عذورا على الحي حتى
تستقل مراجله يريد حضهم على القرى والاستعجال به ونهاهم عليه وعن
ابي الدرداء انه كان يحض امرأته على تكثير المرق لاجل المساكين وكان يقول خلعنا
نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع نصفها وقيل هو منع الكفار وقولهم
انطعم من لو يشاء الله اطعمه والمعنى على بذل طعام المسكين حميم قريب
يدفع عنه ويحزن عليه لانهم يتحامونه ويفرون منه كقوله ولا يسأل حميم
حميما ولا طعام الا من غسلين لا يأكله الا الخاطئون فلا اقسم بما
تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا
ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين
والغسلين غسالة اهل النار وما يسيل من ابدانهم من الصديد والدم
فعلين من الغسل الخاطئون الآثمون اصحاب الخطايا وخطئ الرجل اذا
تعمد الذنب وهم المشركون عن ابن عباس وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة
ياء والخاطون بطرحها وعن ابن عباس ما الخاطون كلنا نخطو وروى
عنه ابو الاسود الدؤلي ما الخاطون انما هو الخاطئون ما الصابون انما
هو الصابئون ويجوز ان يراد الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون
حدود الله فلا اقسم بالاشياء كلها على الشمول والاحاطة لانها لا

جما

لا تبصرون من مشاهدات ومغيبات وقيل الدنيا والآخرة والاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة انه اي القرآن لقول رسول كريم اي يبلغه ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله وما هو بقول شاعر ولا كاهن كما تزعمون والقلة في معنى العدم اي لا تؤمنون ولا تذكرون البتة والمعنى ما اكفركم وما اغفلكم تنزيل بيانا لانه قول رسول نزله عليه من رب العالمين وقرأ ابو السمال تنزيلا اي نزل تنزيلا وقيل الرسول الكريم جبرائيل وقوله وما هو بقول شاعر دليل على انه محمد لان المعنى على اثبات انه رسول لا شاعر ولا كاهن ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين وانه لتذكرة للمتقين وانا لنعلم ان منكم مكذبين وانه لحسرة على الكافرين وانه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم التقول افتعال القول لان فيه تكلفا من المفتعل وسمي الاقوال المنقولة اقاويل تصغيرا بها وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك كانها جمع افعولة من القول والمعنى ولو ادعى علينا شيئا لم نقله لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون اهول وهو ان يؤخذ بيده وتضرب رقبته وخص اليمين على اليسار لان القتال اذا اراد ان يوقع الضرب في قفاه اخذ بيساره واذا اراد ان يوقعه في جيده



وان يكفحه بالسيف وهو اشد على المصبور لنظره الى السيف اخذ بيمينه ومعنى لاخذنا منه باليمين لاخذنا بيمينه كما ان قوله لقطعنا منه الوتين لقطعنا وتينه وهو نياط القلب وهو حبل الوريد اذا قطع مات صاحبه وقرئ ولو تقول على البناء للمفعول فما منكم من احد عنه حاجزين لانه في معنى الجماعة وهو اسم يقع في النفي العام مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ومنه قوله لا نفرق بين احد من رسله والخطاب للناس والضمير في عنه للقتل اي لا يقدر احد منكم ان يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه او لرسول الله اي لا تقدرون ان تحجزوا عنه وتحولوا بينه وبينه والخطاب للناس وكذلك في قوله وانا لنعلم ان منكم مكذبين وهو ايعاد على التكذيب وقيل الخطاب للمسلمين والمعنى ان منهم ناسا سيكفرون بالقران وانه والضمير للقران لحسرة على الكافرين به المكذبين له اذا رأوا ثواب المؤمنين به او للتكذيب وان القران لليقين حق اليقين كقولك هو العالم حق العالم والمعنى لعين اليقين ومحض اليقين فسبح باسم ربك العظيم وهو قوله سبحان الله العظيم شكرا على ما اوحى اليك عن رسول الله عم من قرا سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

قيل

... وحق العالم

بسم الله الرحمن الرحيم

سال سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج

السنة خامسة سنة ٩٩ هـ

تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فاصبر
صبرا جميلا سأل ضمن معنى دعا فعدي تعديته كانه قيل دعا داع
بعذاب واقع من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه ومنه قوله يدعون
فيها بكل فاكهة وعن ابن عباس رضي الله عنه هو النضر بن الحارث قال ان كان هذا
هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقيل
هو رسول الله صلى الله عليه وسلم استعجل بعذاب للكافرين وقرئ سال سايل وهو على وجهين
اما ان يكون من السؤال وهي لغة قريش يقولون سلت تسال وهما يتسايلان
وان يكون من السيلان ويؤيده قراءة ابن عباس سال سيل والسيل مصدر في
معنى السائل كالغور بمعنى الغائر والمعنى اندفع عليهم وادي عذاب فذهب
بهم واهلكهم وعن قتادة سأل سائل عن عذاب الله على من ينزل وبمن يقع
فنزلت وسأل على هذا الوجه مضمن معنى عني واهتم فان قلت بم يتعلق قوله
للكافرين قلت هو على القول الاول متصل بعذاب صفة له اي بعذاب واقع كائن
للكافرين او بالفعل اي دعا للكافرين بعذاب واقع او بواقع اي بعذاب نازل
لاجلهم وعلى الثاني هو كلام مبتدا جواب للسائل اي هو للكافرين فان قلت
فقوله من الله بم يتصل قلت يتصل بواقع اي واقع من عنده او بدافع بمعنى ليس له
دافع من جهته اذا جاء وقته واوجبت الحكمة وقوعه ذي المعارج ذي المصا
عد جمع معرج ثم وصف المصاعد وبعد مداها في العلو والارتفاع فقال

تعرج

هذا ظاهر الوجه الثاني من الوجهين ... اعني ان قوله وان يكون عطف على قوله اما ان يكون

تعرج الملائكة والروح الى عرشه وحيث تهبط منه اوامره في يوم
كان مقداره كمقدار مدة خمسين الف سنة مما يعد الناس والروح جبريل
عليه السلام افرده لتميزه بفضله وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما ان
الملائكة حفظة على الناس فان قلت بم يتعلق قوله فاصبر قلت بسأل سائل
لان استعجال النضر بالعذاب انما كان على وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والتكذيب
بالوحي وكان ذلك مما يضجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بالصبر عليه وكذلك من سأل عن العذاب
لمن هو فانما سأل على طريق التعنت وكان من كفار مكة ومن قرأ سال سائل
او سيل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فاصبر فقد شارفت الانتقام
وقد جعل في يوم من صلة واقع اي يقع في يوم طويل مقداره خمسون
الف سنة من سنيكم وهو يوم القيامة اما ان يكون استطالة له لشدته على
الكفار واما لانه على الحقيقة كذلك قيل فيه خمسون موطنا كل موطن الف سنة
وما قدر ذلك على المؤمن الا كما بين الظهر والعصر انهم يرونه بعيدا و
نريه قريبا يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسأل حميم
حميما يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه
وفصيلته التي تؤويه ومن في الارض جميعا ثم ينجيه كلا انها لظى نزاعة للشوى
تدعو من ادبر وتولى وجمع فاوعى ٥ الضمير في يرونه للعذاب الواقع او
ليوم القيامة فيمن علقه بواقع اي يستبعدونه على جهة الاحالة ونحن نراه

بعيد يعني على فرض ان يكون الضمير في يرونه للعذاب وان يكون ليوم القيامة اما لو علقت يوما بيعود فلا يكون الضمير الا للعذاب

ويقذفون بالغيب من مكان بعيد علينا والمعتقد فالمراد بالبعيد البعيد
من الامكان وبالقريب القريب منه نسبة بين ان تكون بقربنا او ممكن والبعد
في ذلك البعيد او بعيدا ينبغ لذا لانه واقع عليه او يوم تكون السماء كالمهل كا
كيف وكيف او لمن يرد ان يحيى يوم فيه حلقة بواقع كالمهل كدردي الزيت و
عن ابن عباس في الفضة المذابة تلونها كالعهن كالصوف المصبوغ الوا
لان الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود فاذا بست
ونسفت في الجو شبهت بالعهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسأل حميم حميما
الا انساله بكيف حاله ولا يكلمه لانه يحمل احدنا يشغله عن المسألة يبصرونهم
ثم انه يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم فما يمنعهم من المسألة ان
بعضهم لا يبصر بعضا وانما يمنعهم التشاغل وقرئ يبصرونهم وقرئ ولا
يسأل على البناء للمفعول اي لا يقال لحميم اين حميمك ولا يطلب منه لانهم
يبصرونهم فلا يحتاجون الى السؤال والطلب فان قلت ما موقع يبصرونهم
قلت هو كلام مستأنف كأنه لما قال ولا يسأل حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقيل
يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم فان قلت لم جمع الضميران في
يبصرونهم وهما للحميمين قلت المعنى على العموم لكل حميمين لا لحميمين اثنين و
يجوز ان يكون يبصرونهم صفة اي حميما مبصرين معرفين اياهم وقرئ يبصرونهم على
والبناء على البناء للاضافة اي يتمكنوا من الخذلان يعرفونهم عن شرهم حقا و

تعذيب

تعذيب يومئذ والشفاعة بعذاب لانه في معنى تعذيب وفصيلته عشيرته الادنون
الذين فصل عنهم تؤويه تضمه انتماء اليها او لياذا بها في النوائب ينجيه عطف
على يفتدي اي يود لو يفتدي ثم لو ينجيه الافتداء ومن في الارض من الثقلين
والانجاء بمعنى ينجيه لو كان فلذا لا يجمع تحت يده ونسلكهم فيما ثم
ينجيه ذلك وهيهات ان ينجيه كلا ردع عن الوداد وتنبيه على انه لا ينفعه
الافتداء ولا ينجيه من العذاب ثم قال انها والضمير للنار ولم يجر لها ذكر لان ذكر
العذاب دل عليها ويجوز ان يكون ضميرا مبهما ترجم عنه الخبر او ضمير القصة ولظى
علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب ويجوز ان يراد اللهب ونزاعة خبر بعد
خبر لان او خبر للظى ان كانت الهاء ضمير القصة او صفة له ان اردت اللهب والتانيث
لانه في معنى النار او رفع على التهويل اي هي نزاعة وقرئ نزاعة بالنصب على
للتوكيد او على انها متلظية نزاعة او على الاختصاص للتهويل والشوى الا
طراف جمع شواة وهي جلدة الرأس تنزع نزاعة فتنكشف ثم تعاد وتدعو مجازا
عن احضارهم كأنها تدعوهم فتحضرهم ونحوه قوله من الزفرة تدعو الله
انشلع
البريد وقوله تقول الله هل امتلأت ونقول لها انبعث وقول ابي النجم تقول للرائد اعشبت
انزل وقيل تدعو لهم الزبانية بالاسماء باسمائهم وقيل تدعو المنافقين والكافرين
بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب فيجوز ان تخلق الله فيها كلاما كما يخلقه
في جلودهم وايديهم وارجلهم وكما خلقه في الشجرة ويجوز ان يكون دعاء الزبانية

وقيل تدعو تهلك من قول العرب دعاك الله أي أهلكك قال دعاك الله من رجل بأفعى
تدعو من أدبر عن الحق وتولى عنه وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤد
الزكاة والحقوق الواجبة فيه وتشاغل به عن الدين وزهى باقتنائه تكبرا
إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا
إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين في أموالهم حق معلوم
للسائل والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب
ربهم مشفقون إن عذاب ربهم غير مأمون والذين هم لفروجهم حا
فظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء
ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين
هم بشهاداتهم قائمون والذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك في جنات
مكرمون أريد بالإنسان الناس فلذلك استثنى منه إلا المصلين والهلع
سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير من قولهم
ناقة هلوع سريعة السير وعن أحمد بن يحيى قال لي محمد بن عبد الله بن طا
هر ما الهلع فقلت قد فسره الله ولا يكون تفسير أبين من تفسيره وهو
الذي إذا ناله الشر أظهر شدة الجزع وإذا ناله الخير بخل به ومنعه الناس
والخير المال والغنى والشر الفقر أو الصحة والمرض إذا صح الغني منع
المعروف وشح بماله وإذا مرض جزع وأخذ يوصي والمعنى أن الإنسان

لإيثاره



لإيثاره الجزع والمنع وتمكنهما منه ورسوخهما فيه كأنه مجبول عليهما
مطبوع وكأنه أمر خلقي وضروري غير اختياري كقوله خلق الإنسان من
عجل والدليل عليه أنه حين كان في البطن والمهد لم يكن به هلع ولأنه ذم والله
لا يذم فعله والدليل عليه استثناء المؤمنين الذين جاهدوا أنفسهم و
حملوها على المكاره وظلفوها عن الشهوات حتى لم يكونوا جازعين ولا مانعين
وعن النبي صلى الله عليه وسلم شر ما أعطي ابن آدم شح هالع وجبن خالع فإن قلت
كيف قال على صلاتهم دائمون ثم على صلاتهم يحافظون قلت معنى دوامهم
عليها أن يواظبوا على أدائها لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من
الشواغل كما روي عن النبي أفضل العمل أدومه وإن قل وقول عائشة
كان عمله ديمة ومحافظتهم عليها أن يراعوا إسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا
أركانها ويكملوها بسننها وآدابها ويحفظوها من الإحباط باقتراف المآثم
فالدوام يرجع إلى أنفس الصلوات والمحافظة إلى أحوالها حق معلوم
هو الزكاة لأنها مقدرة معلومة أو صدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها
في أوقات معلومة السائل الذي يسأل والمحروم الذي يتعفف عن السؤال
فيحسب غنيا فيحرم يصدقون بيوم الدين تصديقا بأعمالهم واستعدا
دا له ويشفقون من عذاب ربهم واعترض بقوله إن عذاب ربهم غير مأمون
أي لا ينبغي لأحد وإن بالغ في الطاعة والاجتهاد أن يأمنه وينبغي أن يكون

ثم خصها من بين الحقوق الرجاء وقرئ بشهاداتهم وبشهادتهم والشهادة من جملة الأمانات وخصها من بينها إبانة لعظمها لفضلها لأن في إقامتها إحياء الحقوق وتصحيحها وفي تركها تضييعها وإبطالها فما للذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم كلا كان المشركون يحتفون حول النبي صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون ويستهزئون بكلامه ويقولون إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت مهطعين مسرعين نحوك مادي أعناقهم إليك مقبلين بأبصارهم عليك عزين فرقا شتى جمع عزة وأصلها عزوة كأن كل فرقة تعتزي إلى غير من تعتزي إليه الأخرى فهم مفترقون قال الكميت ونحن وجندل باغ تركنا كتائب جندل شتى عزينا وقيل كان المستهزئون خمسة أرهط كلا إنا خلقناهم مما يعلمون فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون كلا ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة ثم علل ذلك بقوله إنا خلقناهم مما يعلمون إلى آخر السورة وهو كلام دال على إنكارهم البعث فكأنه قال كلا إنهم منكرون للبعث والجزاء فمن أين يطمعون في دخول الجنة فإن قلت





من أي وجه دل هذا الكلام على إنكار البعث قلت من حيث أنه احتجاج عليهم بالنشأة الأولى كالاحتجاج بها عليهم في مواضع من التنزيل وذلك قوله خلقناهم مما يعلمون أي من النطف وبالقدرة على أن يهلكهم ويبدل ناسا خيرا منهم وأنه ليس بمسبوق على ما يريد تكوينه لا يعجزه شيء والغرض أن من قدر على ذلك لم يعجزه الإعادة ويجوز أن يراد إنا خلقناهم مما يعلمون أي من النطفة المذرة وهي منصبهم الذي لا منصب أوضع منه ولذلك أبهم وأخفي إشعارا بأنه منصب يستحيا من ذكره فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل معناه إنا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بني آدم كلهم ومن حكمنا أن لا يدخل أحد منهم الجنة إلا بالإيمان والعمل الصالح فلم يطمع أن يدخلها من ليس له إيمان وعمل وقرئ برب المشرق والمغرب ويخرجون من الأجداث سراعا بالإظهار والإدغام ونصب ونصب ونصب كأنما نصب يعبد من دون الله يوفضون يسرعون إلى الداعي مستبقين كما كانوا يستبقون إلى أنصابهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سأل سائل أعطاه الله ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم قال يا قوم إني لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم

من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون
أن أنذر أصله بأن أنذر فحذف الجار وأوصل الفعل إليه فإن
الناصبة للفعل والمعنى أرسلناه بأن قلنا له أنذر أي أرسلناه بالأمر
بالإنذار ويجوز أن يكون مفسرة لأن الإرسال فيه معنى القول وقرأ ابن
مسعود أنذر بغير أن على إرادة القول وأن اعبدوا نحو أن أنذر في
الوجهين فإن قلت كيف قال ويؤخركم مع إخباره بامتناع تأخير الأجل
وهل هذا إلا تناقض قلت قضى الله مثلا أن قوم نوح إن آمنوا عمرهم
ألف سنة وإن بقوا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمائة فقيل لهم آمنوا
يؤخركم إلى أجل مسمى أي إلى وقت سماه الله وضربه أمدا تنتهون إليه لا تتجاوزونه
وهو الوقت الأطول تمام الألف ثم أخبر أنه إذا جاء ذلك الأجل
الأمد لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم تكن لكم حيلة فبادروا في أوقات
الإمهال والتأخير قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم د
عائي إلا فرارا وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم
واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ثم إني دعوتهم جهارا
ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا أي ليلا ونهارا دائما
من غير فتور مستغرقا به الأوقات فلما لم يزدهم دعائي جعل الدعاء فاعل
زيادة الفرار والمعنى على أنهم ازدادوا عنده فرارا لأنه سبب الزيادة

ونظيره

ونظيره فزادتهم رجسا إلى رجسهم فزادتهم إيمانا لتغفر لهم بالتوبة
عن كفرهم فذكر المسبب الذي هو حظهم خالصا ليكون أقبح في إعراضهم
عنه سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم وتغطوا
بها كأنهم طلبوا أن تغشيهم ثيابهم أو تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر
إلى وجه من ينصحهم في دين الله وقيل لئلا يعرفهم ويعضده قوله تعالى ألا
إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم وأصروا
أكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من أصر الحمار على العانة إذا صر أذنيه وأقبل عليها يكدمها ويطردها فاستعير
للإكباب على المعاصي والإكباب عليها واستكبروا وأخذتهم العزة
من اتباع نوح وطاعته وذكر المصدر تأكيد ودلالة على فرط استكبارهم
وعتوهم فإن قلت ما ذكر أنه دعاهم ليلا ونهارا ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم
في السر والعلن فيجب أن يكون ثلث دعوات مختلفات حتى يصح العطف قلت
قد فعل عليه السلام كما يفعل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في الابتداء
بالأهون والترقي في الأشد فالأشد فافتتح بالمناصحة في السر فلما لم يقبلوا
بالمجاهرة فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الإسرار والإعلان ومعنى ثم
الدلالة على تباعد الأحوال لأن الجهار أغلظ من الإسرار والجمع بين
الأمرين أغلظ من إفراد أحدهما وجهارا منصوب بدعوتهم نصب
المصدر لأن الدعاء أحد نوعيه الجهار فنصب به نصب القرفصاء

القرفصاء من قعد

نهم

بقعد لكونها احد انواع القعود او لانه اراد بدعوتهم جاهرتهم
ويجوز ان يكون صفة لمصدر دعا بمعنى دعاء جهاراً ١١ بجاهرا به
او مصدراً في موضع الحال بمجاهراً فقلت استغفروا ربكم انه
كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم باموال وبنين و
يجعل لكم انهاراً ما لكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم اطواراً ١٣ ١٤

جنات ويجعل لكم

امرهم بالاستغفار الذي هو التوبة عن الكفر والمعاصي وقدم اليهم
الموعد بما هو اوقع في نفوسهم واحب اليهم من المنافع الحاضرة
والفوائد العاجلة ترغيباً في الايمان وبركاته والطاعة ونتائجها كما قال
بركاته ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم
لاكلوا من فوقهم وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم وقيل
لما كذبوه زماناً حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ار
بعين سنة وروي سبعين فوعدهم انهم ان آمنوا رزقهم الله
الخصب ودفع عنهم ما كانوا فيه وعن عمر رضي الله عنه انه خرج
يستسقي فما زاد على الاستغفار فقيل له ما رأيناك استسقيت فقال
لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر شبه الاستغفار
بالانواء الصادقة التي لا تخطئ وعن الحسن ان رجلاً شكا
اليه الجدب فقال استغفر الله وشكا اليه آخر الفقر وآخر قلة النسل

واخر



رجال

وآخر قلة ريع ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح اتاك
يشكون ابواباً ويسألون انواعاً فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلا له هذه الآية و
السماء المظلة لان المطر ينزل منها الى السحاب ويجوز ان يراد السحاب او المطر من
قوله اذا نزل السماء بارض قوم والمدرار الكثير الدرور ومفعال مما يستوي
فيه المذكر والمؤنث كقولهم رجل او امرأة معطار ومتفال جنات بساتين لا ترجون
لله وقاراً لا تأملون له توقيراً اي تعظيماً والمعنى ما لكم لا تكونون على حال تأملون
فيها تعظيم الله اياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار
وقوله وقد خلقكم اطواراً في موضع الحال كأنه قال ما لكم لا تؤمنون بالله والحال
هذه وهي حال موجبة للايمان لانه خلقكم اطواراً اي تارات خلقكم اولاً تراباً
ثم خلقكم نطفاً ثم خلقكم علقاً ثم خلقكم مضغاً ثم خلقكم عظاماً ولحماً ثم انشأكم
خلقاً آخر او لا تخافون لله حلماً وترك معاجلة العقاب فتؤمنوا وقيل ما
لكم لا تخافون لله عظمة وعن ابن عباس لا تخافون لله عاقبة لان العاقبة حال
استقرار الامور وثبات الثواب والعقاب من وقر اذا ثبت وقر طباقاً
الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً وجعل القمر فيهن نوراً
وجعل الشمس سراجاً والله انبتكم من الارض نباتاً ثم يعيدكم فيها ويخرجكم
اخراجاً والله جعل لكم الارض بساطاً لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً ١٥ ٢٠
على التشبيه بالسراج او لانهما آيتان منظور فيه ثم على التنبيه على العالم وما
سترة

لا انه بين السموات فيه

فيه من العجايب الشاهدة على الصانع الباهر قدرته وعلمه من السموات و
الارض والشمس والقمر فيهن في السموات وهو في السماوات ملابسة من حيث
انها طباق فجاز ان يقال فيهن كذا وان لم يكن في جميعهن كما يقال في المدينة كذا و
هو في بعض نواحيها وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما ان الشمس والقمر
وجوههما مما يلي السماء وظهورهما مما يلي الارض وجعل الشمس سراجا
يبصر اهل الدنيا في ضوئها كما يبصر اهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون الى
ابصاره والقمر ليس كذلك انما هو نور لم يبلغ قوة ضياء الشمس ومثله
قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا والضياء اقوى من النور
استعير الانبات للانشاء كما يقال زرعك الله للخير وكانت هذه الاستعارة
ادل على الحدوث لانهم اذا كانوا نباتا كانوا محدثين لا محالة حدوث
النبات ومنه قيل للحشوية النابتة والنوابت لحدوث مذهبهم في الاسلام
من غير اولية لهم ومنه قولهم نجم فلان لبعض المارقة والمعنى
انبتكم فنبتم نباتا او نصب بانبتكم لتضمنه معنى نبتم ثم يعيدكم فيها مقبورين
ثم يخرجكم يوم القيامة واكده بالمصدر كانه قال يخرجكم حقا ولا محالة جعلها
بساطا مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه فجاجا واسعة
منفجة قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا
خسارا ومكروا مكرا كبارا وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا

ولا

ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد اضلوا كثيرا و
اتبعوا رؤساهم المقدمين اصحاب الاموال والاولاد وارتسم ذلك
من التمسك بعبادة الاصنام وجعل اموالهم واولادهم التي لم تزدهم الا
جاها ومنفعة في الدنيا زائدة خسارا في الاخرة ... لانه
لهم وكونهم متعززين بها ... وابتلاء لما سواه وقرئ وولده
وولده بضم الواو ... ومكروا معطوف على لم يزده وجمع الضمير وهو
راجع الى من لانه في معنى الجمع والماكرون هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم
الدين وكيدهم لنوح وتحريش الناس على اذاه وصدهم عن الميل اليه و
الاستماع منه وقولهم لهم لا تذرن آلهتكم الى عبادة رب نوح مكرا كبارا قرئ بالتخفيف
والتثقيل والكبار اكبر من الكبار ونحوه طوال وطوال ولا تذرن ودا
كان لهذه المسميات اكبر اصنامهم واعظمها عندهم فخصوها بعد قولهم
لا تذرن آلهتكم وقد انتقلت هذه الاصنام عن قوم نوح الى العرب فكان
ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير
ولذلك سمت بعبد ود وعبد يغوث وقيل هي اسماء رجال صالحين و
قيل من اولاد آدم ماتوا فقال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم
كنتم تنشطون الى العبادة ففعلوا فلما ماتوا وجاء من بعدهم قال انهم كانوا
يعبدونهم فعبدوهم ... وقرئ ... ودا بضم الواو ... ولا يغوث ويعوق

[margin: ما و ... / اي حيلة / الكبر والكبار / ... ]

ويغوث على صورة الأسد ويعوق على صورة الفرس ونسر على صورة النسر وقرئ
وُدًّا بضم الواو وقرأ الأعمش ولا يغوثا ويعوقا بالصرف وهذه قراءة مشكلة لأ
نهما إن كانا عربيين أو عجميين ففيهما سببا منع الصرف إما التعريف ووزن الفعل وإما
التعريف والعجمة ولعله قصد الازدواج فصرفهما لمصادفته أخواتهما منصرفات ودا
وسواعا ونسرا كما قرئ وضحاها بالإمالة لوقوعه مع الممالات للازدواج وقد أضلوا
الضمير للرؤساء ومعناه وقد أضلوا كثيرا قبل هؤلاء الموصين بأن يتمسكوا بعبادة الأص
نام ليسوا بأول من أضلوهم أو وقد أضلوا بإضلالهم كثيرا يعني أن هؤلاء المضلين
فيهم كثرة ويجوز أن يكون للأصنام كقوله إنهن أضللن كثيرا من الناس فإن قلت علام
عطف قوله ولا تزد الظالمين قلت على قوله رب إنهم عصوني على حكاية كلام نوح
عليه السلام بعد قال وبعد الواو النائبة عنه ومعناه قال رب إنهم عصوني ولا تزد الظالمين
إلا ضلالا أي قال هذين القولين وهما في محل النصب لأنهما مفعولا قال كقولك
قال زيد نودي للصلاة وصل في المسجد تحكي قوليه معطوفا أحدهما على صاحبه
فإن قلت كيف جاز أن يريد لهم الضلال ويدعو الله بزيادته قلت المراد بالضلال
أن يخذلوا ويمنعوا الألطاف لتصميمهم على الكفر ووقوع اليأس من إيمانهم وذلك
حسن جميل يجوز الدعاء به بل لا يحسن الدعاء بخلافه ويجوز أن يريد بالضلال
الضياع والهلاك كقوله ولا تزد الظالمين إلا تبارا مما خطيئاتهم أغرقوا
فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا تقديم مما خطيئاتهم

لبيان



لبيان أن لم يكن إغراقهم بالطوفان فإدخالهم النار إلا من أجل خطيئاتهم وأكد هذا
بزيادة ما وفي قراءة ابن مسعود من خطيئاتهم ما أغرقوا بتأخير الصلة وكفى بها مزجرة
لمرتكب الخطايا فإن كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم وإن كانت كبراهن و
قد نعيت عليهم سائر خطيئاتهم كما نعى عليهم كفرهم ولم يفرق بينه وبينهن في
استيجاب العذاب لئلا يتكل المسلم الخاطئ على إسلامه ويعلم أن معه ما يستوجب
به العذاب وإن خلا من الخطيئة الكبرى وقرئ خطيئاتهم بالهمزة وخطياتهم بقلبها
ياء وإدغامها وخطاياهم وخطيئتهم بالتوحيد على إرادة الجنس ويجوز أن يراد
الكفر فأدخلوا نارا جعل دخولهم النار في الآخرة كأنه متعقب لإغراقهم لا
قترابه ولأنه كائن لا محالة فكأنه قد كان أو أريد عذاب القبر ومن مات في ماء أو
نار أو أكلته السباع والطير أصابه ما يصيب المقبور من العذاب وعن الضحاك
كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب وتنكير النار إما لتعظيمها أو لأن الله
أعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا
تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله وأنها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم كأنه
قال فلم يجدوا لهم من دون الله آلهة ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله كقوله
أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين د
إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا ديارا من الأسماء
المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار وديور كقيام وقيوم

وهو فيعال من الدور أو من الدار أصله ديوار ففعل به ما فعل بأصل
سيد ولو كان فعالا لكان دوارا فإن قلت بم علم أن أولادهم يكفرون وكيف وصفهم بالكفر
عند الولادة قلت لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فذاقهم وأكلهم وعرف
طباعهم وأحوالهم وكان الرجل ينطلق بابنه إليه ويقول احذر هذا فإنه كذاب
وإن أبي حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك وقد أخبره الله عز وجل
أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ومعنى ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا إلا من إذا بلغ
فجر وكفر فوصفهم بما يصيرون إليه كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه رب
اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين
إلا تبارا ولوالدي أبوه لمك بن متوشلخ وأمه شمخا بنت أنوش كانا مؤمنين
وقيل هما آدم وحواء وقرأ الحسين بن علي رضي الله عنهما ولولدي يريد ساما
وحاما بيتي منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي خص أولا من يتصل به لأنهم أولى و
أحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات تبارا هلاكا فإن قلت ما فعل صبيانهم حين
أغرقوا قلت غرقوا معهم لا على وجه العقاب ولكن كما يموتون بالأنواع من أسباب
الهلاك وكم منهم من يموت بالغرق والحرق وكان ذلك زيادة في عذاب الآباء والأمهات
إذا أبصروا أطفالهم يغرقون وعن الحسن أنه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فأهلكهم بغير
عذاب وقيل أعقم الله أرحام نسائهم وأيبس أصلاب آبائهم قبل الطوفان بأربعين

المؤمنين

أو سبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين أغرقوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح
كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم قل أوحي إلي أنه استمع
نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا
أحدا قرئ أحي وأصله وحي يقال أوحى إليه ووحى إليه فقلبت الواو همزة كما يقال أعد
وأزن وإذا الرسل أقتت وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة وقد
أطلقه المازني في المكسورة أيضا كإشاح وإسادة وإعاء أخيه وقرأ ابن أبي عبلة
وحي على الأصل أنه استمع بالفتح لأنه فاعل أوحي وإنا سمعنا بالكسر لأنه مبتدأ محكي
بعد القول ثم تحمل عليهما البواقي فما كان من الوحي فتح وما كان من قول الجن كسر
وكلهن من قولهم إلا الثنتين الأخريين وأن المساجد لله وأنه لما قام ومن فتح
كلهن فعطفا على محل الجار والمجرور في آمنا به كأنه قيل صدقناه وصدقنا أنه تعالى
جد ربنا وأنه كان يقول سفيهنا وكذلك البواقي نفر من الجن جماعة منهم ما
بين الثلاثة إلى العشرة وقيل كانوا من الشيصبان وهم أكثر الجن عددا وعامة
جنود إبليس منهم قالوا إنا سمعنا أي قالوا لقومهم حين رجعوا إليهم كقوله
فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا قرآنا كتابا عجبا
بديعا مباينا لسائر الكتب في حسن نظمه وصحة معانيه قائمة فيه دلائل الإعجاز والعجب
مصدر يوضع موضع العجيب وفيه مبالغة لكونه مصدرا وهو ما خرج عن حد



اناه

ثم قال وتشابه يهدي الى الرشد يدعوا الى الصواب وقيل الى التوحيد والايمان
الضمير في به للقرآن وقالوا ان الايمان به ايمانا بالله وربوبيته ونبوة من ارسل قالوا
ولن نشرك بربنا احدا اي ولن نعود الى ما كنا عليه من الاشراك به في الاية التي السلام
ويجوز ان يكون الضمير لله لان قوله بربنا يفسره وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ
صاحبة ولا ولدا وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا وانا ظننا ان لن تقول
الانس والجن على الله كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن
فزادوهم رهقا جد ربنا عظمته من قولك جد فلان اذا عظم وفي حديث
عمر رضي الله عنه كان الرجل منا اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا ... اجتنا او
ملكه وسلطانه او غناه مستعار من الجد الذي هو الدولة والبخت لان الملوك
والاغنياء هم المجدودون والمعنى وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته
او لسلطانه او ملكوته او لغناه وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك و
قرئ جدا ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر اي صدق ربوبيته وحق الهيته عن اتخاذ
الصاحبة والولد وذلك انهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والايمان
تنبهوا على الخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله بخلقه واتخاذه صاحبة
وولدا فاستعظموه ونزهوه سفيههم ابليس لعنه الله او غيره من مردة
الجن والشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره ومنه اشط في السوم اذا ابعد فيه اي
يقول قولا هو في نفسه شطط لبعده عن الصواب وهو نسبة الصاحبة والولد







الى الله وكان في ظننا ان احدا من الثقلين لن يكذب على الله ولذا تبعنا عليه ما كتب بحيث
تكذبا حتى تبين فيما اضافوا اليه من ذلك حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم وافتراؤهم كذبا
نصب على انه مصدر مؤكد او بانه نعت مصدر محذوف لان الكذب نوع من القول ومن
قرأ ان لن تقول وقع كذبا موقع تقولا ولم يجعله صفة لان التقول لا يكون الا
كذبا والرهق غشيان المحارم والمعنى ان الانس باستعاذتهم بهم زادوهم كبرا او
كفرا او ذلك ان الرجل من العرب كان اذا امسى في واد قفر في بعض مسايره وخاف
على نفسه قال اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن والانس
حتى هم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الجن والانس فذلك رهقهم او فزاد
الجن الانس رهقا باغوائهم واضلالهم لاستعاذتهم بهم وانهم ظنوا كما ظننتم
ان لن يبعث الله احدا وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا او
شهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا
وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا وانهم وان الا[نس]
كلها مما انتم وهو من كلام الجن يقوله بعضهم لبعض وقيل الايتان من جملة الوحي
والضمير في انهم للانس والخطاب في ظننتم لكفار قريش اللمس المس فاستعير
للطلب لان الماس طالب متعرف يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه
والتمسه كلمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه ونحوه الجس ورد
جسوه والمعنى طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام اهلها والحرس اسم جمع في معنى
الحرس

بينهم

وانا لمسنا السماء
صعدنا الى السماء لنسترق اي السمع
من النفس وهو استرق
لطلبكته في ... فيه بالكسر على
الاستيناف وبالفتح على سبيل الحكاية

ارتبهم

لا شياء

كالخدم في معنى الخدام ولذلك وصف بشديد ولو ذهب الى معناه لقيل شدادا
ونحوه اخشى رجيلا او ركيبا عاديا لان الرجل والركب مفردان في معنى الرجال
والركاب والرصد مثل الحرس اسم جمع للراصد على معنى ذوي شهاب راصدين با
وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع ويجوز ان يكون صفة
للشهاب بمعنى الراصد وكقوله ومعى جياعا يعني يجد شهابا راصدا له ولاجله فان
قلت كان الرجم لم يكن في الجاهلية وقد قال الله ولقد زينا السماء الدنيا وجعلناها
رجوما للشياطين فذكر فائدتين في خلق الكواكب التزيين ورجم الشياطين قلت
قال بعضهم حدث بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو احدى آياته والصحيح انه كان
قبل المبعث وقد جاء ذكره في شعر اهل الجاهلية قال بشر بن ابي خازم والعير
يرهقها الغبار وجحشها ينقض خلفهما انقضاض الكوكب وقال اوس بن حجر
فانقض كالدري يتبعه نقع يثور تخاله طنبا وقال عوف بن الخرع يرد
علينا العير من دون الفه او الثور كالدري يتبعه الدم ولكن الشياطين
كانت تسترق في بعض الاحوال فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة
حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق اصلا وعن معمر قلت للزهري اكان يرمى
بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت ارايت قوله وانا كنا نقعد فقال غلظت وشدد
امرها حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم وروى الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهم
بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من الانصار اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم

تقولون في مثل هذا في الجاهلية فقالوا كنا نقول يموت عظيم او يولد عظيم ولقوله
ملئت دليل على ان الحادث هو الملء والكثرة وكذلك قوله نقعد منها مقاعد اي كنا نجد فيها بعض
المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد كلها وهذا ذكر ما
حملهم على الضرب في البلاد حتى عثروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمعوا قراءته يقولون لما
حدث هذا الحادث من كثرة الرجم ومنع الاستراق قلنا ما هذا الا لامر اراده الله
باهل الارض ولا يخلو من ان يكون شرا او رشدا اي خيرا من عذاب او رحمة او
من خذلان او توفيق وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا وانا
ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا وانا لما سمعنا الهدى آمنا به ومن
يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا منا الصالحون الابرار المتقون ومنا دون
ذلك ومنا قوم دون ذلك فحذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم وهم المقتصدون
في الصلاح غير الكاملين فيه او اراد والطالحين كنا طرائق قددا بيان للقسمة المذكورة
اي كنا ذوي مذاهب متفرقة مختلفة او كنا في اختلاف احوالنا مثل الطرائق المختلفة او
كنا في طرائق مختلفة كقوله كما عسل الطريق الثعلب او كانت طرائقنا طرائق قددا
على حذف المضاف الذي هو الطرائق واقامة الضمير المضاف اليه مقامه والقدة من
قد كالقطعة من قطع ووصفت الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق
في الارض وهربا حالان اي لن نعجزه كائنين في الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه هاربين
فيها الى السماء وقيل لن نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا

ما والذلة بمعنى اليقين وهذه صفة أحوال الجن وما هم عليه بأحوالهم وعقائدهم
منهم أخيار وأشرار ومقتصدون وأنهم يعتقدون أن الله عزيز غالب لا يفوته
مطلب ولا ينجي عنه مهرب لما سمعنا الهدى هو ما سمعته من القرآن وآمنا به فلا
يخاف فهو لا يخاف فإن المؤمن ناجٍ لأن الكلام في تقدير مبتدأ وخبر دخلت
الفاء ولولا ذلك لقيل لا يخف فإن قلت أي فائدة في رفع الفعل وتقدير مبتدأ
قبله حتى يقع خبرا له ووجوب إدخال الفاء وكان ذلك كله مستغنى عنه بأن يقال
لا يخف قلت الفائدة فيه أنه إذا فعل ذلك فكأنه قيل فهو لا يخاف فكان دالا على تحقيق
أن المؤمن ناج لا محالة وأنه هو المختص بذلك دون غيره وقرأ الأعمش فلا يخف على
النهي بخسا ولا رهقا أي جزاء بخس لأنه لم يبخس أحدا حقا ولا رهق
ظلم أحد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على أن من حق من آمن بالله أن يجتنب المظالم
ومنه قوله ع المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم ودمائهم وأموالهم ويجوز أن يراد فلا
يخاف أن يبخس بل يجزى الجزاء الأوفى ولا ترهقه ذلة من قوله عز وجل وترهقهم
ذلة وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا وأما القاسطون
فكانوا لجهنم حطبا وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه
ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا وأن المساجد لله فلا تدعوا مع
الله أحدا وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا القاسطون
الكافرون الجائرون عن طريق الحق وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه أن الحجاج قال له

حين أراد قتله ما تقول فيّ قال قاسط عادل فقال القوم ما أحسن ما قال حسبوا
أنه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة إنه سماني ظالما مشركا و
تلا لهم قوله وأما القاسطون وقوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقد
زعم من لا يرى للجن ثوابا أن الله عز وجل أوعد قاسطيهم وما وعد مسلميهم
وكفى به وعدا أن قال فأولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب وموجبه والله
أعدل من أن يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد وأن لو استقاموا أن مخففة من
الثقيلة وهو من جملة الموحى والمعنى وأوحي إلي أن الشأن والحديث لو استقام
الجن على الطريقة المثلى أي لو ثبت أبوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله والطاعة
ولم يستكبر عن السجود لآدم ولم يكفر وتبعه ولده على الإسلام لأنعمنا عليهم
ولوسعنا رزقهم وذكر الماء الغدق وهو الكثير بفتح الدال وكسرها وقرئ
بهما لأنه أصل المعاش وسعة الرزق لنفتنهم فيه لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما
خولوا منه ويجوز أن يكون معناه وأن لو استقام الجن الذين استمعوا على طريقتهم
التي كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها إلى الإسلام لوسعنا عليهم الرزق
مستدرجين لهم لنفتنهم فيه ليكون النعمة سببا في اتباعهم شهواتهم ووقوعهم
في الفتنة وازديادهم إثما أو لنعذبهم في كفران النعمة عن ذكر ربه عن عبادته
أو عن موعظته أو عن وحيه يسلكه وقرئ بالنون مفتوحة ومضمومة أي
ندخله عذابا والأصل نسلكه في عذاب كقوله ما سلككم في سقر فعدي

المفعولين اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه واما
بتضمينه معنى ندخله يقال سلكه واسلكه قال حتى اذا اسلكوهم في قتائدة والصعد
مصدر صعد يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب لانه يتصعد
العذاب اي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رضي الله عنه ما تصعدني شيء
ما تصعدتني خطبة النكاح يريد ما شق علي ولا غلبني وان المساجد من جملة الموحى
وقيل معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا على ان اللام متعلقة بلا تدعوا اي فلا
تدعوا مع الله احدا في المساجد لانها لله خاصة ولعبادته وعن الحسن يعني الارض
كلها لانها جعلت للنبي صلى الله عليه وسلم مسجدا وقيل المراد به المسجد الحرام لانه قبلة
المساجد ومنه قوله تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه
وعن قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا بيعهم وكنائسهم اشركوا بالله
فامرنا ان نخلص لله الدعوة اذا دخلنا المساجد وقيل المساجد اعضاء
السجود السبعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اسجد على سبعة آراب
وهي الجبهة والانف واليدان والركبتان والقدمان وقيل المساجد جمع مسجد وهو السجود
عبد الله النبي صلى الله عليه وسلم فان قلت هلا قيل رسول الله او النبي قلت لان تقديره واوحى الي
انه لما قام عبد الله فلما كان واقعا في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه جيء به على ما يقتضيه
التواضع والتذلل او لان المعنى ان عبادة عبد الله ليست بامر مستبعد
عن العقل ولا مستنكر حتى يكونوا عليه لبدا ومعنى قام يدعوه قام يعبده

عن العقلاء

يريد

يريد قيامه لصلاة الفجر بنخلة حين اتاه الجن فاستمعوا القراءة كادوا يكونون
عليه لبدا اي يزدحمون عليه تعجبا مما رأوا من عبادته واقتداء
اصحابه به قائما وراكعا وساجدا واعجابا بما تلا من القرآن لانهم رأوا
ما لم يروا مثله وسمعوا ما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام رسول الله يعبد الله
وحده مخالفا للمشركين في عبادتهم الآلهة من دونه كاد المشركون لتظاهرهم عليه
وتعاونهم على عداوته يزدحمون عليه متراكمين لبدا جمع لبدة وهي ما
تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الاسد وقرئ لبدا واللبدة في معنى اللبدة
ولبدا جمع لابد كساجد وسجد ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور
وعن قتادة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفئوه فابى الله
الا ان ينصره ويظهره على من ناواه ومن قرأ وانه بالكسر جعله من كلام الجن
قالوه لقومهم حين رجعوا اليهم حاكين ما رأوا من صلاته وازدحام اصحابه
عليه في ائتمامهم به قل انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا قل اني لا املك
لكم ضرا ولا رشدا قل اني لن يجيرني من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا
الا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها
ابدا قال للمتظاهرين عليه انما ادعو ربي يريد ما اتيتكم بامر منكر انما اعبد
ربي وحده ولا اشرك به احدا وليس ذلك مما يوجب اطباقكم على مقتي وعداوتي
او قال للجن عند ازدحامهم متعجبين ليس ما ترون من عبادتي الله ورفضي الاشراك

بما يتعجب منه

به بأمر يتعجب منه إنما يتعجب ممن يدعو غير الله ويجعل له شريكا أو قال
الجن لقومهم ذلك حكاية عن رسول الله ﷺ ولا رشدا ولا نفعا أو أراد بالضر
الغي ويدل عليه قراءة أبي غيا ولا رشدا أو المعنى لا أملك التبليغ أي أقدر وإن النفع
إنما الضار والنافع الله أو لا التبليغ أي أقسر على الغي والرشد وإنما القادر
على ذلك الله وإلا بلاغا استثناء منه لا أملك إلا بلاغا من الله وقل إني لن يجيرني
جملة معترضة الغرض بها التأكيد نفى الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه على معنى
أن الله إن أراد به سوءا من مرض أو موت أو غيرهما لم يصح أن يجيره منه أحد أو يجد
من دونه ملاذا يأوي إليه وأصل الملتحد المدخل من اللحد وقيل محيصا وقيل
وقرئ قال لا أملك فيكون من حكاية الجن لقومهم وقيل بلاغا بدل من ملتحدا
أي لن أجد من دونه منجا إلا أن أبلغ عنه ما أرسلني به وقيل إلا على أن لا ومعناه
إن لا أبلغ بلاغا كقولك إن لا قياما فقعودا ورسالاته عطف على بلاغا كأنه
قيل لا أملك لكم إلا التبليغ والرسالات والمعنى إلا أن أبلغ عن الله فأقول قال
الله كذا ناسبا القول إليه وأن أبلغ رسالاته التي أرسلني بها من غير زيادة و
لا نقصان فإن قلت بلغوا عني بلغوا الحق قلت من ليست بصلة للتبليغ
إنما هي بمنزلة من في قوله براءة من الله بمعنى بلاغا كائنا من الله وقرئ فأن
نار جهنم على فجزاؤه أن له نار جهنم كقوله فأن لله خمسه أي فحكمه أن لله
خمسه وقال خالدين جمعا على المعنى حتى إذا رأوا ما يوعدون

في الاصل

تقديره إلا أن لا أفعل نيابا فأفعل

فسيعلمون



فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا أهم أم هم قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل
له ربي أمدا عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فإنه
يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط
وأحصى كل شيء عددا فإن قلت بم تعلق حتى وجعل ما بعده
غاية له قلت بقوله يكونون عليه لبدا على أنهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون
أنصاره ويستقلون عددهم حتى إذا رأوا ما يوعدون من يوم بدر وإظهار الله له
عليهم أو من يوم القيمة فسيعلمون حينئذ أنهم أضعف ناصرا وأقل عددا أو
أن يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده
كأنه قال لا يزالون على ما هم عليه حتى إذا رأوا ما يوعدون قال المشركون متى يكون
هذا الموعود إنكارا له فقيل قل إنه كائن لا ريب فيه فلا تنكروه فإن الله قد وعد
ذلك وهو لا يخلف الميعاد وأما وقته فما أدري متى يكون لأن الله لم يبينه لما رأى في إخفاء
وقته من المصلحة فإن قلت ما معنى قوله أم يجعل له ربي أمدا والأمد يكون قريبا
بعيدا ألا ترى إلى قوله تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا قلت كان رسول الله
يستقرب الموعد فكأنه قال ما أدري أهو حال متوقع في كل ساعة أم مؤجل
ضربت له غاية أي هو عالم الغيب فلا يطلع فلا يطلع ومن رسول تبيين لمن ارتضى
يعني أنه لا يطلع على الغيب إلا المرتضى الذي هو مصطفى للنبوة خاصة لا كل مرتضى
وفي هذا إبطال للكرامات لأن الذين تضاف إليهم وإن كانوا أولياء مرتضين

بالعداوة

نفي

فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب
وابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابهما ابعد شيء من الارتضاء وادخله في
السخط فانه يسلك من بين يدي من ارتضى للرسالة ومن خلفه رصدا حفظة
من الملائكة يحفظونه من الشياطين يطردونهم عنه ويعصمونه من وساوسهم و
تخاليطهم حتى يبلغ ما اوحي به اليه وعن الضحاك ما بعث نبي الا ومعه
ملائكة يحرسونه من الشياطين ان يتشبهوا بصورة الملك ليعلم ان قد ابلغوا
رسالات ربهم يعني الانبياء وحد اولا على اللفظ في قوله من بين يديه ومن
خلفه ثم جمع على المعنى كقوله فان له نار جهنم خالدين والمعنى ليبلغوا رسالات
ربهم كما هي محروسة من الزيادة والنقصان وذكر العلم كذكره في قوله حتى
نعلم المجاهدين وقرئ ليعلم على البناء للمفعول واحاط بما لديهم بما عند الرسل
من الحكم والشرائع لا يفوته منها شيء ولا ينسى منها حرفا فهو مهيمن عليها
حافظ لها واحصى كل شيء عددا من القطر والرمل وورق الاشجار وزبد
البحار فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه وعددا حال اي وضبط
كل شيء معدودا محصورا او مصدر في معنى احصاء عن رسول الله صلعم من
قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا او كذب به عتق رقبة

ان يتشبهوا
بصورة الشياطين

بسم الله الرحمن الرحيم



يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه ورتل
القرآن ترتيلا انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ١١١ المزمل وهو الذي تزمل في
ثيابه اي تلفف بها بادغام التاء في الزاي ونحو المدثر في المدثر وقرئ
المتزمل على الاصل والمزمل بتخفيف الزاء وفتح الميم وكسرها على انه اسم فا
او مفعول من زمله وهو الذي زمله غيره او زمل نفسه وكان رسول الله صلعم
نائما بالليل متزملا في قطيفة فنبه ونودي بما يهجن اليه الحالة التي كان عليها
من التزمل في قطيفته واستعداده للاستغراق في النوم كما يفعل من لا يهمه امر
ولا يعنيه شان الا ترى الى قول ذي الرمة ١١١ وكائن تخطت ناقتي من مفازة ومن
نائم عن ليلها متزمل يريد الكسلان المتقاعس الذي لا ينهض في معاظم الامور
وكفايات الخطوب ولا يحمل نفسه المشاق والمتاعب ونحوه ١١١ سهدا اذا ما نا
ليل الهوجل وفي امثالهم ١١١ اوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا يا سعد تورد
الابل فذمه بالاشتمال بكسائه وجعل ذلك خلاف الجلد والكيس وامر بان
يختار على الهجود التهجد وعلى التزمل التشمر والتخفف للعبادة و
المجاهدة في الله لا جرم ان رسول الله صلعم قد تشمر لذلك مع اصحابه حق
التشمر واقبلوا على احيائهم ليلهم ورفضوا له الرقاد والدعة وتجاهدوا فيه حتى
انتفخت اقدامهم واصفرت الوانهم وظهرت السيماء في وجوههم وترامى
امرهم الى حد رحمهم له ربهم فخفف عنهم وقيل كان متزملا في مرط لعائشة رضه

المتمزمل
المتدثر بيان
على
الاشتغال بيان
ح
علما

يا

يصلي وهو على هذه الحالة ليس بتهجين بل هو ثناء عليه وتحسين لحاله التي كان عليها
وأمر بأن يدوم على ذلك ويواظب عليه وعن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت
ما كان تزميله قالت كان مرطاً طوله أربع عشرة ذراعاً نصفه علي وأنا نائمة و
نصفه عليه وهو يصلي فسئلت ما كان قالت والله ما كان خزاً ولا قزاً ولا مرعزى
ولا إبريسم ولا صوفاً كان سداه شعراً ولحمته وبراً وقيل دخل على خديجة
وقد جئث فرقاً أول ما أتاه جبريل وبوادره ترعد فقال زملوني زملوني وحسب
أنه عرض له فبينا هو على ذلك إذ ناداه جبريل يا أيها المزمل وعن عكرمة أن المعنى
يا أيها الذي زمل أمراً عظيماً أي حمله والزمل الحمل وازدمله احتمله وقرئ قم
الليل بضم الميم وفتحها قال عثمان بن جني الغرض بهذه الحركة التبلغ بها هرباً
من التقاء الساكنين فبأي الحركات تحرك فقد وقع الغرض نصفه بدل من الليل
وإلا قليلاً استثناء من النصف كأنه قال قم أقل من نصف الليل والضمير في منه وعليه
للنصف والمعنى التخيير بين أمرين بين أن يقوم أقل من نصف
الليل على البت وبين أن يختار أحد الأمرين وهما النقصان من النصف والزيادة
عليه وإن شئت جعلت نصفه بدلاً من قليلاً وكان تخييراً بين ثلاث بين قيام
النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه وإنما وصف
النصف بالقلة بالنسبة إلى الكل وإن شئت قلت لما كان معنى قم الليل إلا قليلاً
نصفه إذا أبدلت النصف من الليل قم أقل من نصف الليل أو قم أنقص من

زملوني

ذلك

من ذلك الأقل أو أزيد منه قليلاً فيكون التخيير فيما وراء النصف وبين
الثلث ويجوز إذا أبدلت نصفه من قليلاً وفسرته به أن تجعل قليلاً الثاني
بمعنى نصف النصف وهو الربع كأنه قيل أو انقص منه قليلاً نصفه و
تجعل المزيد على هذا القليل أعني الربع نصف الربع كأنه قيل أو زد عليه
قليلاً نصفه ويجوز أن تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث فيكون تخييراً
بين النصف والثلث والربع فإن قلت أكان القيام فرضاً أو نفلاً قلت عن
عائشة رضي الله عنها أن الله جعله تطوعاً بعد أن كان فريضة وقيل كان فرضاً
قبل أن تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ بهن إلا ما تطوعوا به وعن الحسن
كان قيام ثلث الليل فريضة وكانوا على ذلك سنة وقيل كان واجباً وإنما وقع
التخيير في المقدار ثم نسخ بعد عشر سنين وعن الكلبي كان يقوم الرجل حتى
يصبح مخافة أن لا يحفظ ما بين النصف والثلث والثلثين ومنهم من قال
كان نفلاً بدليل التخيير في المقدار ولقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة
لك ترتيل القرآن قراءته على ترسل وتؤدة بتبيين الحروف وإشباع الحركات
حتى يجيء المتلو منه شبيهاً بالثغر المرتل وهو المفلج المشبه بنور الأقحوان
وأن لا يهذه هذاً ولا يسرده سرداً كما قال عمر رضي الله عنه شر السير الحقحقة
وشر القراءة الهذرمة حتى يشبه المتلو في تتابعه الثغر الألص وسئلت
عائشة رضي الله عنها عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا كسردكم هذا لو أراد

نم

ن

والسامع

ان يعتمد حروفه لعتقلها وترتيلا تاكيد في ايجاب الامر به وانه مما لا بد منه للقا
هذه الآية اعتراض ويعني بالقول الثقيل القرآن وما فيه من الاوامر والنواهي
التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين خاصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه يتحملها
بنفسه ويحملها امته فهي اثقل عليه وابهظ له واراد بهذا الاعتراض ان
ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة التي ورد بها القرآن
لان الليل وقت السبات والراحة والهدو فلا بد لمن احياه من مضادة
لطبعه ومجاهدة لنفسه وعن ابن عباس رضي الله عنه كان اذا نزل عليه الوحي
ثقل عليه وتربد له جلده وعن عائشة رضي الله عنها رأيته ينزل عليه الوحي
في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا وعن الحسن
ثقيلا في الميزان وقيل ثقيلا على المنافقين وقيل كلام له وزن ورجحان ليس بالسفسا
ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا ان لك في النهار سبحا طويلا و
اذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا ناشئة الليل النفس الناشئة بالليل التي
تنشأ من مضجعها الى العبادة اي تنهض وترتفع من نشأت السحابة اذا ار
ونشأ من مكانه ونشز اذا نهض قال نشأنا الى خوص برى نيها السرى والصق
منها مشرفات القماحد او قيام الليل على ان الناشئة مصدر من نشأ اذا قام ونهض
اول الليل اتقولين له قام ناشئة قالت لا انما الناشئة القيام بعد النوم
ففسرت الناشئة بالقيام عن المضجع او العبادة التي تنشأ بالليل اي تحدث

القماحد

وترتفع



وترتفع وقيل هي ساعات الليل كلها لانها تحدث واحدة بعد اخرى وقيل
الساعات الاول منه وعن علي بن الحسين انه كان يصلي بين المغرب والعشاء
ويقول اما سمعتم قول الله عز وجل ان ناشئة الليل هذه ناشئة الليل هي اشد
وطأ هي خاصة دون ناشئة النهار اشد مواطأة يواطئ قلبها لسانها ان اردت النفس
او يواطئ فيها قلب القائم لسانه ان اردت القيام او العبادة او الساعات
او اشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص وعن الحسن اشد موافقة
بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق وقرئ اشد وطأ بالفتح و
الكسر والمعنى اشد ثبات قدم وابعد من الزلل او اثقل واغلظ على المصلي
من صلوة النهار من قوله عليه السلام اللهم اشدد وطأتك على مضر واقوم قيلا واشد
مقالا واثبت قراءة لهدو الاصوات وعن انس رضي الله عنه انه قرأ واصوب
قيلا فقيل يا ابا حمزة انما هي واقوم فقال ان اقوم واصوب واهيأ واحد
وروى ابو زيد الانصاري عن ابي سرار الغنوي انه كان يقرأ فحاسوا بالحاء
غير معجمة فقيل له انما هو جاسوا بالجيم فقال جاسوا وحاسوا واحد سبحا
تصرفا وتقلبا في مهماتك وشواغلك ولا تفرغ الا بالليل فعليك بمناجاة الله التي
تقتضي فراغ البال وانتفاء الشواغل واما القراءة بالخاء فاستعارة من سبخ
الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه لانتشار الهم وتفرق القلب بالشواغل
كلفه قيام الليل ثم ذكر الحكمة فيما كلفه منه وهو ان الليل اعون على المواطأة

واسد للقراءة لهدو الرجل وخفوت الصوت وانه اجمع للقلب وافهم
لبث الفهم من النهار لانه وقت تفرق الهموم وتوزع الخواطر والتقلب في
حوائج المعاش والمعاد وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك
وقيل ان فاتك من الليل شيء فلك في النهار فراغ تقدر على تداركه فيه واذكر اسم
ربك ودم على ذكره في ليلك ونهارك واحرص عليه وذكر الله يتناول كل ما كان
من ذكر طيب تسبيح وتهليل وتكبير وتمجيد وتوحيد وصلاة وتلاوة قرآن و
درس علم وغير ذلك مما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغرق به ساعات ليله ونهاره و
تبتل اليه وانقطع اليه فان قلت كيف قيل تبتيلا مكان تبتلا قلت لان معنى تبتل
بتل نفسه فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل رب المشرق والمغرب لا اله
الا هو فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وذرني و
المكذبين اولي النعمة ومهلهم قليلا ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة
وعذابا اليما رب المشرق والمغرب قرئ مرفوعا على المدح وجرا على
البدل من ربك وعن ابن عباس على القسم باضمار حرف القسم كقولك الله لا
فعلن وجوابه لا اله الا هو كما تقول والله لا احد في الدار الا زيد وقرأ
ابن عباس رب المشارق والمغارب فاتخذه وكيلا مسبب عن التهليلة لانه هو
وحده هو الذي يجب لتوحده بالربوبية ان توكل اليه الامور وقيل وكيلا
كفيلا بما وعدك من النصر والاظهار الهجر الجميل ان تجانبهم بقلبك

وهواك



النكل القيد

ابي الدرداء

وهواه ويخالفهم مع حسن المخالقة والمداراة والاغضاء وترك المكافاة وعن
رضي انا لنكشر في وجوه قوم ونضحك اليهم وان قلوبنا لتقليهم وقيل هو منسوخ باية
السيف اذا عرف الرجل من صاحبه انه مستهم بخطب يريد ان يكفاه او بعدو
يشتهي ان ينتقم له منه وهو مستقل بذلك مقتدر عليه قال ذرني واياه اي لا تحتاج
الى الظفر بمرادك ومشتهاك الا ان تخلي بيني وبينه بان تكل امره الي وتستكفينيه
فان فيما يفرغ بالك ويجلي همك وليس ثم مانع حتى يطلب اليه ان يذره واياه الا
ترك الاستكفاء والتفويض كانه منعه منه واذا اوكله اليه فقد ازال المانع
وحكه واياه وفيه دليل على الوثوق بانه يتمكن من الوفاء بافضل ما يدور حوله
امنية المخاطب وبما يزيد عليه النعمة بالفتح التنعم وبالكسر الانعام وما با
المسرة يقال نعم ونعمة عين وهم صناديد قريش وكانوا اهل تنعم وترفه ان
لدينا ما يضاد تنعمهم من انكال وهي القيود الثقال عن الشعبي اذا ارتفعوا
استفلت بهم الواحد نكل ونكل ومن جحيم وهي النار الشديدة الحر والاتقاد
ومن طعام ذي غصة وهو الذي ينشب في الحلوق فلا يساغ يعني الضريع و
الزقوم ومن عذاب اليم من سائر العذاب فلا ترى موكولا امرهم موزورا
اليه
به ويشتهم ينتقم منهم مثل ذلك الانتقام وروي ان النبي عم قرا هذه الاية فصعق
وعن الحسن انه امسى صائما فاتي بطعام فعرضت له هذه الاية فقال ار
فعه
ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الثالثة فاخبر
ثابت

البنانتي ونزيد الغنى وتمم البناء فما وافق الرواية حتى شربه
حتى سويق ... يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا إنا
أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعصى فرعون
الرسول فأخذناه أخذا وبيلا فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان
شيبا السماء منفطر به كان وعده مفعولا يوم ترجف منصوب بما
في لدينا والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة والكثيب الرمل المجتمع
من كثب الشيء إذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول في أصله ومنه الكثبة من
اللبن قالت الضائنة أجز جفالا وأحلب كثبا عجالا لم تر مثلي مالا
تجمد مهيلا سيالا انثر واسيل الخلاب لا تماسك له شاهدا عليكم يشهد
عليكم يوم القيمة بكفركم وتكذيبكم فإن قلت لم نكر الرسول ثم عرف قلت لأنه أراد
أرسلنا إلى فرعون بعض الرسل فلما أعاده وهو معهود بالذكر أدخل لام
التعريف إشارة إلى المذكور بعينه وبيلا ثقيلا غليظا من قولهم كلأ
وبيل وخم لا يستمرأ لثقله والوبيل العصا الضخمة ومنه الوابل للمطر العظيم
يوما مفعول به أي فكيف تتقون أنفسكم يوم القيمة وهوله إن بقيتم على الكفر
ولم تؤمنوا ... ويجوز أن يكون ظرفا أي فكيف لكم بالتقوى في يوم القيمة إن كفرتم
في الدنيا ويجوز أن ينتصب بكفرتم على تأويل جحدتم أي فكيف تتقون الله وتخشونه
إن جحدتم يوم القيمة والجزاء لأن تقوى الله خوف عقابه يجعل الولدان شيبا

وتعملوا

مثل



مثل في الشدة يقال في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي الأطفال والأصل فيه
أن الهموم والأحزان إذا تفاقمت على الإنسان أسرع فيه الشيب قال أبو الطيب
والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم وقد مر بي في بعض الكتب
أن رجلا أمسى فاحم الشعر كحنك الغراب وأصبح وهو أبيض الرأس واللحية
كالثغامة فقال أريت القيامة والجنة والنار في المنام ورأيت الناس يقادون في السلاسل
إلى النار فمن هول ذلك أصبحت كما ترون ويجوز أن يوصف اليوم بالطول وأن
الأطفال يبلغون فيه أوان الشيخوخة والشيب السماء منفطر به وصف لليوم با
الشدة أيضا وأن السماء على عظمها وإحكامها تنفطر فيه فما ظنك بغيرها من
الخلائق وقرئ منفطر ومتفطر والمعنى ذات انفطار أو على تأويل السماء با
السقف أو السماء شيء منفطر والباء في به مثلها في قولك فطرت العود با
القدوم فانفطر به يعني أنها تنفطر بشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر
الشيء بما يفطر به ويجوز أن يراد السماء مثقلة به إثقالا يؤدي إلى انفطارها
لعظمه عليها وخشيتها من وقوعه كقوله ثقلت في السموات والأرض وعده
من إضافة المصدر إلى المفعول والضمير لليوم ويجوز أن يكون مضافا إلى الفاعل
وهو الله عز وجل ولم يجر له ذكر لكونه معلوما إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى
ربه سبيلا إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين
معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر

ها

من
القرآن

علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله و
آخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤوا ما تيسر منه وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة
وأقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو
خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴿٢٠﴾ إن هذه الآيات التي
بالوعيد الشديد تذكرة موعظة لمن شاء أن يتعظ بها واتخذ سبيلا إلى الله
بالتقوى والخشية ومعنى اتخاذ السبيل إليه التقرب والتوسل بالطاعة
أدنى من ثلثي الليل أقل منهما وإنما استعير الأدنى وهو الأقرب للأقل لأن
المسافة بين الشيئين إذا دنت قل ما بينهما من الأحياز وإذا بعدت كثر
ذلك وقرئ ونصفه وثلثه بالنصب على أنك تقوم أقل من الثلثين وتقوم النصف
والثلث وهو مطابق لما مر في أول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه
وبين قيام الناقص منه وهو الثلث وبين قيام الزائد عليه وهو أدنى
من الثلثين وقرئ ونصفه وثلثه بالجر أي تقوم أقل من الثلث وهو أدنى
من النصف والربع وهو أدنى من الثلث وهو الوجه الأخير وطائفة من الذين
معك ويقوم ذلك جماعة من أصحابك والله يقدر الليل والنهار ولا يقدر على
تقدير الليل والنهار ومعرفة مقادير ساعاتهما إلا الله وحده وتقديم اسمه
عز وجل مبتدأ مبنيا عليه يقدر هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير
والمعنى أنكم لا تقدرون عليه والضمير في لن تحصوه لمصدر يقدر أي علم أنه

لا يصح منكم ضبط الأوقات ولا يتأتى حسابها بالتعديل والتسوية إلا أن تأخذوا
بالأوسع للاحتياط وذلك شاق عليكم بالغ منكم فتاب عليكم عفا عنكم في الترخيص
في ترك القيام المقدر كقوله فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن والمعنى
أنه رفع التبعة في تركه عنكم كما يرفع التبعة عن التائب ويعبر عن الصلوة بالقراءة
لأنها بعض أركانها كما يعبر عنها بالقيام والركوع والسجود يريد فصلوا ما
تيسر عليكم ولم يتعذر من صلوة الليل وهذا ناسخ للأول ثم نسخا جميعا بالصلوات الخمس
وقيل هي قراءة القرآن بعينها قيل يقرأ مائة آية ومن قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن
وقيل من قرأ مائة آية كتب من القانتين وقيل خمسين آية وقد بين الحكمة في النسخ
وهي تعذر القيام على المرضى والضاربين في الأرض للتجارة والمجاهدين في سبيل الله
وقيل سوّى الله بين المجاهدين والمسافرين لكسب الحلال وعن عبد الله بن
مسعود أيما رجل جلب شيئا إلى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر
يومه كان عند الله من الشهداء وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ما خلق الله
موتة أموتها بعد القتل في سبيل الله أحب إلي من أن أموت بين شعبتي رحل
أضرب في الأرض أبتغي من فضل الله وعلم أن سيكون فيه تقدير السؤال عن وجه
النسخ وأقيموا الصلوة يعني المفروضة وآتوا الزكوة الواجبة وقيل زكوة الفطر
لأنه لم يكن بمكة زكوة وإنما وجبت بعد ذلك ومن فسرها بالزكوة الواجبة جعل آخر
السورة مدنيا وأقرضوا الله قرضا حسنا يجوز أن يريد سائر الصدقات و

وان يريد بها الزكوة على احسن وجه من اخراج اطيب المال واعوده على
الفقراء ومراعاة النية وابتغاء وجه الله والصرف الى المستحق وان يريد
كل شيء يفعل من الخير مما يتعلق بالنفس والمال خيرا ثانى مفعولى وجد
وهو فصل وجاز وان لم يقع بين معرفتين لان افعل من اشبه في امتناعه من
حرف التعريف المعرفة وقرأ ابو السمال هو خير واعظم اجرا بالرفع
على الابتداء والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه
العسر في الدنيا والآخرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك
فاصبر اي المدثر اي لابس الدثار وهو ما فوق الشعار وهو الثوب الذي يلي الجسد و
منه قوله عليه السلام الانصار شعار والناس دثار وقيل هي اول سورة نزلت روى جابر بن
عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله صلعم
فنظرت عن يميني ويساري فلم ار شيئا فنظرت فوقي فرايت شيئا وفي رواية عائشة
فنظرت فوقي فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه
فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها
المدثر وعن الزهري اول ما نزل سورة اقرأ باسم ربك الى قوله ما لم يعلم فحزن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يعلو شواهق الجبال فاتاه جبريل فقال انك نبي الله فرجع
الى خديجة وقال دثروني وصبوا على ماء باردا فنزل يا ايها المدثر وقيل سمع

من



من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكرا كما يفعل المغموم فامر ان لا يدع
انذارهم وان اسمعوه واذوه وعن عكرمة انه قرأ على لفظ اسم المفعول من
دثره وقال دثرت هذا الامر وعصب بك كما قال في المزمل قم من مضجعك او قم قيام
عزم وتصميم فانذر فحذر قومك من عذاب الله ان لم يؤمنوا والتحقيق ان المعنى
فافعل الانذار من غير تخصيص له باحد وربك فكبر واختص ربك بالتكبير وهو الوصف
بالكبرياء وان يقال الله اكبر وروى انه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر فكبرت
خديجة وفرحت وايقنت انه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلوة ودخلت الفاء
لمعنى الشرط كانه قيل وما كان فلا تدع تكبيره وثيابك فطهر امر بان يكون ثيابه طاهرة
من النجاسات لان طهارة الثياب شرط في الصلوة لا تصح الا بها وهي الاولى والاحب
في غير الصلوة وقبيح بالمؤمن الطيب ان يحمل خبثا وقيل هو امر بتقصيرها ومخالفة
العرب في تطويلهم الثياب وجرهم الذيول وذلك مما لا يؤمن معه اصابة النجاسة
وقيل هو امر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن من العادات
يقال فلان طاهر الثياب ونقي الجيب والذيل والاردان اذا وصفوه بالنقاء
من المعايب ومدانس الاخلاق وفلان دنس الثياب للغادر وذلك لان الثوب
يلابس الانسان ويشتمل عليه فكني به عنه الا ترى الى قولهم اعجبني زيد عقله وخلقه
ويقولون المجد في ثوبه والكرم تحت حلته ولان الغالب ان من طهر باطنه ونقاه
عني بتطهير الظاهر وتنقيته وابى الاجتناب الخبث وايثار التنظف في كل شيء و

والرجز فسر بالكسر والضم وهو العذاب ومعناه اهجر ما يؤدي إليه من عبادة
الأوثان وغيرها من المآثم والمعنى الثبات على هجره لأنه عليه السلام كان بريئا منه
قرأ الحسن ولا تمنن تستكثر برفع تستكثر منصوب المحل على الحال أي ولا تعط
مستكثرا أي رائيا لما تعطيه كثيرا أو طالبا للكثير نهي عن الاستغزار وهو
أن يهب شيئا وهو يطمع أن يتعوض من الموهوب له أكثر من الموهوب وهو جائز
ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته وفيه وجهان أحدهما أن يكون نهيا
خاصا برسول الله لأن الله اختار له أشرف الآداب وأحسن الأخلاق والثاني
أن يكون نهي تنزيه لا تحريم له ولأمته وقرأ الحسن تستكثر بالسكون وفيه
ثلاثة أوجه الإبدال من تمنن كأنه قيل ولا تمنن لا تستكثر على أنه من المن في قوله
ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لأن من شأن المنان أن يستكثر
ما يعطي أو يعتد به وأن يشبه ثرو بعضد فيسكن تخفيفا وأن يعتبر
حال الوقف وقرأ الأعمش بالنصب بإضمار أن كقوله ألا أيهذا الزاجري
أحضر الوغى ويؤيده قراءة ابن مسعود ولا تمنن أن تستكثر ويجوز في
الرفع أن تحذف أن ويبطل عملها كما روي أحضر الوغى بالرفع ولربك فاصبر
ولوجهه فاستعمل الصبر وقيل على أذى المشركين وقيل على أداء الفرائض وفي
النعت على غيبا كأنه وصله بما قبله وجعله جزاء العلة من جهة اللفظ
والوجه أن يكون أمرا بنفس الفعل وأن يتناول على العموم كما في فكبر

عليه



عليه ومصبور عنه ويراد الصبر على أذى الكفار لأنه آخر ما يتناوله العام
فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير
والفاء في قوله فإذا للسببية كأنه قال اصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم
عسير يلقون فيه عاقبة أذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والفاء في فذلك للجزاء
فإن قلت ما الناصب لإذا وكيف وقوع يومئذ ظرفا ليوم عسير قلت الناصب
إذا ما دل عليه الجزاء لأن المعنى فإذا نقر في الناقور عسر الأمر على الكافرين
والذي أجاز وقوع يومئذ ظرفا ليوم عسير أن المعنى فذلك وقت النقر
وقوع يوم عسير لأن يوم القيامة يأتي ويقع حين ينقر في الناقور و
اختلفوا في أنها النفخة الأولى أم الثانية ويجوز أن يكون يومئذ مبنيا مرفوع
أي النقر بناء بدليل النفخة
المحل بدلا من ذلك ويوم عسير خبر كأنه قيل فيوم النقر يوم عسير فإن
قلت فما فائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه قلت لما قال على الكافرين
فقصر العسر عليهم قال غير يسير ليؤذن بأنه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين
جواب كما
يسيرا هينا ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين و
تسليتهم ويجوز أن يراد أنه عسير لا يرجى أن يرجع يسيرا كما يرجى تيسير
العسير من أمور الدنيا ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا
وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا وحيدا حال من الله عز وجل على معنيين
أحدهما ذرني وحدي معه فأنا أجزيك في الانتقام منه عن كل منتقم والثاني

خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احدا وحال من المخلوق بمعنى خلقته وهو
وحيد فريد لا مال له ولا ولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة
وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد ولعله
لقب بذلك بعد نزول الاية فان كان ملقبا به قبل فهو تهكم به وبلقبه وتغيير له
عن الغرض الذي كانوا يؤمونه من مدحه والثناء عليه بانه وحيد قومه لرياسته
ويساره وتقدمه في الدنيا الى وجه الذم والعيب وهو انه خلق وحيدا
لا مال له ولا ولد فاتاه الله ذلك فكفر بنعمة الله واشرك به واستهزأ بدينه
ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء من النهر ومده نهر اخر قيل كان
له الزرع والضرع والتجارة وعن ابن عباس هو ما كان له بين مكة والطائف من
صنوف الاموال وقيل كان له بستان بالطائف لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء
وقيل كان له الف مثقال وقيل اربعة آلاف وقيل تسعة آلاف وقيل الف الف
وعن ابن جريج غلة شهر بشهر وبنين شهودا حضورا معه بمكة لا يغيبون
للتفرق في عمل او تجارة لانهم مكفيون لوفور نعمة ابيهم ولاستغنائهم
عن التكسب وطلب المعاش بانفسهم فهو مستأنس بهم لا يشتغل
قلبه بغيبتهم وخوف معاطب السفر عليهم ولا يحزن لفراقهم والاشتياق
اليهم ويجوز ان يكون معناه انهم رجال يشهدون معه المجامع والمحافل
او تسمع شهادتهم فيما يتحاكم فيه وعن مجاهد كان له عشرة بنين و

قيل

شهود



قيل ثلثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد وعمارة و
هشام والعاص وقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلثة خالد وهشام وعمارة
ومهدت له تمهيدا او بسطت له الجاه العريض والرياسة في قومه فاتممت
فاتممت عليه نعمتي الجاه والمال واجتماعهما هو الكمال عند اهل الدنيا
ومنه قول الناس ادام الله تاييدك وتمهيدك يريدون زيادة الجاه والحشمة
وكان الوليد من وجهاء قريش وصناديدهم ولذلك لقب الوحيد وريحانة
قريش ثم يطمع ان ازيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا سارهقه صعودا ا
انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر فقال
ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر ثم يطمع استبعاد و
استنكار لطمعه وحرصه يعني انه لا مزيد على ما اوتي سعة وكثرة وقيل
انه كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي كلا ردع له وقطع ل
لطمعه انه كان لآياتنا عنيدا تعليل للردع على وجه الاستيناف كأن قائلا قال لم لا
يزاد فقيل انه عاند آيات المنعم وكفر بذلك نعمه والكافر لا يستحق المزيد و
يروى انه ما زال بعد نزول هذه الاية في نقصان من ماله حتى هلك سارهقه
صعودا ساغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الشاق الصعب
الذي لا يطاق وعن النبي عم يكلف ان يصعد عقبة في النار كلما وضع عليها يده
ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه عم

ره

نه

ل

ثم قتل كيف قدر

جاه

القعود حيثما شاء يقعد فيه يستعين بخدمتهم بنيه كذلك أبدا أنه
تكرير تعليل للوعيد كأنه قال إنه كان عاجله بالتنغيص بعد الغنى والذل بعد العز في
الدنيا للعناد ويعاقبه في الآخرة بأشد العذاب وأفظعه لبلوغه بالعناد غايته
وأقصاها في تكذيبه وتسميته القرآن سحرا ويجوز أن يكون كلمة الردع متبوعة
بقوله سأرهقه صعودا ردا لزعمه أن الجنة لم تخلق إلا له واحتياله إياه من
أشد أهل النار عذابا ويعلل ذلك بعناده ويكون قوله إنه فكر بدلا من قوله إنه
كان لآياتنا عنيدا بيانا لكنه عناده ومعناه فكر ماذا يقول في القرآن وقدر في
نفسه ما يقوله وهيأه فقتل كيف قدر تعجيب من تقديره وإصابته فيه المحز
ورميه الغرض الذي كانت تنتحيه قريش أو ثناء عليه على طريقة الاستهزاء به أو هي
حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وبإعجابهم بتقديره و
استعظامهم لقوله ومعنى قول القائل قتله الله ما أشجعه وأخزاه الله ما
أشعره الإشعار بأنه بلغ المبلغ الذي هو حقيق بأن يحسد ويدعو عليه حاسده
بذلك وروي أن الوليد قال لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما
ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة
وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبأ
والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم فقال أبو جهل أنا أكفيكموه فقعد إليه
حزينا وكلمه بما أحماه فقام فأتاهم فقال تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه

يخنق



يخنق وتقولون إنه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهن وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه
يتعاطى شعرا قط وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل
ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين
الرجل وأهله وولده ومواليه وما الذي يقوله إلا سحر يؤثر عن مسيلمة
وعن أهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه ثم نظر
في وجوه الناس ثم قطب وجهه ثم زحف مدبرا وتشاوس مستكبرا لما خطرت
بباله الكلمة الشنعاء وهم بأن يرمي بها وصف أشكاله التي تشكل بها حتى استنبط
ما استنبط استهزاء به وقيل قدر ما يقوله ثم نظر فيه ثم عبس لما ضاقت عليه
الحيل ولم يدر ما يقول وقيل قطب في وجه رسول الله ص ثم أدبر عن الحق و
استكبر عنه فقال ما قال وثم نظر عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما
فإن قلت ما معنى ثم الداخلة في تكرير الدعاء قلت الدلالة على أن الكرة الثانية
أبلغ من الأولى ونحوه قوله ألا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي فإن قلت فما معنى
المتوسطة بين الأفعال التي بعدها قلت الدلالة على أنه قد تأنى في التأمل و
تمهل وكأن بين الأفعال المتناسقة تراخيا وتباعدا فإن قلت فلم قيل فقال إن هذا
بالفاء بعد عطف ما قبله بثم قلت لأن الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلب لم يتمالك
أن نطق بها من غير تلبث فإن قلت فلم لم يوسط حرف العطف بين الجملتين قلت لأن
الأخرى جرت من الأولى مجرى التوكيد من المؤكد سأصليه سقر وما أدراك

ما سقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر وما جعلنا
اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن
الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا
الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد
الله بهذا مثلا سأصليه سقر بدل من سأرهقه صعودا لا تبقي شيئا
يلقى فيها الا اهلكته واذا هلك لم يذره هالكا حتى يعاد ولا تبقي على شيء
ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة لواحة من لوح الهجير قال
تقول ما لاحك يا مسافر يا ابنة عمي لاحني الهواجر قيل تلفح الجلد لفحة
فتدعه اشد سوادا من الليل والبشر اعالي الجلود وقيل اعين تلوح للناس
كقوله لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين وقرئ لواحة نصبا على الاختصاص للتهويل
عليها تسعة عشر اي يلي امرها ويتسلط على اهلها تسعة عشر ملكا وقيل صنفا
من الملائكة وقيل صفا وقيل نقيبا وقرئ تسعة عشر بسكون العين لتوالي
الحركات فيما هو في حكم اسم واحد وقرئ تسعة اعشر جمع عشير مثل يمين و
ايمن جعلهم ملائكة لانهم خلاف جنس المعذبين من الجن والانس
فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرأفة والرقة ولا يستروحون اليهم
ولانهم اقوى خلق الله بحق الله وبالغضب له فتؤمن سورتهم ولانهم
اشد الخلق بأسا واقواهم بطشا وعن عمرو بن دينار واحد منهم يدفع

بال

بالدفعة الواحدة في جهنم اكثر من ربيعة ومضر وعن النبي ﷺ كأن اعينهم
البرق وكأن افواههم الصياصي يجرون اشعارهم لاحدهم مثل قوة الثقلين
يسوق احدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم
وروي انه لما نزلت عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع
ابن ابي كبشة يخبركم ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الدهم اي الشجعان أفيعجز كل عشرة
منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاشد بن اسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد
البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين فنزلت وما جعلنا
اصحاب النار الا ملائكة اي وما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون فان قلت قد
افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببا لاستيقان اهل الكتاب وزيادة ايمان
المؤمنين واستهزاء الكافرين والمنافقين فما وجه صحة ذلك قلت ما جعل افتتانهم
بالعدة سببا لذلك وانما العدة نفسها هي التي جعلت سببا وذلك ان المراد بقوله
وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عدتهم الا تسعة عشر
فوضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر لان حال هذه العدة الناقصة
واحدا من عقدها العشرات ان يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ويعترض
ويستهزئ ولا يذعن اذعان المؤمن وان خفي عليه وجه الحكمة كأنه قيل ولقد
جعلنا عدتهم عدة من شأنها ان يفتتن بها لاجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين و
ليستيقن اهل الكتاب لان عدتهم تسعة عشر في الكتابين فاذا سمعوا بمثلها

نتهم

له

قبيحة

في القرآن أيقنوا أنه منزل من الله وازدياد المؤمنين إيماناً لتصديقهم بذلك كما
صدقوا سائر ما أنزل ولما رأوا من تسليم أهل الكتاب وتصديقهم أنه
كذلك فإن قلت لم قال ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون والاستيقان
وازدياد الإيمان دالان على انتفاء الارتياب قلت لأنه إذا جمع لهم إثبات اليقين
ونفي الشك كان أبلغ وآكد لوصفهم بسكون النفس وثلج الصدر ولأن فيه
تعريضاً بحال من عداهم كأنه قال ولتخالف حالهم حال الشاكين المرتابين من
أهل النفاق والكفر فإن قلت كيف ذكر الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون والسورة
مكية ولم يكن بمكة نفاق وإنما نجم بالمدينة قلت معناه وليقول المنافقون الذين
ينجمون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة ماذا أراد الله بهذا
مثلاً وليس في ذلك إلا إخبار بما سيكون كسائر الإخبارات بالغيوب وذلك لا
يخالف كون السورة مكية ويجوز أن يراد بالمرض الشك والارتياب لأن أهل
مكة كان أكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين بالكذب فإن قلت قد علل جعلهم تسعة
بالاستيقان وانتفاء الارتياب وقول المنافقين والكافرين ما قالوا فهب أن
الاستيقان وانتفاء الارتياب يصح أن يكون غرضاً فكيف صح أن يكون قول
المنافقين والكافرين غرضاً قلت أفادت اللام معنى العلة والسبب ولا يجب
في العلة أن تكون غرضاً ألا ترى إلى قولك خرجت من البلد مخافة الشر فقد جعلت
المخافة علة لخروجك وما هي بغرضك مثلاً تمييز لهذا أو حال منه كقوله هذه

ناقة



مثل

ناقة الله لكم آية فإن قلت لم سموه مثلاً قلت هو استعارة من المثل المضروب لأنه مما غرب
من الكلام وبدع استغراباً منهم لهذا العدد واستبداعاً له والمعنى أي شيء أراد الله
بهذا العدد العجيب وأي غرض قصد في أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين سواء
ومرادهم إنكاره من أصله وأنه ليس من عند الله وأنه لو كان من عند الله لما جاء بهذا
العدد الناقص كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك
إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر كلا والقمر والليل إذ أدبر والصبح إذا أسفر
إنها لإحدى الكبر نذيراً للبشر الكاف لكذلك نصب وذلك إشارة إلى ما قبله من
معنى الإضلال والهدى أي مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى يضل
الكافرين ويهدي المؤمنين يعني يفعل فعلاً حسناً مبنياً على الحكمة والصواب
فيراه المؤمنون حكمة ويذعنون له لاعتقادهم أن أفعال الله كلها حسنة و
حكمة فيزيدهم إيماناً وينكره الكافرون ويشكون فيه فيزيدهم كفراً وضلالاً
وما يعلم جنود ربك وما عليه كل جند من العدد الخاص من كون بعضها على
عقد كامل وبعضها على عدد ناقص وما في اختصاص كل جند بعدده من الحكمة إلا
هو ولا سبيل لأحد إلى معرفة ذلك كما لا يعرف الحكمة في أعداد السموات و
الأرضين وأيام السنة والشهور والبروج والكواكب وأعداد النصب
والحدود والكفارات والصلوات في الشريعة أو وما يعلم جنود ربك لفرط
كثرتها إلا هو فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له في هذا العدد

أي في حكمة كذا لا نعلمها وهو يعلمها وقيل هو جواب لقول أبي جهل أما لرب محمد أعوان إلا تسعة عشر وما جعلنا أصحاب النار إلى قوله إلا هو اعتراض وقوله وما هي إلا ذكرى متصل بوصف سقر وهي ضميرها أي وما سقر وما صفتها إلا تذكرة للبشر أو ضمير الآيات التي ذكرت فيها كلا إنكار بعد أن جعلها ذكرى أن تكون لهم ذكرى لأنهم لا يتذكرون أو ردع لمن ينكر أن تكون إحدى الكبر نذيرا أو دبر بمعنى أدبر كقبل بمعنى أقبل ومنه صاروا كأمس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار إذا خلفه وقرئ إذ دبر إنها لإحدى الكبر جواب القسم أو تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت ألف التأنيث كتائها فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظير ذلك السوافي في جمع السافياء والقواصع في جمع القاصعاء كأنها جمع فاعلة أي لإحدى البلايا والدواهي الكبر ومعنى كونها إحداهن أنها من بينهن واحدة في العظم لا نظير لها كما تقول هو أحد الرجال وهي إحدى النساء نذيرا تمييز من إحدى على أنها لإحدى الدواهي إنذارا كما تقول هي إحدى النساء عفافا وقيل هي حال وقيل هو متصل بأول السورة يعني قم نذيرا وهو من بدع التفاسير وقرئ نذير بالرفع خبر بعد خبر لأن أو بحذف المبتدأ لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم





المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين أن يتقدم في موضع الرفع بالابتداء ولمن شاء خبر مقدم عليه كقولك لمن توضأ أن يصلي ومعناه مطلق لمن شاء التقدم والتأخر والمراد بالتأخر والتقدم السبق إلى الخير والتخلف عنه وهو كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ويجوز أن يكون لمن شاء بدلا من للبشر على أنها منذرة للمكلفين الذين إن شاؤوا تقدموا ففازوا وإن شاؤوا تأخروا فهلكوا رهينة ليست بتأنيث رهين في قوله كل امرئ بما كسب رهين لتأنيث النفس لأنه لو قصدت الصفة لقيل رهين لأن فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث وإنما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كأنه قيل كل نفس بما كسبت رهن ومنه بيت الحماسة أبعد الذي بالنعف نعف كويكب رهينة رمس ذي تراب وجندل كأنه قال رهن رمس والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك إلا أصحاب اليمين فإنهم فكوا عنه رقابهم بما أطابوه من كسبهم كما يخلص الراهن رهنه بأداء الحق وعن علي رضي الله عنه أنه فسر أصحاب اليمين بالأطفال لأنهم لا أعمال لهم يرتهنون بها وعن ابن عمر هم الملائكة في جنات هم في جنات لا يكتنه وصفها يتساءلون عن المجرمين يسأل بعضهم بعضا عنهم أو يتساءلون غيرهم عنهم كقولك دعوته وتداعيناه فإن قلت كيف طابق قوله ما سلككم وهو سؤال للمجرمين قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال عنهم وإنما كان يتطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ما سلككم قلت ما سلككم ليس

المتمكنين ح

ن

ببيان للتساؤل عنهم وانما هو حكاية قول المسؤلين عنهم لان المسؤلين يلقون
الى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر
قالوا لم نك من المصلين الا ان الكلام جئ به على الحذف والاختصار كما هو
نهج التنزيل في غرابة نظمه الخوض الشروع في الباطل وما لا ينبغي فان قلت لم يسألونهم
وهم عالمون بذلك قلت توبيخا لهم وتحسيرا وليكون حكاية الله ذلك في
كتابه تذكرة للسامعين وقد عضد بعضهم تفسير اصحاب اليمين بالاطفال
انهم انما سألوهم لانهم ولدان لا يعرفون موجب دخول النار فان قلت
ايريدون ان كل واحد منهم بمجموع هذه الاربع دخل النار ام دخلها بعضهم
بهذه وبعضهم بهذه قلت يحتمل الامرين جميعا فان قلت لم اخر التكذيب
وهو اعظمها قلت ارادوا انهم بعد ذلك كله كانوا مكذبين بيوم الدين
تعظيما للتكذيب كقوله ثم كان من الذين آمنوا واليقين الموت ومقدماته
فما تنفعهم شفاعة الشافعين فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم
حمر مستنفرة فرت من قسورة لو شفع لهم الشافعون جميعا من الملائكة
والنبيين وغيرهم لم تنفعهم شفاعتهم لان الشفاعة لمن ارتضاه الله وهم
مسخوط عليهم وفيه دليل على ان الشفاعة تنفع يومئذ لانها تزيد في درجات
المرتضين عن التذكرة عن التذكير وهو العظة يريد القرآن وغيره من المواعظ
ومعرضين نصب على الحال كقولك ما لك قائما والمستنفرة الشديدة النفار

كانها



كانها تطلب النفار من نفوسها في جمعها له وحملها عليه وقرئ بالفتح وهي المنفرة
المحمولة على النفار والقسورة جماعة الرماة الذين يتصيدونها وقيل الاسد
يقال ليوث قساور وهي فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وفي وزنه الحيدر
من اسماء الاسد وعن ابن عباس ركز الناس واصواتهم وعن عكرمة ظلمة الليل شبههم
في اعراضهم عن القرآن واستماع الذكر والموعظة وشرادهم عنه بحمر جدت في نفارها
مما افزعها وفي تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بين كما في قوله كمثل
الحمار يحمل اسفارا وشهادة عليهم بالبله وقلة العقل ولا ترى مثل نفار حمير الوحش
واطرادها في العدو اذا رابها رائب ولذلك كان اكثر تشبيهات العرب في وصف
الابل وشدة سيرها بالحمر وعدوها اذا وردت ماء فاحست عليه بقانص
بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة بل لا يخافون الآخرة كلا انه تذكرة
فمن شاء ذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله هو اهل التقوى واهل المغفرة
صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرأ كالكتب التي يتكاتب بها او كتبا كتبت
في السماء ونزلت بها الملائكة ساعة كتبت منشرة على ايديها غضة رطبة لم تطو
وذلك انهم قالوا لرسول الله لن نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتب من
السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك ونحوه
قوله لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقال ولو نزلنا
عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم الآية وقيل قالوا ان كان محمد صادقا

فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وأمنه من النار وقيل كانوا يقولون
بلغنا أن الرجل من بني إسرائيل كان يصبح مكتوبا على رأسه ذنبه وكفارته فأتنا
بمثل ذلك وهذا من الصحف المنشرة بمعزل إلا أن يراد بالصحف المنشرة الكتابات
الظاهرة المكشوفة وقرأ سعيد بن جبير صحفا منشرة بتخفيفهما على أن أنشر الصحف و
نشرها واحد كأنزله ونزله ردعهم بقوله كلا عن تلك الإرادة وزجرهم عن
اقتراح الآيات ثم قال بل لا يخافون الآخرة فلذلك أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع
إيتاء الصحف ثم ردعهم عن إعراضهم عن التذكرة وقال إنه تذكرة يعني تذكرة
بليغة كافية مبهم أمرها في الكفاية فمن شاء أن يذكره ولا ينساه ويجعله نصب عينه
فعل فإن نفع ذلك راجع إليه والضمير في إنه وفي يذكروه للتذكرة في قوله فما لهم عن
التذكرة معرضين وإنما ذكر لأنها في معنى الذكر أو القرآن وما يذكرون إلا أن يشاء
الله يعني إلا أن يقسرهم على الذكر ويلجئهم إليه لأنهم مطبوع على قلوبهم معلوم
أنهم لا يؤمنون اختيارا هو أهل التقوى وأهل المغفرة وهو حقيق بأن يتقيه
عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا ويطيعوا وحقيق بأن يغفر لهم إذا آمنوا و
أطاعوا وروى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أهل أن يتقى وأهل أن يغفر لمن
اتقاه وقرئ يذكرون بالياء والتاء مخففا ومشددا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة المدثر أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد
وكذب به بمكة



بسم الله الرحمن الرحيم

لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة أيحسب الإنسان ألن نجمع
عظامه بلى قادرين على أن نسوي بنانه إدخال لا النافية على فعل القسم
مستفيض في كلامهم وأشعارهم قال امرؤ القيس لا وأبيك ابنة العامري
لا يدعي القوم أني أفر وقال غوية بن سلمى ألا نادت أمامة باحتمال
لتحزنني فلا بك ما أبالي وفائدتها توكيد القسم وقالوا إنها صلة مثلها
في لئلا يعلم أهل الكتاب وفي قوله في بئر لا حور سرى وما شعر واعترضوا عليه
بأنها إنما تزاد في وسط الكلام لا في أوله وأجابوا بأن القرآن في حكم سورة
واحدة متصل بعضه ببعض والاعتراض صحيح لأنها لم تقع مزيدة إلا في وسط
الكلام ولكن الجواب غير سديد ألا ترى إلى امرئ القيس كيف زادها في مستهل
قصيدته والوجه أن يقال هي للنفي والمعنى في ذلك أنه لا يقسم بالشيء إلا إعظاما
له يدلك عليه قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون
عظيم فكأنه بإدخال حرف النفي يقول إن إعظامي له بإقسامي به كلا إعظام يعني
أنه يستأهل فوق ذلك وقيل إن لا نفي لكلام ورد قبل القسم كأنهم أنكروا
البعث فقيل لا أي ليس الأمر على ما ذكرتم ثم قيل أقسم بيوم القيامة فإن قلت
قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون والأبيات التي أنشدتها المقسم عليه فيها منفي
فهلا زعمت أن لا التي قبل القسم زيدت موطئة للنفي بعده ومؤكدة له وقدرت

المقسم عليه المنفي ههنا شيئا كقولك لا اقسم بيوم القيمة لا تتركون سدى
قلت لو قصر الامر على النفي دون الاثبات لكان لهذا القول مساغ ولكنه لم يقصر
الا ترى كيف لقي لا اقسم بهذا البلد بقوله لقد خلقنا الانسان في كبد وكذلك
فلا اقسم بمواقع النجوم بقوله انه لقران كريم وقرئ لاقسم على ان اللام للابتداء
واقسم خبر مبتدا اي محذوف معناه لانا اقسم قالوا ويعضده انه في الامام بغير الف
بالنفس اللوامة بالنفس المتقية التي تلوم النفوس فيه اي في يوم القيمة على
تقصيرهن في التقوى او بالتي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الاحسان و
عن الحسن ان المؤمن لا تراه الا لائما نفسه وان الكافر يمضي قدما لا يعاتب
نفسه وقيل هي التي تتلوم يومئذ على ترك الازدياد ان كانت محسنة وعلى
التفريط ان كانت مسيئة وقيل هي نفس ادم لم تزل تتلوم على فعلها الذي خرجت
به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله ايحسب الانسان الن نجمع عظامه وهو
لتبعثن وقرا قتادة ان لن يجمع عظامه على البناء للمفعول والمعنى نجمعها بعد
تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما سفتها الرياح و
طيرتها في اباعد الارض وقيل ان عدي بن ابي ربيعة ختن الاخنس بن شريق
وهما اللذان كان رسول الله ص يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال لر
سول الله ص يا محمد حدثني عن يوم القيمة متى يكون وكيف امره فاخبره ر
سول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك يا محمد و





ولم اؤمن به او يجمع الله العظام فنزلت بلى اوجبت ما بعد النفي وهو الجمع
فكانه قيل بلى نجمعها وقادرين حال من الضمير في نجمع اي نجمع العظام قادرين على
على تاليف جميعها واعادتها الى التركيب الاول الى ان نسوي بنانه اي اصابعه التي
هي اطرافه واخر ما يتم به خلقه او على ان نسوي بنانه ونضم سلامياته على
صغرها ولطافتها بعضها الى بعض كما كانت اولا من غير نقصان ولا تفاوت فكيف
بكبار العظام وقيل معناه بلى نجمعها ونحن قادرون على ان نسوي اصابع يديه
ورجليه اي نجعلها مستوية شيئا واحدا كخف البعير وحافر الحمار لا نفرق
بينها فلا يمكنه ان يعمل بها شيئا مما يعمل باصابعه المتفرقة ذات المفاصل و
الانامل من فنون الاعمال والبسط والقبض والتاتي لما يريد من الحوائج
وقرئ قادرون اي نحن قادرون بل يريد الانسان ليفجر امامه يسئل
ايان يوم القيمة فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس و
القمر يقول الانسان يومئذ اين المفر كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر
بل يريد عطف على ايحسب فيجوز ان يكون مثله استفهاما وان يكون ايجابا على ان
يضرب عن مستفهم عنه الى اخر او يضرب عن مستفهم عنه الى موجب ليفجر امامه
ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وفيما يستقبله من الزمان لا ينزع
عنه وعن سعيد بن جبير يقدم الذنب ويؤخر التوبة يقول سوف اتوب حتى
ياتيه الموت على شر احواله واسوء اعماله يسئل سؤال متعنت مستبعد

لقيام الساعة في قوله أيان يوم القيامة ونحوه ويقولون متى هذا
الوعد فإذا برق البصر تحير فزعا وأصله من برق الرجل إذا نظر إلى البرق فدهش
بصره وقرئ برق من البريق أي لمع من شدة شخوصه وقرأ أبو السمال
بلق إذا انفتح وانفرج يقال بلق الباب وأبلقته وبلقته فتحته وخسف
القمر وذهب ضوؤه إذا ذهب بنفسه وقرئ وخسف على البناء للمفعول
وجمع الشمس والقمر حيث يطلعهما الله من المغرب وقيل وجمعا في ذهاب
الضوء وقيل تجمعان أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران في النار وقيل
تجمعان ثم يقذفان في البحر فيكون نار الله الكبرى المفر بالفتح المصدر وبالكسر
المكان ويحتمل أن يكون مصدرا كالمرجع وقرئ بهما كلا ردع عن طلب المفر
لا وزر لا ملجأ وكل ما التجأت إليه من جبل أو غيره وتخلصت به فهو وزرك
إلى ربك خاصة يومئذ المستقر استقرار العباد أو مستقرهم يعني أنهم لا يقدرون
أن يستقروا إلى غيره وينصبوا إليه أو إلى حكمه يرجع أمور العباد لا يحكم
فيها غيره كقوله لمن الملك اليوم أو إلى ربك مستقرهم أي موضع قرار
من جنة أو نار مفوض ذلك إلى مشيئته من شاء أدخله الجنة ومن شاء أدخله
النار ينبؤا الإنسان يومئذ بما قدم وأخر بل الإنسان على نفسه بصيرة
ولو ألقى معاذيره لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا
قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه كلا بل تحبون العاجلة وتذرون

الآخرة

بما قدم من عمل عمله وبما أخر منه لم يعمله أو بما قدم من ماله فتصدق به
وبما أخر فخلفه أو بما قدم من عمل الخير والشر وبما أخر من سنة حسنة
أو سيئة فعمل بها بعده أو بأول عمله وآخره ونحوه تنبئهم
بما عملوا أحصاه الله ونسوه بصيرة حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز
كما وصفت الآيات بالإبصار في قوله فلما جاءتهم آياتنا مبصرة أو عين
بصيرة والمعنى أنه ينبأ بأعماله وإن لم ينبأ ففيه ما يغني عن الإنباء لأنه
شاهد عليها بما عملت لأن جوارحه تنطق بذلك يوم تشهد عليهم
ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ولو ألقى معاذيره ولو
جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها وعن الضحاك ولو أرخى
ستوره وقال المعاذير الستور واحدها معذار فإن صح فلأنه يمنع
رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب وهي جمع معذرة وإنما هو
اسم جمع لها نحو المناكير جمع المنكر القبيح فرية للفعل وكان رسول الله ص إذا
لقن الوحي نازع جبرئيل القراءة ولم يصبر إلى أن يتمها مسارعة إلى الحفظ و
خوفا من أن ينفلت منه فأمر بأن يستنصت له ملقيا إليه بقلبه وسمعه حتى يقضى
إليه وحيه ثم يعقبه بالدراسة إلى أن يرسخ فيه والمعنى لا تحرك لسانك بقراءة
الوحي ما دام جبرئيل يقرأ لتعجل به لتأخذه على عجلة ولئلا ينفلت
منك ثم علل النهي عن العجلة بقوله إن علينا جمعه في صدرك وإثبات قراءته في لسانك

فاذا قرأناه جعل قراءة جبريل قراءته والقرآن القراءة فاتبع قرآنه فكن
مقفيا له فيه ولا تراسله وطأمن نفسك انه لا يبقى غير محفوظ فنحن
في ضمان تحفيظه ثم ان علينا بيانه اذا اشكل عليك شيء من معانيه كأنه كان
يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعا كما ترى بعض الحراص على
العلم ونحوه ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه كلا ردع لرسول الله
عن عادة العجلة وانكار لها عليه وحث على الاناة والتؤدة وقد بالغ في ذلك
باتباعه قوله بل تحبون العاجلة كأنه قال بل انتم يا بني آدم لانكم خلقتم من
عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة وتذرون الآخرة و
قرئ بالياء وهو ابلغ فان قلت كيف اتصل قوله لا تحرك به لسانك الى آخره بذكر
القيامة قلت اتصاله به من جهة هذا التخلص منه الى التوبيخ بحب العاجلة و
وترك الاهتمام بالآخرة وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ
باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن
انه الفراق والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق الوجه عبارة
عن الجملة والناضرة من نضرة النعيم الى ربها ناظرة تنظر الى ربها خاصة لا تنظر
الى غيره وهذا معنى تقديم المفعول الا ترى الى قوله الى ربك يومئذ المساق
الى الله تصير الامور واليه ترجعون والى الله المصير عليه توكلت واليه انيب
كيف دل فيها التقديم على معنى الاختصاص ومعلوم انهم ينظرون الى اشياء

وطأمن نفسك

الى ربك يومئذ المستقر

لا يحيط



لا يحيط بها الحصر ولا يدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم
فان المؤمنين نظارة ذلك اليوم لانهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا
هم يحزنون فاختصاصه بنظرهم اليه لو كان منظورا اليه محال فوجب حمله على
معنى يصح معه الاختصاص والذي يصح معه ان يكون من قول الناس انا الى فلان ناظر
ما يصنع بي يريد معنى التوقع والرجاء ومنه قول القائل واذا نظرت اليك
من ملك والبحر دونك زدتني نعما وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت
الظهر حين يغلق الناس ابوابهم ويأوون الى مقائلهم تقول عيينتي
نويظرة الى الله واليكم والمعنى انهم لا يتوقعون النعمة والكرامة الا من
ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون الا اياه والباسر الشديد
العبوس والباسل اشد منه ولكنه غلب في الشجاع اذا اشتد كلوحه
تظن تتوقع ان يفعل بها فعل هو في شدته وفظاعته فاقرة داهية
تقصم فقار الظهر كما توقعت الوجوه الناضرة ان يفعل بها كل خير كلا
ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة كأنه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على
ما بين ايديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون الى
الآجلة التي تبقون فيها مخلدين والضمير في بلغت للنفس وان لم يجر لها
ذكر لان الكلام الذي وقعت فيه يدل عليها كما قال حاتم اماوي ما يغني
الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر وتقول العرب

نظر

أي سلك بريسوس جاء المداوون فلما لم تسمعهم يذكرون السماء التراقي
العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال ذكرها صعوبة الموت الذي
هو أول مراحل الآخرة حين يبلغ الروح التراقي ودنا زهوقها أول
حافوا أقبلوا جميعا وطلبوا المتحف عفو بعض بعضهم في أيكم يرقيه
نهاية وقيل هو من كلام ملائكة الموت أيكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة
أو ملائكة العذاب وظن المحتضر أنه الفراق أن هذا الذي نزل به هو فراق
الدنيا المحبوبة والتفت الساق بالساق والتوت عليها عند علز الموت
فلا يقدر تحريكهما فلا يجدلهما ويمشي عليهما حتى لا وقيل شدة فراق الدنيا
بشدة إقبال الآخرة على أن الساق مثل في الشدة وعن سعيد بن المسيب هما
ساقاه حين تلفان في أكفانه إلى ربك يومئذ المساق إلى الله وإلى حكمه فلا صدق
ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب إلى أهله يتمطى أولى لك فأولى ثم أولى
لك فأولى أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم
كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى أليس ذلك بقادر
على أن يحيي الموتى فلا صدق ولا صلى عن الإنسان في قوله أيحسب
الإنسان أن لن نجمع عظامه المذكور في أيحسب الإنسان أن يترك سدى
وهو معطوف على قوله يسأل أيان يوم القيامة أي لا يؤمن بالبعث فلا
صدق بالرسول والقرآن ولا صلى ويجوز أن يراد فلا صدق ماله يعني

فلا يكون

أي علقه تلفف وخفة
وعلى بعيب الأنسا

فلا زكوة وقيل نزلت في أبي جهل يتمطى يتبختر وأهله يتمطا افتخارا بذلك من المد
المتبختر يمد خطاه وقيل هو من المطا وهو الظهر فإنه يلويه وفي الحديث إذا
مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم فقد جعل بأسهم بينهم
يعني كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم وتولى عنه وأعرض ثم ذهب إلى قومه يتبختر
افتخارا بذلك أولى لك ويل لك وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكره فخلق
فسوى فعدله منه من الإنسان الزوجين الصنفين أليس ذلك القادر
بقادر على أن يحيي الموتى روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأها قال
سبحانك بلى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القيامة شهدت أنا وجبريل يوم
القيامة أنه كان مؤمنا بيوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إنا خلقنا الإنسان
من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا هل استفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد
خاصة والأصل أهل بدليل قوله أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم فالمعنى
أقد أتى على التقرير والتقريب جميعا أي أتى على الإنسان قبل زمان قريب حين
من الدهر لم يكن فيه شيئا مذكورا بل كان شيئا منسيا غير مذكور نطفة
في الأصلاب والمراد بالإنسان الجنس لقوله إنا خلقنا الإنسان
من نطفة حين من الدهر طائفة محدودة من الزمان الممتد غير المحدود

أي بسنة
من الاستعداد
أو نبعه

لم يكن شيئا مذكورا في محل النصب على الحال من الانسان كانه قيل
اتى عليه حين من الدهر غير مذكور او الرفع على الوصف لحين كقوله يوما
لا تجزي والراجع محذوف وعن بعضهم انها تليت عنده فقال ليتها تمت
اي ليت تلك الحالة تمت وهي كونه شيئا غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف انا خلقنا الانسان من نطفة
امشاج كبرمة اعشار وبرد اكياش وهي الفاظ مفردة غير جموع ولذلك و
قعت صفات للافراد ويقال ايضا نطفة مشيج وقال الشيخ لا يكون امشاج
لوقوعه على الواحد عند سيبويه ولا يصح امشاج ان يكون تكسيرا له
بل هما مثلان في الافراد لوصف المفرد بهما ومشجه ومزجه بمعنى
والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماءان وعن ابن مسعود هي عروق
النطفة وعن قتادة امشاج الوان واطوار يريد انها تكون نطفة ثم علقة
ثم مضغة نبتليه في موضع الحال اي خلقناه مبتلين له يعني مريدين
ابتلاءه كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا اي مقدرا
به الصيد غدا ويجوز ان يراد ناقلين له من حال الى حال فسمى ذلك ابتلاء
على طريق الاستعارة وعن ابن عباس نصرفه في بطن امه نطفة ثم علقة وقيل
هو في تقدير التأخير يعني فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وهو من
التعسف انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا انا اعتدنا
للكافرين سلاسلا واغلالا وسعيرا ان الابرار يشربون من كاس

كان

كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا اما شاكرا واما كفورا
حالان من الهاء في هديناه اي مكناه واقدرناه في حالتيه جميعا او دعوناه الى الاسلام
بادلة العقل والسمع كان معلوما منه انه يؤمن او يكفر لالزام الحجة ومقسوما اليهما
حالين من السبيل اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا كقوله
وهديناه النجدين فوصف السبيل بالشكر والكفر مجاز وقرأ ابو السمال بفتح
الهمزة في اما وهي قراءة حسنة والمعنى اما شاكرا فبتوفيقنا واما كفورا ف
بسوء اختياره ولما ذكر الفريقين اتبعهما الوعيد والوعد وقرئ سلاسلا
غير منون وسلاسلا بالتنوين وفيه وجهان احدهما ان تكون هذه النون بدلا
من حرف الاطلاق ويجري الوصل مجرى الوقف والثاني ان يكون صاحب القراءة
به ممن ضري برواية الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف الابرار جمع بر
او بار كرب وارباب وشاهد واشهاد وعن الحسن هم الذين لا يؤذون الذر و
الكاس الزجاجة اذا كانت فيها خمر وتسمى الخمر نفسها كاسا كان مزاجها ما تمزج به
كافورا ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده
وعينا بدل منه وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها
رائحة الكافور وبياضه وبرده فكانها مزجت بالكافور وعينا على هذين القولين
بدل من محل من كاس على تقدير حذف مضاف كانه قيل يشربون خمرا خمر عين او
نصب على الاختصاص فان قلت لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء اولا

وبحرف الباء آخرا فلذلك لأن الكأس مبدأ شربهم وأول غايته وأما العين
فبها يمزجون شرابهم فكأن المعنى يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول شربت
الماء بالعسل يفجرونها تفجيرا يجرونها حيث شاؤوا من منازلهم تفجيرا سهلا لا يمتنع
عليهم يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام
على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا
انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم
نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا يوفون جواب من عسى
يقول ما لهم يرزقون ذلك والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفر على
اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه هو على نفسه لوجه الله كان بما اوجبه
الله عليه اوفى مستطيرا فاشيا منتشرا بالغا اقصى المبالغ من استطار الحريق والفجر
وهو من استطار الفجر ويطعمون الطعام على حبه الضمير للطعام اي مع اشتهائه
والحاجة اليه ونحوه وآتى المال على حبه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
وعن الفضيل بن عياض على حب الله واسيرا عن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه فيكون
عنده اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه وعند عامة العلماء يجوز الاحسان
الى الكفار في دار الاسلام ولا يصرف اليهم الواجبات وعن قتادة كان اسيرهم
يومئذ المشرك واخوك المسلم احق ان تطعمه وعن سعيد بن جبير وعطاء

مطو

هو الاسير من اهل القبلة وعن ابي سعيد الخدري هو المملوك والمسجون
وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغريم اسيرا فقال غريمك اسيرك
فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم على ارادة القول ويجوز ان يكون قولا باللسان
منعا لهم عن المجازاة بمثله او بالشكر لان احسانهم مفعول لوجه الله فلا
معنى لمكافأة الخلق وان يكون قولهم لهم لطفا وتفقيها وتنبيها على ما ينبغي
ان يكون عليه من اخلص لله وعن عائشة رضي الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة
الى اهل بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا فاذا ذكر دعاء دعت لهم بمثله
ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله ويجوز ان يكون ذلك بيانا وكشفا
عن اعتقادهم وصحة نيتهم وان لم يقولوا شيئا وعن مجاهد اما انهم
ما تكلموا به ولكن علمه الله منهم فاثنى عليهم والشكور والكفور مصدران
كالشكر والكفر انا نخاف يحتمل ان احساننا اليكم للخوف من شدة ذلك اليوم
لا لارادة مكافأتكم وانا لا نريد منكم المكافأة لخوف عقاب الله على طلب المكافأة
بالصدقة ووصف اليوم بالعبوس مجاز على طريقين ان يوصف بصفة اهله
من الاشقياء كقولهم نهارك صائم روي ان الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل
من بين عينيه عرق مثل القطران وان يشبه في شدته وضرره بالاسد العبوس
او بالشجاع الباسل والقمطرير الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه قال
الزجاج يقال اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزمت

الشديد

بانفها فاشتقه من القطر وجعل الميم مزيدة قال أسد بن ناعصة واصطليت
الحروب في كل يوم باسل الشر قمطرير الصباح ولقيهم نضرة وسرورا
أي أعطاهم بدل عبوس الفجار نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب وهذا
يدل على أن اليوم موصوف بعبوس أهله بما صبروا بصبرهم على الإيثار وعن
ابن عباس رضي الله عنه أن الحسن والحسين رضي الله عنهما مرضا فعادهما رسول
الله ص في ناس معه فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة
رضي الله عنهما وفضة جارية لهما إن برئا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام فشفيا
وما معهم شيء فاستقرض علي من شمعون اليهودي الخيبري ثلاثة أصوع
من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها
بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم أهل بيت محمد
مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه
وباتوا لم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صياما فلما أمسوا ووضعوا الطعام
بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا
مثل ذلك فلما أصبحوا أخذ علي بيد الحسن والحسين رضوان الله عليهم و
أقبلوا إلى رسول الله ص فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة
الجوع قال ما أشد ما يسوءني ما أرى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة
في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل

وقال



قال خذها يا محمد هنأك الله في بيتك فأقرأه السورة فإن قلت ما معنى ذكر الحرير
مع الجنة قلت المعنى وجزاهم بصبرهم على الإيثار وما يؤدي إليه من الجوع والعري
بستانا فيه مأكل هني وحريرا فيه ملبس بهي متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها
شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا يعني أن هواءها
معتدل لا حر شمس يحمي ولا شدة برد تؤذي وفي الحديث هواء الجنة سجسج
لا حر ولا قر وقيل الزمهرير القمر وعن ثعلب أنه في لغة طي وأنشد وليلة
ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى أن الجنة ضياء فلا يحتاج فيها
إلى شمس وقمر فإن قلت ودانية عليهم ظلالها علام عطفت قلت على
الجملة التي قبلها لأنها في موضع الحال من المجزيين وهذه حال عطفت عليها لرجوع
(وهي لا يرون)
الضمير منها إليهم في عليهم إلا أنها اسم مفرد وتلك جملة في حكم مفرد تقديره غير رائين
فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها ودخلت الواو للدلالة على
أن الأمرين مجتمعان لهم كأنه قيل وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحر
والقر ودنو الظلال عليهم وقرئ ودانية بالرفع على أن ظلالها مبتدأ ودانية
خبر والجملة في موضع الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال أن ظلالها
دانية عليهم ويجوز أن تجعل متكئين ولا يرون ودانية كلها صفات لجنة ويجوز أن تكون
ودانية معطوفة على جنة أي وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها على أنهم وعدوا
جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان لأنهم وصفوا بالخوف إنا نخاف من ربنا

فان قلت علام عطف وذللت قلت هي اذا رفعت ودانية جملة فعلية معطوفة
على جملة ابتدائية واذا نصبتها على الحال فهي حال من دانية اي تدنو ظلالها
عليهم في حال تذليل قطوفها لهم او معطوفة عليها ودانية عليهم ظلالها ومذ
للة قطوفها واذا نصبت ودانية على الوصف فهي صفة مثلها الا ترى انك لو قلت
جنة ذللت قطوفها كان صحيحا وتذليل القطوف ان تجعل ذللا لا تمتنع على قطافها
كيف شاؤوا او تجعل خاضعة متقاصرة من قولهم حائط ذليل اذا كان قصيرا
ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب كانت قواريرا قواريرا من فضة قدروها
تقديرا ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا قرئ
قوارير قوارير غير منونين وبتنوين الاول وبتنوينهما وهذا التنوين بدل
من الف الاطلاق لانه فاصلة وفي الثاني لاتباعه الاول ومعنى قوارير من فضة
انها مخلوقة من فضة وهي مع بياض الفضة وحسنها في صفاء القوارير وشفيفها
فان قلت ما معنى كانت قلت هو من يكون في قوله كن فيكون اي تكونت قوارير
بتكوين الله تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الشان الجامعة بين صفتي الجوهرين المتبا
ينين ومنه كان في قوله كان مزاجها كافورا وقرئ قوارير من فضة بالرفع على
هي قوارير قدروها صفة لقوارير من فضة ومعنى تقديرهم لها انهم قدروها
في انفسهم ان تكون على مقادير واشكال على حسب شهواتهم فجاءت كما قدروا
وقيل الضمير للطائفين بها دل عليه قوله ويطاف عليهم على انهم قدروا شرابها

على



على قدر الري وهو الذ للشارب لكونه على مقدار حاجته ولا يفضل عنها ولا يعجز
وعن مجاهد لا تفيض ولا تغيض وقرئ قدروها على البناء للمفعول ووجهه ان
يكون من قدر منقولا من قدر تقول قدرت الشيء وقدرنيه فلان اذا جعلك قادرا
له ومعناه جعلوا قادرين لها كما شاؤوا واطلق لهم ان يقدروا على حسب ما
اشتهوا سميت العين زنجبيلا لطعم الزنجبيل فيها والعرب تستلذه وتستطيبه
قال الاعشى كان القرنفل والزنجبيل باتا بفيها واريا مشورا وقال المسيب
بن علس وكان طعم الزنجبيل به اذ ذقته وسلافة الخمر وسلسبيلا لسلاسة
انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يعني انها في طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه
ولكن نقيض اللذع وهو السلاسة يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل
وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلا
سة قال الزجاج السلسبيل في اللغة صفة لما كان في غاية السلاسة وقرئ
سلسبيل على منع الصرف لاجتماع العلمية والتأنيث وقد عزوا الى علي بن
ابي طالب رضي الله عنه ان معناه سل سبيلا اليها وهذا غير مستقيم على ظاهره
الا ان يراد ان جملة قول القائل سل سبيلا جعلت علما للعين كما قيل تأبط
شرا وذرى حبا وسميت بذلك لانه لا يشرب منها الا من سأل اليها سبيلا
بالعمل الصالح وهو مع استقامته في العربية تكلف وابتداع وعزوه الى مثل
علي ابدع وفي شعر بعض المحدثين سل سبيلا فيها الى راحة النفس

براح كما انها سلسبيل، وعينا بدل من زنجبيلا وقيل تمزج كاسهم بالزنجبيل
بعينه او تخلق فيه طعمه فيها وعينا على هذا القول مبدلة من كاسا كانه
قيل ويسقون فيها كاسا كاس عين او منصوبة على الاختصاص، ويطوف
عليهم ولدان مخلدون اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا واذا رايت
ثم رايت نعيما وملكا كبيرا عاليهم ثياب سندس واستبرق وحلوا اسا
ور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا، شبهوا في حسنهم وصفاء الوانهم
وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم باللؤلؤ المنثور وعن المامون انه ليلة زفت
اليه بوران بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج من ذهب وقد
نثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ فنظر اليه منثورا على ذلك البساط فا
ستحسن المنظر وقال لله در ابي نواس كانه ابصر هذا حيث يقول
كان صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على ارض من الذهب، وقيل
شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا نثر من صدفه لانه احسن واكثر ماء، رايت ليس له
مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع ويعم كانه قيل واذا اوجدت الرؤية ثم
ومعناه ان بصر الرائي اينما وقع لم يتعلق ادراكه الا بنعيم كثير وملك كبير
وثم في موضع النصب على الظرف يعني في الجنة ومن قال معناه ما ثم فقد
اخطا لان ثم صلة لما ولا يجوز اسقاط الموصول وترك الصلة كبيرا واسعا
وهنيئا ويروى ان ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى

خضر

اقصاه

اقصاه كما يرى ادناه، وقيل لا زوال له، وقيل اذا ارادوا شيئا كان، وقيل يسلم
عليهم الملائكة ويستاذنون عليهم، وعاليهم بالسكون على انه مبتدا خبره ثياب
سندس اي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وعاليهم بالنصب على انه
حال من الضمير في يطوف عليهم او في حسبتهم اي يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف
عليهم ثياب او حسبتهم لؤلؤا عاليا لهم ثياب ويجوز ان يراد رايت اهل نعيم وملك
عاليهم ثياب وعاليتهم بالرفع والنصب على ذلك وعليهم وخضر واستبرق با
لرفع حملا على الثياب وبالجر على السندس وقرئ واستبرق نصبا في موضع
الجر على منع الصرف لانه اعجمي وهو غلط لانه نكرة يدخله حرف التعريف
تقول الاستبرق الا ان يزعم ابن محيصن انه قد يجعل علما لهذا الضرب
من الثياب وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه سمي باستفعل
من البريق وليس بصحيح ايضا لانه معرب مشهور تعريبه وان اصله استبره
وحلوا عطف على ويطوف عليهم فان قلت ذكر ههنا ان اساورهم من فضة
وفي موضع آخر انها من ذهب قلت هب انه قيل وحلوا اساور من ذهب
ومن فضة وهذا صحيح لا اشكال فيه على انهم يسورون بالجنسين اما
على المعاقبة واما على الجمع كما تزاوج نساء الدنيا بين انواع الحلي وتجمع
بينها وما احسن بالمعصم ان يكون فيه سواران سوار من ذهب وسوار
من فضة شرابا طهورا ليس برجس كخمر الدنيا لان كونها رجسا بالشرع

لا بالفعل وليست الدار دار تكليف ولانه بعد تحقق الاكبر الوفقة وتدوره الاقدار الدنية وهي تحلل في الدنيا والا بأس يليق التمييز بعد تكليفها ولانه لا يؤول الى النجاسة لانه يترشح عرقا من ابدانهم له ريح كريح المسك ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما او كفورا اي يقال لهم ان هذا او بهذا اشارة الى ما تقدم من عطاء الله لهم ما جوزيتم به على اعمالكم وشكر سعيكم والشكر مجاز تكرير الضمير مع ايقاعه اسما لان تأكيد على تأكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليتقرر في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله على اي وجه نزل الا حكمة وصوابا كأنه قيل ما نزل عليك القرآن تنزيلا مفرقا منجما الا انا لا غيري وقد عرفتني حكيما فاعلا لكل ما افعله بدواعي الحكمة ولقد دعتني حكمة بالغة الى ان انزل عليك الامر بالمكافة والمصابرة وسانزل عليك الامر بالقتال والانتقام بعد حين فاصبر لحكم ربك الصادر عن الحكمة وتعليقه الامور بالصلاح وتأخير نصرك على اعدائك من اهل مكة ولا تطع منهم آثما فلا تصبر منك على اذاهم وفيه ان تأخير النصر ولانواعه اذاهم في العداوة والاذية له ويمنعه يدعونه الى ان يرجع عن امره ويبذلون له اموالهم وتزويج اكرم بناتهم ان اجابهم . قلت كان الكفرة كلهم فما معنى القسمة في

الوقف الدون والدسم ٥

أي

قوله ما جوزيتم جزاء وقوله وهذا الى قوله لهم جملة معترضة

قوله تلقيه على الطاعة ... تكليفا قلة الصبر على الطاعة



قوله آثما او كفورا قلت معناه ولا تطع منهم راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه او فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لانهم اما ان يدعوه الى مساعدتهم على فعل ما هو اثم او كفر او غير اثم ولا كفر فنهى ان يساعدهم على الاثنين دون الثالث وقيل الآثم عتبة والكفور الوليد لان عتبة كان ركابا للمآثم متعاطيا لانواع الفسوق وكان الوليد غاليا في الكفر شديد الشكيمة في العتو فان قلت معنى او ولا تطع احدهما فهلا جيء بالواو ليكون نهيا عن ان يطيعهما جميعا قلت لو قيل ولا تطعهما لجاز ان يطيع احدهما واذا قيل لا تطع احدهما علم ان الناهي عن طاعة احدهما عن طاعتهما جميعا انهى كما اذا نهي ان يقول لابويه اف علم انه نهي عن ضربهما على طريق الاولى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ودم على صلاة الفجر والعصر ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له يعني صلاة المغرب والعشاء وادخال من على الظرف للتبعيض كما دخل على المفعول في قوله يغفر لكم من ذنوبكم وسبحه ليلا طويلا وتهجد له هزيعا طويلا من الليل ثلثيه او نصفه او ثلثه ان هؤلاء الكفرة يحبون العاجلة يؤثرونها على الآخرة كقوله بل تؤثرون الحياة الدنيا وراءهم قدامهم

... في الليل ... ثلث الليل ... من الليل ... ٥

اي خلف ظهورهم لا يعبأون به يوما ثقيلا استعير الثقل لشدته وهوله من
الشيء الثقيل الباهظ لحامله ونحوه ثقلت في السموات والارض الاسر الربط
والتوثيق ومنه اسر الرجل اذا اوثق بالقد وهو الاسار وفرس ماسور
الخلق وترس ماسور بالعقب والمعنى شددنا توصيل عظامهم بعضها
ببعض وتوثيق مفاصلهم بالاعصاب ومثله قولهم جارية معصوبة الخلق
ويجدولة وإذا شئنا أهلكناهم وبدلنا أمثالهم في شدة الاسر يعني النشأة
الاخرى وقيل معناه بدلنا غيرهم ممن يطيع وحقه ان يجيء بان لا باذا كقوله
وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ان يشأ يذهبكم ان هذه تذكرة فمن شاء
اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤون الا ان يشاء الله ان الله كان عليما حكيما يدخل من
يشاء في رحمته والظالمين اعد لهم عذابا اليما هذه اشارة الى السورة
او الى الآيات القريبة فمن شاء فمن اختار الخير لنفسه وحسن العاقبة و
اتخاذ السبيل الى الله عبارة عن التقرب اليه والتوسل بالطاعة وما تشاؤن
الطاعة الا ان يشاء الله يقسرهم عليها ان الله كان عليما باحوالهم وما يكون
منهم حكيما حيث خلقهم مع علمه بهم وقرئ تشاؤن بالتاء قلت ما على ان
يشاء الله قلت النصب على الظرف واصله الا وقت مشيئة الله وكذلك قراءة
ابن مسعود الا ما يشاء الله لان ما مع الفعل كان معه يدخل من يشاء هم
المؤمنون ونصب الظالمين بفعل يفسره اعد لهم نحو اوعد وكافأ وما

العقب بفتح القاف العصب والعقب بسكون القاف مؤخر القدم

والعقد بالكسر [illegible] اعصاب

الشيء

٥٢٠

530

الشيء ذلك وقرأ ابن مسعود وللظالمين على واعد للظالمين وقرأ ابن الزبير
والظالمون على الابتداء وغيره اولى لذهاب التناسب بين الجملة المعطوفة و
والمعطوف عليها فيهما مع ما فيه من المخالفة للمصحف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل
اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات
نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا اقسم سبحانه بطوائف
من الملائكة ارسلهن باوامره متتابعة فعصفن عصف الرياح في التخفف في امتثال امره وبطوائف منهم نشرن
اجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي او نشرن الشرائع في الارض
او نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما اوحين ففرقن بين الحق و
الباطل فالقين ذكرا الى الانبياء عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين او
اقسم برياح عذاب ارسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب
في الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله كسفا او بسحائب نشرن الموات
ففرقن بين من يشكر لله وبين من يكفر كقوله لاسقيناهم ماء غدقا
لنفتنهم فيه فالقين ذكرا اما عذرا للذين يعتذرون الى الله بتوبتهم
واستغفارهم اذا راوا نعمة الله في الغيث ويشكرونها واما انذارا
للذين يغفلون الشكر لله وينسبون ذلك الى الانواء وجعلن ملقيات

للذكر لكونه سببا في حصوله إذا شكرت النعمة فيه أو كفرت فإن قلت ما معنى
عرفا قلت متتابعة كشعر العرف يقال جاؤوا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع إذا
تألبوا عليه ويكون بمعنى العرف الذي هو نقيض النكر وانتصابه على أنه مفعول
له أي أرسلن للإحسان والمعروف والأول على الحال وقرئ عرفا على التثقيل نحو
نكر في نكر فإن قلت قد فسرت المرسلات بملائكة العذاب فكيف يكون إرسالهم
معروفا قلت إن لم يكن معروفا للكفار فإنه معروف للأنبياء والمؤمنين الذين انتقم
الله لهم منهم فإن قلت ما العذر والنذر وبم انتصبا قلت هما مصدران من عذر
إذا محى الإساءة ومن أنذر إذا خوف على فعل كالكفور والشكور ويجوز أن يكون جمع
عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير بمعنى الإنذار أو بمعنى العاذر والمنذر وأما
انتصابهما فعلى البدل من ذكرا على الوجهين الأولين أو على المفعول له وأما
على الوجه الثالث فعلى الحال بمعنى عاذرين أو منذرين وقرئا مخففين ومثقلين إن
الذي توعدونه من مجيء يوم القيامة لكائن نازل لا ريب فيه وهو جواب القسم
وعن بعضهم أن المعنى ورب المرسلات فإذا النجوم طمست وإذا السماء
فرجت وإذا الجبال نسفت وإذا الرسل أقتت لأي يوم أجلت ليوم الفصل
وما أدراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين طمست محيت ومحقت و
قيل ذهب بنورها ويحق ذواتها موافق لقوله انتثرت وانكدرت ويجوز أن
يمحق نورها ثم تنتثر ممحوقة النور فرجت فتحت فكانت أبوابا قال

تألبوا تجمعوا

وقرئ بالتخفيف أي أجلت وبالتثقيل التحريك بالنصب



الفارجي باب الأمير المبهم نسفت كالحب إذا نسف بالمنسف ونحوه وبست
الجبال بسا وكانت الجبال كثيبا مهيلا وقيل أخذت بسرعة من أماكنها من انتسفت
الشيء إذا اختطفته وقرئ طمست وفرجت ونسفت مشددة وقرئ أقتت
ووقتت بالتشديد والتخفيف فيهما والأصل الواو ومعنى توقيت الرسل تبيين
وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم والتأجيل من الأجل كالتوقيت
من الوقت لأي يوم أجلت تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ليوم الفصل بيان
ليوم التأجيل وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق والوجه أن يكون
معنى وقتت بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وهو يوم القيامة وأجلت
أخرت فإن قلت كيف وقع النكرة مبتدأ في قوله ويل يومئذ للمكذبين قلت هو
في أصله مصدر منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به إلى الرفع للدلالة على معنى
ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم ويجوز ويلا بالنصب و
لكن لم يقرأ به يقال ويلا له وويلا كيلا ألم نهلك الأولين ثم نتبعهم
الآخرين كذلك نفعل بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين قرأ قتادة نهلك بفتح النون
من هلكه بمعنى أهلكه قال العجاج ومهمه هالك من تعرجا ثم نتبعهم بالرفع
على الاستئناف وهو وعيد لأهل مكة يريد ثم نفعل بأمثالهم من الآخرين مثل ما
فعلنا بالأولين ونسلك بهم سبيلهم لأنهم كذبوا مثل تكذيبهم ويقويها قراءة ابن
مسعود ثم سنتبعهم وقرئ بالجزم للعطف على نهلك ومعناه أنه أهلك الأولين

أي كالا له الهلاك كيلا

من قوم نوح وعاد وثمود ثم نتبعهم الآخرين من قوم شعيب ولوط وموسى
كذلك مثل ذلك الفعل الشنيع نفعل بكل من أجرم إنذارا وتحذيرا من عاقبة
الجرم وسوء أثره ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين إلى قدر معلوم
فقدرنا فنعم القادرون ويل يومئذ للمكذبين ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا
وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين
إلى قدر معلوم إلى مقدار معلوم من الوقت قد علمه الله لحكمه
وهو تسعة الأشهر أو ما دونها أو ما فوقها فقدرنا فقدرنا ذلك تقديرا فنعم
القادرون نحن المقدرون له نحن أو فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن
والأول أولى لقراءة نافع والكسائي فقدرنا بالتشديد ولقوله من نطفة خلقه
فقدره الكفات من كفت الشيء إذا ضمه وجمعه وهو اسم ما يكفت كقولهم
الضمام والجماع لما يضم ويجمع يقال هذا الباب جماع الأبواب وانتصب
أحياء وأمواتا كأنه قيل كافتة أحياء وأمواتا أو بفعل مضمر يدل عليه وهو
تكفت والمعنى تكفت أحياء على ظهرها وأمواتا في بطنها وقد استدل بعض
أصحاب الشافعي على قطع النباش بأن الله جعل الأرض كفاتا للأموات
فكان بطنها حرزا لهم فالنباش سارق من الحرز فإن قلت لم قيل أحياء وأمواتا
على التنكير وهي كفات الأحياء والأموات جميعا قلت هو من تنكير التفخيم كأنه
قيل تكفت أحياء لا يعدون وأمواتا لا يحصرون على أن أحياء الإنس وأموا

ليسوا

رسا الشيء ثبت رسوخا وجبال ثابتات ٥

---



قوله لأنه قد علم أنه كفات الإنس بيان لقرينة تحذف لعلمه اعتناء وإرادة لبيان حذف المفعول فقد بينا قبل [illegible]

ليسوا بجميع الأحياء والأموات ويجوز أن يكون المعنى تكفتكم أحياء وأمواتا
فينتصبا على الحال من الضمير لأنه قد علم أنها كفات الإنس فإن قلت فالتنكير في رواسي
شامخات وماء فراتا قلت يحتمل إفادة التبعيض لأن في السماء جبالا
قال الله تعالى من جبال فيها من برد وفيها ماء فرات أيضا بل هي معدنه ومصبه
وأن يكون للتفخيم انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون انطلقوا إلى ظل ذي
ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب إنها ترمي بشرر كالقصر كأنه
جمالة صفر ويل يومئذ للمكذبين انطلقوا أي يقال لهم انطلقوا إلى ما كنتم به
من العذاب وانطلقوا الثاني تكرير وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي
إخبارا بعد الأمر عن عملهم بموجبه لأنهم مضطرون إليه لا يستطيعون
امتناعا منه إلى ظل يعني دخان جهنم كقوله وظل من يحموم ذي ثلاث شعب
يتشعب لعظمه ثلاث شعب كما ترى الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب
وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها
ثلاث شعب فتظللهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش
لا ظليل تهكم بهم وتعريض بأن ظلهم غير ظل المؤمنين ولا يغني في محل
الجر أي وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا إنها ترمي بشرر أي
كالقصر كل شررة كالقصر من القصور في عظمها وقيل هو الغليظ من
الشجر الواحدة قصرة نحو جمرة وجمر وقرئ كالقصر بفتحتين

قوله فالتنكير في رواسي متفرع على أن وجه في إحيائه [illegible] يسمى
أن التنكير للتعظيم فتعين أن التنكير [illegible]

من عذاب الآخرة

اليحموم الدخان

وهى اعناق الابل او اعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرا ابن مسعود كالقصر بمعنى
القصور كرهن ورهن وقرا سعيد بن جبير كالقصر فى جمع قصرة كحاجة و
حوج جمالات جمع جمال او جمالة جمع جمل شبهت بالقصور ثم بالجمال لبيان
التشبيه الا تراهم يشبهون الابل بالافدان والمجادل وقرئ جمالات بالضم
وهى قلوس الجسور وقيل قلوس سفن البحر الواحدة جمالة وقرئ جمالة
بالكسر بمعنى جمال وجمالة بالضم وهى القلس وقيل صفر لارادة الجنس وقيل
صفر سود تضرب الى الصفرة وفى شعر عمران بن حطان الخارجى دعتهم
بأعلى صوتها ورمتهم بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى وقال ابو العلاء
حمراء ساطعة الذوائب فى الدجى ترمى بكل شرارة كطراف فشبهها
بالطراف وهو بيت الادم فى العظم والحمرة وكانه قصد بخبثه ان يزيد على
تشبيه القرآن ولتبجحه بما سول له من توهم الزيادة جاء فى صدر بيته
بقوله حمراء توطئة لها ومناداة عليها وتنبيها للسامعين على مكانها ولقد
عمى جمع الله له عمى الدارين عن قوله عز وعلا كانه جمالات صفر فانه
بمنزلة قوله كبيت احمر وعلى ان فى التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيها من
جهتين من جهة العظم ومن جهة الطول فى الهواء وفى التشبيه بالجمالات
وهى القلوس تشبيه من ثلث جهات من جهة العظم والطول والصفرة
فابعد الله اغرابه فى طرافه وما نفخ شدقيه من استطرافه هذا

يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين هذا
يوم الفصل جمعناكم والاولين فان كان لكم كيد فكيدون ويل يومئذ للمكذبين
قرئ بنصب اليوم ونصبه الاعمش اى هذا الذى قص عليكم واقع يومئذ يوم لا
ويوم القيمة طويل ذو مواطن ومواقيت ينطقون فى وقت ولا ينطقون فى وقت
ولذلك ورد الامران فى القرآن وجعل نطقهم كلا نطق لانه لا ينفع ولا يسمع
فيعتذرون عطف على يؤذن منخرط فى سلك النفى والمعنى ولا يكون لهم
اذن واعتذار متعقب له من غير ان يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن
ولو نصب لكان مسببا عنه لا محالة جمعناكم والاولين كلام موضح لقوله
هذا يوم الفصل لانه اذا كان يوم الفصل بين السعداء والاشقياء
وبين الانبياء واممهم فلا بد من جمع الاولين والآخرين حتى يقع
ذلك الفصل بينهم فان كان لكم كيد فكيدون تقريع لهم على كيدهم لدين
الله وذويه وتسجيل عليهم بالعجز والاستكانة ۞ ان المتقين فى ظلال و
عيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون
انا كذلك نجزى المحسنين ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا
قليلا انكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل لهم اركعوا
لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين فباى حديث بعده يؤمنون
۞ كلوا واشربوا فى موضع الحال من ضمير المتقين فى الظرف الذى

هم في ضلال انهم مستقرون في ظلال يتعذر لكلهم ذلك وكلوا وتمتعوا
حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا
فان قلت كيف يصح ان يقال لهم ذلك في الآخرة قلت يقال لهم ذلك في
الآخرة ايذانا بانهم كانوا في الدنيا احقاء بان يقال لهم وكانوا من
اهله تذكيرا بحالهم السمجة وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع
القليل على النعيم والملك الخالد وفي طريقته قوله اخوتي لا
تبعدوا ابدا وبلى والله قد بعدوا يريد كنتم احقاء في
حياتكم بان تدعي لكم بذلك وعلل ذلك بكونهم مجرمين دلالة على
ان كل مجرم ماله الا الاكل والتمتع اياما قلائل ثم البقاء في الهلاك
ابدا ويجوز ان يكون كلوا وتمتعوا كلاما مستأنفا خطابا للمكذبين
في الدنيا اذا قيل لهم اخشعوا لله وتواضعوا له بقبول
وحيه واتباع دينه واطرحوا هذا الاستكبار والنخوة لا يخشعون
ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم وقيل ما كان على العرب اشد
من الركوع والسجود وقيل نزلت في ثقيف حين امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالصلوة فقالوا لا نجبي فانها مسبة علينا فقال صلى الله عليه وسلم لا خير في دين ليس فيه
ركوع ولا سجود فبأي حديث بعده بعد القرآن يعني ان القرآن من بين الكتب المنزلة
آية مبصرة ومعجزة باهرة فحين لم يؤمنوا به فبأي كتاب بعده يؤمنون وقرئ
تؤمنون بال

بسم الله

## سورة النبا مكية وآيها اربعون وآيه

بسم الله الرحمن الرحيم عم يتساءلون عن النبأ العظيم
الذي هم فيه مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون عم اصله عما على
انه حرف جر دخل على ما الاستفهامية وهو في قراءة عكرمة وعيسى بن عمر
وقال حسان على ما قام يشتمني لئيم كخنزير تمرغ في رماد والاستعمال
الكثير على الحذف والاصل قليل ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشأن كأنه قال عن
اي شيء يتساءلون ونحوه ما في قولك زيد ما زيد جعلته لانقطاع قرينه
وعدم نظيره كأنه شيء خفي عليك جنسه فانت تسأل عن جنسه و
تفحص عن جوهره كما تقول ما الغول وما العنقاء تريد اي شيء هو
من الاشياء هذا اصله ثم جرد للعبارة عن التفخيم حتى وقع في كلام
من لا يخفى عليه خافية يتساءلون يسأل بعضهم بعضا او يسألون غيرهم
من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين نحو يتداعونهم ويتراءونهم والضمير لاهل
مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث او يتساءلون غيرهم عنه على طريق
الاستهزاء عن النبأ العظيم بيان للشأن المفخم وعن ابن كثير انه قرأ عمه بهاء
السكت ولعله اجرى الوصل مجرى الوقف واما انه يقف ويبتدئ
يتساءلون عن النبأ العظيم على ان يضمر يتساءلون لان ما بعده يفسره
كشيء مبهم ثم يفسر فان قلت قد زعمت ان الضمير في يتساءلون للكفار

فكأنه تفصيح بقوله هم فيه مختلفون ثلث كان فيهم من يقطع القول بإنكار البعث
ومنهم من يشك وقيل الضمير للمسلمين والكافرين جميعاً وكانوا جميعاً
يسألون عنه أما المسلم فليزداد خشية واستعداداً وأما الكافر فليزداد
استهزاءً وقيل المتساءل عنه القرآن وقيل نبوة محمد عم وقرئ يسّاءلون
بالإدغام وستعلمون بالتاء كلا ردع للمتسائلين هزؤاً وسيعلمون وعيد لهم
بأنهم سوف يعلمون أن ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق لا دافع له ولا
ريب فيه وتكرير الردع مع الوعيد تشديد في ذلك ومعنى ثم الإشعار
بأن الوعيد الثاني أبلغ من الأول وأشد ألم نجعل الأرض مهاداً و
الجبال أوتاداً وخلقناكم أزواجاً وجعلنا نومكم سباتاً وجعلنا الليل لباساً
وجعلنا النهار معاشاً وبنينا فوقكم سبعاً شداداً وجعلنا سراجاً
وهاجاً فإن قلت كيف اتصل به قوله ألم نجعل الأرض مهاداً قلت لما أنكروا
البعث قيل لهم ألم يخلق من يضاف إليه هذه الخلائق العجيبة الدالة
على كمال القدرة فما وجه إنكار قدرته على البعث وما هو إلا اختراع كهذه
الاختراعات أو قيل لهم ألم يفعل هذه الأفعال المتكاثرة والحكيم لا يفعل
فعلاً عبثاً وما تنكرونه من البعث والجزاء مؤدٍّ إلى أنه عابث في كل
ما فعل مهاداً فراشاً وقرئ مهداً ومعناه أنها لهم كالمهد للصبي و
ما يمهد له فيتنوم عليه تسمية للممهود بالمصدر كضرب الأمير أو وصفت

وجعلنا

البعث

بالمصدر أو بمعنى ذات مهد أي أرسيناها بالجبال كما يرسى البيت بالأوتاد
سباتاً موتاً والمسبوت الميت من السبت وهو القطع لأنه مقطوع عن
الحركة والنوم أحد التوفيين وهو على بناء الأدواء ولما جعل النوم موتاً
جعل اليقظة معاشاً أي حياة في قوله وجعلنا النهار معاشاً أي وقت معاش
تستيقظون فيه وتتقلبون في حوائجكم ومكاسبكم وقيل السبات الراحة لباساً
يستركم عن العيون إذا أردتم هرباً من عدو أو بياتاً له أو إخفاء ما لا
تحبون الاطلاع عليه من كثير من الأمور وكم لأجل ... الليل ... من ... يد مختبر
المأنوسة تكذب سبعاً سبع سموات شداداً جمع شديدة يعني محكمة
قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الأزمان وهاجاً متلألئاً وقاداً يعني الشمس
وتوهجت النار إذا تلألأت فتوهجت بضوئها وحرها وأنزلنا من
المعصرات ماءً ثجاجاً لنخرج به حباً ونباتاً وجنات ألفافاً إن يوم الفصل كان
ميقاتاً يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً وفتحت السماء فكانت أبواباً
وسيرت الجبال فكانت سراباً إن جهنم كانت مرصاداً للطاغين مآباً لا
بثين فيها أحقاباً لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً إلا حميماً وغساقاً
المعصرات السحائب إذا أعصرت أي شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر كقولك
أجزّ الزرع إذا حان له أن يجزّ ومنه أعصرت الجارية إذا دنت أن تحيض و
قرأ عكرمة بالمعصرات وفيه وجهان أن يراد الرياح التي حان لها أن تعصر السحاب

وأن تراد السحائب لأنه إذا كان الإنزال منها فهو بها كما تقول أعطى من يده وبيده
وأعطى بيده وعن مجاهد المعصرات الرياح ذوات الأعاصير وعن الحسن وقتادة
هي السموات وتأويله أن الماء ينزل من السماء إلى السحاب فكأن السموات يعصرن
أي يحملن على العصر ويمكن منه فإن قلت فما وجه من قرأ من المعصرات وفسرها
بالرياح ذوات الأعاصير والمطر لا ينزل من الرياح قلت الرياح هي التي تنشئ
السحاب وتدر أخلافه فصح أن تجعل مبدأ للإنزال وقد جاء أن الله تعالى يبعث
الرياح فتحمل الماء من السماء إلى السحاب فإن صح ذلك فالإنزال منها ظاهر
فإن قلت ذكر ابن كيسان أنه جعل المعصرات بمعنى المغيثات والعاصر هو المغيث
لا المعصر يقال عصره فاعتصر قلت وجهه أن يريد اللاتي أعصرن أي حان لها
أن تعصر أي تغيث ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث أفضل
الحج العج والثج أي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وكان ابن عباس
مثجا يسيل غربا يعني يثج الكلام ثجا في خطبته وقرأ الأعرج ثجاحا و
مثاجح الماء مصابه والماء ينثجح في الوادي حبا ونباتا يريد ما يتقوت به من نحو
الحنطة والشعير وما يعتلف من التبن والحشيش كما قال كلوا وارعوا أنعا
مكم والجنات ذوات العنب والرمان ألفافا ملتفة ولا واحد لها كالأوزاع والأخيا
ف وقيل الواحد لف وقال صاحب الإقليد أنشدني الحسن بن علي الطوسي جنة
لف وعيش مغدق وندامى كلهم بيض زهر وزعم ابن قتيبة أنه لفاء

الاعاصير جمع الاعصار وهي الريح التي تستدير في الارض ثم ترتفع نحو السماء كالعمود ه

قوله انه بدل عن ابن كيسان بدل الاستبعاد ه

ولف



ولف ثم ألفاف وما أظنه واجدا له نظيرا من نحو خضر وأخضار وحمر وأحمار
ولو قيل هي جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها كان ميقاتا كان في
تقدير الله وحكمه حدا تؤقت به الدنيا وتنتهي عنده أو حدا للخلائق
ينتهون إليه يوم ينفخ بدل من يوم الفصل أو عطف بيان فتأتون أفواجا
من القبور إلى الموقف أمما كل أمة مع إمامهم وقيل جماعات مختلفة وعن
معاذ رضي الله عنه أنه سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ سألت عن أمر
عظيم من الأمور ثم أرسل عينيه وقال تحشر عشرة أصناف من أمتي بعضهم على
صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم
فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم صما بكما وبعضهم
يمضغون ألسنتهم فهي مدلاة على سوقهم يسيل القيح من أفواههم
يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم و
بعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم
ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فأما الذين على صورة
القردة فالقتات من الناس وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت
وأما المنكسون على وجوههم فأكلة الربا وأما العمي فالذين يجورون
في الحكم وأما الصم والبكم فالمعجبون بأعمالهم وأما الذين يمضغون ألسنتهم
فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم أعمالهم وأما الذين قطعت أيد

وأرجلهم ثم الذين يؤذون الجيران وأما المصلبون على جذوع من النار
فالسعاة بالناس إلى السلطان وأما الذين هم أشد نتنا من الجيف
فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله في أموالهم وأما
الذين يلبسون الجباب فأهل الكبر والفخر والخيلاء وفتحت بالتشديد
والتخفيف والمعنى كثرت أبوابها المفتحة لنزول الملائكة كأنها ليست
إلا أبوابا مفتحة كقوله وفجرنا الأرض عيونا كأن كلها عيون تتفجر و
قيل الأبواب الطرق والمسالك أي تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا
يسدها شيء فكانت سرابا كقوله فكانت هباء منبثا يعني أنها تصير
شيئا كلا شيء لتفرق أجزائها وانبثاث جواهرها المرصاد الحد
الذي يكون فيه الرصد والمعنى أن جهنم هي حد الطاغين الذين يرصدون
فيه للعذاب وهي مآبهم أو هي مرصاد لأهل الجنة ترصدهم الملائكة
الذين يستقبلونهم عندها لأن مجازهم عليها وهي مآب للطاغين وعن
(أي الجواز منهم ومسيرهم)
الحسن وقتادة نحوه قالا طريقا وممرا لأهل الجنة وقرأ ابن يعمر أن
جهنم بفتح الهمزة على تعليل قيام الساعة بأن جهنم كانت مرصادا
للطاغين كأنه قيل كان ذلك لإقامة الجزاء قرئ لابثين ولبثين واللبث
أقوى لأن اللابث من وجد منه اللبث ولا يقال لبث إلا لمن شأنه
اللبث كالذي يجثم بالمكان لا يكاد ينفك منه أحقابا حقبا بعد حقب كلما



مضى حقب تبعه آخر إلى غير نهاية ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة إلا
حيث يراد تتابع الأزمنة وتواليها والاشتقاق يشهد لذلك ألا ترى إلى حقيبة
الراكب والحقب الذي وراء التصدير وقيل الحقب ثمانون سنة ويجوز أن
يراد لابثين فيها أحقابا غير ذائقين بردا ولا شرابا إلا حميما وغساقا ثم
يبدلون بعد الأحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر من العذاب
وفيه وجه آخر وهو أن يكون من حقب عامنا إذا قل مطره وخيره وحقب
فلان إذا أخطأه الرزق فهو حقب وجمعه أحقاب فينتصب حالا عنهم يعني
لابثين فيها حقبين جحدين وقوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا
تفسير له والاستثناء منقطع يعني لا يذوقون فيها بردا أو روحا ينفس
عنهم حر النار ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما
وغساقا وقيل البرد النوم وأنشد فلو شئت حرمت النساء سواكم
(أي نوما)
وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا وعن بعض العرب منع البرد البرد
(أي الماء العذب)
وقرئ غساقا بالتخفيف والتشديد وهو ما يغسق أي يسيل من صديدهم
جزاء وفاقا إنهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا بآياتنا كذابا
وكل شيء أحصيناه كتابا فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا وفاقا
وصف بالمصدر أو ذا وفاق وقرأ أبو حيوة وفاقا فعال من وفقه
كذا كذابا تكذيبا وفعال في باب فعل كله فاش في كلام الفصحاء من العرب

لا يقولون غيره وسمعني بعضهم افسر آية فقال لقد فسرتها فسارا ما سمع
بمثله وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب بدليل قوله فصدقتها وكذبتها
والمرء ينفعه كذابه وهو مثل قوله انبتكم من الارض نباتا يعني وكذبوا
بآياتنا فكذبوا كذابا او تنصبه بكذبوا لانه يتضمن معنى كذبوا لان كل
مكذب بالحق كاذب وان جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا بآياتنا فكاذبوا
مكاذبة او كذبوا بها مكاذبين لانهم اذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان
المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة او لانهم يتكلمون بما هو افراط
في الكذب فعل من يغالب في امر فيبلغ فيه اقصى جهده وقرئ كذابا
وهو جمع كاذب اي كذبوا بآياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الوا
حد البليغ في الكذب يقال رجل كذاب كقولك حسان وبخال فيجعل صفة لمصدر
كذبوا اي تكذيبا كذابا مفرطا كذبه وقرأ ابو السمال وكل شيء احصيناه
بالرفع على الابتداء كتابا مصدر في موضع احصاء او احصيناه في موضع
كتبناه لالتقاء الاحصاء والكتبة في معنى الضبط والتحصيل او يكون حالا في
معنى مكتوبا في اللوح وفي صحف الحفظة والمعنى احصاء معاصيهم كقوله
احصاه الله ونسوه وهو اعتراض وقوله فذوقوا مسبب عن كفرهم بالحساب
وتكذيبهم بالآيات وهي آية في غاية الشدة وناهيك بلن نزيدكم وبدلالته
على ان ترك الزيادة كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة وبمجيئها على طريقة الالتفات

شاهدا



شاهدا على ان الغضب قد تبالغ وعن النبي ص هذه الآية اشد ما في
القرآن على اهل النار ان للمتقين مفازا حدائق واعنابا وكواعب اترابا
وكأسا دهاقا لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا جزاء من ربك عطاء حسابا
رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا مفازا
فوزا وظفرا بالبغية او موضع فوز وقيل نجاة مما فيه اولئك او موضع نجاة
وفسر المفاز بما بعده والحدائق البساتين فيها انواع الشجر المثمر
والاعناب الكروم والكواعب اللاتي فلكت ثديهن وهن النواهد
والاتراب اللدات والدهاق المترعة وادهق الحوض ملأه حتى قال قطني
وقرئ ولا كذابا بالتشديد والتخفيف اي لا يكذب بعضهم بعضا ولا يكذ
به او لا يكاذبه وعن علي رضه انه قرأ بتخفيف الاثنين جزاء مصدر
مؤكد منصوب بمعنى قوله ان للمتقين مفازا كانه قال جازى المتقين بمفاز
وعطاء نصب بجزاء نصب المفعول به اي جزاهم عطاء وحسابا صفة
بمعنى كافيا من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي وقيل على حسب
اعمالهم وقرأ ابن قطيب حسابا بالتشديد على ان الحساب بمعنى المحسب
كالدراك بمعنى المدرك وقرئ رب السموات والرحمن بالرفع على هو رب
السموات الرحمن او رب السموات مبتدأ والرحمن صفة ولا يملكون
خبر او هما خبران وبالجر على البدل من ربك وبجر الاول ورفع الثاني

على أنه بدل منه أو بمعنى لا يملكون أو بهو الرحمن لا يملكون والضمير في لا يملكون لأهل السموات
والأرض أي ليس في أيديهم مما يخاطب به الله ويأمر به في أمر الثواب و
العقاب خطاباً واحداً يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه أو ينقصون
منه أو لا يملكون أن يخاطبوه بشيء من نقص العذاب أو زيادة في الثواب
إلا أن يهب لهم ذلك ويأذن لهم فيه. يوم يقوم الروح والملائكة
صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً ذلك اليوم الحق فمن
شاء اتخذ إلى ربه مآباً إنا أنذرناكم عذاباً قريباً يوم ينظر المرء ما
قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً، ويوم يقوم متعلق
بلا يملكون أو بلا يتكلمون والمعنى أن الذين هم أفضل الخلائق وأشرفهم
وأكثرهم طاعة وأقربهم منه وهم الروح والملائكة لا يملكون التكلم بين يديه
تقريراً على مذهب المعتزلة
فما ظنك بمن عداهم من أهل السموات والأرض والروح أعظم خلقاً من
الملائكة وأشرف منهم وأقرب من رب العالمين وقيل هو ملك ما خلق
الله بعد العرش خلقاً أعظم منه وقيل ليسوا بالملائكة وهم يأكلون وقيل
جبرئيل وهما شريطتان أن يكون المتكلم منهم مأذوناً له في التكلم وأن يتكلم با
الصواب فلا يشفع لغير مرتضى لقوله ولا يشفعون إلا لمن ارتضى
المرء هو الكافر لقوله إنا أنذرناكم عذاباً قريباً والكافر ظاهر وضع مو
ضع الضمير لزيادة الذم ويعني ما قدمت يداه من الشر كقوله

وذوقوا



وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم ونذيقه يوم القيمة عذاب
الحريق ذلك بما قدمت يداك بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين وما
يحتمل أن تكون استفهامية منصوبة بقدمت أي ينظر أي شيء قدمت يداه
أو موصولة منصوبة بينظر يقال نظرته بمعنى نظرت إليه والراجع من
الصلة محذوف وقيل المرء عام وخصص منه الكافر وعن قتادة المؤمن
يا ليتني كنت تراباً في الدنيا فلم أخلق ولم أكلف أو ليتني كنت تراباً في هذا
اليوم فلم أبعث وقيل يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء
من القرناء ثم يرده تراباً فيود الكافر حاله وقيل الكافر إبليس يرى آدم
وولده وثوابهم فيتمنى أن يكون الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني
من نار وخلقته من طين. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
عم يتساءلون سقاه الله برد الشراب يوم القيمة

## سورة النازعات

مكية وآيها خمس وأربعون أو ست وأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات غرقاً و
الناشطات نشطاً والسابحات سبحاً فالسابقات سبقاً فالمدبرات
أمراً. أقسم سبحانه بطوائف الملائكة التي تنزع الأرواح من
الأجساد وبالطوائف التي تنشطها أي تخرجها من نشط الدلو من البئر
إذا أخرجها وبالطوائف التي تسبح في مضيها أي تسرع فتسبق إلى ما أمروا به
فتدبر أمراً من أمور العباد مما يصلحهم في دينهم أو دنياهم كما رسم

[illegible]

لهم عن وفاء اعز ان في النزع ارتت عليها سنا فاقها الاجساد [illegible] انا ملها وانلفا
او اقسم بخيل الغزاة التي تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول
اعناقها لانها عراب والتي تخرج من دار الاسلام الى دار الحرب من قولك
ثور ناشط اذا خرج من بلد الى بلد والتي تسبح في جريها فتسبق الى الغاية
فتدبر امر الغلبة والظفر واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه او اقسم
بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب واغراقها في النزع ان تقطع الفلك
كلها حتى تنحط في اقصى الغرب والتي تخرج من برج الى برج والتي تسبح في الفلك
من السيارات فتسبق فتدبر امرا من علم الحساب وقيل النازعات ايدي
الغزاة او انفسهم تنزع القسي باغراق السهام والتي تنشط الاوهاق
والمقسم عليه محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة
يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة ابصارها
خاشعة يقولون ائنا لمردودون في الحافرة ائذا كنا عظاما نخرة قالوا
تلك اذا كرة خاسرة فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة ويوم
ترجف منصوب بهذا المضمر والراجفة الواقعة التي ترجف عندها
الارض والجبال وهي النفخة الاولى وصفت بما يحدث بحدوثها تتبعها
الرادفة التابعة التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية ويجوز
ان تكون الرادفة من قوله تعالى عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي

تستعجلون

تتبعها اى النفخة الثانية التى تستعجلها الكفرة استبعادا لها وهى
رادفة لهم لاقترابها وقيل الراجفة الارض والجبال من قوله يوم
ترجف الارض والجبال والرادفة السماء والكواكب لانها تنشق و
تنتثر كواكبها على اثر ذلك فان قلت ما محل تتبعها قلت الحال اى تر
جف تابعتها الرادفة فان قلت كيف جعلت يوم ترجف ظرفا للمضمر
الذى هو لتبعثن ولا يبعثون عند النفخة الاولى قلت المعنى لتبعثن
فى الوقت الواسع الذى يقع فيه النفختان وهم يبعثون فى بعض ذلك
الوقت الواسع وهو وقت النفخة الاخرى ودل على ذلك ان قوله
تتبعها الرادفة جعل حالا عن الراجفة ويجوز ان ينتصب يوم تر
جف بما دل عليه قلوب يومئذ واجفة اى يوم ترجف وجفت القلوب
واجفة شديدة الاضطراب والوجيب والوجيف اخوان خاشعة ذليلة
فان قلت كيف جاز الابتداء بالنكرة قلت قلوب مرفوعة وواجفة صفتها
وابصارها خاشعة خبرها فهو كقوله ولعبد مؤمن خير من
مشرك فان قلت كيف صح اضافة الابصار الى القلوب قلت معناه ابصار
اصحابها بدليل قوله يقولون فى الحافرة فى الحالة الاولى يعنون الحياة
بعد الموت فان قلت ما حقيقة هذه الكلمة قلت يقال رجع فلان فى حا
فرته اى فى طريقه التى جاء فيها فحفرها اى اثر فيها بمشيه فيها جعل

اثر

اثر قدميه حفرا كما قيل حفرت اسنانه حفرا اذا اثر الآكال فى اسنا
خها والخط المحفور فى الصخر وقيل حافرة كما قيل عيشة راضية اى
منسوبة الى الحفر والرضا او كقولهم نهارك صائم ثم قيل لمن كان فى امر
فخرج منه ثم عاد اليه رجع الى حافرته اى الى طريقته وحالته الاولى قال
أحافرة على صلع وشيب معاذ الله من سفه وعار يريد ارجوعا الى
حافرة وقيل النقد عند الحافرة يريدون عند الحالة الاولى وهى
الصفقة وقرأ ابو حيوة فى الحفرة والحفرة بمعنى المحفورة يقال
حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهى حفرة وهذه القراءة دليل على ان
الحافرة فى اصل الكلمة بمعنى المحفورة يقال نخر العظم فهو نخر وناخر
كقولك طمع فهو طامع وطمع وفعل ابلغ من فاعل وقد قرئ بهما
وهو البالى الاجوف الذى تمر فيه الريح فيسمع له نخير واذا منصوب
بمحذوف تقديره اذا كنا عظاما نردّ ونبعث كرة خاسرة
منسوبة الى الخسران او خاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن
اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم فان قلت بم تعلق
قوله فانما هى زجرة واحدة قلت بمحذوف معناه لا تستصعبوها
فانما هى زجرة واحدة يعنى لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عز و
جل فانها سهلة هينة فى قدرته ما هى الا صيحة واحدة يريد النفخة

يعنى يكون المراد بالرادفة الثانية

الثانية فإذا هم أحياء على وجه الأرض بعدما كانوا أمواتا في جوفها من
قولهم زجر البعير إذا صاح عليه والساهرة الأرض البيضاء المستوية
سميت بذلك لأن السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية
الماء وفي ضدها نائمة قال الأشعث بن قيس وساهرة يضحي السراب
مجللا لأقطارها قد جئتها متلثما أو لأن سالكها لا ينام خوف
الهلكة وعن قتادة فإذا هم في جهنم هل أتاك حديث موسى إذ ناداه
ربه بالواد المقدس طوى اذهب إلى فرعون إنه طغى فقل هل لك إلى
أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى فأراه الآية الكبرى اذهب
على إرادة القول وقرئ أن اذهب لأن في النداء معنى القول
فقل هل لك في كذا كما تقول هل ترغب فيه وهل لك إليه إلى أن تزكى إلى أن
تتطهر من الشرك وقرأ أهل المدينة تزكى بالإدغام وأهديك إلى ربك
وأرشدك إلى معرفة الله وأنبهك عليه فتعرفه فتخشى لأن الخشية لا
تكون إلا بعد المعرفة قال الله إنما يخشى الله من عباده العلماء
وذكر الخشية لأنها ملاك الأمر من خشي الله أتى منه كل خير ومن
أمن اجترأ على كل شر ومنه قوله عليه السلام من خاف أدلج ومن أدلج
بلغ المنزل بدأ مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض كما يقول
الرجل لضيفه هل لك أن تنزل بنا وأردفه الكلام الرقيق ليستدعيه





بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من عتوه كما أمر بذلك في قوله
فقولا له قولا لينا الآية الكبرى قلب العصا حية لأنها كانت المقدمة
أي فذهب وبلغ فأراه فاء
والأصل والأخرى كالتبع لها لأنه كان يتقيها بيده فقيل له أدخل يدك
في جيبك أو مجموعهما جميعا لأنه جعلهما واحدة لأن الثانية كأنها
من جملة الأولى لكونها تبعة لها فكذب وعصى ثم أدبر يسعى فحشر
فنادى فقال أنا ربكم الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى إن في
ذلك لعبرة لمن يخشى أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها
فسواها فكذب بموسى والآية الكبرى وسماهما ساحرا و
سحرا وعصى الله بعدما علم صحة الأمر وأن الطاعة قد وجبت
عليه ثم أدبر يسعى أي لما رأى الثعبان أدبر مرعوبا يسعى في
مشيته قال الحسن كان رجلا طياشا خفيفا أو تولى عن موسى يسعى
ويجتهد في مكايدته أو أدبر ثم أقبل يسعى كما تقول أقبل فلان يفعل
كذا بمعنى أنشأ يفعل فوضع أدبر موضع أقبل لئلا يوصف
بالإقبال فحشر فجمع السحرة كقوله فأرسل في المدائن
حاشرين فنادى في المقام الذي اجتمعوا فيه معه أو أمر مناديا
فنادى في الناس بذلك وقيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة وعن
ابن عباس كلمته الأولى ما علمت لكم من إله غيري والآخرة أنا ربكم

الأعلى والأولى وقيل قوله ما خلقت لكم من آية عيسى وقيل كما ان بين
الكلمتين اربعون سنة وقيل عشرون اعتبارا بمكث البعث يعني
أأنتم أصعب خلقا أم السماء ثم بين كيف خلقها فقال
بناها ثم بين البناء فقال رفع سمكها اي جعل مقدار ارتفاعها
في سمت العلو مديدا ارتفاعا مسيرة خمسمائة عام فسواها
فعدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور او فتممها
على انها تتم به وافعلها من قولك سوى فلان امره اذا اصلحه وأغطش
أغطش ليلها واخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها
ومرعاها والجبال أرساها متاعا لكم ولأنعامكم من أغطش
الليل وأغطشه الله كقولك ظلم وأظلمه ويقال ايضا اغطش الليل كما
يقال اظلم واخرج ضحاها وابرز ضوء شمسها يدل عليه قوله قوله
تعالى والشمس وضحاها يريد ضوءها وكذا قولهم وقت الضحى للوقت
الذي تشرق فيه الشمس ويقوم سلطانها واضيف الليل و
الشمس الى السماء لان الليل ظلها والشمس هي السراج المثقب في
جوها ماءها بان فجر منها عيونا ومرعاها ورعيها وهو في الاصل
لموضع الرعي ونصب الارض والجبال باضمار دحا وارسى وهو
الاضمار على شريطة التفسير وقرأهما الحسن بالرفع على الابتداء



فان قلت ما تقرر اذ جاء من العطف على اخرج قلت فيه وجهان احدهما
ان يكون معنى دحاها بسطها ومهدها للسكنى ثم فسر التمهيد بما لا
بد منه في تأتي سكناها من تسوية امر المأكل والمشرب وامكان القرار
عليها والسكون باخراج الماء والمرعى وارساء الجبال واثباتها اوتادا
لها حتى تستقر ويستقر عليها والثاني ان يكون اخرج حالا باضمار قد
كقوله او جاؤكم حصرت صدورهم واراد بمرعاها ما يأكل الناس
والانعام واستعير الرعي للانسان كما استعير الرتع في قوله نرتع
ونلعب وقرئ نرتع من الرعي ولهذا قيل دل الله سبحانه وتعالى بذكر
الماء والمرعى على عامة ما يرتفق به ويتمتع مما يخرج من الارض حتى
الملح لانه من الماء متاعا لكم مفعول له اي فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم لان منفعة
ذلك التمهيد واصلة اليهم والى انعامهم فاذا جاءت الطامة
الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى الداهية
الطامة التي تطم اي تعلو على الدواهي اي تعلو وتغلب وهي
التي جرت الوادي فهي على النفوس وهي القيامة لطمها على كل هائلة
وقيل هي النفخة الثانية وقيل الساعة التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة
واهل النار الى النار يوم يتذكر الانسان بدل من اذا جاءت يعني اذا رأى
اعماله مدونة في كتابه تذكرها وكان قد نسيها كقوله احصيه
الله

وسعيه وما في ما سعى موصولة او مصدرية وبرزت واظهرت وقرا ابو نهيك
وبرزت لمن يرى الرائين جميعا اي لكل احد يعني انها تظهر اظهارا بينا مكشوفا
يراها اهل الساهرة كلهم كقوله قد تبين الصبح لذي عينين يريدون لكل
من له بصر وهو مثل في الامر المنكشف الذي لا يخفى على احد وقرا ابن مسعود
لمن راى وقرا عكرمة لمن ترى والضمير للجحيم كقوله اذا راتهم من مكان
بعيد وقيل لمن ترى يا محمد فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي
المأوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي
المأوى يسألونك عن الساعة ايان مرسيها فيم انت من ذكريها الى ربك
منتهيها انما انت منذر من يخشيها كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية
او ضحيها فاما جواب فاذا فاذا جاءت الطامة فان الامر كذلك والمعنى
فان الجحيم مأواه كما تقول للرجل غض الطرف تريد طرفك وليس الالف واللام
بدلا من الاضافة ولكن لما علم ان الطاغي هو صاحب المأوى وانه لا يغض
الرجل طرف غيره تركت الاضافة ودخول حرف التعريف في المأوى والطرف
للتعريف لانهما معروفان وهي فصل او مبتدأ ونهى النفس الامارة بالسوء
عن الهوى المردي وهو اتباع الشهوات وزجرها عنه وضبطها بالصبر
والتوطين على ايثار الخير وقيل الآيتان نزلتا في ابي عزيز بن عمير و
مصعب بن عمير وقد قتل مصعب اخاه ابا عزيز يوم احد ووقى

رسول الله

544

رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حتى نفذت المشاقص في جوفه ايان مرسيها متى ارساؤها
اي اقامتها اراد متى يقيمها الله ويثبتها ويكونها وقيل ايان منتهيها ومستقرها
كما ان مرسى السفينة مستقرها حيث تنتهي اليه فيم انت في اي شيء انت
من ان تذكر وقتها لهم وتعلمهم به يعني ما انت من ذكرها لهم وتبيين
وقتها في شيء وعن عائشة رضي الله عنها لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر
الساعة ويسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها
كانه قيل في اي شغل واهتمام انت من ذكرها والسؤال عنها والمعنى
انهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها ثم
قال الى ربك منتهيها اي منتهى علمها اي لم يؤت علمها احدا من خلقه وقيل فيم
انكار لسؤالهم اي فيم هذا السؤال ثم قيل انت من ذكريها
اي ارسالك وانت خاتم الانبياء وآخر الرسل المبعوث في نسم
الساعة ذكر من ذكرها وعلامة من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على
دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها ولا معنى لسؤالهم عنها
انما انت منذر من يخشيها اي انما بعثت لتعلمهم بوقت الساعة الذي
لا فائدة لهم في علمه وانما بعثت لتنذر من اهوالها من يكون انذارك
لطفا له في الخشية منها وقرئ منذر بالتنوين وهو الاصل والاضافة
تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فاذا اريد الماضي فليس الا

الاضافة كقولك هو منذر زيد امس ، كأنهم لم يلبثوا في الدنيا وقيل في
القبور الا عشية او ضحاها ، فان قلت كيف صحت اضافة الضحى الى العشية
قلت لما بينهما من الملابسة لاجتماعهما في نهار واحد ، فان قلت فهلا قيل
الا عشية او ضحى وما فائدة الاضافة قلت الدلالة على ان مدة لبثهم كأنها
لم تبلغ يوما كاملا ولكن ساعة منه عشيته او ضحاه فلما ترك اليوم اضافه
الى عشيته فهو كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة النازعات كان ممن حبسه الله في القبر والقيامة حتى يدخل الجنة
قدر صلاة مكتوبة

## سورة عبس مكية وآيها اربعون وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى ان
جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى اتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم وام مكتوم ام ابيه واسمه عبد
الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي وعنده
صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام و
العباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم
الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال يا رسول الله اقرئني
وعلمني مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله
صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه

ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول هل لك من حاجة و
استخلفه على المدينة مرتين وقال انس رأيته يوم القادسية وعليه درع و
له راية سوداء ، وقرئ عبس بالتشديد للمبالغة ونحوه كلح في كلح
ان جاءه منصوب بتولى او بعبس على اختلاف المذهبين ومعناه عبس
لان جاءه الاعمى واعرض لذلك وقرئ آن جاءه بهمزتين وبالف بينهما
وقف على عبس وتولى ثم ابتدئ على معنى ألان جاءه الاعمى فعل ذلك
انكارا عليه وروي انه ما عبس بعدها في وجه فقير قط ولا تصدى
لغني ، وفي الاخبار عما فرط منه ثم الاقبال عليه بالخطاب دليل على زيادة
الانكار كمن يشكو الى الناس جانيا جنى عليه ثم يقبل على الجاني اذا
حمي في الشكاية مواجها بالتوبيخ والزام الحجة وفي ذكر الاعمى نحو من
ذلك كأنه يقول قد استحق عنده العبوس والاعراض لانه اعمى وكان
يجب ان يزيده لعماه تعطفا وترؤفا وتقريبا وترحيبا ولقد تأدب
الناس بادب الله في هذا احسن تأدب فقد روي عن سفيان الثوري
رحمه الله ان الفقراء كانوا في مجلسه امراء ، وما يدريك واي شيء يجعلك
داريا بحال هذا الاعمى لعله يزكى اي يتطهر بما يتلقن من الشرع
من بعض اوضار الاثم او يذكر او يتعظ فتنفعه ذكراك اي مو
عظتك وتكون له لطفا في بعض الطاعات والمعنى انك لا تدري ما هو

يتزكى منه من التزكي او يتذكر ولعله ترجي لما نزل ذلك منك وقيل الضمير
في لعله للكافر يعني انك طمعت في ان يتزكى بالاسلام او يذكر فتقربه الذكرى
الى قبول الحق وما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرئ فتنفعه
بالرفع عطفا على يذكر وبالنصب جوابا للعل كقوله فاطلع
الى اله موسى اما من استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى
واما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى كلا انها تذكرة
فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام
بررة قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره
فانت له تصدى تتعرض بالاقبال عليه والمصاداة المعارضة وقرئ تصدى با
لتشديد بادغام التاء في الصاد وقرأ ابو جعفر تصدى بضم التاء
اي تعرض ومعناه يدعوك داع الى التصدي له من الحرص والتهالك على
اسلامه وليس عليك بأس في ان لا يتزكى بالاسلام ان عليك الا البلاغ
(اي باس العذاب)
يسعى يسرع طلبا للخير وهو يخشى الله او يخشى الكفار واذاهم
في اتيانك وقيل جاء وليس معه قائد فهو يخشى الكبوة فانت عنه تلهى تتشا
غل يقال لهى عنه والتهى وتلهى وقرأ طلحة بن مصرف تتلهى وقرأ
ابو جعفر تلهى اي يلهيك شأن الصناديد فان قلت قوله فانت له
تصدى فانت عنه تلهى كان فيه اختصاصا قلت نعم ومعناه انكار

على البناء للمفعول من التلهية

التصدي



التصدي والتلهي عليه اي مثلك خصوصا لا ينبغي ان يتصدى للغني ويتلهى
عن الفقير كلا ردع عن المعاتب عليه وعن معاودة مثله انها تذكرة اي
موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها فمن شاء ذكره اي كان حافظا له
غير ناس وذكر الضمير لان التذكرة في معنى الذكر والوعظ في صحف مثبتة
للتذكرة يعني انها مثبتة في صحف منتسخة من اللوح مكرمة عند الله مرفوعة
في السماء او مرفوعة المقدار مطهرة منزهة عن ايدي الشياطين لا
يمسها الا ايدي ملائكة مطهرين سفرة كتبة ينتسخون الكتب من اللوح
بررة اتقياء وقيل هي صحف الانبياء كقوله ان هذا لفي الصحف
الاولى وقيل السفرة القراء وقيل اصحاب رسول الله ص قتل الانسان
دعاء عليه وهي من اشنع دعواتهم لان القتل قصارى شدائد الدنيا
وفظائعها وما اكفره تعجب من افراطه في كفران نعمة الله ولا ترى اسلوبا
اغلظ منه ولا اخشن مسا ولا ادل على سخط ولا ابعد شوطا في المذمة مع
تقارب طرفيه ولا اجمع للائمة على قصر متنه ثم اخذ في وصف حاله من ابتداء
(اللائمة بمعنى اللوم)
حدوثه الى ان انتهى وما هو مغمور فيه من اصول النعم وفروعها وما
هو غارق فيه راسه من الكفر والغمط وقلة الالتفات الى ما يتقلب فيه و
الى ما يجب عليه من القيام بالشكر من اي شيء خلقه من اي شيء حقير مهين
خلقه ثم بين ذلك الشيء بقوله من نطفة خلقه فقدره فهيأه لما يصلح له

اشار الى ان فيه حذف الفاعل او المفعول

الغمط تحقير النعمة

ويختص به دونه وخلق كل شيء فقدره تقديرا. ثم السبيل يسره ثم
أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره كلا لما يقض ما أمره فلينظر الإنسان
إلى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا. نصب السبيل با
ضمار يسر وفسره بيسره والمعنى ثم سهل سبيله وهو مخرجه من بطن
أمه أو السبيل الذي يختار سلوكه من طريقي الخير والشر بإقداره
وتمكينه كقوله إنا هديناه السبيل وعن ابن عباس رضي الله عنهما بين له
سبيل الخير والشر فأقبره فجعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يجعله
مطروحا على وجه الأرض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال
قبر الميت إذا دفنه وأقبره الميت إذا أمره أن يقبره ومكنه منه ومنه
قول من قال للحجاج أقبرنا صالحا أنشره أنشأه النشأة الأخرى وقرئ
نشره كلا ردع للإنسان عما هو عليه لما يقض لم يقض بعد مع تطاول
الزمان وامتداده من لدن آدم إلى هذه الغاية ما أمره الله حتى يخرج
عن جميع أوامره يعني أن إنسانا لم يخل من تقصير قط ولما عدد النعم في نفسه
أتبعه ذكر النعم فيما يحتاج إليه فقال فلينظر الإنسان إلى طعامه الذي يعيش به كيف
دبرنا أمره أنا صببنا الماء يعني الغيث قرئ بالكسر على الاستئناف وبالفتح
على البدل من الطعام وقرأ الحسين بن علي رضي الله عنهما أنى صببنا بالإ
مالة على معنى فلينظر الإنسان كيف صببنا الماء ثم شققنا الأرض بالنبات

ويجوز

جمع السباع ... الذي يأكله السباع



ويجوز أن يكون من شقها بالكراب على البقر وأسنده إلى نفسه إسناد
الفعل إلى السبب فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق
غلبا وفاكهة وأبا متاعا لكم ولأنعامكم الحب كل ما حصد من نحو
الحنطة والشعير وغيرهما والقضب الرطبة والمقضاب أرضه سميت بمصدر
قضبه إذا قطعه لأنه يقضب مرة بعد مرة وحدائق غلبا يحتمل أن يجعل
كل حديقة غلباء فيريد تكاثفها وكثرة أشجارها وعظمها كما تقول حديقة
ضخمة وأن يجعل شجرها غلبا أي عظاما غلاظا والأصل في الوصف بالغلب
الرقاب فاستعير قال عمرو بن معدي كرب يمشي بها غلب الرقاب
كأنهم بزل كسين من الكحيل جلالا والأب المرعى لأنه يؤب أي يؤم
وينتجع والأب والأم أخوان قال جذمنا قيس ونجد دارنا ولنا
الأب به والمكرع وعن أبي بكر رضي الله عنه أنه سئل عن الأب فقال أي سماء
تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به وعن عمر رضي الله عنه
أنه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الأب ثم رفض عصا كانت
بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدري ما الأب ثم
(وما عليك بأس في أن لا تدري)
قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه فإن قلت فهذا
يشبه النهي عن تتبع معاني القرآن والبحث عن مشكلاته قلت
لم يذهب إلى ذلك ولكن القوم كانت أكبر همتهم عاكفة على العمل

والغلب جمع الغلباء حديقة غلباء ملتفة

جذمنا أي أصلنا والأب المنتجع

النجعة بالضم طلب الكلأ في موضعه يقال منه انتجع

ابن عمر

[illegible]

وكان التشاغل بشيء من العلم لا يعمل به تكلفا عندهم فأراد أن الآية مسوقة
في الامتنان على الإنسان بمطاعمه والاستدعاء شكره وقد علم من فحوى الآية
أن الأب بعض ما أنبته الله للإنسان متاعا له أو لأنعامه فعليك بما هو أهم
من النهوض بالشكر لله على ما تبين لك ولم يشكل مما عدده من نعمه ولا تتشاغل
عنه بطلب معنى الأب ومعرفة النبات الخاص الذي هو اسم له واكتف
بالمعرفة الجملية إلى أن يتبين لك في غير هذا الوقت ثم وصى الناس بأن
يجروا على هذا السنن فيما أشبه ذلك من مشكلات القرآن ﴿فإذا جاءت
الصاخة يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل
امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة
ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة﴾
يقال صخ لحديثه مثل أصاخ له فوصفت النفخة بالصاخة مجازا لأن الناس
يصخون لها يفر منهم لاشتغاله بما هو مدفوع إليه ولعلمه أنهم لا
يغنون عنه شيئا وبدأ بالأخ ثم بالأبوين لأنهما أقرب منه ثم بالصا
حبة والبنين لأنهم أقرب وأحب كأنه قيل يفر من أخيه بل من أبويه بل من
صاحبته وبنيه وقيل يفر منهم حذرا من مطالبتهم بالتبعات يقول الأخ
ما واسيتني بمالك والأبوان قصرت في برنا والصاحبة أطعمتني الحرام
وفعلت وصنعت والبنون ما علمتنا وما أرشدتنا وقيل أول من يفر

من أخيه



من أخيه هابيل ومن أبويه إبراهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح يغنيه
يكفيه في الاهتمام به وقرئ يعنيه أي يهمه مسفرة مضيئة متهللة من أسفر
الصبح إذا أضاء وعن ابن عباس من قيام الليل لما روي في الحديث من كثر صلو
ته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من
طول ما اغبرت في سبيل الله غبرة غبار تعلوها قترة سواد كالدخان ولا
ترى أوحش من اجتماع الغبرة كما جمعوا الفجور إلى الكفر عن رسول الله
ﷺ من قرأ سورة عبس وتولى جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت وإذا العشار
عطلت وإذا الوحوش حشرت﴾ في التكوير وجهان أن يكون من كورت
العمامة إذا لففتها أي يلف ضوؤها لفا فيذهب انبساطه وانتشاره
في الآفاق وهو عبارة عن إزالتها والذهاب بها لأنها ما دامت باقية
كان ضياؤها منبسطا غير ملفوف أو يكون لفها عبارة عن رفعها وسترها
لأن الثوب إذا أريد رفعه لف ولوي ونحوه قوله يوم نطوي السماء
أو أن يكون من طعنه فجوره وكوره إذا ألقاه أي تلقى وتطرح عن فلكها
كما وصفت النجوم بالانكدار فإن قلت ارتفاع الشمس على الابتداء
أو على الفاعلية قلت بل على الفاعلية رافعها فعل مضمر يفسره كورت

لأن إذا تطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط انكدرت انقضت قال أبصر
خربان فضاء فانكدر ويروى في الشمس والنجوم أنها تطرح في جهنم
ليراها من عبدها كما قال إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم سيرت
أي عن وجه الأرض وأبعدت أو سيرت في الجو تسير السحاب كقوله
وهي تمر مر السحاب والعشار جمع عشراء كالنفاس جمع نفساء
وهي التي أتى على حملها عشرة أشهر ثم هو اسمها إلى أن تضع لتمام السنة
وهي أنفس ما يكون عند أهلها وأعزها عليهم عطلت تركت سائبة
مهملة وقيل عطلها أهلها عن الحلب والصر لاشتغالهم بأنفسهم و
قرئ عطلت بالتخفيف حشرت جمعت من كل ناحية قال قتادة يحشر
كل شيء حتى الذباب للقصاص وقيل إذا قضي بينها ردت ترابا فلا يبقى
منها إلا ما فيه سرور لبني آدم وإعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وعن
ابن عباس حشرها موتها يقال إذا أجحفت السنة بالناس وأموالهم
حشرتهم السنة وقرئ حشرت بالتشديد وإذا البحار سجرت
وإذا النفوس زوجت وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت ثلث
سجرت قرئ بالتخفيف والتشديد من سجر التنور إذا ملأه با
لحطب أي ملئت وفجر بعضها إلى بعض حتى تعود بحرا واحدا وقيل
ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب أهل النار وعن الحسن يذهب

ماؤها



ماؤها فلا يبقى فيها قطرة زوجت قرنت كل نفس بشكلها وقيل قرنت الأرواح
بالأجساد وقيل بكتبها وأعمالها وعن الحسن هو كقوله وكنتم أزواجا
ثلاثة وقيل نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين والموءودة
بنت تدفن حية وأد يئد إذا أثقل قال الله ولا يؤوده حفظهما لأنه إثقال
بالتراب كان الرجل إذا ولدت له بنت فأراد أن يستحييها ألبسها جبة
من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم في البادية وإن أراد قتلها تركها
حتى إذا كانت سداسية فيقول لأمها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها
وقد حفر لها بئرا في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظري فيها ثم
يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوي البئر بالأرض وقيل
كانت الحامل إذا أقربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة
فإذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة وإن ولدت ابنا حبسته فإن قلت
ما حملهم على وأد البنات قلت الخوف من لحوق العار بهم من أجلهن أو
الخوف من الإملاق قال الله ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق و
كانوا يقولون إن الملائكة بنات الله فألحقوا البنات به فهو أحق بهن
وصعصعة بن ناجية ممن منع الوأد فبه افتخر الفرزدق في قوله
ومنا الذي منع الوائدات فأحيا الوئيد فلم توأد فإن قلت فما معنى سؤال
الموءودة عن ذنبها الذي قتلت به وهلا سئل الوائد عن موجب قتله لها

قلت

أقربت المرأة إذا قرب ولادها

الإملاق الافتقار

الوئيد فعيل بمعنى مفعول أي الموءودة

سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت في قوله تعالى لعيسى
ءأنت قلت للناس الى قوله سبحانك ما يكون لي ان أقول ما ليس لي بحق و
قرئ سألت أي خاصمت عن نفسها وسألت الله أو قاتلها وإنما قيل
قتلت بناء على أن الكلام إخبار عنها ولو حكى ما خوطبت به حين سئلت
لقيل قتلت أو كلامها حين سألت لقيل قتلتُ وقرأ ابن عباس قُتّلتُ
على الحكاية وقرئ قتلت بالتشديد وفيه دليل بيّن على أن أطفال
المشركين لا يعذبون وعلى أن التعذيب لا يستحق إلا بالذنب وإذا
بكّت الله الكافر ببراءة الموءودة من الذنب فما أقبح به وهو الذي
لا يظلم مثقال ذرة أن يكرّ عليها بعد هذا التبكيت فيفعل بها ما تنسى
عنده فعل المبكَّت من العذاب الشديد وعن ابن عباس رضي الله عنه
أنه سئل عن ذلك فاحتج بهذه الآية. وإذا الصحف نشرت وإذا
السماء كشطت وإذا الجحيم سعرت وإذا الجنة أزلفت علمت
نفس ما أحضرت. نشرت قرئ بالتخفيف والتشديد يريد صحف
الأعمال تطوى صحيفة الإنسان عند موته ثم تنشر إذا حوسب وعن
قتادة صحيفتك يا ابن آدم تطوى على عملك ثم تنشر يوم القيمة فلينظر
رجل ما يملي في صحيفته وعن عمر رضي الله عنه أنه كان إذا قرأها قال إليك يسا
الأمر يا ابن آدم وعن النبي عم أنه قال يحشر الناس عراة حفاة فقالت

أمّ



أم سلمة كيف بالنساء فقال شغل الناس يا أم سلمة قالت وما شغلهم
قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل ويجوز أن يراد نشرت
بين أصحابها أي فرقت بينهم وعن مرثد بن وداعة إذا كان يوم القيمة
تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية
وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم أي مكتوب فيها ذلك وهي صحف
غير صحف الأعمال كشطت كشفت وأزيلت كما يكشط الإهاب عن
الذبيحة والغطاء عن الشيء وقرأ ابن مسعود قشطت واعتقاب
الكاف والقاف كثير يقال لبكت الثريد ولبقته والكافور والقافور
سعرت أوقدت إيقادا شديدا وقرئ سعّرت بالتشديد للمبالغة قيل
سعرها غضب الله وخطايا بني آدم أزلفت أدنيت من المتقين
كقوله وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة
ست منها في الدنيا وست في الآخرة وعلمت هو عامل النصب في إذا الشمس
كورت وفيما عطف عليه فإن قلت كل نفس تعلم ما أحضرت كقوله يوم
تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا لا نفس واحدة فما معنى قوله علمت
نفس قلت هو من عكس كلامهم الذي يقصدون به الإفراط فيما يعكس
عنه ومنه قوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ومعناه
معنى كم وأبلغ منه قول القائل قد أترك القرن مصفرا أنامله

وتقول لبعض نقوا دالعساكر عند كسب النوبات فيقلدون ربنا فارعنه
او الا نعد من غنيمة فانا شاو عنه عن الغائب ونفسيه بزنكا الحادس في
تلك بزمانه ولكنه اذا اراد الملائكة انهما التكثير وانه يتمد بقلل كثيرا
عنه فقد اثار بها وبلفظ التقليل ففهم منه معنى التكثير على الفصيح
والتبيين وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قرأها فرآها عنده فلما بلغ علمت
نفس ما احضرت قال وانقطاع ظهرياه فلا اقسم بالخنس الجوار
الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس انه لقول رسول كريم
ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وما صاحبكم بمجنون الخنس
الرواجع بينا ترى النجم كان اخر البرج اذ كر راجعا الى اوله والجوار
السيارة والكنس الغيب من كنس الوحشي اذا دخل كناسه وقيل هي
الدراري الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري تجري
مع الشمس والقمر مترجع حتى تختفي تحت ضوء الشمس فخنوسها
رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل هي جميع
الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل اي تطلع
في اماكنها كالوحش في كنسها عسعس الليل وسعسع اذا ادبر و
قال العجاج حتى اذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا
وقيل عسعس اذا اقبل ظلامه فان قلت ما معنى تنفس الصبح قلت





اذا اقبل الصبح اقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا على المجاز وقيل
تنفس الصبح انه الضمير للقرآن رسول كريم هو جبريل ذي قوة كقوله
شديد القوى ذو مرة لما كانت حال المكانة على حسب حال الممكن قال
عند ذي العرش ليدل على عظم منزلته ومكانته ثم اشار الى الطاعة المذكور
اعني عند ذي العرش على انه عند الله مطاع في ملائكته المقربين يصدرون
عن امره ويرجعون الى رايه وثم تعظيما للامانة وبيانا لانها افضل
صفاته المعدودة وما صاحبكم يعني محمدا بمجنون كما تبهته الكفرة
وناهيك بهذا دليلا على جلالة مكان جبريل وفضله على الملائكة ومباينة
منزلته لمنزلة افضل الانس محمد صلى الله عليه وسلم اذا وازنت بين الذكرين
حين قرن بينهما وقايست بين قوله انه لقول رسول كريم ذي
قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وما صاحبكم بمجنون ولقد راه
بالافق المبين وما هو على الغيب بظنين وما هو بقول شيطان رجيم
فاين تذهبون ولقد راه ولقد راى رسول الله جبريل بالافق
المبين بمطلع الشمس الاعلى وما هو وما محمد على ما يخبر به من الغيب
من رؤية جبريل والوحي اليه وغير ذلك بظنين بمتهم من الظنة وهي
التهمة وقرئ بضنين من الضن وهو البخل اي لا يبخل بالوحي فيزوي
بعضه غير مبلغه او يسأل تعليمه فلا يعلمه وفي مصحف عبد الله

بالظاء وفي مصحف أبي بالضاد وكان رسول الله عم يقرأ بهما وإتقان الفصل
بين الظاء والضاد واجب ومعرفة مخرجيهما مما لا بد منه للقارئ فإن أكثر العجم
لا يفرقون بين الحرفين وإن فرقوا ففرقا غير صواب وبينهما بون بعيد فإن مخرج
الضاد من أصل حافة اللسان وما يليها من الأضراس من يمين اللسان أو يساره وكان
عمر بن الخطاب أضبط يعمل بكلتا يديه وكان يخرج الضاد من جانبي لسانه و
هي أحد الأحرف الشجرية أخت الجيم والشين وأما الظاء فمخرجها من طرف
اللسان وأصول الثنايا العلى وهي أحد الأحرف الذولقية أخت الذال
والثاء ولو استوى الحرفان لما ثبتت في هذه الكلمة قراءتان اثنتان واختلاف
بين جبلين من جبال العلم والقراءة ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتر
كيب فإن قلت فإن وضع المصلي أحد الحرفين مكان صاحبه قلت هو كواضع الذال مكان
الجيم والثاء مكان الشين لأن التفاوت بين الضاد والظاء كالتفاوت بين أخواتهما
وما هو وما القرآن بقول شيطان رجيم أي بقول بعض المسترقة للسمع
وبوحيهم إلى أوليائهم من الكهنة فأين تذهبون استضلال لهم كما يقال لتارك
الجادة اعتسافا أو ذهابا في بنيات الطريق أين تذهب مثلت حالهم بحاله
في تركهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل إن هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء
منكم أن يستقيم وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين لمن شاء منكم
بدل من العالمين وإنما أبدلوا منهم لأن الذين شاؤوا الاستقامة بالدخول

في الإسلام

في الإسلام هم المنتفعون بالذكر فكأنه لم يوعظ به غيرهم وإن كانوا موعوظين
جميعا وما تشاؤون الاستقامة يا من يشاؤها إلا بتوفيق الله ولطفه أو وما تشاؤونها
أنتم يا من لا يشاؤها إلا بقسر الله وإلجائه عن رسول الله عم من قرأ سورة
إذا الشمس كورت أعاذه الله أن يفضحه حين تنشر صحيفته

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا السماء انفطرت وإذا الكواكب انتثرت وإذا البحار فجرت وإذا القبور
بعثرت علمت نفس ما قدمت وأخرت يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم
الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك انفطرت انشقت
فجرت فتح بعضها إلى بعض فاختلط العذب بالملح وزال البرزخ الذي بينهما
وصارت البحار بحرا واحدا وروي أن الأرض تنشف الماء بعد امتلاء البحار
فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند مجاهد وقرئ فجرت بالتخفيف و
قرأ مجاهد فجرت على البناء للفاعل والتخفيف بمعنى بغت لزوال البرزخ
نظرا إلى قوله لا يبغيان لأن البغي والفجور أخوان بعثر وبحثر بمعنى
وهما مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة إليهما والمعنى بحثت وأخرج
موتاها وقيل لبراءة المبعثرة لأنها بعثرت أسرار المنافقين فإن قلت ما
معنى قوله ما غرك بربك الكريم وكيف طابق الوصف بالكريم إنكار الاغترار
به وإنما يغتر بالكريم كما يروى عن علي رضي الله عنه أنه صاح بغلام له كرات فلم

يلبه فنظر فاذا هو بالباب فقال له ما لك لم تجبني فقال لثقتي بحلمك وامني من عقوبتك
فاستحسن جوابه واعتقه وقالوا من كرم الرجل سوء ادب غلمانه قلت معناه
ان حق الانسان ان لا يغتر بتكرم الله عليه حيث خلقه حيا لينفعه وبتفضله
عليه بذلك حتى يطمع بعد ما مكنه وكلفه فعصى وكفر النعمة المتفضل بها ان
يتفضل عليه بالثواب وطرح العقاب اغترارا بالتفضل الاول فانه منكر خارج
من حد الحكمة ولهذا قال رسول الله ع م لما تلاها غره جهله وقال عمر رض
غره حمقه وجهله وقال الحسن غره والله شيطانه الخبيث اي زين له المعاصي
وقال له افعل ما شئت فربك الكريم الذي تفضل عليك بما تفضل به اولا وهو متفضل
عليك آخرا حتى ورطه وقيل للفضيل بن عياض ان اقامك الله يوم القيامة وقال لك
ما غرك بربك الكريم ماذا تقول قال اقول غرتني ستورك المرخاة وهذا على
سبيل الاعتراف بالخطأ في الاغترار بالستر وليس باعتذار كما يظنه الطماع
ويظن به قصاص الحشوية ويروون عن ائمتهم انما قال بربك الكريم دون
سائر صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرني كرم الكريم وقرأ
سعيد بن جبير ما اغرك اما على التعجب واما على الاستفهام من قولك
غر الرجل فهو غار اذا غفل من قولك بيتهم العدو وهم غارون واغره
غيره جعله غارا فسواك فجعلك سويا سالم الاعضاء فعدلك فصيرك
معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل احدى اليدين اطول

ولا



ولا احدى العينين اوسع ولا بعض الاعضاء ابيض وبعضها اسود
ولا بعض الشعر فاحما وبعضه اشقر او جعلك معتدل الخلق تمشي قائما
لا كالبهائم وقرئ فعدلك بالتخفيف وفيه وجهان احدهما ان يكون بمعنى المشدد
اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت والثاني فعدلك فصرفك يقال
عدله عن الطريق يعني فعدلك عن خلقة غيرك وخلقك خلقة حسنة مفارقة
لسائر الخلق او فعدلك الى بعض الاشكال والهيئات ما في ما شاء مزيدة اي
ركبك في اي صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة في الحسن والقبح
والطول والقصر والانوثة والذكورة والشبه ببعض الاقارب وخلاف
الشبه فان قلت هلا عطفت هذه الجملة كما عطف ما قبلها قلت لانها بيان لعدلك
فان قلت بم يتعلق الجار قلت يجوز ان يتعلق بركبك على معنى وضعك في
بعض الصور ومكنك فيه وبمحذوف اي ركبك حاصلا في بعض الصور ومحله النصب
على الحال ان علق بمحذوف ويجوز ان يتعلق بعدلك ويكون في اي معنى التعجب اي
فعدلك في صورة عجيبة ثم قال ما شاء ركبك اي ركبك ما شاء من التراكيب يعني
تركيبا حسنا كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين
يعلمون ما تفعلون ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم يصلونها يوم
الدين وما هم عنها بغائبين كلا ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله والتسلق
به وهو موجب الشكر والطاعة الى عكسه الذي هو الكفر والمعصية ثم

قال بل تكذبون بالدين أصلاً وهو الجزاء أو دين الإسلام فلا تصدقون ثوابا و
لا عقابا وهو ترقٍّ من الطمع المذكور وإن عليكم لحافظين تحقيق لما يكذبون به من الجزاء
يعني أنكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم أعمالكم لتجازوا بها وفي تعظيم الكتبة
بالثناء عليهم تعظيم لأمر الجزاء وأنه عند الله من جلائل الأمور ولولا ذلك لما
وكل بضبط ما يحاسب عليه ويجازى به الملائكة الكرام الحفظة الكتبة وفيه إنذار
وتهويل وتشوير للعصاة ولطف للمؤمنين وعن الفضيل أنه كان إذا قرأها قال
ما أشدها من آية على الغافلين وما هم عنها بغائبين كقوله وما هم بخارجين
منها وقيل معناه وما يغيبون عنها قبل ذلك يعني في
قبورهم وقيل أخبر الله في هذه السورة أن لابن آدم ثلث حالات حال الحياة
التي يحفظ فيها عمله وحال الآخرة التي يجازى فيها وحال البرزخ وهو قوله وما هم
عنها بغائبين وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم
لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله يعني أن أمر يوم الدين
بحيث لا تدركه دراية دار كنهه في الهول والشدة وكيفما تصورته فهو
فوق ذلك وعلى أضعافه والتكرير لزيادة التهويل ثم أجمل القول في وصفه فقال
يوم لا تملك نفس لنفس شيئا أي لا تستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه
والأمر إلا لله وحده من رفع فعلى البدل من يوم الدين أو على هو يوم لا تملك
ومن نصب فبإضمار يدان أو لأن الدين يدل عليه أو بإضمار اذكر فيكون مفعولا به



لا بما فعله أغنى يتمكن وهو في محل الرفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ إذا السماء
انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

## سورة المطففين مكية وآيها ست وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم
أو وزنوهم يخسرون التطفيف البخس في الكيل والوزن لأن ما يبخس شيء
طفيف حقير روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكانوا من أخبث الناس
كيلا فنزلت فأحسنوا الكيل وقيل قدمها وبها رجل يعرف بأبي جهينة
ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر وقيل كان أهل المدينة تجارا
يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس قيل يا رسول الله وما خمس بخمس
قال ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل
الله إلا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ولا
طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا
حبس عنهم القطر وعن علي رضي الله عنه أنه مر برجل يزن الزعفران وقد
أرجح فقال له أقم الوزن بالقسط ثم أرجح بعد ذلك ما شئت كأنه أمره بالتسوية
أولا ليعتادها ويفصل الواجب من النفل وعن ابن عباس إنكم معشر الأعاجم

وليتم أمرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الأعاجم لأنهم يجمعون
الكيل والوزن جميعا وكانا متفرقين في الحرمين كان أهل مكة يزنون وأهل المدينة يكيلون
وعن ابن عمر أنه كان يمر بالبائع فيقول اتق الله وأوف الكيل فإن المطففين يوقفون
يوم القيامة لعظمة الرحمن حتى إن العرق ليلجمهم وعن عكرمة أشهد أن
كل كيال ووزان في النار فقيل له إن ابنك كيال أو وزان فقال أشهد أنه في النار
وعن أبي رضي الله عنه لا تلتمس الحوائج ممن رزقه في رؤوس المكاييل وألسن
الموازين لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم أبدل
على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز أن يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول
على الفعل لإفادة الخصوصية أي يستوفون على الناس خاصة فأما أنفسهم
فيستوفون لها وقال الفراء من وعلى يعتقبان في هذا الموضع لأنه حق
عليه فإذا قال اكتلت عليك فكأنه قال أخذت ما عليك وإذا قال اكتلت منك فكقوله
استوفيت منك والضمير في كالوهم أو وزنوهم ضمير منصوب راجع إلى الناس
وفيه وجهان أن يراد كالوا لهم أو وزنوا لهم فحذف الجار وأوصل الفعل كما
قال ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا ولقد نهيتك عن بنات الأوبر والحريص
يصيدك لا الجواد بمعنى جنيت لك ويصيد لك وأن يكون على حذف المضاف وإقامة
المضاف إليه مقامه والمضاف هو المكيل أو الموزون ولا يصح أن يكون ضميرا مرفوعا
للمطففين لأن الكلام يخرج به إلى نظم فاسد وذلك أن المعنى إذا أخذوا من الناس

استوفوا

استوفوا وإذا أعطوهم أخسروا وإن جعلت الضمير للمطففين انقلب
إلى قولك إذا أخذوا من الناس استوفوا وإذا تولوا الكيل أو الوزن هم على
الخصوص أخسروا وهو كلام متنافر لأن الحديث واقع في الفعل لا في المباشر و
التعلق في إبطاله بخط المصحف وأن الألف التي تكتب بعد واو الجمع غير
ثابتة فيه ركيك لأن خط المصحف لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم
الخط على أني رأيت في الكتب المخطوطة بأيدي الأئمة المتقنين هذه الألف
مرفوضة لكونها غير ثابتة في اللفظ والمعنى جميعا لأن الواو وحدها
معطية معنى الجمع وإنما كتبت هذه الألف تفرقة بين واو الجمع و
غيرها في نحو قولك هم لم يدعوا وهو يدعو فمن لم يثبتها قال المعنى كاف في
التفرقة بينهما وعن عيسى بن عمر وحمزة أنهما كانا يرتكبان ذلك أي يجعلان الضميرين
للمطففين ويقفان عند الواوين وقيفة يبينان بها ما أرادا فإن
قلت هلا قيل أو اتزنوا كما قيل أو وزنوهم قلت كأن المطففين كانوا لا يأ
خذون ما يكال ويوزن إلا بالمكاييل دون الموازين لتمكنهم بالاكتيال من
الاستيفاء والسرقة لأنهم يدعدعون ويحتالون في الملء وإذا أعطوا كا
لوا أو وزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعا يخسرون ينقصون
يقال خسر الميزان وأخسره ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم
عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين كلا إن كتاب الفجار لفي سجين

الدعدعة تحريك المكيال ليسع الشيء ويدفع الشيء ملأ ليه

وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون
بيوم الدين وما يكذب به إلا كل معتد أثيم إذا تتلى عليه آياتنا قال أسا
طير الأولين كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا إنهم عن ربهم يو
مئذ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون
ألا يظن أولئك وتعجيب عظيم من حالهم في الاجتراء على التطفيف كأنهم
لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا أنهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار
الذرة والخردلة وعن قتادة أوف يا ابن آدم كما تحب أن يوفى لك
واعدل كما تحب أن يعدل لك وعن الفضيل بخس الميزان سواد الوجه
يوم القيامة وعن عبد الملك بن مروان أن أعرابيا قال له لقد سمعت ما قال
الله في المطففين أراد بذلك أن المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذي
سمعت به فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن
وفي هذا الإنكار والتعجيب وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس
فيه لله خاضعين ووصفه ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفا
قم الإثم في التطفيف وفيما كان في مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل
على التسوية والعدل في كل أخذ وإعطاء بل في كل قول وعمل وقيل الظن
بمعنى اليقين والوجه ما ذكر ونصب يوم بمبعوثون وقرئ بالجر
بدلا من يوم عظيم وعن ابن عمر أنه قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله



يوم يقوم الناس لرب العالمين بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعده
كلا ردع لهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن ذكر البعث والحساب
ونبههم على أنه مما يجب أن يتاب عنه ويندم عليه ثم أتبعه وعيد الفجار
على العموم وكتاب الفجار ما يكتب من أعمالهم فإن قلت قد أخبر الله عن
كتاب الفجار بأنه في سجين وفسر سجينا بكتاب مرقوم فكأنه قيل إن
كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه قلت سجين كتاب جامع هو ديوان
الشر دون الله فيه أعمال الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الجن
والإنس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة أو معلم يعلم من
رآه أنه لا خير فيه فالمعنى أن ما كتب من أعمال الفجار مثبت في ذلك
الديوان وسمي سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق
لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم أو لأنه مطروح كما روي تحت
الأرض السابعة في مكان وحش مظلم وهو مسكن إبليس وذريته
استهانة به وإذالة ويشهده الشياطين المدحورون كما يشهد ديوان
الخير الملائكة المقربون فإن قلت فما سجين أصفة هو أم اسم قلت
بل هو اسم علم منقول من وصف كحاتم وهو منصرف لأنه ليس فيه إلا سبب
واحد وهو التعريف الذين يكذبون مما وصف به للذم لا للبيان
كقولك فعل ذلك فلان الفاسق الخبيث كلا ردع للمعتدي الأثيم عن

قوله ران على قلوبهم ركبها كما يركب الصدأ وغلب عليها وهو أن يصر
على الكبائر ويسوف التوبة حتى يطبع على قلبه فلا يقبل الخير ولا يميل
اليه وعن الحسن الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب يقال ران عليه
الذنب وغان عليه رينا وغينا والغين الغيم ويقال ران به النوم رسخ
فيه وران به الخمر ذهبت به وقرئ بادغام اللام في الراء وبالاظهار
والادغام أجود واميلت الالف وفخمت كلا ردع عن الكسب الرائن
على قلوبهم وكونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم واهانتهم لانه لا يؤذن
على الملوك الا للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا الادنياء المهانون
عندهم قال، إذا اعتروا باب ذي عبية رجبوا والناس من بين مرجوب
ومحجوب، وعن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وابن ابي مليكة محجوبون عن
رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته، كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادراك
ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون ان الابرار لفي نعيم على الارائك
ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه
مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا
يشرب بها المقربون، كلا ردع عن التكذيب وكتاب الابرار ما كتب
من اعمالهم وعليون علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملا
ئكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع علي لانه مرفوع في السماء السا

حيث

حيث يشهد المقربون تلك الكتابة تعظيما له وتعظيما وروي ان الملائكة لتصعد
لتصعد بعمل العبد فيستقلونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله من سلطانه
اوحى اليهم انكم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على ما في قلبه وانه
أخلص عمله فاجعلوه في عليين فقد غفرت له وانها لتصعد بعمل العبد
فيزكونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله اوحى اليهم انتم الحفظة على
عبدي وانا الرقيب على قلبه وانه لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين
الارائك الارائك في الحجال ينظرون الى ما شاؤا وامتد اعينهم اليه من
مناظر الجنة والى ما اولاهم الله من النعمة والكرامة والى اعدائهم
يعذبون في النار وما تحجب الحجال ابصارهم عن الادراك نضرة النعيم
بهجة التنعم وماؤه ورونقه كما ترى في وجوه الاغنياء واهل الترفه
وقرئ تعرف على البناء للمفعول ونضرة النعيم بالرفع الرحيق الشراب
الخالص الذي لا غش فيه مختوم تختم اوانيه من الاكواب والاباريق
بمسك مكان الطينة وقيل ختامه مسك مقطعه رائحة مسك اذا شرب و
قيل يمزج بالكافور ويختم مزاجه بالمسك وقرئ خاتمه بفتح التاء و
كسرها اي ما يختم به ويقطع فليتنافس المتنافسون فليرتغب المرتغبون
تسنيم علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه
اذا رفعه اما لانها ارفع شراب في الجنة واما لانها تأتيهم من فوق

الحجلة بالتحريك واحدة
حجال العروس وهي بيت
يزين بالثياب والاسرة
والستور

على ما روي انما تجري في الهواء متسنمة فتنصب في اوانيهم وعينا نصب
على المدح وقال الزجاج نصب على الحال وقيل من للمقربين يشربونها
صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة ﴿ان الذين اجرموا كانوا من الذين
آمنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى اهلهم
انقلبوا فكهين واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا
عليهم حافظين﴾ ان الذين اجرموا هم مشركو مكة ابو جهل والوليد
والمغيرة والعاص بن وائل واشياعهم كانوا يضحكون من عمار و
صهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين ويستهزئون بهم
وقيل جاء علي رضي الله عنه في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون و
ضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا الى اصحابهم فقالوا رأينا اليوم الاصلع
فضحكوا منه فنزلت قبل ان يصل علي رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتغامزون يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم فكهين متلذذين
بذكرهم والسخرية منهم ا ينسبون المسلمين الى الضلال وما ا
ارسلوا على المسلمين حافظين موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم
ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا
تهكم بهم او هو من جملة اقوال الكفار وانهم اذا رأوا المسلمين
قالوا ان هؤلاء لضالون وانهم لم يرسلوا عليهم حافظين انكارا لصدهم
اياهم

اياهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وجدهم في ذلك ﴿فاليوم
الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون هل ثوب الكفار
ما كانوا يفعلون﴾ على الارائك ينظرون حال من يضحكون اي يضحكون
منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة و
الكبر ومن الوان العذاب بعد النعيم والترفه وهم على الارائك آمنون
وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها
اغلق دونهم يفعل بهم ذلك مرارا فيضحك المؤمنون منهم ثوبه
واثابه بمعنى اذا جازاه قال اوس سأجزيك او يجزيك عني مثوب
وحسبك ان يثنى عليك وتحمدي وقرئ بادغام اللام في الثاء عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم
يوم القيامة

## سورة الانشقاق مكية وآيها عشرون وثلث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اذا السماء انشقت واذنت لربها وحقت واذا الارض مدت
والقت ما فيها وتخلت واذنت لربها وحقت﴾ حذف جواب اذا
ليذهب المقدر كل مذهب او اكتفاء بما علم في مثلها من سورتي
التكوير والانفطار وقيل جوابها ما دل عليه فملاقيه اي اذا السماء
انشقت لاقى الانسان كدحه ومعناه اذا انشقت بالغمام و

علي رضي الله عنه تنشق من المجرة اذن له استمع له ومنه قوله عليه السلام ما
اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن وقول جحاف بن حكيم اذنت
لكم لما سمعت هديركم والمعنى انها فعلت في انقيادها لله حين اراد
انشقاقها فعل المطواع الذي اذا ورد عليه الامر من جهة المطاع انصت
له واذعن ولم يأب ولم يمتنع كقوله اتينا طائعين وحقت من قولك
هو محقوق بكذا او حقيق به يعني وهي حقيقة بان تنقاد ولا تمتنع ومعناه
الايذان بان القادر الذات يجب ان يتأتى له كل مقدور ويحق ذلك مدت
من مد الشيء فامتد وهو ان تزال جبالها وآكامها وكل امت فيها حتى تمتد
وتنبسط ويستوي ظهرها كما قال الله قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا و
~~[illegible]~~ عن ابن عباس مدت مد الاديم العكاظي لان
الاديم اذا مد زال كل انثناء فيه وامت واستوى او من مده بمعنى امده
اي يزاد في سعتها وبسطتها والقت ما فيها ورمت بما في جوفها مما دفن فيها
من الموتى والكنوز وتخلت وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شيء في با
باطنها كانها تكلفت اقصى جهدها في الخلو كما يقال تكرم الكريم وترحم الرحيم
اذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما في طبعهما واذنت
لربها في القاء ما في بطنها وتخليها يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا
فملاقيه فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا و

ينقلب

وينقلب الى اهله مسرورا واما من اوتي كتابه وراء ظهره فسوف يد
عو ثبورا ويصلى سعيرا انه كان في اهله مسرورا انه ظن ان لن يحور بلى ان ر
به كان به بصيرا الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر
فيها من كدح جلده اذا خدشه ومعنى كادح الى ربك جاهد الى لقاء ربك
وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء فملاقيه فملاق له لا محالة لا
مفر لك منه وقيل الضمير في ملاقيه للكدح يسيرا سهلا هينا لا يناقش فيه
ولا يعترض بما يسوءه ويشق عليه كما يناقش اصحاب الشمال وعن عائشة رضي
الله عنها هو ان يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من يحا
سب يعذب فقيل يا رسول الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلكم العرض
من نوقش في الحساب عذب الى اهله الى عشيرته ان كانوا مؤمنين او الى
فريق المؤمنين او الى اهله في الجنة من الحور العين وراء ظهره قيل تغل
يمناه الى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره
وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره يدعو ثبورا يقول يا ثبوراه
والثبور الهلاك وقرئ ويصلى سعيرا كقوله وتصلية جحيم ويصلى بضم اليا
والتخفيف كقوله ونصله جهنم في اهله فيما بين ظهرانيهم او معهم على انهم
كانوا جميعا مسرورين يعني انه كان في الدنيا مترفا بطرا مستبشرا
كعادة الفجار الذين لا يهمهم امر الآخرة ولا يفكرون في العواقب

وهاهنا كتابيا خبريا منشغلا كعادة السلف والمتقين وحكاية الله عنهم انا كنا
قبل في اهلنا مشفقين انه ظن ان لن يحور لن يرجع الى الله تكذيبا بالمعاد
يقال لا يحور ولا يحول اي لا يرجع ولا يتغير قال لبيد يحور رمادا بعد
اذ هو ساطع وعن ابن عباس ما كنت ادري ما معنى يحور حتى سمعت
اعرابية تقول لبنية لها حوري اي ارجعي بلى ايجاب لما بعد النفي في لن
يحور اي بلى ليحورن ان ربه كان به بصيرا وباعماله لا ينساها ولا تخفى عليه
فلا بد ان يرجعه ويجازيه عليها وقيل نزلت الآيتان في ابي سلمة بن عبد الاسد
واخيه الاسود بن عبد الاسد فلا اقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا
اتسق لتركبن طبقا عن طبق فما لهم لا يؤمنون الشفق الحمرة التي ترى في
المغرب بعد سقوط الشمس وبسقوطه يخرج وقت المغرب ويدخل وقت
العتمة عند عامة العلماء الا ما روي عن ابي حنيفة في احدى الروايتين
انه البياض وروى اسد بن عمرو انه رجع عنه سمي لرقته ومنه
الشفقة على الانسان رقة القلب عليه وما وسق وما جمع وضم يقال وسقه
فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو يجدن سائقا ونظيره في وقوع
افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع ومعناه وما جمعه وستره
وآوى اليه من الدواب وغيرها اذا اتسق اذا اجتمع واستوى ليلة اربع عشرة
قرئ لتركبن على خطاب الانسان في يا ايها الانسان ولتركبن بالضم على خطاب

الجنس



الجنس لان النداء للجنس ولتركبن بالكسر على خطاب النفس وليركبن بالياء
على ليركبن الانسان والطبق ما طابق غيره يقال ما هذا بطبق لذا اي لا يطابقه
ومنه قيل للغطاء الطبق واطباق الثرى ما تطابق منه ثم قيل للحال المطابقة لغيرها
طبق ومنه قوله عز وعلا طبقا عن طبق اي حالا بعد حال كل واحدة مطابقة
لاختها في الشدة والهول ويجوز ان يكون جمع طبقة وهي المرتبة من قولهم
هو على طبقات ومنه طبق الظهر لفقاره الواحدة طبقة على معنى لتركبن
احوالا بعد احوال هي طبقات في الشدة بعضها ارفع من بعض وهي
الموت وما بعده من مواطن القيامة واهوالها فان قلت ما محل عن طبق قلت
النصب على انه صفة لطبقا اي طبقا مجاوزا لطبق او حال من الضمير في لتركبن
اي لتركبن طبقا مجاوزين لطبق او مجاوزا او مجاوزة على حسب القراءة وعن
مكحول كل عشرين عاما تجدون امرا لم تكونوا عليه واذا قرئ عليهم
القرآن لا يسجدون بل الذين كفروا يكذبون والله اعلم بما يوعون
فبشرهم بعذاب اليم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون
لا يسجدون لا يستكينون ولا يخضعون وقيل قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات
يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش
تصفق فوق رؤوسهم وتصفر فنزلت وبه احتج ابو حنيفة على وجوب السجدة
وعن ابن عباس ليس في المفصل سجدة وعن ابي هريرة انه سجد فيها وقال

والله ما سجدت فيها الا بعد ان رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وعن انس صليت
خلف ابي بكر وعمر وعثمان فسجدوا وروى عن ابي حنيفة انه واجب الذين كفروا
اشارة الى المذكورين بما يوعون بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر والحسد
والبغي والبغضاء او بما يجمعون في صحفهم من اعمال السوء ويدخرون لانفسهم من
انواع العذاب الا الذين آمنوا استثناء منقطع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة انشقت اعاذه الله ان يعطيه كتابه وراء ظهره وايمان عشر وايتنا

## سورة البروج مكية بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل اصحاب الا
خدود النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود هي البروج الاثنا عشر وهي
قصور السماء على التشبيه وقيل البروج النجوم التي هي منازل القمر وقيل
عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها وقيل ابواب السماء واليوم الموعود
يوم القيمة وشاهد ومشهود يعني وشاهد في ذلك اليوم ومشهود
فيه والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم وبالمشهود ما في ذلك اليوم
من عجائبه وطريق تنكيرهما اما ما ذكرته في قوله علمت نفس ما احضرت كانه قيل
وما افرطت كثرته من شاهد ومشهود واما الابهام في الوصف كانه قيل وشا
هد ومشهود لا يكتنه وصفهما وقد اضطربت اقاويل المفسرين فيهما فقيل
الشاهد والمشهود محمد ويوم القيمة وقيل عيسى عليه السلام

وامته



وامته لقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وقيل امته محمد وسائر
الامم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة و
قيل الحجر الاسود والحجيج وقيل الايام والليالي وبنو آدم وعن الحسن ما من
يوم الا وينادي اني يوم جديد واني على ما يعمل فيّ شهيد فاغتنمني فلو
غابت شمسي لم تدركني الى يوم القيمة وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل الا
نبياء ومحمد عليهم السلام فان قلت اين جواب القسم قلت محذوف يدل عليه قوله قتل
اصحاب الاخدود كانه قيل اقسم بهذه الاشياء انهم ملعونون يعني كفار
قريش كما لعن اصحاب الاخدود وذلك ان السورة وردت في تثبيت المؤ
منين وتصبيرهم على اذى اهل مكة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من
التعذيب على الايمان والحاق انواع الاذى وصبرهم وثباتهم حتى يأنسوا
بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا ان كفارهم عند الله بمنزلة
اولئك المعذبين المحرقين بالنار ملعونون احقاء بان يقال فيهم قتلت قريش
كما قيل قتل اصحاب الاخدود وقتل دعاء عليهم كقوله قتل الانسان ما اكفره
وقرئ قتّل بالتشديد والاخدود الخد في الارض وهو الشق ونحوهما بناء و
معنى الخق والاخقوق ومنه فساخت قوائمه في اخاقيق جرذان روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان
في طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست

الناس فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان هذا الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها
فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي
جليس للملك فابرأه فابصره الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب
فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن
دينه فقدّ بالمنشار وابى الغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا
فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا
فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد
وتصلبني على جذع وتاخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم
ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا
برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد في افواه السكك
واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها
صبي فتقاعست ان تقع فيها فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق
فاقتحمت وقيل قال لها قعي ولا تنافقي وقيل قال ما هي الا غميضة فصبرت
عن علي رضي الله عنه انهم حين اختلفوا في احكام المجوس قال هم اهل كتاب وكانوا
متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد احلت لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكر
فوقع على اخته فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له ان المخرج ان تخطب
الناس فتقول يا ايها الناس ان الله احل نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك فان

صح بيان

[margin: التي قد كانت ... السفينة — القرقور السفينة ... — والكنانة التي يجعل فيها السهام — الصدغ ما بين العين والاذن ...]



الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقال لهم ابسطوا فيهم السوط فلم يقبلوا فقال
ابسطوا فيهم السيف فلم يقبلوا فامر بالاخاديد واوقدت فيها النيران وطرح من
ابى منهم فيها فهم الذين ارادهم الله بقوله قتل اصحاب الاخدود وقيل وقع الى
نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه السلام فدعاهم فاجابوه فسار اليهم ذو
نواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فاحرق
منهم اثني عشر الفا في الاخاديد وقيل سبعين الفا وذكر ان طول الاخدود
اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا
ذكر اصحاب الاخدود تعوذ من جهد البلاء والنار بدل اشتمال من الاخدود
ذات الوقود وصف لها بانها نار عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب
وابدان الناس وقرئ الوقود بالضم اذ هم عليها قعود اذ ظرف لقتل اي لعنوا حين احدقوا
بالنار قاعدين حولها ومعنى عليها على ما يدنو منها من حافات الاخدود كقوله
وبات على النار الندى والمحلق كما تقول مررت عليه تريد مستعليا بمكان يدنو
منه وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله
العزيز الحميد الذي له ملك السموات والارض والله على كل شيء شهيد ان
الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب
الحريق ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها
الانهار ذلك الفوز الكبير ومعنى شهادتهم على احراق المؤمنين انهم

[margin: اوله تشب لمقرورين يصطليانها — الندى الجود والمحلق اسم ...]

وتلوا بذلك وجعلوا شهودا اي يشهد بعضهم لبعض عند الملك ان احدا منهم
ما يقصر فيما امر به وفوض اليه من التعذيب ويجوز ان يراد انهم شهود على
ما يفعلون بالمؤمنين يؤدون شهادتهم يوم القيمة يوم تشهد عليهم
السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وما نقموا منهم وما عابوا منهم
وما انكروا الا الايمان كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم، وقال ابن الت
تيانة ما نقموا من بني امية الا انهم يحلمون ان غضبوا وقرأ ابو حيوة نقموا
بالكسر والفصيح هو الفتح وذكر الاوصاف التي يستحق بها ان يؤمن به ويعبد و
هو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما يجب الحمد على نعمته ويرجى
ثوابه له ملك السموات والارض فكل من فيهما يحق عليه عبادته والخشوع له
تقريرا لان ما نقموا منه هو الحق الذي لا ينقمه الا المبطل المنهمك في الغي وان
الناقمين اهل لانتقام الله منهم بعذاب لا يعدله عذاب والله على كل شيء
شهيد وعيد لهم يعني انه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه ويجوز ان يريد
بالذين فتنوا اصحاب الاخدود خاصة وبالذين امنوا المطروحين في الا
خدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار واحرقوهم فلهم في الاخرة عذاب
جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق وهي نار اخرى عظيمة تتسع كما يتسع
الحريق باحراقهم المؤمنين او لهم عذاب جهنم في الاخرة ولهم عذاب الحريق
في الدنيا لما روي ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم ويجوز ان يريد الذين

فتنوا

٥٦٢

فتنوا المؤمنين اي بلوهم بالاذى على العموم والمؤمنين المفتونين وان للفاتنين
عذابين في الاخرة لكفرهم ولفتنتهم ان بطش ربك لشديد انه هو يبدئ
ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد هل اتيك
حديث الجنود فرعون وثمود بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورا
ئهم محيط بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ البطش الاخذ بالعنف فاذا
وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة و
اخذهم بالعذاب والانتقام انه هو يبدئ ويعيد اي يبدئ البطش
ويعيده يعني يبطش بهم في الدنيا وفي الاخرة او دل باقتداره على
الابداء والاعادة على شدة بطشه او اوعد الكفرة بانه يعيدهم كما
ابداهم ليبطش بهم اذ لم يشكروا نعمة الابداء وكذبوا بالاعادة
وقرئ يبدأ الودود الفاعل باهل طاعته ما يفعله الودود من اعطائهم
ما ارادوا وقرئ ذي العرش صفة لربك وقرئ المجيد بالجر صفة للعرش
ومجد الله عظمته ومجد العرش علوه وعظمه فعال خبر مبتدأ محذوف
وانما قيل فعال لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة فرعون وثمود بدل من الجنود
واراد بفرعون اياه واله كما في قوله تعالى من فرعون وملئهم والمعنى قد عرفت
تكذيب تلك الجنود للرسل وما نزل بهم لتكذيبهم بل الذين كفروا من قومك في
تكذيب واستيجاب للعذاب والله عالم باحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه

وهو الغفور للمذنبين بعد التوبة الودود اي المحب لاوليائه شيخ

والإحاطة بهم من ورائهم مثلاً لأنهم لا يفوتونه كما لا يفوت فائت الشيء المحيط
به ومعنى الإضراب أن أمرهم أعجب من أمر أولئك لأنهم سمعوا بقصصهم وما جرى
عليهم وشاهدوا آثار هلاكهم ولم يعتبروا وكذبوا أشد من تكذيبهم بل هو قرآن بل
هذا الذي كذبوا به قرآن مجيد شريف عالي الطبقة في الكتب وفي نظمه وإعجازه
وقرئ قرآنُ مجيدٍ بالإضافة أي قرآن ربٍّ مجيد وقرأ اليماني في لوحٍ
واللوح الهواء يعني اللوح فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح محفوظ
من وصول الشياطين إليه وقرئ محفوظٌ بالرفع صفة للقرآن عن رسول
الله ص من قرأ سورة البروج أعطاه الله بعدد كل يوم جمعة ويوم
عرفة في الدنيا عشر حسنات **سورة الطارق مكية وآيها** ١٧ بسم الله
الرحمن الرحيم والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب
إن كل نفس لما عليها حافظ فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق
يخرج من بين الصلب والترائب النجم الثاقب المضيء كأنه يثقب
الظلام بضوئه فينفذ فيه كما قيل درّيّ لأنه يدرؤه أي يدفعه ووصف
بالطارق لأنه يبدو بالليل كما يقال للآتي ليلاً طارق أو لأنه يطرق الجني
أي يصكه والمراد جنس النجوم أو جنس الشهب التي يرجم بها فإن قلت
ما يشبه قوله وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب إلا ترجمة كلمة بأخرى
فبيّن لي أي فائدة تحته قلت أراد الله عز من قائل أن يقسم بالنجم الثاقب تعظيماً

له لما عرف فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة وأن ينبه على ذلك فجاء بما هو صفة
مشتركة بينه وبين غيره وهو الطارق ثم قال وما أدراك ما الطارق ثم فسره
بقوله النجم الثاقب كل هذا إظهار لفخامة شأنه كما قال تعالى فلا أقسم بمواقع
النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم وروي أن أبا طالب كان عند رسول
الله ص فانحط نجم فامتلأ ما ثمّ نوراً ففزع أبو طالب وقال أي شيء هذا
فقال ص هذا نجم رمي به وهو آية من آيات الله فعجب أبو طالب فنزلت
فإن قلت ما جواب القسم قلت إن كل نفس لما عليها حافظ لأن إن لا تخلو فيمن
قرأ لما مشددة بمعنى إلا أن تكون نافية وفيمن قرأها مخففة على أن ما صلة
أن تكون مخففة من الثقيلة وأيتهما كانت فهي مما يتلقى به القسم حافظ مهيمن
عليها رقيب وهو الله عز وجل وكان الله على كل شيء رقيبا وكان الله على كل شيء
مقيتا وقيل ملك يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر وروي
عن النبي ص وكل بالمؤمن مائة وستون ملكاً يذبون عنه كما يذب عن
قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين
فإن قلت ما وجه اتصال قوله فلينظر بما قبله قلت وجه اتصاله به أنه لما ذكر أن
على كل نفس حافظاً أتبعه توصية الإنسان بالنظر في أول أمره ونشأته الأولى
حتى يعلم أن من أنشأه قادر على إعادته وجزائه فيعمل ليوم الإعادة والجزاء
ولا يملي على حافظه إلا ما يسره في عاقبته مم خلق استفهام جوابه خلق من ماء دافق

والدفق صبّ فيه دفع ومعنى دافق النسبة أي الدفق الذي هو مصدر دفق كاللابن
والتامر أو الاسناد إلى مجازية والدفق في الحقيقة لصاحبه وأيّها ما بين الاثنين أحدهما
في الرحم واتحادهما حين ابتدئ في خلقه من بين الصلب والترائب من بين صلب الرجل
وترائب المرأة وهي عظام الصدر حيث تكون القلادة وقرئ الصلب بفتحتين وفيه
أربع لغات صُلب وصَلَب وصُلُب وصالب قال العجاج في صلب مثل العنان المؤدم
وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم والشحم من المرأة إنه على رجعه لقادر يوم
تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع
إنه الضمير للخالق لدلالة خلق عليه ومعناه أن ذلك الذي خلق الإنسان ابتداء من نطفة
على رجعه على إعادته خصوصاً لقادر لبيّن القدرة لا يليق أن يحيله ولا يعجز عنه كقوله
إني لفقير يوم تبلى منصوب برجعه ومن جعل الضمير في رجعه للماء وفسّره
برجعه إلى مخرجه من الصلب والترائب أو الإحليل أو إلى الحالة الأولى نصب
الظرف بمضمر السرائر ما أسرّ في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما أخفى
من الأعمال وبلاؤها تعرّفها وتصفّحها والتمييز بين ما طاب منها وما خبث وعن
الحسن أنه سمع رجلاً ينشده سيبقى لها في مضمر القلب والحشا
وَرُدّ يوم تبلى السرائر فقال ما أغفله عما في والسماء والطارق فما له فما للإنسان
من قوة من منعة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر ولا مانع يمنعه سمّي المطر رجعاً
كما سمّي أوباً لأنه يرجع وقتاً فوقتاً لا يلزم ... الشمار والتماد والسبله



تسمية بمصدر رجع وآب وذلك أن العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء
من بحار الأرض ثم يرجعه إلى الأرض أو أرادوا التفاؤل فسمّوه رجعاً و
أوباً ليرجع ويئوب وقيل لأن الله يرجعه وقتاً فوقتاً قالت الخنساء كالرجع
في المدجنة السارية والأرض ذات الصدع ما يتصدّع عنه الأرض من النبات إنه لقول
فصل وما هو بالهزل إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً فمهّل الكافرين أمهلهم رويداً
رويداً إنه الضمير للقرآن فصل فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان وما هو بالهزل
يعني أنه جدّ كله لا هوادة فيه ومن حقه وقد وصفه الله بذلك أن يكون مهيباً في
الصدور معظماً في القلوب يترفع به قارئه وسامعه أن يلمّ بهزل أو يتفكّه بمزاح
وأن يلقي ذهنه إلى أن جبار السماوات يخاطبه فيأمره وينهاه ويعده ويوعده
حتى إن لم يستفزّه الخوف ولم تتبالغ فيه الخشية فأدنى أمره أن يكون جادّاً
غير هازل فقد نعى الله على المشركين ذلك في قوله وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون
والغوا فيه إنهم يعني أهل مكة يعملون المكايد في إبطال أمره وإطفاء نور
الحق وأنا أقابلهم بكيدي من استدراجي لهم وانتظاري بهم الميقات الذي و
قّته للانتقام منهم فمهّل الكافرين يعني لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به
أمهلهم رويداً إمهالاً يسيراً وكرّر وخالف بين اللفظين لزيادة
التسكين منه والتصبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطا
رق أعطاه الله بعدد كل نجم عشر حسنات

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج
المرعى فجعله غثاء أحوى سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر
وما يخفى. تسبيح اسمه عز وعلا تنزيهه عما لا يصح فيه من المعاني التي
هي إلحاد في أسمائه كالجبر والتشبيه ونحو ذلك مثل أن يفسر الأعلى بمعنى العلو
الذي هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلو في المكان والاستواء على العرش حقيقة
وأن يصان عن الابتذال والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم ويجوز أن يكون
الأعلى صفة للرب والاسم وقرأ علي رضي الله عنه سبحان ربي الأعلى وفي الحديث
لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله اجعلوها في ركوعكم فلما
نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في
الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت. خلق فسوى أي خلق
كل شيء فسوى خلقه تسوية ولم يأت به متفاوتا غير ملتئم ولكن على
إحكام واتساق ودلالة على أنه صادر عن عالم وأنه صنعة حكيم. قدر فهدى
قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه إليه وعرفه وجه الانتفاع به كما أن الأ
فعى إذا أتت عليها ألف سنة عميت وقد ألهمها الله أن مسح العين بورق
الرازيانج الغض يرد إليها بصرها فربما كانت في برية بينها وبين الريف
مسيرة أيام فتطوي تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم في بعض البسا
تين

على

على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك بها عينيها وترجع باصرة بإذن الله وهدايات
الإنسان إلى ما لا يحد من مصالحه وما لا يحصر من حوائجه في أغذيته وأدويته
وفي أبواب دنياه ودينه وإلهامات البهائم والطيور وهوام الأرض باب واسع
وشوط بطين لا يحيط به وصف واصف فسبحان ربي الأعلى وقرئ قدر بالتخفيف
أحوى صفة لغثاء أي أخرج المرعى أنبته فجعله بعد خضرته ورفيفه غثاء
أحوى درينا أسود ويجوز أن يكون أحوى حالا من المرعى أي أخرجه أحوى
أسود من شدة الخضرة والري فجعله غثاء بعد حوته. بشره الله بإعطاء
آية بينة وهي أن يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحي وهو أمي لا يكتب و
لا يقرأ فيحفظه ولا ينساه إلا ما شاء الله فيذهب به عن حفظه برفع حكمه
وتلاوته كقوله أو ننسها وقيل كان يعجل بالقراءة إذا لقنه جبريل فقيل
لا تعجل فإن جبريل مأمور بأن يقرأه عليك قراءة مكررة إلى أن تحفظه ثم لا تنسى
إلا ما شاء الله ثم تذكره بعد النسيان أو قال إلا ما شاء الله يعني القلة
والندرة كما روي أنه أسقط آية في قراءته في الصلاة فحسب أبي أنها
نسخت فسأله فقال نسيتها وقال إلا ما شاء الله والغرض نفي
النسيان رأسا كما يقول الرجل لصاحبه أنت سهيمي فيما أملك إلا فيما
شاء الله ولا يقصد استثناء شيء وهو من استعمال القلة في معنى
النفي وقيل قوله فلا تنسى على النهي والألف مزيدة للفاصلة

كقوله السبيلا يعني فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه الا ما شاء الله ان
ينسيكه بنسخ تلاوته للمصلحة انه يعلم الجهر يعني انك تجهر بالقراءة مع قراءة
جبريل مخافة التفلت والله يعلم جهرك معه وما في نفسك مما يدعوك
الى الجهر فلا تفعل فانا اكفيك ما تخافه او يعلم ما اسررتم وما اعلنتم من
اقوالكم وافعالكم وما ظهر وما بطن من احوالكم وما هو مصلحة لكم في دينكم
ومفسدة فيه فينسي من الوحي ما يشاء ويترك محفوظا ما يشاء
ونيسرك لليسرى فذكر ان نفعت الذكرى سيذكر من يخشى ويتجنبها
الاشقى الذي يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى
بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وابقى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم
وموسى ونيسرك لليسرى معطوف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر وما
يخفى اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة التي هي ايسر واسهل يعني حفظ الوحي
وقيل للشريعة التي هي ايسر الشرائع واسهلها مأخذا وقيل نوفقك
لعمل الجنة فان قلت كان الرسول مأمورا بالذكرى نفعت او لم تنفع فما
معنى اشتراط النفع قلت هو على وجهين احدهما ان رسول الله قد استفرغ
مجهوده في تذكيرهم وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى الا عتوا وطغيانا وكان
النبي يتلظى حسرة وتلهفا ويزداد جدا في تذكيرهم وحرصا عليه
فقيل له وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد واعرض عنهم

وقل

وقل سلام وذكر ان نفعت الذكرى وذلك بعد الزام الحجة بتكرير التذكير والثاني
ان يكون ظاهره شرطا ومعناه ذما للمذكرين واخبارا عن حالهم واستبعادا
لتأثير الذكرى فيهم وتسجيلا عليهم بالطبع على قلوبهم كما تقول للواعظ عظ
المكاسين ان سمعوا منك قاصدا بهذا الشرط الاستبعاد وانه لن يكون
سيذكر سيقبل التذكرة وينتفع بها من يخشى الله وسوء العاقبة فينظر
ويفكر حتى يقوده النظر الى اتباع الحق فاما هؤلاء فغير خاشين ولا نا
ظرين فلا تأمل ان يقبلوا منك ويتجنبها ويتجنب الذكرى ويتباعد عنها الا
شقى الكافر لانه اشقى من الفاسق او الذي هو اشقى الكفرة لتوغله
في عداوة رسول الله وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة
الكبرى السفلى من اطباق النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا
وقيل ثم لان الترجح بين الحيوة والموت افظع من الصلي فهو متراخ عنه
في مراتب الشدة والمعنى لا يموت فيستريح ولا يحيى حيوة تنفعه تزكى
تطهر من الشرك والمعاصي او تطهر للصلوة او تكثر من التقوى من الزكاء
وهو النماء او تفعل من الزكوة كتصدق من الصدقة فصلى فصلى الصلوات
الخمس نحو قوله واقام الصلوة وآتوا الزكوة وعن ابن مسعود رحم الله
امرأ تصدق وصلى وعن علي رضي الله عنه انه التصدق بصدقة الفطر وقال
لا ابالي ان لا اجد في كتابي غيرها لقوله قد افلح من تزكى اي اعطى زكوة

[illegible]

الفعل يتوجه الى المصلى فيصلي صلاة العيد وذكر اسم ربه فكبر تكبيرة الافتتاح
وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلاة لان الصلاة
معطوفة عليها وعلى ان الافتتاح جائز بكل اسم من اسمائه عز وجل وعن
ابن عباس ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه وعن الضحاك وذكر اسم
ربه في طريق المصلى فصلى صلاة العيد بل تؤثرون الحيوة الدنيا فلا تفعلون ما
تفلحون به وقرئ يؤثرون على الغيبة ويعضد الاولى قراءة ابن مسعود بل انتم
تؤثرون والآخرة خير وابقى افضل في نفسها وانعم وادوم وعن عمر رضي الله عنه
ما الدنيا في الآخرة الا كنفجة ارنب ان هذا اشارة الى قوله قد افلح الى ابقى
يعني ان معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف وقيل الى ما في السورة كلها
وروي عن ابي ذر رضي الله عنه انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كم انزل الله من كتاب
فقال مائة واربعة كتب منها على آدم عشر صحائف وعلى شيث خمسون
صحيفة وعلى اخنوخ وهو ادريس ثلثون صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف
والتورية والانجيل والزبور والفرقان وقيل ان في صحف ابراهيم ينبغي
للعاقل ان يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزل الله
على ابراهيم وموسى ومحمد وكان اذا قرأها قال سبحان ربي الاعلى وكان علي وابن
عباس يقولان ذلك وكان النبي يحبها فقال اول من قال سبحان ربي الاعلى ميكائيل

بسم

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة
تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية ص الغاشية الداهية التي
تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم اهوالها يعني القيمة من قوله
يوم يغشيهم العذاب من فوقهم وقيل النار من قوله ص وتغشى وجوه
هم النار ومن فوقهم غواش يومئذ يوم اذ غشيت خاشعة ذ
ليلة عاملة ناصبة تعمل في النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل و
الاغلال وخوضها في النار كما تخوض الابل في الوحل وارتقاؤها دائبة
في صعود من نار وهبوطها في حدور منها وقيل عملت في الدنيا اعمال السوء
والتذت بها وتنعمت فهي في نصب منها في الآخرة وقيل عملت ونصبت في اعمال لا
تجدي عليها في الآخرة من قوله ص وقدمنا الى ما عملوا من عمل وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا ولعل الذين حبطت اعمالهم وقيل هم اصحاب الصوامع
ومعناه انها خشعت لله وعملت ونصبت في اعمالها من الصوم الدائب و
التهجد الواصب وقرئ عاملة ناصبة على الشتم تصلى نارا قرئ تصلى بضم التاء وتصلى
بفتحها وتصلى بالتشديد وقيل المصلى عند العرب ان يحفروا حفيرا فيجمعوا
فيه جمرا كثيرا ثم يعمدوا الى شاة فيدسوها وسطه فاما ما يشوى فوق

الجمر او على المقلى او في التنور فلا يسمى مصليا آنية متناهية في الحر كقوله
تعالى وبين حميم آن ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغني
من جوع وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية لا تسمع
فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة واكواب موضوعة و
نمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة الضريع يبيس الشبرق وهو
جنس من الشوك ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس تحامته وهو سم
قاتل قال ابو ذؤيب رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى وعاد ضريعا
بان عنه النحائص وقال وحبسن في هزم الضريع فكلها حدباء دا
مية اليدين حرود فان قلت كيف قيل ليس لهم طعام الا من ضريع وفي
الحاقة ولا طعام الا من غسلين قلت العذاب الوان والمعذبون
طبقات فمنهم اكلة الزقوم ومنهم اكلة الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم
لا يسمن مرفوع المحل او مجرور على وصف طعام او ضريع يعني ان
طعامهم من شيء ليس من مطاعم الانس وانما هو شوك والشوك مما
ترعاه الابل وتتولع به وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه ومنفعتا
الغذاء منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع وافادة القوة والسمن في
البدن او اريد ان لا طعام لهم اصلا لان الضريع ليس بطعام للبها
ئم فضلا عن الانس لان الطعام ما اشبع او اسمن وهو منهما

بمعزل

بمعزل كما تقول ليس لفلان ظل الا الشمس تريد نفي الظل على التوكيد وقيل قالت كفار
قريش ان الضريع لتسمن عليه ابلنا فنزلت لا يسمن فلا يخلو اما ان يتكذبوا ويتعنتوا
بذلك وهو الظاهر فيرد قولهم بنفي السمن والشبع واما ان يصدقوا فيكون المعنى ان
طعامهم ليس من جنس ضريعكم انما هو من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع ناعمة
ذات بهجة وحسن كقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم او متنعمة لسعيها راضية
رضيت بعملها لما رأت ما اداهم اليه من الكرامة والثواب عالية من علو المكان او
المقدار لا تسمع يا مخاطب او الوجوه لاغية لغوا او كلمة ذات لغو او
نفسا تلغو لا يتكلم اهل الجنة الا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم الدا
ئم وقرئ لا تسمع على البناء للمفعول بالتاء والياء فيها عين جارية يريد عيونا
في غاية الكثرة كقوله علمت نفس مرفوعة من رفعة المقدار او السمك
ليرى المؤمن بجلوسه عليه جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم وقيل مخبوءة
من رفع الشيء اذا خبأه موضوعة كلما ارادها وجدها موضوعة بين
يديه عتيدة حاضرة لا يحتاج الى ان يدعو بها او موضوعة على
حافات العيون معدة للشرب ويجوز ان يراد موضوعة عن حد الكبار اوساطا
بين الصغر والكبر كقوله قدروها تقديرا مصفوفة بعضها الى جنب
بعض مساند ومطارح اينما اراد ان يجلس جلس على مسورة واستند الى اخرى
وزرابي وبسط عراض فاخرة وقيل هي الطنافس التي لها خمل رقيق جمع زربية

مبثوثة مبسوطة او متفرقة في المجالس افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى
السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت فذكر انما
انت مذكر لست عليهم بمصيطر الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر
ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم افلا ينظرون الى الابل نظر اعتبار كيف
خلقت خلقا عجيبا دالا على تقدير مقدر شاهدا بتدبير مدبر حيث خلقها
للنهوض بالاثقال وجرها الى البلاد الشاحطة فجعلها تبرك حتى تحمل عن قرب
ثم تنهض بما حملت وسخرها منقادة لكل من اقتادها بازمتها لا تعاز
ضعيفا ولا تمانع صغيرا وبراها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وعن بعض
الحكماء انه حدث عن البعير وبديع خلقه وقد نشا في بلاد لا ابل بها ففكر
ثم قال يوشك ان تكون طوال الاعناق وحين اراد بها ان تكون سفاين البر صبرها
على احتمال العطش حتى ان اظماءها لترتفع الى العشر فصاعدا وجعلها
ترعى كل شيء نابت في البراري والمفاوز مما لا ترعاه سائر البهائم وعن
سعيد بن جبير قال لقيت شريحا القاضي فقلت اين تريد قال اريد الكناسة
قلت وما تصنع بها قال انظر الى الابل كيف خلقت فان قلت كيف حسن ذكر الابل
مع السماء والجبال والارض ولا مناسبة قلت قد انتظم هذه الاشياء نظر
العرب في اوديتهم وبواديهم فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم
ولم يدع من زعم ان الابل السحاب الى قوله الا طلب المناسبة ولعله لم يرد ان الابل





من اسماء السحاب كالغمام والمزن والرباب والغيم والغين وغير ذلك وانما
راى السحاب مشبها بالابل كثيرا في اشعارهم فجوز ان يراد بها السحاب على طريق
التشبيه والمجاز كيف رفعت رفعا بعيد المدى بلا امساك وبغير عمد وكيف نصبت
نصبا ثابتا فهي راسخة لا تميل ولا تزول وكيف سطحت سطحا بتمهيد وتوطية
فهي مهاد للمتقلب عليها وقرا علي رضي الله عنه خلقت ورفعت ونصبت وسطحت
على البناء للفاعل وتاء الضمير والتقدير فعلتها فحذف المفعول وعن هارون الرشيد
انه قرا سطّحت بالتشديد والمعنى افلا ينظرون الى هذه المخلوقات الشاهدة
على قدرة الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا انذار الرسول ويؤ
منوا به ويستعدوا للقائه اي لا ينظرون فذكرهم ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم
لا ينظرون ولا يذكرون انما انت مذكر كقوله ان عليك الا البلاغ لست عليهم
بمصيطر بمسلط كقوله وما انت عليهم بجبار وقيل هو في لغة تميم مفتوح
الطاء على ان سيطر متعد عندهم وقولهم تسيطر يدل عليه الا من تولى استثناء
منقطع اي لست بمستول عليهم ولكن من تولى منهم فان لله الولاية والقهر فهو يعذبه
العذاب الاكبر الذي هو عذاب جهنم وقيل هو استثناء من قوله فذكر
اي الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض
وقرئ الا من تولى على التنبيه وفي قراءة ابن مسعود فانه يعذبه وقرا ابو جعفر
المدني ايابهم بالتشديد ووجهه ان يكون فيعالا مصدر ايب فيعل من الاياب

او ان يكون اصله اوّابا فعّالا من اوّب ثم قيل ايوابا كديوان فى دوّان ثم فعل به ما فعل باصل سيد وميت ما معنى تقديم الظرف قلت معناه التشديد فى الوعيد وان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام وان حسابهم ليس بواجب الا عليه وهو الذى يحاسب على النقير والقطمير ومعنى الوجوب الوجوب فى الحكمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابا

بسم الله الرحمن الرحيم

والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل فى ذلك قسم لذى حجر الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد اقسم بالفجر كما اقسم بالصبح فى قوله والصبح اذا اسفر والصبح اذا تنفس وقيل بصلاة الفجر واراد بالليالى العشر عشر ذى الحجة فان قلت فما بالها منكرة من بين ما اقسم به قلت لانها ليال مخصوصة من بين جنس الليالى العشر بعض منها او مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها فان قلت فهلا عرّفت بلام العهد لانها ليال معلومة معهودة قلت لو فعل ذلك لم تستقل بمعنى الفضيلة الذى فى التنكير ولان الاحسن ان تكون اللامات متجانسة ليكون الكلام ابعد من الالغاز والتعمية وبالشفع والوتر اما الاشياء كلها شفعها ووترها واما شفع هذه الليالى ووترها ويجوز ان يكون شفعها يوم النحر ووترها يوم عرفة لانهما تاسع ايامها وعاشرها وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم

انه فسرهما بذلك وقد اكثروا فى الشفع والوتر حتى كادوا يستوعبون اجناس ما يقعان فيه وذلك قليل الطائل جدير بالتلهى عنه وبعدما اقسم بالليالى المخصوصة اقسم بالليل على العموم اذا يسر اذا يمضى كقوله والليل اذ ادبر والليل اذا عسعس وقرئ والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر فى العدد وفى الترة الكسر وحده وقرئ والوتر بفتح الواو وكسر التاء رواه يونس عن ابى عمرو وقرئ والفجر والوتر ويسر بالتنوين وهو التنوين الذى يقع بدلا من حرف الاطلاق وعن ابن عباس وليال عشر بالاضافة يريد وليال ايام عشر وياء يسرى تحذف فى الدرج اكتفاء عنها بالكسرة واما فى الوقف فتحذف مع الكسرة وقيل معنى يسرى يسرى فيه هل فى ذلك اى فيما اقسمت به من هذه الاشياء قسم اى مقسم به لذى حجر يعتبره ويعظمه اذا تعقل بالاقسام بها وهل فى اقسامى بها اقسام لذى حجر وهو استفهام تقرير لعظمة المقسم به و الحجر العقل لانه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة من الاحصاء وهو الضبط وقال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله الم تر الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب قيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبنى هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة قال ابن الرقيات

مجدا تليدا بناه أوله أدرك عادا وقبلها إرما فإرم في قوله بعاد إرم
عطف بيان لعاد وإيذان بأنهم عاد الأولى القديمة وقيل إرم بلدتهم و
أرضهم التي كانوا فيها ويدل عليه قراءة ابن الزبير بعاد إرم على الإضافة و
تقديره بعاد أهل إرم كقوله تعالى واسأل القرية ولم تنصرف قبيلة كانت
أو أرضا للتعريف والتأنيث وقرأ الحسن بعاد إرم مفتوحتين وقرئ
بعاد إرم بسكون الراء على التخفيف كما قرئ بورقكم وقرئ بعاد إرم
ذات العماد بإضافة إرم إلى ذات العماد والإرم العلم يعني بعاد أهل
أعلام ذات العماد وذات العماد اسم المدينة وقرئ بعاد أرم ذات
العماد أي جعل الله ذات العماد رميما بدلا من فعل ربك وذات العماد إذا كانت
صفة للقبيلة فالمعنى أنهم كانوا بدويين أهل عمد أو طوال الأجسام على
تشبيه قدودهم بالأعمدة ومنه قولهم رجل معمد وعمدان إذا كان طويلا وقيل
ذات البناء الرفيع وإن كانت صفة للبلدة فالمعنى أنها ذات أساطين وروي
أنه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الأمر
لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال أبني مثلها
فبنى إرم في بعض صحارى عدن في ثلاثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي
مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت
وفيها أصناف الأشجار والأنهار المطردة ولما تم بناؤها سار إليها

بأهل



بأهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا
وعن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثم
وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث إلى كعب فسأله فقال هي إرم
ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه
خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب إبل له ثم التفت فأبصر ابن قلابة فقال هذا و
الله ذلك الرجل التي لم يخلق مثلها مثل عاد في البلاد عظم أجرام وقوة كان طول
الرجل منهم أربعمائة ذراع وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها
على الحي فيهلكهم أو لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقرأ
ابن الزبير لم يخلق مثلها أي لم يخلق الله مثلها وثمود الذين جابوا الصخر
بالواد وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد
فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد فأما الإنسان إذا ما
ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر
عليه رزقه فيقول ربي أهانن ثم جابوا الصخر قطعوا صخر الجبال و
اتخذوا فيها بيوتا كقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا قيل أول من
نحت الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من
الحجارة قيل له ذو الأوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها إذا
نزلوا ولتعذيبه بالأوتاد كما فعل بماشطة بنته وبآسية الكريمة

أي كعب الأحبار

طغوا أي تجبروا

فأكثروا فيها الفساد بالقتل وعبادة الأوثان

أحسن الوجوه فيه أن يكون في محل النصب على الذم ويجوز أن يكون رفعا
على هم الذين طغوا أو مجرورا على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون
يقال صبّ عليه السوط وغشّاه وقنّعه وذكر السوط إشارة إلى أن ما أحله
عليهم في الدنيا من العذاب العظيم بالقياس إلى ما أعد لهم في الآخرة كالسوط
إذا قيس إلى سائر ما يعذب به وعن عمرو بن عبيد كان الحسن إذا أتى على هذه
الآية قال إن عند الله أسواطا كثيرة فأخذهم بسوط منها المرصاد المكان الذي
يترتب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا مثل لإرصاده
العصاة بالعقاب وأنهم لا يفوتونه وعن بعض العرب أنه قيل له أين ربك
فقال بالمرصاد وعن عمرو بن عبيد رحمه الله أنه قرأ هذه السورة عند المنصور
حتى بلغ هذه الآية فقال إن ربك لبالمرصاد يا أبا جعفر عرّض له في هذا النداء
بأنه بعض من توعد بذلك من الجبابرة فلله دره أي أسد فراس كان
بين ثنييه يدق الظلمة بإنكاره ويقصع أهل الأهواء والبدع باحتجاجه
فإن قلت بم اتصل قوله فأما الإنسان قلت بقوله إن ربك لبالمرصاد كأنه
قيل إن الله لا يريد من الإنسان إلا الطاعة والسعي للعاقبة وهو مرصد
بالعقوبة للعاصي فأما الإنسان فلا يريد ذلك ولا يهمه إلا العاجلة
وما يلذه وما ينعمه فيها فإن قلت فكيف توازن قوله فأما الإنسان إذا ما
ابتلاه ربه وقوله وأما إذا ما ابتلاه وحق التوازن أن يتقابل الواقعتان بعد

أما



أما وأما تقول أما الإنسان فكفور وأما الملك فشكور أما إذا أحسنت
إلى زيد فهو محسن إليك وأما إذا أسأت إليه فهو مسيء إليك قلت هما متوا
زنان من حيث إن التقدير وأما هو إذا ما ابتلاه ربه وذلك أن قوله فيقول ربي
أكرمن خبر المبتدأ الذي هو الإنسان ودخول الفاء لما في أما من معنى الشرط و
الظرف المتوسط بين المبتدأ والخبر في تقدير التأخير كأنه قيل فأما الإنسان
فقائل ربي أكرمن وقت الابتلاء فوجب أن يكون فيقول الثاني خبرا
لمبتدأ واجب تقديره فإن قلت كيف سمى كلا الأمرين من بسط
الرزق وتقديره ابتلاء قلت لأن كل واحد منهما اختبار للعبد فإذا
بسط له فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر وإذا قدر عليه فقد اختبر
حاله أيصبر أم يجزع فالحكمة فيهما واحدة ونحوه قوله تعالى ونبلوكم
بالشر والخير فتنة فإن قلت هلا قال فأهانه وقدر عليه رزقه كما قال فأ
كرمه ونعمه قلت لأن البسط إكرام من الله لعبده بإنعامه عليه متفضلا
من غير سابقة وأما التقدير فليس بإهانة له لأن الإخلال بالتفضل
لا يكون إهانة ولكن تركا للكرامة وقد يكون المولى مكرما لعبده و
مهينا وغير مكرم ولا مهين وإذا أهدى لك زيد هدية قلت أكرمني
بالهدية ولا تقول أهانني ولا أكرمني إذا لم يهد لك فإن قلت فقد قال
فأكرمه فصحح إكرامه وأثبته ثم أنكر قوله ربي أكرمن وذمه عليه

كما أنكر قوله أكرمن وذمه عليه فإن فيه جوابان أحدهما أنه إنما أنكر قوله
ربي أكرمن وذمه عليه لأنه قاله على قصد خلاف ما صححه الله عليه وأثبته
هو قوله تعالى أن الله أعطاه ما أعطاه إكرامًا له مستحقًا مستوجبًا على عادة
افتخارهم وجلالة أقدارهم عندهم كقوله إنما أوتيته على علم عندي و
إنما أعطاه الله على وجه التفضل من غير استحقاق منه ولا سابقة مما لا يعتد الله
به وهو التقوى دون الأنساب والأحساب التي كانوا يفتخرون بها ويرون
الشرف في الكرامة من أجلها والثاني أن ينساق الإنكار والذم إلى قوله
ربي أهانن يعني أنه إذا تفضل عليه بالخير وأكرم به اعترف بتفضل
الله وإكرامه وإذا لم يتفضل عليه سمى ترك التفضل هوانًا وليس بهوان
ويعضد هذا الوجه ذكر الإكرام في قوله فأكرمه وقرئ فقدر بالتخفيف
والتشديد وأكرمن وأهانن بسكون النون في الوقف فيمن ترك الياء
في الدرج مكتفيًا منها بالكسرة كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على
طعام المسكين وتأكلون التراث أكلا لما وتحبون المال حبا جما كلا إذا دكت
الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر
الإنسان وأنى له الذكرى يقول يا ليتني قدمت لحياتي فيومئذ
لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد كلا ردع للإنسان عن
قوله ثم قال بل هناك شر من هذا القول وهو أن الله يكرمهم بكثرة المال

فلا

قوله وإنما حاله على
التفضل المحض في قوله
ماله من أعطاه والتفضل
أنه عطف على قوله ماله والأول
أولى قد

قوله تجلاه بعضه ببيان سابقه
أي أعطاه الله على وجه التفضل
من غير أن يسبق منه شيء لا يعتد
الله تعالى إلا به وهو التقوى أو
لم يسبق منه تقوى يستحق به المعلى
فما أعطاه بتفضل وأما الأنساب و
الأحساب فلا مدخل لها في الاستحقاق
قد



فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من إكرام اليتيم بالتفقد والمبرة وحض أهله على طعام
المسكين ويأكلونه أكل الأنعام ويحبونه فيشحون به وقرئ يكرمون وما بعده
بالياء والتاء وقرئ تحاضون أي يحض بعضكم بعضًا وفي قراءة ابن مسعود ولا تحاضون
بضم التاء من المحاضة التراث الميراث أكلا لما ذا لم وهو الجمع بين الحلال والحرام قال
الحطيئة إذا كان لما يتبع الذم ربه فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا
يعني أنهم يجمعون في أكلهم بين نصيبهم من الميراث ونصيب غيرهم وقيل كانوا
لا يورثون النساء ولا الصبيان ويأكلون تراثهم مع تراثهم وقيل يأكلون ما جمعه
الميت من الظلمة وهو عالم بذلك فيلم في الأكل بين حلاله وحرامه ويجوز
أن يذم الوارث الذي ظفر بالمال سهلا مهلا من غير أن يعرق فيه جبينه فيسرف
في إنفاقه ويأكله أكلا واسعًا جامعًا بين ألوان المشتهيات من الأطعمة والأشربة
والفواكه كما يفعل الورثة البطالون حبا جما كثيرا شديدا مع الحرص و
الشره ومنع الحقوق كلا ردع لهم عن ذلك وإنكار لفعلهم ثم أتى بالوعيد و
ذكر تحسرهم على ما فرطوا فيه حين لا ينفع الحسرة ويومئذ بدل من إذا دكت
الأرض والعامل فيهما يتذكر دكا دكا دكا بعد دك كقوله حسبته
بابًا بابًا أي كرر عليها الدك حتى عادت هباء منبثًا فإن قلت ما معنى إسناد المجيء
إلى الله والحركة والانتقال إنما يجوز على من كان في جهة قلت هو تمثيل
لظهور آيات اقتداره وتبيين آثار قهره وسلطانه مثلت حالة في ذلك

أي وإذا كان الأكل ذا لم وجمع
بين ما يحمد وما لا يحمد لا ينفك
الذي عذبنا حب الأكل يتبعه
كالسال فلا قدس الرحمن تلك
الأسنان التي طحنت المأكول
بعدم الأكل خبز وخير كثير

والتراث صح
تحلية الحرف
تعدية التحول
تسعة قد

الدك الدق دككت الشيء
أدكه دكا إذا فرقته وكسرته
سوية بالأرض ومنه قوله
تعالى فدكتا دكة واحدة صحاح

بابا بعد باب قد

بحال الملك اذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر
بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة ابيهم صفا صفا تنزل ملائكة
كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس وجيء يومئذ بجهنم
كقوله وبرزت الجحيم روي انها لما نزلت تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف في وجهه
حتى اشتد على اصحابه فاخبروا عليا فجاء فاحتضنه من خلفه وقبل بين عاتقيه ثم
قال يا نبي الله بابي وامي ما الذي حدث اليوم وما الذي غيرك فتلا عليه الاية فقال
علي كيف يجاء بها قال يجيء بها سبعون الف ملك يقودونها بسبعين الف زمام فتشرد شردة
لو تركت لاحرقت اهل الجمع اي يتذكر ما فرط فيه او يتعظ وانى له الذكرى
ومن اين له منفعة الذكرى لا بد من تقدير حذف المضاف والا فبين يوم يتذكر
وبين وانى له الذكرى تناف وتناقض قدمت لحياتي هذه وهي حياة
الآخرة او وقت حياتي في الدنيا كقولك جئته لعشر ليال خلون من رجب و
هذا ابين دليل على ان الاختيار كان في ايديهم ومعلقا بقصدهم وارادتهم و
انهم لم يكونوا محجوبين عن الطاعات مجبرين على المعاصي كمذهب اهل الاهواء
والبدع والا فما معنى التحسر قرئ بالفتح يعذب ويوثق وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن ابي عمرو انه رجع اليها في آخر عمره والضمير للانسان الموصوف وقيل هو
ابي بن خلف اي لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل
وثاقه لتناهيه في كفره وعناده او لا يحمل عذاب الانسان احد كقوله ولا

تزر

تزر وازرة وزر اخرى وقرئ بالكسر والضمير لله اي لا يتولى عذاب الله
احد لان الامر لله وحده في ذلك اليوم او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية
مثل ما يعذبونه يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية
فادخلي في عبادي وادخلي جنتي يا ايتها النفس على ارادة القول اي يقول الله
للمؤمن يا ايتها النفس اما ان يكلمه اكراما له كما كلم موسى صلوات الله عليه او على
لسان ملك والمطمئنة الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وهي النفس
المطمئنة الى الحق التي ثلجها اليقين فلا يخالجها شك ويشهد للتفسير الاول
قراءة ابي بن كعب يا ايتها النفس الآمنة المطمئنة فان قلت متى يقال لها ذلك قلت
اما عند الموت واما عند البعث واما عند دخول الجنة على معنى ارجعي الى موعد ربك راضية
بما اوتيت مرضية عند الله فادخلي في عبادي الصالحين وانتظمي في سلكهم وادخ
لي جنتي معهم وقيل النفس الروح ومعناه فادخلي في اجساد عبادي وقرا
ابن عباس فادخلي في عبدي وقرا ابن مسعود في جسد عبدي وقرا ابي ائتي
ربك راضية مرضية ادخلي في عبدي وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل في خبيب
بن عدي الذي صلبه اهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة فقال اللهم ان كان لي عندك
خير فحول وجهي نحو قبلتك فحول الله وجهه نحوها فلم يستطع احد ان يحوله
والظاهر العموم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفجر في الليالي
العشر غفر له ومن قراها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الإنسان في كبد أيحسب أن لن يقدر عليه أحد يقول أهلكت مالا لبدا. أقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما بعده على أن الإنسان خلق مغمورا في مكابدة المشاق والشدائد واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله وأنت حل بهذا البلد يعني ومن المكابدة أن مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد في غير الحرم وعن شرحبيل يحرمون أن يقتلوا بها صيدا ويعضدوا بها شجرة ويستحلون إخراجك وقتلك وفيه تثبيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة وتعجيب من حالهم في عداوته أو سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقسم ببلده على أن الإنسان لا يخلو من مقاساة الشدائد واعترض بأن وعده فتح مكة تتميما للتسلية والتنفيس عنه فقال وأنت حل بهذا البلد يعني وأنت حل به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر وذلك أن الله فتح عليه مكة وأحلها له وما فتحت على أحد قبله ولا أحلت له فأحل ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار أبي

سفيان ثم قال إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام إلى أن تقوم الساعة لم تحل لأحد قبلي ولن تحل لأحد بعدي ولم تحل لي إلا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها إلا لمنشد فقال العباس رضي الله عنه يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا الإذخر فإن قلت أين نظير قوله وأنت حل في معنى الاستقبال قلت قوله عز وجل إنك ميت وإنهم ميتون ومثله واسع في كلام العباد تقول لمن تعده الإكرام والحباء أنت مكرم محبو وهو في كلام الله أوسع لأن الأحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا على أنه للاستقبال وأن تفسيره بالحال محال أن السورة بالاتفاق مكية وأين الهجرة عن وقت نزولها فما بال الفتح فإن قلت ما المراد بوالد وما ولد قلت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ولده أقسم ببلده الذي هو مسقط رأسه وحرم أبيه إبراهيم صلوات الرحمن عليه ومنشأ أبيه إسماعيل عليه السلام وبمن ولده وبه فإن قلت لم نكر قلت للإبهام المستقل بالمدح والتعجب فإن قلت هلا قيل ومن ولد قلت فيه ما في قوله والله أعلم بما وضعت أي بأي شيء وضعت يعني موضوعا عجيب الشأن وقيل هو آدم وولده وقيل كل والد وولد والكبد أصله من قولك كبد الرجل كبدا فهو أكبد إذا وجعت كبده وانتفخت فاتسع فيه حتى استعمل في كل تعب

ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى أهلكه وأصله كبده إذا
أصاب كبده قال لبيد يا عين هلا بكيت أربد إذ قمنا وقام الخصوم في
كبد أي في شدة الأمر وصعوبة الخطب والضمير في أيحسب لبعض صنا
ديد قريش الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكابد منهم ما يكابد
والمعنى أيظن هذا الصنديد القوي في قومه المتضعف للمؤمنين أن لن
تقوم قيامته ولن تقدر على الانتقام منه وعلى مكافأته بما هو عليه ثم ذكر
ما يقوله في ذلك اليوم وأنه يقول أهلكت مالا لبدا يريد كثرة ما أنفقه
فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر أيحسب
أن لم يره أحد حين كان ينفق ما ينفق رياء الناس وافتخارا بينهم يعني
أن الله كان يراه وكان عليه رقيبا ويجوز أن يكون الضمير للانسان على أن يكون المعنى
أيحسب هذا الانسان الشديد ومن شدته أنه جاهل بما يعترف به أهل الإسلام
فيتمرد بشدته نعم تعنيف بأن أعلمه بقسمه لقد خلقنا الانسان في كبد أي في مرض
وهو مرض القلب وفساد الباطن يريد المنافقين على أنه منهم حين خلقهم
أنهم لا يؤمنون ولا يعملون الصالحات وقيل الذي يحسب أن لن يقدر عليه
أحد هو أبو الأشد وكان قويا يبسط له الأديم العكاظي فيقوم عليه ويقول
من أزالني عنه فله كذا فلا ينزع إلا قطعا ويبقى موضع قدميه وقيل الوليد
بن المغيرة لبدا أي بالضم والكسر جمع لبدة ولبدة وهو ما تلبد يريد

الكثرة



الكثرة وقرئ لبدا بالتخفيف جمع لبود ولبدا بالتشديد جمع لابد أيحسب
أن لم يره أحد ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين
فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة
يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة أي ألم نجعل له عينين يبصر بهما المرئيات ولسانا
يترجم به عن ضمائره وشفتين يطبقهما على فيه ويستعين بهما على النطق والأ
كل والشرب والنفخ وغير ذلك وهديناه النجدين أي طريقي الخير والشر و
قيل الثديين فلا اقتحم العقبة يعني فلم يشكر تلك الأيادي والنعم بالأعمال الصالحة
من فك الرقاب وإطعام اليتامى والمساكين ثم بالإيمان الذي هو أصل كل طاعة
وأساس كل خير بل غمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى أن الإنفاق على هذا الوجه
هو الإنفاق المرتضى النافع عند الله لا أن يهلك مالا لبدا في الرياء والفخار
فيكون مثله كمثل ريح فيها صر الآية فإن قلت قلما تقع لا الداخلة
على الماضي إلا مكررة ونحو قوله فأي أمر سيء لا فعله لا يكاد يقع فما لها لم تكرر
في الكلام الأفصح قلت هي متكررة في المعنى لأن معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك
رقبة ولا أطعم مسكينا ألا ترى أنه فسر اقتحام العقبة بذلك وقال الزجاج قوله
ثم كان من الذين آمنوا يدل على معنى فلا اقتحم العقبة ولا آمن والاقتحام
الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة والقحمة الشدة وجعل الصالحة عقبة و
عملها اقتحاما لها لما في ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس وعن الحسن

هذا وجه آخر لتقدير التكرير بين المعطوفين كذ

ويدل عليه قراءة من قرأ فك رقبة أو أطعم بلفظ الفعل كذ

عقبة والعقبة شديدة في مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان وفك
الرقبة تخليصها من رق أو غيره وفي الحديث أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم دلني على عمل يدخلني الجنة فقال تعتق النسمة وتفك الرقبة قال أوليستا
سواء قال لا إعتاقها أن تنفرد بعتقها وفكها أن تعين في تخليصها من قود أو غرم
والعتق والصدقة من أفضل الأعمال وعن أبي حنيفة أن العتق أفضل من
الصدقة وعند صاحبيه الصدقة أفضل والآية أدل على قول أبي حنيفة لتقديم
العتق على الصدقة وعن الشعبي في رجل عنده فضل نفقة أيضعه في ذي قرابة
أو يعتق رقبة قال الرقبة أفضل لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال من فك رقبة فك
الله بكل عضو منها عضوا منه من النار فك رقبة أو إطعام على فك رقبة أو
إطعام وقرئ فك رقبة أو أطعم على الإبدال من اقتحم العقبة وقوله وما
أدراك ما العقبة اعتراض ومعناه أنك لم تدر كنه صعوبتها على النفس وكنه
ثوابها عند الله والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب إذا
جاع وقرب في النسب يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي وترب إذا افتقر
ومعناه التصق بالتراب وأما أترب فاستغنى أي صار ذا مال كالتراب في الكثرة
كما قيل أثرى وعن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ذا متربة الذي مأواه المزابل
ووصف اليوم بذي مسغبة نحو ما يقول النحويون في قولهم هم ناصب ذو نصب
وقرأ الحسن ذا مسغبة نصبه بإطعام ومعناه أو إطعام في يوم من الأيام ذا

مسغبة

ذا مسغبة ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة
أولئك أصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة
ثم كان من الذين آمنوا جاء بثم لتراخي الإيمان وتباعده في الرتبة والفضيلة
عن العتق والصدقة لا في الوقت لأن الإيمان هو السابق المقدم على غيره
ولا يثبت عمل ما إلا به والمرحمة الرحمة أي أوصى بعضهم بعضا بالصبر على الإيمان
والثبات عليه أو بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي يبتلى بها المؤمن
وبأن يكونوا متراحمين متعاطفين أو بما يؤدي إلى رحمة الله الميمنة و
المشأمة اليمين والشمال أو اليمن والشؤم أي الميامين على أنفسهم و
المشائيم عليها مؤصدة بالهمزة أبو عمرو وحمزة وحفص أوصدت الباب وآصدته
إذا أطبقته وأغلقته وعن أبي بكر بن عياش لنا إمام يهمز مؤصدة فأشتهي
أن أسد أذني إذا سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ لا أقسم بهذا
البلد أعطاه الله الأمان من غضبه يوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها و
السماء وما بناها والأرض وما طحاها ضحاها ضوؤها إذا أشرقت وقام سلطانها
ولذلك قيل وقت الضحى وكأن وجهه شمس الضحى وقيل الضحوة ارتفاع
النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد إذا امتد النهار وكرب أن

ينكسف إذا تلاها لا تلاها عند غروبها آخذا من نورها وذلك في النصف الأول من
الشهر وقيل إذا استدارت فتلاها في الضياء والنور إذا جلاها عند انتفاء الظلمة
وانبساطه لأن الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء وقيل الضمير للظلمة أو
للدنيا أو للأرض وإن لم يجر لها ذكر كقولهم أصبحت باردة يريدون الغداة أو
ارسلت يريدون السماء إذا يغشاها فتغيب وتظلم الآفاق فإن قلت الأمر في
نصب إذا مشكل لأنك لا تخلو إما أن تجعل الواوات عاطفة فتنصب بها وتجر
فتقع في العطف على عاملين في نحو قولك مررت أمس بزيد واليوم عمرو وإما أن
تجعلهن للقسم فتقع فيما اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه قلت الجواب
فيه أن واو القسم مطرح معها إبراز الفعل إطراحا كليا فكان لها شأن خلاف
شأن الباء حيث أبرز معها الفعل وأضمر فكانت الواو قائمة مقام الفعل
والباء سادة مسدهما معا والواوات العواطف نوائب عن هذه الواو
فحقهن أن يكن عوامل على الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر
خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما جعلت
ما مصدرية في قوله وما بناها وما طحاها وما سواها ليس بالوجه لقوله
فألهمها وما يؤدي إليه من فساد النظم والوجه أن تكون موصولة وإنما
أوثرت على من لإرادة معنى الوصفية كأنه قيل والسماء والقادر العظيم الذي
بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها وفي كلامهم سبحان ما سخركن

مشكل

في اكثر النسخ

على الفعل





لنا ونفس وما سويها فألهمها فجورها وتقويها قد أفلح من زكيها وقد
خاب من دسيها كذبت ثمود بطغويها إذ انبعث أشقيها فقال لهم رسول الله
ناقة الله وسقييها فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسويها
ولا يخاف عقبيها فإن قلت لم نكرت النفس قلت فيه وجهان أحدهما أن يريد
نفسا خاصة من بين النفوس وهي نفس آدم كأنه قيل وواحدة من النفوس
والثاني أن يريد كل نفس وينكر للتكثير على الطريقة المذكورة في قوله علمت
نفس ومعنى إلهام الفجور والتقوى إفهامهما وإعقالهما وأن أحدهما
حسن والآخر قبيح وتمكينه من اختيار ما شاء منهما بدليل قوله قد أفلح من زكيها
وقد خاب من دسيها فجعله فاعل التزكية والتدسية ومتوليهما والتزكية
الإنماء والإعلاء بالتقوى والتدسية النقص والإخفاء بالفجور وأصل
دسى دسس كما قيل في تقضض تقضى وسئل ابن عباس عنه فقال أتقرأ قد
أفلح من زكيها وقد خاب من دسيها وأما قول من زعم أن الضمير في زكى ودسى
لله وأن تأنيث الراجع إلى من لأنه في معنى النفس فمن تعكيس القدرية
الذين يوركون على الله قدرا هو بريء منه ومتعال عنه ويحيون لياليهم في
تمحل فاحشة ينسبونها إليه فإن قلت فأين جواب القسم قلت هو محذوف تقديره
ليدمدمن الله عليهم أي على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما
دمدم على ثمود لأنهم كذبوا صالحا وأما قد أفلح من زكيها فكلام تابع

لقوله فألهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم
تشبيه الباء في بطغواها مثلها في كتبت بالقلم والطغوى من الطغيان فصلوا بين
الاسم والصفة في فعلى من بنات الياء بأن قلبوا الياء واوا في الاسم وتركوا القلب
في الصفة فقالوا امرأة خزيا وصديا يعني فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول
ظلمني بجرأته على الله وقيل كذبت بما أوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله
فأهلكوا بالطاغية وقرأ الحسن بطغواها بضم الطاء كالحسنى والرجعى في
المصادر إذ انبعث أشقاها حين قام بتكذيبها أو بالطغوى وأشقاها قدار بن سالف
ويجوز أن يكون جماعة والتوحيد لتسويتك في أفعل التفضيل إذا أضفته
بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وكان يجوز أن يقال أشقوها كما تقول
أفاضلهم والضمير في لهم يجوز أن يكون للأشقين والتفضيل في الشقي لأن من تولى
العقر وباشره كانت شقاوته أظهر وأبلغ وناقة الله نصب على التحذير كقولك
الأسد الأسد والصبي الصبي بإضمار ذروا واحذروا عقرها وسقياها فلا تذودوها
عنها ولا تستأثروا بها عليها فكذبوه فيما حذرهم منه من نزول العذاب إن فعلوا
فدمدم عليهم فأطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة إذا
ألبسها الشحم بذنبهم بسبب ذنبهم وفيه إنذار عظيم بعاقبة الذنب فعلى كل
مذنب أن يعتبر ويحذر فسواها الضمير للدمدمة أي فسواها بينهم لم يفلت
منها صغيرهم ولا كبيرهم ولا يخاف عقباها عاقبتها وتبعتها كما يخاف كل معاقب من الملوك





فيبقي بعض الإبقاء ويجوز أن يكون الضمير لثمود على معنى فسواها بالأرض أو
في الهلاك ولا يخاف عقبى هلاكها وفي مصاحف أهل المدينة والشام فلا يخاف وفي حديث
النبي صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشمس فكأنما
تصدق بكل شيء تطلع عليه الشمس والقمر

بسم الله الرحمن الرحيم

والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى إن سعيكم لشتى
فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى
وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغني عنه ماله إذا تردى إن علينا
للهدى وإن لنا للآخرة والأولى المغشي إما الشمس من قوله والليل إذا
يغشاها وإما النهار من قوله يغشي الليل النهار وإما كل شيء يواريه بظلامه
من قوله إذا وقب والنهار إذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل أو تبين وتكشف بطلوع
الشمس وما خلق والقادر العظيم القدرة الذي قدر على خلق الذكر والأنثى
من ماء واحد وقيل هما آدم وحواء وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم والذكر
والأنثى وقرأ ابن مسعود والذي خلق الذكر والأنثى وعن الكسائي وما
خلق الذكر والأنثى بالجر على أنه بدل من محل ما خلق بمعنى وما خلقه الله أي
ومخلوق الله الذكر والأنثى وجاز إضمار اسم الله لأنه معلوم لانفراده
بالخلق إذ لا خالق سواه وقيل إن الله لم يخلق خلقا من ذوي الأرواح ليس بذكر

ولا أنثى ولا خنثى وإن الخنثى وإن أشكل أمره عندنا فهو عند الله غير مشكل معلوم با
لذكورة أو الأنوثة فلو حلف بالطلاق أنه لم يلق يومه ذكرا ولا أنثى وقد لقي
خنثى مشكلا كان حانثا لأنه في الحقيقة إما ذكر أو أنثى وإن كان مشكلا عندنا
إن سعيكم لشتى إن مساعيكم أشتات مختلفة وبيان اختلافها فيما فصل
على أثره أعطى يعني حقوق ماله واتقى الله فلم يعصه وصدق بالحسنى بالخصلة
الحسنى وهو الإيمان أو بالملة الحسنى وهي ملة الإسلام أو بالمثوبة الحسنى
وهي الجنة فسنيسره لليسرى فسنهيئه للخصلة التي تؤدي إلى يسر وراحة
والجنة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له والمعنى فسنلطف
به ونوفقه حتى تكون الطاعة أيسر الأمور عليه وأهونها من قوله
فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام وبخل واستغنى وزهد فيما
عند الله كأنه مستغن عنه فلم يتقه أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة
لأنه في مقابلة واتقى فسنيسره للعسرى فسنخذله ونمنعه الألطاف حتى
تكون الطاعة أعسر شيء عليه وأشده من قوله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما
يصعد في السماء أو سمى طريقة الخير باليسرى لأن عاقبتها اليسر وطريقة الشر
بالعسرى لأن عاقبتها العسر أو أراد بهما طريقي الجنة والنار أي فسنهديهما
في الآخرة للطريقين وقيل نزلتا في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفي أبي سفيان
ابن حرب وما يغني عنه ماله استفهام في معنى الإنكار أو نفي إذا تردى تفعل من الردى و

جب

~~جب علينا بنصب الدلائل وبيان الشرائع~~ وهو الهلاك يريد الموت
أو تردى في الحفرة إذا قبر أو تردى في قعر جهنم إن علينا للهدى إن الإرشاد إلى
الحق واجب علينا بنصب الدلائل وبيان الشرائع وإن لنا للآخرة والأولى
أي ثواب الدارين للمهتدي كقوله وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن
الصالحين فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى و
سيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا
ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى وقرأ أبو الزبير تتلظى
فإن قلت كيف قال لا يصلاها إلا الأشقى وسيجنبها الأتقى وقد علم أن كل شقي
يصلاها وكل تقي يجنبها لا يختص بالصلي أشقى الأشقياء ولا بالنجاة أتقى الأ
تقياء وإن زعمت أنه نكر النار فأراد نارا بعينها مخصوصة بالأشقى فما
تصنع بقوله وسيجنبها الأتقى فقد علم أن أفسق المسلمين يجنب تلك النار
المخصوصة لا الأتقى منهم خاصة قلت الآية واردة في الموازنة بين حالتي
عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فأريد أن يبالغ في صفتيهما المتناقضتين
فقيل الأشقى وجعل مختصا بالصلي كأن النار لم تخلق إلا له وقيل الأتقى وجعل
مختصا بالنجاة كأن الجنة لم تخلق إلا له وقيل هما أبو جهل أو أمية بن خلف و
أبو بكر رضي الله عنه يتزكى من الزكاء أي يطلب أن يكون عند الله زاكيا لا يريد به
رياء ولا سمعة أو يتفعل من الزكاة فإن قلت ما محل يتزكى قلت هو على وجهين

ان جعلته بدلا من يؤتي فلا محل له لانه داخل في حكم الصلة والصلات
لا محل لها وان جعلته حالا من الضمير في يؤتي فمحله النصب ابتغاء وجه ربه
الاعلى مستثنى من غير جنسه وهو النعمة اي ما لاحد عنده نعمة الا ابتغاء و
جه ربه كقولك ما في الدار احد الا حمارا وقرا يحيى بن وثاب الا ابتغاء و
جه ربه بالرفع على لغة من يقول ما في الدار احد الا حمار وانشد في اللغتين
قول بشر بن ابي حازم اضحت خلاء قفارا لا انيس بها الا الجآذر
والظلمان تختلف وقول القائل وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا
العيس ويجوز ان يكون ابتغاء وجه ربه مفعولا له على المعنى لان معنى
الكلام لا يؤتي ماله الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة ولسوف يرضى
موعد بالثواب الذي يرضيه ويقر عينه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له
اليسر

بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وللآخرة خير لك من الاولى و
لسوف يعطيك ربك فترضى الم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى و
وجدك عائلا فاغنى فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر واما بنعمة
ربك فحدث المراد بالضحى وقت الضحى وهو صدر النهار حين تر

تفع

ترتفع الشمس وتلقى شعاعها وقيل انما خص وقت الضحى بالقسم لانها الساعة
التي كلم فيها موسى عليه السلام والقي فيها السحرة سجدا لقوله وان
يحشر الناس ضحى وقيل اريد بالضحى النهار بيانه قوله ان ياتيهم باسنا
ضحى في مقابلة بياتا سجى سكن وركد ظلامه وقيل ليلة ساجية ساكنة
الريح وقيل معناه سكون الناس والاصوات فيه وسجا البحر سكنت امواجه
وطرف ساج ساكن فاتر ما ودعك جواب القسم ومعناه ما قطعك
قطع المودع وقرئ بالتخفيف بمعنى ما تركك قال وثم ودعنا آل عمرو
وعامر فرائس اطراف المثقفة السمر والتوديع مبالغة في الودع لان
من ودعك مفارق فقد بالغ في تركك روي ان الوحي تاخر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم اياما فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه وقيل
ان ام جميل امراة ابي لهب قالت له يا محمد ما ارى شيطانك الا قد
تركك فنزلت حذف الضمير من قلى كحذفه من الذاكرات في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات يريد والذاكراته ونحوه فآوى فهدى
فاغنى وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف فان قلت كيف اتصل قوله
وللآخرة خير لك من الاولى بما قبله قلت لما كان في ضمن نفي التوديع والقلى
ان الله مواصلك بالوحي اليك وانك حبيب الله ولا ترى كرامة اعظم من ذ
لك ولا نعمة اجل منه اخبره ان حاله في الآخرة اعظم من ذلك واجل وهو

التشفيع والتقدم على جميع أنبياء الله ورسله وشهادة أمته على سائر الأمم
ورفع درجات المؤمنين وإعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية
ولسوف يعطيك ربك فترضى موعد شامل لما أعطاه في الدنيا من الفلج والظفر بأ
عدائه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس في الدين أفواجا والغلبة
على قريظة والنضير وإجلائهم وبث عساكره وسراياه في بلاد العرب وما فتح
على خلفائه الراشدين في أقطار الأرض من المدائن وهدم بأيديهم من مما
لك الجبابرة وأنهبهم من كنوز الأكاسرة وما قذف في قلوب أهل الشرق والغرب
من الرعب وتهيب الإسلام وفشو الدعوة واستيلاء المسلمين و
لما ادخر له من الثواب الذي لا يعلم كنهه إلا الله قال ابن عباس له في
الجنة ألف قصر من لؤلؤ ترابه المسك فإن قلت ما هذه اللام
الداخلة على سوف قلت هي لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة و
المبتدأ محذوف تقديره ولأنت سوف يعطيك كما ذكرنا في لا أقسم
أن المعنى لأنا أقسم وذلك أنها لا تخلو من أن تكون لام قسم أو
ابتداء لا تدخل إلا على الجملة من المبتدأ والخبر فلا بد من تقدير مبتدأ
وخبر وأن يكون أصله ولأنت سوف يعطيك فإن قلت
ما معنى الجمع بين حرفي التوكيد والتأخير قلت معناه أن
العطاء كائن لا محالة وإن تأخر لما في التأخير من المصلحة عدد

عليه

٥٨٢

عليه نعمه وأياديه وأنه لم يخله منها من أول تربيه وابتداء
نشئه ترشيحا لما أراد به ليقيس المترقب من فضل الله على ما سلف
منه لئلا يتوقع إلا الحسنى وزيادة الخير والكرامة ولا يضيق صدره
ولا يقل صبره ألم يجدك من الوجود الذي بمعنى العلم والمنصوبان
مفعولا وجد والمعنى ألم تكن يتيما وذلك أن أباه مات وهو
جنين قد أتت عليه ستة أشهر وماتت أمه وهو ابن ثماني
سنين فكفله عمه أبو طالب وعطفه الله تعالى عليه
فأحسن تربيته ومن بدع التفاسير أنه من قولهم درة
يتيمة وأن المعنى ألم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فآواك
وقرئ فأوى وهو على معنيين إما من أواه بمعنى آواه سمع
بعض الرعاة يقول أين آوي هذه الموقسة وإما من أوى
له إذا رحمه ضالا معناه الضلال عن علم الشرائع وما طريقه
السمع كقوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان
وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فرده أبو جهل
إلى عبد المطلب وقيل أضلته حليمة عند باب مكة حين فطمته
وجاءت به لترده على عبد المطلب وقيل ضل في طريق الشام
حين خرج به أبو طالب فهداك فعرفك القرآن أنه كان

على

والرابع أو في زوال ضلالك عن جدك وعمك ومن قال كان على أمر قومه أربعين
سنة فإن أراد أنه كان على خلوهم عن العلوم السمعية فنعم وإن أراد أنه كان على
دينهم وكفرهم فمعاذ الله والأنبياء يجب أن يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها
من الكبائر والصغائر الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا أن نشرك
بالله من شيء وكفى بالنبي نقيصة عند الكفار أن يسبق له كفر عائلا فقيرا أو ذو
عيال كما في قوله وإن خفتم عيلة فأغنى فأغناك بمال خديجة أو بما أفاء عليك
من الغنائم قال صلى الله عليه وسلم جعل رزقي تحت ظل رمحي وقنعك فأغنى قلبك
فلا تقهر فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه وفي قراءة ابن مسعود فلا تكهر
وهو أن يعبس في وجهه وفلان ذو كهرورة عابس الوجه ومنه الحديث
فبأبي هو وأمي ما كهرني النهر الزجر وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا
رد السائل ثلاثا فلم يرجع فلا عليك أن تزبره وقيل أما إنه ليس بالسائل
المستجدي ولكن طالب العلم إذا جاءك فلا تنهره التحديث بنعمة الله
شكرها وإشاعتها يريد ما ذكره من نعمة الإيواء والهداية والإغناء
وما عدا ذلك وعن مجاهد بالقرآن فحدث أقرئه وبلغ ما أرسلت به
وعن عبد الله بن غالب أنه كان إذا أصبح يقول رزقني الله البارحة خيرا
قرأت كذا وصليت كذا فإذا قيل له يا أبا فراس أمثلك يقول مثل هذا
قال يقول الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وأنتم تقولون لا تحدث بنعمة

الله



الله وإنما يجوز مثل هذا إذا قصد به اللطف وأن يقتدي غيره وأمن على نفسه
الفتنة والستر أفضل ولو لم يكن فيه إلا التشبه بأهل الرياء والسمعة
لكفى به وفي قراءة علي رضي الله عنه فخبّر والمعنى أنك كنت يتيما وضالا وعائلا
فآواك الله وهداك وأغناك فمهما يكن من شيء وعلى ما خيلت فلا تنس
نعمة الله عليك في هذه الثلاث واقتد بالله فتعطف على اليتيم وآوه فقد
ذقت اليتم وهوانه ورأيت كيف فعل الله بك وترحم على السائل وتفقده
بمعروفك ولا تزجره عن بابك كما رحمك ربك فأغناك بعد الفقر وحدث
بنعمة الله كلها ويدخل تحته هدايته الضلال وتعليمه الشرائع والقرآن
مقتديا بالله في أن هداه من الضلال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرأ سورة الضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد أن يشفع له و
عشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل

بسم الله الرحمن الرحيم

ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك
فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا فإذا فرغت فانصب وإلى
ربك فارغب، استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار فأفاد إثبات
الشرح وإيجابه فكأنه قيل شرحنا لك صدرك ولذلك عطف عليه وضعنا
اعتبارا للمعنى ومعنى شرحنا صدرك فسحناه حتى وسع هموم النبوة

ودعوة الثقلين جميعا أو حتى احتمل المكاره التي يتعرض لك بها كفار قومك و
غيرهم أو فسحناه بما أودعناه من العلوم والحكم وأزلنا عنه الضيق والحرج
الذي يكون مع العمى والجهل وعن الحسن ملئ حكمة وعلما وعن أبي جعفر المنصور
أنه قرأ ألم نشرح بفتح الحاء وقالوا لعله بين الحاء وأشبعها في مخرجها فظن
السامع أنه فتحها والوزر الذي أنقض ظهرك أي حمله على النقيض وهو صوت
الانتقاض والانفكاك لثقله مثل لما كان يثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويغمه من فرطاته قبل النبوة أو من جهله بالأحكام والشرائع أو من تهالكه
على إسلام أولي العناد من قومه وتلهفه ووضعه عنه أن غفر له أو علم
الشرائع أو تمهيد عذره بعدما بلغ وبالغ وقرأ أنس وحللنا وحططنا
وقرأ ابن مسعود وحللنا عنك وقرك ورفع ذكره أن قرن بذكر الله في
كلمة الشهادة والأذان والإقامة والتشهد والخطب وفي غير موضع من القرآن
والله ورسوله أحق أن يرضوه ومن يطع الله ورسوله وأطيعوا الله وأ
طيعوا الرسول وفي تسميته رسول الله ونبي الله ومنه ذكره في كتب الأولين
والأخذ على الأنبياء وأممهم أن يؤمنوا به فإن قلت أي فائدة في زيادة لك والمعنى
مستقل بدونه قلت في زيادة لك ما في طريقة الإبهام والإيضاح كأنه قيل
ألم نشرح لك ففهم أن ثم مشروحا ثم قيل صدرك فأوضح ما علم مبهما وكذلك
لك ذكرك وعنك وزرك فإن قلت كيف تعلق قوله فإن مع العسر يسرا بما قبله

قلت



قلت كان المشركون يعيرون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالفقر و
الضيقة حتى سبق إلى وهمه أنهم رغبوا عن الإسلام لافتقار أهله واحتقا
رهم فذكره ما أنعم به عليه من جلائل النعم ثم قال فإن مع العسر يسرا كأنه
قال خولناك ما خولناك فلا تيأس من فضل الله فإن مع العسر الذي أنتم
فيه يسرا فإن قلت إن مع للصحبة فما معنى اصطحاب اليسر والعسر قلت
أراد أن الله يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب فقرب
اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة في التسلية وتقوية
القلوب فإن قلت ما معنى قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما لن
يغلب عسر يسرين وقد روي مرفوعا أنه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين قلت هذا حمل على الظاهر
وبناء على قوة الرجاء وأن موعد الله لا يحمل إلا على أوفى ما يحتمله اللفظ وأبلغه
والقول فيه أنه يحتمل أن تكون الجملة الثانية تكريرا للأولى كما كرر قوله ويل يو
مئذ للمكذبين لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب وكما يكرر المفرد
في قولك جاءني زيد زيد وأن تكون الأولى عدة بأن العسر مردوف بيسر لا
محالة والثانية عدة مستأنفة بأن العسر متبوع بيسر فهما يسران على تقد
ير الاستئناف وإنما كان العسر واحدا لأنه لا يخلو إما أن يكون تعريفه للعهد
وهو العسر الذي كانوا فيه فهو هو لأن حكمه حكم زيد في قولك إن مع

زيد مالاً ان مع زيد مالاً واما ان يكون للجنس الذي يعلمه كل احد فهو ايضاً
واما اليسر فمنكر متناول لبعض الجنس فاذا كان الكلام الثاني مستأنفاً غير
مكرر فقد تناول بعضاً غير البعض الاول بغير اشكال فان قلت فما المراد
باليسرين قلت يجوز ان يراد بهما ما تيسر لهم من الفتوح في ايام رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما تيسر لهم في ايام الخلفاء وان يراد يسر الدنيا ويسر
الآخرة كقوله قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين وهما حسنى الظفر
وحسنى الثواب فان قلت فما معنى هذا التنكير قلت التفخيم كأنه قيل ان مع العسر
يسراً عظيماً واي يسر وهو في مصحف ابن مسعود مرة واحدة فان قلت فاذا
ثبت في قراءته غير مكرر فلم قال والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه
اليسر حتى يدخل عليه انه لن يغلب عسر يسرين قلت كأنه قصد باليسرين
ما في قوله يسراً من معنى التفخيم فتأوله بيسر الدارين وذلك يسران
في الحقيقة فان قلت فكيف تعلق قوله فاذا فرغت فانصب بما قبله قلت لما عدد
عليه نعمه السالفة ووعده الآنفة بعثه على الاجتهاد والشكر في العبادة والنصب
فيها وان يواصل بين بعضها وبعض ويتابع ويحرص على ان لا يخلي وقتاً من اوقاته
منها فاذا فرغ من عبادة ذنبها باخرى وعن ابن عباس رضي الله عنه فاذا فرغت من
صلاتك فاجتهد في الدعاء وعن الحسن فاذا فرغت من الغزو فاجتهد في
العبادة وعن مجاهد فاذا فرغت من دنياك فانصب في صلاتك وعن الشعبي

الشعبي



الشعبي انه رأى رجلاً يشيل حجراً فقال ليس بهذا امر الفارغ وقعود
الرجل فارغاً من غير شغل او اشتغاله بما لا يعنيه في دينه او دنياه من سفه
الرأي وسخافة العقل واستيلاء الغفلة ولقد قال عمر رضي الله عنه اني لاكره
ان ارى احدكم فارغاً سبهللاً لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة وقرأ
ابو السمال فرغت بكسر الراء وليست بفصيحة ومن البدع ما روي عن بعض
الرافضة انه قرأ فانصب بكسر الصاد اي فانصب علياً للامامة ولو صح هذا
للرافضي لصح للناصبي ان يقرأ هكذا ويجعله امراً بالنصب الذي هو
بغض علي وعداوته والى ربك فارغب واجعل رغبتك اليه خصوصاً ولا
تسأل الا فضله متوكلاً عليه وقرئ فرغب اي رغب الناس الى طلب ما
عنده عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الم نشرح فكأنما جاءني وانا مغتم
ففرج عني

بسم الله الرحمن الرحيم

والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصا
لحات فلهم اجر غير ممنون فما يكذبك بعد بالدين أليس الله باحكم الحا
كمين اقسم بهما لانهما عجيبان من بين اصناف الاشجار المثمرة وروي انه
اهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا

فلو قلت أن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلو
فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وعن معاذ بن جبل أنه
الزيتون فأخذ منه قضيبا واستاك به وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب با
لحفر وهي سواكي وسواك الأنبياء قبلي وعن ابن عباس
هو تينكم هذا وزيتونكم وقيل جبلان من الأرض المقدسة يقال لهما بالسريانية
طور تينا وطور زيتا لأنهما منبتا التين وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمذان
والزيتون جبال الشام لأنها منابتهما كأنه قيل ومنابت التين والزيتون
وأضيف الطور وهو الجبل إلى سينين وهي البقعة ونحو سينون يبرون
في جواز الإعراب بالواو والياء والإقرار على الياء وتحريك النون بحركة
الإعراب وهذا البلد يعني مكة حماها الله والأمين من أمن الرجل أمانة فهو
أمين وقيل أمانة كما قيل كتاب أي كريم وأمانته أنه يحفظ من دخله كما
يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه ويجوز أن يكون فعيلا بمعنى مفعول من
أمنه لأنه مأمون الغوائل كما وصف بالأمن في قوله حرما آمنا بمعنى ذي
أمن ومعنى القسم بهذه الأشياء الإبانة عن شرف البقاع المباركة و
ما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الأنبياء والصالحين فمنبت التين
والزيتون مهاجر إبراهيم ومولد عيسى عليه السلام ومنشأه والطور

المكان



المكان الذي نودي منه موسى ومكة مكان البيت الذي هو هدى للعالمين
ومولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبعثه في أحسن تقويم في أحسن تعديل
بشكله وصورته وتسوية لأعضائه ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمة تلك
الخلقة الحسنة القويمة السوية أن رددناه أسفل سافلين أسفل خلقا وتركيبا يعني
أقبح من قبح صورة وأشوهه خلقة وهم أصحاب النار أو أسفل من سفل أهل
الدركات أو ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين أسفل من سفل في حسن الصورة
والشكل حيث نكسناه في خلقه فتقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد
سواده وتشنن جلده بعدما كان بضا وكل سمعه وبصره وكانا حديدين وتغير كل شيء
منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف وقوله إلا الذين
أسفل السافلين فإن قلت فكيف الاستثناء على المذهبين قلت هو على الأول متصل ظاهر
الاتصال وعلى الثاني منقطع يعني ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب
دائم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله بالشيخوخة والهرم وعلى
مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم فإن قلت فما يكذبك
المخاطب به قلت هو خطاب للإنسان على طريقة الالتفات أي فما يجعلك كاذبا
بسبب الدين وإنكاره بعد هذا الدليل يعني أنك تكذب إذا كذبت بالجزاء
لأن كل مكذب بالحق فهو كاذب فأي شيء يضطرك إلى أن تكون كاذبا بسبب تكذيب الجزاء
والباء مثلها في قوله الذين يتولونه والذين هم به مشركون والمعنى أن خلق الإنسان

من نطفة وتقويمه بشراً سوياً وتدريجه في مراتب الزيادة إلى أن يكمل ويستوي ثم تنكيسه إلى أن يبلغ أرذل العمر لا ترى دليلاً أوضح منه على قدرة الخالق وأن من قدر على خلق الإنسان على هذا كله لم يعجز عن إعادته فما سبب تكذيبك أيها الإنسان بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أليس الله بأحكم الحاكمين وعيد للكفار وأنه يحكم عليهم بما هم أهله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قرأها قال بلى وأنا على ذلك من الشاهدين وحديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التين أعطاه الله خصلتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا وإذا مات أعطاه الله من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى إن إلى ربك الرجعى أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أرأيت إن كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى عن ابن عباس ومجاهد هي أول سورة نزلت وأكثر المفسرين على أن الفاتحة أول ما نزل ثم سورة القلم محل باسم ربك النصب على الحال أي اقرأ مفتتحاً باسم ربك قل بسم الله ثم اقرأ فإن قلت كيف قال الذي خلق فلم يذكر له مفعولاً ثم قال خلق الإنسان فكلن



هو على وجهين إما أن لا يقدر له مفعول وأن يراد أنه الذي حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه وإما أن يقدر ويراد خلق كل شيء فيتناول كل مخلوق لأنه مطلق فليس بعض المخلوقات أولى بتقديره من بعض وقوله خلق الإنسان تخصيص للإنسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لأن التنزيل إليه وهو أشرف ما على الأرض ويجوز أن يراد الذي خلق الإنسان كما قال الرحمن علم القرآن خلق الإنسان فقيل الذي خلق مبهماً ثم فسره بقوله خلق الإنسان تفخيماً لخلق الإنسان ودلالة على عجيب فطرته فإن قلت لم قال من علق على الجمع وإنما خلق من علقة كقوله تعالى من نطفة ثم من علقة قلت لأن الإنسان في معنى الجمع كقوله إن الإنسان لفي خسر الأكرم الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كريم ينعم على عباده النعم التي لا تحصى ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهي واطراحهم الأوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم فما لكرمه غاية ولا أمد وكأنه ليس وراء التكرم بإفادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو وما دونت العلوم ولا قيدت

الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة ولولا
الكتابة ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق
حكمة الله ولطيف تدبيره دليل إلا أمر القلم والخط لكفى به ولبعضهم
في صفة القلم ورواقم رقش كمثل أراقم قطف الخطى نيالة أقصى
المدى سود القوائم ما يجد مسيرها إلا إذا لعبت بها بيض المدى
وقرأ ابن الزبير علم الخط بالقلم كلا ردع لمن كفر بنعمة الله عليه
بطغيانه وإن لم يذكر لدلالة الكلام عليه أن رآه أن رأى نفسه يقال
في أفعال القلوب رأيتني وعلمتني وذلك بعض خصائصها ومعنى الرؤية
العلم ولو كانت بمعنى الإبصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين
واستغنى هو المفعول الثاني إن إلى ربك الرجعى واقع على
طريقة الالتفات إلى الإنسان تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان
والرجعى مصدر كالبشرى بمعنى الرجوع وقيل نزلت في أبي جهل
وكذلك أرأيت الذي ينهى ويروى أنه قال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم أتزعم أن من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا
لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل فقال
إن شئت فعلنا ذلك ثم إن لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا بأصحاب
المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء إبقاء عليهم ويروى

عنه لعنه الله أنه قال هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم قالوا نعم قال فوالذي
يحلف به لئن رأيته لأطأن عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له
ما لك يا أبا الحكم فقال إن بيني وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة فنزلت
أرأيت الذي ينهى ومعناه أخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته
إن كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله أو كان آمرا
بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقد وكذلك إن
كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح كما نقول نحن ألم يعلم
بأن الله يرى ويطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب
ذلك وهذا وعيد فإن قلت ما متعلق أرأيت قلت الذي ينهى مع الجملة
الشرطية وهما في موضع المفعولين فإن قلت فأين جواب الشرط قلت
هو محذوف تقديره إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى ألم يعلم بأن الله يرى
وإنما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني فإن قلت فكيف صح أن
يكون ألم يعلم جوابا للشرط قلت كما صح في قولك إن أكرمتك أتكرمني وإن
أحسن إليك زيد هل تحسن إليه فإن قلت فما أرأيت الثانية وتوسطها بين
مفعولي أرأيت قلت هي زائدة مكررة للتوكيد ومعنى الحديث أن أمية بن
خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة كلا ردع لأبي جهل لئن لم ينته لنسفعا بالناصية
ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد

وأقترب [illegible] كلا ردع لأبي جهل وخسأ عن نهيه عن عبادة الله وأمره
بعبادة اللات ثم قال لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعا بالناصية لنأخذن بناصيته
ولنسحبنه بها إلى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة قال
قوم إذا سمع الصريخ رأيتهم من بين ملجم مهره أو سافع
وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرأ ابن مسعود لأسفعا و
كتبتها في المصحف بالألف على حكم الوقف ولما علم أنها ناصية المذكور اكتفى
بلام العهد عن الإضافة ناصية بدل من الناصية وجاز بدلها عن المعرفة
وهي نكرة لأنها وصفت فاستقلت بالفائدة وقرئت ناصية على هي ناصية وناصية
بالنصب وكلاهما على الشتم ووصفها بالكذب والخطأ على الإسناد المجازي
وهما في الحقيقة لصاحبها وفيه من الجزالة ما ليس في قولك
ناصية كاذب خاطئ والنادي المجلس الذي ينتدي فيه القوم أي
يجتمعون والمراد أهل النادي كما قال جرير لهم مجلس صهب السبال
أذلة وقال زهير وفيهم مقامات حسان وجوههم وأندية
المجلس روي أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال
ألم أنهك فأغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتهددني وأنا أكثر
أهل الوادي ناديا فنزلت وقرأ ابن أبي عبلة سيدعى الزبانية
على البناء للمفعول والزبانية في كلام العرب الشرط الواحد زبنية

كعفرية



كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبني وكأنه نسب إلى الزبن
ثم غير للنسب كقولهم إنسي وأصله زباني فقيل زبانية
على التعويض والمراد ملائكة العذاب وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا كلا ردع لأبي جهل لا تطعه
أي اثبت على ما أنت عليه من عصيانه كقوله فلا تطع المكذبين
واسجد ودم على سجودك يريد الصلاة واقترب وتقرب إلى ربك
وفي الحديث أقرب ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق أعطي من الأجر كأنما قرأ
المفصل كله

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف
شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع
الفجر عظم القرآن من ثلاثة أوجه أحدها أنه أسند إنزاله إليه وجعله مختصا
به دون غيره والثاني أنه جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء
عن التنبيه عليه والثالث الرفع من مقدار الوقت الذي أنزل فيه روي
أنه أنزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وأملاه
جبريل على السفرة ثم كان ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين

معنى الكتابة

السفرة الكرام البررة وهم الملائكة في السماء الدنيا

سنة وعن الشعبي المعنى إنا ابتدأنا إنزاله في ليلة القدر واختلفوا في وقتها
فأكثرهم على أنها في شهر رمضان في العشر الأواخر في أوتارها وأكثر القول أنها السا
بعة منها ولعل الداعي إلى إخفائها أن يحيي من يريدها الليالي الكثيرة طلبا لموا
فقتها فتكثر عبادته ويتضاعف ثوابه وأن لا يتكل الناس عند إظهارها على إصا
بة الفضل فيها فيفرطوا في غيرها ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الأمور وقضا
ئها لقوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم وقيل سميت بذلك لخطرها وشرفها على
سائر الليالي وما أدراك ما ليلة القدر يعني ولم تبلغ درايتك غاية فضلها
ومنتهى علو قدرها ثم بين له ذلك بأنها خير من ألف شهر وسبب ارتقاء فضلها
ومنتهى علو قدرها إلى هذه الغاية ما يوجد فيها من المصالح الدينية
التي ذكرها من تنزل الملائكة والروح وفصل كل أمر حكيم وذكر في تخصيص
هذه المدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني إسرائيل لبس السلاح
في سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت إليهم أعمالهم فأعطوا
ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل إن الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد
حتى يعبد الله ألف شهر فأعطوا ليلة إن أحيوها كانوا أحق بأن يسموا عابد
ين من أولئك العباد تنزل إلى السماء الدنيا وقيل إلى الأرض والروح جبر
يل وقيل خلق من الملائكة لا يراهم الملائكة إلا تلك الليلة من أجل كل أمر تنزل
من أجل كل أمر قضاه الله لتلك السنة إلى قابل وقرئ من كل امرئ أي من أجل كل إنسان

ليس فيها ليلة القدر

أي بالنسبة إليهم

قيل

قيل لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة إلا سلموا عليه في تلك الليلة سلام هي ما هي إلا سلا
مة لا يقدر الله فيها إلا السلامة والخير ويقضي في غيرها بلاء وسلامة أو ما هي
إلا سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين وقرئ مطلع بفتح اللام وكسرها عن ر
سول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر أعطي من الأجر كمن صام ر
مضان وأحيا ليلة القدر

## بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة
رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق الذين أوتوا
الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة لما كان الكفار من أهل
يعني أهل الكتاب وعبدة الأصنام يقولون قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
لا ننفك مما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو
مكتوب في التورية والإنجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله ما كانوا يقولونه
ثم قال وما تفرق الذين أوتوا الكتاب يعني أنهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والا
تفاق على الحق إذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا أقرهم على الكفر إلا
مجيء الرسول ونظيره في الكلام أن يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لست بمنفك
مما أنا فيه حتى يرزقني الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه

لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست رأسك في الفسق إلا بعد اليسار
يذكره ما كان يقوله توبيخا وإلزاما وانفكاك الشيء من الشيء أن يزايله بعد
التحامه به كالعظم إذا انفك من مفصله والمعنى أنهم متشبثون بدينهم لا يتركونه
إلا عند مجيء البينة والبينة القرآن أو هي ثابتة بينة ما في الصحف الأولى ورسول
من الله جبرئيل وهو التالي للصحف المطهرة المنتسخة من اللوح التي تكون في
سورة عبس والأصح أن المضاف محذوف وهو الوحي ونحوه أي إن النبي صلى الله عليه
وسلم فإن قلت كيف نسب تلاوة الصحف المطهرة إليه وهو أمي قلت إذا تلا مثل
المسطور فيها كان تاليا والبينة أعني الفاتحة ورسول بدل من البينة وفي قراءة
عبد الله رسولا حالا من البينة صحفا قراطيس مطهرة من الباطل فيها كتب مكتوبة
قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والعدل والمراد بتفرقهم تفرقهم عن الحق
انقشاعهم عنه أو تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من أنكر وقال ليس
به ومنهم من عرف وعاند فإن قلت لم جمع بين أهل الكتاب والمشركين أولا ثم
أفرد أهل الكتاب في قوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب قلت لأنهم كانوا على
علم به لوجوده في كتبهم فإذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له أدخل في
هذا الوصف وما أمروا يعني في التوراة والإنجيل إلا بالدين الحنيفي ولكنهم
حرفوا وبدلوا وذلك دين القيمة أي دين الملة القيمة وقرئ وذلك الدين
القيمة على تأويل الدين بالملة فإن قلت ما وجه قوله وما أمروا إلا ليعبدوا

الله قلت معناه وما أمروا في الكتابين إلا لأجل أن يعبدوا الله على هذه الصفة
وقرأ ابن مسعود إلا أن يعبدوا بمعنى بأن يعبدوا إن الذين كفروا من أهل
الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية إن الذين آمنوا و
عملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من
تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي
ربه وقرأ نافع البريئة بالهمز والقراء على التخفيف والنبي والبرية مما استمر
الاستعمال على التخفيف ورفض الأصل وقرئ خيار البرية جمع خير كجياد وطياب في
جيد وطيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ لم يكن كان يوم القيامة مع خير
البرية مساء ومقيلا

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان
ما لها يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها يومئذ يصدر الناس أشتاتا
ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا
يره قرئ زلزالها بكسر الزاي وفتحها فالمكسور مصدر والمفتوح اسم
وليس في الأبنية فعلال بالفتح إلا في المضاعف فإن قلت ما معنى زلزالها بالإ
ضافة قلت معناه زلزالها الذي تستوجبه في الحكمة ومشيئة الله وهو الزلزال
الشديد الذي ليس بعده ونحوه قولك أكرم التقي إكرامه وأهن الفاسق

اهانته تريد ما يستوجبانه من الاكرام والاهانة او زلزالها كله وجميع
ما هو ممكن منه الاثقال جمع ثقل وهو متاع البيت وتحمل اثقالكم جعل ما في جوفها
من الدفائن اثقالا لها وقال الانسان ما لها زلزلت هذه الزلزلة الشديدة و
لفظت ما في بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ امواتها احياء
فيقولون ذلك لما يبهرهم من الامر الفظيع كما يقولون من بعثنا من مرقدنا
وقيل هذا قول الكافر لانه كان لا يؤمن بالبعث فاما المؤمن فيقول هذا ما
وعد الرحمن وصدق المرسلون فان قلت ما معنى تحديث الارض والا
يحاء لها قلت هو مجاز عن احداث الله فيها من الاحوال ما يقوم مقام
التحديث باللسان حتى ينظر من يقول ما لها الى تلك الاحوال فيعلم لم زلزلت
ولم لفظت الاموات وان هذا ما كانت الانبياء ينذرونه ويحذرون منه
وقيل ينطقها الله على حقيقته وتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروي عن ر
سول الله صلى الله عليه وسلم تشهد على كل احد بما عمل على ظهرها فان قلت اذا و
يومئذ ما ناصبهما قلت يومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث ويجوز ان
ينتصب اذا بمضمر ويومئذ بتحدث فان قلت اين مفعولا تحدث قلت
قد حذف اولهما والثاني اخبارها واصله تحدث الخلق اخبارها فان قلت
بم تعلقت الباء في قوله بان ربك قلت بتحدث معناه تحدث اخبارها بسبب
ايحاء ربك لها وامره اياها بالتحديث ويجوز ان يكون المعنى يومئذ تحدث

بتحديث



بتحديث ان ربك اوحى لها اخبارها على ان تحديثها بان ربك اوحى لها تحديث
باخبارها كما تقول نصحتني كل نصيحة بان نصحتني في الدين ويجوز ان يكون
بان ربك بدلا من اخبارها كانه قيل يومئذ تحدث باخبارها بان ربك اوحى
لها لانك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا واوحى لها بمعنى اوحى اليها
وهو مجاز كقوله ان نقول له كن فيكون قال اوحى لها القرار فاستقرت
وقرا ابن مسعود تنبئ اخبارها وسعيد بن جبير تنبي بالتخفيف يصدرون
عن مخارجهم من القبور الى الموقف اشتاتا بيض الوجوه آمنين وسود
الوجوه فزعين او يصدرون عن الموقف اشتاتا يتفرق بهم طريقا الجنة
والنار ليروا جزاء اعمالهم وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ليروا بالفتح وقرا
ابن عباس وزيد بن علي يره بالضم ويحكى ان اعرابيا اخر خيرا يره فقيل له
قدمت واخرت فقال خذا بطن هرشى او قفاها فانه كلا جانبي هرشى
لهن طريق والذرة النملة الصغيرة وقيل الذر ما يرى في شعاع الشمس من
الهباء فان قلت حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن معفوة باجتناب
الكبائر فما معنى الجزاء بمثاقيل الذر من الخير والشر قلت المعنى فمن يعمل
مثقال ذرة خيرا من فريق السعداء ومن يعمل مثقال ذرة شرا من فريق
الاشقياء لانه جاء بعد قوله يصدر الناس اشتاتا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرا القرآن كله

بسم الله الرحمن الرحيم

والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فأثرن به نقعا فوسطن
به جمعا إن الإنسان لربه لكنود وإنه على ذلك لشهيد وإنه لحب الخير لشديد
أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور إن ربهم بهم يومئذ
لخبير أقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح والضبح صوت أنفاسها إذا عدت
وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه حكاه فقال أح أح قال عنترة العبسي
والخيل تكدح حين تضبح في حياض الموت ضبحا وانتصاب ضبحا على يضبحن ضبحا
أو بالعاديات فإنه قيل والضابحات لأن الضبح يكون مع العدو أو على الحال أي ضا
بحات فالموريات فالتي توري النار والحباحب وهي ما تنقدح من حوافرها قدحا فالقا
دحات بحوافرها الحجارة والقدح الصك والإيراء إخراج النار تقول قد
ح الزند فأورى وقدح فأصلد وانتصاب قدحا كانتصاب ضبحا فالمغيرات
تغير على العدو صبحا أي وقت الصبح فأثرن به فهيجن بذلك الوقت
غبارا أو فوسطن به بذلك الوقت أو بالنقع أي وسطن النقع الجمع أو
فوسطن ملتبسات به جمعا من جموع الأعداء ووسطه بمعنى توسطه
وقيل الضمير لمكان الغارة وقيل للعدو الذي دل عليه والعاديات ويجوز أن
يراد بالنقع الصياح من قوله عليه السلام ما لم يكن نقع ولا لقلقة وقول

لبيد



لبيد فمتى ينقع صراخ صادق فهيجن في المغار عليهم صياحا وجلبة
وقرئ فأثرن بالتشديد بمعنى فأظهرن به غبارا لأن التأثير فيه معنى
الإظهار أو قلب ثورن إلى وثرن وقلب الواو همزة وقرئ فوسطن بالتشديد
للتعدية والباء مزيدة للتأكيد كقوله وأتوا به أو للمبالغة في وسطن و
عن ابن عباس كنت جالسا في الحجر فجاءني رجل فسألني عن العاديات فقلت الخيل
تقاتل بالخيل ثم انقلب إلى علي وهو تحت سقاية زمزم فسأله وذكر له ما قلت
فقال ادعه لي فلما وقفت على رأسه قال تفتي الناس بما لا علم لك به والله إن
كانت لأول غزوة في الإسلام بدر وما كان معنا إلا فرسان فرس للزبير و
فرس للمقداد والعاديات ضبحا الإبل من عرفة إلى المزدلفة ومن المزدلفة
إلى منى فإن صحت الرواية فقد استعير الضبح لها كما استعير المشافر و
الحافر للإنسان والشفتان للمهر والثفر للثور وما أشبه ذلك وقيل الضبح
لا يكون إلا للفرس والكلب والثعلب وقيل الضبح بمعنى الضبع يقال ضبعت
الإبل وضبحت إذا مدت أضباعها في السير وليس بثبت وجمعا هو المزدلفة
فإن قلت علام عطف فأثرن قلت على الفعل الذي وضع اسم الفا
عل موضعه لأن المعنى واللاتي عدون فأغرن فأثرن الكنود
الكفور وكند النعمة كنودا ومنه سمي كندة لأنه كند أباه ففارقه
وعن الكلبي الكنود بلسان كندة العاصي وبلسان بني مالك البخيل وبلسان

وبلسان مضر وربيعة الكفور يعني أنه لنعمة ربه خصوصا لشديد الكفران لأن
تفريطه في شكر نعمة غير الله تفريط قريب لمقاربة النعمة لأن أجل ما أنعم به على الإنسان
من نعمة أبويه ثم إن عظماها بجنب أدنى نعمة الله قليلة ضئيلة وإنه وإن الإنسان
على ذلك على كنوده لشهيد يشهد على نفسه ولا يقدر أن يجحده لظهور أمره
وقيل وإن الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد لحب الخير المال من قوله إن ترك
خيرا والشديد البخيل الممسك يقال فلان شديد ومتشدد قال طرفة أرى
الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد يعني وإنه لأ
جل حب المال وأن إنفاقه يثقل عليه لبخيل ممسك أو أراد بالشديد القوي وإنه
لحب المال وإيثار الدنيا وطلبها قوي مطيق وهو لحب عبادة الله وشكر
نعمه ضعيف متقاعس تقول هو شديد لهذا الأمر وقوي له إذا كان مطيقا له
ضابطا أو أراد أنه لحب الخيرات غير هش منبسط ولكن شديد منقبض بعثر
بعث وقرئ بحثر وبحث وحصل على بنائهما للفاعل وحصل بالتخفيف
ومعنى حصل جمع في الصحف أي أظهر محصلا مجموعا وقيل ميز بين خيره
وشره ومنه قيل للمنخل المحصل ومعنى علمه بهم يوم القيامة مجازاته لهم
على مقادير أعمالهم لأن ذلك أثر خبره بهم وقرأ أبو السمال إن ربهم بهم
يومئذ خبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعاديات
أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

بسم



بسم الله الرحمن الرحيم

القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث
وتكون الجبال كالعهن المنفوش فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية و
أما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ما هيه نار حامية الظرف
نصب بمضمر دلت عليه القارعة أي تقرع يوم يكون الناس كالفراش المبثوث
شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير إلى الداعي
من كل جانب كما يتطاير الفراش إلى النار قال جرير إن الفرزدق ما علمته
وقومه مثل الفراش غشين نار المصطلي وفي أمثالهم أضعف من فراشة
وأذل وأجهل وسمي فراشا لتفرشه وانتشاره وشبه الجبال بالعهن
وهو الصوف المصبغ ألوانا لأنها ألوان وبالمنفوش منه لتفرق أجزائها
وقرأ ابن مسعود كالصوف الموازين جمع موزون وهو العمل الذي له
وزن وخطر عند الله أو جمع ميزان وثقلها رجحانها ومنه حديث أبي
بكر رضي الله عنه لعمر في وصيته له وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم
يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه
إلا الحسنات أن يثقل وإنما خفت موازين من خفت باتباعهم الباطل
وخفته في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه إلا السيئات أن يخف

موازينه

قوله إلى الداعي يعني الملك الذي يدعوهم قال تعالى يوم يدع الداع إلى شيء نكر

قوله وثقلها الضمير يعود إلى الحق وإنما أنثه لأن المراد به الأعمال الصالحة والحسنات وكذا أنث الضمير في خفتها لأن المراد بالباطل السيئات والأعمال القبيحة ... ثقيلة صعبة ... على النفس

فامه هاوية من قولهم اذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت امه لانه اذا هوى
اى سقط وهلك فقد هوت امه ثكلا وحزنا فاذا هوت امه ما يبعث الصبح غاديا
وماذا يؤدى الليل حين يؤوب فكانه قيل واما من خفت موازينه فقد هلك و
قيل الهاوية من اسماء النار وكانها النار العميقة لهوى اهل النار فيها
مهوى بعيدا كما روى يهوى فيها سبعين خريفا اى فماواه النار وقيل للماوى ام
على التشبيه لان الام ماوى الولد ومفزعه وعن قتادة فامه هاوية فام راسه
هاوية في قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا وما ادريك ماهيه ضمير الداهية التى دل عليها قوله
فامه هاوية في التفسير الاول او للهاوية والهاء للسكت واذا وصل القراء
حذفها وقيل حقه ان لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة في
المصحف وقد اجيز اثباتها مع الوصل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون
كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسئلن
يومئذ عن النعيم الهاه عن كذا وافهاه اذا شغله والتكاثر التبارى
في الكثرة والتباهى بها وان يقول هؤلاء نحن اكثر وهؤلاء نحن اكثر روى
ان بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا ايهم اكثر عددا فكثرهم بنو عبد مناف

فقالت



فقالت بنو سهم ان البغى اهلكنا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات
فكثرتهم بنو سهم والمعنى انكم تكاثرتم بالاحياء حتى اذا استوعبتم عددهم
صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر
تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان عند
تفاخرهم والمعنى الهيكم ذلك وهو مما لا يعنيكم ولا يجدى عليكم في
دنياكم وآخرتكم عما يعنيكم من امر الدين الذى هو اهم واعنى من كل
ما عداه او الهيكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم
مضيعين اعماركم في طلب الدنيا والاستباق اليها والتهالك عليها الى ان
اتيكم الموت لا هم لكم غيرها عما هو اولى بكم من السعى لعاقبتكم والعمل
لآخرتكم وزيارة القبور عبارة عن الموت قال لن يخلص العام خليل
عشرا ذاق الضماد او يزور القبرا وقرئ أالهيكم على
الاستفهام الذى بمعنى التقرير كلا ردع وتنبيه على انه لا ينبغى للناظر
لنفسه ان يكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه سوف تعلمون انذار
ليخافوا فينتبهوا عن غفلتهم والتكرير تاكيد للردع والانذار عليهم
وفى ثم دلالة على ان الانذار الثانى ابلغ من الاول واشد كما تقول
للمنصوح اقول لك ثم اقول لك لا تفعل والمعنى سوف تعلمون الخطا
فيما انتم عليه اذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله وان هذا التنبيه نصيحة

لكم ورحمة عليكم ثم كرر التنبيه ابقاء وقال لو تعلمون محذوف الجواب يعني
لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اى كعلمكم ما تستيقنونه من الامور
موبالغ لكن يعلمها لفعلتم مالا يوصف ولا يكتنه ولكنكم ضلال جهلة
ثم قال لترون الجحيم فبين لهم ما انذرهم منه واوعدهم به وقدمه
ما في ابهامه الذي بعد ابهامه من تفخيم وتعظيم وهو جواب قسم
محذوف والقسم لتوكيد الوعيد سواء ما اوعدوا به ما لا مدخل فيه
للريب وكرره معطوفا بثم تغليظا في التهديد وزيادة في التهويل و
قرئ لترون بالضم وهو شاذ هنا فان قلت لم التكليف والواو
المضمومة قبلها همزة فبابك متلوة قلت ذلك في الواو التي ضمتها لازمة
وهذه عارضة لالتقاء الساكنين وقرئ لترون ولترونها على البناء
للمفعول عين اليقين اي الرؤية التي هي نفس اليقين وخالصة وذلك انه اراد
بالرؤية العلم والابصار ثم لتسألن يومئذ عن النعيم عن اللهو والتنعم الذي شغلكم الالتذاذ
به عن الدين وتكاليفه فان قلت ما النعيم الذي يسئل عنه الانسان ويعاتب
عليه فما من احد الا وله نعيم قلت هو نعيم من عكف همته على استيفاء اللذات
ولا يعيش الا ليأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع اوقاته باللهو والطرب
لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فاما من تمتع بنعمة الله وارزاقه
التي لم يخلقها الا لعباده وتقوى بها على دراسة العلم والقيام بالعمل وكان ناهضا

بالشكر

597

بالشكر فهو عن ذلك بمعزل واليه اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى انه
اكل هو واصحابه تمرا وشربوا عليه ماء فقال الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وجعلنا
مسلمين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ الهاكم التكاثر لم يحاسبه الله
بالنعيم الذي انعم به عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرأ الف
آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتوا
صوا بالصبر اقسم بصلوة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى والصلوة
الوسطى صلوة العصر في مصحف حفصة وقوله صلى الله عليه وسلم من
فاتته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله ولان التكليف في ادائها
اشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغا
لهم بمعايشهم او اقسم بالعشي كما اقسم بالضحى لما فيهما جميعا من دلا
ئل القدرة او اقسم بالزمان لما في مروره من اصناف العجائب والا
نسان للجنس والخسر الخسران كما قيل الكفر في الكفران والمعنى
ان الناس لفي خسران من تجارتهم الا الصالحين وحدهم لانهم اشتروا
الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا ومن عداهم تجروا خلاف
تجارتهم فوقعوا في الخسارة والشقاوة وتواصوا بالحق

بالأمر الثابت الذي لا يسوغ إنكاره وهو الخير كله من توحيد الله
وطاعته واتباع كتبه ورسله والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة
وتواصوا بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى ما يبلو الله به
عباده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعصر غفر الله
له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده يحسب أن ماله
أخلده كلا لينبذن في الحطمة وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة
التي تطلع على الأفئدة إنها عليهم مؤصدة في عمد ممددة
الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن يقال لمزه ولهزه طعنه والمراد
الكسر من أعراض الناس والغض منهم واغتيابهم والطعن فيهم و
بناء فعلة يدل على أن ذلك عادة منه قد ضري بها ونحوها اللعنة و
الضحكة قال وإن اغيب فأنت الهامز اللمزة وقرئ ويل للهمزة اللمزة
وقرئ ويل لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذي يأتي بالأوابد
والأضاحيك فيضحك منه ويشتم وقيل نزلت في الأخنس بن شريق فإنه كانت
عادته الغيبة والوقيعة وقيل في أمية بن خلف وقيل في الوليد بن

المغيرة

المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضه منه وتنكير ... ويكون
السبب خاصا والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح و
ليكون جاريا مجرى التعريض بالوارد فيه فإن ذلك أزجر له وأنكى فيه
الذي بدل من كل أو نصب على الذم وقرئ جمع بالتشديد وهو
مطابق لعدده وقيل عدده جعله عدة لحوادث الدهر وقرئ
وعدده أي جمع المال وضبط عدده أو أحصاه أو جمع ماله وعدده
الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد إذا كان له عدد وافر
من الأنصار وما يصلحهم وقيل وعدده معناه وعدّه على فك الإدغام
يحسب أن ماله أخلده وخلده أي طول المال أمله ومناه
الأماني البعيدة حتى أصبح لفرط غفلته وطول أمله يحسب أن المال تركه
خالدا في الدنيا لا يموت أو يعمل من تشييد البنيان الموثق بالصخر
والآجر وغرس الأشجار وعمارة الأرض عمل من يظن أن ماله أبقاه حيا
أو هو تعريض بالعمل الصالح والزهد فإنه هو الذي أخلد صاحبه في النعيم فأما
المال فما أخلد أحدا فيه وروي أنه كان للأخنس أربعة آلاف دينار
وقيل عشرة آلاف وعن الحسن أنه عاد موسرا فقال ما تقول في ألوف لم
أفتد بها من لئيم ولا تفضلت على كريم قال ولكن لماذا قال لنبوة الزمان
وجفوة السلطان ونوائب الدهر ومخافة الفقر قال إذن تدعه لمن لا يحمدك

وتردد على انه لا يعوزه كل ما يدفع له عن حسابه وتركه لينبذن اي
هو وماله ولينبذن بضم الذال اي هو وانصاره ولينبذنه في
الحطمة في النار التي من شأنها ان تحطم كل ما يلقى فيها وتعالى التي
الاكول انه لحطمة وقرئ الحاطمة يعني انها تدخل في اجوافهم
حتى تصل الى صدورهم وتطلع على افئدتهم وهي اوساط القلوب و
لا شئ في بدن الانسان الطف من الفؤاد ولا اشد تألما منه بأدنى
اذى يمسه فكيف اذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه وجوز
ان تخص الافئدة لانها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات
الخبيثة ومعنى اطلاع النار عليها انها تعلوها وتغلبها وتشتمل عليها
او تطلع على سبيل المجاز معادن موجبها مؤصدة مطبقة قال في
الى اجبال مكة فاوصدته ومنها ابواب صنعاء مؤصدة وقرئ
في عمد بفتحتين وعمد بسكون الميم وعمد بضمتين والمعنى انه يؤكد
يأسهم من الخروج وتيقنهم بحبس الابد فتؤصد عليهم الابواب و
تمدد على الابواب العمد استيثاقا في استيثاق وجوز ان يكون المعنى
انها عليهم مؤصدة موثقين في عمد ممددة مثل المقاطر التي تقطر فيها
اللصوص اللهم اجرنا يا خير مستجار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرأ سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد واصحابه



بسم الله الرحمن الرحيم

ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل
عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول روي
ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي
بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج ف
خرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة
من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج با
لحبشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا
غيره وقيل ثمانية وقيل كان الف فيل وقيل كان واحدا فلما بلغ المغمس خرج
اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وعبأ
جيشه وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح وا
ذا وجهوه الى اليمن او الى غيره من الجهات هرول فارسل الله طيرا
سودا وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في
رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة وعن ابن عباس انه رأى
منها عند ام هانئ نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري فكان الحجر
يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه

ودوى أبرهة تساقطت أنامله وآرابه وما مات حتى انصدع صدره
عن قلبه وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي
فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل كان أبر
هة جد النجاشي الذي كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعين
سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة وعن عائشة رأيت قائد الفيل و
سائسه أعميين مقعدين يستطعمان وفيه أن أبرهة أخذ لعبد المطلب
مائتي بعير فخرج إليه فيها فجهزه وكان رجلا جسيما وسيما وقيل هذا
سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والو
حوش في رؤوس الجبال فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني جئت
لأهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك وعصمتكم وشرفكم في قديم
الدهر فألهاك عنه ذود أخذ لك فقال أنا رب الإبل وللبيت رب سيمنعه
ثم رجع وأتى باب البيت فأخذ بحلقته وهو يقول لاهم إن المرء
يمنع رحله فامنع رحالك لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك
إن كنت تاركهم وكعبتنا فأمر ما بدا لك يا رب لا أرجو لهم سواكا
يا رب فامنع منهم حماكا فالتفت وهو يدعو فإذا هو بطير من نحو
اليمن فقال والله إنها لطير غريبة ما هي بنجدية ولا تهامية وفيه أن أهل
مكة قد احتووا على أموالهم وجمع عبد المطلب من جواهرهم وذ

وذهبهم الجفور وكان سبب يساره وعن أبي سعيد الخدري أنه قال
عن الطير فقال حمام مكة منها وقيل جاءت عشية ثم صبحتهم وعن عكرمة
من أصابته جدرته وهو أول جدري ظهر ثم من يسكون التراب للجد
فإن قلت ما الخطاب والمعنى ألم تر أنت أيت آثار فعل الله بالحبشة و
سمعت الأخبار به متواترة فقامت لك مقام المشاهدة وكيف في مو
نصب بفعل ربك لا بألم تر لما في كيف من معنى الاستفهام في تضليل في تضييع
وإبطال يقال ضلل كيده إذا جعله ضالا ضائعا ونحوه قوله وما
كيد الكافرين إلا في ضلال وقيل لامرئ القيس الملك الضليل لأنه ضلل
ملك أبيه أي ضيعه يعني أنهم كادوا البيت أولا ببناء القليس وأرادوا
أن ينسخوا أمره بصرف وجوه الحاج إليه فضلل كيدهم بإيقاع الحريق
فيه وكادوه ثانيا بإرادة هدمه فضلل بإرسال الطير عليهم أبابيل حزائق
الواحدة إبالة وفي أمثالهم ضغث على إبالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت
الخرقة من الطير في تضامها بالإبالة وقيل أبابيل مثل عباديد وشماطيط لا
واحد لها وقرأ أبو حنيفة رضي الله عنه يرميهم أي الله أو الطير لأنه اسم
جمع مذكر وإنما يؤنث على المعنى وسجيل كأنه علم للديوان الذي
كتب فيه عذاب الكفار كما أن سجينا علم لديوان أعمالهم كأنه قيل
بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الإسجال وهو

الارسال لان العذاب موصوف بذلك وارسل عليهم طيرا انا ارسلنا عليهم
الطوفان وعن ابن عباس من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر وقيل معرب
من سنككل وقيل من شديد عذابه ورووا بيت ابن مقبل ضربا تواصى
به الابطال سجيلا وانما هو سجينا والقصيدة نونية مشهورة في ديوانه
وشبهوا بورق الزرع اذا اكل اي وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود
او بتبن اكلته الدواب وراثته ولكنه جاء على ما عليه اداب القرآن كقوله
كانا ياكلان الطعام او اريد اكل حبه فبقي صفرا منه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفيل اعفاه الله ايام حياته من الخسف
والمسخ

بسم الله الرحمن الرحيم

لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا
البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف لايلاف قريش يتعلق
بقوله فليعبدوا امرهم ان يعبدوا لاجل ايلافهم الرحلتين فان قلت
فلم دخلت الفاء قلت لما في الكلام من معنى الشرط لان المعنى اما لا
فليعبدوه لايلافهم على معنى ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه
لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة وقيل المعنى
اعجبوا لايلاف قريش وقيل هو متعلق بما قبله اي فجعلهم كعصف ماكول

لايلاف



لايلاف قريش وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت
بالذي قبله تعلقا لا يصح الا به وهما في مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل
وعن عمر رضي الله عنه انه قراهما في الثانية من صلوة المغرب وقرا في الاولى
والتين والمعنى انه اهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك
فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن في
رحلتيهم فلا يجترئ احد عليهم وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء
الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتيهم
آمنين لانهم اهل حرم الله وولاة بيته فلا يتعرض لهم والناس غيرهم
يتخطفون ويغار عليهم والايلاف من قولك آلفت المكان اولفه ايلافا
اذا الفته فانا مؤلف قال من المؤلفات الرمل ادماء حرة وقرئ لئلاف
قريش اي لمؤالفة قريش وقيل يقال الفته الفا والافا وقرا ابو جعفر
لالف قريش وقد جمعهما من قال زعمتم ان اخوتكم قريش لهم الف
وليس لكم الاف وقرا عكرمة ليالف قريش الفهم رحلة الشتاء
والصيف وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة
عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار وعن معوية انه سال
ابن عباس رضي الله عنهما بم سميت قريش قال بدابة في البحر تاكل ولا تؤكل
وتعلو ولا تعلى وانشد وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت

والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لأنهم كانوا
كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد أطلق الإيلاف ثم أبدل عنه المقيد
بالرحلتين تفخيما لأمر الإيلاف وتذكيرا لعظيم النعمة فيه ونصب الرحلة
بإيلافهم مفعولا به كما نصب يتيما بإطعام وأراد رحلتي الشتاء والصيف
فأفرد لأمن الإلباس كقوله كلوا في بعض بطنكم وقرئ رحلة بالضم وهي
الجهة التي يرحل إليها والتنكير في جوع وخوف لشدتهما يعني أطعمهم
بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم وهو
خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل كانوا
قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الجيف والعظام المحرقة وآمنهم من خوف
الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء إبراهيم صلوات الله عليه
ومن بدع التفاسير وآمنهم من أن تكون الخلافة في غيرهم وقرئ من
خوف بإخفاء النون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ لإيلاف قريش
أعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

بسم الله الرحمن الرحيم

أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فويل
للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون



وقرئ أريت بغير همزة إلحاقا بالأخبار لأن حذفها يختص بالمضارع وقد يقع
أريت وليس الذي يستعمل منه إثرها وقوع حرف الاستفهام نحو أول الكلام ونحوه
قال فقال أريت إن سمعت بأنه في الفجر ما قد بني العلا به وقرأ ابن
مسعود أرأيتك بزيادة حرف الخطاب كقوله أرأيتك هذا الذي كرمت علي والمعنى
هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو إن لم تعرفه فذلك الذي يكذب بالجزاء هو
الذي يدع اليتيم أي يدفعه دفعا عنيفا بجفوة وأذى ويرده ردا قبيحا بزجر
وخشونة وقرئ يدع أي يترك ويجفو ولا يحض ولا يبعث أهله على
بذل طعام المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والإقدام
على إيذاء الضعيف يعني أنه لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد لخشي الله
وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين أقدم عليه علم أنه مكذب فما أشده من
كلام وما أخوفه من مقام وما أبلغه في التحذير عن المعصية وأنها جديرة
بأن يستدل بها على ضعف الإيمان ورخاوة عقد اليقين ثم وصل به قوله فويل
للمصلين كأنه قال فإذا كان الأمر كذلك فويل للمصلين الذين يسهون
عن الصلاة قلة مبالاة بها حتى تفوتهم أو يخرج وقتها ولا يصلونها
كما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف ولكن ينقرونها نقرا من غير
خشوع وإخبات ولا اجتناب لما يكره فيها من العبث باللحية والثياب وكثرة
التثاؤب والالتفات لا يدري الواحد منهم عن كم انصرف ولا ما قرأ من السور

وكم ترى صلوة الذين عادتهم الرياء بأعمالهم ومنع حقوق أموالهم
والمعنى أن هؤلاء أحق بأن يكون سهوهم عن الصلوة التي هي عماد الدين والفارق
بين الإيمان والكفر والرياء الذي هو شعبة من الشرك ومنع الزكوة التي هي
شقيقة الصلوة وقنطرة الإسلام علماً على أنهم يكذبون بالدين وكم ترى من
المتسمين بالإسلام بل من العلماء منهم من هو على هذه الصفة فيا مصيبتاه
وطريقة أخرى أن يكون فذلك عطفاً على الذي يكذب إما عطف ذات على ذات أو صفة
على صفة ويكون جواب أرأيت محذوفاً لدلالة ما بعده عليه كأنه قيل أخبرني
وما تقول فيمن يكذب بالجزاء وفيمن يؤذي اليتيم ولا يطعم المسكين
أنعم ما يصنع ثم قال فويل للمصلين على معنى فويل لهم إلا أنه
وضع صفتهم موضع ضميرهم لأنهم كانوا مع التكذيب وما أضيف إليهم ساهين
عن الصلوة مرائين غير مزكين أموالهم فإن قلت كيف جعلت المصلين
قائماً مقام ضمير الذي يكذب وهو واحد قلت معناه الجمع لأن المراد
الجنس فإن قلت أي فرق بين قوله عن صلاتهم وبين قوله في صلاتهم قلت
معنى عن أنهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات إليها وذلك فعل
المنافقين أو الفسقة الشطار من المسلمين ومعنى في أن السهو يعتريهم
فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاته فضلاً عن غيره و

ومن

٦٠٢

من ثم أثبت الفقهاء باب سجود السهو في كتبهم وعن أنس الحمد لله على
أن لم يقل في صلاتهم وقرأ ابن مسعود لاهون فإن قلت ما معنى المراءاة
قلت هي مفاعلة من الإراءة لأن المرائي يري الناس عمله وهم يرونه
الثناء عليه والإعجاب به ولا يكون الرجل مرائياً بإظهار العمل الصالح إن
كان فريضة فمن حق الفرائض الإعلان بها وتشهيرها لقوله عليه
السلام ولا غمة في فرائض الله لأنها أعلام الإسلام وشعائر الدين
ولأن تاركها يستحق الذم والمقت فوجب إماطة التهمة بالإظهار و
إن كان تطوعاً فحقه أن يخفى لأنه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فإن
أظهره قاصداً للاقتداء به كان جميلاً وإنما الرياء أن يقصد بالإظهار أن
تراه الأعين فتثني عليه بالصلاح وعن بعضهم أنه رأى رجلاً في المسجد
قد سجد سجدة الشكر وأطالها فقال ما أحسن هذا لو كان في بيتك و
إنما قال هذا لأنه توسم فيه الرياء والسمعة على أن اجتناب الرياء صعب
بالإخلاص الأعمال لمن ... ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرياء أخفى
من دبيب النملة السوداء في الليلة المظلمة على المسح الأسود الماعون
الزكوة قال الراعي قوم على الإسلام لما يمنعوا ماعونهم ويضيعوا
التهليلا وعن ابن مسعود ما يتعاور في العادة من الفأس والقدر و
الدلو والمقدحة ونحوها وعن عائشة الماء والنار والملح وقد

المقدحة ما يقدح به النار

الاعتوار والتعاور والتعور عين التداول

يكون منع هذه الأشياء محظورا في الشريعة إذا استعيرت عن اضطرار
وقبيحا في المروءة في غير حال الضرورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة أرأيت غفر الله له إن كان للزكاة مؤديا

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر في قراءة
النبي صلى الله عليه وسلم إنا أنطيناك بالنون وفي حديثه صلى الله عليه وسلم
وأنطوا الثبجة والكوثر فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة قيل لأعرابية
رجع ابنها من السفر بم آب ابنك قالت آب بكوثر، وأنت كثير يا ابن مروان
طيب وكان أبوك ابن العقائل كوثرا وقيل الكوثر نهر في الجنة و
عدنيه ربي فيه خير كثير وآنيته في صفته أحلى من العسل وأشد بياضا
من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه
من فضة عدد نجوم السماء و[illegible] لا يظمأ من شرب منه أبدا
وأول وارديه فقراء المهاجرين الدنسو الثياب الشعث الرؤوس
الذين لا يزوجون المتنعمات ولا يفتح لهم أبواب السدد يموت أحدهم
وحاجته تتلجلج في صدره لو أقسم على الله لأبره وعن ابن عباس أنه فسر
الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير إن ناسا يقولون هو نهر في الجنة
فقال هو من الخير الكثير وأكثر كون البشر ومن علمائه كل علوم النبي

بكم والنحر بحتم ونيل هي صلاة العيد والتضحية وقيل هي جنس الصلاة
والنحر وضع اليمين على الشمال والآخر أعطيتك ما لا غاية لكثرته من خير
الدارين الذي لا يعطه أحد غيرك وشغلني ذلك بطاعة الله إذا إله العالمين
فاجمع تعنيك الطاعتان النفسانية والمالية التي في عمائها وأوفر من أكثر
تعطى واخصص بهم نفسك الذي أعد لك باحتماله وخذ في ومالا من
من نسك إخلاص وأما لقومك الذين يعبدون غير الله وانحر لوجه
الله وباسمه إذا نحروا للأوثان إن شانئك إن مبغضك من قومك
بمخالفتك لهم هو الأبتر الذي لا يبقى له نسل إلى يوم القيامة من المنقطع
نسلهم أولادك وأعقابا وذكرك مرفوع على المنابر والمنار وعلى لسان كل
عالم وذاكر إلى آخر الدهر يبدأ بذكر الله ويثنى بذكرك ولك في
الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف فمثلك لا يقال له الأبتر إنما
هو شانئك المنسي في الدنيا والآخرة وإن ذكر ذكر باللعن وكانوا يقولون
إن محمدا صلى الله عليه وسلم صنبور إذا مات مات ذكره وقيل نزلت في العاص
بن وائل وقد سماه الأبتر والأبتر الذي لا عقب له ومنه الحمار الأبتر
الذي لا ذنب له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الكوثر سقاه الله من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد
كل قربان قربه العباد في يوم النحر أو يقربونه

بسم الله الرحمن الرحيم

قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي دين المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله منهم انهم لا يؤمنون روي ان رهطا من قريش قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله شيئا غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فأيسوا لا اعبد اريدت به العبادة فيما يستقبل لان لا لا تدخل الا على مضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال الا ترى ان لن تأكيد فيما ينفيه لا وقال الخليل في لن ان اصله لا ان والمعنى لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ولا انتم فاعلون فيه ما اطلب منكم من عبادة الهي ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه يعني لم تعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجى في الاسلام ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت ما انا على عبادته فان قلت فهلا قيل ما عبدت كما قيل ما عبدتم قلت لانهم كانوا يعبدون الاصنام قبل المبعث وهو لم يكن يعبد الله في ذلك

الوقت

الوقت فان قلت فلم جاء على ما دون من قلت لان المراد الصفة كأنه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق وقيل ان ما مصدرية اي لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي لكم دينكم ولي دين لكم شرككم ولي توحيدي والمعنى اني نبي مبعوث اليكم لادعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفافا ولا تدعوني الى الشرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت منه مردة الشياطين وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع الاكبر

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا اذا منصوب بسبح وهو لما يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من اعلام النبوة روي انها نزلت في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع فان قلت ما الفرق بين النصر والفتح حتى عطف عليه قلت النصر الاغاثة والاظهار على العدو ومنه نصر الله الارض غاثها والفتح فتح البلاد والمعنى نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على العرب او على قريش وفتح مكة وقيل جنس نصر الله المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب

واتاهم بها خمس عشرة ليلة ثم خرج الى الطواف ... دخلها وقف على باب
الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم
الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن
اخ كريم ثم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد كان الله تعالى امكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيئا فلذلك سمي اهل
مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام في دين الله يعني الاسلام الذي لا دين
له يضاف اليه غيره لقوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه افواجا جماعات
جماعات كثيرة كانت تدخل فيه القبيلة باسرها بعدما كانوا يدخلون
فيه واحدا واحدا واثنين اثنين وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه
انه بكى ذات يوم فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دخل
الناس في دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا وقيل اراد بالناس
اهل اليمن قال ابو هريرة لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر جاء
نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم الايمان يمان والفقه
يمان والحكمة يمانية وقال اجد نفس ربكم من قبل اليمن وقال عكرمة لما
فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا
اما اذ ظفر باهل الحرم فليس به يدان وقد كان الله اجارهم من اصحاب
الفيل وعن كل من ارادهم فكانوا يدخلون في الاسلام افواجا من غير قتال

وقرا



وقرا ابن عباس فتح الله والنصر وقرئ يدخلون على البناء للمفعول فان
قلت ما محل يدخلون قلت النصب اما على الحال على ان رايت بمعنى ابصرت
او عرفت او هو مفعول ثان على انه بمعنى علمت فسبح بحمد ربك فقل سبحان
الله حامدا له او فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببالك وبال احد من ان يغلب
احد على اهل الحرم واحمده على صنيعه او فاذكره مسبحا حامدا زيادة
في عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك او فصل له روت ام هانئ انه
لما فتح باب الكعبة صلى صلاة الضحى ثماني ركعات وعن عائشة رضي الله
عنها كان يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك
والامر بالاستغفار مع التسبيح تكميل للامر بما هو قوام امر الدين من
الجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية وليكون امره بذلك مع عصمته
لطفا لامته ولان الاستغفار من التواضع لله وهضم النفس فهو عبادة في
نفسه وعن النبي صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر في اليوم والليلة مائة
مرة وروي انه لما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه استبشروا
وبكى العباس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك
نفسك قال انها لكما تقول فعاش بعدها سنتين لم ير فيهما ضاحكا
مستبشرا وقيل ان ابن عباس هو الذي قال ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقد اوتي هذا الغلام علما كثيرا وروي انه لما نزلت خطب رسول الله فقال

فقال إن عبدا خيره الله بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله فعلم
أبو بكر رضي الله عنه فقال فديناك بأنفسنا وأموالنا وآبائنا وأولادنا وعن ابن
عباس أن عمر رضي الله عنه كان يدنيه ويأذن له مع أهل بدر فقال عبد الرحمن
أتأذن لهذا الفتى معنا وفي أبنائنا من هو مثله فقال إنه ممن قد علمتم قال
ابن عباس فأذن لهم ذات يوم وأذن لي معهم فسألهم عن قول الله تعالى إذا
جاء نصر الله ولا أراه سألهم إلا من أجلي فقال بعضهم أمر الله نبيه إذا
فتح عليه أن يستغفره ويتوب إليه فقلت ليس كذلك ولكن نعيت إليه
نفسه فقال عمر ما أعلم منها إلا مثل ما تعلم ثم قال كيف تلومونني عليه بعد
ما ترون وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دعا فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنتاه
إنه نعيت إلي نفسي فبكت فقال لا تبكي فإنك أول أهلي لحوقا بي وعن
ابن مسعود أن هذه السورة تسمى سورة التوديع كان توابا أي كان
في الأزمنة الماضية منذ خلق المكلفين توابا عليهم إذا استغفروا فعلى
كل مستغفر أن يتوقع مثل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرأ سورة إذا جاء نصر الله أعطي من الأجر كمن شهد مع محمد صلى الله
عليه وسلم يوم فتح مكة

بسم الله الرحمن الرحيم

تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا
ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد التباب
الهلاك ومنه قولهم أشابة أم تابة أي هالكة من الهرم والتعجيز والمعنى
هلكت يداه لأنه فيما يروى أخذ حجرا ليرمي به رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتب وهلك كله أو جعلت يداه هالكتين والمراد هلاك جملته كقوله تعالى
بما قدمت يداك ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقوله جزاني جزاه
الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ويدل عليه قراءة
ابن مسعود وقد تب وروي أنه لما نزل وأنذر عشيرتك الأقربين رقي
الصفا وقال يا صباحاه فاستجمع إليه الناس من كل أوب فقال يا بني عبد
المطلب يا بني فهر إن أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقي
قالوا نعم قال فإني نذير لكم بين يدي الساعة فقال أبو لهب تبا لك
ألهذا دعوتنا فنزلت فإن قلت لم كناه والتكنية تكرمة قلت فيه ثلاثة
أوجه أحدها أن يكون مشتهرا بالكنية دون الاسم فقد يكون الرجل معروفا
بأحدهما ولذلك تجري الكنية على الاسم أو الاسم على الكنية عطف بيان فلما
أريد تشهيره بدعوة السوء وأن تبقى سمة له ذكر الأشهر من علميه
ويؤيد ذلك قراءة من قرأ يدا أبو لهب كما قيل علي بن أبو طالب و
معاوية بن أبو سفيان لئلا يتغير منه شيء فيشكل على السامع ولفليتة
بن قاسم أمير مكة ابنان أحدهما عبد الله بالجر والآخر عبد الله بالنصب

والثاني أنه لما كان اسمه عبد العزى فعدل عنه إلى كنيته والثالث أنه لما
كان من أهل النار ومآله إلى نار ذات اللهب وافقت حالته كنيته فكان جديرا
بأن يذكر بها ويقال أبو الشر للشرير وأبو الخير للخير
وكما كني أبو المهلب أبا صفرة بصفرة في وجهه و
قيل كني بذلك لتلهب وجنتيه وإشراقهما فيجوز أن يذكر بذلك تهكما
به وبافتخاره بذلك وقرئ أبي لهب بالسكون وهو من تغيير الأعلام كقوله
شمس بن مالك بالضم ما أغنى استفهام في معنى الإنكار ومحله النصب
أو نفي وما كسب مرفوع وما موصولة أو مصدرية بمعنى ومكسوبه
أو وكسبه والمعنى لم ينفعه ماله وما كسب بماله يعني رأس المال والأرباح
أو ماشيته وما كسب من نسلها ومنافعها وكان ذا سابياء أو ماله الذي ورثه
من أبيه والذي كسبه بنفسه أو ماله التالد والطارف وعن ابن عباس ما
كسب ولده وحكي أن بني أبي لهب احتكموا إليه فاقتتلوا فقام
يحجز بينهم فدفعه بعضهم فوقع فغضب فقال أخرجوا عني
الكسب الخبيث ومنه قوله عليه الصلاة والسلام إن أطيب ما يأكل الرجل من
كسبه وإن ولده من كسبه وعن الضحاك ما ينفعه ماله وعمله
الخبيث يعني كيده في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن قتادة عمله
الذي ظن أنه منه على شيء كقوله وقدمنا إلى ما عملوا من عمل

٦٠٨

وروي أنه كان يقول إن كان ما يقول ابن أخي حقا فأنا أفتدي منه نفسي بمالي وو
لدي سيصلى قرئ بفتح الياء وبضمها مخففا ومشددا والسين للوعيد أي هو
كائن لا محالة وإن تراخى وقته وامرأته هي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان
وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريق رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقيل كانت تمشي بالنميمة ويقال للمشاء بالنمائم المفسد بين
الناس يحمل الحطب بينهم أي يوقد بينهم النائرة ويورث الشر قال من البيض
لم تصطد على ظهر لأمة ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب جعله رطبا ليدل
على التدخين الذي هو زيادة في الشر ورفعت عطفا على الضمير في سيصلى أي سيصلى
هو وامرأته وفي جيدها في موضع الحال أو على الابتداء وفي جيدها الخبر وقرئ
حمالة الحطب بالنصب على الشتم وأنا أستحب هذه القراءة وقد توسل إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بجميل من أحب شتم أم جميل وقرئ حمالة للحطب بالتنوين
والرفع والنصب وقرئ ومريئته بالتصغير المسد الذي فتل من الحبال فتلا شديدا
من ليف كان أو جلد أو غيرهما قال ومسد أمر من أيانق ورجل ممسود الخلق
مجدوله والمعنى في جيدها حبل مما مسد من الحبال وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك
وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتحقيرا لها وتصويرا لها بصورة
بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما في بيت العز
والشرف وفي منصب الثروة والجدة ولقد عير بعض الناس الفضل بن عباس بن

عتبة بن ابي لهب فحمالة الحطب نقالة ماذا اردت اي شتمي وتنقصي امرنا
نعتت فحمالة الحطب حتى انها شاخصة في المجد عنقها كانت سليلة شيخ تام
الحسب ونحوها ان يكون المعنى ان حالها تكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها
حين كانت تحمل حزمة الشوك فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من
شجرة الزقوم او من الضريع وفي جيدها حبل مما مسد من سلاسل النار
كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار
حدة

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد
هو ضمير الشان والله احد هو الشان كقولك هو زيد منطلق كانه قيل الشان هذا وهو
ان الله واحد لا ثاني له فان قلت ما محل هو قلت الرفع على الابتداء والخبر
الجملة فان قلت فالجملة الواقعة خبرا لا بد فيها من راجع الى المبتدا فاين الراجع
قلت حكم هذه الجملة حكم المفرد في قولك زيد غلامك في انه هو المبتدا في المعنى
وذلك ان قوله الله احد هو الشان الذي هو عبارة عنه وليس كذلك زيد ابوه
منطلق فان زيدا والجملة يدلان على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما وعن

ابن



ابن عباس قالت قريش يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت يعني الذي
سالتموني وصفه هو الله واحد بدل من قوله الله او على هو احد وهو بمعنى
واحد واصله وحد فقلبت الواو همزة وقرأ عبد الله وأبي هو الله احد بغير قل وفي قراءة النبي
صلى الله عليه وسلم الله احد بغير قل هو وقال من قرأ الله احد كان بعدل القرآن
وقرأ الاعمش قل هو الله الواحد وقرئ احد الله بغير تنوين اسقط لملاقاته
لام التعريف ونحوه ولا ذاكر الله الا قليلا والجيد هو التنوين وكسره لالتقاء
الساكنين والصمد فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده وهو السيد المصمود
اليه في الحوائج والمعنى هو الله الذي تعرفونه وتقرون بانه خالق السموات
والارض وخالقكم وهو واحد متوحد بالالهية لا يشارك فيها وهو الذي يصمد
اليه كل مخلوق لا يستغنون عنه وهو الغني عنهم لم يلد لانه لا يجانس حتى
يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا وقد دل على هذا المعنى بقوله انى يكون له
ولد ولم تكن له صاحبة ولم يولد لان كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا اول
لوجوده وليس بجسم ولم يكافئه احد اي لم يماثله ولم يشاكله ويجوز ان يكون
من الكفاءة في النكاح نفيا للصاحبة سألوه ان يصفه لهم فاوحى اليه ما يحتوي
على صفاته فقوله هو الله اشارة لهم الى من هو خالق الاشياء وفاطرها وفي طي
ذلك وصفه بانه قادر عالم لان الخلق يستدعي القدرة والعلم لكونه واقعا
على غاية احكام واتساق وانتظام وفي ذلك وصفه بانه حي سميع بصير

وقوله أحد وصف بالوحدانية ونفي الشركاء، وقوله الصمد وصف بأنه ليس
إلا محتاجا إليه وإذا لم يكن إلا محتاجا إليه فهو غني وفي كونه غنيا مع كونه عالما أنه
عدل غير فاعل للقبائح لعلمه بقبح القبيح وعلمه بغناه عنه وقوله لم يولد وصف
بالقدم والأولية وقوله لم يلد نفي للشبه والمجانسة وقوله ولم يكن له كفوا
أحد تقرير لذلك وبت للحكم به فإن قلت الكلام العربي الفصيح أن يؤخر
الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدم وقد نص سيبويه على ذلك في كتابه
فما بال مقدم في أفصح كلام وأعربه قلت هذا الكلام إنما سيق لنفي المكافأة
عن ذات الباري سبحانه وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان
لذلك أهم شيء وأعناه وأحقه بالتقديم وأحراه وقرئ كفؤا بضم الكاف و
الفاء وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء فإن قلت لم كانت هذه السورة تعدل
القرآن كله على قصر متنها وتقارب طرفيها قلت لأمر ما يسود من يسود وما ذاك
إلا لاحتوائها على صفات الله وعدله وتوحيده وكفى دليلا من اعترف
بفضلها وصدق بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها أن علم التوحيد من الله
بمكان وكيف لا يكون كذلك والعلم تابع للمعلوم يشرف بشرفه ويتضع بضعته
ومعلوم هذا العلم هو الله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز فما ظنك بشرف
منزلته وجلالة محله وإنافته على كل علم واستيلائه على قصب السبق دونه
ومن ازدراه فلضعف علمه بمعلومه وقلة تعظيمه له وخلوه من خشيته



ويبعدون التشبيه بقوله الله أحد يا من هو رب العالمين بكل العالمين لكل
بعد ذلك وتوحيدك إلا اثنين من عبيدك وتسمى سورة الأساس لاشتمالها
على أصول الدين روي عن أبي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أسست السموات
السبع والأرضون السبع على قل هو الله أحد يعني ما خلقت إلا لتكون دلائل
على توحيد الله ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال وجبت فقيل وما وجبت يا رسول
الله قال وجبت له الجنة

بسم الله الرحمن الرحيم

قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن
شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد الفلق والفرق الصبح
لأن الليل ينفلق عنه ويفرق فعل بمعنى مفعول يقال في المثل هو أبين من
فلق الصبح ومن فرق الصبح ومنه قولهم سطع الفرقان إذا طلع الفجر
وقيل هو كل ما يفلقه الله كالأرض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب
عن الأمطار والأرحام عن الأولاد والحب والنوى وغير ذلك وقيل هو واد
في جهنم أو جب فيها من قولهم لما اطمأن من الأرض الفلق والجمع فلقان
وعن بعض الصحابة أنه قدم الشام فرأى دور أهل الذمة وما هم فيه من خفض
العيش وما وسع عليهم من دنياهم فقال لا أبالي أليس من ورائهم الفلق فقيل

وما الفلق قال بيت في جهنم اذا فتح صاح جميع اهل النار من شدة حره
من شر ما خلق من شر خلقه وشرهم ما يفعله المكلفون من الحيوان من
المعاصي والمآثم ومضارة بعضهم لبعض من ظلم وبغي وقتل وضرب وشتم وغير
ذلك وما يفعله غير المكلفين منه من الاكل والنهش واللدغ والعض كالسباع
والحشرات وما وضعه الله في الموات من انواع الضرر كالاحراق في النار
والقتل في السم والغاسق الليل اذا اعتكر ظلامه من قوله تعالى الى غسق
الليل ومنه غسقت العين امتلأت دمعا وغسقت الجراحة امتلأت دما
ووقوبه دخول ظلامه في كل شيء ويقال وقبت الشمس اذا غابت وفي
الحديث لما رأى الشمس قد وقبت قال هذا حين حلها يعني صلاة المغرب
وقيل هو القمر اذا امتلأ وعن عائشة رضي الله عنها اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي
فاشار الى القمر فقال تعوذي بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا و
قب ووقوبه دخوله في الكسوف واسوداده ويجوز ان يراد بالغاسق
الاسود من الحيات ووقبه ضربه ونقبه والوقب النقب ومنه وقبة
الثريد والتعوذ من شر الليل لان انبثاث الشر فيه اكثر والتحرز منه اصعب
ومنه قولهم الليل اخفى للويل وقولهم اغدر الليل لانه اذا اظلم كثر فيه الغدر
واسند الشر اليه لملابسته له من حدوثه فيه النفاثات النساء او النفوس
او الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها و

ويرقين والنفث النفخ مع ريق ولا تأثير لذلك اللهم الا اذا كان ثم
اطعام شيء ضار او سقيه او اشمامه او مباشرة المسحور به على بعض
الوجوه ولكن الله قد يفعل عند ذلك فعلا على سبيل الامتحان الذي
يتميز به الثبت على الحق من الحشوية والجهلة من العوام فينسبه الحشو
والرعاع اليهن والى نفثهن والثابتون بالقول الثابت لا يلتفتون الى
ذلك ولا يعبأون به فان قلت فما معنى الاستعاذة من شرهن قلت
فيها ثلاثة اوجه احدها ان يستعاذ من عملهن الذي هو صنعة السحر ومن
اثمهن في ذلك والثاني ان يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخد
عن باطلهن والثالث ان يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن
ويجوز ان يراد بهن النساء الكيادات من قوله ان كيدكن عظيم تشبيها
لكيدهن بالسحر والنفث في العقد واللاتي يفتن الرجال بتعرضهن
لهم وعرضهن محاسنهن كأنهن يسحرنهم بذلك اذا حسد اذا
ظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغي الغوائل للمحسود لانه اذا لم يظهر
اثر ما اضمره فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتما
مه بسرور غيره وعن عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه لم ار ظالما اشبه
بالمظلوم من حاسد ويجوز ان يراد بشر الحاسد اثمه وسماجة حاله
في وقت حسده واظهاره اثره فان قلت قوله من شر ما خلق تعميم في

كل ما يستعاذ منه فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات
والحاسد قلت قد خص شر هؤلاء من كل شر لخفاء أمره وأنه يلحق
الإنسان من حيث لا يعلم كأنما يغتال به وقالوا شر العداة المداجي الذي
يكيدك من حيث لا تشعر فإن قلت فلم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه
قلت عرفت النفاثات لأن كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لأن كل غاسق لا يكون
فيه الشر إنما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد
محمود وهو الحسد في الخيرات ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا حسد إلا في
اثنتين وقال أبو تمام وما حاسد في المكرمات بحاسد وقال إن العلى حسن في
مثلها الحسد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكأنما
قرأ الكتب التي أنزلها الله تعالى كلها

بسم الله الرحمن الرحيم

قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس
الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس قرئ قل أعو
بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام ونحوه فخذ أربعة من الطير فإن قلت
لم قيل برب الناس مضافا إليهم خاصة قلت لأن الاستعاذة وقعت من شر الموسوس
في صدور الناس فكأنه قيل أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بر

بهم



بربهم الذي يملك عليهم أمورهم وهو إلههم ومعبودهم كما يستغيث
بعض الموالي إذا اعتراهم خطب بسيدهم ومخدومهم ووالي أمرهم
فإن قلت ملك الناس إله الناس ما هما من رب الناس قلت هما عطف بيان
كقولك سيرة أبي حفص عمر الفاروق بين بملك الناس ثم زيد بيانا بإله
الناس لأنه قد يقال لغيره رب الناس كقوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم
أربابا من دون الله وقد يقال ملك الناس وأما إله الناس فخاص لا شركة فيه
فجعل غاية للبيان فإن قلت فهلا اكتفي بإظهار المضاف إليه الذي هو الناس مرة
واحدة قلت لأن عطف البيان للبيان فكان مظنة للإظهار دون الإضمار الوسواس
اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة وأما المصدر فوسواس
بالكسر كزلزال والمراد به الشيطان سمي بالمصدر كأنه وسوسة في نفسه
لأنها صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه أو أريد ذو الوسواس والوسوسة
الصوت الخفي ومنه وسواس الحلي والخناس الذي عادته أن يخنس منسوبا
إلى الخنوس وهو التأخر كالعواج والبتات لما روي عن سعيد بن جبير إذا
ذكر الإنسان ربه خنس الشيطان وولى وإذا غفل وسوس إليه الذي يوسوس
يجوز في محله الحركات الثلاث فالجر على الصفة والرفع والنصب على الشتم ويحسن
أن يقف القارئ على الخناس ويبتدئ الذي يوسوس على أحد هذين الوجهين من
الجنة والناس بيان للذي يوسوس على أن الشيطان ضربان جني وإنسي

كما قاله شياطين الجن والانس وعن ابي ذر رضي الله عنه انه قال لرجل هل
تعوذت بالله من شياطين الانس والجن ان يكون متعلقا بيوسوس ومعنا
ابتداء الغاية اي يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس وقيل من
الجنة والناس بيان للناس وان اسم الناس ينطلق على الجنة والانس كما ينطلق
رجال في سورة الجن وما احقه لانه اي سمعا اجتماع الجنة والناس
ناسا لظهورهم من الاجتناب وهو الاستتار كما سمعت ولو كان يقع
الناس على القبيلين وصح ذلك وثبت لم يكن مناسبا لفصاحة القرآن
وبعده من التصنع واجود منه ان يراد بالناس الناسي كقوله يوم يدع
الداعي وكما قرئ من حيث افاض الناس ثم بين بالجنة والناس
الثقلين كما الذي هما المعروفان بنسيان حق الله عز وجل عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انزلت علي سورتان ما انزل مثلهما وانك لن تقرأ سورة
احب ولا ارضى عند الله منهما ويقال للمعوذتين المقشقشتين
قال عبد الله الفقير اليه وانا اعوذ بهما بكلمات الله التامة
بكلمة التامة من الذي يكفي شر الشامل العامة من كل ما يكلم
الذي يشمل البنية ويعود لما العاقبة بالتدبير ويقدره في الازل
المستولي بالتلي ... واسأله بتفريح العنق وخشوع البصر ...
الحمد لجلاله الاعظم الاكبر يستشفع اليه بنبيه الذي هو النبي الا

متوسلا



متوسلا بالقوة المحفوفة للاثار وما عنيت به من مما جئت بالبيه وبه ابتلي
بمملة ومكابدة على شكاية من الكرب ونحاول ... ان اشتانه تحف
بيان اطه المستقيم وفي انه انجح للكرب ... تكشف ... الهم وغم في
الجين في اعمال الكشاف عن حقايقه المخلوعين متكابدة المتكلف على خوافيه
المتين في مناحيه المختلفة ولطائف نكتة المنتدعة فيه وجواهر علمه
المكنون بالنفايس المتقنة التي لا توجد الا في المجد انما لا يمكنه بيد
ان قائله وبمعانيه مع الاتيان الخارق للمعقول وتجنب المستكره
المملول ولم يكن لم يستعمله الا في احكامات على قانونه لكنني به فاته
يتشدد بتحفة الاحبار وجوهرة بيتمة الغتصر عليها عافية البكار
وما شئت فيه وتجدني واختفيت بكامنه وتوحدني من ان تفاحه على
علي بيده لم تسبط باساته وتدبره وتشكل آياته وتسويه من البلاغ
الاتي بين كلمات الاعجاز وبين يدي البيت المختوم حتى وقع الناس
وبل حيث وجد التشيا انتبه لم خاتمة المنن وبقيت متقاسم التشو
وتبني وزعفرت ... يدي النقاد ولا ينقضي بهما على سور الكشاف
وتكلمت المتلاية بتفليه براسه كذلة رسابته فذلة انه للداجا

الكريم الرؤوف الرحيم

قال المصنف رحمه الله في آخر نسخته وهذه النسخة هي نسخة الأصل التي
نقلت من السواد وهي أم الكتاب أي نسخته المباركة المتمسح بساكن
المحفوفة بأنوار كل ملائكة السماء ويتشوق بها إلى السنة الشهباء
فرغت منها يد المصنف تجاه الكعبة في جانب دار الشلبيانية التي على باب
أجياد المسومة بمدرسة العلامة [illegible] يوم الاثنين الثالث
والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وعشرين وخمسمائة والحمد
لله على ما وهب كرمه وصلى على نبيه محمد ورسوله وعلى آله وأصحابه أجمعين
والحمد لله رب العالمين